صفحة ليبيا تاريخ وثقافة على الفيسبوك

فرانشسكو مالجيري



١٩١١ - ١٩١٢

ترجمة
د. وهبي البوري



الدار العربية للكتاب

صفحة ليبيا تاريخ وثقافة على الفيسبوك



صفحة ليبيا تاريخ وثقافة على الفيسبوك

الحرب الليبية

١٩١١ - ١٩١٢



صفحة ليبيا تاريخ وثقافة على الفيسبوك



صفحة ليبيا تاريخ وثقافة على الفيسبوك

الحرب الليبية

١٩١١ - ١٩١٢

ترجمة

د. وهبي البوري

الدار العربية للكتاب

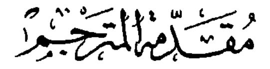
ليبيا - تونس

صفحة ليبيا تاريخ وثقافة على الفيسبوك

© جميع الحقوق محفوظة الدار العربية للكتاب

ليبيا ـ تونس ـ ١٣٩٨/١٩٧٨

صفحة ليبيا تاريخ وثقافة على الفيسبوك



ان الباحث في تاريخ ليبيا وقت الغزو الايطالي وطيلة سنوات المقاومة الوطنية لا يجد بدا من اللجوء الى المصادر الايطالية اذ لا يجد خلافرا سوى القليل من المراجع الاجنبية وبعض المؤلفات العربية . والمكتبة الايطاليــة تستاثر بنصيب الاسد في كل ما كتب عن ليبيا . وتعد بالمئات الكتب والابحاث والدراسات التي صدرت باللغة الايطالية عن ليبيا في جميع الميادين . واذا ما تركنا جانبا الابحاث والدراسات وحصرنا الجهد فيما نشــر من كتب سياسية وعسكرية وتاريخية تتعلق بفترة الغزو الاولى وبسنوات المقاومة الطويلة ، فانه من العسير العثور على كتاب واحد له وزنه نراه قد سلك الموضوعية وابتعد عن روح التحيز والتعصب وتجاهل الشعب وقدراته وهي الروح التي اصطبغت بها أغلبية الكتب التي وضعها كتاب ايطاليون عن ليبيا . اما الكتب التي صدرت بصورة خاصة في العهد الفاشستي ، فجميعها — باستثناء الابحاث العلمية — قد تميزت بنعرة الغرور الفاشستية وبتجاهل العنصر العربي وبتكييف المعارك الحربية والوقائع والاحــداث بما يتفق وسياسة واغراض النظام الفاشستي المتغطرس .

وفي اعقاب الحرب العالمية الثانية تشكلت بوزارة الخارجية الايطالية لجنة من كبار المختصين لتقييم العمل الايطالي في افريقيا اي لاعادة كتابة

تاريخ المستعمرات الايطالية منذ الاستيلاء عليها حتى وقت التخلي عنها . وقد اصدرت اللجنة سلسلة من الكتب تشمل الكثير من الدراسات والابحاث والمعلومات في جميع ميادين العمل الايطالي في افريقيا .

وكنا نتوقع بعد انسحاب ايطاليا من ليبيا وتنازلها عن جميع مستعمراتها السابقة ان يظهر الى الضوء اي بحث موضوعي يعكس بصدق الاحداث التي دارت فوق أراضي ليبيا دون تاثر بالروح الاستعمارية البغيضة المتعصبة ، واعتقدنا ان سلسلة الكتب هذه التي صدرت تحت اسم « ايطاليا في افريقيا » قد تفي بالغرض الذي ننشده وترفع الستار عن الكثير من الاسرار والغموض الذي احاط بسياسة ايطاليا وبعملياتها الحربية وبعلاقاتها بعرب ليبيا خلال فترة الاستعمار الايطالي . ولكننا باطلاعنا على القسم الخاص بالصراع المسلح الذي دام اكثر من عشرين سنة ما بين المقاومة العربية الليبية وايطاليا وكذلك الاحداث السياسية التي صاحبت او تخللت هذا الصراع ، لم نعثر على اي تقييم موضوعي لهذه الوقائع بل وجدنا تكرارا لما كان ينشر ويذاع ويقال خلال فترة الاحتلال .

والكتاب الذي نقدمه للقراء من تاليف الاستاذ فرنشسكو مالجيري استاذ التاريخ بجامعة سالرنو ، وهو مؤلف معروف ومحقق دقيق ، بذل جهدا طيبا في اظهار حقائق وخفايا الاعداد الدبلوماسي والحربي للغزو وسير العمليات العسكرية وما صاحبها من تطورات سياسية ودولية من وقت الغزو حتى التوقيع على معاهدة أوشي . وهو كتاب موضوعي — لعله الاول من نوعه من بين المؤلفات الايطالية — بقدر ما سمحت الامكانيات لمؤلفه في التحري والتحقيق ، بعيد عن التعصب اعتمد الكاتب فيه على ما حوته في هذا الصدد المحفوظات السرية الايطالية والوثائق السرية النمساوية والبريطانية والالمانية واستند كذلك على الصحافة وعلى الاحداث والمظاهرات والاحتجاجات التي كانت تعبر عن الحالة النفسية للشعب الايطالي والمجندين قبيل الغزو وبعده . وقد كرس المؤلف قسما كبيرا من الكتاب لدراسة الاوضاع الداخلية في ايطاليا والاوضاع الدولية في فترة الغزو

والمعارضة التي قامت في وجه الحملة الليبية والمؤثرات التي جرت الحكومة الايطالية الى اعلان الحرب على تركيا دون استعداد وبطريقة مرتجلة طائشة . وابرز المؤلف دور الصحافة ورجال القلم والشعراء ورجال الدين الذين انجروا جميعهم وراء حملة القوميين المتشنجة ومن يدور في فلكهم وعاشوا في اوهام عظمة روما القديمة وتجدد الحروب الصليبية والتوسع الاستعماري الذي كانوا يظنون انه سيخلص الجنوب الايطالي من مآسيه ويصل بايطاليا الى صف الدول العظمى . وقدم المؤلف في هذا الكتاب حقائق تستند على الوثائق الرسمية عن حالة العجز والخوف والذعر التي كان يعيشها الجيش الايطالي الغازي على شواطىء ليبيا وعن خيبة الامل التي اصابت الحكومة والشعب الايطالي بعد ان تحولت ((النزهة العسكرية ، الى حرب طاحنة فرض فيها المناضلون العرب على ما يقارب المائة الف جندي ابطال القبوع في الخنادق تحت حماية مدافع الاسطول .

ويستنتج المؤلف من ابحاثه ان الحرب الليبية الايطالية كانت سببا في الاطاحة بنظام جوليتي ، وفي احداث تغيير شامل في السياسة والحياة الايطالية وفي وضع مقدرة الجندي الايطالي في حجمها الطبيعي الامر الذي جعل جوليتي وقت اندلاع الحرب العالمية الاولى يصر على عدم دخول ايطاليا الحرب وان يبقيها قرابة العام بعيدة عن الصراع . وفي حديث له مع سالاندرا رئيس الوزراء الذي خلفه قال : ((لقد كنت ازور البلاغات حول القتال في ليبيا كي لا ابين باننا لا نستطيع ان نربح الا اذا كان عددنا عشرة مقابل واحد)) (١)

اما بالنسبة لحرب ليبيا فان الغزو الايطالي والاعداد له قد خلق وعيا قويا في الشعب الليبي واخرجه الى ساحة الاحداث الدولية كالطرف الرئيسي في الصراع الايطالي — التركي . فايطاليا عندما اقدمت على مغامرتها كانت على ادراك تام بضعف الحامية التركية بليبيا وبتفكك اوصال الامبراطورية التركية وتخاذل رجالها ، وكانت تعتقد ان الحامية التركية لا تستطيع الوقوف في وجه الحملة الايطالية الكبيرة وان الصراع اذا كان هناك صراع

---

١ — اندرو مونتانيللي Indro Montanelli — الناشر — ايطاليا في عهد جوليتي — ريتسولي ميلانو ١٩٧٤ .

سيكون قصيرا جدا . وقد ذهب جوليتي الى ابعد من ذلك عندما اعلم الملك ان تركيا ربما تستلم وتحتل ليبيا بدون حرب . وعندما لفت نظــر دي سان جوليانو وزير الخارجية الى احتمال قيام مقاومة عربية اجاب بكل ثقة بـــان العرب سيقفون الى جانب القوي . ولكن معركـــة الشاطىء قلبت جميـــع مخططات ايطاليا رأسا على عقب وفاجأت الحكومة والشعب الايطالي بما لم يكن يتوقعه ابدا . فلم تجد ايطاليا في مواجهتها الحامية التركية الضعيفة الضئيلة وانما وجدت شعبا محاربا مصمما على الذود عن ارضه وطــرد الغزاة من وطنه . وادركت ايطاليا اذ ذاك فقط ان مغامرتها ستكلفها جهودا كبيرة وتضحيات باهظة وخوض حرب لا يعرف مداها ولا حدودها . وقــد اثارت المقاومة العربية الليبية حماس واعجاب الشعوب الاسلامية والعربية وبعثت فيها روح الامل والثقة .

وتحدث العالم وصحافته بدهشة واعجاب عن بطولة الشعب العربي الليبي واعترف العدو قبل الصديق بذلك . فعبر جوليتي عن استيائه الى وزيـــر حربيته مستغربا كيف ان خمسة او ستة الاف من العرب يهزمون اربعين الف جندي ايطالي . وكتب الجنرال كابيللو احد القادة الايطاليين بالجبهة الليبية فقال : « انه امر لا يصدق ويثير الاعجاب في نفس الوقت للشجاعة التي يبديها عشرون أو ثلاثون عربيا عندما يهجمون على الخنادق ويموتون وكثيرا ما يتركون احدهم بين الاسلاك الشائكة ومقصه بيـــده » . وقـــال الفيلد مرشال فون در قولتز المشرف على تدريب الجيش التركـــي : « ان الضمير العربي قد اكتسب سموا بمقاومته » ويقول مؤلف الكتاب الذي أورد الفقرات المذكورة التي استشهدت بها : « ان مقاومة عرب ليبيا كانت سببا رئيسيا في انتهاج الجنرال كانيفا للطريقة (تاكتيك) الانتظارية وعجزه عن حل الحرب الليبية بالقوة . ان هذه المقاومة هي العمل الجديد المربك الذي فاجأ الرأي العام الايطالي والحكومة والعسكريين ، وكيف كل عملية الغزو الليبية . ويمكن القول بان المشاكل المتعلقة بسير الحرب والصعوبات التي وجدتها ايطاليا في الميدان الديبلوماسي ، والحملة العنيفة التي قامت بهـــا

الصحافة الاجنبية ضد ايطاليا تعود في الجـزء الاكبر منهـا الى الموقف المعادي الذي اتخذه العرب ضد الجيش الايطالـي » .

وبعد أن اقتنعت اوروبا بعجز ايطاليا وبهزيمتها تجاه مقاومـة الشعب العربي الليبي الاسطورية استعانت ايطاليا بالدول الاوروبية للضغط علـى تركيا خارج ليبيا لانهاء الحرب معها . واضطرت تركيا تحت ضغط الحرب البلقانية واوضاعها المتردية ان ترضخ وتوقع على معاهدة صلح اوشي التي تخلت بموجبها عن ليبيا وعرب ليبيا . وظنت ايطاليا انه باستسلام تركيـا وانسحاب بقية قواتها سوف تنتهي الحرب ويستتب لها الامر في ليبيا ولكنها لم تتخيل ابدا ان انسحاب الاتراك سوف يزيد من اصرار الشعب العربي الليبي ومن مقاومته وانه حتى بعد ان سدت في وجهه جميع سبل المساعدة الخارجية سيستمر في مقاومة ايطاليا بكل جبروتها وغرورهـا وجنودهـا المرتزقة من شرق افريقيا ما يزيد على العشرين عامـا .

ومن البديهي ان المؤلف قد استعان اساسا بالمصادر الايطالية وبالرغم من جهوده في ابراز الحقائق ومختلف التناقضات ووجهات النظر ، فانه يضطر احيانا الى الاكتفاء بوجهة النظر الايطالية الرسمية التي ثبت انها كانت تخفي الحقائق ولا تظهر الا ما كان في صالحها وخاصة فيما يتعلق بسيـر العمليات الحربية ، حيث كانت تهول في عدد خسائـر العرب وتقلل مـن خسائرها . وقد ذكرت المصادر الايطالية الرسمية –على سبيل المثال– ان خسائر ايطاليا في العام الاول من الحرب قد بلغت ٧٦٥١ جنديا وضابطا ما بين جريح وقتيل وموتى بسبب المرض ، هذا في حين ان الكاتبـة الروسيـة ياخيموفتش قد ذكرت – استنادا على المصادر الروسية في ذلك الوقت – أن خسائر ايطاليا في العام الاول من الحرب لا تقل عن سبعين الف رجل ما بين قتيل وجريح وموتى في المستشفيـات . (٢)

وقد التزمت قدر جهدي ان تكون الترجمة العربية مطابقة للنص الايطالي دون أن ابتعد عنه باي شكل من الاشكال . وقد كتبت بالاحرف اللاتينية ارقام

– ٥ – ز.ب. ياخيموفيتش « الحرب التركية – الايطالية » الترجمة العربية – منشورات الجامعة الليبية بيـروت ١٩٧٠ .

ورموز الملفات الموجودة في المحفوظات السرية الايطاليــة وغيرهــا من محفوظات الدول الاخرى التي أوردها المؤلف لكي يسهل على الباحث العثور على المصدر الذي يريد الرجوع اليه . وبالنظر الى أن المؤلف لم يجمع المصادر التي استعان بها في جدول واحد فقد ارتأيت تسهيلا على القارىء جمع هذه المصادر في جدول بآخر الكتــاب .

واخيرا ارجو أن اكون قد اسهمت بهذا الجهد المتواضع في اضافة كتاب جديد الى المكتبة العربية عن تاريخنا المجيد وصراع الشعب العربي الليبي العظيــم .

وهــبي احمــد البــوري

مقدمة المؤلف

ان فن كتابة التاريخ الايطالي فيما بعد الحرب العالمية الثانية الذي ساهم مساهمة فعالة في اعادة بناء الكثير من المظاهر الاساسية لحياة شعبنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية من وقت الوحدة الى الحرب العالمية الثانية يبدو انه اهمل حتى الان فترة من اهم فترات التاريخ الايطالية في اوائل التسعمائة اي فترة الحرب الايطالية التركية . ان عامي ١٩١٢ ــ ١٩١١ يكونان فترة تستطيع ان تبوح باشياء كثيرة لمن يعرف كيف ان ينظر فيما وراء حدث الغزو الليبي في حد ذاته ويحاول ان يحلل الاحداث والوقائع والحالات النفسية للنخبة وللجماهير ، ولمن تتجه انظاره الى الفترة اللاحقة للغزوة الليبية والى السنوات الاولى من الحرب العالمية والسنوات التي تلت الحرب مباشرة . وقد لاحظ برونيللو فيجينتسي على سبيل المثال ان مؤرخي الحياد والتدخل (بالنسبة للحرب العالمية الاولى) كانوا ميالين الى الاخذ بحركات عام ١٩١٤ كما لو كان هناك فراغ بالنسبة للفترة السابقة . هذا في حين يجب العودة الى سنوات ١٩١٤ ــ ١٩١١ التي « ما بين حق الانتخابات العام واحتكار

التامينات وحرب ليبيا » رات « النظام الجوليتي يدخل في ازمته » (١) انها السنوات التي تبدأ فيها - في مظاهره الواضحة - غروب « ايطاليا جوليتي وتوراتي » كما كانوا يسمونها القوميون الايطاليون . فالحرب الايطالية التركية - مع ما احدثته في الميدان السياسي والعسكري والدبلوماسي والاقتصادي والاجتماعي - تمثل عقدة وفترة لا يستهان بها لا عند تقييم النظام الجوليتي فحسب بل وعند تقييم الاشتراك الايطالي في الحرب العالمية الاولى بكل نتائجه .

فالجيش والاطارات العسكرية التي اضطرت عام ١٩١٥ الى مواجهة مجهود الصراع العالمي لم يكن هم نفس الرجال الذين استنزفتهم حرب العصابات المضنية والتي لا نهاية لها ما بين كثبان رمال طرابلس وبنغازي ودرنة (٢) وقد اظهر هؤلاء الرجال وخاصة كوادر الضباط - حدود احتمالهم وعملت الحرب الكبرى على فضح ذلك بصورة ماسوية ؟

---

(١) برونيلو فيجيتسي B. Vigezzi « من جوليتي الى سالاندرا » فيرنسه ١٩٦٩ ص ٦٢ - ١٦ . « ببعد الحرب الاوروبية وبعد الفاشستية - كتب فيجيتسي - فان احداث ايطاليا وقت المشية » (مشية دخول الحرب العالمية الاولى) تبدو ضئيلة بالمقارنة . وهذا مفهوم . ومع هذا فالايطالي الذي عاش ما بين عام ١٩١١ و ١٩١٤ قد احس جيدا بان الارض تهرب من تحت اقدامه . انها الحرب . حرب ليبيا بعد زمن طويل من السلام بعد عهد جوليتي الذي عود البلاد على السلام (ص ٦٢) .

(٢) ان الحرب الليبية بالاضافة الى انها اربكت مشروع تجديد الجيش قد تسببت في « انخفاض قوته وتجهيزاته » (راجع جورجو روشات) « الجيش الايطالي في صيف ١٩١٤ » منشور في « نوفا ريفيستا ستوريكا » مايو - اغسطس ١٩٦١ ص ١٦ - ٣١٠) ولاحظ الجنرال بروزاتي ياور الملك الخاص اذ كتب في ذيل تقرير بعث به اليه وزير الحربية سبنغاردي يوم ٤ اكتوبر ١٩١٣ حول حالة الجيش لاحظ ما يلي : « ان حالة الجيش داخل الوطن كانت ولا تزال حقا تعسة لاسباب عدة لا تستطيع اية قوة انسانية ان تتغلب عليها . وان اطالة مدة الحرب بصورة خاصة تسببت في الضرر » . (A.C.S., A.B., x. 10, f. VI. 5. 37)

والطريقة التي اتبعها جوليتي في اعلان الحرب والبرلمان معطل افلم يتخذها سالاندرا مثلا وسابقة في مايو ١٩١٥ كي لا يعرض اعلان الحرب ضد النمسا ـ المجر على مجلس تطالب اغلبيته بالحياد ؟ (٤) وقرار التدخل نفسه الم يكن ثمرة اتفاق ضيق ما بين سالاندرا وسونينو على غرار ما حدث بالنسبة للحرب الليبية عند ما تم الاتفاق ما بين جوليتي ودي سان جوليانو مع ابعاد الوزراء الاخرين بما فيهم وزير الحربية ورئيس اركان حرب الجيش ؟

وفيما يتعلق بالاحزاب فاي الاثار احدثتها الحرب الليبية في القوتين اللتين كان عليهما احداث ثورة في الحياة السياسية والبرلمانية الايطالية فيما بعد الحرب الاولى وهما الاشتراكيون والكاثوليك ؟ فبالنسبة للاشتراكيين فقد تسببت الحرب الايطالية التركية في اول انقسام هام داخل الحزب وفتحت الباب لصعود موسوليني السياسي . اما بالنسبة للكاثوليك فكانت هذه المناسبة التي بدات فيها الحركة التي وصفها دي روزا باسم « الهروب الى الامام » للكاثوليك العاملين من اجل ازالة (...) ماضي معارضتهم للدولة الليبرالية » (٥) التي تحققت بصورة ملموسة

---

(٣) كتب مونتيكوني ان التجربة الليبية وعلاقتها بالسلوك في الحرب الكبرى شديدة الصلة والوضوح لدرجة ان الاشادة والاتهامات التي وجهت الى قيادات اعوام ١٩١٨ ـ ١٩١٥ كانوا يعودون بها الى سلوك هذه القيادات في عامي ١٩١٢ ـ ١٩١١ (كابيلو على سبيل المثال) « البرتو مونتيكوني علم التاريخ العسكري الايطالي ومشاكله » تقرير مقدم الى المؤتمر الوطني للتاريخ العسكري . روما ١٩ ـ ١٧ مارس ١٩٦٩ وزارة الدفاع (روما ١٩٦٩) صورة ص ١٢) .

(٤) راجع حاشية رقم ١٤٨ ص ٢٦٠ .

وواضحة في اتفاق جنتيلوني عام ١٩١٣ .

والقومية الايطالية التي كان لها الكثير من الوزن في ١٩١٥ عند ما ارادت فرض ارادة رجل الشارع على البرلمان ودفعه الى الحرب ، فانها نفس القومية التي نمت ونضجت وادركت قدرتها على استقطاب جزء من الراي العام المفكر وذلك في صيف عام ١٩١١ . فقد قامت في ذلك الصيف بمؤازرة الصحف الاخبارية الكبيرة بادارة حملة صحافية من اشد ما عرفه تاريخ ايطاليا الموحدة .

ولا نريد ان نتحدث عن تاثيرات الحرب الليبية على الحالة الاقتصادية وعلى التوازن الدولي وعلى الوضع القائم في البلقان الذي ظهر في عام ١٩١٤ على انه مستودع بارود اوروبا .

وقد حاولنا ان ناخذ في الحسبان مختلف مظاهر الحرب الايطالية ـ التركية من المظهر الديبلوماسي الى العسكري والاقتصادي مع الاشارة بصورة خاصة الى اتجاهات الراي العام ومختلف الطبقات الاجتماعية وبالطبع اتجاهات القوى السياسية والاقتصادية والثقافية في البلاد . واننا مقتنعون مثل شابود ان « الانغلاق داخل اماكن مجردة ومحكمة الاغلاق من الداخل ثم الزعم بجني مغزى وقيمة احداث ليست الا محاولة شبيهة بمن يريد ان يضيء المدن الحديثة ببعض مصابيح غاز البترول » (٦) ان الحديث عن العملية الليبية لا يعني الاقتصار على الميدان الاقتصادي او العسكري وهما المظهران اللذان تراهما العين لاول وهلة بوضوح بل يعني ايضا قطف اللحظة التي اخذ فيها مجتمع

---

(٥) غابريلي دي روزا « الكاثوليكيون » منشور في AA. VV. (كتاب مجلومون) « جروح التدخل » فيرنسه ١٩٦٨ ص ١٦٩ .

(٦) فدريكو شابود « تاريخ السياسة الخارجية الايطالية من عام ١٨٧٠ الى عام ١٨٩٦ . باري ١٩٦٥ مجلد ١ ص ١٠ .

سياسي ومدني مثل المجتمع الايطالي في العقد الاول من القرن اخذ يتحول ويغير اتجاهه تحت مؤثرات مستترة وغير ظاهرة للعين تقريبا ولكنها تجد الفرصة للظهور الى الضوء من اجل التاثير وفرض الاتجاهات والاختيارات . ان الحرب الليبية البسيطة في حد ذاتها التي كانت تبدو منذ عشرات السنين كامر منتهي طال الزمن ام قصر ، تركت اثارها العميقة على مختلف الميادين غير المتوقعة في الحياة الوطنية . لم تقتصر اثارها على السياسة والمالية والتجارة والجيش والعلاقات الديبلوماسية ، وانما اثرت ـ بصورة كبيرة أم صغيرة ـ في الادب نفسه وفي الفنون والمطبوعات واساوب الاستماع والحكم على بعض الامور وبعض مشاكل البلاد . انها السنوات التي اخذت تنطوي فيها صفحة عصر من تاريخنا السياسي والمدني واخذت تفتح صفحة جديدة ، انها السنوات التي شرع فيها مجتمع في ادارة ظهره لاسلوب حياة هادئة في جوهرها ونشطة حتى وان تخللتها ازمات وغليان لا مناص منه ، وقد اخذ هذا المجتمع يتجه نحو عهد تعس متشنج ومعذب تسببت الحرب الليبية ـ حسب نظرنا ـ في بوادره وفي مقدماته المنذرة لهذا المنعطف الحاسم لا في تاريخ بلادنا فحسب وانما في تاريخ اوروبا باكملها . ان الحرب الليبية ـ تحت مظاهر كثيرة ـ تمثل احد الاحداث التي تقرر التحول في الحياة السياسية والمدنية لشعب ما .

ووفقا لدرس لوسين فيفره ومارك بلوخ نعتقد انه توجد دوما في اعماق التاريخ « الحاجة في البحث وايجاد الرجل حيثما كان (او احيانا حيث يختفي) ، الرجل الحي ذو الاحساس ، الرجل المشحون بالعواطف والحماس والمزاج » (٧) ولهذا

---

(٧) لوسين فيفره ، لمحة من حياة مارك بلوخ في « مارك بلوخ » محاسن التاريخ او فن المؤرخ ، تورينو ١٩٦٩ ص ٦ .

السبب قد حاولنا بقدر الامكان ان لا نكتفي بالتحقيق في مواقف ومراكز الشخصيات الكبيرة في السياسة الداخلية والدولية التي لا يمكن اغفالها ، بل تعرضنا ايضا للاشخاص المجهولين والمغمورين من صانعي هذا الحدث امثال الجنود الملقي بهم فيما وراء البحار وذلك بكل اوهامهم وافكارهم ومشاكل صراعهم اليومي .

ولا ادعي في هذا البحث انني قد حويت وانهيت البحث في كل موضوع من هذه الدراسة ، فالعملية الليبية رغم وقوعها في فترة قصيرة من الزمن فهي تمثل تشعبات ومنعطفات كثيرة تتطلب دوما تساؤلات جديدة ومشاكل جديدة . وقد حاولنا بقدر الامكان الاستفادة من المصادر راسا دون اهمال الوثائق التاريخية الضرورية والمنشورات وصحافة الفترة التي نقوم بدراستها بالاضافة الى المساهمة التاريخية التي قد تلقي الضوء على مظاهر خاصة من دراستنا .

ولا يمكن انهاء هذه المقدمة دون التوجه بالشكر الى الاستاذ غبريلي دي روزا الذي كان الى جانبنا وشجعنا وتتبع هذا البحث . والاستاذ رنزو دي فيليتشي من اجل مقترحاته المفيدة والمنشطة ، والاستاذ ريناتو موري الذي سمح لنا بالاطلاع على بعض ملفات المحفوظات التاريخية بوزارة الخارجية ، والاستاذ ماريو قازريني من المحفوظات التاريخية لوزارة المستعمرات الملغاة ، والموظفون بمحفوظات الدولة المركزية بروما لمساعدتهم وارشاداتهم والى جميع الاصدقاء والزملاء الذين لم يبخلوا علينا بنصائحهم ومساعدتهم .

ف. م.

التوغل السلمي وبنك روما

ليبيا وسياسة ايطاليا الخارجية – التوغل السلمي – تيتوني وبنك روما – مبادرات بنك روما في ليبيا – المنافسة الالمانية – العداء التركي – حدود نشاط بنك روما – فشل التوغل السلمي .

عند ما تفجرت في عام ١٩١١ مسالة احتلال ايطاليا لاراضي طرابلس وبرقة بصورة متشنجة ومضطربة فقد كان ذلك نهاية لعمل طويل شاق قام به انصار التوسع الاستعماري الايطالي منذ عشرات السنين (١) .

---

(١) ان البحث من اسباب وخلفيات الحرب الليبية موضوع لا يمكن احتوائه في فصل واحد حتى ولو كانت هناك رغبة في مواجهته بدقة واهتمام . ونرى ان امرا كذلك يخرج من نطاق الغاية التي نقصدها من كتابنا هذا ، ولذلك نقتصر على تحليل سريع لسوابق الحرب الايطالية – التركية الديبلوماسية التي كانت بدون شك من اسباب ازمة العلاقات الايطالية التركية واندلاع القتال . وفيما يتعلق بالمسالة الليبية في سياسة ايطاليا الخارجية يمكن مراجعة المصادر التالية . انريكو سيرا Enrico Serra التفاهم حول البحر الابيض المتوسط ١٩٠٢ ، مرحلة حاسمة في العلاقات الايطالية – البريطانية ميلانو ١٩٥٧ ، روارد دي كارد Rouard de Card « اتفاقات سرية بين فرنسا وايطاليا بخصوص مراكش وليبيا » باريس ١٩٢١ ، اوغوسطو توري Augusto Torre « الاعداد الديبلوماسي للحملة الليبية » منشور بمجلة « راسينيا دي بوليتيكا انترنا سيونالي Rassegna di Politica Internazionale ديسمبر ١٩٣٦ ويناير ١٩٣٧ ، لويجي بتياني Luigi Petiani « المسالة الليبية في السياسة الاوروبية » فلورنس ١٩٣٩ ، رفائيلي تشاسكا Raffaele Ciasca

ويمكن التاكيد انه منذ عام ١٨٨١ اي في غداة احتلال فرنسا لتونس وجهت ايطاليا انظارها الى شواطئ ليبيا الواقعة على البحر الابيض المتوسط باعتبارها شبه « مكافاة تعويضية » عن ضياع تونس . وكانت سياسة كريسبي بالاضافة الى اسباب اخرى ذات صبغة دولية ، قد دفعت بايطاليا عام ١٨٨٥ وعام ١٨٨٦ في اتجاه افريقيا الشرقية والحبشة من خلال حملات مدمرة انتهت بهزيمة « دوقالي » . « وعدوه » ومع ذلك فقد ظلت طرابلس تشغل باستمرار افكار من بيدهم دفة سياسة ايطاليا الخارجية . فمنذ عام ١٨٨٧ بمناسبة تجديد الحلف الثلاثي تم اتفاق منفصل بين المانيا وايطاليا قدم ضمانات فيما يتعلق باهتمام ايطاليا بطرابلس وهي الضمانات التي تاكدت بصورة صريحة بمناسبة تجديد الحلف في عامي ١٨٩١ و ١٩٠٢ . وعندما قامت ايطاليا وفرنسا في بداية القرن الجديد بسياسة تقارب فيما بينهما بعد الازمات التي عرفتها العلاقات بين البلدين في عهد حكومات كريسبي فقد كانت طرابلس النقطة الرئيسية في مدة تفاهمات وخاصة في الرسائل المتبادلة في ١٤ – ١٦ ديسمبر ١٩٠٠ والتي تعهدت فرنسا بموجبها باطلاق يد ايطاليا في طرابلس وبرقة مقابل سكوت ايطاليا تجاه حدوث تعديلات محتملة في الاوضاع السياسية في مراكش . وتأكد هذا التفاهم فيما بعد في اتفاقيات برينيتي – باريير Prinetti-Barriere لعام ١٩٠٢ وابرمت اتفاقيات مماثلة في

---

* التاريخ الاستعماري الايطالي المعاصر » ميلانو ١٩٤٠ ، جواكينو فولبي Gioacchino Volpe « ايطاليا في الحلف الثلاثي » (١٨٨٢ – ١٩١٥) ميلانو ، اليساندرو ليسونا Alessandro Lessona افريقيا الشمالية في سياسة البحر الابيض المتوسط » روما ١٩٦٢ ، انريكو سيرا « كاميل باريو والتفاهم الايطالي الفرنسي » ميلانو ١٩٥٠ ، كارلو زاغي Carlozaghi « باسكوالي ستانزلا ومانشيني وافريقيا ومسالة البحر الابيض المتوسط » روما ١٩٥١ ، تيتو مانليوتاراسكي Tito Manlio Taraschi « ليبيا الايطالية في الاعداد الدبلوماسي ولي الاحتلال » نابولي (بدون تاريخ) ، جاكوموبرتيكوني Giacomo Bertecconi السياسة الخارجية الايطالية من عام ١٨٦١ الى عام ١٩١٥ تورينو ١٩٦٧ .

نفس عـام ١٩٠٢ ما بين ايطاليا وانكلتـرا تتعلق بسياسة بريطانيا في مصر من جهـة وتـوسع ايطاليـا في ليبيـا من جهـة اخـرى . وقـد استطاعـت ايطاليا بسيـاسـة « رقصات الفالـز » هذه ان تتحصـل عام ١٩٠٩ على رضاء روسيا ايضـا وذلك بموجب اتفاقيـات راكـونيجي المبـرمة في اكتـوبـر ١٩٠٩ .

وفي الخـلاصة فان النشاط الديبلومـاسي الايطالي ازداد مع مطلع القـرن الجديـد في محاولـة لـوضع الاسس من اجـل تحقيق احتـلال ليبيـا بصورة ملموسـة . واذا كانت هذه هي الخطوط العريضـة لاهم مـراحل السيـاسـة الخارجيـة الايطاليـة في اتجـاه الاستيلاء على طـرابلس المقبـل فان هنـاك ايضا مبادرات اخـرى لا تقـل اهميـة او وزنـا وحتى وان كانت تخـرج عن نطاق الميدان الديبلومـاسي البحت الا انها كانت حاسمة في تنشيط عمليـة تحقيق الاحتـلال الايطالي في خـريف عـام ١٩١١ . ونحـن نقصد بصورة رئيسية ما كان يسمى « بالتوغـل السلمـي » والذي كان بنـك رومـا منفـذه الاكبـر في السنـوات الاولى من القـرن الجـديـد .

وكانت عبارة التوغل السـلمي معروفة في السنوات التي سبقت الحملة الليبيـة وكانت تعبـر عن مجهـود الحكومة لخلـق شبكـة من المبادرات في طـرابلس وبرقـة من اجـل تسهيـل ابتـلاع الولايـة التدريجي الصامت ثم ضمها بعـد ذلك بهـدوء دون اطـلاق رصـاصة واحـدة (٢) وقـد كـان مـن الضروري في هـذا الصدد قيـام منظمـة مـاليـة ضخمة تتولى شرف واعباء تطوير سـلسـلة من الصفقات في تلك البلاد من شـانهـا أن تؤمـن لايطاليا الافضليـة في الميـدان التجـاري والاقتصادي كمقدمـة ضرورية لضم البـلاد مستقبـلا .

وقد وقـع الاختيـار عـام ١٩٠٥ علـى بنـك رومـا المـؤسسة المـاليـة

---

(٢) جـوسبي بفيـوني Giuseppe Bevione « كيف ذهبنا الى طرابلس » تورينو ١٩١٢ ص ١٢٢ .

المعروفة والمرتبطة بالاوساط الكاثوليكية . وقد نشأ هذا البنك في ٩ مارس ١٨٨٠ بناء على مبادرة بعض البارزين من بين النبلاء الرومانيين الكاثوليك ومن ضمنهم فرنشسكو بورقيزي Francesco Borghese وسيجزموندو جوستنياني باندينى Sigismondo Giustiniani Bandini وجوليو ميريقي Giulio Mereghi وبيترو بريللي Pietro Pirelli الذي كان اول رئيس للبنك وكاميللو روسبيليوزي Camillo Rospigliosi, وادواردو سوديريني Eduardo Soderini .

ونشأ البنك كمؤسسة مالية ذات صبغة محلية غير أنه اخذ يكتسب تدريجيا قوة واتساعا ، فاهتم في العشرين سنة الاولى من حياته بتمويل قطاع الخدمات العامة الرومانية مثل المياه والغاز وشركة المطاحن والنقل المشترك الكهربائي (ترمواي) في المدن والحافلات (اومنيبوس) . وقد كانت هذه الخدمات تعتبر في نهاية القرن من بين الاستثمارات الاكثر ربحا بالرغم من انها كانت لا تتطلب سوى حركة راسمال محدودة . وقد استطاع بنك روما بعد مارس ١٩٠٠ أن يبتلع البنك الكاثوليكي الروماني الفني - العمالي وأن يوسع دائرة اعماله بصورة ملحوظة داخل ايطاليا اولا وخارجها فيما بعد . (٣) وكان ارنستو باتشيللي Ernesto Pacelli يتولى رئاسة البنك عام ١٩٠٥ وهو من النبلاء الرومانيين الكاثوليك . وكان توماسو تيتوني Tommaso Tittoni وزيرا

---

(٣) فيما يتعلق بمولد ونشاطات بنك روما راجع « بنك روما » بحث تاريخي وضعه لـ. سبلندوري L. Splendore روما ١٩١٣ ، فرنشسكو بونكومباني لودوفيزي F. Boncompagni Ludovisi « بنك روما » منشور في Italia Divittorio Emanuele III اعتنى بوضعه توما زوسيللاني Tommaso Sillani روما ١٩٢٥ ص ٢٧٠ وما يليها .Scaledro شيليدرو « الخمسة وسبعون عاما لبنك روما » منشور في Strenna dei Romanisti روما ١٩٥٥ ص ١٠٢ - ٩٨ ، البرتو كاراتشولو Alberto Caracciolo - « روما عاصمة » روما ١٩٥٦ ، البساندرو « بنك روما وحرب ليبيا » منشور في مجلة « التاريخ والسياسة » يوليه - سبتمبر ١٩٦٨ ص ٥٠٠ - ٤٩٥ وبخصوص علاقات بنك روما بالحزب الشعبي والنظام الفاشستي راجع غابريلي دي روزا Gabriele De Rosa « المحافظون الوطنيون » بريشا ١٩٦٢ ص ٣٦ - ١٠٢ .

للخارجيـة وهو الرجـل الذي ساعـد قبل عـام واحـد على تحطيـم جـزئي لمبـدأ No expedit الذي حظرت بموجبه الكنيسة على الكاثوليك المشاركة في الحياة السياسـية للدولة ونتج عن ذلك ان اشترك قسم من الكاثوليـك في حيـاة البـلاد السياسية بعـد عشرات السنين من الصراع ضد المؤسسات الليبراليـة . (٤) ومن المحتمـل ان تيتوني باختياره لبنـك روما (الذي كان رئيسه رومولو تيتوني شقيق وزيـر الخارجيـة) كممثل للمصالح الايطاليـة في طرابلس كان متأثـرا باعتبارات ذات صبغة سياسيـة حتى وان كان الامـر بالنسبة للبنـك لا يعـد صفقـة ضخمـة سهلة وسريعة . وكما لاحـظ فيما بعـد كورادو زولي المحـرر في صحيفة « سيكولـو » التـي يصدرهـا تيودورو مونيتا Teodoro Monita وهو بكـل تأكيـد غير مهتـم بتشيعـه للكنيسة اذ لاحظ ان في الامـر « انفـاق امـوال كثيـرة واستعمـالها دون ضمانات كـافية » وان اصحاب البنوك الذين بحـث اصواتهـم بعـد ست سنوات بنشيـد طـرابلس بالاشتراك مع الجوقـة الوطنية فان وطنيتهم لـم تـدفعهم في ذلك الـوقت الى المخاطـرة برؤوس امـوالهم (٥) ولاحظ دي سان جـوليانـو نفسه Di San Giuliano « احقاقا للحـق » في اول ابـريـل ١٩١١ في برقيـة الى مايوردي بلانشز Mayor De Planches سفير ايطاليا اذ ذاك في اسطمبول ان « جميع عملنا في تلك البلاد (طرابلس وبرقـة) يجب بالضرورة ان يتركـز في المـؤسسة المذكـورة (بنـك رومـا) حيث اننا لم نتحصل من ايـة جهة اخـرى (لا مؤسسات ولا افراد) على ادنـى موافقـة » . (٦)

---

(٤) راجـع غابريلي دي روزا « تاريـخ الحركـة الكاثوليكية بايطاليـا ، المجلـد الاول » « منـذ عـودة الملكيـة بعـد نابليـون الى عهـد جـوليتي » باري ١٩٦٦ ص ٤٢٨ ومـا يتبعهـا .

(٥) كورادوزولي Corrado Zoli « بمناسبة مناقشة المسـألـة الليبيـة تصحيـح خطـأ » نشـر في صحيفـة « سيكولـو » بتاريخ ٩ مـارس ١٩١٤ .

(٦) للـوثيقـة موجودة بمقال رينـاتـو موري Renato Mori « التغلغـل السلمـي الايطالي في ليبيـا من عـام ١٩٠٧ الى عـام ١٩١١ وبنك رومـا » نشـر في مجلـة « الـدراسـات السيـاسيـة الـدوليـة » يناير ــ مـارس ١٩٥٧ ص ١١٤ .

ولا ثمة شك في ان ضغط الحكومة هو الذي دفع ببنك روما الى القيام بنشاطه في ليبيا وهو افتراض تؤكده مطالبة البنك في العاشر من سبتمبر ١٩١٥ عن طريق القضاء عن وزارات الخارجية والمستعمرات والخزانة بدفع تعويض عن الاضرار التي لحقت بالبنك خلال الحرب في ليبيا .

« ان الحكومة الايطالية كانت تصرح رسميا منذ عام ١٩٠٥ — تؤكد الوثيقة المذكورة — بنية ايطاليا في الاستيلاء اقتصاديا على ليبيا وحيث انها لا ترغب ولا يجب احتلالها عسكريا في الوقت الحاضر فكان من اللازم القيام « بسياسة توغل » بوسائل اقتصادية وبمبادرات قوية (٧) .

وقد قبل بنك روما « الدعوى ورضخ لالحاح الحكومة » وقد حقق جميع نشاطاته في ليبيا « بتفاهم متواصل مع الوزراء المختصين » دائما تحت الحاح الحكومة وبدعوة منها انشاء البنك مركزا له في اسطمبول « وقام بتنظيم ومواجهة جميع نفقات بعثة سفورزا » . (٨)

وقد شرع البنك رسميا في نشاطه في ليبيا يوم ١٥ ابريل ١٩٠٧ وذلك

---

(٧) قدم المحامي فيليبو بيديكوني F. Pedicone هذه الدعوى الى محكمة روما وهي موجودة في A. Mal, pos. 178/1 F. 7 بنك روما المطالبة التقاضية والمصالحة مع الحكومة » (اشكر الاستاذ فرنشسكو مارقوتا بروليو Francesco Margiotta Broglio الذي ارشدني الى هذه المخطوطات) وقد اخذت الجمعية العامة للمساهمين لبنك روما علما بذلك وتبنت رغبة المجلس في « مطالبة الحكومة بتعويض الخسائر والنفقات الناتجة عن نشاط البنك في الشرق وفي ليبيا » راجع اليساندرو داليساندرو Alessandro d'Alessandro المصدر المذكور ص ٤٩٥ حاشية رقم ٨ — بخصوص هذا الخلاف راجع الصفحات من ٣٦٥ الى ٣٧١ من هذا الكتاب .

* وزير خارجية ايطاليا وقت غزو ليبيا (المعرب) .

(٨) A. Mal, المذكور . اجتمعت بعثة المعادن التي كان يترأسها الكونت اسكانيو سفورزا Ascanio Sforza بطرابلس ببعثة انياسيو سان فيليبو Ignazio San Filippo الذي كان يقوم منذ زمن بابحاث في تلك المناطق وقد سافرت البعثتان من طرابلس يوم ٨ ابريل ١٩١١ وتوغلتا في الداخل وتعذرت عليهما العودة بعد اندلاع القتال وسقط اعضاؤهما اسرى بيد الاتراك . وكان سفورزا مديرا للمنشآت الكهربائية والميكانيكية بمشروع مياه اقليم « بوليه » Puglie راجع اسكانيو سفورزا « اسر ورحلات في ليبيا » ميلانو ١٩١٢ .

بتاسيس فرع له في طرابلس وذلك في نفس العام الذي بلغت فيه ازمة فائض الانتاج درجة اثرت في الاقتصاد الايطالي (وبصورة خاصة في قطاعي المعادن والقطنيات) (٩) . وتاسست فيما بعد وكالات تجارية للبنك في بنغازي وزوارة والخمس وسرت ومصراتة وزليطن ودرنة وطبرق والسلوم وفي المدن الاخرى في الدواخل ووجه البنك ايضا نشاطه الى الميدان الصناعي والزراعي : فانشا في شهر ديسمبر من عام ١٩٠٧ مؤسسة الزيوت الايطالية بطرابلس واقامت لها منشآت في كل من الخمس ومصراتة وزليطن وفي شهر مارس ١٩١٠ افتتح بطرابلس مصنع كبير لعصر الزيتون بواسطة سلفور الكربون ، ودشن يوم ١٦ اغسطس ١٩١٠ بطرابلس ايضا مطحن كبير اسطواني (١٠) . اوجد البنك ايضا منشاة زراعية في بنغازي تتضمن الاف الهكتارات وخمسة عشر الفا راس من الماشية وكانت تسير بطريقة المشاركة مع بعض قبائل برقة . ومن نشاطات البنك الاقل اهمية تذكر التسليف مقابل الرهن بطرابلس (١١) . ومصنعا للثلج وتصنيع الاسفنج وريش النعام وانشاء مطبعة وغير ذلك من النشاطات واخيرا لا بد من ذكر خط الملاحة الذي كان يصل الى الاسكندرية والخط الساحلي وكلاهما تساعدهما الحكومة بما قيمته ٢٠٠ الف

---

(٩) راجع اليساندرو المصدر المذكور ص ٤٩٤ .

(١٠) راجع ريناتو موري المصدر المذكور ص ١١٠ .

(١١) انتقد بفيوني الاساليب التي يستخدمها البنك في عملية الرهونات واكد ان البنك لا يقبل الا الرهنيات التي تتجاوز قيمتها خمسة فرنكات بحيث ان الفقراء كانوا مضطرين الى اللجوء الى المرابين الذين كانوا يتقاضون فائدة تبلغ المائة والمائتين في المائة (البنك يتقاضى فائدة قدرها ٩ ٪) وكان المرابي يستخدم البنك في اعادة رهن ما اودع لديه للحصول على السيولة اللازمة للاستمرار في عملياته . « فبمثل هذا الاسلوب – كتب بفيوني – لم يقض على الرباء في الحالات القصة بل ان رؤوس اموال البنك اخذت تغذي عمليات الرباء هذه واصبح البنك بذلك ممولا للمرابي القذر . ان الاستغلال خطير ويومي ويجب ان يزول في اسرع وقت من اجل سمعة البنك » جوسيبي بفيولي G. Bevione المصدر المذكور ص ٢٨ – ١٢٧ .

ليرة في العام (١٢) . وكان من اهداف البنك الرئيسية البحث واستغلال الموارد المعدنية في البلاد وخاصة الفوسفات والكبريت . وفي هذا الصدد اسندت الى المهندس اسكانيو سفورزا رئاسة بعثة للمعادن في عملية للبحث عنها في دواخل البلاد ، وهي البعثة التي واجهتها مضايقات مطلقة من قبل السلطات التركية . (١٣) وعلى كل فقد جرت المحاولة من اجل خلق شبكة كثيفة من النشاطات كان اغلبها غير اقتصادي ولكنها ترمي الى اشعار الناس بالوجود الايطالي الدائم والمتزايد نشاطه في تلك البلاد التي وجهت اليها ايطاليا انظارها منذ زمن .

وقد كان التشدد التركي في منح الرخص ومنافسة مجموعات اجنبية قوية من اسباب عرقلة نشاط بنك روما بصورة ملحوظة وخاصة في ميدان المعادن وقد اضطر ازاء ذلك الكواليير انريكو بريشاني Enrico Bresciani الذي اسندت اليه ادارة البنك في ليبيا الى انشاء مؤسسة ايطالية فرنسية مصرية انضمت اليها ايضا شركة طرابلسية كان يتراسها السيد مصطفى بن ذكري وذلك كمحاولة للتستر على الوجود الايطالي . وتلى تاسيس هذه المؤسسة قيام واحدة اخرى رباعية بقصد البحث عن المعادن في طرابلس وبصورة خاصة عن معدن الفوسفات وكذلك انشاء السكك الحديدية واحتمال بناء الموانيء اللازمة للنشاط المعدني . (١٤) بيد ان وجود الايطاليين في المؤسسة كان سببا فيمعارضة الحكومة التركية لها بكل قوة . وقد بلغ الامر بالاتراك الى درجة عزل والى طرابلس لسلوكه الضعيف جدا » تجاه الايطاليين وارسال خلف له اللواء ابراهيم باشا ومهمته كما كتب بريشاني في مذكرة ــ هي « اخماد حماسنا والغاء

---

(١٢) ان الحكومة الايطالية نفسها قد دعمت الشركة الوطنية للخدمات البحرية الى انشاء خطين بحريين يمران بطرابلس وبرقة وهما : خط جنوا ــ سيراكوزا ــ مالطا ــ طرابلس ــ كاليري ــ جنوا . وخط بالرمو ــ طرابلس ــ بنغازي ــ خانية ــ اسطمبول . (المذكور ص ٢٩ ــ ١٢٤) .

(١٣) المذكور ١٥٥ راجع حاشية رقم ٨ .

(١٤) راجع ريناتوموري المصدر المذكور ص ١١٢ .

الاتفاقيات المعقودة مع الوطنيين » . (١٥) وتلت ذلك حملة عنيفة ضد ايطاليا قادتها الصحيفة الطرابلسية « المرصاد » بينما كانت من جهة اخرى جماعات فرنسية والمانية وامريكية تسعى للحصول على امتيازات للتنقيب عن المعادن في ليبيا . وقد استاء دي سان جوليانو استياء شديدا تجاه قلة الوفاء خاصة من قبل الحلفاء الالمان الذين كانوا على ما يبدو يستغلون اوضاع المبادرات الايطالية الصعبة في ليبيا للدخول في منافسة معها بمساعدة السلطات التركية . وفي رسالة من دي سان جوليانو الى السفير الايطالي دبي بلانشي De Planches هكذا علق على سلوك الحليفة :

« ان المانيا – مثل النمسا – هنغاريا عليها واجب ادبي بان تبذل كل وسيلة ممكنة حتى لا ينافسنا مواطنوها في منطقة ليس لها فيها مصلحة ملحوظة . وهذا الواجب لا ينتج عن علاقات التحالف التي تربطنا بها ولكن ناتج ايضا عن النصائح التي ما برحت المانيا توجهها لنا في كل مناسبة كي نكون حذرين وصابرين بالنسبة لطرابلس وبرقة . غير ان الحذر والصبر قد يصبحا مستحيلين من قبلنا اذا ما راينا ان وضعنا الذي اكتسبناه في افريقيا العثمانية قد غدى مهددا .

ان مهمة سعادتكم يجب ان تكون (. . .) بذل نفوذكم بصورة غير مباشرة لدى زملائكم وخاصة لدى السفير الالماني بحيث يدرك الضرورة بان من مصلحة المحافظة على كيان ولايات الامبراطورية الافريقية ان لاتقام في وجهنا منافسة هناك . (١٦) »

---

(١٥) المذكور . صرح ابراهيم باشا بعد تعيينه بصراحة في مجلس الادارة انه سوف يعارض بانتظام وبصورة لا رجوع فيها جميع النشاطات الايطالية ولشعر المجلس مراجعة ان تلك هي تعليمات حكومته . راجع برقية دي سان جوليانو الى تيتوني وامبريالي في ٢٩ سبتمبر ١٩١١ الموجودة في A.S. MAE, SEG. Gen. Nº 42 pos. 17, f, 641 ورنيا يتعلق بسعي الحكومة الايطالية لعزل ابراهيم باشا وتغييره راجع ايضا ص ١٨٨ وما يليها .

(١٦) الوثيقة بتاريخ اول ابريل ١٩١١ موجودة في كتاب رنيا توسوري المذكور ص ١٤٤ – ١١٣ .

ولكن الالمان لم يمحوا من نشاطهم الاقتصادي بل انه في شهر يونيو ١٩١١ قد اشيع انهم سوف يقيمون مزرعة نموذجية في طرابلس ومصنعا لعصر الزيت قد ينافس المعصرة التي يديرها بنك روما وكذلك انشاء خط ملاحة تديره وكالة الملاحة الالمانية « دوتش ليفانت ليني » وذلك في الوقت الذي كانت قد بدات فيه الحملة القومية لصالح احتلال ليبيا . وسارع بنك روما لتلافي الامر بفتح وكالة له باسطمبول ولكن لم يفلح في التخفيف من حدة عداء السلطات التركية .(١٧)

وقد اشيع في نفس الوقت ان الحكومة التركية قد تحاول الحيلولة دون حصول شركات ايطالية على الحصول على اعمال انشاء ميناء

---

(١٧) المذكور ص ١١٤ . كانت الحكومة الايطالية تنصح بانشاء وكالة مصرفية باسطمبول خلق وجود اقتصادي ايطالي بسوق تركيا الغني . وقد طلب من بنك ايطاليا القيام بهذه المبادرة غير انه تردد . وقد نظر لوتسالي الى المبادرة باهتمام خاص لانها كما لاحظ مولبي « تضع مسالة طرابلس في اطار اوسع وهو التغلغل في جميع انحاء الامبراطورية التركية وفي جميع بلاد الشرق التي كانت موضع تنافس متزايد بين الدول في تلك السنوات . بل من المحتمل جدا انه كان لا ينظر الى طرابلس الفقيرة جدا بل الى الشرق واسيا الصغرى ، كان ينظر الى طرابلس كمرحلة او موطىء قدم للاندفاع اكثر الى الامام » (جواكينو مولبي ، « عملية طرابلس » روما ١٩٤٦ ص ٢٠) .

اما بنك روما فان الجمعية العامة للمساهمين قد تبلت بحماس في جلسة يوم ٣١ مارس ١٩١١ فكرة فتح فرع للبنك في تركيا . وقد جاء في تقرير المساهمين : « نود ان نشعركم بسرورنا في توسيع نشاط مصرفكم في الشرق بفضل تاسيس مركزين واحد في اسطمبول والاخر في القدس . وبدا لنا ان فرعنا لمصرفكم في اسطمبول يكتسب اهمية وضرورة الان حيث ان مصالح ملحوظة ناتجة من مختلف اعمالنا في طرابلس وبرقة تفرض ايجاد حماية فعالة للسير نحو نتائج مجزية وهو ما يجب ان يكون مكافاة مناسبة لمعهدكم لعنايته الجمة وعمله المتواصل ومبادراته الشجاعة التي يمارسها منذ سنوات بثقة وصبر واضعا نصب اعينه ان جنوا والبندقية كانتا اسواق الشرق باكمله ، (...) فنحن نؤمل ان وجود معهدكم على ضفاف البوسفور سيزيل الشكوك وسوء التفاهم والريبة في طرابلس التي لا يجب ان تكون لانها تتضارب مع مصالح البلدين . » (بنك روما الجمعية العامة العادية بتاريخ ٣١ مارس سنة ١٩١١ . تقرير مجلس الادارة روما ١٩١١ ص ١٠) .

طرابلس ولكن على الرغم من ضجة الصحافة الايطالية ومذكرات الاحتجاج التي ارسلتها وزارة الخارجية الايطالية الى حكومة اسطمبول والى الحكومات الاوروبية ، فان ايطاليا لم تكن تملك الوسائل لتجنب مقاطعة الاتراك لنشاطاتها الاقتصادية والتجارية في ليبيا . وفي ١٤ اغسطس بعث جاكمودى مارتينو القائم بالاعمال الايطالي باسطمبول برسالة الى وزير الخارجية حلل فيها الوضع بصورة واقعية ملاحظا عدم وجود « وسائل قانونية » تستند الى القانون الدولي لمنع المعاكسات التركية هذه وعلى كل فلا يوجد اي اساس قانوني لذلك ولا يمكن مواجهة الاتراك بحجة انه ما دامت لايطاليا مطامع في طرابلس وبرقة فيجب ان تحقق تغلغلها السلمي في الميدان الاقتصادي والصناعي والتجاري بحيث تتمكن من الاستحواذ التدريجي الهادىء على « تلك الولايات » ولاحظ دى مارتينو في هذا الصدد :

١ ـ « ان تلك النشاطات الصناعية والنشاطات الاخرى المماثلة التي بدون شك تساعدها السلطات المحلية فهي تكون ضررا واضحا على وضعنا السياسي والاقتصادي في طرابلس وقد تخلق مع مرور الزمن حالة معاكسة لطامحنا في المستقبل .

٢ ـ اننا لا نملك اية وسيلة لمنع الرعايا الاجانب من عقد صفقات في طرابلس .

٣ ـ اننا لا نملك اية وسيلة لمنع الاتراك من مساعدة المبادرات الاجنبية الضارة بالنشاط الايطالي . فالحكومة تمارس بهذه الطريقة واجبها المقدس في مقاومة التغلغل الايطالي الذي لا تخشى سواه .

٤ ـ كلما تاخر الحل المنطقي الوحيد للمشكلة الطرابلسية كلما ازدادت صعوبة حلها . (١٨)

وكان دي مارتينو المعروف بمناصرته الشديدة للحملة الطرابلسية يرمي

---

(١٨) الوثيقة موجودة في كتاب رنالو موري المذكور ص ١١٦ .

بالطبع من وراء النقطة الاخيرة من تقريره الى تاييد موقفه وابراز الوضع الخطير الذي تتخبط فيه الحكومة بالنسبة للمسالة الطرابلسية فهو في الخلاصة لا يرى خيارا بعد : الحل الوحيد ، وهو تحطيم التردد والانتقال بصورة حاسمة الى العمل اي الغزو .

وكانت هذه في الواقع فكرة جميع اولئك الذين كانوا يأملون من الحكومة ان تقوم بعمل اكثر حزما بالنسبة لطرابلس . وكان يرى هؤلاء ان رجال الحكومة الايطالية قد ابتكروا « المعادلة الماكرة » الخاصة بالتغلغل السلمي لاخفاء « عدم الاستعداد والعجز ونفورهم من حل هذه المشكلة الاساسية في حياة الامة بصورة باتة وترك حلها لمن سيخلفهم » وكان من اللازم ان تحل ارادة الاحتلال محل « ارادة التغلغل » (١٩)

ولنرى باي شكل تم ذلك العداء التركي ضد النشاطات الايطالية وضد ايطاليا مما اثار الكثير من الضجة على الصحافة وفي الدوائر السياسية والاوساط الديبلوماسية في الفترة ما بين عامي ١٩١٠ و ١٩١١ ؟ ففي يوم ٢٩ سبتمبر ١٩١١ نفس اليوم الذي اعلنت فيه ايطاليا الحرب على تركيا بعث دي سان جوليانو تقريرا الى سفارتي ايطاليا بباريس ولندن حول مختلف حوادث العداء والعراقيل التي قامت بها السلطات التركية ضد الايطاليين وقدم العناصر التي تمكن السفيرين امبريالي وتيتوني في تبرير قيام ايطاليا بحربها ضد تركيا لدى الصحافة البريطانية والفرنسية . ولاحظ دي سان جوليانو في تقريره كيف ان الصراع الذي انفجر قبل قليل لم يكن سوى « خاتمة سلسلة طويلة من الظلم والتعسف الفعلي الغير ظاهر الذي مارسته السلطات التركية ضد ايطاليا والرعايا الايطاليين » واشار دي سان جوليانو ايضا الى سلسلة من شكاوي المواطنين « من التصلب ونكران العدالة والاضطهاد الفعلي الحقيقي » (٢٠) واشار ايضا الى « اهانات

---

(١٩) جوسبي بفيوني المذكور ص ١٣٣ .

(٢٠) المذكور .A.S. MAE هكذا واصل دي سان جوليانو تقريره « وفي هذا النوع من الشكاوي التي لا تجد حلا ابدا مما يدل على عدم اكتراث الباب العالي باهتمام الحكومة

واعتداءات على موظفي القنصليات الايطالية » كما لاحظ بصورة خاصة كيف ان مع قيام النظام التركي الجديد الذي بعث آمالا كثيرة في ايطاليا فقد تضاعفت الحوادث المؤلمة وازدادت خطورة » . ومن ضمن الوقائع التي ذكرها وزير الخارجية نالت احداها اهمية خاصة وقدمتها السلطات الايطالية باعتبارها « حادثا خطيرا جدا » وقد انتهى في الواقع كزوبعة في فنجان وهذا الحادث هو خطف فتاة قاصرة :

« تدعى جوليا فرانزوني كانت تبلغ السادسة عشر من عمرها اختطفت بالخداع من اسرتها — كما يقول دي سان جوليانو — وهي من اسرة عمال شرفاء يعملون في السكك الحديدية العثمانية باضنة ، وقد احتجزت الفتاة واجبرت بالقوة على اعتناق الاسلام وزوجت بالقهر الى مواطن مسلم رغم احتجاج والديها والاجانب من جنسيات اخرى ورغم تدخل القنصلية الملكية والسفارة الملكية » .

وقد اراد دي سان جوليانو ان يضغط على هذا الحادث بالذات الذي وصفه بانه « طريقة بربرية لتغيير الدين بالقوة وخطف فتاة غرة » وظن وزير الخارجية الايطالي انه من المحتمل ان يؤثر هذا الحادث في الراي العام الفرنسي والبريطاني بالنظر لطابعه الخاص غير أنه في عام ١٩٢٧ نشر جاكمودي مارتينو « مذكرات وظيفية » وتعرض لهذا الحادث فقلل من حجمه بصورة ملحوظة وكتب يقول في الخصوص ان الحادث :

« كان ذا طابع مضحك (. . .) لقد ارسلت الى الوزير الاكبر مذكرة احتجاج رسمية وقد اجابني الوزير ان الفتاة تزوجت وفقا للشريعة الاسلامية وانها سعيدة جدا مع زوجها . وبالطبع اننا لم نقتنع بهذا الرد

الملكية المشروع يكفي ان نذكر شكاوي جوستنياني لتدخل السلطات التركية التعسفي في مجرى العدالة المحلية وكذلك كوهن وكريسوني وماركوبولي وورثة سولا وهم دائنون للدولة وللشخصيات من العائلة الامبراطورية . وقد اضطرت المؤسسة الايطالية ستاني بسبب عداء السلطات التركية ان تتخلى من امتياز قطع الاخشاب في ولاية برقة » .

(. .)وانكر ان تحريات قامت بها السلطات القنصلية الايطالية في هذا الصدد قد دلت على ان تلك الفتاة الطيبة كانت لا تريد مطلقا مغادرة حريمها (٢١)

ويبين دي سان جوليانو فيما بعد الى السفيرين تيتوني وامبريالي في مذكرته حوادث اخرى قام بها الاتراك يشوبها العنف وعدم التسامح والقرصنة ففي يوم ٥ يونيو ١٩٠٩ استولت سفينة المدفعية التركية « نوراهاد » بالقوة وعلى بعد ٤٠ كيلومتر من الشواطىء التركية على مبلغ ٢٣٤٠ ريالا من المركب الشراعي الايطالي « سليمة » وفي عام ١٩١٠ صادرت سفينة حربية تركية الباخرة الايطالية « جنوا » وجرتها الى ميناء الحديدة حيث « كانت موضع اجراءات ظالمة ومحاولة استيلاء بالقوة المسحلة » وفي ٥ ديسمبر ١٩١٠ صعد قائد سفينة مدفعية تركية بالقوة على ظهر المركب الشراعي الايطالي « سليمة » واجبر ربانها بتسليم المراسلات الخاصة بتجار مصوغ ، وتكررت مثل هذه الحوادث ضد سفن ايطالية اخرى بقصد الاضرار بتجارة اريتريا .

وفيما يتعلق بطرابلس لاحظ دي سان جوليانو ان هدف السلطات التركية في تلك البلاد « اثارة حرب ضد المصالح الاقتصادية والتجارية الايطالية والحيلولة بجميع الوسائل دون توسع النفوذ الايطالي ، ومنع قيام علاقات ما بين المواطنين وبنك روما ومعاقبة المواطنين باتهامهم « بجرائم خيالية ، اذا اقاموا هذه العلاقات ومنع البنك من الحصول على الاعتراف القانوني امام المحاكم المحلية . (٢٢)

« وقد رفضت جميع طلبات الامتياز او الاعمال التي قدمها الايطاليون مثل شبكات المياه والمنشآت البرقية واللاسلكية واعمال الطرق وغيرها

---

(٢١) جاكمودي مارتينو Giacomo De Martino « مهمتي في اسطمبول من اجل الحرب الليبية » راسنيا دى بوليتيكا انترناسيونالي Rassegna Di Politica Internazionale ابريل ١٩٣٧ ص ٣٦٥ .

(٢٢) حدد دى سان جوليانو عمل بنك روما « بانه عمل تقدم اقتصادي وتمدني حقيقي ومفيد للبلاد » (.A.S., MAE المذكور) .

ومخالفة للاتفاقيات بمنع الرعايا الايطاليين من شـــراء الاراضـي وتسـجيلها باسمائهم في دوائر التسجيل العقـاري في بنغـازي ودرنة والخمس ويتعرض المـواطنون الــراغبون في بيــع اراضيهم للايطاليين للتهديـد ويقعون تحـت طائلـة الانتقـام باعـذار بعيـدة عــن السبب الحقيقــي .

وعــدد دي سان جوليانـو حـوادث عنف ارتكبت ضد الايطـاليين مثـل مقتــل الــراهب (جوستينو) بدرنــة والراهب غاسطوني تيريني الذي قتـل ما بيــن طــرابلس والخمس وقيــل انــه انتحــر . وكذلك الحادث الذي كـان ضحيته مديــر صحيفــة « ايكو دي تــريبولي » الذي انهـال عليــه رجـال الشرطــة ضربــا . واشار الى مــوقف صحيفة « المــرصاد » لسان حال الولاية التي تقف ضد ايطــاليا موقفا معاديا صريحــا وعنيفــا وقــد ختم وزير الخارجيــة كلامــه قــائــلا :

« ان الحكومة الايطاليــة تحلت بالصبر والتسامح مما لن يتكــرر مثلــه في تاريــخ الشعــوب رغبــة في عــدم خلــق صعوبات واحــراج للامبراطوريــة العثمانية ولاوروبا (..) بيــد أن الكيل قد طفــح (..) ولم تعــد لايطاليا ثقــة في حــل مشاكلها بصورة وديــة مــع تــركيــة .

وقد خيبت امالها الكلمات الجــوفاء الكثيرة والــوعود الكاذبــة التي اعطيت لهــا في السنوات الاخيــرة ، وقد فقـدت ايطاليا الصبر وقررت ان تخــرج من حالــة التسامح والتساهــل التي قـد توصمها بالضعف والاعتــراف بان مركزهــا ادنى من غيــرها . الامــر الذي جعلها تقــرر الحصول على احترام مصالحها بكــل قــوة . وان الــذنب في ذلك يقــع على اولئك الذين منذ ثلاث سنوات يقومون باستفزازنا يوميا ويخلقون عن طريق حوادث صغيرة وكبيرة جــوا من العــداء لنــا في جميع ولايــات الامبراطورية العثمانيــة وخــاصــة بطــرابلس الامــر الذي جعــل سلامــة الرعــايا الايطاليين غير آمنــة وعرض ســير التجارة الارتيرية في البحر الاحمر للخطر » . (٢٣)

---

٢٣) نفس المصــدر

هـذه هي الصيغـة التي اراد دي سان جوليانـو ان يقـدمها الـى الـراي العـام الفـرنسي والانكليـزي حـول مختلف أحـداث التعنت التي قـام بها الاتـراك ضد الايطاليين . وكان الوزيـر نفسه قـد سبق ان اشار الى السفيرين تيتونـي وامبريالي الى انـه « من الخطـر على حجتنا ان نذكـر حـوادث خـاصة لظلـم وعـداء التـرك نحـونا ، نظـرا لان الاتـراك ، بارعـون في اعطـاء هـذه الحـوادث ثوبـا قانـونيا ظاهـريا » . (٢٤)

ولا شك في ان العـداء التركي بلـغ اشده ما بيـن عـامـي ١٩١٠ و ١٩١١ وقـد ساهـم بمساعـدة الصحافـة (الايطاليـة) فـي خلـق ذلـك الجـو المعـادي لتركيـا الذي اجتـاح ايطاليـا في صيف ١٩١١ . ولا يمكن على كـل حـال الا الاشارة الى انه في عـام ١٩١٠ بالـذات وبالرغم من العـداء التركي فقـد حققت العلاقـات التجاريـة ما بيـن ايطاليـا وطـرابلس زيـادة كبيرة في المبادلات التجارية ما بين البلدين وقد بلغت هذه الزيادة في عام ١٩١٠ بالنسبة الى عـام ١٩٠٩ : ٥٩ ٪ حيـث انتقلـت من اربعـة مـلايين ونصف الى سبعـة مـلايين و ٦٠٠ الف ليـرة . وبلغت زيـادة الصـادرات الايطاليـة الى طـرابلس ٦٦ ٪ ، اذ انتقلت قيمة الصادرات من مليونين وتسعمائـة الف الى اربعـة مـلايين و ٤٠٠ الف ليـرة . (٢٥) وقد استطاعت

---

٢٤) A.S. MAE. ، المذكور . برقية دى سـان جوليانو الى تيتوني بتاريخ ٢٥ سـبتمبـر ١٩١١

٢٥) معلومات تتعلق بالتجارة ما بين ايطاليا وطرابلس من عام ١٩٠٥ الى ١٩١٠ (القيمـة بملايين الليرات)

	واردات ايطـاليا من طرابلس	صادرات ايطاليا من طـرابلس	مجموع المعاملات
١٩٠٥	٧ر٠	٠ر٣٠	٧ر٣
١٩٠٦	٦ر٠	٩ر٣	٥ر٤
١٩٠٧	٠ر١	٥ر٣	٥ر٤
١٩٠٨	٧ر٠	٢ر٣	٩ر٣
١٩٠٩	٦ر١	٩ر٢	٥ر٤
١٩١٠	٨ر٩ *	٤ر٤	٦ر٧

(راجع لويجيي اينـاودى « بخصوص طـرابلس » بصحيفـة ريفـورمـاسوشيالي « Riforma Sociale اكتوبر ١٩١١ مجلد ١٢ ص ٦٠١) .

* يبدو ان هناك خطا في النص الاصلي وان الرقم الحقيقي هو ٢ر٢ (المعرب) .

ايطاليا ايضا تنشيط التجارة النامية في تلك الاراضي بحيث ان نصيب ايطاليا من تجارة طرابلس الدولية الذي بلغ عام ١٨٩٥ نسبة واحد من عشرين فقد بلغت هذه النسبة عام ١٩١٠ قرابة الخمسين في المائة (٢٦) ولهذا حتى مع وجود صعوبات خطيرة فان مركز ايطاليا الاقتصادي والتجاري بطرابلس لم يكن معرضا للخطر بدرجة تستدعي تدخلا مسلحا .

ولكن ما هي اسباب تعنت تركيا ضد بنك روما والنشاطات الايطالية الاخرى ؟ فاذا كانت الحكومة الايطالية قد ارتكبت اخطاء في تغلغلها السلمي في ليبيا فلا شك ان اكبر اخطائها كان هو عدم اخفائها بقدر كاف للطابع الشبه رسمي الذي اكتسبه البنك في مبادراته الليبية . فقد كان الاتراك يعلمون جيدا ان لايطاليا مطامع في طرابلس وبرقة . (وحتى لو فرضنا انهم لم يكونوا على علم فان الصحافة الايطالية قد احاطتهم علما بذلك) وسرعان ما ادركوا من خلال الكثير من المظاهر الواضحة ان بنك روما كان عبارة عن « حصان طروادة » ايطالي داخل الولايات الافريقية لامبراطوريتهم .

ان مزاعم الصحافة والحكومة الايطالية نفسها بان تتسم مواقف الحكومة التركية دوما بالرضاء والتفهم ربما كانت مبالغا فيها . ومما لا شك فيه ان الحكومة الايطالية قد فعلت قليلا وقليلا وكانت تريد ان تفعل خاصة في النصف الاخير من عام ١٩١١ في سبيل تسوية المشاكل وايجاد طريق للوفاق . بل الامر كان بالعكس فكل خلاف مهما كان بسيطا وكل حادث مهما كان صغيرا قد ضخم اكثر من اللازم . وحتى جاكمودي مارتينو نفسه اعترف في مذكراته ان « اهتمام » الكونسولتا (وزارة الخارجية) لم يكن موجها نحو تسوية المشاكل بل « تركها تتجرجر »

---

٢٦) بلغ مجموع المبادلات ما بين ايطاليا وطرابلس في عام ١٨٩٥ ما يقرب المليون ليرة منها ٢٥٤ الف ليرة تتعلق بالواردات الايطالية و ٧٦٢ الف ليرة خاصة بالصادرات (نفس المرجع) .

كما هـو من السهـل ادراك ذلك من خـلال التعليـمات التي كان يبعث بهـا دي سـان جوليانـو الى اسطمبول ٠ (٢٧)

ويجـدر بنا التساؤل فيما اذا كان التغلغل الاقتصادي الايطالي مستوحـى دوما من تلك التعليمات التي كان في امكانها ان تعطي احسن النتائج لـو لم تكـن شديدة العـدوان وغيـر متماشية كثيرا مع الـوسط الذي كان عليها ان تتحقق فيـه ٠ فيجب النظـر على كـل حـال فيما اذا كانت هناك عيـوب في نشاط بنـك رومـا خـلال السنوات الخمس التي مـارس فيهـا نشاطـه الاقتصـادي والتجـاري المتنـوع في طـرابلس وبـرقـة ٠ فالعيـب الاول الاساسي لاحظـه لويجـي ايناودي الـذي استهجـن بصورة خـاصة ان معهدا مصرفيـا يتحـول الى مقـاول مشوهـا بذلك مهامـه الاصليـة ٠

« (٠٠٠) ان البنـك عـلاوة على انه اشترى مساحات شاسعة من الاراضي وانشا خطـوط ملاحـة فقـد اسس مطحنـا للغـلال يعمـل في هـذه الايـام من اجـل تمـوين القـوات الايطالية بالدقيق ٠ ونشـاط البنـك الصنـاعـي والتجـاري والبحـري هـذا كان مـوضـع ثنـاء عظيـم من قبـل الصحـافـة الايطاليـة وكانت التقاريـر المقدمـة الى الجمعيـة العامـة للمساهميـن فـي البنـك محـل رضاء متواصل وليسمح لي بالتعبيـر بحريـة عن انطباعاتي ٠ وهي ان البنـك قد يكون محقـا بكل هذه الانشطة المتنوعـة في بـلاد تكـاد تكون ميتـة وحيث ان كـل شيء فيها يحتـاج الى العمـل ٠ وقد يكون انشاء خطوط الملاحـة والمطاحن وشـراء الاراضـي وسيلة طيبـة للـدعاية ونفقـات تسيير مثمـرة ٠ ولكن النتائج المـالية للعمل المصرفي البحت تظهر بعـد بضع سـنوات اذا كانت الامـوال قد انفقت في مـوضعها ٠ وقد يبـدو لي منطقيـا انه بعـد تجـاوز هذه الفتـرة الاولية فعلى البنـك ان يتخلص من جميع هـذه المنشآت التي وضعت بصورة غريبة في غيـر محلها بالنسبـة لمؤسسـة مصـرفيـة ٠

---

٢٧) جاكودى مارتينو . المصدر المذكور ص ٢٦٥ .

ان رجل المصرف يجب ان يعرف جيدا الجهاز الفني ويعرف قبل كل شيء طريقة تسيير المنشآت الصناعية والزراعية والتجارية التي يقرضها الاموال وعليه بصورة خاصة ان يعرف كيف يقدر الصفات الشخصية لمن يديرونها ولكن لا يجب على رجل المصرف ان يقوم هو نفسه بمهام رجل الصناعة والزراعة والتجارة فان وضعا كهذا لا يمكن الا ان يكون محفوفا بالخسائر والاخطاء » . (٢٨)

وهناك دراسة اكثر جدية وتفصيلا حول حدود نشاط بنك روما في ليبيا يقدمها انريكو انساباتو Enrico Insabato رجل ثقة جوليتي الذي ارسله الى طرابلس وبرقة في صيف ١٩١١ بقصد تنوير رئيس الوزراء حول الوضع في ليبيا وانساباتو هذا شخصية غريبة لطبيب استعماري « فوضوي مزعوم في خدمة البوليس » . (٢٩) وقومي وصديق للسنوسي وخبير في شؤون العالم العربي لاقامته مدة طويلة بالقاهرة حيث اوفد رسميا كمراسل لصحيفة « كوريري ديلاسيرا » (٣٠)

---

٢٨) لويجبي انياودى — المرجع المذكور ص ٦٠٢ — ٦٠١ .

٢٩) هكذا كتب دى مارتينو الى بروساتي في رسالة مؤرخة ٣٠ يناير ١٩١٠ .

٣٠) يفهم ذلك ايضا من رسالة بعث بها جوليتي الى بروساتي بتاريخ ١٢ اغسطس ١٩١١ (المصدر المذكور رقم ٢٨٥) وقد اجاب بروساتي على رسالة جوليتي طالبا منه ان لا يثق فيه وانتقد فكرة انساباتو في « التوسع في الهدايا لاعيان السنوسية لكسب صداقتهم » وكذلك ان « يهبهم ثلاثة الاف بندقية » وجاء في رسالة لاندريا توري الى البرتني بتاريخ ١٣ نوفمبر ١٩١١ حيث وضع المحاولات التي تبذلها الحكومة لكسب ود السنوسيين ، فكتب « لقد سافر الى واحة الكفرة شخص ايطالي اعرفه شخصيا وقد اقام لسنوات كثيرة في مصر . وهو يقول ان لديه نفوذا كبيرا على السنوسي . وفي كل مرة يزورني منذ خمس سنوات يكرر لي انه الوحيد الذي في امكانه ان يؤثر على السنوسي في وقت معين . وقد استمالت وزارة الخارجية بوسيط آخر ولم تعتقد فيما كان يدعيه هذا الايطالي . غير ان جوليتي كان يثق فيه وقد ارسله الى الكفرة . وهذاالايطالي يدعى انساباتو وهو طبيب وعندما كان في روما في شهر اغسطس صرح انه على استعداد ليقدم لي ادلة حديثة العهد ومقنعة حول صداقته بالسنوسي . وقد اوصيت به خيرا دي سكاليا (وكيل وزارة الخارجية) وقد اوصى به هذا اولا (او اشار به) الى فوليشا رديني وتيتوني ولوتساتي ولكن شيئا لم يتم في الامر . وسنرى

وتحتوي تقاريره على بعض العناصر الهامة حول نشاط بنك روما والممثلين القنصليين وحول مواقف العرب تجاه ايطاليا • وحتى ولو ان جوليتي لم يعتبر تقارير انساباتو ذات « اهمية كبيرة » (٣١) غير انه لا بد من الاشارة الى ان الكثير من توقعات انساباتو قد تحققت •

ففي تقرير له بتاريخ ١٢ اغسطس ١٩١١ ارسله من طرابلس قام بدراسة عميقة لنشاط بنك روما • وقد اتخذت ملاحظاته احيانا صفة التنديد ولم تخلو من بعض الاعتداد بالنفس ، وهي تبدو من خصائص من يحكمون على ما فات • ومع كل ذلك فان ملاحظات انساباتو كانت غالبا ما تصيب الموضوع وتقدم عناصر كافية لدراسة نشاط بنك روما في افريقيا الشمالية • ولعل من اهم الاخطاء التي اكتشفها انساباتو هو ترك انتشار الشعور لدى العرب والاتراك بان بنك روما كان « جهازا اوجدته ومولته الحكومة الايطالية من اجل اعداد احتلال طرابلس لا من اجل العمليات المصرفية ونشر النفوذ الايطالي فقط » وقد تحول هذا الشعور الى اقتناع سائد • وهناك عوامل كثيرة ساعدت على خلق وتغذية هذا الاقتناع •

« لويجي البرتني ـ مراسلات ١٩٢٦ ـ ١٩١١ ـ المجلد الاول « من الحرب الليبية الى الحرب العظمى » ميلانو ١٩٦٩ ص ٣٢ ـ ٣١) والساباتو الذي عين فيما بعد امين سر خاص لجوليتي . تقابل في يناير ، ٢٥ يناير ١٩٢١ مع الاب روزا من صحيفة « تشيفيلتا كاثوليكا » Civilta Cattolica ليعرف منه ـ بناء على تكليف من جوليتي ، راى الكرسي المقدس حول الحزب الشعبي الايطالي (راجع فينوفاليري « من جوليتي الى موسوليني » ميلانو ١٩٦٧ ص ١٢٤ ـ ١٢٩) . بخصوص الساباتو والحرب الليبية راجع مارشيلا بنكرلي Marcella Pincnerle « اعداد الراي العام لحملة ليبيا منشور في « راسينيا ستوريكا ديل ريسور Rissagrestorica Del Risorgimento. جولو ـ سبتمبر ١٩٦٩ ص ٤٦٤ ـ ٤٦٣ . اشارة هامشية رقم ٣ .

(٣١) A.C.S. المذكور . رسالة من انساباتو الى جوليتي من القاهرة بتاريخ ١٥ يناير ١٩١٣ طالب باصرار بضرورة اعادة قراءة تقاريره «كي تقتنعوا بقلة اخطائي وانه يكون من المفيد قراءتها باهتمام بدلا من اعتبارها ـ كما يقول السيد مريكاتالي « قمامات طويلة وغير ذي فائدة » . (الرسالة توجد في اوراق جوفاني جوليتي ـ « اربعون سنة من الحياة السياسية الايطالية المجلد ٣ من مقدمة الحرب العالمية الى الفاشية » ١٩٢٨ ـ ١٩١٠ اعتنى بنشره كلاوديو بافوني . ميلانو ص ٨٠) Claudio Pavone

« ان اول دليل على ذلك ـ يقول الاتراك ـ كما كتب انساباتو ـ هو ان القنصليات ظلت حتى الآن المحامية عن البنك حتى ضد رعاياها انفسهم . والدليل الثاني هو ان البنك يحاول ان يغزو ويستولي وليتولى هو جميع المبادرات والمقاولات والاعمال . وان عمل البنك كان موجها بصورة خاصة الى امتصاص وتدمير التجارة الصغيرة والمنشآت الصغيرة سواء كانت عربية ام ايطالية . فعند ما كان تاجر صغير يلجا الى البنك للحصول على مساعدة كان طلبه يرفض ويعرض عليه البنك التنازل عن مؤسسته واذا لم يفلح في الامر فانه ينشىء مؤسسة مماثلة او يقوم بعملية منافسة رهيبة تدمر في النهاية صاحب المصنع الصغير أو التاجر . (٣٢)

أن هذه الاساليب قد خلقت في برقة وطرابلس استياء حادا لدى « العنصر العربي الذي كان يجب علينا اكتسابه » .

« ويواصل انساباتو كلامه فيقول : اذا ما تذكرنا في ان لكل من هؤلاء التجار الصغار عملاء الامناء الذين يشاطرهم الود والحقد ، وان الاتراك من صالحهم تهويل الامور والنفخ في النار وان المالطيين واليونانيين واليهود باستثناء القليلين جدا يرون مصالحهم مهددة فهذا كله سيقنعنا سريعا بان الاشاعات السائدة حول رفع السلاح في وجه ايطاليا وربما قيام ثورة حقيقية وطنية ضد الايطاليين ليست بالامر المبالغ فيه » . (٣٣)

وقد اورد انساباتو شهادة رئيس مهندس الولاية وهو ارمني كاثوليكي يدعى يوحناس الذي قال له : « بما ان اغلبية ممثلي البنك هم من اليهود الذين يكرههم العرب ، فان البنك » تزداد كراهيته يوما بعد يوم

---

(٣٢) A. Mal., pos. 103/3 of. 23 « نقاط جمعها الدكتور انساباتو والمعادلة للاعداد لاحتلال برقة » .

(٣٣) المصدر نفسه .

وعلاوة على ذلك فان جميع مبادرات البنك كانت تسير باساليب غير اقتصادية الامر الذي خلق لدى السلطات التركية شعور الشك والريب في كل مبادرة ايطالية . وعلى سبيل المثال فقد لاحظ انسابانو بخصوص المطحن « ان نفقات الانشاء بلغت مليون ليرة في حين انه كان يكفي نصف مليون فقط » وقد وصف مدير المطحن نفسه « مطحنة وغيره من عمليات بنك روما بانها هواية صناعية » والانباء المتعلقة بشراء الاراضي كانت تثير انزعاجا اكيدا « حيث ان ما دفع فيها يوازي عشرة امثال قيمتها الحقيقية الامر الذي اعطى الحكومة التركية انطباعا بان البنك يريد ان يشتري باي ثمن كي يستولى على الاراضي لا ليحقق صفقات تجارية » (٣٤) ويضاف الى كل ذلك ان البنك والقنصل برنساي وكثيرين من الافراد لم يروا من الضروري « لدى اتمام المبيعات ان يطلبوا جميع الضمانات القانونية » ولذلك فقد :

« وجدوا انفسهم تجاه فسخ عقود وقضايا ومشاكل لا نهاية لها لم تكن سببا بالطبع في تحسين سمعة البنك . كما ان القول بان السفن الحربية الايطالية سوف تصادق على الاخطاء قد اثار استياء عظيما ضد الحكومة الايطالية .

يتطلب الامر الآن حزما وحذرا لا حد لهما من اجل معالجة هذه المسائل المرتكبة للتمكن من مواجهة المعاكسات التركية التي تزيد وتعقد الامور للاساءة الى هيبتها » .

وقوبلت النتائج التي توصل اليها انسابانو بالسلبية التامة لدرجة أن قيل له : اذا كانت اخطاء بنك روما واخطاء الديبلوماسية بالرغم

---

٣٤) فيما يتعلق بالاراضي فقد لاحظ بفيوني ايضا : « مؤسسة بنغازي الزراعية لا تملك فيها راسمال قوي ولا اعتقد ان الثمار الان توازي المجهود . وكما ذكرت سابقا حيث ان البنك لم يفلح في توطين معمرين ايطاليين في الاراضي الشاسعة التي يملكها البنك فقد اضطر الى تاجيرها للعرب . والنتيجة بالطبع تعسة جدا » .
(جوسبي بفيوني المصدر المذكور ص ١٢٧ — ١٢٦) .

من تحريض الاتراك لم تتسبب في اي حركة معادية للايطاليين بطرابلس فهذا يعود وحده الى ان مشائخ الطرق السنوسية لا يزالون يكنون الود للايطاليين .

« واذا في الغد ــ واصل انساباتو كلامه ــ وقف العرب بعجل ضدنا لسوء الحظ فان الحياة في طرابلس وبرقة ستكون مستحيلة علينا . واذا ما اضطرت اذ ذاك الحكومة الايطالية الى التدخل بالقوة تحت ضغط الاحداث فانها سوف لن تجد في مواجهتها الجيش التركي وحده (من عشرة الى خمسة عشر الف رجل) وانما ستجد الشعب كله ضدها وخاصة في برقة حيث ان الجميع مسلحين » .

وكان انساباتو يرى على حد قوله ــ انه من الضروري « قبل ان تواجه سوء نية الاتراك بالقوة » فعلى الحكومة الايطالية « ان تقوم بروح العدالة بتصفية جميع المشاكل المعلقة للحيلولة دون حدوث سوء تفاهم مع السكان الوطنيين ولحرمان الاتراك من هذا العذر الذي يخفون وراءه عداءهم لنا » . (٣٥)

ان تاكيدات انساباتو تعدل من حجم موقف بنك روما والمبادرات الايطالية في ليبيا بصورة ملحوظة وبالرغم من قبولنا بحذر لوجهة نظر انساباتو (التي ثبتت صحتها لدى التجربة) فان المهمة التي اسندت الى بنك روما عام ١٩٠٥ من الممكن اعتبارها قد فشلت وانه لا يجب الحكم على جميع مظاهر هذه المهمة بصورة سلبية .

واذا فشل المعهد المالي الروماني في القسم الاكبر من المهمة التي اسندتها اليه الحكومة فلا يمكن السكوت على انه لم يكن حرا في تصرفاته : لانه لم يتمكن من القيام بسياسة مستوحاة من المبادىء الاقتصادية والمالية بسبب الضغط عليه من قبل وزارة الخارجية والحكومة الايطالية ، واضطراره الى العمل تحت التكييف السياسي الذي كان لا يساعد على تسيير الاعمال

---

٣٥) A. MAI. المذكور .

بصورة نشيطة ومزدهرة . ولكن هناك مظهرا ايجابيا في مهمة بنك روما بليبيا سبق ان اشار اليه ريناتو موري ، وهي محاولة تنظيم استغلال موارد بلاد من النوع المتخلف بوسائل جديدة ومتقدمة بالنسبة لذلك الوقت • واجتهاد البنك ولو بوسائل مرتبكة بنتائج ضئيلة واهداف واضحة — في ان يوجد محاولة :

« تعاون ما بين الاوروبيين والسكان الوطنيين من اجل تنمية بلد افريقي اقتصاديا . هو تعاون لا يجب ان يقتصر على تقديم العمل لليد العاملة الزراعية وانما يجب ان يهدف الى رفع مستوى الطبقات الفقيرة اقتصاديا واجتماعيا وفي نفس الوقت اشراك المسؤولين المحليين — بنفس الحقوق — في المبادرات الرامية الى تقوية البلاد اقتصاديا » • (٣٦)

ومن الطبيعي ان ثمار مثل هذه الاعمال لا تجنى الا بعد زمن طويل ، ومع ذلك فسيظل امرها محصورا في هذا العمل كان يمثل مقدمة اولية لنظم التعاون الفني — الاقتصادي التي قامت ولا تزال تتحقق على نطاق واسع في العلاقات الاقتصادية التي تسري اليوم ما بين الدول الكبيرة الصناعية وبلاد العالم الثالث الجديدة •

وقد لاحظ كاروتشي ان نشاط بنك روما والحرب الليبية نفسها مثلت فيما بعد : « مظهرا من مظاهر الصراع بين الراسمال الايطالي الذي كان آخر القادمين وبين راسمالية الدول الاخرى من اجل الاستيلاء على السوق العثمانية » • (٣٧) ففي تلك السنوات بالذات اخذ بنك روما يكتسب نفوذا أكثر فاكثر في ميدان الاقتصاد وخاصة بالنسبة للصناعة المدنية • وكانت مهمة البنك ترمي الى احتكار النشاط الصناعي الكبير المتزايد دوما » والقيام دائما بدور القاعدة للمؤسسات » وان

---

٣٦) ريناتو موري المصدر المذكور ص ١٨ — ١١٧ .

٣٧) جامبيرو كاروتشي Giampiero Carocci « جوليتي والعهد الجوليتي » تورينو ١٩٦١ ص ١٤٣ .

الـراسمال المصرفي » يرتفــع في هــذا الــدور كدائع ومسيطر في نفس الوقت على الصناعــة ويكتسب بذلك قــوة جديــدة ســواء كانت ظاهــرة ام خفيــة تجـاه الحيــاة الـوطنية حتى في الممــارسة السياسية » ٠ (٣٨)

وفي هــذا الجـو الذي يتزايـد فيه تطـور واهميــة النشاط المصرفــي ، ربمــا اعتقـد المشرفون على بنــك رومــا ان التجربــة الطـرابلسية التي قــام فيها البنــك بدون المتعهد الصناعــي والزراعي والمعدنــي الخ قــد اتت باحسن النتــائج . والنتــائج من وجهــة النظــر الاقتصاديــة البحتــة قــد تكون لصالحهم حيث ان راس المــال المكتتب انتقــل من ثــلاثين مليــون ليــرة عــام ١٩٠٥ الى مائتي مليون ليــرة عــام ١٩١٢ وارتفعت الاربــاح الصافيــة من ١،٧٣٦،٦٧٣ الى ١٢،٣٥٤،٩١٥ ليــرة (٣٩) وقــد كانت الحرب السبب فيما لحــق بالبنك من ضرر ٠ فان الصراع كان بالطبع عائقا خطيــرا

---

(٣٨) ريكاردوباكي Riccardo Bachi « سيــات التطور الاقتصــادي الايطالي الحديث » منشـور في ايطاليا ايكونوميكا عام ١٩١٣ تورينو ١٩١٤ . ان الاهمية المفرطة التي اكتسبتها هــذه المصارف في ميدان الاستثمار الصناعي ــ كتب روزاريو روميو ــ هي من ابرز المميزات التاريخية في التطور التاريخي الايطالي (Rosario Romeo روزاريو روميو « مختصر تاريخ الصناعات الكبيرة في ايطاليا » بولونيا ١٩٦٧ ص ٧٠) . بخصـوص سياســة هذه الفترة الاقتصادية راجع ايضا لوتشانو كافانيا Luciano Cafania تكــوين قاعــدة صناعيــة مــا بيــن عــام ١٨٩٦ ــ ١٩١٤ » وكذلك البــرتو كــارلتشــولو Alberto Caracciolo « الصناعة الكبرى في الحرب العالمية الاولى » منشـور في كتاب مختلفون » .AA. VV « تكــوين ايطاليا الصناعية » باري ١٩٦٩ ص ١٦٢ و ــ ١٣٥ ــ ٢٢٢ ــ ١٦٣ بخصـوص تحليل تاريخي سريع للـموضـوع راجع ليوفالياني Leo Valiani تاريخ ايطاليا من عام ١٩١٥ الى ١٩٧٠ . مساهمات تاريخية في العشرين سنة الاخيرة منشـور في جــوليات » مؤســسة ليوجبي اينــاودي المجلد ١ ، ١٩٦٧ ص ٧٤ ــ ٦٧ (فصـل ٣ ، النقاش حول التطور الاقتصــادي) .

(٣٩) هذه الارقام تتعلق بتطور بنك روما من عام ١٨٨٠ الى ١٩١٢ .

	الارباح الصافيــة		راس المال المكتتب
١٨٨٠	٣٬٠٠٠٬٠٠٠ ليرة	١٩٠٠	٧٤٠٬٠٠٠ ليرة
١٩٠٥	٣٠٬٠٠٠٬٠٠٠ ليرة	١٩٠٥	١٬٧٣٦٬٦٧٣ ليرة
١٩١٠	١٠٠٬٠٠٠٬٠٠٠ ليرة	١٩١٠	٦٬١٤٦٬٢٠٠ ليرة
١٩١٢	٢٠٠٬٠٠٠٬٠٠٠ ليرة	١٩١٢	١٢٬٣٥٤٬٩١٥ ليرة

في وجـه نشاط البنـك في ليبيـا والامبراطـورية العثمانيـة الامر الذي اجبره على تعطيـل نشاطـه وتجميد رؤوس امـوال ضخمـة مستثمرة عـلاوة عـن جميع الاضـــرار الاخرى التي تتسبب فيها الحرب . ولم يمض وقت طويل كي تظهـر النتائـج السلبيـة حيث اضطـر البنـك عـام ١٩١٤ ان يعلـن عن تخفيض خمسين مليون ليرة من راسماله . (٤٠)

ومع ذلك فمن المشكوك فيه ان البنـك قـد نظـر الى الحـرب بالرضا ودفع الحكومـة نحـو احتـلال طـرابلس بالسلاح ، (٤١) على امـل الاستفادة مـن الـوضع الجديـد والتخلص من معاكسات الاتـراك لنشاطه وامكـانية عملـه بمساعـدة السلطـات الجديـدة . وكان الخطـا يكمـن في اعتقاد الجميع ان الحـرب ستكون قصيرة وسهلـة وان الامـر اصبح الآن عبارة عن قطف الثمار الكثيـرة الناتجـة عن الامـوال التي انفقت في التغلغـل السلمي وعن التقديـر الذي اكتسبه البنـك لدى الحكومـة الايطاليـة .

امـا فيما يتعلـق بنتائج التغلغـل السلمي فلا ثمـة شك في انهـا فشلت فشلا ذريعـا فهذه المحاولـة التي بـدات قبـل خمس سنوات لم تحقق ايـة نتيجـة على ما يبـدو اكثر من زيـادة العـداء التركي وفقدان عطـف العنصر المحلي بالنسبة لنا بصورة بطيئـة مستمـرة . (٤٢) وبفيوني نفسه لاحظ في

(اليسـاندورود اليسـاندور ، المصدر المذكور ص ٥٠٠) لدى دراسـة هذه الارقام يجب الاخذ بعين الاعتبار ان عام ١٩١١ وقع ادماج بنك روما وبنك ليقوريا مـا ادى بالطبع الى زيادة راس المال .

(٤٠) نفس المصدر ص ٤٩٥ راجع ايضـا ص ٣٦٧ من هذا الكتاب .

(٤١) راجع اليسـاندرود السـاندرو ، المصدر المذكور ص ٦ ــ ٥٠٣

(٤٢) كتب للقنصل الايطالي ببنغاري بـرنباى بهذا الخصوص في ٦ سبتمبـر ١٩١١ الى دي سـان جوليانو قائلا : (...) اذا كان برنامج تغلغلنا السلمي لم يعط حتى الان ما كـان يحق لنا ان ننتظره فذلك يعود في جزء كبير منه الى سوء نية الاتراك الواضحة وايضا الى الطريقة المستعجلة الفاترة التي بدات بها مؤسساتنا وذلك دون التوقـق لدراسة دقيقة للوسـط الاجتماعي الوطني الذي يتوقف عليه مستقبل طرابلس
(A.C.S., C.G., b. 12, f. 10)

رسالة له من طرابلس بتاريخ ٩ يونيو ١٩١١ انه في نفس الوقت الذي يجري فيه التوسع الاقتصادي فقد رؤى « انهيار نفوذنا وتضاعف مخيف للعقبات التي كان يجب مصارعتها ٠ (٤٣) ولم تصحب عملية التغلغل السلمي اي تدفق من المهاجرين ولو كان ضئيلا بحيث ظل الامر بانه لم يستقر في جميع اراضي بنك روما مستعمر ايطالي واحد في حين انه كان من المفيد جدا اجراء تجربة لمعرفة امكانية اتخاذ برقة وطرابلس كمستعمرة اسكان ٠

ان حل مشكلة طرابلس التي شغلت كثيرا الدبلوماسية الايطالية وظلت لقرابة عشر سنوات في قمة افكار وزراء خارجية بلادنا ، اصبح هذا الحل اكثر صعوبة واكثر تعقيدا في عشية تحقيقه عند ما فتحت الاحداث الدولية مثل الازمة الالمانية ـ الفرنسية في يوليو ١٩١١ لايطاليا امكانية القاء مطامعها المستترة بالنسبة لطرابلس على البساط الدبلوماسي ٠ ويجب ان نضيف على كل حال ان الاخفاق في تحقيق التغلغل السلمي والعداء التركي بصورة خاصة قد مكنا الحكومة ان تدفع عملها من اجل طرابلس الى العمق وان تستعجله وان تجد المبرر لارسال حملة عسكرية او على حد قول دي مارتينو « ان تضع وثيقة الاتهام العظيمة (٠٠٠) التي تضمنها انذارنا الى تركيا » (٤٤) ويظل مع كل ذلك الامر ان الحالة المتوترة والمعادية للايطاليين التي وجدت في طرابلس وبرقة خاصة بين الاوساط العربية قد جعلت الآن احتلال تلك الاراضي اكثر صعوبة وخطورة ٠

---

(٤٣) جوسبي بفيوني ، المصدر المذكور .

(٤٤) جاكمودي مارتينو ، المصدر المذكور ص ٢٦٦ .

حملة الصحافة لصالح عملية الغزو
الموافقون والمعارضون والمنتقدون

القوميون والحـرب ـ صحيفـة « ايديانا سيونالي وليبيـا ـ كوراديني : صحيفة « اورادي تريبولي » ـ الصحافة الاخبارية ـ جوسبي بيلتسا وصحيفة « لاتريبونا » ـ جوسبي بفيوني وصحيفة « لاستامبا » ـ صحف المجموعـة الكاثـوليكية ـ صحيفة « كموريري ديلاسيرا » تنضم الى الحملة ـ الصحافـة الجنوبيـة ـ المنشور حـول ليبيـا ما بين عامـي ١٩١١ و ١٩١٢ ـ المنتقدون والمعـارضون : ليونـي كيتاني Leone Caetani اوقواويتي Ugo Ojetti لويجي لوتساتي Luigi Luzzati فرديناندومارتيني Ferdinando Martini قايطانوموسكا Gaetano Mosca ، لـويجي اينـاودي Luigi Einaudi ادواردو جيريتي Eduardo Giretti قايطانو سالفيميني Gaetanosalvemini وحملة المعارضة لليبيا بواسطة صحيفتي « لافونتشي » و « لـونيتـا » .

كـان القوميون الايطاليون منـذ بضعة اعـوام يؤملون في حـرب ، اي حـرب مهما كان ثمنها ومهما كان نوعهـا لتخلص ايطاليا مـن الاتجاهـات السلمية والانسـانية والديموقراطية والدولية وجميع ما يشابهها من تيارات كـان يعتبـرها القوميون مسممة لحيـاة البـلاد الخانقـة الكئيبـة بسبـب سياسة حكومات الاصلاح الضعيفـة الفاقـدة لعـامـودها الفقـري . ولهـذه

الاسباب هتف القوميون عام ١٩٠٤ للحرب الروسية ـ اليابانية بحماس على امل ان تنفيد ايطاليا كدرس في « العزيمة والقوة » (١) وقد راى انريكوكوراديني Enrico Corradini في تلك الحرب « مظهرا للحياة العصرية والعملية » وكل هذا معناه أن العاطفيين والانسانيين والمبشرين بالحب والسلام وفلاسفة الطبقات والثقافات العالمية « جميعهم مخالفون لروح عصرنا بدلا من ان يكونوا ـ كما يدعون المعبرين عن الجزء الافضل منها ٠ (٢)

وبالرغم من الخلافات العقائدية التي تغلبت عليها الحدة ، فان الحركة القومية اخذت في السنوات التالية تبحث عن « حربها » عن أي حرب تهز وتوقظ القوى الوطنية الخامدة ٠ وكانت الحركة منقسمة ما بين فكرة سيغيلي SIGHELE الوطنية التحررية الرامية الى الدفاع عن المواطنين الايطاليين الذين لا زالوا خاضعين للنمسا والعمل على تخليصهم وبين اتجاه كوراديني الامبريالي الذي كان يرى في التوسع الاستعماري وفي حرب الاستيلاء « نظاما معنويا » واسلوبا للبعث الوطني » (٣) ٠ ومنذ مؤتمر فلورنس في عام ١٩١٠ حيث اخذت ترتسم مختلف اتجاهات القومية هذه وحيث تحقق مولد الحركة الرسمي على المستوى التنظيمي ، فقد لوحظ منذ ذلك المؤتمر تغلب تيار كوراديني ونستطيع القول انه

---

(١) تاكيد المدفع « منشور في صحيفة « المملكة » في ١٤ فبراير ١٩٠٤ والان منشور في « الثقافة الايطالية في الخمسينات من خلال المجلات » مجلدا : « ليوناردو » « هرمز » « المملكة » باشراف ديليا فريجيي Delia Frigesi تورينو ١٩٦٠ ص ٤٨٧ . راجع ايضا حول اتجاهات المجتمع الايطالي السياسية ـ الثقافية في اوائل الخمسينات (بداية القرن العشرين لوتشيا ستراببيني Luciastrappini « الثقافة والوطن تحليل اسطورة » منشور في كتاب ستراببيني Strappini ميكوتشي Micocci ابروتسيزي Abruzzese « طبقة المثقفين : المثقفون والمجتمع في اول الخمسينات الايطالية » باري ١٩٧٠ ص ١٤٠ ـ ٧ .

(٢) انريكو كوراديني الحرب في صحيفة « المملكة » في فبراير ١٩٠٤ والان منشور في « الثقافة الايطالية في الخمسينات من خلال المجلات » المذكور مجلدا ص ٤٨٥ .

(٣) راجع فرانك وتاتيطا ـ « القومية الايطالية » ١٩٦٥ ص ٨٤ وما يليها .

منذ ذلك الـوقت اخـذت تتحرك الحملـة القوميـة لصالح احتلال ليبيـا .
لقـد حـدد القوميون هـدفهم المباشر في الصراع وشعروا ان « ايطاليـا كانت على مفتـرق طـرق : امـا الاستيلاء على طرابلس في الحال للسير الى الامـام واما التنازل عن طرابلس والتخاف بصورة لا يمكن تلافيها » (٤) .

وبمولد صحيفة « ايديانا سيـونالي » Dea Nazionale (الفكرة الوطنية) التي صادف صدور اول اعدادها في شهر مارس سنة ١٩١١ ذكرى هزيمة عدوه . وقد تولـى ادارتهـا كوراديني Corradini وفد رزوني Federzoni ومارافيليا Maraviglia وفوجي دافانزاتي Forges Davanzati وكوبولا Coppola فبمولد هذه الصحيفة بدأت حملة الصحافة لصالح احتلال ليبيا تتكلم بلهجة قوية . وكانت صحيفة « ايديانا سيـونالي » فـي الخلاصة مـن اولى الصحف التي واجهت باصرار ودون تردد طرق الرأي العام الوطني (اعداد الراي العام للغزو) ، تساندها في ذلك صحف واسعة الانتشـار مثـل « لاستامبا » La Stampa والجورنالي ديطاليا Giornale d'Italia « ولاتريبونا » La Tribuna وكوريري ديطاليا Corriere d'Italia وغيرها مـن الصحف التي قامت ولا شك بالضغط الاكبر من أجل تكوين راي عام مؤيد للغزو .

وقد لوحظ انه عندما ولدت صحيفـة « ايديانا سيـونالـي » منذ ثلاثة اشهر تقريبـا كانت هناك صحـف ايطالية كبـرى مهتمة فـعلا بمسألة طرابلس (٥) . وهي ملاحظة صحيحة غيـر انه لا يمكن الا الاشارة الى ان صحفا يومية مثل « لاتريبونا » و « لاستامبا » و « كوريري ديلا سيرا » نفسها التي لم تشترك الا متاخرة جدا في صميم حملـة الدعاية من أجل الحرب ، فقد ظلت هذه الصحف حتى نهاية شهر مارس تقتصر بصورة عامة على انتقاد العداء التركي والتعليق على تصريحات وزير الخارجية لاظهار اهتمامها بالمسالة الطرابلسية . فلم تكن الحملة حسب وجهة نظرنا ــ حملة

---

(٤) بير لود وفيكوا وكيني Pier Ludovico Occhini كورادينيء فلورنس ١٩٢٣ ص ٢٢٠
(٥) راجع مارشيلا بنركلي المصدر المذكور ص ٤٥٨ .

صحفية مركزة في مستوى اللهجة والحرارة التي عرفتها فيما بعد . فصحيفة « لاتريبونا » نفسها ــ التي غدت فيما بعد من محركي هذه الحملة فقد كانت لا تزال تعتبر في يوم ٢٥ يناير ١٩١١ « ان الباب العالي يكن شعورا بالصداقة نحو ايطاليا » (٦) ويبدو لنا واضحا انه ابتداء من شهر مارس فقط بلغت هذه الحملة الصحافية درجة من الحدة جعلتها تؤثر على الراي العام الايطالي . اما بالنسبة لصحيفة « جورنالي ديطاليا » وقد دفعت في الفترة ما بين ١٩١٠ والاشهر الاولى من عام ١٩١١ بالمسالة الطرابلسية الى الامام لا يسعها الا ان تؤيد ، خاصة وان مديرها برقاميني Bergamini ومن بين محرريها فدرزوني وكثير من القوميين من بينهم كوراديني نفسه الذي كان يعد من انشطهم . ومن المؤكد انه ليس من السهل التحليل بالوثائق عن الروابط ما بين مولد « ايديانا سيسونالي »وتفجر المسالة الطرابلسية على صفحات الصحافة الاخبارية . غير ان هناك امرا مؤكدا وهو توافق التواريخ . لقد سافر بياتسا Piazza الى طرابلس في اوائل مارس بصفته مندوبا لصحيفة « لاتريبونا » ولحق به بفيوني Bevione بعد قليل بصفته مندوبا عن صحيفة « لاستامبا » ويبدو ان تاريخ اول مارس اي ذكرى هزيمة عدوه اصبح بالنسبة للقوميين كابوسا مزعجا ملازما لافكارهم كانوا يريدون الخلاص منه . فقد ذيل قوالتيري كاستلاني Gualtieri Castellani مقدمة كتابه « تونس وطرابلس » بهذا التاريخ متمسكا بكل قواه بضرورة التاكيد الامبريالي « من اجل » بعث ضمير وطني ايطالي . (٧)

ولم يخلو عدد من اعداد صحيفة « ايديانا سيسونالي » في الاشهر الاولى من حياتها من ترديد اسم طرابلس . وقد اتخذت الصحيفة الاسبوعية القومية المذكورة موقفا ثابتا منذ صدور عددها الاول :

---

(٦) نفس المصدر ص ٤٥٤ . لاحظت الكاتبة بتكيرلي نفسها انه في المدة اللاحقة فقط كانت هناك نية دقيقة في اثارة الراي العام من اجل اهتمام اكثر بطرابلس ومن اجل هذه الغاية اخذت الحملة تزداد قوة واخذت تبحث عن مواضيع جديدة وتلجا الى دواعي وطنية والى وصف متفائل للاماكن التي يراد احتلالها » . (ص ٤٦٢)

(٧) قوالتيرو كاستيلليني Gualtiero Castellani « تونس وطرابلس » توريلو ١٩١١ ص ٢٢١ .

« ان المسالة الطرابلسية قائمة اليوم . تبدو واضحة وصافية بجميع سوابقها التاريخية والسياسية والديبلوماسية وبحالة الواقع الحاضرة التي تتاكد في كل يوم مترفعة عن المبالغات التي قد يتضمنها الحديث عن بعض الحوادث او في تكذيبات الحكومة التي قد تكون صحيحة . وان الحل — بعد التجارب المفجعة لسياسة التفاهم مع الباب العالي — غدا واحدا : وهو اختيار حاسم يجب ان تضعه الحكومة الايطالية امام الحكومة التركية . اما وضع حد للعداء والاعتراف الواسع بحقوقنا في طرابلس واما الاحتلال الاقليمي وليس هناك من طريق وسط » (٨) .

— وقد قامت صحيفة « ايديانا ناسيونالي » بمواجهة المشكل الليبي بتعمق في جميع مظاهره وقد حاول قوالتيري كاستيلاني من جهته بعد عودته من طرابلس ان يلقي الضوء في سلسلة مقالات على ثروات وموارد البلاد (٩) .

---

(٨) « ماذا يراد بطرابلس » منشور في « ايدياناسيونالي » اول مارس ١٩١١ . وتجدر الملاحظة الى المصادفة الغريبة بين هذا الموقف والطريقة التي اخذ يعالج بها دي سان جوليانو المشكلة الليبية .

(٩) عندما قدمت صحيفة « ايدياناسيونالي » اول مقالاتها بعنوان « ماذا تساوي طرابلس » حددت الصحيفة المسالة الطرابلسية « بانها اعظم مسالة معاصرة في سياستنا الخارجية » . وقد اثارت مقالات كاستيلليني هذه جدالا مع بريتسوليني Prezzolini الذي اكد من على صفحات « لافوتشي » ومستندا على تقرير .I.T.O * بان المياه في برقة ضئيلة مخالفا بذلك ما كتبه كاستيلليني على صحيفة « ايديانا سينالي » وفي كتابه « تونس وطرابلس » . وقد هاجمت « ايديانانيونالي » بريتسوليني بعنف : « ان برهاننا الوثائقي كان من المنطق والصحة قوي ومستقيم بمقدار الشغف الحي والحماس الذي نضعه وسنولي وضعه في دعايتنا . وهكذا يتحصل بريتسوليني على تقرير .I.T.O ليتصفحه ويقراه ويدرك ان لا مياه ببرقة ليغمره في الحال السرور ظانا انه على اساس هذه الوثيقة المزعومة يستطيع ان يدين حملتنا . انه في حاجة لعداء القومية كي يصبح شيئا ما في السياسة حيث اصبح رواية لسالفيميني فاذن هو في حاجة لان يقف ضدنا . فاذا كان في سبيل هذه المحاولة يجب ان يتنكر لتاريخ سياسي ودبلوماسي باكمله ولحقيقة سياسية ودبلوماسية واقتصادية وان يستغل

وحاولت الصحيفة الوطنية الاسبوعية ان تضغط من جهة اخرى على تصرفات النظام التركي العدائية للمبادرات الايطالية وحول موقف ايطاليا في الحلف الثلاثي الذي كان لا يسمح بالتردد في القرارات الواجب اتخاذها :

« اذا ما اظهرنا لحلفائنا اننا موجودون واننا اقوياء فقط فاننا نمدهم بالثقة التي فقدوها . وعندما نطرح بصورة واضحة وثابتة حقنا في طرابلس فقد نبرهن على اننا نريد ونعرف ان نناقش سياستنا الخارجية على اساس مصالحنا ، وفي النهاية عندما سوف نواجه المشكلة البلقانية فقد نخرج من حالة سوء الفهم التي جعلت المعاهدة الثلاثية حتى اليوم ذات قيمة سلبية وافرغتها من كل مضمونها السياسي . والذي قد يزداد خطورة من اليوم فصاعدا نظرا لاحترامنا المتهيب للوضع القائم الذي يريدون منا ان ندفع ثمنه في البحر الابيض المتوسط وذلك بمنعنا من القيام بعمل يجب ان نعتبر انفسنا في كامل الحرية للقيام به (١٠) .

وحاول فدرزوني — من جهته دائما — من على صفحات لسان حال القوميين ان يعلل بعدم وجود خيار محير بين تحرير الاراضي التي لاتزال خاضعة للاجنبي (Irredentismo) وبين التوسع الاستعماري وهو الامر الذي كان يزعج على

جعل الكثيرين مع الاسف لهذه المشاكل الذين يرغب الكثيرون لاغراضهم الخاصة ان يظلوا في جهلهم ، فان بريستوليني مستعد لذلك . فهو منذ بعض الوقت يمارس سياسة خالية من الضمير ومن الترابط من على صفحات جريدته وما بين مقال من « فيكو » واخر من « كوريبه » يصدر حكمه على « الوهم الطرابلسي » مستندا على وثيقة I.T.O. المزعومة التي لا تدحض متجاهلا بذلك ومحاولا جعل قرائه الذين لا زالوا يعتقدون فيه ان يتجاهلوا هم ايضا براهيننا ووثائقنا . واليوم وهو يقدم دليلا جديدا على عدم نزاهته ويحاول تضليل قرائه لاحول اشخاصنا وحركتنا المثالية وانما حول مسالة دقيقة تبنيناها وهي مسالة وطنية ذات اهمية كبرى في للسياسة الايطالية وهو يجرا ايضا من جديد على محاولة اسداء الموعظة المعنوية ليخفي باي شكل سخافته واننا لا نستطيع الا ان نكرر له احتقارنا . « (فوالتيروكاستيلليني) ساعة طرابلس تستعجل . المياه في برقة وفي غيرها منشور في ايديانازيونالي » في ٢٥ ابريل ١٩١١.

* (منظمة الاراضي اليهودية التي زارت برقة عام ١٩٠٨ للبحث من وطن قومي . المعرب)

(١٠) المصالح الايطالية مهددة في طرابلس « منشور في ايديانازيونالي » في ٥ ابريل ١٩١١ .

ما يبدو اولئك القوميين الاكثر حساسية بالنسبة لمشكلة بحر الادرياتيك . ففي يوم ١٩ ابريل ١٩١١ بمناسبة توجيهه التحية الى مؤتمر «ترينتووتريستي» طمان فيدرزوني المطالبين بتخليص الاراضي الايطالية التي لا تزال محتلة بان برنامج القوميين — حسب قوله — قائم على دراسة ايجابية وموضوعية لجميع اوضاع الحياة العامة الايطالية (١١) . وعاد فدرزوني لنفس الموضوع فكتب على صفحات « ايديانازيونالي » يوم ٤ يونيو ليؤكد بان المسالة هي اسلم وسيلة لفتح باب النقاش حول اقليم « ترنتينو » وكان يرى ان المانيا كانت تنوي تاجيل المسالة الليبية الى حين تجديد المعاهدة الثلاثية و : « ربما الى اليوم الذي تصل فيه النمسا الى سالونيك لكي يكافئوننا بالشيء الذي كان لنا حق فيه منذ زمن طويل . وستكون هذه الهدية حائلا بيننا وبين التعويضات الحقيقية بالنسبة لذلك الحدث الذي ربما لابد منه وهو التنازل لنا عن « الترنتينو » وتوطيد التوازن في بحر الادرياتيك » (١٢) .

فالموضوع بالنسبة لفيدرزوني هو الاستيلاء على طرابلس في اقرب وقت ممكن بحيث لا يكون هناك شاغل وقت نهاية اجل وتجديد المعاهدة الثلاثية . انها الطريقة الاكيدة لفتح الطريق في المستقبل القريب « لمطالبنا الفعلية باراضي اقل بعدا واكثر معزة على نفوسنا والتي نتمنى ان تتحقق ولو اننا في الوقت الحاضر نراها سابقة لاوانها » (١٣) .

وحاولت الدعاية القومية التغلغل في كل مظهر من مظاهر الحياة الوطنية وحيث كان من الممكن ادراج القضية الطرابلسية . وقد تقدم فيدرزوني امام مؤتمر الايطاليين المغتربين الثاني في ١٤ يونيو بجدول اعمال تمت الموافقة عليه خلال المناقشة في القسم الخامس الخاص « بالتوسع الاقتصادي » .

---

(١١) راجع رفائيلي مولينيللي Raffaele Molinelli « من اجل تاريخ القومية الايطالية » لوربينو ١٩٦٦ ص ٨٥ — ٨٤ .

(١٢) جوليودي فرنزي Giulio De Frenzi (لويجي فدرزوني) « طرابلس وتحرير الاراضي . خيار محير غير موجود منشور في « ايديانازيونالي » في يوليو ١٩١١

(١٣) نفس المصـــــــدر .

« وكان اقتراح فيدرزوني يدعو « الى ضرورة قيام الحكومة الايطالية بعمل حازم وسريع يكون بمثابة ضمان اكيد لحقوقنا ومصالحنا في طرابلس ». (١٤) وكان كل المؤتمر مع هذا موجها نحو مواقف قريبة من دعوى القوميين وقد طالب بزيادة النفقات العسكرية والبحرية واستنكر سياسة الخمول تجاه تركيا وطالب بدفاع اقوى عن المصالح الايطالية في الخارج ولم يات عقد المؤتمر عفوا فقد قام بتنظيمه المعهد الاستعماري الايطالي الذي اسسه عضو مجلس الشيوخ جاكو مودي مارتينو Giacomo De Martino (يجب عدم الالتباس بينه وبين حفيده القائم باعمال السفارة الايطالية في اسطنبول) وكان عطف دي مارتينو على القوميين وعلى التوسع الاستعماري الايطالي في ليبيا غير خاف على احد (١٥) .

وقد ربط القوميون — كما هو معروف — بين مسالة الهجرة والمسالة

---

(١٤) راجع المعهد الاستعماري الايطالي ، « وثائق المؤتمر الثاني للمغتربين الايطاليين » (٢٠ ١١ يونيو ١٩١١) روما ١٩١١ . تحدث لصالح اقتراح دي فرنزي كل من سود يرلي وفواوسالو وغيرهم . بخصوص الحملة لصالح احتلال ليبيا كشرط اساسي لحل مشاكل الهجرة راجع فرديناندو مازوني Ferdinando Manzoni « الجدل حول الهجرة في ايطاليا الموحدة (حتى الحرب العالمية الاولى) ميلانو ١٩٦٢ ص ١٥ — ٢٠٧ .

(١٥) عضو مجلس الشيوخ جاكومودي مارتينو (١٩٢١ — ١٨٩٤) * تولى وكالة وزارة الخارجية من فبراير الى اغسطس ١٩٠١ نظم في عام ١٩٠٧ اول مؤتمر للمغتربين الايطاليين واسس وترأس المعهد الاستعماري الايطالي وهو مؤلف كتاب « توريليا وترطاج » (بولونيا ١٩٠٨) الذي يعرض فيه الايطاليين على احتلال برقة . وبعد اندلاع القتال بقليل وجه دي مارتينو الذي كان حاكما لبنادير (صومال) برقيتين الى دي سان جوليانو واحدة من زنجبار بتاريخ ٤ اكتوبر قال فيها « تعلم كم احببت واهتممت ودرست المسالة الطرابلسية . انني واثق ان عملك والفرصة الغير متوقعة في هذا الظرف ستتيح لايطاليا ودبلوماسيتها للثأر لكثير من الاخطاء وخيبة الامل » . [A. MAI, pos. 104, f. 1]. وابرق من عدن في يوم ١٥ اكتوبر بما يلي : « الموظفون المدنيون والعسكريون يشاركونني التأثر (..) واثقين ان بفضل مجد السلاح ويقظة سعادتكم وبفضل دبلوماسيتنا ستتوطد ايطاليا بجدارة وباستمرارية في البحر الابيض المتوسط . المصدر المذكور » .

* عين جاكو مودي مارتينو المذكور حاكما لبرقة من ١٩١٩/٧/١ الى ١٩٢١/١١/٢٣ وهو تاريخ وفاته في مدينة بنغازي (المعرب) .

الطرابلسية برباط وثيق فكانوا يرون في برقة وطرابلس الارض التي يجب ان توجه اليها اليد العاملة الايطالية بدلا من اجبارها على حياة صعبة فيما وراء جبال الالب . غير ان الباعث القومي كان يحتوي ظاهريا فقط على مظاهر ذات صبغة اجتماعية . فلم يكن القوميون يهتمون بالقوانين الاجتماعية والصحية التي كان يخضع لها مهاجروننا فكانوا يخشون ان تضعف الوحدة الروحية والضمير الوطني للبلاد من جراء تشتيت القوى الايطالية في العالم وان يذوى في نفوسهم تعلقهم بموطنهم الاصلي . فقد كتب انريكو كوراديني Corradini في عام ١٩١٠ بعد قيامه برحلة في امريكا قصة عنوانها « الوطن البعيد » (١٦) كان ابطالها المهاجرون من جهة والقوميون من جهة اخرى . فقد اراد كوراديني ان يظهر في الهجرة صورة دولة ايطاليا القديمة وان يصور القومية ببداية ارادة التجديد .

والحرب تبرز في هذه القصة كالفضيلة الباعثة للافراد (١٧) . وان النجاح الذي لاقته قصة كوراديني هذه وقصته التالية « الحرب البعيدة » (١٨) التي تدور احداثها وقت الحملة الافريقية عام ١٨٩٦ وهي كما كتب الكاتب في المقدمة ترمي الى اظهار « التناقض ما بين اوضاع ايطاليا الحاضرة وعظمتها المقبلة كما اخذت تتجلى في طموحات الجزء الخير من الايطاليين » (١٩) وهذا يدل على موقف جزء من الراي العام في فترة ما بين عام ١٩١٠ وعام ١٩١١

---

(١٦) تريفس Treves ميلانو ١٩١٠ .

(١٧) راجع بيرلودو ميكواوكيني المصدر المذكور ص ١٩٨ وما يليها . يختم كوراديني كتابه بنبأ انـدلاع الحرب بين ايطاليا والنمسا الذي وصل ريو دي جانيرو . فالعمال الايطاليون يتركون المصانع ويتبرعون بمدخراتهم من اجل الحرب ويسارعون الى السفر .

(١٨) راجع نفس الكتابين الذي نشر في « مارزوكو » في ١٢ مايو ١٩١٠ وفي « كوريري ديلا سيرا » بتاريخ ٥ يونيو ١٩١٠ وفي « لاسيرا » بتاريخ ١ يونيو ١٩١٠ وفي «الاستامبا» بتاريخ ١٨ يونيو ١٩١٠ وراجع ايضا موريس موريت Maurice Muret « القومية الايطالية » باريس ١٩١٠ ص ١٠ وما يليها . (بالفرنسية)

(١٩) انريكو كوراديني « الحرب البعيدة » ميلانو ص ٥ . ويوجد تفسير دقيق للكتابين في كتاب ماريو لزنيفي « اسطورة الحرب الكبرى من ماريلتي الى مالاباريي » باري ١٩٧٠ ص ١٠ — ٢١ .

تجاه المشاكل التي اثارها القوميون في ذلك الوقت الامر الذي ساعد فيما بعد على الحملة الليبية .

وبالطبع فقد كان كوراديني على راس الحركة المؤيدة للحرب ضد تركيا . وقد كتب بير لودوفيكو اوكيني P. L. Occhini الذي كتب ترجمة حياة كوراديني قائلا : « لا نبالغ اذا قلنا ربما لم يقم احد باكثر مما قام به كوراديني من اجل اقناع الايطاليين بايجاد راي عام مؤيد لاحتلال طرابلس » (٢٠) وقد طاف كوراديني في الاشهر الاولى من عام ١٩١١ بانحاء ايطاليا فزار ميلانو وفرنسا وجنوا وبولونيا وروما حيث القى محاضرات حول موضوع « العمال والهجرة وطرابلس » وكتب مقالات بهذا الصدد على الصحف والمجلات . وفي شهر يوليو سافر شخصيا الى ليبيا حيث بعث برسائل من طرابلس وبرقة الى صحيفة «ايديا ناسيونالي» وقد جمعها فيما بعد في كاتب بعنوان «ساعة طرابلس » وقد حوى الكثير من الاراء الكورادينية من اجل المطالبة باحتلال طرابلس : من ضرورة ايجاد منافذ للهجرة الايطالية الى الاشادة بثروات وخصوبة الاراضي الليبية (٢١) . غير ان اهم الموضوعات التي حواها كتاب كوراديني كانت ذات صبغة سياسية وخاصة فيما يتعلق بدور القومية« التي لم تولد بارادة الرجال » ولكن من « حاجة الامة نفسها ومن غريزتها في البقاء. فالرجال — كتب كوراديني — عندما شرعوا في العمل وجدوا في انفسهم قوة لا تقهر ... قوة الامة نفسها التي قاومت في النهاية اولئك الذين جرحوها في غريزة بقائها بصورة عميقة ولامد طويل . وهكذا كان الامر بالنسبة للقومية بصورة عامة وبالنسبة للمسالة الطرابلسية بصورة خاصة تلك المسالة التي كانت القومية بطلتها . لقد كانت مسالة غريزية فالامة في اول تحركها للتحرر من عبودية ثلاثين طاغ فانها تمثل مسالة حيوية بالنسبة لها . مسالة واقعها » (٢٢) .

---

(٢٠) بيرلود وفيكواوكيني ، المصدر المذكور ص ٣١ — ٢٣٠ .

(٢١) « هناك اراضي — كتب كوراديني — وهي حقيقة تاريخية . وهي اراضي خالية من الرجال وهي ليست مهملة لانها قاحلة بل قاحلة لانها مهملة » (انريكو كوراديني « ساعة طرابلس » ميلانو ١٩١١ ص ٩٧) .

(٢٢) المصدر نفسه ص ١٠ — ٩ .

فبطرابلس وبالحرب قد تبدأ ايطاليا في الخلاصة عهدا تاريخيا جديدا — فمن الحرب — حسب القومية الكورادينية — كان يجب ان تولد ايطاليا جديدة رسمية غير تلك المهانة منذ خمسة عشر سنة باتباع سياسة داخلية فقط (٢٣) ، اذلت شخصية الامة . وطرابلس بتحريرها « لقوات غير اعتيادية خامدة » قد تغير « نجاة » معنويات الشعب وقد تبدأ فترة « النهضة الجديدة للامة الايطالية امام الخارج وامام الداخل » وقد دفعت هذه الاعتبارات بكوراديني الى الخلاصة بانه في الواقع لم يكن يهمه اذا كانت ليبيا صفقة حسنة او سيئة بالنسبة لايطاليا واذا كان المهاجرون الايطاليون الى الاراضي الجديدة قد يجدون العمل والثروة ام لا — . ان مبدا الايحاء للحملة القومية كان ذي صبغة سياسية وليس اقتصادية « كان من اجل سياسة خارجية وليس بسياسة داخلية » .

« وقد كتب كوراديني » في آخر صفحات «ساعة طرابلس» ان اول موضوع هو الضرورة بان تحتفظ ايطاليا وتزيد من مركزها في البحر الابيض المتوسط ضد الدول التي تسيطر على نفس البحر (...) شجر الزيتون والواحات يجب ان تستهوينا وتحويلها الى اشجار مثمرة سيكون اعظم عمل لنا في هذا القرن وستكون الثمار جزاءنا ، غير ان اجتياز البحر يجب ان يكون واجبنا حتى ولو يتطلب تضحية وان هذا الواجب قد فرضه علينا الاخرون (٢٤) .

« وفي شهر سبتمبر بدأ نفاذ صبر القوميين يتزايد : « ماذا يجب ايضا ؟ » تساءلت صحيفة ايديانازيونالي » في ١٤ سبتمبر ١٩١١ (٢٥) لقد كان من

---

(٢٣) انه لمن الغريب — تحت بعض المظاهر ان يتهم القوميون بصورة مباشرة عهد جوليتي بخلوه من السياسة الخارجية . بينما قامت ايطاليا في الواقع في تلك الاعوام باعمال هامة وذات مغزى في الميدان السياسي الخارجي . وكانت جميعها ترمي الى التقارب مع دول الوفاق التي لا يمكن تجاهلها او التقليل من قيمتها .
— ان سبب انتقاد القوميين يعود الى عدم قيام الحكومة بسياسة حازمة توسعية وهم يخلطون بذلك بين السياسة الخارجية والسياسة الامبريالية .

(٢٤) انريكو كوراديني — المصدر المذكور ص ٢٢٣ — ٢٢٢ .

(٢٥) « الامة تعود الى كريسبي » منشور في « ايديانازيونالي » في ١٤ سبتمبر ١٩١١ .

الواجب حسب قول الصحيفة القومية ـ القيام « بعمل الارادة » وهو القوة اللازمة لتحطيم التردد وهي القوة التي كما يبدو كان يفتقدها جوليتي وكان كوراديني واصدقاؤه على ما يبدو يأسفون لان يكون رجل دولة « درومبرو » (جوليتي) هو المحقق لعمل يعتقدون انه ليس اهلا له وان يكـون هو الذي يتولى الانتقال من « الظلام الى النور » « وتوطيد ايطاليا بقوة كدولة من دول البحر الابيض بعد فترة طويلة من الظلام والجبن الذي كان جوليتي ان لم يكن هو اكبر شخصية في هذه الفترة فهو من اكبـر الشـخصيات المسؤولة عنها » . ولم يكن يسمح في تلك الفترة لجوليتي ان يتردد اكثر بل كان عليه ان « يريد » لان سان جوليانو كان ينتظر « اشارة المـوافقة » وهكذا فان صحيفة « ايديانا سيونالي » لم تقتصر على التشجيع والدعوة بل قد جاء الوقت الذي انتقلت فيه الى التهديد والتخويف :

« ولكن اذا كان « جوليتي » مترددا لانه شيخ ولان المهاترات الاشتراكية تضايقه ولان روحه نافرة فلا يجب ان يؤخر الامة . ان الامة قد تجاوزت التردد وتجاوزت الخط الذي فرضته عليها الانانية الاشتراكية الديمقراطية الخـيسة والمسكينة والمؤلمة الجبانة . فاذا كان جوليتي يماطل في هذه المرة ايضا وقد يؤذي عمله هذا ايطـاليا فنحن في هذه المرة سنعرفه في النهاية وان كل مخطىء سيعاقب ، وكل ذنب سيكون خيانة » (٢٦) .

وكانت ايطاليا في صيف ١٩١١ تجتازها الموجـة القومية الحربية التي اصابت عدواها بشدة متفاوتة جميع الاوساط السياسية والثقافية في البلاد . وكان ذلك عام الاحتفالات بالعيد الخمسيني للـوحدة الايطالية . فمنذ ربيع ١٩١٠ مع الاحتفال بتدشين تمثال الحرية ببلرمو تواصلت الحفلات والطقوس وقد توجت بمعارض تورينو وفلـورنس وروما والتدشين المـهيب لتمثال

---

(٢٦) نفس المصدر . يبدو ان هذه الكلمات ترد بصورة متواضعة واقل دراماتيكية الكلمـات التي القاها « دانونزيو » في « مايو الساطع » الروماني عام ١٩١٥ والتي قال فيها « انصتوا ان جريمة الخيانة قد اعلنت واثبتت وابلغـت ان الاسماء المشينة معروفـة والعقاب ضروري » (غابريلي دانونسيو Gabriele d'Annunzio « من اجل ايطـاليا الكبرى » روما ١٩٤٣ ص ٨٧ ـ ٨٦) .

فيتوريو ايمانويل الثاني عند اقدام هضبة كابيتولينو بروما الذي جرى يوم ٢٨ مارس سنة ١٩١١ وكانت تلك المناسبة التي القى فيها الملك خطابا اكد فيه للايطاليين : « في هذا الجمع الوطني المتحمس الذي لا يقاوم فاننا نقسم باننا نجعل ايطاليا اكثر حرية واكثر سعادة واكثر احتراما في العالم » . وبعد شهر عبر الوزير نيتي Nitti بمناسبة تدشينه لمعرض تورينو بكلمات مثل هذه :

« لقد انتهى الشتاء القاسي وبدت الزهور في قمة الشجرة » وقد لاحظ فولبي Volpi ان القول بان سلسلة الاحتفالات والخطب هذه تدفع الناس الى خشوع ديني فقط لذلك معناه انهم لا يعرفون طبيعة الايطاليين (٢٧) .

وانضمت اصوات متحمسة ونافذة الصبر الى اصوات القوميين في المطالبة بعمل حكومي حاسم يحقق حلم ايطاليا في ان لا تكون مهملة بين الدول الاوروبية وقد غدت هي ايضا مالكة لمستعمرة على البحر الابيض المتوسط تزيد من الاحساس بثقلها وبوجودها على مسرح السياسة الدولي ، وفي نفس الوقت تغسل عار هزيمة عدوه المؤلمة وخيبة الامل التي لم تنطفىء بسبب احتلال تونس التي ظلت لسنوات عديدة من اكبر اهداف سياسة ايطاليا الخارجية . ان الخوف من ان يتكرر بالنسبة — لطرابلس — ما حدث قبل ثلاثين عاما بالنسبة لتونس كان الشبح الذي استند اليه بشكل ظاهر المحرضون على احتلال ليبيا .

وان الاقتناع بان هذا الاحتلال اصبح ضرورة لازمة لا تقبل المماطلة ، قد غذته الضجة التي خلقتها الصحف اليومية بصورة خاصة في البلاد في تلك الاشهر من عام ١٩١١ . وقد انضم الى القوميين والى « ايديناسيونالي » كل من جوسبي بياتسا Giuseppe Piazza وجوسيبي بفيوني Giuseppe Bevione برسائلهم عن شمال افريقيا التي نشرتها « لاستامبا » « ولاتريبونا » وكذلك « جورنالي ديطاليا » «ومساجيرو » Il Messagero وريستودول كارلينو

(٢٧) جواكينو فولبي ، المصدر المذكور ص ٥١ .

والصحف الكاثوليكية « كوريري دي ايطاليا » Corriere d'Italia التي تصدر في روما و « افنيري ديطاليا » Avvenire d'Italia التي تصدر في بولونيا اي جميع صحف الاخبار الكبرى باستثناء « كوريري ديلاسيرا » التي انحازت فيما بعد الى اتجاه الصحافة الايطالية العام . Resto Del Carlino

وكانت هذه الحملة الصحفية ترمي اساسا ــ بناء على شهادات ووثائق تتفاوت صحتها ــ الى الاشادة بالاهمية الاستراتيجية والاقتصادية لطرابلس وبرقة والتشديد على خصوبتها ووفرة ثرواتها الزراعيةوالمعدنية مما كان يصور الاقليميين كهدف مثالي للهجرة الفلاحية الايطالية وخاصة الجنوبية منها . ومما يستحق الاشارة هو ان هذه الحملة الصحفية مع تفاوت لهجتها كانت تشترك في نفس الاتجاه والطابع الذي يرمي الى التدليل بصورة جوهرية على مبلغ الصفقة الكبرى التي قد تحققها ايطاليا باحتلال ليبيا وتاثير هذا الاحتلال الايجابي على تطور البلاد الاقتصادي . ــ وجميع ذلك كانت تعززه باستمرار الذكرى القديمة للحروب الصليبية ضد الاتراك ومعركة ليبانتو * وايضا صورة روما الامبراطورية وممتلكاتها الافريقية التي يمثل الاحتلال المحتمل عودة ايطاليا الى « الطرف الاخير من شواطىء البحر الابيض التي كانت تملكها »(٢٨) .

وهناك بعض الامثلة على هذا النوع من هذه الحملة الدعائية التي تبدو اليوم امام اعين القارىء الذي لا يستطيع ان يندمج في الجو الذي طبعت به ايطاليا في الذكرى الخمسينية تبدو مثير للدهشة والحيرة ، ففي الواقع هناك اكثر من علامة استفهام واكثر من شك قد يتولد في من يجتهد ان يفهم كيف ان هذا النجاح وهذا الحماس وهذه الضجة تقررها بصورة خاصة حملة

---

(٢٨) « هانحن » مقال في « لاستامبا » بتاريخ ٦ اكتوبر ١٩١١ .

* معركة بحرية كبرى دارت رحاها بين الاسطولين المسيحي والتركي في ليلة ٧ اكتوبر ١٥٧١ بخليج باتراس وادمى المسيحيون الانتصار على الاسطول التركي رغم ان خسائر الطرفين كانت متقاربة واستطاع الاتراك الاحتفاظ بقبرص التي كان تحريرها هدف القوى المسيحية المتحالفة (المعرب) .

راي عام كانت مليئة بالمتناقضات الكثيرة وبمظاهر كثيرة بدون قواعد اكيدة ، فتوجد صفحة معروفة لقايطانو سالفيميني G. Salvemini كرر فيها علامات الاستفهام هذه بحدة وحيوية زادها قوة طابعه البارع في الجدال : كتب سالفيميني يقول :

ان المؤرخ الذي يريد في المستقبل ان يعيد بناء هذه الفترة العكرة من حياتنا الوطنية عليه ان يحكم بان الثقافة الايطالية في العشر سنوات الاولى من القرن العشرين لابد وانها انحدرت كثيرا الى الاسفل حيث تمكنت الصحف اليومية الكبرى والصحفيون الذين يبدون انهم من الكبار من جعل البلاد باكملها تعتقد في السخافات الفظة التي ارادت ان تبرر بها العملية الليبية وتثيرها . الا كان يوجد بايطاليا علماء جديون وذوي ضمير ماذا كان يفعل اساتذة الجامعات في الجغرافيا والتاريخ والاداب الكلاسيكية والقانون الدولي والمسائل الشرقية . واذا لم يقتنعوا لماذا تركوا البلاد ليغرر بها ؟ او انهم اعتبروا الامر غير مهم بالنسبة لهدؤهم الملكوتي ؟ ان الرد على هذه التساؤلات لن يسر جيلنا كثيرا (٢٩) .

من المؤكد ان تفسير الظاهرة التي حللها سالفيميني بصفته معاصرا ليست بالامر الهين فيجب القول ـ ان سالفيميني لم يبدو انه كان يدرك التطور الذي كان يقع في اوروبا وخاصة في ايطاليا في تلك السنوات . ان الصحافة كوسيلة اعلام جماهيرية قد ولدت في ايطاليا مع مولد القرن الجديد : التطور الاقتصادي الذي عرفته البلاد في السنوات الاولى من عهد جوليتي وتناقص الامية واهتمام طبقات أكثر من الشعب بالحياة السياسية وازدياد الطبقة المتوسطة من اصحاب المهن والموظفين من سكان المدن الذين كانوا يكونون تحت مظاهر كثيرة ـ هيكل ايطاليا في عهد جوليتي .

وكذلك تزايد ظاهرة توسع المدن ، كل هذه عوامل ساعدت على نشاة جهاز جديد قوي ليس للاعلام فقط وانما للاقتناع الخفي للجماهير وفي

---

(٢٩) قيطانو سالفيميني ، كيف ذهبنا الى ليبيا وكتابات اخرى من عام ١٩٠٠ الى ١٩١٥ بعناية اوقوستوتوري ، ميلانو ١٩٦٣ .

الخلاصة فان الصحيفة ـــ اي ـــ صحيفة الاخبار الكبيرة قد اكتسبت دورا واهمية لم تجربها ايطاليا من قبل . ولقد اكتسبت الصحف الايطالية في السنوات الاولى من القرن العشرين ثوبا مطبعيا جيدا واكثر حيوية وبدات تبرز العناوين الكبيرة وتزداد الخدمات المصورة وتطورت ابواب مختلف احداث الساعة واخذت تتوطد اكثر فاكثر شخصية « المندوب الخاص » والمراسل في الخارج واعطى الاهتمام بالاخبار الرياضية التي تلهب خيال القارىء المتوسط وتغذي التطرف الوطني (٣٠) كما تطورت ايضا صفحات الاعلان وولدت الصفحة الثالثة المخصصة للنقد الادبي والمسرحي الفني . وفي الخلاصة فان الصحيفة لم تعد بعد شيئا ثمينا خاصا ببعض المطلعين او لصفوة سياسية او ثقافية فقد غدت الصحيفة مع القرن الجديد مادة استهلاكية يتسع انتشارها باستمرار وتدخل في كل يوم الى المكاتب والمنازل وفي المصانع ايضا وتنجح في فتح ثغرة في العقول والضمائر وقد لاحظ البرتو كارا تشولولو Alberto Caracciolo وكان يتحدث عن الحرب العالمية الاولى ولكن كلامه كان يبدو متلائما وصالحا ايضا بالنسبة للفترة التي نقوم بدراستها فقال :

« أن من كان يعرف كيف يستفيد من الوسائل الجديدة كان فيامكانه ان يكسب معارك كبيرة في تلك التي كانوا يطلقون عليها اسم الحرب النفسية Psycological Warfare التي كان في امكانها ان تدعم انفعاليا نفوسا وقوات للحصول على جهود لم تعرف من قبل (...) ان النتيجة الخارقة للوضع الجديد للاعلام والصحافة والتعليم تكمن فعلا في امكانية نقل احداث « وكلمات سر » في الحال وفي العمق لدى تجمعات كبيرة من الجماهير وحيث ان هذه

---

(٣٠) هناك امر ذو مغزى وهو انه في الوقت الذي كانت صحف « البرجوازية » والصحف القومية تعطي اهمية للاخبار الرياضية وتشجيع تطور الرياضة كانت الصحف الاشتراكية وعلى سبيل المثال صحيفة « افانتي/ارديا » لسان حال اتحاد الشباب الاشتراكي كانت تدعو الشبان الى عدم الاشتراك في الاحتفالات الرياضية ثم عندما رأى ان الشبان تستهويهم الرياضة فكروا في ابتكار « راكبي الدراجات الحمر » الذين يقومون « برحلاتهم الاجتماعية في الارياف والضواحي ويؤدون دعاية طيبة » (راجع جوسبي ساماريلا Giuseppe Mammarella اصلاحيون .. وثوريون في الحزب الاشتراكي الايطالي ١٩١٢ ـــ ١٩٠٠ » ـــ بادوفا ١٩٦٨ ص ٢٩١) .

التجمعات كانت قابلة (...) لان تكون من خلال وسائل الاعلام الجماهيرية دائما اكثر تماثلا « في المواقف كما يقول تومبي Toynbee وبالتالي حتى في القرار والعمل ايضا » (٣١) .

ان انفجار الموافقات على الحرب ضد تركيا كان بالفعل ظاهرة محدودة في المدن وفي المراكز التي تقرأ وتنشر فيها الصحف بينما كان قسما من العمال « وجميع سكان الارياف غريبين تماما عن ذلك كما قال لويجي ايناودي (٣٢)

ولننظر الى بعض الامثلة لهذه الحملة الدعائية التي تطورت في ايطاليا ما بين ربيع وصيف عام ١٩١٢ . ولنبدأ من الموضوع الذي كان اكثر استغلالا واكثر شيوعا : وفرة الموارد الاقتصادية الليبية وهذا الموضوع كان عزيزا على نفس جوسيبي بفيوني وهو من خيرة صحافي ومحرري « لاستامبا » التي كانت تصدر بتورينو القريبة من رئيس الوزراء وكان يتولى ادارتها (الفريدو فراساتي Alfredo Frassati احد انصار جوليتي .

ولم يكن بفيوني يخفي في ذلك الوقت عطفه على القوميين . فقد القى يوم ٦ فبراير ١٩١١ محاضرة عن الارجنتين لحساب الجمعية القومية ، وفي عام ١٩١٥ ترك صحيفة « لاستامبا » لانه لم يشارك الصحيفة موقفها الحيادي — وانتخب في عام ١٩١٣ نائبا عن القوميين ثم عين وكيل وزارة لرئاسة الوزارة في عهد حكومة بونومي ما بين عامي ١٩٢٢ — ١٩٢١ واخيرا انتهى بالانضمام الى الفاشيستية . وقد قام جوسبي بفيوني في ابريل ١٩١١ برحلة الى طرابلس من حيث بعث الى صحيفته بعدة رسائل جمعها فيما بعد في كتاب (٣٣) .

---

(٣١) البروتوكاراتشولو A. Caracciolo « دخول الجماهير المسرح الاوروبي » موجود في AA. VV. « جراح التدخل » المذكور ص ٢٢ . راجع ايضا فاليريوكاسترونوفو « الصحافة الايطالية من الوحدة الى الفاشية » باري ١٩٧٠ ص ١٨٧ وما يليها (Valerio Castronovo)

(٣٢) لويجبي ايناودى / المصدر المذكور ص ٦٣٨ .

(٣٣) جوسيبي بفيوني « كيف ذهبنا الى طرابلس » المذكور

ـ وكتب من درنة يوم ٨ مايو يقول :

« نخيل وزيتون وتين ولوز ومشمش وبرتقال وشجر ارز وموز ، وجميعها تملا الحقول والبساتين وتطل بغبطة من وراء الجدران القصيرة الفاصلة ما بين العقارات مثلما يطفح النبيذ الكريم من على حافة الكاس » (٣٤) .

وبعث بفيوني برسالة من طرابلس في ١٣ يونيو يصف فيها القطر الطرابلسي باوصاف جنة الله في ارضه :

« رايت اشجار توت كاشجار الزان واشجار زيتون اضخم من شجر السرو . الاعشاب الطبية تحصد اثنتي عشر مرة في العام . وتترعرع اشجار الفاكهة بصورة رائعة . اما انتاج القمح وحبوب القصب فيبلغ في المتوسط ثلاثة او اربعة اضعاف ما تنتجه خيرة اراضي اوروبا المزروعة بطريقة علمية . والشعير من اجود ما عرف وتحتكره انكلترا من اجل صناعة البيرة وتزدهر المواشي التي رغما عن الاهمال المخيف الحالي الموجودة فيه فانه يصدر منها مئات الاف الرؤوس الى مالطا ومصر . الكروم تنتج عناقيد العنب يزن الواحد منها كيلوغرامين او ثلاثة كيلوغرامات . والبطيخ ينمو بصورة لا تصدق اذ تزن الحبة الواحدة ما بين عشرين وثلاثين كيلوغراما » (٣٥) .

وفي الخلاصة فان طرابلس كما تراءت لبفيوني كانت جديرة « بما كنا نفكر فيه » وفي ٣٠ يوليو ١٩١١ وجه بفيوني من على صفحات جريدته « رسالة مفتوحة » الى جوليتي بتكليف من الفريد وفراساتي . وكانت الرسالة عبارة عن دعوة الى جوليتي للعمل ووضعه امام « مسئولياته التاريخية والسياسية » وتنبيهه الى خطر تصفيته سياسيا اذا استمر في التردد وترك الفرصة تضيع منه (٣٦) .

---

(٣٤) نفس المصدر ص ٦٣ .
(٣٥) نفس المصدر ص ١٧١ .
(٣٦) نفس المصدر ص ١٦٢ . « ان المسالة طرابلس ايها النائب جوليتي ــ اضاف بفيوني ــ مسالة داخلية لا خارجية . ففي طرابلس الكثير من الكبريت مما يعرض سيشليا للجوع اذا استولى عليها اخرون » (ص ١٦٣) .

وقد كتب بفيوني الى جوليتي في رسالته هذه قائلا : « ان هناك لحظات في حياة الشعوب حيث يجيء دور رجال السلام والاصلاح الداخلي ليتولوا دور رجال الحرب والتوسع الخارجي : لان حياة الشعوب متعددة الوجوه ورجال الدول يجب ان يكونوا قوى عالميـــة في استطاعتهم مـــواجهة وحل جميع المشاكل التي يعمل الواقع الذي لا يكل على خلقها ولو كان الثمن ان يكونوا شخصيات عظيمة مدمرة فاشلة » (٣٧) .

ونفس لهجة بفيوني نجدها لدى صحفيين اخرين مثل جوسيبي بياتسا محرر « لاتريبونا » وهو صقلي يهتم بالدراســـة الادبية والفلسفية ومرتبط بالثقافة الالمانية (٣٨) وقد ذهب هو ايضا الى طرابلس في ربيع ١٩١١ قبل ذهاب بفيوني وارسل من هناك عددا من الرسائل الى صحيفته جمعت في كتاب اطلق عليه اسما ذا مغزى وهو « ارضنا الموعودة » (٣٩) واوصاف ومخططات بياتسا تشبه كثيرا تلك التي ذكرها بفيوني والجوهر يظل واحدا : اي ان هناك في طرابلس امكانية تحقيق معجزة من « الكـــروم والزيتون والفواكه والحبوب » (٤٠) فكانت هذه الافكار عبارة من نغمة واحدة تتكرر وتقفز من صحيفة لاخرى بلهجات تزداد افتعالا وهي نفس اللهجة التي كان كوراديني يستعملها في رسائله :

« يعتقد ان بطرابلس ثلاثة ملايين نخلة مثمرة (٤١) (...) وبرقة خصبة

---

(٣٧) المصدر المذكور ص ١٩٢ .

(٣٨) في عام ١٩١٩ تولى بياتسا رئاسة تحرير صحيفة « تريبونا » ولكن في عام ١٩٢٣ غادر الصحيفة بعد ان تخلى اوليدو مالاقودي O. Malagodi من ادارتها . فانتقل بعد ذلك الى صحيفة « جورنالي ديطاليا » تحت ادارة فيتوريو فيتوري V. Vettori وظل بها حتى عام ١٩٣٦ عندما التحق بصحيفة « لاستامبا » كمراسل لها من برلين . وتولى ايضا امانة المعهد الاستعماري الايطالي وساهم في تحرير مجلة « بوليتيكا » .

(٣٩) جوسيبي بياتسا « ارضنا الموعودة » رسائل من طرابلس مارس — مايو ١٩١١ . روما ١٩١١ .

(٤٠) نفس المصدر ص ٧٩ .

(٤١) يقول بفيوني ان طرابلس وحدها تملك مليوني نخلة (جوسيبي بفيوني المصدر المذكور ص ١١٢) .

جدا ، فقيرة في المياه السطحية وغنية بالمياه الباطنية (٤٢) (...) ومرتفعاتها الجبلية مغطاة بالغابات وبالقمح والشعير والمراعي . هناك معادن كبريت وفوسفات ومعادن ثمينة (...) والجو في برقة شبيه باغلب اجزاء طرابلس صحي جدا والحرارة تشبه حرارة صقلية ، فهاتان المنطقتان اي طرابلس وبرقة هما التركة المتبقية لنا من امبراطورية روما على شواطىء افريقيا » (٤٣) .

وهكذا يدخل عامل جديد يزيد من خصوبة الادب المؤيد لغزو طرابلس في عام ١٩١١ . وذلك عودة ظهور اسطورة روما الامبريالية المسيطرة على بحار وشعوب الشرق . ان الحكم الروماني الذي تلته « افات الحكم العربي والتركي » — يلاحظ بفيوني — كان ولا بد ان يخلفه « حكم رابع اسمى ينطلق بل يعيد انطلاقته من نفس الشواطىء التي ذهبت منها الى برقة اقوى الاداريات حاملة نسور الكتائب « وذلك من اجل » اعادة الاوضاع القديمة واحياء الاراضي المتروكة من اجل زراعة الحبوب والزيتون ، (٤٤) وتربية الماشية والحيوانات ولتجعل من « بنتابوليس » (المدن الخمس) التي اقام فيها القدماء حدائق هسبيريدس .. لتجعل منها من جديد درة افريقيا وقرة عين البحر الابيض المتوسط . (٤٥)

وقد طرح الموضوع بشكل يثير التاثر ويوقظ اساطير المذهب التقليدي (كلاسيكية) ويخلق جوا من الكبرياء الوطنية وطموحات العظمة الخطيرة . ولقد ولدت الامبريالية الايطالية التي لم تعد تقتصر على الخطب وعلى مقالات

---

(٤٢) اكد بفيوني ان المياه تمتد « في طبقة متصلة من الجبل الى البحر على عمق بسيط يبلغ احيانا مترا او مترين تحت سطح الارض » (جوسبي بفيوني المصدر المذكور ص ٦٢)

(٤٣) انريكو كوارديني ، المصدر المذكور .

(٤٤) بخصوص شجر الزيتون لاحظ بفيوني « ان الشجيرات الكثيفة غير المنخفضة والتي يميل لونها الى الصفاء قليلا » والتي كانت تنتشر على الشواطىء فهي ليست الا « اشجار الزيتون البري الذي اوجدته جذور اشجار الزيتون الجيد الذي زرعه قدماء الرومان » (جوسبي بفيوني ، المصدر المذكور ص ٥٦ — ٥٤) .

(٤٥) نفس المصدر ص ٥٥ .

امثال كورانيني اودي فينزي بل كظاهرة عامة ومنتشرة بين طبقة البرجوازية المتوسطة فـي البلاد . وقد قام روبرتو ميكيلس Roberto Michels بتحليل دقيق لهذه الظاهرة التي وضعت اقدامها في ايطاليا في تلك الفترة وحاول ان يلقي قبل كل شيء الضوء على التناقض القائم حول مطلب يستند على قانون يعود الى اكثر من خمسة عشر قرنا الى الوراء . وهو مطلب يقول عنه العالم الاجتماعي المشهور :

« انعكس على عقول اتباع المذهب الابتداعي (رومانتيكي) — ومن لم يتاثر بهذا المذهب في تلك الايام ولو قليلا ؟ — وذلك مثل قانونا عنصريا ومعنويا وترك جانبا الفاصل الزمني بين طرابلس الرومانية وطرابلس التركية الذي دام اكثر من الف وخمسمائة عام فتجاهلوا جميع التغييرات الكبيرة العنصرية والمعنوية والقانونية والاجتماعية التي احدثتها حتميا هذه الفترة الزمنية في تنظيم شمال افريقيا وفي تنظيم ايطاليا نفسها .

وكانت الاغلبية تصدر احكامها على اساس منطق مذهل للغاية صائحين ان طرابلس كانت لنا ويجب ان تعود الينا » (٤٦) .

— وجوفاني باسكولي نفسه Giovanni Pascoli * قد بدأ في تلك الايام وكانه

---

(٤٦) روبرتوميكلس R. Michels « الامبريالية الايطالية » ميلانو ١٩١٤ ص ١١٥ .

« لواردات الامم لن تطالب بحقها التاريخي — واصل ميلكس كلامه — في اعادة الحدود التي كانت لها في اوقات مجدها الغابر (....) فان اوربا قد تجد نفسها في وقت قريب وقد تحولت الى ساحة صراع بربري ورجعت الى عهد هجرة الشعوب الهمجية .

وسوف لن يوجد شعب واحد سيدا في دياره .

وتظهر بسهولة افن سحة خيال البرنامج الذي يقدمه الادباء المتوبين بالسياسة وبلا شعورية الى رجال الدولة . وهذا ليس معناه اننا ننكر ان ذكرى المملكات القديمة قد يكون وسيلة تاكتيكية مفيدة في اوقات حرجة في السياسة الخارجية لاشعال حماس الجماهير الشديد حتى وان كان هذا الاسلوب من الوجهة المعنوية ناقصا دائما . غير ان هذه الذكريات تشعر الجماهير بان استعمال القوة واعمال النهب المحاطة بهالة الحق القديم هي عملية خداع ضرورية لاثارة نشاط الجماهير الحربي وهي المتعطشة دائما للعدالة بقدر ما هي عاجزة من اكتشافها » (ص ١١٨) .

* شاعر ايطالي شهير (المعرب)

مسحورا بتلك الرؤيا الابداعية — الادبية وهي عودة روما الى الشواطىء التي كانت تملكها فيقول : يا طرابلس ويابرنيقه ويالبتس ماجنا (...) سوف ترين من جديد بعد قرون عديدة المعمرين من سلالة دوريو والكتائب الرومانية انظروا الى اعلى فهناك ايضا النسور » . (٤٧)

والغريب ان الصحيفتين الاكثر قربا من رئيس الوزراء وهما « لاستامبا » و « لاتريبونا » كانتا من بين اكبر الضاغطين على المسالة الليبية . وقد راى عدد غير قليل من الناس ومن ضمنهم سالفيميني ان موقف الصحيفتين من الممكن ان يكون بتوجيه من جوليتي نفسه لخلق الجو المساعد ليقوم فيه بمبادرته التالية (الغزو) (٤٨) وبالطبع لم تنقص المقدمات لتعزيز مثل هذا الافتراض ولكن حتى الان لا توجد الادلة لتاكيد ذلك . وتحليل هذه الظاهرة بدقة على ضوء بعض الاعتبارات لا يمكن اعتماده نظرا للافتراض المذكور . فعندما سافر « بفيوني » و « بياتسا » الى ليبيا وشرعا في كتابة مقالاتهما المحرضة على الاحتلال (مارس — ابريل ١٩١١) كانت الاوضاع بالنسبة لاستعمال القوة الايطالية في ليبيا غير واضحة ولم تكن الحالة الدولية في تلك الفترة بالطبع مساعدة على القيام بحطة في ليبيا . فقد اكد وزير الخارجية سان جوليانو نفسه امام مجلس النواب يوم ٧ يونيو ان السياسة الايطالية « اسوة بسياسة الدول الاخرى » تقوم على المحافظة

(٤٧) نص خطاب باسكولي هذا الذي القاه يوم ٢٥ نوفمبر ١٩١١ منشور في « منشا ايطاليا المعاصرة » الذي اعتنى بنشره اوتاليوبارليه O. Barlé روكا سان كاشانو Rocca San Casciano ١٩٦٦ ص ١٠٨ — ١٠٤ .

(٤٨) كتب سالفيميني « هل من الممكن ان صحيفتي « لا تريبونا » و « لاستامبا » تحركتا دون توجيه من الحكومة ؟ (تايطانو سالفيميني ، المصدر المذكور ص ٣٢٩) . ويبدو ان رفائيلي مولينيلي ايضا من هذا الراي حيث كتب « ان تحرك اول صحيفتين كبيرتين لصالح الغزو كان من قبل الصحيفتين الاكثر ارتباطا برئيس مجلس الوزراء فهذا اذا ما عرفنا الرجل والزمن لا يخلو من مغزى » ويعتبر موليناللي بالاتفاق مع سالفيميني ان الحملة الصحافية قد افادت جوليتي « اكثر مما كان يرغبه » (رفائيلي مولينيللي ، المصدر المذكور ص ٨٩ — ٨٨) ويرى فولبي ان موقف صحافة جوليتي قد يكون بايحاء من جوليتي نفسه ليكون دائما له للتخلص من اخر الترددات (جواكليوفولبي ، المصدر المذكور ص ٤١) .

على الوضع القائم بالنسبة لسلامة الاراضي وكيان الامبراطورية العثمانية»(٤٩) ولم تبرز امكانية العمل في طرابلس الا بعد انفجار الخلاف الفرنسي ــ الالماني حول مراكش (يوليو ١٩١١) ولهذا يبدو اذن من غير المحتمل ان يحاول رئيس الوزراء تنشيط تيار الراي العام الذي لم يكن هو متاكدا من امكانية ارضائه ويعرض نفسه بذلك للانتقادات الحادة والعنيفة في حالة فرض عدم التحرك عليه .

ولا يجب ان ننسى ان جوليتي بالرغم من قدرته على مراقبة « لاستامبا » « ولاتريبونا » لصداقته بمديريهما « فرساني ومالاتودي » فانه كان وراء مجموعات مالية وصناعية كانت تعمل دائما من وراء هاتين الصحيفتين بثقل قوي وان كان مختلفا . (٥٠)

ويكفي القول ان نجد وراء « لاتريبونا » اجهزة مثل المصرف التجاري الذي يملكه جويل Joel وايرازموبياجو Erasmo Piaggi ومصانع السكر اللومباردا الليقوري لصاحبها اميليو بروتسوني Emilio Bruzzone وهي مجموعات قامت قبل بضعة اشهر بتمويل الصحيفة الرومانية التي كانت تجتاز ازمة خطيرة .

اما فيما يخص « لاستامبا » فان دي سان جوليانو نفسه قد بعث برسالة الى جوليتي يوم ٩ اغسطس ١٩١١ ينتقد فيها لهجة الصحيفة التورينية التي تقف بصورة خاصة موقفا سلبيا من العمل الدبلوماسي الذي كان الوزير يقوم به ووصف الصحيفة بانها « وزارية في كل شيء ما عدا السياسة

(٤٩) وزارة الشئون الخارجية ، « ايطاليا في افريقيا » المجموعة التاريخية : « سياسة ايطاليا الاستعمارية في الوثائق والمحفوظات النيابية » ، نص جاكمو برتيكوني G. Berticone اعتنى بوضعه توليلموتوليلي G. Guglielmi روما ١٩٦٤ ص ٨٥ .

(٥٠) لننظر على سبيل المثال كل النشاط الذي بذله جوليتي وورلاندي ريتشي في اغسطس ١٩١٠ من اجل الحصول على مساهمة تمكن صحيفة « لاتريبونا » من البقاء على قيد الحياة في » من اوراق جوليتي « المصدر المذكور المجلد ٣ ص ٢٢ ــ ١٧ . وحدث في نفس الوقت تعيين مالاتودي مديرا لصحيفة « تريبونا » وخروج لويجي رو واتوبطو فيريرو .

الخارجية » (٥١) وفعلا كان هناك ما يبرر امتعاض سان جوليانو من صحيفة « لاستامبا » فقد قامت الصحيفة بهجومات عنيفة حازمة ضد وزير الخارجية متهمة اياه بسلوك سياسة تعسة . وبلغ بها الامر الى التاكيد ان سان جوليانو كان يبدو « غير متهم » بسياسة البلاد الخارجية ودعت جوليتي الى التخلص من وزير خارجيته ومن الواضح ان صحيفة « لاستامبا » ربما كانت لا تستطيع ان تنال من شخص جوليتي مباشرة فكانت توجه هجومها الى المسؤول عن السياسة الخارجية غير ان الاتهام كان في الواقع يشمل السلوك « الجامد » لكل الهيئة الحكومية .

اما فيما يتعلق بصحيفة « لاتريبونا » فالامر الغريب انها بعد ان ظلت لفترة طويلة من بين اشد الصحف المحرضة على احتلال طرابلس قد اعتدلت في حماسها بشكل ملحوظ قبل انفجار القتال بايام لدرجة انها نشرت ثلاث مقالات لقايطانو موسكا Gaetano Mosca التي من خلالها مياها كثيرة على نيران الحماس . ولا نجازف اذا افترضنا ان تدخلا من الاعلى قد احدث التغيير في اسلوب الصحيفة الرومانية من اجل تمكين الحكومة من العمل في هدوء بعد ما اتخذ جوليتي قراره ــ على ما يبدو ــ بالعمل على الغزو (٥٢) .

ومن جهة اخرى فان رجالا لجوليتي مثل « فراساتي » « ومالاقودي » لا يجب بالضرورة ان يشاركوا رئيس الوزراء في كل عمل ومبادرة يقوم بها . وان « مالاقودي » نفسه لم يتردد ان يلاحظ عام ١٩١٥ انه بالرغم من « الاحترام والصداقة اللتين يكنهما لجوليتي فانه لم يكن متفقا معه فيما يتعلق بالتدخل الايطالي في الحرب العالمية (٥٣) ولاحظ « فراساتي بدوره

---

(٥١) نفس المصدر المجلد ٣ ص ٥٨ .

(٥٢) بخصوص تغيير لهجة « لاتريبونا » راجع مارشيلا بنكيرلي المصدر المذكور ص ٧٤ ــ ١٧٠ .

(٥٣) اولينډو مالاقودي O. Malagodi حديث من حرب ١٩١٩ ــ ١٩١٤ نشر بعناية بونيللو فنشنزي Brunello Vigenzi نابولي ١٩٦٠ ص ٦٣ .

ان تاييده لجوليتي كان نتيجة ملاقاة في « المثل العليا » غير ان كل واحد كان يعمل في محيط نشاطه » (٥٤) .

واشار نينو فاليري Nino Valeri الى انه « من الصعب التحقق من المتانة السياسية والمعنوية للولاء الذي ربط اتباع جوليتي الاكثر التزاما برئيسهم بحيث ان الحكم على هذا الولاء يبدو بدون شك غير سليم . اما بالنسبة للمبالغة في الاطراء الذي لم يغربل بصورة انتقادية واما بسبب التخوف لمن لا يريد ان يبدو عميلا ويميل الى الانتقام عمدا او عفوا لعمالته حتى سنحت له الفرصة » (٥٥) .

وفي هذا التحليل للدور الذي لعبته الصحافة اليومية في سبيل تحقيق الحملة الليبية لا يمكن التقليل من اهمية موقف صحيفة جديدة نسبيا ظهرت في ميدان الصحافة الوطنية الا وهي صحيفة : « كوريري ديطاليا » Corriere d'Italia وهي صحيفة رومانية اسست عام ١٩٠٦ وفرضت نفسها في ميدان الصحافة ذات الاتجاهات الكاثوليكية بصفتها صحيفة من نوع عصري ذات خدمات ومراسلات واسعة وجديدة كلية بالمقارنة مع تقاليد الصحافة الكاثوليكية فيما بعد الوحدة . ولا يجب اهمال الامر من ان هذه الصحيفة الجديدة قد حاولت ان تنطق — داخل الميدان الكاثوليكي — باسم السياسة الرامية الى تحطيم التطرف الاحتجاجي القديم واشراك الكاثوليك في النظام السياسي لدولة الاحرار (ليبرالية) ، مقتربة من الميول المعتدلة لرجال مثل تيتوني Titoni اوكاميروني Cameroni وقد ايدت الصحيفة تدخل الكاثوليك في الانتخابات السياسية لعام ١٩٠٩ . وقد تولى باولوماتي جنتيلي Paolo Mattea Gentile ادارة الصحيفة عام ١٩٠٨ بعد ان عمل فيما بعد في الجناح الايمن للحزب الشيوعي وانضم الى الفاشيستيةحيثتولى

---

(٥٤) الفريد فراساتي A. Frassati « جوليتي » فلورنس ١٩٥٩ ص ٩ . بخصوص ملاقات فراساتي بجوليتي راجع فاليريو كاسترونوفو المصدر المذكور ص ٨٧ — ١٨٢ .

(٥٥) نينوفاليري Nino Valeri مقدمة الى جوفاني جوليتي « خطابات خارج البرلمان تورينو ١٩٥٢ » ص ٦١ — ٦٠ .

وكالة وزارة العدل عام ١٩٢٥ ثم عين عضوا في مجلس الشيوخ عام ١٩٣٤ ودخلت صحيفة « كوريري ديطاليا » في اتحاد الصحف الكاثوليكية التي كان يترأسه جوفياني قروسولي (٥٦) Giovanni Grosoli وهي بالاشتراك مع صحف اخرى من هذه السلسلة مثل صحيفة « افنيري ديطاليا » الصادرة ببولونيا . والتي كانت مناشد المؤيدين للحرب الليبية لدرجة ان الكثيرين راوا وراء هذه الصحافة الكاثوليكية ووراء « كوريري ديطاليا » بصورة خاصة ظل بنك روما . ولا شك انه بالنظر للروابط القائمة ما بين بنك روما والراسمالية الكاثوليكية الرومانية من جهة وما بين هذه الاخيرة وصحيفة « كوريري ديطاليا » من جهة اخرى فانه لابد ان تاثير هذه الاوساط على الصحيفة كان موجودا (٥٧) . وفي تقرير بعث به قنصل ايطاليا بطرابلس بستالوتسا Pestalozza بتاريخ ١٥ اغسطس ١٩١١ الى دي سان جوليانو لم يخف

---

(٥٦) الصحف الكاثوليكية التي انضمت الى الاتحاد (الشركة الرومانية للنشر) كانت «كوريري ديطاليا» الصادرة بروما و «افنيري ديطاليا» الصادرة ببولونيا و «ايطاليا » الصادرة بميلانو » و «مومنتو» الصادرة بتورينو و «ميساجيرو توسكانو» الصادرة في بيساو و«كوريري دي سيشليا» الصادرة ببلرمو . « الان الامر يتعلق بصحافة : لاحظ تابريلي دي روزا — لا علاقة لها بالصحافة القديمة المتطرفة : فهي الصحف اليومية الكبيرة العصرية من حيث انها حرة وملحة ومهتمة جدا بالمشاركة في مشاكل الحياة الايطالية ولا تركز على المسالة الرومانية وتؤيد ترشيحات الكاثوليك السياسية (تابريلي دي روزا ، المصدر المذكور مجلد 1 ص ٥٤٠ — ٥٣٩) . بخصوص مولد صحيفة « كوريري ديطاليا راجع فرانشسكو مالجيري « الصحافة الكاثوليكية بروما من عام ١٨٧٠ الى ١٩١٥ « برشا ١٦٩٥ ص ٣٠ — ٣٢١ .

(٥٧) بخصوص مساعدة بنك روما لصحيفة « كوريري ديطاليا » فقد دار الحديث عنها في فترة الحزب الشعبي . وقد امزى فرنشيسكو لويجبي فيراري F. L. Ferrari تمويل صحف الاتحاد الى بنك روما والى اصحاب مصانع السكر (تم حل اتحاد الصحف الكاثوليكية في سبتمبر سنة ١٩١٨) . (فرانسكولويجبي فيراري « العمل الكاثوليكي والنظام » فلورنس ١٩٥٨ ص ٣) وكتب البرتو دي ستيفاني A. De Stefani ايضا يؤكد لن بنك روما كان يمول صحيفة « كوريري ديطاليا » (البرتو دي ستيفاني « فوضى مصرفية » ميلانو ١٩٥٧ ص ٢٨١ ، راجع ايضا دي روزا « المحافظون الوطنيون » المذكور ص ١٠٣ وما يليها) ومع عدم امكان نفي مساعدة بنك روما لصحيفة « كوريري ديطاليا » وصحف اخرى بالاتحاد الكاثوليكي وذلك حتى بالنسبة

الروابط القائمة ما بين الاستاذ تشيبوليتي Cipolletti مندوب « كوريري ديطاليا » والكمندتور بريشاني (مدير بنك روما بطرابلس) الذي كان يعمل من أجل « بقاء الحملة القومية حية » (٥٨) وقامت صحيفة « كوريري ديطاليا » بنشاطها الدعائي لليبيا حسب الاساليب التقليدية المتكررة اكثر من مرة : الشكوى من العداء التركي ، ثروات الاراضي الليبية ، ضرورة قيام الحكومة بسياسة حازمة والاشادة بالنشاطات الايطالية في ليبيا ، ووصل الامر بالصحيفة عند منتصف سبتمبر الى الشكوى من الملك نفسه لانه معارض لرغبة الحكومة والبلاد :

« تشير بعض الجهات الى ترددات وحيرة قد تعرقل عمل الحكومة الايجابي وانها ناتجة عن نصيحة بناء على التحريات التي جرت لدى الحكومات الاوروبية وان تردد رئيس الوزراء قد يعود الى عدم تشجيع الجهات العليا له وقد اردنا الاشارة على سبيل العلم الى ما يتكررفي هذا الصدد في بعض الاوساط السياسية ونظرا لخطورة الامر فاننا نتردد في ضمان صحتها حيث انه من الصعب الاعتقاد ان الارادة العامة لامة تطالب بضمان مستقبلها السياسي والاقتصادي من الممكن ان تواجه برفض اشخاص تلجا اليها نفوس البلاد الواثقة في امل الحصول على حمايتها القوية » (٥٩) .

ولم تختلف بقية صحف المجموعة التي يتراسها قروسولي مثل « مومنتو » التي كانت تصدر بتورينو و « لافنيري دي ايطاليا » . التي كانت تصدر ببولونيا والتي شنت في ٥ يوليو حملة عنيفة ضد دي سان جوليانو وبلهجة

للفترة السابقة ومع هذا يجب الملاحظة ان « شركة النشر الرومانية » كانت صحفها في تلك السنوات تواجه صعوبات مالية جمة . راجع فابريلي دي روزا » تاريخ الحركة الكاثوليكية بايطاليا » المصدر المذكور مجلد ١ ص ٤١ – ٥٣٩ . وبخصوص صحيفة « افنيري ديطاليا » راجع لورنسوبدسكي Lorenzo Bedeschi مغزى واهداف اتحاد قروسولي منشور في راسينا بوليتيكادي استوريا Rassegna Politica Di Storia يونيو ١٩٦٤ ص ٢٤ – ٧) .

(٥٨) اليساندرود اليساندرو ، المصدر المذكور ص ٥٠٥ .

(٥٩) « كوريري ديطاليا » ١٤ سبتمبر ١٩١١ .

واسلوب صارم وفي حدود ـ اللياقة . ان الضعف والجمود الايطالي تجاه تركيا ـ حسب قول الصحيفة البولونية ـ كان الدليل على « سياسة الوزير دي سان جوليانو الخارجية المشؤومة » ولذلك « فان اليوم الذي ينزل فيه النائب المحترم دي سان جوليانو وهو رجل موهوب ولكنه لا ينتج بسبب مرض تصلب الشرايين الذي حطمه والتهاب المفاصل الذي لا يرحمه ـ يوم ينزل من درج الكونسولتا (وزارة الخارجية) بخطوات المتقاعد فسيكون ذلك اليوم يوم ارتياح وامل لايطاليا » (٦٠) .

وكانت صحيفة كوريري ديلا سيرا اخر كبريات صحف الاخبار التي دخلت في جوقة الدعاية لصالح العملية الليبية ويفسر لويجي البرتيني Luigi Albertini هذا السكوت في اول الامر بتمسك « الكوريري بتقاليدها في « معارضة المغامرات الاستعمارية » ثم لاقتناعها الضئيل بفائدة احتلال ليبيا من الناحيتين الاقتصادية والعسكرية (٦١) . ويؤكد البرتيني ان ما جعله يحطم التردد ويقنعه بمناسبة تاييد الحملة الليبية هو تدخل عوامل تقدير سياسية ومعنوية والتحقق بانه في تلك الفترة « لم تعد هناك امكانية الخيار

---

(٦٠) « اهانة تركية جديدة » منشورة في « افريزي ديطاليا » ٥ يوليو ١٩١١ . بخصوص صحيفة « مومنتو » راجع ماسيمو سالفادوري Massimo Salvadori « الحركة الكاثوليكية بتورينو » ١٩١٥ ـ ١٩١١ تورينو ١٩٦٩ ص ٤٨ ـ ٤١ .

(٦١) « ان اوضاع البلاد الداخلية السياسية والمالية ـ كتب البرتيني ـ وشعورنا بالتزامات نحو للجنوب والجزر قبل المناطق الاستعمارية والاقتناع بعدم تحريك وسائل دفاعنا في اتجاه النمسا التي ولابد من الصراع معها عاجلا ام آجلا وكذلك قلة مياه الاراضي الليبية واستحالة توجيه تيارات للهجرة اليها كل ذلك دفعني في صيف ١٩١١ الى التامل حول الطرق التي يجب اتباعها . وكنت مترددا حول فوائد الاحتلال المادية وحول الفوائد العسكرية . فلم اكن اعتقد اذ ذاك كما لا اعتقد اليوم في النظريات الكثيرة المنتشرة حول ما يسمونه « بالمفاتيح » * وحول المزايا التي سوف يتحصل عليها مركزنا في البحر الابيض المتوسط بعد احتلال الموانيء الليبية . فان ما يبدو لي ان ايطاليا بدلا من ان تقوى فانها ستضعف بعد وضع اقدامها على الاراضي الامريكية (لويجي البرتيني « عشرون عاما من الحياة السياسية » . القسم الاول مجلد ٢ : ١٩١٤ ـ ١٩٠٩ بولونيا ١٩٥١ ص ١١٢)

ما بين طريقين فلم يعد في امكاننا التخلي عن ممارسة حقوق اقمنا عليها معاهدات وصداقات » (٦٢) .

وان الحجج التي يقدمها البرتيني لتفسير تحول صحيفة « كوريري ديلا سيرا » ممكن قبولها بصورة عامة حتى ولو انه من المناسب البحث عن اسباب يبدو ان البريتني يريد السكوت عليها .

ولم يشر مدير « كوريري » ، الى عملية الاقناع التي بذلها معه بالحاح مراسله في روما النائب اندريا توري Andrea Torre من رجال السياسة والصحافة المرموقين وصديق لسونينو Sonnino الذي عمل معه كرئيس لمكتب الصحافة بوزارة الداخلية في الفترة التي تولى فيها سونينو رئاسة الوزارة في عامي ١٩٠٩ ــ ١٩١٠ ، وكان اندريا توري هذا من معارضي جوليتي حتى ولو انه عام ١٩١٠ جاء ذكره كمرشح لتولي ادارة صحيفة « لاتريبونا » بفضل مساعدة لوتساني (٦٣) ثم غدا فيما بعد من مناصري التدخل في الحرب الكبرى المتحمسين . وقد حاول منذ شهر يوليو ١٩١١ ضم البرتيني الى مواقع المؤيدين لطرابلس (لعملية الغزو) ذاكرا له ان عناصر كثيرة من بينها تغيير السفير والقنصل في اسطمبول وطرابلس تبعث على الاعتقاد « ان احتلال طرابلس لم يعد بعيدا » (٦٤) .

وكان اكثر حزما في رسالة اخرى مؤرخة في ٢٤ اغسطس سنة ١٩١١ لوح فيها بالخطر في انه اذا ظلت الحكومة بدون حراك فذلك معناه « كارثة ضخمة » وان ايطاليا ستصبح « سويسرا بحرية » متى ستبدؤون ؟ ــ يتابع توري ــ لا يجب اضاعة الوقت لقد تخليت عن الجبل لاكون هنا فوق الثغرة . واضيف ان الحملة اذا ما سارت بصورة باهرة ستفيد « الكوريري » كثيرا واني ابدا من مشكلة مراكش ومن تحقيق فرنسا لحلمها القديم في

---

* مراكز استراتيجية تتحكم في منطقة معينة . (المعرب)

(٦٢) نفس المصدر ص ١١٥ .

(٦٣) راجع « من اوراق جوليتي » المذكور مجلد ٢ ص ٣٠ ــ ٢٤ .

(٦٤) لويجي البرتيني « مراسلات » ١٩٢٦ ــ ١٩١١ نشر بعناية اوطافيوباريه O. Barié ميلانو ١٩٦٩ مجلد ١ ص ٧ ــ ٦ .

امبراطورية افريقية على البحر المتوسط . هل نحن متفقون ؟ واني اعود الى المحادثات التي جرت بيننا في مونتي كايتني . واكرر لك انني تحققت من كل شيء من اساسه » (٦٥) .

ليس هناك شك في ان قوات اخرى سياسية واقتصادية كانت تعمل وراء « توري » (٦٦) فعلى سبيل المثال كان هناك « سونينو » وحسب شهادة جاكمودي مارتينو كان دي سان جوليانو نفسه يضغط على «توري» كي يعمل على ضم صحيفة مثل « كوريري ديلاسيرا » الى جانب المحرضين على الغزو من اجل التغلب على تردد جوليتي ويذكر دي مارتينو نفسه ان توري تولى خلال صيف عام ١٩١١ « عملية اقناع لدى صحيفته ، وان « دي سان جوليانو من جهة اخرى كان ينتظر بفارغ الصبر تعديل موقف الكوريري الجديدوقد اكد للنائب توري ان تغيير اتجاهالصحيفة سيكون له اثر كبير على قرارات جوليتي » وعندما استطاع توري يوم ١٠ سبتمبر نشر اول مقالاته المؤيدة للغزو طار سان جوليانو من الفرح وفي اتصال تليفوني معه من « فيوجي » يقال انه اكد له « في امكانكم ان تعتبروا ان آخر الصعوبات قد تم اجتيازها وان الامر سيتم واشكركم باسم بلادنا » (٦٧) .

وقامت صحيفة « كوريري ديلاسيرا » بحملتها الصحافية التي بدأتها في ١٠ سبتمبر بذكاء واعتدال وليس من السهل العثور في مقالات هذه الصحيفة على المبالغات والتاكيدات المغالى فيها التي كانت تنشر في الصحف الايطالية الاخرى .

وكانت المواضيع التي عالجتها الصحيفة تتناول بصورة خاصة السياسة

---

(٦٥) نفس المصدر، ص ٧ — ٨ . مسودة هذه الرسالة محفوظة في A.C.S., C.T. b. 1, f. IV. « مراسلات سياسية » بتاريخ ٢٥ اغسطس ١٩١١ .

(٦٦) « عالم المصارف والصناعة والصفقات ينتصر » تاملوا في ذلك « كتب توري الى البرتيني في الرسالة المذكورة بتاريخ ١٩ يوليو (لويجيي البرتيني ، المصدر المذكور مجلد ١ ص٦)

(٦٧) جاكمودي مارتينو المصدر المذكور ص ٢٨٣ حاشية .

الخارجية وضرورة عدم الوقوف جامدين متفرجين على توسع المستعمرات الفرنسية والالمانية.

« ان الاتفاق الالماني — الفرنسي — كتب توري يقول — اعطى لافريقيا تنظيما جيدا لاندري الى متى سيدوم — وليس من مصلحة فرنسا ولا انجلترا ولا المانيا ان تعكر هذا الوضع بل ستعمل لكي لا يقوم الغير بخلق احداث جديدة تربكه .

فمن المناسب ان نعمل اليوم لا في الغد . اليوم يجب ان تحدد المسالة الطرابلسية ولا نتاخر بدون سبب ولا نؤجل بدون ان نصل الى نتيجة مثيرين تركيا بالادعاءات ولا نحقق ما نصرح به وهي حقوقنا » . (٦٨)

ونفس الاشادة بالموارد الاقتصادية الليبية جاءت بلهجة اكثر اعتدالا من غيرها ولم تنس الصحيفة الاشارة الى العمل الصعب الذي ينتظر ايطاليا لاستثمار الاراضي الجديدة (٦٩) . وعندما دعى توري في منتصف سبتمبر لصياغة مقال يؤكد فيه عدم وجود علاقة بين العملية الليبية والتحركات المحتملة في البلقان ، كتب رسالة الى البرتيني مؤكدا بانه لا يشعر في صميمه بانه في امكانه كتابة مواضيع مثل هذه لا يؤمن بها ضاربا بذلك المثل الاعلى على جدية ملحوظة للمهنة « لا نستطيع ابدا القول — كتب الى البرتيني يوم ١٥ سبتمبر — (..) اننا بذهابنا الى طرابلس لن نتسبب في اي انعكاسات في البلقان . من يضمن ذلك ؟ ان الحكومة تقول لا ولتتحمل هي المسؤولية » (٧٠)

ومما لا شك فيه — على كل حال — ان الثقل الذي احدثه انضمام

---

(٦٨) اندرياتوري « وقت الحلول » منشور في كوريري ديلاسيرا « ١٠ سبتمبر ١٩١١ بخصوص التكييف الذي اعطاه توري لحملة الصحافة لصالح الاحتلال المتعارض مع اراء البرتيني راجع اوتافيو باريه « سياسة كوريري ديلاسيرا » الوطنية منذ حرب ليبيا الى الحرب العظمى » منشور في مجلة « ريسور جيمنتو » اكتوبر ١٩٦٨ ص ١٧٣ .

(٦٩) راجع اندريا توري « قيمة طرابلس » منشور في « كوريري ديلاسيرا » ١٥ سبتمبر ١٩١١ .

(٧٠) لويجي البرتيني ، المصدر المذكور مجلد ١ ص ١١ . الرسالة مؤرخة في ١٥ سبتمبر .

صحيفة كوريري ديلاسيرا للعملية الليبية كان عظيما وقد احدث بالطبع اثرا لا يستهان به في القرارات اللاحقة التي اتخذها جوليتي . وان انضمام اكبر صحيفة معارضة لنظامه الى المحرضين على الحملة العسكرية كان ولا بد وان يرضي جوليتي الذي كان دوما شديد الحساسية للمسائل الداخلية وان يبرهن له على ازدياد ضيق ميدان المعارضين للحملة الليبية .

وكان جوليتي لا يجهل اي قوى سياسية واقتصادية وثقافية كانت تعمل من وراء صحيفة ميلانو ـــ وكان يعلم جيدا انه الى جانب البرتيني كان هناك مجموعة الاحرار ومن بينهم واحد من اكبر خصومه السياسيين : سدني سونينو (٧١) . ولا بد ان جوليتي قد شعر بتغطية اكبر لموقفه بعد الموقف الجديد الذي اتخذته صحيفة لويجي البرتيني (٧٢) . وبدخول « كوريري

---

(٧١) بخصوص معارضة « كوريري ديلاسيرا » لجوليتي ، راجع جامبييرو كاروتشي Giampiero Carocci المصدر المذكور ص ١٣٠ ـــ ١٣٢ وكذلك اوتافيوباريه « لويجي البرتيني» و «كوريري ديلاسيرا» ومعارضة جوليتي منشورة في مجلة «الكليو» يناير ١٩٦٨ « مساء امس كتب لي سونينو ـــ اكد توري في رسالته المذكورة المؤرخة في ١٥ سبتمبر (..) وهو ايضا يمدح ويشجع على الاستمرار ثم يدعونني الى « روميتو » لرغبته في محادثتي . » وقد تجاوز سونينو بهذه المناسبة خلافاته مع جوليتي وذلك لموافقته على سياسته الاستعمارية : راجع البرتو برغاميني Alberto Bergamini «جوليتي وسونينو» منشور في « اوسرفاتوري بوليتيكواي لتراريو Osservatore Politico E Lietterario يوليو ١٩٥٨ وقد اهداه الى « جوفاني جوليتي بعد ثلاثين سنة » ص ٨٩ وما يليها .

(٧٢) لاحظ « سالفيميني » نفسه اهمية الموقف الذي اتخذته صحيفة « كوريري ديلاسيرا ». ففي رسالة الى كارلو بلاتشي بتاريخ ٢١ سبتمبر ١٩١١ اكد « انك على حق عندما كتبت ان ممارسة السياسة من على اعمدة « لافوتشي » اسهل من ممارستها بوزارة الخارجية . ولكن لنتبه انه من السهل ايضا القيام بها من على اعمدة « كوريري ديلاسيرا » مع الفارق ان سياسة « كوريري ديلاسيرا الخارجية اعظم بكثير من سياسة « لافوتشي » فاذا صحنا طالبين الحرب ضد تركيا فان تركيا لا تشعر بذلك . اما صيحات « الكوريري » الى الحرب فهي اهم بكثير . (فايطاتو سالفيمني « اوراق » مجلد ١ : ١٩١١ ـــ ١٨٩٥ وضع بعناية الفيراجنقريللي Elviragingarelli ميلانو ١٩٦٨ ص ٥٠٣ ـــ ٥٠٢) بخصوص صحيفة « كوريري ديلاسيرا » والحرب الليبية راجع ايضا اوتافيوباريه سياسة « كوريري ديلاسيزا » الوطنية من عام ١٩٠٨ الى الحرب الليبية نشر بمجلة « ريسورجيمنتو » يوليو ١٩٦٨ ص ١٠١ ـــ ٩٠ .

ديلاسيرا » الى جانب محرضي العملية الليبية فان انضمام كبريات صحف الاخبار الى صالح احتلال ايطاليا لليبيا كاد ان يكون كاملا .

ويتبقى دراسة مواقف الصحافة في جنوب ايطاليا التي كانت حساسة بصورة خاصة بالنسبة للعملية على امل ان الاحتلال الجديد قد يفيد في حل مشاكل الجنوب ويجعل منه الجسر الطبيعي ما بين المستعمرة والوطن الام وان تمتص المستعمرة الهجرة الجنوبية . ولم تبتعد صحيفتا « الماتينو » Il Mattino وصحيفة « روما » الصادرتان في نابولي — كثيراً عن المواضيع التي نوقشت على المستوى الوطني ولا عن اللهجة العامة لصحافة الاخبار . لقد كانت الصحافة الجنوبية حاضرة ولكنها لم تكن حاسمة فابرزت صحيفة « روما » بصفة خاصة ثروات ليبيا الضخمة بينما ضغطت صحيفة « الماتينو » على طابع العملية كتوطيد للسياسة الخارجية . والصحيفتان الكبيرتان النابوليتان كانتا ايضا في شهر سبتمبر عام ١٩١١ طافحتين بالمقالات المحرضة للحكومة الايطالية على العمل وانهاء التردد .

« ان السياسة المنزلية — كتبت صحيفة «روما» في ١٠ سبتمبر — قد تكون شيئا عظيما بالنسبة لايطاليا ذات المشاكل الداخلية الكثيرة والعاملة على تحقق الكثير من الاصلاحات والتي عليها ان تعالج جروحا مؤلمة كثيرة . ولكن ايطاليا لا تستطيع ان تنسلخ من بقية بلاد العالم ولا ان تسلك حياة انزواء وعزلة دون التطلع الى ما وراء البحر الذي يحيط بها . ان حياتها مرتبطة بحياة غيرها من الامم ويجب ان تتحرك وفقا للحركة التي كانت تدمغ كل النظام الكوكبي الاوروبي » .

ولفت صحيفة : ماتينو » لصاحبها ادواردو سكارفوليو Eduardo Scarfoglio المعروف بعطفه على القوميين — النظر اكثر من مرة الى فشل عار محوه من خلال منعطف حاسم في سياسة البلاد الخارجية .. منعطف ظل منتظرا بصورة « محمومة » لعله يكون جديرا بدولة عظيمة تنفق ٦٠٠ مليون في العام على جيشها وبحريتها » . (٧٣)

---

(٧٣) « الماتينو » ١٤ - ١٣ سبتمبر ١٩١١ .

وفي يوم ٢٧ سبتمبر ١٩١١ عشية الحرب عندما لاح ان قرار الحكومة اصبح اكيدا فقد استطاعت صحيفة « ماتينو » ان تهلل وان تحي غسل العار الوطني الذي طال انتظاره .

« بعد مرور خمسة عشر سنة على معركة عدوه ، خمسة عشر سنة من الانتكاس العميق القينا خلاله بالسلاح في حين ان جميع من حولنا كان يعد الدروع ويشحذ السيوف ولكن هكذا في احلك واتعس لحظة عندما كانت تلك الديماغوجية (سياسة تملق الجماهير) التي ارادت واتمت تجريد الوطن من رجولته وتت توليها الحكم ، فان انتفاضة الضمير الوطني وارتعاش الجسم الذي لا يخضع للموت قد جر اكثر الحكومات ترددا ازاء ردود الفعل هذه واعجزها عن العمل بسبب روابطها السياسية » .

وصحيفة سكارفوليو (ماتينو) هذه ستكون فيما بعد على كل من اشد النقاد ومن انبه الحاكمين على سلوك الحرب حيث لم تتردد عندما سنحت لها الفرصة من التنديد بالاخطاء المفترضة او بضعف الحكومة . واشتهر خلافها حول طبيعة وشروط معاهدة الصلح مع تركيا الموقعة في اكتوبر سنة ١٩١٢ (٧٤) .

وكانت صقلية المكان الذي نظر فيه الى احتلال ليبيا بامال كبيرة اكثر من اي مكان آخر وذلك لخلاص الجنوب . فرجال مثل فيرقا Verga (٧٥) وكبوانا Capuana لم يخفوا حماسهم غير ان الجزيرة وجدت في احد

---

(٧٤) راجع ص ٥٩ ــ ٣٥٧ . بخصوص الصحيفة النابوليتية الاخرى الهامة «الابروبافندا» لسان حال الاشتراكيين راجع ص ٢٥ ــ ٢٢٣ .

(٧٥) حي « فيرقا » بمناسبة راس عام ١٩١٢ من على صفحات « جورنالي ديطاليا » حي « الجنود الشجعان » الذين كانوا « يرفعون عاليا اسلحتهم فوق اثار روما المجيدة » وعبر لويجبي من تضامنه « مع ابناء ايطاليا البواسل » الذين كانوا يقاتلون في اراضي طرابلس وحيا في « عملية الغزو الليبية اعظم مولد لضمير أيطاليا (راجع اميليوسكاليوني Emilio Scaglione « الربيع الايطالي ») مقتطفات من اجمل صفحات الحرب الايطالية ــ التركية نابولي ١٩١٣ ص ٣٠٧ .

الاشتراكيين جوسبي دي فليتشي جوفريدا Giuseppe De Felice Giuffrida اشد المؤيدين لعملية الغزو وكان دي فليتشي يرى في احتلال ليبيا امكانية تخطي صقلية عن مركزها كملحق للامة وان تغدو بالعكس المركز الجغرافي للبحر الابيض المتوسط .

وقالت صحيفة « كوريري دي كتانيا » Corriere Di Catania الناطقة باسم واراء دي فليتشي الذي سافر الى طرابلس بعد نشوب القتال وارسل الى صحيفة كتانيا برسائله من هناك :

« باحتلال ايطاليا لطرابلس — كتب دي فليتشي على صفحات « كوريري دي كتانيا » بتاريخ ٢٧ اكتوبر يقول سيتغير النظام الاجتماعي ايضا ويتعدل ويتطور ويتخذ شكلا عنصريا آخر ويقوم بمهام اقتصادية جديدة : سيشليا والجنوب لن يبقيا بعد الان فيما وراء حدود المهام الحيوية لحياتنا الاجتماعية بل سيكونان بدورهما جسرا للمرور ما بين تجارات بلادنا الجميلة الاكثر تطورا وتلك التي اخذوا يطورونها في بلاد اوسع واغنى من الارض الايطالية باربعة اضعاف » (٧٦) .

وموقف دي فليتشي بالرغم من اللهجة التي تشتم منها في بعض الاحيان الرائحة القومية يجب ان يوضع قبل كل شيء في اطار هذا الامل الحي .. في اطار ان شيئا ما سيتغير ، وان احتلال ليبيا سيضع مصير الجزيرة المحزن على منعطف هام . ان الرجل الذي قاد ثورة الفاشية الصقلية كان يامل حقا في خلاص سيشليا . ولكن لهجته تغيرت فيما بعد تجاه طريقة سير الحرب في الميدان العسكري بسبب الصفقات التي كانت تدور حولها وبسبب سياسة القمع ضد العرب مما افقد العملية مغزاها كعمل تمدني . ولا شك في ان دي فيلنشي ايضا « وكوريري دي كتانيا » قد ساهما في تغذية الامال

---

(٧٦) مذكور في كتاب الفيوكارا Alfio Carra سيشليا الشرقية منذ الوحدة الى الحملة الليبية » كاتانيا ١٩٦٨ ص ٢٣٢ . بخصوص موقف شخصية سيشليه اخرى مرموقة لويجي ستورسو راجع ص ٢٥٤ — ١ — حاشية ١٣٨ .

والحماس اللذان طبعا فترة عشية الحرب الايطالية التركيــة ، وان كانت هذه المساهمة لا تخلو من بعض الاخــتلافات المنحصرة تقــريبا في نطاق المصالح الاقليمية .

فالصحافة اذن قامت بدور هام في احداث الحرب التركية الليبية . وكتب فيكو مانتقاتسا Vico Mantegazza على صفحات « جورنالي دي ايطاليا » يوم ٢٧ اغسطس يقول ان « مهمة الصحافة » كانت في تلك اللحظة « أكثر من أي وقت » هي :

« المحافظة على بقاء القضية حية ومعارضة سياسة التنويم التي تهيء بواسطتها اقسى خيبات الامل واليقظات المحزنة التي عرفت في تاريخ بلادنا الافريقــي باسمي تونس وعدوه ولا اراد الله ان نضيف اليها طــرابلس ايضا » (٧٧) .

اما اذا كان هذا العمل قد اثر ام لم يؤثر في قرار الحكومة فقد نوقش ذلك كثيرا وسنعود الى دراسته فيما بعد . وهنا من الممكن التاكيد انه مهما كانت النتيجة العملية للحملــة الصحفية فان امرا واحدا يظــل اكيدا : وهو ان الصحافة قد ساهمت في خلق جو تربص انفعالي في البلاد وان خيبة الامل في ذلك الوقت كانت تكون خطرا كبيرا على بقاء حكومة جوليتي نفسها .

ولم تكن الصحافة اليومية هي وحدها التي كانت تقوم بنشــاطها لصالح الاحتلال الليبي . لقد اجتاحت ايطاليا عام ١٩١١ موجة من المطبوعات : كتب، وكتيبات ، وكراسات جميعها تدور حول نفس الموضوع وغالبا ما كانت عبارة من كتب رحلات وشهود عيان وتحاليل سياســية واقتصادية ومجموعات مقالات او خطب سبق نشرها . وهذه المطبوعات لا تقدم في الواقع باستثناء

---

(٧٧) « طرابلس ومحاولاتنا » مقابلة في صحيفة جورنالي دي ايطاليا ٢٧ اغسطس ١٩١١ . وكتبت صحيفة « روما » في ١٣ سبتمبر (٠٠٠٠) « اذا ارتفــع العلــم الايطالي خفاقا في يوم من الايــام على طــرابلس وبنغــازي فهذا سيكــون نتيجــة للدفــع الكبيــر التي قدمتــه الصحافــة الايطاليــة في سبيــل هذه العمليــة » .

البعض منها العناصر لاي تقييم جديد او مبتكر ولكنها تدخل هي ايضا في الجو الذي خلق عام ١٩١١ حول المغامرة الليبية . لمطبوعات من هذا النوع تعززها اقوال شهود حول الحرب ظلت تصدر بشكل غير عادي حتى عشية الحرب العظمى (٧٨) . ولم تشذ عن هذا الجو سوى بعض المجلات التي كانت

---

(٧٨) ان وضع احصاء شامل من جميع الانتاج المطبعي الخاص بليبيا والحرب الايطالية — التركية الذي ظهر ونشر ما بين عامي ١٩١١ — ١٩١٢ لهو امر يكاد يكون معقدا . وعلى كل نعتبر الجدول التالي على سبيل الارشاد يعطي فكرة عن عدد المطبوعات الملحوظ التي صدرت حول الموضوع في العامين المذكورين : قوالتيري كاستيلاني Gualtieri Castellani « تونس وطرابلس » المذكور ، انريكو كورأديني Enrico Corradini « ساعة طرابلس » المذكور ، نفس المؤلف « ارادة ايطاليا » نابولي ١٩١١ انريكوليوني Enricoleone « توسع ومستعمرات » روما ١٩١١ ، ج. مانتوفاني G. Mantovani « ليبيا » ميلانو ١٩١١ ، فيتوريو نازاري Vittorio Nazari « طرابلس . أنطباعات حول رحلة » روما ١٩١١ ، جوسبي بيانسا G. Piazze « ارضنا الموعودة » المذكور ، دومينكوتومياتي Domenico Tumiati « طرابلس » ميلانو ١٩١١ ، ش . البيريتشي C. Albericci « مع جلوتنا في ليبيا » مونزا ١٩١٢ ، باتشي باتشي Boccio Bocci « الحرب الليبية كما تصفها رسائل المقاتلين » فلورنس ١٩١٢ امليتوبتاليا Amleto Battaglia « ليبيا . طرابلس وبرقة » مانتوفا ١٩١٢ ، جوسبي بفيوني G. Bevione « كيف ذهبنا الى طرأبلس » المذكور ، تشيزاري كاوسا Cesare Causa « الحرب الايطالية التركية » فلورنس ١٩١٢ غوسطافوكوين Gustavo Coen « ايطاليا في طرابلس » ليفرنو ١٩١٢ ، انريكوكورادينى E. Corradini « احتلال طرابلس » ميلانو ١٩١٢ ، فيتوريوكوتافافي Y. Cottafavi « في ليبيا الايطالية انطباعات ودراسات وذكريات » بولونيا ١٩١٢ لوتشودازكلنق Lucio Darkling « ليبيا الرومانية والحملة الايطالية » روما ١٩١٢ ، كارلودارلنق Carlo Darling « الحملة الايطالية بليبيا » روما ١٩١٢ ، اميليودي سانتيس Emilio De Santis « من غانيا الى طرابلس مذكرات رحلة » روما ١٩١٢ ، اركانجلوغسليري Arcangelo Ghisleri « طرابلس وبرقة » من البحر الابيض الى الصحراء » ميلانو ١٩١٢ . ارتورولابريولا Arturo Labriola « حرب طرابلس » والراي العام الاشتراكي » نابولي ١٩١٢ ، ب. ماموولي P. Mamoli « برقة » نابولي ١٩١٢ ، فيكومانتيغازا V. Mantegazza « مشاكل السياسة ألخارجية . حملة طرابلس » ميلانو ١٩١٢ ، قايطانوموسكا G. Mosca « ايطاليا وليبيا . اعتبارات سياسية » ميلانو ١٩١٢ ، ارنستو باليك Ernesto Pallca « ايطاليا واحتلال ليبيا » جنوا ١٩١٢ ، جوسبي بيانسا G. Piazza « كيف احتللنا طرابلس » روما ١٩١٢ ،

تعـد مـن كبـريات المجـلات . امثـال : لارسـينيـا ناسينالـي (٧٩) La Rassegna Nazionale المجلة الفلورنسـية الشهيرة المنتمية الى المحافظين الكاثوليك اوراسيناكو نتمبورانيا التي كان يتولـى ادارتها ج. أ. كولونادي شـيزارو G. A. Colonnadi Cesaro وفينشـينزو بكاردي Vincenzo Pacardi التـي اسست في روما وهي بالرغم من ادعائها التحرر من بعض المواقف السياسية غير انها كانت كثيرة القرب من تلك الراديكالية ذات الملامح المؤيدة للقومية وقد تبنت التدخـل في الحرب عـام ١٩١٤ ـ ١٩١٥ لتلتقـي فيمـا بعد بالفاشـستية . ومجلة لاراسينيا كونتيمورانيا La Rassegna Contemporanea لم تردد في كتابة مقالات تحذر من امكانية المكاسب السهلة (٨٠) . ومجلة نوفا انتولوجيا Nuova Antologia ايضا نظرت باهتمام الى الحملة رغم انها لـم تخف احيانا اعتراضها وكتابة مواضيع جدلية حول الموضوع .

ان جميع هذه المعلومات قد كونت اطارا للحملة لصالح العملية الإستعمارية التي قادتها الصحافة اليومية والتي طبعا بالنظر لانتشارها وميزتها الطبيعية

رواد ايطاليـون في ليبيـا « تقارير مندوبي الجمعية الايطالية للاستكشافات الجغرافية والتجاريـة بميلانـو (١٨٩٦ ـ ١٨٨٠) .. ميلانـو ١٩١٢ ، غـويدوبـودريكـا Guido Podrecca « ليبيـا . انطباعـات وحـوار » رومـا ١٩١٢ ، جـوسي ريكيـري Giuseppe Ricchieri « طرابلس وايطاليا » ميلانو ١٩١٢ ، رفائيلـي ريكيـري Faffaele Ricchieri « ليبيـا الداخلية » رومـا ١٩١٢ ، اوقوسابيتـا Ugo Sabetta « منطـقـة درنـه » رومـا ١٩١٢ ، ايمـانـويـل سـيـرا Emanuele Serra « المجـد الجديـد » بيـلا ١٩١٢ ، اسكـاينـو سـفـوررا Ascanio Sforza « اسـر ورحلات في ليبيـا » المذكور ، تشيزاري سبيلانـزوني Cesare Spellanzon « افريقيا المـدوة » فنيسيـا ١٩١٢ ، « لمـالـح حـرب طـرابلس وضدهـا » . مناقشات في الميدان الثـوري « نابولي ١٩١٢ » .

(٧٩) بخصوص موقف المجلة الفلورنسية حول المشاكل الاستعمارية والعلاقات القوميـة وجـدول المقـالات المتعلقـة بالحملـة الليبيـة ، راجـع غلاوكوليكاتـا Glauco Licata مجلة « راسينيا ناسيونالي » روما ١٩٦٨ ص ٢٠ و ٣٦ ـ ٢٢٥ .

(٨٠) راجـع غينوفالينتي Ghino Valenti « مشكلة طرابلس الاقتصادية » منشور في « راسينياكونتمبورانيا » . هذا المقال نـال موافقة لويجي اينـاودي (راجع لويجي ايناودي المصدر المذكور ص ٦١٢).

في الفورية كانت عنصر الطليعة التي استند اليها المحرضون على الغزو لخلق الجو الملائم لتحقيقه .

* * *

ولم تخلو البلاد من المعارضين للعملية الليبية (احتلال ليبيا) وبصرف النظر عن المعارضة الاشتراكية ومعارضة قوى سياسية اخرى ستدرس اوضاعها فيما بعد . فقد كانت هناك معارضة منعزلة حتى ولو ان من قام بها هم رجال ذوي نفوذ وثقافة كانت تشغلهم النتائج التي قد تحدثها سياسة مغامرة على حياة البلاد الداخلية وعلى علاقاتها الدولية .

وكان ليوني كايتاني من اوائل من حذروا الحكومة من مخاطر عملية استعمار ليبيا . وكان كايتاني من كبار الاقطاعيين بروما ومستشرقا مرموقا فاز بجائزة «الليفشي» * في عام ١٩٠٨ لمؤلفه « حوليات الاسلام » وعندما جرت في مجلس النواب من السابع الى التاسع من يونيو ١٩١١ مناقشة ميزانية وزارة الخارجية ، كان صوت كايتاني من الاصوات القليلة التي ارتفعت لتبرهن على عدم فائدة المجهود العسكري والمالي المرتبط باحتلال اقليم ضئيل القيمة على حد قوله (٨١) .

وقد لاحظ كايتاني من خلال نقاشه انه لم تكن لطرابلس ولا يمكن ان تكون لها اهمية استراتيجية لان شواطئها « الاكثر غدرا » في جميع حوض البحر الابيض المتوسط لدرجة ان شواطىء سرت الطرابلسية كانت احدى المرافىء التي كانت سفن القدماء اكثر تعرضا فيها للغرق» (٧٢) . ولم يفهم كايتاني الاهتمام الذي كان يبديه جزء من البلاد من اجل ليبيا والتصلب الذي كان يبدو في المطالبة باحتلالها .

---

(٨١) بخصوص معارضة كايتاني للحملة راجع جورج ليفي ديلافيدا G. Levi Del Lavida « اشباح عثر عليها من جديد » فيشنزا ١٩٦٦ ص ٤٤ وما يتبعها .

(٨٢) راجع « ليبيا من خلال وثائق البرلمان واجراءات الحكومة » ميلانو ١٩١٢ ص ٣٢٩ .

(*) مجمع علمي قديم تاسس عام ١٦٠٣ وكان من ابرز أعضائه تاليليو تاليلي (المعرب).

« ان هذا البلد اي طرابلس — اكد كايتاني — ليس به طرق ولا موانىء ولا سكك حديدية ولا مباني ولا شيء مطلقا ولذا فنحــن من اجل الاسباب السامية جدا التي لا افهمها يتوجب علينا احتلال طــرابلس وعلينا ان ننفق ملايين لا حصر لها اي مئات الملايين في عمليات عسكرية . هل لدينا الكثير من المال لكي نلقي به هباء » ؟

لقد كان كايتاني يخشى قبل كل شيء « العمى » الشبيه بذلك الذي اوصل البلاد الى احتلال ارتريا والبنادير والذي لا تزال البلاد تدفع ثمن نتائجه . واكد بعد ذلك ان (المعوقات) التركية كانت نتيجة للضجة التي كانت تقيمها الصحافة حول طرابلس واكد بلهجة حادة مشوبة بالعداء للكنيسة . بما ان بنك روما « المعبر المباشر عن الفاتيكان » هو الممثل للمصالح الايطالية في طرابلس فهو امر يثير الشكوك حوله .

وكان قلق كايتاني يعكس قبل كل شيء الخشية المميزة لمن يعتبر نفسه المدافع عن الدولة العلمانية لايطالية الثالثة ولبدة النهضة . فكان يرى في بنك روما وسط الضجة التي تثيرها الصحف الكاثوليكية حول ليبيا نوعا من العدوى الكهنوتية بالنسبة للدولة المتحررة (ليبرالية) وكذلك الخوف من خطر قيام الكنيسة بهجمات محتملة والشك في ان تكون المسالة كلها كانت « تخفي سياسة دقيقة جدا ترمي الى صرف انتباهنا عن المسائل الداخلية » (٨٣) . ونفس القلق سيكون ظاهرا ايضا لدى قايطانو سالفيميني .

واوقوا اويتي Ugo Ojetti ايضا على سبيل المثال كان يكرر في رسالة بعث بها الى البرتيني بتاريخ ٥ سبتمبر ١٩١١ شعور الوقاية والشك هذا تجاه موقف الكاثوليك المؤيد لحرب ليبيا :

« اليوم — كتب اويتي — رايت عددا من صحيفة « كوريري دي ايطاليا » : طرابلس / طرابلس / طرابلس / اني يا عزيزي البرتيــني من ابناء روما

---

(٨٣) نفس المصدر ص ٣٢ — ٣٣١ . ايديانا سيونالي « بتاريخ ١٥ يونيو ١٩١٥ وصفت كايتاني بعد هذا الخطاب الطويل بانه « مختل طويل » .

وعندما يقدم لي الرهبان نصيحة اسأل نفسي دوما « ما هي مصلحتهم في ذلك » ؟ (٨٤) غير ان حكم اويتي السلبي على العملية الليبية لا يستند فقط على تعصبه المضاد للكنيسة ولكنه كان يضع امامه ايضا مواضيع سياسة خارجية وداخلية . فمن جهة كان يرى هذا الناقد الادبي المشهور خطر النمسا التي عندما ترى ايطاليا مشغولة في ليبيا ستتمكن ولمدة « نصف قرن » ان تفعل ما يحلو لها في البلقان — وكان قلقا من جهة اخرى للظرف الصعب الذي تجتازه البلاد بسبب اشتداد حدة المشاكل الاجتماعية :

« عندما اقرا ان بفيوني يطلب منذ الان خمسمائة مليون ليرة من اجل طرق وموانىء واصلاح الاراضي في طرابلسنا وان كواrديني ينتهي الى القول ان الطبيعة في طرابلس « يجب ان تصحح ولكن يجب قبل كل شيء تغيير السكان والنظام وهي مهمة تقع على عاتق ايطاليا » وافكر فيما كتبه بارزيني Barzini عن فريبكاور وما كتبه فيلاري Villari عن الجنوب بصورة عامة في كل ما عجزنا عن القيام به بانفسنا في نصف قرن وما لم نستطيع آن نقوم به لقلة الرجال والمال لفقد الاخلاص والنظام .. عندما افكر في كل ذلك اشعر بالخوف . والخوف كلمة شجاعة بما فيه الكفاية عندما يتعلق الامر ببلد جديد متفكك مثل بلدنا بالكاد يشرع الان في اصلاح نفسه .

وهذا لا يكفي فمن احسن منكم يتذكر ما حدث لايطاليا اثر الفترة الاخيرة من عهد كريسبي والاستعمار والاضطرابات الداخلية والاضرابات وتحطيم قوانا القليلة والثقة فينا » (٨٥) .

ووضع اويتي اصبعه على جرح ايطاليا الملتهب في تلك السنوات وهي

---

(٨٤) لويجي البريتني ، المصدر المذكور مجلد ١ ص ١٠ .

(٨٥) نفس المصدر ص ٩ . راجع مقالات باسكوالي فيلاري P. Villari « للتحقيق حول الجنوب » منشور في « كوريري ديلاسيرا » بتاريخ ٣ و ٦ سبتمبر ١٩١١ . وكانت تجري في تلك الايام بنابولي محاكمة كوكولو Coccolo التي ابرزت بصورة مثيرة وملفتة للانتباه مشكلة عصابات « الكامورا » والمافيا التي كانت تمثل المظهر الاكثر ازعاجا للازمة التي كان يجتازها مجتمع الجنوب .

مشكلة الجنوب الاجتماعية التي عادت الى المسرح ما بين اغسطس وسبتمبر سنة ١٩١١ بالذات بكل واقعها القاسي من «فريبكاور» وهي مركز صغير يقع في ولاية كوزنسا Cosenza حيث قام السكان في ٢٧ اغسطس على اثر اصابتهم بالكوليرا وبسبب ياسهم من جمود السلطات المحلية والمركزية بمهاجمة دار رئيس البلدية وقتل احد المحصلين التابعين لها بالفؤوس وبعد التصادم مع رجال الشرطة قاموا بقطع اسلاك الهاتف ولاذوا بالفرار وقد ازاحت بلدة فريبكارو الستار امام ضمائر البلاد الاكثر حساسية عن حقيقة الجنوب المؤلمة . وقد كشف لويجبي بارزيني المندوب الخاص لصحيفة « كوريري ديلا سيرا » بكاليري في رسائله الى الصحيفة حقيقة مجهولة ومدهشة بالنسبة له وهي : « ان السكان الفقراء في جزء جميل واسع من ايطاليا يبدون فجاة وكانهم يختلفون عنا كما لو انهم من جنس آخر بعيد او ينتمون الى عنصر آخر بعيد ولم تعد حياته ولا نفسيته تمت الينا بعد بصلة » (٨٦) .ان صورة هذا الواقع الجديد الذي لونه بارزيني بذكاء حاد تبدو في بعض اجزائها مثيرة للاضطراب وعلى الاخص عندما يواجه موضوع الطابع والحالات الاجتماعية والنفسية للعامة في الجنوب « ان الجهل الحيواني المدهش لهذا العامي يتجاوز حدود المعقول — فهو يتلمس طريقه في ظلمة مخيفة وفي ضميره ليل عميق لا يعرف شيئا ولذلك يعتقد في كل شيء والحياة الوطنية في نظرة قصة اطفال خرافية . وفي اعماق هذه الظلمات المذهلة يوجد كابوس مخيف . شعور المحكوم عليه بالاعدام وفي انتظار التنفيذ . ولا يمكن الا ان يشعر الانسان بالالم والتاثر عندما يسمع النساء الامهات يطلبن منك في اصوات مضطربة — الرحمة . انت ايها الاجنبي قل كلمة من اجل اولادي كي لا يقتلونهم » (٨٧) .

---

(٨٦) لويجبي بارزيني L. Barzini « فريبكارو في صميم الصور الوطني » منشور في « كوريري ديلاسيرا » ٣١ اغسطس ١٩١٢ .

(٨٧) لويجبي بارزيني « في بلاد الخرافات المتوحشة » في صحيفة « كوريري ديلاسيرا » ٢ سبتمبر ١٩١١ .

انه لعالم بعيد غير مفهوم تقريبا ذلك العالم الذي كان يبدو امام اعين بارزيني والذي تغرق جذور مساوئه بعمق في قرون من الاقطاع والتطير والسحر والذي يبدو ان الثورة الوطنية لم تلمسه ولم تخدشه . انه العالم الذي يتحدث فيه الفلاح عن :

« الحكومة كما لو كانت دولة اجنبية سيدة (...) انه لا يعرف غير الفكرة الاقطاعية حول العلاقات ما بين الحكومة والشعب . يشعر انه محتل ومنحني باستسلام امام مصيره (...) فلديهم الارتياب الغريزي ارتياب من يشعر بانه مهمل وغير مسلح ومخدوع (...) الفلاح هو الضحية دائما (...) ان رجال البلدية الافاضل ، يعتبرهم التابعين واتباع التابعين للسلطة المركزية العظيمة المدهشة » (٨٨) .

وقد اثر تحليل بارزيني هذا في اويتي تاثيرا عميقا كما يبدو من الرسالة التي كتبها الى البرتيني مؤكدا فيها ان مسؤولية خطيرة تقع في تلك الفترة

---

(٨٨) لويجي بارزيني « ارض ايطالية في حاجة الى البعث » في صحيفة « كوريري ديلاسيرا » ٤ سبتمبر ١٩١١ . وقد قامت صحيفة « فوتشي » بصورة خاصة بجدال قوي حول أحداث فريبكارو . « ان حادث فيريبكارو ـ كما يقرأ في العدد الصادر يوم ٣١ اغسطس ـ هو الدليل الجديد على ما نقول منذ ثلاث سنوات : ان مشكلة الجنوب هي الاولى والاكثر استعجالا في ايطاليا . تلك البلدة التي تقع على مسافة اربع ساعات من محطة سكة حديد بدون طريق ممهد وبدون مياه وبعيد مليل اسرة كبير ، فهي ذات طابع خاص وتعبر في حد ذاتها عن كل الجنوب . ان ايطاليا الرسمية تستعد لنقل المدينة والمياه ورأس المال الى عرب طرابلس . ايطاليا الرسمية ذات احساس انساني . (« فيريبكارو» في جريدة « فوتشي » ٣١ اغسطس ١٩١١) . ان الجماهير الثائرة في فيريبكارو ـ كتب بدوره سالفيميني يوم ٧ سبتمبر عن تفسيرها للكوليرا بذلك « المسحوق » الذي رشته الحكومة والسادة الافاضل « لمنع تكاثر الناس من التكاثر اكثر من اللازم قد اعطت هذه الجماهير شكلا خرافيا وبربريا لشعور العداء وعدم الثقة نحو « السادة الافاضل » ونحو « الحكومة » وان تلك هي الحالة النفسية الدائمة لجماهير الجنوب . غير ان طريقة التعبير الخرافية البربرية هذه لا يجب ان تنسينا عدالة الشعور الاساسي » (غايطانو سالفيميني) ، بصحيفة « فوتشي » ٧ سبتمبر ١٩١١ .

على عاتق صحيفة « كوريري » وان في امكانها ايقاف هـذا السباق نحو طرابلس » . (٨٩) .

ان القلق على اوضاع البلاد الاقتصادية الذي اشار اليه اوتواويتي الذي كان يخشى قبل كل شيء التاثيرات الاجتماعية والسياسية ــ اخذت على ما يبدو تقلق ايضا رجالا مرموقين في عالم السياسة والنيابة الايطالية . فلويجي لوتساتي Luigi Luzzati على سبيل المثال وهو رئيس سابق لمجلس الوزراء قد ساند عملية الغزو فيما بعد بقوة ، كتب يوم ١٦ سبتمبر الى فرديناند ومارتيني قائلا انه لا يستطيع ان يخفي ان اوقاتا صعبة جدا تجتازها البلاد في المجال السياسي والاقتصادي والمالي « فعلاوة على التزامات الميزانية جاءت الكوليرا وثوارن بركان ايتنا وحملة طرابلس « اذا جاءت » انني لم ار احدا من زملائي في الوزارة ــ اضاف لوتساتي ــ ولا اعرف شيئا بالدقة . ولكن سكاليا Scalea الموجود في حمامات مونتي كاتيني قال للجميع اننا سنذهب الى طرابلس وان البحرية والحربية بالتاكيد على استعداد . ومن الطبيعي ان انشاء مستعمرة اسكان في برقة يحتاج الى مبالغ ضخمة واذا لم يكن في الامكان جعلها مقرا مقبولا لهجرتنا فما فائدتها ؟ .

بيد ان حيرة لوتساتي كانت تستند ايضا على اعتبارات ذات صبغة سياسية دولية . فكان يرهب الخوف الكبير من اشتعال النيران في البلقان وتحقيق لعبة النمسا التي ترنو باستمرار الى شبه الجزيرة البلقانية .

« هل الحكومة مستعدة ؟ يتساءل لوتساتي ــ اذا ذهبنا من طريق القوة لا بالاتفاقيات فان الحرب ضد الاتراك لن تكون سهلة ــ واذا كان هناك خطر

---

(٨٩) لويجي البرتيني ، المصدر المذكور مجلد ١ ص ٩ « انتم تقولون ــ اضاف اويتي ــ نحن مقتنعون بحكم غير الله اذا لم نستول على طرابلس الان فلن نستولي عليها ابدا . وهناك خطر استيلاء الغير عليها (لا اعتقد ذلك) او ان تركيا تستطيع ان تحصن في المستقبل الدفاع عنها (وهذا ايضا لا اعتقده) بالقدر يجبرنا على مواجهة الاخطار المذكورة والى غير ذلك » وانا الايطالي الصغير (على وزن الانكليزي الصغير) وبصفتي رومانتي فاني افكر هكذا » (المذكور) .

ثورة الدول البلقانية ضد الاتراك فماذا ستفعل النمسا ؟ هل ستذهب الى فالونا او الى سالونيك ؟ وعندئذ لن يكون من المؤكد ان يتخلى الايطاليون من احتلال افريقي غير سهل وباهظ التكاليف وله مثل هذه التبعات القاسية؟ ان تغيير مزاجنا معروف وانه من الصعب جدا بالنسبة لنا كحل للمشكل اذا كان من الانسب عدم الذهاب الى طرابلس كي لا تذهب النمسا الى فالونا وسالونيك » (٩٠) .

وكان رد مارتيني بتاريخ ١٨ سبتمبر مليئا ايضا بالحيرة والتساؤلات المقلقة :

« هل سنذهب حقا الى طرابلس ؟ انا لا اظن ذلك ... ولكن اذا ما ذهبنا نذهب بموافقة من ؟ هل البلاد مع اظهارها لارادتها الاكيدة في هذه المسالة مستعدة لعواقب هذا العمل ؟ » (٩١) .

لوتساتي ومارتيني لم يعارضا في المبدأ ، ولكن يلاحظ عليهما القلق قبل كل شيء والشك في فائدة عملية استعمارية لا يمكنها الا ان تزعج من كان يرى الوضع السياسي الداخلي الهش ووجود مشاكل ذات صبغة اجتماعية كانت تعكر ضمائر الكثير من الايطاليين اذا لم نشر الى القلق الناتج عن حرب تبدو غير سهلة الحل ومليئة بالمكائد ومن المحتمل ان تعكر صفو الوضع القائم الاوروبي .

لقد نشر قايطانو موسكا G. Mosca وهو عالم اجتماعي مشهور وباحث في القانون الدستوري ورجل سياسة وعضو في مجلس النواب منذ عام ١٩٠٨ . نشر على جريدة « لاتريبونا » ثلاثة مقالات من ١٩ الى ٢١ سبتمبر تكتسب اليوم شكل النبوءة للوضوح والدقة التي حلل وبين بها اخطار الحرب

---

(٩٠) توجد رسالة لوتساتي الى مارتيني في A.C.S., C.M., b. 13, f. 6

(٩١) توجد رسالة مارتيني الى لوتساتي في كتابه الاخير « مذكرات » المجلد ٢ الذي نشر بعناية الينا دي كارلي وفيروتشي دي كارلي والبروتودي ستيفاني ، ميلانو ، ١٩٦٦ ص ٤٤٤ .

مع تركيا ، ولم يكن هو من المعارضين للتوسع الاستعماري الايطالي كمبدأ ولكنه حاول ان يفهم ان تركيا لن تتخلى بسهولة عن احدى ولاياتها دون صراع ضار وان ايطاليا لا يمكنها ان تنهي القتال بهجوم مفاجىء على بعض الارخبيلات او على بعض موانىء الامبراطورية العثمانية .

وان العواقب الاقتصادية للحرب قد تكون — حسب موسكا — تقلصا في الصادرات الايطالية للامبراطورية العثمانية والغاء الاتفاقات التجارية ما بين ايطاليا وتركيا وصعوبة في نقل السلع الايطالية عبر الدردنيل واشار موسكا نفسه الى احتمال خطر انضمام العرب الى الاتراك ضد الاحتلال الايطالي مما يجعل الحرب طويلة وصعبة وباهظة التكاليف — وكان يرى موسكا ان الاصول في موازنة الاحتلال لن تغطي الخصوم (٩٢) .

وكانت الفكرة التي ابداها لويجي ايناودي حول العملية الليبية اكثر فنيا ولكنها صحيحة ايضا على مستوى الاعتبارات الاقتصادية . وكان لويجي ايناودي في السابعة والثلاثين من عمره في ذلك الوقت وقد اشتهر كاقتصادي مرموق واكتسب التقدير وكان استاذا في العلوم المالية بجامعة تورينو ، وكان يقود منذ اعوام معركته التحررية من على صفحات « كوريري ديلا سيرا » ولا يمكن اعتبار ايناودي معارضا للاستعمار كمبدأ بل بالعكس كان مؤمنا ومحبذا للتوسع الاقتصادي الايطالي وذلك في كتاب نشره عام ١٨٩٩ تحت عنوان « الامير التاجر » . وفي مقال عن الحرب الليبية نشره ايناودي في مجلة « ريفور ماسوشيالي » حاول ان يحصر ملاحظاته في المشاكل الاقتصادية البحتة مع التطرق هامشيا الى الموضوع السياسي . ولا شك ان التحليل الذي تركه لنا ايناودي في غاية الوضوح والدقة الباعثة على الدهشة حتى ولو انه من المحتمل ان تكون توقعاته بمواجهة الشعب الايطالي لتضحيات كبيرة قد ضايقت البعض في تلك الفترة المشحونة بالامال الكثيرة . وقد وضح ايناودي في مقدمة مقاله الطويل المذكور انه يرمي الى اظهار « حقيقتين » :

---

(٩٢) أدرجت مقالات موسكا فيما بعد في كتاب قايطانو موسكا « ايطاليا وليبيا » المذكور ص ٣٨ — ١ وقد تقبل موسكا فيما بعد العملية (الغزو) وتتبعها بآمال كبيرة .

اولا : انه لمن الوهم الاعتقاد ان طرابلس ستدر ارباحا وفيرة على الوطن الام وذلك الا بعد زمن بعيد وبصورة غير مباشرة .

ثانيا : ان التضحيات الاقتصادية التي ستفرضها المستعمرة على ايطاليا هي حقيقة يجب مواجهتها بادراك وهدوء » .

وشرع هذا الاقتصادي الشهير في دراسة للوضع الاقتصادي في طرابلس ولمواردها من خلال الاحصائيات المتعلقة بالتجارة الخارجية لتلك البلاد ومن خلال المبادلات التجارية مع ايطاليا وقد اوصلته دراسته هذه الى نتيجة وهي ان طرابلس كانت تمثل اقل من واحد على ثمانية عشر من جملة الواردات الايطالية من كل تركيا وواحد على خمسة وعشرين من الصادرات . ويستخلص ايناودي من ابواب التجارة الطرابلسية نفسها « الفكرة في ان طرابلس بلد فقير في مرحلة ما بين الزراعة ورعاية المواشي وهي تبيعنا منتجات الحيوانات التي تربى على الطبيعة ومنتوجات زراعية بدائية وتاخذ مقابلها في الاغلب قطنيات وحرائر من النوع الرديء بالاضافة الى الدقيق الذي ينقصها » (٩٣) .

وكان ايناودي يرى في الخلاصة انه من الضروري ان « نبعد مقدما كل امل في ان المستعمرة قد تصبح ابدا منتجة بالنسبة لميزانية الدولة » والاقتناع بان المستعمرة الجديدة قد تكون سببا دائما للنفقات بالنسبة لنا الذين استولينا عليها وتزداد هذه النفقات بمقدار ما احسنا القيام بواجبنا » (٩٤) . ولم

---

(٩٣) لويجي ايناودي ، المصدر المذكور ص ٦٠٠ ــ ٥٩٨ . استوردت ايطاليا في عام ١٩١٠ من طرابلس ما قيمته بملايين الليرات : بقر (٤ر١) ، بيض (٦ر٠) صوف مغزول وخام (٥ر٠) خيول (٢ر٠) تمور (١ر٠) شعر حيوانات (١ر٠) بذور زيتية (١ر٠) سلع اخرى (٢ر٠) المجموع (٢ر٣) وصدرت ايطاليا في نفس العام الى طرابلس : فضلات حرير وخيوط (١ر١) سميد (٩ر٠) دقيق قمح (٧ر١) خيوط (١ر١) خيوط قطنية (٥ر٠) ميدان لعاب (١ر٠) منسوجات قطنية (١ر٠) حرير خام (١ر٠) قطع من القماش المخيط (١ر٠) سلع اخرى (٨ر٠) المجموع (٤ر٤) .

(٩٤) نفس المصدر ، ص ٦٠٤ واضاف ايناودي : « وحتى اذا اقتصر على اقامة العدالة

يكن ايناودي من باب اولى معارض للعملية غير ان تعليلاته كانت معاكسة لتلك التي عرضها المحرضون الاخرون على الغزو فبالنسبة له كان في الامكان وضع اسس حقيقية لعمل تمدني بفضل تضحية الدولة « والمواطنين الايطاليين باعتبارهم مولين بدون امل في انتظار مقابل وقد يكون مريحا جدا — اضاف ايناودي — لو امكن القيام بدور المعمرين لاثراء الدولة ودفع ضرائب اقل » فاذا ارادت ايطاليا ان تنتزع طرابلس من الاتراك عليها ان تفعل ذلك باخلاص وبدون مصلحة :

« نحن نريد ان ننتزعها منهم لاننا كمواطنين ايطاليين منتظمين في شكل دولة وبصفتنا من دافعي الضرائب سنكون مستعدين لان نقوم بتضحية لصالح شعب آخر ولصالح اجيال شعبنا المقبلة وهي التضحية التي على ما يبدو ان الاتراك غير مستعدين ان يقوموا بها (...) (٩٥)

وانتقل بعد ذلك ايناودي الى الطعن في ادعاءات بفيوني حول الثروات الزراعية في طرابلس مؤكدا ان الثروة الوحيدة في البلاد هي الكروم « وربما » « الزيتون » اي انها مثل منتوجاتنا وانها اذا كثرت ستنافس بصورة غير سارة انتاجنا في الداخل والخارج « وعلى كل حال بالنظر الى الطبيعة الزراعية لتلك البلاد التي تتغلب عليها زراعة التمور والقطن وهي زراعة « بطيئة العطاء واحيانا بطيئة جدا » فان عملية الاستعمار تتطلب عمل « عشرات السنين والقرون » (٩٦) وان هذا الوضع كان يحول دون التفكير

والامن ونشر التعليم وانشاء الطرق والمراسيء والسكك الحديدية الرئيسية الاستراتيجية والمدنية وغيرها سيجب انفاق مئات الملايين ومع مرور الزمن ستبلغ نفقات الانشاء بضعة مليارات وبضعة عشرات الملايين كمصاريف سنوية جارية مع الامل لانه بعد بعض الوقت ربما لا يقل عن ثلاثين عاما قد تستطيع ميزانية المستعمرة الحياة بمواردها دون مساعدات الوطن الام . ومن المحتمل ان يكون حتى ذلك امل ضائع (...) » .

(٩٥) نفس المصدر ص ٦٠٥ .

(٩٦) نفس المصدر ص ٦١٢ . اكد بفيوني ان الانتاج الزراعي الطرابلسي « مدهشا » وقد لاحظ ايناودي انه حسب الارقام التي اوردها بفيوني نفسه ان انتاج القمح

في انشاء مستعمرة اسكان تستطيع في وقت قصير ان تحل مشكلة الهجرة الايطالية وفي الواقع يلاحظ ايناودي انه قد تكون معجزة اذا امكن في بعض الوقت ان يهاجر الى ليبيا : اكثر من بضعة عشــرات الالاف من المهاجرين وقد زاودوا بالراسمال الكافي ليتمكنوا من انتظار المحاصيل المجزية لبضعة سنوات من أجل تشييد المساكن وغرس الاشجار وغيــر ذلك (...) وهذا يعني ان طرابلس ليست ولن تكون لمدة طويلة دواء بديــلا لامريكا بالنسبة للمهاجر الفقير الذي يسافر الى الخارج لا من اجل استخدام مدخرات محققة وانما من اجل تكوين المدخرات من طريق العمل » . (٩٧)

ولدى مواجهته للمشاكل المالية المرتبطة بالحرب الليبية فلم يخف ايناودي احتمال زيادة قيمة الفائدة يتبعها انخفاض في السندات لا بسبب مناورات غير شريفة وضد الوطن (٩٨) ــ كما تؤكد بعض الصحف ــ وانما لاسباب اقتصادية بحتة .

الطرابلسي كـان ٧ر٤ قنطـــار من كل هكتـــار في عـــام ١٩٠٧ و ٤ر٢ قنطار في عامي ١٠ ــ ١٩٠٩ و ٢ر٤ في عامي ١١ ــ ١٩١٠ ، هذا في حيـن ان الانتـاج الايطالـي في اسوا عام اي ١٩١٠ بلـغ في المنـاطق الجبلية ٣ر٦ قنطـــار من كل هكتار وبلغ في المناطـق المـرتفعة ٥ر٧ وفي السهـل ٠٠ر١٣ قنطـارا .

« وعلـق ايناودي قائــلا : اذا كان « مـدهشا » محصـول لا يصل الى نصف متوسط المحصول الايطالي في السنوات السيئة فيستحسن تغيير القاموس » ص ٦١١ .

(٩٧) نفس المصدر ص ٦١٣ . « ان نجـاح مستعمراتنا القديمة الضئيل ــ لاحظ اينـاودي ــ لا يشجـع على الامـل في الحصول على نتائـج مبـاشرة ، ومن المحتمل مع مـرور الزمن ومع تحسن انفسنا وثقافتنا وعاداتنا قد نصـل الى حل هذا المشكل الشاق » (ص ٦١٥) .

(٩٨) وذكـر اينـاودي في العـدد التالـي لمجلـة « ريفـورمايـوشيالـي » « حادثـا مضحكا » حـول قـول الصحف بوجود خطـر مناورات لصالح تركيـا بقصـد تخفيض قيمـة السندات الايطاليـة ورفـع قيمـة للسندأت التركيـة عنـد اغـلاق السـوق المـاليـة في اخـر الشهـر : « منذ ٢٠ نوفمبر لم يمـر يوم دون ان يتهـم فيـه تشيريمني Cirmeni واتباعه « المصرفية الدولية » بسعيها في هبوط قيمـة السندات الايطاليـة ورفع السندات التـركية وذلك في يوم ٣٠ اي نهايـة الشهـر . وتمد مـر بيوم ٢٤ وكذلك يـوم ٢٥ و ٢٦ في حيـن ظـل هؤلاء يبشرون بالابـادة في

« (...) وحيث انه لم يعرف ابدا ان حربا قد تسببت في تخفيض قيمة الفائدة بل العكس ان مدارس الاقتصاد السياسي الصغيرة تدرس بان الحروب من العوامل المتسببة في ارتفاع قيمة الفوائد ولذلك فمن الطبيعي جدا ان يؤثر اعلان الحرب وتفاوت زمن استمرارها على قيمة راسمال السندات في السوق المالية بصورة قد تقل او تزيد لغير صالحها » (٩٩) .

والخلاصة التي توصل اليها ايناودي تمشيا مع اسلوب مقاله كله كانت

يوم ٣٠ تبعا للغايات المصرفية السيئة . لكن يوم ٣٠ حل ولم يحدث شيء وذلك لان : تحركات السوق المالية لا تقوم على الاخبار الكاذبة والموجة منذ زمن كما وضحت ذلك في المرة السابقة ، لان نهاية الشهر التي كان الكتاب لا زال ينتظرونها في يومي ٢٦ و ٢٧ ويُحددون لها يوم ٣٠ قد مرت في يومي ٢٤ و ٢٥ نوفمبر وفي أحد الايام — وكان موضوعا يثير الضحك — اذ نزلت على احدى الصحف بل في صحيفتين مقالا « للاقتصادي المحارب » ولكنه كان اميا منشغلا جدا بيوم ٣٠ نوفمبر وذلك في الصفحة الاولى في حين احتوت الصفحة السادسة على اخبار مندوب السوق المالية المتواضع وهو من المتخصصين اذ يقول ان تصفية نوفمبر قد تمت وان الاسعار الجارية هي اسعار نهاية ديسمبر . وهي نظرية تعرفها حتى حواجز الوقاية من الضربات الموجودة بالطرق قرب السوق المالية والتي يجهلها اولئك الذين اقاموا اختراع « المصرفية الدولية » السخيف اي ان تصفية اخر الشهر في ايام متغيرة ما بين ٢٤ و ٢٦ من الشهر (....) اليس من المؤسف ان الراي العام ابتداء من الصحفيين ثم المنتخبين واخيرا البرلمان والحكومة قد خدعتهم هذه السخافات ! « ادوارد وجيرتي — لويجي ايناودي » بخصوص طرابلس . تفاؤل وتشاؤم استعماري ! منشور في « ريفورماسوشيالي » ديسمبر ١٩١١ مجلد ٢٢ ص ٧٦١ — ٧٦٠) .

(٩٩) لويجي ايناودي ، المصدر المذكور ص ٦١٧ . في اليوم الاول من شهر اكتوبر ١٩١١ في الوقت الذي كان ايناودي يكتب فيه مقاله ، كان مدير عام بنك ايطاليا يعرض على جوليتي حالة البلاد المالية : ان حالة التداول النقدي قد ازدادت خطورة في شهر سبتمبر بسبب احوال السوق النقدية الدولية التي ادت تدريجيا الى زيادة فائدة الخصم لدى جميع معاهد الاصدار باوروبا بما في ذلك بنك فرنسا (...) وقد سحبت من ايطاليا مبالغ ضخمة استثمرت من الخارج في عمليات دعم ومضاربة في السوق المالية وإعادة الخصم . ان العالم الخارجي يساعدنا في الاوقات النقدية الملائمة ويحرمنا من المساعدة ويضر باوضاعنا النقدية بالضغط على سعر الصرف عندما تكون اوضاع السوق غير ملائمة . وفي منتصف شهر سبتمبر زادت حدة المسالة الطرابلسية من خطورة الوضع للاسباب التي لا ضرورة لذكرها » (A.C.S., C.G., b. 12, f. 10).

غير مشجعة لاولئك الذين ارادوا الحملة واقاموا اقتناعهم على اساس انها صفقة اقتصادية ضخمة .

« ان تضحيات حالية اكيدة ــ كان يؤكد ايناودي ــ وفوائد ممكنة مستقبلا لاجيال من المعمرين : هذه هي النتيجة المتوقعة للعملية الطرابلسية وهي تعني بما ان الفوائد من الممكن ان يراها ابناؤنا واحفادنا فيجب علينا ان لا نهتم بالامر ويجب علينا ان نجهزهم بتضحياتنا وبعملنا الذي لا يكل » .

وضمن ايناودي خطابه مبررات ذات صبغة اخلاقية علاوة عن المبررات الاقتصادية حيث كان يرى ان الضرائب المحتملة الممكنة في المستقبل يجب ان تتحملها تلك :

« الطبقات التي ارادت العملية بحرارة او بعبارة اخرى بما ان هذه العملية قد تسببت فيها بصورة رئيسية حركة فكرية للطبقات المثقفة والمتعلمة والثرية والمهنية والادارية (بيروقراطية) وهذه الطبقات هي الواجب عليها تقديم عصب الاحتلال والاستعمار (...) ، من الممكن اعفاء اصحاب الدخولات الصغيرة التي تصل في ايطاليا الى ١٢٠٠ ليرة وهي تشمل بالاضافة الى قسم من العمال جميع الطبقة الريفية اي العملة والفلاحين والمزارعين بالمشاركة وصغار الملاك وهي الطبقة التي ظلت غريبة تماما عن هذه الحركة المثالية وهي التي تساهم بغزارة في حدود قواها الذاتية وذلك بتقديم الجنود للجيش .

واضاف ايناودي ايضا بشيء من السخرية الذكية :

« لو كان في الامكان تمييز القوميين عن غيرهم من المواطنين فقد يكون من المنطق فرض ضريبة اضافية خاصة عليهم تعويضا عن المزايا الخاصة التي فازوا بها نتيجة لتحقيق مثلهم العليا ، وفيما يخصني شخصيا بصفتي قوميا على طريقتي فساجد انه سليم جدا ان تطبق على هذه الضريبة الاضافية » (١٠٠) .

---

(١٠٠) لويجي ليناودي ، المصدر المذكور ص ٦٣٨ . كان ايناودي يفضل فرض الضرائب

ان ملاحظات ايناودي هذه لم تؤثر على كل حال على اماله في مستقبل سعيد لبلاده على المستوى الثقافي والاخلاقي والسياسي بعد نهاية الحرب . لقد كان مقتنعا ان ايطاليا ستتجاوب بصورة جيدة وقد بدا له فعلا أن الناس اخذت تستنشق « هواء غير الهواء الاول » الامر الذي دفعه الى الاعتقاد ان الايطاليين في امكانهم ان يكونوا :

« الباعثين للقوات الخفية للشعوب البدائية ومهيىء العظمة السياسية والثروات لاحفادنا وانهى ايناودي كلامه قائلا : ان الشعوب العظيمة هي التي تضحي مدركة من اجل الاجيال القادمة » (١٠١) .

ولم يعجب ادوارد وجيريتي Giretti هذا الراي الخاص القاطع الذي ابداه ايناودي بالنسبة للمشكلة الطرابلسية رغم مشاركته له في العناصر الاساسية التي قام عليها مقاله ، غير انه كان يرى ان الخلاصة التي وصل اليها ايناودي فيما يتعلق بمستقبل البلاد كانت كثيرة التفاؤل . وكان جيريتي من ابرز ممثلي التحرر اليساري الذي كان يتزعمه رجال مثل دي ميتي دي ماركو De Vitti De Marco واوتوماتسولا Ugo Mazzola وفرنشسكو باباماما (١٠٢) Francesco Papafava وكان يحرر في « صحيفة الاقتصاديين »

لمواجهة نفقات الحرب بدلا من الديون لان الضريبة تهذب والدين يفسد . ان الضريبة تفرض على المواطنين مواجهة الواقع وتجعلهم يرفضون بقوة وتزداد هذه الارادة بمقدار استعدادهم على الدفع من اجل الحصول على موضع رغباتهم .

(١٠١) المذكور ص ٦٤٠ .

(١٠٢) بخصوص التحررية (الليبراليين) في عهد جوليتي وخاصة فيما يتعلق بايناودي وجيريتي راجع جوسي اري Guseppe Are « الاشتراكية والتحررية والراسمالية الصناعية في العهد الجوليتي » منشور في « كريتيكا ستوريكا » (النقد التاريخي) « يوليو ١٩٦٩ ص ٦٥ — ٤٠١ . وفيما يهم التحررية اليسارية راجع غابريلي دي روزا Gabriele De Rosa « ازمة دولة الاحرار في ايطاليا » روما ١٩٦٤ ص ١٢٥ — ٧٨ ، ولوتشو أفاليانو Lucio Avallano « التحرريون وحلف الاحزاب الشعبية من عام ١٨٩٨ الى ١٩٠٣ ، منشور في « راسينادي بوليتيكا اي دي ستوريا Rassegna Di Politica E Storia

وفي صحيفة « اونيتا » التي كانت يصدرها سالفيميني وكان جيرتي معروفا بثقافته الاقتصادية غير العادية » كما وصفه فيلفريد باريتو Vilefredo Pareto (١٠٣) ، وقد رد على ايناودي في العدد التالي لمجلة « ريفور ماسوشيالي » فاعترف لايناودي بالشجاعة « لقوله كلمة حق قاسية وسط الافتتان الاستعماري الذي تملك الراي العام الايطالي . » ولكن لم يستطع اخفاء » شكوكه « حول الامال التفاؤلية التي عبر عنها ايناودي والتي قد يعتبر تحقيقها مثلا يكاد يكون وحيدا اكثر من كونه نادرا في التاريخ وهي السياسة الاستعمارية المتقنة المثالية. «والقائمة» على عمل ثوابي طويل يتضمن انكار الذات لصالح قضية تمدين شعوب متخلفة وللصالح المادي ايضا لذرية بعيدة جدا » (١٠٤) وكان تشاؤم جيريتي هنا قائما على « تجارب الحياة العملية » التي جعلته يخشى جدا ان « يتبخر » بصورة سحرية حماس جزء كبير من الشعب الايطالي لصالح الحرب » وذلك عندما تقدم قائمة (؟) دفع الحساب » (١٠٥) وقد لاحظ جيريتي ايضا « ان الصبر

نوفمبر ١٩٦٦ وبخصوص جيريتي ، راجع انطونيوبابا Antonio Papa « ادوارد جيريتي » منشور في بلفاغور Belfagor ٣١ يناير ١٩٧٠ ص ٦٨ — ٥٠ « ان معارضة جيريتي الصريحة لحرب طرابلس هي مستوحاة من مشاعره القديمة الشديدة المعادية لكريسبي ومن عدائه البين للحرب وقد املاها عليه نضاله في سبيل السلام وجداله الدائم ضد النفقات العسكرية وقلقه على الميزانية وخوفه من فرض ضرائب جديدة وبصورة عامة من خوفه على « ايطاليا الصغيرة » مثله الاعلى التي كان يريد ان يواجه بها حماس القوميين والقدرية الليبية للجوليتيين .

(١٠٣) فيلفريدوباريتو V. Pareto « احداث ايطاليا » في صحيفة الاقتصاديين » اول ابريل ١٨٩٧ والان منشور في كتاب فيلفريدوباريتو .« احداث ايطاليا » اشرف على نشره كارلو مونقاديني Carlo Mongardini بريشا ١٩٦٥ ص ٤٩٠ .

(١٠٤) ادوارد وجيريتي — لويجي ايناودي ، المصدر المذكور ص ٤١ — ٧٤٠ .

(١٠٥) نفس المصدر ، ص ٧٤٢ . (...) وعلى كل حال — لاحظ جيريتي — كيف يمكننا ان نؤمل ان اصحاب صناعة الحديد والسكر ببلدنا والناخرين في خزائن الدولة في اتفاق اخوي مع الارستقراطية العقارية هم على وشك التنازل عن امتيازاتهم القانونية لا المشروعة في الوقت الذي اصبح في امكانهم توسيع نشاطهم الاستغلالي بصورة مجزية وان يجددوا المثل الوحيد في تاريخ الارستقراطية الفرنسية » (ص ٧٤٣) .

على الاستثمارات الطويلة الاجل لم يكن ابدا من الفضائل المميزة للراسماليين الايطاليين في الوطن الام » ويقل هذا الصبر طبعا لدى مهاجريننا « هل العشرون الف ايطالي او اكثر — تساءل جيريتي — الذين على ما يقال قد تقدموا بطلبات جوازات سفر الى طرابلس هم من الناس الذين في امكانهم انتظار المكاسب من الان حتى عشرة او عشرين عاما ؟ » (١٠٦) .

بيد ان اكثر ما كان يقلق جيريتي لم تكن المسائل الاقتصادية بقدر ما كانت المسائل السياسية والمعنوية فقد كان يبدو له ان شيئا غير نظيف وغير مهذب اخذ يتغلغل في المجتمع الايطالي لتلك السنوات ، وذلك يعني ان العنصر المتغلب في الحماس الذي اثارته العملية الطرابلسية في كثير من الايطاليين هو : « الطمع اللامحدود في ملك الغير » . وجميع ذلك كان يدل على تقهقر سريع لايطاليا من الطابع الحديث المتمدن الذي اخذت تتجه اليه ببطء ولكن تدريجيا الى نموذج اخر متاخر لمجتمع بربري عسكري » . وكان يعتقد انه لا مفر من ان ذلك سيحدث بالاضافة الى زيادة المهام العسكرية والنفقات غير المثمرة :

« تغلب جديد للغرائز غير الشريفة للشعب الايطالي وازدياد جرائم العنف والدماء ونقص في حب العمل الهادىء والمنتج » .

وكان نفس النظام النيابي يبدو وكانه قد الغي والغيت معه « الحرية العملية للاقليات وحق النقاش والنقد والرقابة على العمل الحكومي» (١٠٧) .

---

(١٠٦) نفس المصدر ، ص ٧٤٤ .

(١٠٧) نفس المصدر ، ص ٧٤٧ . « البرلمان مغلق الى اجل غير مسمى دون ان يحتج احد وخاصة النواب ويسر للنعمة والنعمون في المسالة من بينهم البقاء بمنازلهم وعدم الاضطرار الى التعبير عن رايهم مع الحرب او ضدها ، وهذا امر يخزي الاعتراف به لان اعدائنا اساتذة في امور الحرية والدستورية . ان البرلمان التركي مفتوح رغم قيام الحرب بانتظام وان ممثلي البلاد في امكانهم المناقشة والموافقة على الميزانيات واجراءات الحكومة غير الاعتيادية . اما نحن في ايطاليا فنضطر الى الوثوق في الميزانيات المصطنعة التي يعدها

ولم يضف ايناودي في رده على جيريتي شيئا جديدا على الاعتبارات التي سبق أن اوضحها حتى ولو انه حاول ان يشدد على الخطاب المتعلق بضرورة القيام بسياسة اقتصادية متحررة في المستعمرة الجديدة وهي نفس فكرة جيريتي و « دي فيتي دي ماركو » حتى وان كان التاثير الجنوبي يدفع بهذا الاخير الى نتائج مختلفة حول العملية الليبية (١٠٨) . اما بالنسبة لايناودي والتحريين الايطاليين بصورة عامة فانهم كانوا يرون ان عملية الغزو قد تنهي الى « جريمة ضد الوطن » :

« اراقة دماء ذكية فتية كثيرة وتبديد اموال وفيرة بذل دافع الضريبة عرقه في سبيل جمعها وذلك من اجل خلق مجال مغلق فقط لصالح مختلف الاساليب الخفية للمقاولين المحظوظين الذين تنعم بهم ايطاليا (...) واذا ارادوا خلق

الوزير « تيدسكو » والتي يحاول ان يدخل في روعنا بموجبها ان هناك فائض ويكفي القول ان الوزير عند ما يضع توقعاته الوردية لا ياخذ في الحسبان ماذا ستكلف الحرب واحتلال طرابلس منذ اول ديسمبر ١٩١١ ويحسب ٤٠ مليون لارباح السكك الحديدية الحكومية وهي ليست الا نتيجة تلاعب حسابي على طريقة « لوجيزموغرافيا » (ص ٧٤٨) .

(١٠٨) اتخذ دي فيتي دي ماركو بمناسبة الحرب الليبية موقفا خاصا في محاولة — كما لاحظ روزاريو فيلاري — Rosario Villari « في ان يدخل التحررية الراديكالية الجنوبية في موجة التوسع القومي المنتفخة » (راجع « الجنوب في تاريخ ايطاليا » باشراف روزاريو فيلاري ، باري ١٩٦٦ ، مجلد ١ ص ٤٢٥) . وكان دي فيتي يؤمل في تطور ليبيا كمستعمرة امكان من اجل فلاحي الجنوب مطالبا « بسياسة الباب المفتوح » بقصد مساعدة تطوير المستعمرة الجديدة وارضاء حاجتها من رؤوس الاموال . وكان دي فيتي يرى ان الخطر الاكبر على المستعمرة كان يكمن في تحالف اصحاب الصناعة في الشمال والمنتجين في الجنوب الذين اذا ما راوا امكانية وجود خطر منافسة منتوجات المستعمرة لهم يسهلون تيسام سياسة الحماية الجمركية في ليبيا . وهذه السياسة حسب وجهة نظر دي فيتي — قد تتسبب في « توسيع حدودها السياسية وتزيد من اثارها المخربة على اقتصاد الجنوب . اذ ان ليبيا قد تصبح بالفعل مثل سيشليا وكلابريا وبوليا اي بلد منتج للنبيذ والزيت والحوامض وربما الكبريت والتبغ ومستهلكا للحديد والقطن والسكر وغيره . ونتيجة ذلك التي جربت بعد عام ١٨٨٧ هي ارتفاع اسعار المصنوعات لضرر الجنوب المنتج . » نفس المصدر ص ٢٨ — ٤٢٤) .

ضرائب تفاضلية على الواردات الاجنبية في المستعمرة لصالح صناع الحديد والسكر والقطن (...) ومختلف المستغلين الايطاليين فهذا ما يؤكد ان احتلال المستعمرة قد يسجل تاريخا مشؤوما في تاريخ ايطاليا » . (١٠٩)

وقد اقترح ايناودي « العمل الايطالي والراسمال الدولي » كصيغة لتسيير الاراضي الجديدة بصورة اقتصادية . واعترف جيريتي في ختام جداله مع صديقه انهما كانا « محبين مخلصين » لايطاليا الصغيرة « وخصمين لدودين مقتنعين ضد استعمار التهليل المحتكر » . وبالنسبة لجيريتي ايضا — الذي كان يعتبر عملية الغزو « مضادة للمبادىء الوطنية ومنتهكة لقانون الاخلاق الذي يرتكز عليه التعايش ما بين الرجال والدول » ، كان يرى ان الحل الوحيد في ذلك الوقت كان « سلاما بشرف » مع الاتراك ، وان اية فوائد لن تستطيع ان تعيد للبلاد « التضحية الثمينة في الدماء والمثل العليا » التي تجرها الحرب وراءها . اما الثمن المادي للحرب فقد يكون فيما بعد :

« التفكير العادل المستحق عن الطيش الذي جعل ايطاليا بكاملها — حكومة وشعبا — تنقاد وتقتنع بترهات المجد والاثراء التي يوزعها بضعة عشرات من الصحفيين ذوي المصلحة والذين لا يشعرون بمسؤولية او ضمير » (١١٠)

وكانت لهجة جيريتي اكثر حدة من ايناودي وذلك في جداله واستيائه وتضايقه مما كان يقع في البلاد في تلك الفترة . وانطلاقا من نفس الاعتبارات الاقتصادية والفنية التي جاء بها ايناودي ووصولا بصورة جوهرية الى نفس النتائج ، فان جيريتي قد شدد على الخلاف المتعلق بالمظهر المثالي للعملية . فبدا وكانه يعكس اصداء بعض نغمات تايطانو سالفيميني الذي

---

(١٠٩) ادوارد جيريتي — لوجبي ايناودي ، المصدر المذكور ص ٥٦ — ٧٥٥ . وعاد ايناودي الى التاكيد (....) علينا ان نقول علنا ان المستعمرة لا يمكنها ان تقدم مكاسب ممتازة لاصحاب المصانع في الوطن الام ولا ان تخصص لمجموعات صغيرة من الراسماليين الايطاليين ولا ان تغلق بجدار من الرسوم ضد المنافسة الاجنبية وفي الخلاصة لا يجب ان تعتبر المستعمرة صفقة جيدة من اجل ثراء الايطاليين المحظوظين الذين سيكونون الاوائل في وضع ايديهم على ثرواتها .

(١١٠) نفس المصدر ص ٦٤ — ٧٦٣ .

كان في تلك الفترة على صلة وثيقة به كمحرر بصحيفة « اونيتا » الناشئة . وايناودي بدوره قد غير رايه المتفائل حول المزايا المعنويـــة للحرب الليبية التي ذكرها في مجلة « ريفورما سوشيالي » . وقد واجه ايناودي انتقادات قاسية خاصة بعد نشره لبضعـــة مقالات على صحيفـــة « ايكونومست » البريطانية وذلك تحت اسم مستعار « ايتاليكوس » (١١١) الامر الذي اثار « لويجي لوتساتي » وجعله يدخل في جدال صحفـــي مع اينـــاودي على صحيفة « كوريري ديلا سيرا » (١١٢) وقد اضطر ايناودي ازاء ذلك الى كتابة رسالة الى لويجي البرتيني ينبئـــه فيها ان الرســائـــل التي نشرتها صحيفة « ايكونومست » هي من كتاباته ومعبر عن انزعاجه الشديد لروح التعصب وعدم التسامح التي وجدتها ايضا لدى الاصدقاء الذين كانوا على ما يبدو لا يدركون الفرق القائم بين الانتقاد والملاحظات الهادئة وبين الافتراء والمواقف المضادة للوطن . وقد اعاد ايناودي بعد ذلك النظر حتى في نظرته للطابع المعنوي للعملية مدركا ان فكرة جيريتي كانت تبدو وقد اصابت الهدف بصورة اعظم :

« (...) لقد بالغت في صحيفة « ريفورماسوشيالي » في التغني بالطابع المعنوي والتطلعي للعملية الليبيـــة . فعندما كونت تلك الفكـــرة كانت قد استولت علي ، اما الان فانا مقتنع مع شيء من المرارة بان جيريتي كان على حق واني كنت على باطل لاني اقمت ارائي على امال خيالية .

وبذلك اكون قد انهيت لا اقول دفاعي الذي لا ارى اني في حاجة اليه ،

---

(١١١) راجـــع Italicus, an Italian Explanatoin of the Raid on Tripoli منشـــور في صحيفـــة Economist » ٢١ اكتوبـــر ١٩١١ ص ٨٢٥ ــ ٨٢٤ و ٢٨ اكتوبـــر ١٩١١ ص ٨٨٤ ــ ٨٨٣ ، نفس المصـــدر ، Italy, the cost of war منشور فـــي Economist » ١٨ نوفمبـــر ١٩١١ ص ١٠٥١ . وقـــد عبـــر اينـــاودي في هـــذه المقالات عن نفس الافكار التي سبق ان عبر عنها في صحيفة « ريفورماسوشيالي » .

(١١٢) لويجي لوتســاتـــي L. Luzzatti ، الكاتب الايطالي الذي يهين وطنـــه في انكلتـــرا منشور في « كوريري ديلاسيرا » ٧ ينايـــر ١٩١٢ . واتهم لوتســاتي ايضا مـــراسل صحيفـــة « ايكونومست » بانـــه طعـــن في ايطاليـــا .

وانما واجب التفاهم معك . ان طرابلس سببت لي مرارات لا نهاية لها . واحدى كبرياتها الاختلاف في الاراء حول العملية نفسها . والان سواء كان الامر وطنية او افتراء بالنسبة للعملية فلا يمكنني بعد الان الكتابة على صفحات « الكوريري » . اليوم ارسلت اخر مراجعة للمعادن وبكيت لافتراقي عنها . ولهذا لن تراني ابدا اكتب لاية صحيفة اخرى ولو عشت مئة سنة .

فهل آمل على الاقل ان يتركونني في هدوء من اجل مدرستي وعائلتي وتاريخي البيمونتي الذي اخطات في اهماله للاهتمام بوسائل تثيرني وتضطرني الى كتابة ما يمر بذهني وتسبب لي جميع انواع الاتهامات الجائرة اليوم من اجل طرابلس وبالامس من اجل الاحتكارات ؟ » (١١٣) .

فاذا كانت مواضيع ايناودي وجيريتي وموسكا وغيرهم لم تجد سوى صدى ضعيفا ذلك لانها اطلقت بصوت خافت وبصورة شبه مستترة وكانت تجري في الغالب عن طريق المراسلات الخاصة . فان فايطانو سالفيميني كان هو الذي خلق حملة حقيقية معارضة لليبيا . وقد تبنى بصورة منتظمة ضرورة محاربة اراء اولئك الذين كانوا يعتبرون ان الحملة كانت مفيدة للبلاد وقام بعمله هذا متبعا في ذلك « الاسلوب التاريخي » بجمع « كل العناصر التي تحت يده » وبالاستفسار ايضا لدى الاصدقاء والمعارف » (١١٤) .

---

(١١٣) لويجي البرتيني ، المصدر المذكور ، مجلد ١ ، ص ٩٤ كتب ايناودي في رسالة اخرى لاحقة الى البرتيني بتاريخ ٢٨ مارس ١٩١٢ : « قال لي احد الاصدقاء هنا في روما ان جوليتي يزعم انه تحت يده مسودات « صحيفة ايكونوميست » مصححة بخط يدي وقد قدمتها له سفارتنا بلندن . وقد كتب الي « ليكونوميست » طالبا تفسيرا لذلك . واني امام هذا الاختيار : هل استطيع الاستمرار في الخضوع لهذا التهديد الطويل لمنعي من الكلام عند ما يكون لدي ما اقوله او اعتقد بمن واجبي ان اقوله حتى وان كان ضد الحكومة ومراكز القوة ؟ او من الانسب لي ان افضح جميع الامور مرة واحدة وللابد ؟ » (نفس المصدر ص ٩٧) .

(١١٤) اوغوسطوتوري Augusto Torre مقدمة كتاب فايطانوسالفيميني « كيف ذهبنا الى ليبيا » المذكور

وفي مقدمة كتابه « كيف ذهبنا الـــى ليبيا » (١١٥) الصادر عام ١٩١٤ والذي جمعت فيه كتابات ســالفيميني واصدقائه في معارضة العملية يتساءل سالفيميني :

« هل الشـعب الايطالي قد يوافق على الحملة بهذا الاندفاع وهل كان في الامكان تحقيق العملية لو ان شـعبنا لم يخدع حول ثراء الغنيمة وحول سهولة الاحتلال ؟ ونفس رجال الدولة الذين رهنوا ايطاليا ديبلوماسيا قبل عشـــر سنوات في سـبيل هذه العملية هل كان في امكانهم ان يقدمـوا على هذه الخطوة لو انهم قدروا بصورة احســن حساب الاثار القريبة والبعيدة لمبادرتهم والمزايا والاضرار التي كان على البلاد ان تنتظرها » (١١٦) .

وفي الخلاصة ــ بالنسبة لســالفيميني ــ ان عدم الصحة والمبالغات التي غمرت كتب وصحف تلك الفترة ضللت الراي العام الذي قبض على يد الحكومة واجبرها على العملية .

« ان ايطاليا عام ١٩١١ كانت مصابة بالملل . كانت مشمئزة من كل شيء . لقد وصلت الاحزاب الديمقراطية الى آخر درجة من احتقار الشعب . النائب جوليتي كان نفس النائب جوليتي . النائب سونينو كان يبدو كعربة مهملة على قضيب سكة حديد ميت . لم يكن يوجد اي رجل بارز يثق في مستقبل افضل . ان اي شيء كان افضل من هذا الركود العالمي . وهذا « الشـيء » تقدمه الصحف اليومية في شكل (احتلال الارض الموعودة) احتلال سهل قليل الثمن ومفرط الانتاج وهو ضروري جدا لايطاليا . عندئذ فلتحيا الحرب ، وفي وقت قصير طغت هستيرية ونفاذ صبر القراء على الصحف : فمن كان يبالغ كان يبيع اعدادا اكثر مع الاستمرار في المزايدة وفي المبالغات فانه في منتصف شهر سبتمبر تلاشى كل رادع للجنون . وعندئذ كان لا بد ان تقرر

---

(١١٥) كتاب مجموعة AA. VV. « كيف ذهبنا الى ليبيا » فلورنس ١٩١٤ ص ١٧ ــ ١ الان في كتاب نايطانوســالفيميني المذكور ص ٣٢ ــ ٣٣٦ .

(١١٦) نفس المصــدر ص ٣٢٧ .

الحكومة الدخول في الحرب فجاة : بدون اعداد ديبلوماسي فوري وبـدون اعداد محلي (باستثناء الاعداد المقلوب لبنك روما) وبدون اعداد عسكري فوري (١١٧) ولذلك :

« فان التساؤل عن « متى »و « لماذا » و « كيف » تمت العملية لا يجد التفسير الا اذا اخذنا في الحسبان عدم ثقافة وطيش وسهولة تاثر وثرثرة الطبقات الحاكمة الايطالية » (١١٨) .

وقد قابل قايطانو سالفيميني التيار العام بعناد وحزم وشجاعة معارضا حتى اصدقائه الذين ربطته بهم اواصر ود عميق نضج من خلال سنوات

---

(١١٧) نفس المصدر ٣٣٠ .

(١١٨) نفس المصدر ص ٣٣٣ . درس سالفيميني في مقال بتاريخ ٢٩ فبراير ١٩٤١ سوابق العملية والروح التي تكونت في تلك الفترة في الراي العام الايطالي فتحدث هو ايضا من « القدر التاريخي » : « لو ان امة اخرى ـ اكد سالفيميني ـ وضعت اقدامها في تلك البلاد (ليبيا) فان الاكثرية من الايطاليين الذين يقراون الصحف ويثرثرون عن السياسة حول موائد المقاهي ورجال آخرين علماء وغير متعلمين قد يكون لديهم الانطباع بان تلك كارثة وطنية عجيبة وان كنا حسب راينا نرى في ذلك خطا وان كانت الاراء في مثل هذه الحالات لا تساوي الا صاحبها فالكثيرون من اولئك الذين يلومون اليوم الحكومة على قيامها بالعملية (طرابلس) قد يعتبرونها لو ان ليبيا افلتت من ايطاليا واولئك الجمهوريون الذين يحتجون اليوم ضد الملكية لانها ذهبت الى هناك قد يطالبون بالجمهورية لو ذهب أحد اخر الى ليبيا . وهكذا فان « القدر التاريخي » كان ولا بد ان يقودنا عاجلا ام اجلا ألى ليبيا . وان « القدر التاريخي » هو عدم الثقافة والطيش اللذان جميعنا في ايطاليا مصابون بمرضهما مع بعض التفاوت . وبفضل عدم الثقافة والطيش تحولت امنية مبهمة وخيالية الى عقيدة ثابتة استطاعت تدريجيا ان تستحوذ حتى على رجال غير طائشين ومتعلمين وذلك لان احدا لم يخطر بخلده ابدا ان ينتقد هذه العقيدة بالذات على اعتبار ان الامر لا يتعدى كونه امنية دون اخطار مباشرة وبدون عواقب عملية ، واستمر الامر لمدة ثلاثين عاما دون مبالاة يتارجح بين الرغبة والاعراض الى ان تعثرت في لحظة العقد في المشط ولمسك « القدر التاريخي » لطيشنا وجهلنا برقابنا واضطررنا اخيرا الى الترك او الاخذ (لماذا كان يجب علينا ان نذهب الى ليبيا) منشور في صحيفة « اونيتا » ٢٠ فبراير ١٩٢٤ والان منشور في كتاب قايطانو سالفيميني المذكور ص ٣١٨) .

طويلة من التعاون والعمل الاخوي . فبعد ان تخلى عمليا عن صفوف الاشتراكية اخذ منذ ثلاث سنوات يساهم بصورة ايجابية في مجلة « لافوتشي » (الصوت) لصاحبها بريتسوليني . وببداية المشكلة الطرابلسية اراد سالفيميني ان يتخذ من هذه المجلة الفلورنسية منصة الاتهام ضد المحرضين على عملية الغزو « ووضح في ٢٤ اغسطس ١٩١١ الاسباب التي لا تبرر احتلال ليبيا . وقد برز من بين هذه الاسباب بوضوح تخوفه من احتمال مطالبة النمسا بتعويضات في البلقان الامر الذي قد تتبعه مسابقة في التعويضات التي قد تستغلها ايضا دول الوفاق بحيث تترك ايطاليا في حالة شلل وعزلة في عملية هذا النهب العام » (١١٩) وكان عليه وسط هذه المناورات أن يؤكد من جديد وباصرار انه حتى ولو ان طرابلس كانت :

---

(١١٩) (١) على ايطاليا ان تحتفظ في طرابلس على الاقل بعشرين الف رجل « والاسطول الايطالي قد يظل مشغولا بين « تارانتو » وافريقيا لتامين المواصلات المستمرة ما بين الحملة العسكرية والوطن الام . وفي وقت مناقشة شروط تجديد الحلف الثلاثي فان ايطاليا قد تجد نفسها مثل الرجل الذي وضع يديه في الشرك ويريد ان يتفاهم في مصالحه مع من وقف وراءه مسلحا بهراوة . وان جميع التضحيات المالية الضخمة التي بذلت في السنوات الاخيرة بحجة انها تفيد في تامين حرية عمل اكبر لنا وقت تجديد الحلف الثلاثي قد تعتبر أنها انفقت في غير طائل . (٢) ان النمسا التي عندما ضمت اليها نهائيا البوسنة والارزكوفينا اضطرت منذ ثلاث سنوات الى التنازل عن حقوق الاحتفاظ بحامية عسكرية في سنجق نوفي بازار وهو تنازل لم يغفره النمساويون والهنغاريون لارعانتال (وزير الخارجية) وان النمسا وفقا للتقاليد الديبلوماسية قد يكون لها الحق ان تطالب بتعويضات ولدى تقرير حجم هذا التعويض لن تستطيع ايطاليا معارضتها لا قانونيا ولا عمليا بسبب الشلل الذي قد تكون الحقته بها العملية الطرابلسية . (...) (٣) ان روسيا وفرنسا وانكلترا ستكون اقل مقدرة على مقاومة الزحف النمساوي — الالماني بالنظر لتخلي ايطاليا منها . ولذلك فقد تتبع هذه الدول ايضا سياسة التعويضات وتتضامن معا لانتزاع كل ما يمكن من عملية السلب العام . وخلال هذه المساومات فان ايطاليا المشغولة في طرابلس والمعزولة بين النظامين الديبلوماسيين لان كل منهما معاد لها ستقوم هي الان بالاضافة الى الامبراطورية العثمانية بدفع نفقات المائدة . وربما قد لا تستطيع حتى الاحتفاظ بطرابلس . وعلى كل فعليها ان تستجدي من المانيا والنمسا التنازل من اي مطمع في طرابلس . وهذا هو الشرك الذي قد تقع فيه ايطاليا في الذكرى الخمسينية للوحدة اذا ما اتيحت تشجيع رجالنا

« بلد المغانم التي يتغنى بها النمساويون — الرهبان * والقوميون في هذه الفترة ولبضعة سنوات اخرى فان ايطاليا عليها ان تحتفظ بسكونها ولا تقم بمبادرة تتضمن اية مفاجاة دولية ، وان تعمل قبل كل شيء على منع النمسا من اي تقدم في اتجاه سلانيك وان تخضع كل اعمالها لهذا الهدف الاسمى وان ترتبط ارتباطا وثيقا بجميع اولئك الذين تهمهم مثلنا المحافظة على الوضع الراهن » (١٢٠) .

وفي ٢٨ سبتمبر رد سالفيميني بمقال وقعه باسم « لانوتشي » على المواضيع التي اثارها بفيوني على صحيفة « لاستامبا » والتي اكد فيها ان ثروة « طرابلس تساوي الملايين التي يكلفها الاحتلال العسكري وتساوي المخاطرة بالاعتداء على كيان الامبراطورية العثمانية بما يتبع ذلك من فتح القضية الشرقية بصورة شرسة » .

وقد اجاب في نفس المقال على اندريا توري الذي اكد من على صفحات « كوريري ديلا سيرا » بتاريخ ١٥ سبتمبر ان مناجم الكبريت الطرابلسية تمتد لمسافة « الاف الكيلومترات » ورد كذلك على قايطانو موسكا الذي اكد من جديد من على صفحات « لاتريبونا » بتاريخ ٢٢ سبتمبر الفوائد الناتجة عن استغلال مناجم الكبريت الليبية (١٢١) .

من النمساويين — الرهبان . وتصاعد في ذلك القوميون .. هنيئا لهم . » الشرك الطرابلسي » في صحيفة « لانوتشي » ٢٤ اغسطس ١٩١١ . الان منشور في كتاب قايطانو سالفيميني المذكور ص ٩٥ — ٩٤ .

(*) يعني المؤلف رجال الكنيسة الكاثوليكية واتباعهم (المعرب) .

(١٢٠) المصدر المذكور .

(١٢١) « الثقافة الايطالية في طرابلس » منشور في « لانوتشي » في ٢٨ سبتمبر ١٩١١ ، والان منشور في كتاب سالفيميني المذكور ص ١١٤ — ١٠٢ « عندما يراد القذف بالبلاد في عملية خطيرة كعملية طرابلس — كتب سالفيميني — وتقوم حملة صحافية مجنونة اساسها الاراجيف وعدم الدقة والتزوير والطيش والعسر المنتظم فان من واجب من لا يريد ان يسير الى الامام وراءه في الزكيبة ان يلفت نظر البلاد الى حقيقة الوضع والى الاخطار الاكيدة والمفترضة الناتجة منه » .

واجتهد سالفيميني في ان يوضح ان معارضة « لافوتشي » لعملية الغزو الليبية لا ترتبط بتعصب دولي او من اجل السلام « وانما كانت تمليها اسباب وجيهة : اسباب سياسية واقتصادية ومعنوية » (١٢٢) . ولم يعجب موقف سالفيميني هذا الحاسم والمدعم بالاحصائيات والوثائق وشهادات الخبراء والباحثين لم يعجب ولم يرض محرري « لافوتشي » الاخرين الذين كانوا يخشون ان تتورط المجلة باكملها في هذه المعركة وان تفقد بذلك طابعها الثقافي البحت الذي كان يميزها ويعطيها سيماء ذاتية . كما انهم لم يرضوا عن هذا الجدل التفصيلي وافساح المكان والاهمية لمسائل سياسية طارئة ، مما يدفع على التفكير في ان المجلة هي لسان حال فريق سياسي وليست منبرا لمجموعة من المثقفين (١٢٣) .

« لا توجد قومية — اضاف سالفيميني — تستطيع ان تثبت ان استنزاف الزراعة الايطالية كان من اجل تقوية الزراعة الطرابلسية لاجبار فلاحينا المضطرين الى الهجرة باعداد كبيرة كي يذهبوا الى طرابلس في طلب العمل الذي تحول البلاغة القومية دون حصولهم عليه في ايطاليا تستطيع ان تثبت ان هذا العمل وطني ومفيد » (نفس المصدر) . فاذا ما سكت الجميع — كتب سالفيميني — الى كارلو بلانتشي في ٢١ سبتمبر — وتركوا المبادرة والمسؤولية للحكومة فعلينا نحن ايضا ان نصمت غير ان الجميع يتحدثون لان احدا لا يثق في الحكومة ولان كل واحد يريد ان يجر الحكومة الى حيث يريد هو . ولانه كان على القوميون ان يقوموا بدفعة اخرى نحو الارتباك الداخلي وان يمارسوا السياسة الخارجية من اجل فرضها على الحكومة من الخارج لتحقيق سياسات داخلية . ففي هذه الحالات يجب ان يقول كل واحد كلمته . وان كلمتي تساوي على ما اعتقد اكثر بكثير من كلمة كوارديني وتوري اللذين هما في الخلاصة ليستا الا انصاف اغبياء » (غايطانو سالفيميني « اوراق » المذكور مجلد ١ ص ٥٠٣) .

(١٢٢) « طرابلس والحلف الثلاثي » منشور في « لافوتشي » بتاريخ ٢ سبتمبر ١٩١١ ، الان منشور في كتاب غايطانو سالفيميني « كيف ذهبنا الى ليبيا » المذكور ص ٩٩ .

(١٢٣) ان الخلاف مع سالفيميني — كتب في هذا الصدد بريتسوليني — يعود الى عهد قديم ان مزاجه السياسي والشخصي يود دوما ان يعطي لمجلة « لافوتشي » طابعا سياسيا فقط وليس بالسياسة العامة حيث كانت « لافوتشي » تنشر مقالات سياسية (اي كثقافة وضرورة معنوية) بل كان يريد السياسة العادية الرامية الى طعن الرجل السياسي او ذاك او هذا الاجراء السياسي او الاخر (جوسبي بريتسوليني G. Prezzolini « عهد « لا فوتشي » ميلانو — فلورنس ١٩٦٠ ص ٢٣٠) .

« الان جاء دور طرابلس » هكذا كان سالفيميني يرد بشـدة على هذه الاتهامات كاتبا الى بريتسوليني يوم ١٨ سبتمبر ١١٩١ : « يجب الاصرار على طرابلس في كل اسبوع . فاذا كان هناك اصدقاء لمجلة « لافوتشي » يعتقدون ان تلك ليست بالثقافة فما عليهم الا ان يستسلموا « للفراشة » * والاخبار الثقافية (١٢٤) . وفي رسالة اخرى بتاريخ ٢٨ سبتمبر ١٩١١ كتب الى بريتسوليني : « ان الثقافة الحقيقية بالنسبة الى اليوم هي الحديث عن طرابلس . الباقي كله اليوم ليس بالثقافة وانما عبارة عن ادب » . واضاف في نفس الرسالة « اذا كان هؤلاء الاصدقاء بصفتهم مؤيدين للعملية الطرابلسية ويزعمون ان على « لافوتشي » ان لا تهتم بهذا الموضوع كي لا تقوم بالسياسة العادية او اذا وجدوا ان الاهتمام بطرابلس لا يعتبر ثقافة في حين ان الاهتمام ببيكاسو هي الثقافة ، فاذا تغلب هذا الاتجاه على مجلة « لافوتشي » فاني اعلن لك منذ الان عن انفصالي الكامل منك » (١٢٥) .

وفي اليوم التالي (٢٩ سبتمبر) تولى جوفاني اميندولا الذي كان ينوب عن بريتسوليني في ادارة المجلة الفلورنسية في تلك الفترة تولى الرد على سالفيميني :

« يبدو لي ان المرحلة الاولى من المشكلة الطرابلسية قد انتهت . وهي مرحلة اعداد الراي العام وخلق الاسباب الحاسمة للقرار . وقد اتخذ في النهاية القرار : واكدنا مسؤوليتنا ووضحنا تحفظاتنا واني لارى اذن ان مشكلة التساؤل كيف اتخذ القرار تخرج من ميدان الاحداث الجارية لتدخل ميدان التاريخ (...) وهذا لا يعني ان « لافوتشي » لا يجب ان تهتم بعد الان بطرابلس ، غير ان الامر في الوقت الحالي يتعلق بعمليات بحرية وعسكرية وديبلوماسية لا نستطيع ان نقول فيها شيئا . ان التحفظ اذن حول هذه

(*) اسم مجلة

(١٢٤) نفس المصدر ٤٣٣ .

(١٢٥) نفس المصدر ص ٤٣٨ — ٤٣٧ .

النقطة يبدو لي واجبا (...) وعلى كل يا عزيزي سالفيميني قد اكون مخطئا في راي ولكني لا اريد ان افرض عليك ولا اود ان تخرج من « لافوتشي » بهذه الطريقة والسرعة متخليا — حسب وجهة نظري — عن واجب الاتزان حتى ولو كان ثمن ذلك ان تملا صفحات « لافوتشي » بكتاباتك الطرابلسية التي قد تعتبر جاءت في غير وقتها (...) انتظر : والانتظار لا يبعد امكانية حل المسالة بصورة اساسية » (١٢٦) .

وقد حاول امندولا ان يصرف سالفيميني عن تلك الحالة التي كانت تبدو له انها اصبحت نوعا من الهوس وطلب منه ان يهتم بمسائل اخرى كان مهتما بها كثيرا وهي لا تقل اهمية بالنسبة لحياة البلاد المدنية والسياسة وذلك مثل مسالة حق التصويت العام .

ومع ذلك فقد اضطر سالفيميني على مضض منه ان يقطع الحوار بينه وبين اصدقائه بمجلة « لافوتشي » حيث كتب بتاريخ اول اكتوبر :

« اعتقد انه من واجبي ان اكف عن اي تعاون مع « لافوتشي » الى ان تحلوا ازمتكم في الاتجاه الذي اراه صوابا (...) ان مشكلة طرابلس قد وضعت كل منا في مكانه : هذا هو كل شيء . نستطيع اليوم ان نرى بصورة احسن ما في نفوسنا ونفوس الغير . ونشعر اننا لا نتفق سوى في طموح عام (مشترك) اي في حياة اكثر جدية وكرامة . غير ان هذا الطموح العام المشترك لا يكفي ليسمح لنا بالبقاء سويا . ان البابا بيوس العاشر يطمح في ان تحصل الانسانية كلها على حياة اكثر جدية واكثر كرامة . ومع هذا فهو

---

(١٢٦) ايفاكوهن امندولا Eva Kühn Amendola « الحياة مع جوفاني امندولا . رسائل ١٩٠٢ — ١٩٣٦ » فلورنس ١٩٦١ ص ٢٩٧ — ٢٩٦ . كان جوفاني امندولا بصورة جوهرية مؤيدا للغزو حتى وان كان يريد ان يفصل بين تاييده وتاييد اولئك الذين جعلوا « من التوسع والاضطرابات قانون الحياة الوطنية » ثم نراه بعد وصف الحرب بانها « حرب دون المتوسطة » (راجع جانبيرو كاروتشي Giampiero Carocci «جوفاني امندولا في ازمة الدولة الايطالية ١٩١١ — ١٩٢٥» ميلانو ١٩٦٥ ص ٢٢ — ١٨) .

قد لا يساهم في مجلة « لافوتشي » . وحيث انني تركت الحزب الاشتراكي ولا اجد في « لافوتشي » ولا حولها تلك المجموعة التي تبعث في الامل في عمل مفيد مما يضطرني الى العمل ، وحيث انني مقتنع بأن رجلا بمفرده في المجتمع الحديث عبارة عن عاجز ، ولذا فاني اقدم احتراماتي للعالم الحديث واكب على « الدراسة » لحسابي الخاص (...) سانزوي في عقر داري . هذا هو كل شيء . انها ازمة داخلية تخصني وحدي » (١٢٧) .

وبعد بضعة ايام اي في ٦ اكتوبر كرر سالفيميني نفس الافكار في رسالة جديدة الى بريستوليني وهي ضرورة « الكلام والافصاح عن الحقيقة : ١) كي تبدو المسؤوليات واضحة في حالة الفشل ، (٢) وحيث انه في حالة نجاح عسكري وديبلوماسي تستطيع البلاد ان تضع بترو برنامج عملها هناك « ثمن الضروري » الحديث عاجلا « في الوقت الذي يدور فيه القتال وذلك لاعداد النفوس للامر » (١٢٨) . وختم سالفيميني كلامه بشيء من المرارة :

« اني اؤكد ان انفصالي عن « لافوتشي » سيسبب لي الما لا نهاية له .

---

(١٢٧) ايفاكوهن امندولا ، المصدر المذكور ص ٣٠٠ ــ ٢٩٨ .

(١٢٨) لقد كتب سالفيميني الى بريتسوليني في هذه الرسالة المؤرخة في ٦ اكتوبر ١٩١١ :
« يبدو لي انك لا انت ولا امندولا تدركون بوضوح خطورة الخلاف . (...) حذار . انا لا اقول ان على « لافوتشي » ان تتخذ موقفا . اقول : دعوني انا اتخذ موقفا تحت مسؤوليتي . واذا اعتقد احدكم انني على خطأ فليحاربني من على صفحات « لافوتشي » سنتناقش وندرس . ان فريقا من اصدقاء « لافوتشي » يرى انه يجب علي ان اصمت حول ما اعتقد ان اقوله بسرعة . فهم يرون من المناسب الاهتمام بشجر السرو في سان فويدو اكثر من الاهتمام بطرابلس . (...) والشيء الذي لا استطيع ابتلاعه هو انه يجب علي ان اصمت : اي علي ان اشترك بصمتي في تزوير الاخرين » . لقد كان سالفيميني يرى ضرورة الكلام عن المسألة الطرابلسية في كل صدد لدفع الاوهام واعطاء (...) القراء الشعور بحقيقة الواقع مع مواصلة القول لانه مهما كان هذا الواقع والى الحد الذي وصلت اليها الامور فعلى ايطاليا ان تقاوم بشدة لتخرج بكرامة وبفائدة من الحالة الحاضرة العسكرية والديبلوماسية » (جوسبي بريتسوليني المصدر المذكور ص ٤٤٧ ــ ٤٤١) .

ان « لافوتشي » اعتبرها الى حد ما منزلي ايضا (١٢٩) . ولكني لا استطيع ان اتهاون في واجبي . وواجبي اليوم هو : اما التحدث باستمرار عن طرابلس وفي كل وقت حتى افرغ ما في جعبتي واما عدم الكلام عن اي شيء. لا اعتقد اني ساعمل شيئا لحسابي ، فاذا انفصلت من « لافوتشي » ستكون في ذلك نهاية ذلك العالم الذي بدا يتكون في داخلي في الوقت الذي كان يسقط فيه الاخر . ساشعر حقا بوحدتي وعندما يكون الانسان وحيدا فانه يفضل الصمت . ساتامل في نفسي وادرس لمدة عامين تقريبا وساعيد صياغة ثقافتي : ثم سنرى . (١٣٠)

ولم يتراجع بريتسوليني وامندولا واصدقاء « لافوتشي » الاخرون خطوة واحدة تجاه موقف سالفيميني وذلك لاقتناعهم كما كتب امندولا نفسه الى سالفيميني يوم ٢٠ اكتوبر بان المجلة الفلورنسية لا تستطيع ان تتخلى عن واجب « تجنيب الامة اخطارا في المستقبل » (١٣١) .

---

(١٢٩) وفي رسالة اخرى الى بريتسوليني بتاريخ ١٤ اكتوبر ١٩١١ هكذا كتب سالفيميني في نفس الموضوع :
« منذ ثلاث سنوات وجدت فيكم اسرتي . وساهمت مجلة « لافوتشي » كثيرا في اعطائي غرضا يجعل حياتي مقبولة في الوقت الذي تلاشى فيه كل ما من شأنه ان يحتويني شخصيا وفي الوقت الذي تساقط فيه بصورة مفاجئة تقطما ايماني برجال الحزب الاشتراكي » (نفس المصدر ص ٤٥٣) .

(١٣٠) نفس المصدر ص ٤٤٧ .

(١٣١) ايباكومن امندولا ، المصدر المذكور ص ٣٠٢ . « لا يكفي كونهم اصدقاء ــ كتب في هذا الخصوص جوناني بويني G. Boine في ٢٢ اكتوبر ١٩١١ ــ الى امندولا ــ ويريدون النقاء : انها مسائل هامة جدا بحيث تجمع من اجل سالفيميني . فاذا كان ثائرا ضد الاشتراكيين ام لا فجوهره ديمقراطي عاطفي ومن الاكثر خطورة لانه صادق » (نفس المصدر ص ٣٠٧) واجابه امندولا معبرا من سروره لتمكنه في محاولته « من مساعدة بريتسوليني وانقاذه من المنحدر الذي كان من الممكن ان يجره اليه سالفيميني » (نفس المصدر ص ٣٠٩) وفي رسالة بتاريخ اول يناير ١٩١٢ بعث بها امندولا الى بابيني Papini صاح : سالفيميني التعس كان في امكانه ان يجنبنا المضايقات ويجنب نفسه الاحراج » (نفس المصدر ص ٣١٧) .

ان اللعبة قد انتهت اذن. ولكن سالفيميني بالرغم من ادعاءاته لم ينزو في عقر داره ولم ينطو على نفسه . فقد تغلب عليه واجب الحديث باستمرار عن طرابلس حتى « يفرغ ما في جعبته » ، وكان ذلك من الاسباب الاساسية التي دفعته الى تاسيس صحيفة « اونيتا » بالرغم من ان امندولا كان قد حذره من ان انشاء صحيفة يعد من اقسى انواع العذاب التي يحب الرجال ان ينزلوه بانفسهم » .

وصدر العدد الاول من صحيفة « اونيتا » يوم ١٦ ديسمبر ١٩١١ بعد ان ناقش هذه المبادرة سالفيميني وجوستينو فورتوناتو Giustino Fortunato وجينو لوتساتو Gino Lozzato وجوسبي بتراليوني Giuseppe Petraglione

وكانت الصحيفة ــ حسب نوايا مؤسسها ــ يجب ان تكون لسان حال ضمير الجماهير الجنوبية التاريخي (١٣٢) . وتجمع حول المجلة الجديدة رجال نوابغ وان اختلف منشؤهم الثقافي والسياسي من امثال فورتوناتو ودي فيتي دي ماركو Fortunato, De Vitti De Marco وجيريتي Giretti وكارانو ــ دونفيتو Carano Donvito وايناودي Einaudi وبراتو Perato وازيمونتي Azimonti وكوليتي Coletti وتشاسكا Ciasca والفوقويد وموندولفو

(١٣٢) راجع ماسيمول . سالفادوري Massimo L. Salvadori « غايطانو سالفيميني » تورينو ١٩٦٣ ص ٨٣ . وقد لاحظ بندتوكروتشي Benedetto Croce لدى دراسته لطابع المجلة الجديدة كيف انها « لم تجهد نفسها لتوضيح تزويرات القوميين الخيالية والاخطاء التي تعج بها كتاباتهم ومواضيعهم (...) وكان لها الفضل في الشروع في دراسة الحالة الدولية الجديدة التي قامت والتي على ايطاليا ان تتحرك في اطارها . غير ان سالفيميني الذي اوجد المجلة وكان يتولى ادارتها كان يشعر في صميم نفسه بمثاليات ماتسيني والعدالة الدولية والشرف الشعبي ويمارس برغبة جدالا اخلاقيا حادا ما بين السذاجة والتظلم ويلمسه من الخيال المثالي . (البندتوكروتشي B. Croce « تاريخ ايطاليا في عام ١٨٧١ الى ١٨١٥ » باري ١٩٥٩ ص ٢٤٧) . جوسبي بريتسوليني لاحظ بدوره ان مجلة « اونيتا » كانت في جوهرها « لافوتشي » بدون برنامج للثقافة وبدون امكانية كثرة المساعدين « وكانت » مكانا سياسيا خاصة بسالفيميني وحده ولكنها لم تكن معبرة عن الجيل الجديد مثل ما كانت « لافوتشي » (جوسبي بريتسوليني المصدر المذكور ص ٤٥١) .

Ugo Guido Mondolfo ورودولفو موندولفو Rodolfo Mondolfo وسلفا Silva وانسالدو Ansaldo وكارابيلليسي Carabellese وغيرهم (١٣٣) .

وكانت اهم معركة خاضها سالفيميني خلال صراعه ضد طرابلس من على صفحات المجلة الجديدة هي تدمير « تقرير رولفس » وكانت صحيفة « لاراجوني » La Ragione (العقل) قد نشرت في اعدادها بتاريخ ١٣ و ١٧ و ٢٤ سبتمبر ١٩١١ وثائق ذات مغزى كبير « وهي مراسلات تمت في الستة الاشهر الاخيرة من عام ١٨٩٤ وفي الاشهر الاولى من عام ١٨٩٥ ما بين فرنشسكو كريسبي رئيس الوزراء في ذلك الوقت وبين الباحث والرحالة المشهور جيرالدو رولفس Geraldo Rohlfs والكابتن مانفريدو كامبيرويو Manfredo Camperio وشخصيات اخرى . وذلك حول الوضع في طرابلس وبرقة (١٣٤) .

واوضحت هذه المراسلات بان طرابلس وبرقة غنيتان بالموارد الطبيعية لدرجة تعويض اية نفقات تبذل في سبيل احتلالهما وان الوطنيين الناقمين على الحكم التركي كانوا ينتظرون وصول الايطاليين كمحررين .

---

(١٣٣) المماطلة التي كانت تجمعهم كانت ما يسمى « بالواقعية » وهي كلمة لوجدها الجدال ضد موضوعية الاحزاب السياسية لان غرض هؤلاء المدمين الاشتراكية كان — حسب كلام سالفيميني ان يفتوا » وسط كتلة الكهنوتين — المعتدلين وكتلة مجموعات للجوليتيين الراديكاليين — الاصلاحيين ولن يحاولوا عرقلة الجميع مدليين بان الكتلتين ليستا الا اتحادا لجماعات صغيرة ونقابية محلية (« ماسيمول سالفادوري » المصدر المذكور ص ٨٣) . وبخصوص طابع وتاريخ مجلة « اونيتا » راجع « الثقافة الإيطالية في التسمية من خلال المجلات » مجلد ٥ : « اونيتا » و « فوتشي بوليتيكا » بعناية فرانشسكوغولسيو واوغوسطوغويرا Francesco Golzio, Augusto Guerra تورينو ١٩٦٢ و « لونيتا » لغايطانو سالفيميني بعناية بنيامنيونينوكيارو Beniamino F. Nochiaro فنسيا ١٩٥٨) .

(١٣٤) كانت الاوراق تتالف من ست وثائق : تقرير رولفس الى كريسبي بتاريخ ٥ يوليو ١٨٩٤ رسالة من كامبيرو الى كريسبي بتاريخ ٧ يوليو ١٨٩٤ ، رسالة من كريسبي الى كامبريو بتاريخ ٩ يوليو ١٨٩٤ وتقرير رولفس الى كريسبي بتاريخ ١٨ يوليو ١٨٩٤ ، رسالتان من كريسبي الى كامبيريو بتاريخ ٢٤ يوليو و ١٦ اغسطس ١٨٩٤ .

« ان رولفس ـــ لاحظ سالفيميني ـــ قد قال في تقرير سري هام في عام ١٨٩٤ لا اقل ولا اكثر مما نشرته في هذه الايام حول الثروات الخيالية بطرابلس وحول احتلالها السهل جدا ، صحف ايديا ناسيونالي « وكوريري ديلاسيرا » و « لاستامبا » و « جورنالي ديطاليا » و « كوريري ديطاليا » وغيرها من الصحف الطرابلسية . (...) وعليه فان هذا التقرير الغير عادي ... مزور . (١٣٥)

وقدم سالفيميني الدليل على كلامه هذا محللا بدقة التناقضات والتباينات الواردة في المراسلات المذكورة وكان بعضها واضحا كالشمس مثل الاشارة بان القنصلين ارتورو سكانيليا Arturo Scaniglia واوقوسطو ميدانا Augusto Medana عملا في طرابلس في الفترة ما بين ١٨٨٤ و ١٨٩٣ في حين انهما في الواقع شغلا منصبيهما الاول في عام ١٩٠١ والثاني في عام ١٩٠٢ . او مثل الاشارة الى « المنظمة اليهودية للاراضي » (I.T.O.) التي لم تتاسس الا في عام ١٩٠٥ اي بعد عشر سنوات من وضع التقرير المزعوم . وكذب سالفيميني بعض التاكيدات الواردة في المراسلات بعبارات اخذت من مؤلفات جيرالدو رولفس نفسه .

واستمر سالفيميني طيلة عام ١٩١٢ في مناقشة الحرب الليبية ومحاربة التزويرات القومية والجدل حتى بعد نهاية الحرب وذلك ليؤكد على ضوء الاحداث صدق ملاحظاته وتحذيراته (١٣٦) . وقد ساهم معه في هذه الحملة

---

(١٣٥) « التزويرات الطرابلسية » في صحيفة « اونيتا » ١٦ و ٢٣ ديسمبر ١٩١١ والان منشور في كتاب غايطانو سالفيميني المذكور ص ١٢٩ ـــ ١١٧ . وبخصوص مراسلات رولفس ـــ كريسبي راجع ايضا المقالات التالية لسالفيميني « انيوكويرينو الاماني والوثائق الكريسبية المزورة » Ennio Quirino Alamanni منشور في « اونيتا » في ١٣ و ٢٧ يوليو ١٩١٢ « الاماني والوثائق الكريسبية المزورة » في « اونيتا » تاريخ ١٠ اغسطس و ٢٧ يوليو ١٩١٢ الان منشور في « غايطانو سالفيميني » المصدر المذكور ص ٢٢٠ ـــ ٢١٥ و ٢٢٨ ـــ ٢٢٥ .

(١٣٦) راجع المقالات التالية : « ايرودوت وبلينيوس قوميان » في « اونيتا » تاريخ ٦ يناير ١٩١٢ ، « مستعمرة ووطن ام » نفس المصدر ١٣ يناير ١٩١٢ »

من على صفحات « أونيتا » كـل من ارمـاند وريـتشي Armando Ricci وفرديناندو برتيني Ferdinando Bertini واوجينيـو فاينـا Eogenio Vaina وكارلو مارانيللي Carlo Maraneill وكارميلو كولامونيكو Carmelocola Monico واوجينيو ازيمونتي Eugenio Azimonti واكيلي كوين Achille Coen وليوني كايتاني Leone Caetani وادواردو جيريتـي E. Giretti (١٣٧) واثبت سالفيمني بعد عام من الحرب كيف ان «النزهة العسكرية تحولت الى حرب صعبة ماكرة في وسط معادي حقر واخذت تتهاوى اوهام الارض الموعودة من

« العمـل والاحتجـاج » ٢٠ ينايـر ١٩١٢ ، « الجنود الابطـال » نفس المصـدر ٢٧ ينايـر ١٩١٢ ، « تركيا والحلف الثلاثي » نفس المصـدر ١٧ ينايـر ١٩١٢ ، « علـم الاثـار الطرابلسي » نفس المصدر ١٧ فبراير ١٩١٢ ، « كيف تصنع ارضـا موعـودة » نفس المصـدر ٨ يونيـو ١٩١٢ Meminisse Juvabit نفس المصدر ١٢ مـارس ١٩١٢ ، « الوهـم الكبيـر » نفس المصدر ٤ مايـو ١٩١٢ ، « بنـك رومـا وليبيـا » نفس المصدر ٢٩ يونيـو ١٩١٢ ، « المسالة الليبية والديمقراطية » نفس المصدر ١٦ يوليـو ١٩١٢ ، « بطـل ايطاليا » نفس المصدر ٢٠ يوليو ١٩١٢ ، « بعـد عـام » نفس المصدر ٢٨ سبتمبر ١٩١٢ ، « القيـم الاخـلاقية للحـرب » نفس المصدر ٥ اكتوبر ١٩١٢ ، « الصلح الايطالـي ــ التـركي ومشكلة البلقـان » نفس المصدر ١٢ اكتوبـر ١٩١٢ ، « وجـوه صفيقة » نفس المصدر ١٢ و ١٩ اكتوبر ١٩١٢ ، « مرسـوم السيادة وصلح لـوزان » نفس المصدر ٢٦ اكتوبر ١٩١٢ ، « الملاءمة الصحية لليبيـا الايطاليـة » نفس المصدر ١٦ نوفمبر ١٩١٢ ، « لعبـة الغبـاء العميـاء » نفس المصدر ٦ ديسمبـر ١٩١٢ ، « ميـاه طرابلس » نفس المصـدر ١٣ نوفمبـر ١٩١٢ ، « جنوليـات استعماريـة » نفس المصدر ٣٠ نوفمبر ١٩١٢ ، « جيولوجية طرابلسـية » نفس المصدر ٢٧ ديسمبر ١٩١٢ ، « الهجـرة عبـر المحيط والعملية الليبية » نفس المصدر ١٠ ينايـر ١٩١٣ ، « من جديـد البداية » نفس المصدر ١٧ ينايـر ١٩١٣ ، « الزراعة في منطقة طرابلس » نفس المصدر ٣١ يناير ١٩١٣ ، « المـدرسة الثانوية في ليبيا والنائب تـوري » نفس المصدر ١٨ فبرايـر ١٩١٣ ، « فيلي في ليبيـا » نفس المصدر ٢١ مـارس ١٩١٣ ، « صيـد السمك في ليبيـا » نفس المصدر ١٣ يوليـو ١٩١٣ ، « السكـك الحديـدية في ليبيـا » نفس المصـدر ١٧ يونيـو ١٩١٣ ، « لمـاذا كان علينا ان نـذهب الى ليبيـا » نفس المصـدر ٢٠ فبرايـر ١٩١٤ ، « الاثـار العسكرية والـدولية للعملية » نفس المصدر ٦ مـارس ١٩١٤ ، ان جميـع هـذه المقـالات اعيـد نشرهـا في كتـاب « تايطلنوسالفيميني » المصدر المـذكور ص ٢٢٢ ــ ١٣٠ .

(١٣٧) راجـع مقالات هؤلاء الصحافيين في كتاب مخنومون .AA. VV « كيف ذهبنا الى ليبيا » المـذكـور .

يوم لاخر وواجه سالفيميني هذه الميزانية المحزنة « من الاوهام والاخطاء بنضوج » البلاد التي استطاعت ان « تقدم دليلا على الحكمة والفطرة السليمة تجاه محاولات القوميين المسعورة الرامية الى دفع الحكومة نحو مغامرات جنونية » (١٣٨) واعرب عن سروره لان «جميع الجنود من مختلف المناطق» قد وجدوا انفسهم في افريقيا « متآخين ومتآلفين لا بسبب الخطر وحده وانما بسبب الشعور بالواجب والشرف الوطني « ملاحظـــا » اندفاعا تضامنيا عظيما » وكان ذلك في نظر سالفيمني النتيجة الايجابيـــة الوحيدة لعملية الغزو وهي لا تستطيع « ان تكفي وحدها » من اجل :

« تبرئة اولئك الذين دفعوا بايطاليا الى هذه المغامرة علـــى اساس من الاكاذيب المخجلة : لان لا شيء لاحظه سالفيميني ـــ اكثر جنونا واجراما من التسبب في حرب ـــ وبتلك الاساليب ـــ بقصد وضع تضامن ونظام البلاد تحت التجربة : ان اولئك الذين ارادوا هذه الحرب قد برروها بحيل اخرى اي سراب الثروات الكبيرة التي سيتم الاستيلاء عليها دون اطلاق رصاصة واحدة . والضرورة الملحة لمنع حالـــة الاختناق ، باسباب سياسية عليـــا يزداد تاثيرها بقدر ما تزداد غموضا » (١٣٩) .

وقد كتب جواكينو فولبي G. Volpi بان سالفيميني :

« جعل من الجدال المضاد لعملية طرابلس في عام ١٩١١ وفيما بعد شبه رسالة باسم الحقيقة والشرف ومتطلبات الجنوب الداخلية ومصالحه . لقد كان رجلا موهوبا لا شك في استقامته وكان يعمل في تلـــك المعركة بشعور الناقد وغالبا ما ينقل المعلومات التي وان كانت ليبرالية خالصة غير انها اعظم مما لدى خصومه المتوننين بليبيا ، ولكن ميله المعتاد ايضا في دفع ارائه

---

(١٣٨) « بعد عام » في صحيفة « اونيتـــا » ٢٨ سبتمبر ١٩١٢ ، الان في «قايطانوسالفيميلي» المصدر المـــذكور ص ٢٣٧ ـــ ٢٣٦ .

(١٣٩) « القيـــم الاخلاقية للحـــرب » ٥ اكتوبـــر ١٩١٢ ، الان في « غايطانـــوسالفيمينـــي » المصدر المذكـــور ص ٢٤٠ .

الى الحد الاقصى ، واخلاقيات كان يـــرى من خلالها مـــختالين ومستغلين متربصين في كل مكان وبساطة كانت تجعله يعـــري المسائـــل حتى العظم متوهما انه قد توصل الى حلها او مهـــد لها الحل الســهـــل . وكان ينقصه الادراك او الاحساس بالمتطلبات التي كان من الممكن ان تفرض على امة مثل ايطاليا في فتـــرة حاسمة بالنسبة لمستقبل البحـــر الابيض المتوسط وهي حضورها ايجابيا مع فرنسا وانكلترا وروسيا ايضا والمانيا والنمسا في شمال افريقيا والشرق (١٤٠) .

ومن المؤكد ان سالفيميني قد قلل من اهمية بعض مظاهر المشكلة التي كان يراها الاخرون اساسية مثل وجود ايطاليا فـــي البـــحر الابيض المتوسط والمصالح التجارية والاقتصادية التي كانت معرضـــة للخطر فـــي طرابلس والوضع الذي كان يبدو مناسبا في الميدان الدبلوماسي خاصة بعد احتلال فرنسا لمراكش . وعلى كل فان مغزى حملة سالفيميني ضد الحرب الايطالية ــ التركية لا تقتصر على اقتناعه الراسخ بعدم فائدتها او بالاحرى بالضرر الذي قد تلحقه عملية الغزو بالبلاد مما يزيد من خطورة ازمة الجنوب ولا يحل المشاكل الخطيرة مثل مشكلة الهجرة . وهو اقتناع تدعمـــه دراسة مصادر موثوق بها ودقيقة كان يدفعه علـــى البحث عنها ما كان يضايقه كمؤرخ من تزويرات وتلاعب في الوثائق التي عمدت اليها الصحافة ــ ان معركته هذه يجب ان ينظر اليها ايضا من مظهر اقل عرضية وانتفاعية بل يجب ان ينظر اليها عبر المحيط الاوسع للحياة السياسية الايطالية في تلك السنوات .

وقد اضطر سالفيميني ان يلوح بالخطر الذي كان من الممكـــن ــ حسب وجهة نظره ــ ان يتهدد دولة النهضة العلمانية القديمة بعد انضمام قسم من الحركة الكاثوليكية الى الحملة الليبية كما ان امكانية استفادة بنك روما الذي تتغلب عليه رؤوس الاموال الكاثوليكية ان يستفيد من سيـــاسة الحكومة وهو الامر الذي كان يصدم شعوره المعادي للكنيسة . وقبل كـــل شيء قد

---

(١٤٠) جيواكينولولبي ، المصدر المذكور ص ٣٢ .

تراى لسالفيميني في صيف ١٩١١ الخطر الذي قد تلحقه بايطـــاليا موجة القومية التي اخذت تنشر عدواها بحماس متهور غير معقول في الجزء الاكبر من الاوساط السياسـية والثقافية في البلاد وتقدم الى حركات مثــل حركة كوراديني ـــ الذي جعل من الحرب الايطالية ـــ التركية مسالة خاصة به ـــ الوثيقة التي توطده بصورة كبيرة لدى الراي العام . وقد ادرك سـالفيميني بحساسيته السياسية ـــ التاريخية ان هذه الروح الطائفية البحتة والمضادة في داخلها للديموقراطية لم تكن تستطيع ان تقدم اية مزايا ولا اي شيء مفيد للتقدم المدني والمنظم للشعب الايطالي وللعلاقات الديبلوماسية الطيبـــة مع الدول الاوروبية الاخرى » . ربما ان مصير ايطاليا قد تقرر ؟ كتب سـالفيميني هذه الجملة في فبراير ١٩١٢ بلهجة تكاد تكون تنبوئية :

« ربما الخمسة والعشرون سنة القادمة التي كان من الممكن ومن الواجب ان تكون بالنسبة لايطاليا المتزنة والمدركة لمصالحها الحقيقية ـــ سنوات سلام وكرامة ورخاء ، ستكون بفعل عمليـــة التسمم القــومية العـــالمية ـــ سنوات لن تسر وطننا كثيرا » (١٤١) .

وان حكم سالفيميني على الحرب الليبية على كل حال ـــ كان من الصعب تفنيده لانه استند على الجدية والانسجام وعلى اسلوب صارم رغم ان موقفه هذا بدا لبعض معاصريه في ملامح « دونكيشوتيه » : اي نوع من معركة ضد مطاحن الريح .

وقد أعتقد سالفيميني دون ان يقدر التقدير الكافي للواقع المحيط به ـــ انه في امكانه ان يؤثر على الجماهير : «انهم يملكون الصحف ونحن نحرك الميادين » كتب بذلك الى بلانشي في ٢١ سبتمبر ١٩١١ (١٤٢) ولم يكن يدرك اذ ذاك ان القلة مثله من الذين كانوا يحاولون خلق تيار معاد لغزو ليبيا كانوا

---

(١٤١) « تركيـــا والحلف الثلاثي » منشور في صحيفة « اونيتـــا » بتاريخ ١٧ فبرايــر ١٩١٢ والان منشور في كتـــاب ســالفيميني المــذكور ـــ ص ١٧٣ .

(١٤٢) قايطانو ســالفيميني « اوراق » السابق ذكــره ص ٥٠٢ ـــ مجلــد ١ .

معزولين منذ البداية لانهم كانوا يفتقرون الى الوسائل « المحركة للميادين » لقد كانوا عبارة عن معارضين منفردين لا يملكون اية امكانية لتغيير الجو الذي تكون في ايطاليا لدرجة ان الحزب الاشتراكي نفسه وهو القوة الوحيدة التي كان في الامكان الاعتماد عليها اذا اراد الحزب ذلك قد انقسم على نفسه وتردد واعتنق الكثير من رجاله البارزين فكرة جوليتي الاستعمارية .

وقد يتبادر التساؤل لماذا غير سالفيميني موقفه بمناسبة دخول ايطاليا الحرب العالمية الاولى التي كلفت البلاد اعباء مختلفة وضحايا في الارواح البشرية والثروات . لقد كان سالفيميني في الواقع ينظر الى بحر الادرياتيك منذ عام ١٩١١ وكان يخشى ان احتلال طرابلس قد يقضي على طموحات ايطاليا وقت تجديد الحلف الثلاثي في تحرير اراضيها التي كانت لا تزال تحت حكم النمسا وان هذه الاخيرة في زحفها نحو سلانيك قد تطالب بتعويضات اكبر ، وتفتح بذلك عملية «السلب العام» للامبراطورية العثمانية. وقد لا نخطىء اذا قلنا ان التدخل الديموقراطي الذي تبناه سالفيميني في عامي ١٩١٤ و ١٩١٥ تمتد جذوره في حملته ضد غزو ليبيا وفي صفحاته الملتهبة ضد هذا الغزو (١٤٣) .

---

(١٤٣) بخصوص هذه الجذور الليبية في مطالبة سالفيميني بالتدخل في الحرب العالمية راجع ايضا لوتشيا سترابيني Lucia Strabini المذكور ص ٩٦ ــ ٩٥ : وقد ركزت على قول سالفيميني باعادة العثور على « التضامن الوطني » واكدت انه بذلك اقترب من القوميين غير ان هذه الفكرة تبدو قابلة للنقاش .

من الاعداد الديبلوماسى الى اعلان الحرب

جوليتي وسان جوليانو يواجهان المشكلة الطرابلسية . النشاط الديبلوماسي عشية القتال — موقف انكلترا وفرنسا وروسيا —جاكومودي مارتينو وعمله الديبلوماسي في تركيا — المانيا وتركيا . موقف النمسا ، المجر — الراي العام الايطالي والحكومة — محاولات المانية ، تركية ، نمساوية لايقاف ايطاليا في آخر لحظة — الانذار الموجه الى تركيا واعلان الحرب — ردود الفعل في اوروبا — خطاب تورينو — صعوبات ايجاد حل متفق عليه — فيتوريو عمناويل الثالث والعملية الليبية .



كتب جوفاني جوليتي في مذكراته انه عندما تولى للمرة الرابعة الحكم في ربيع عام ١٩١١ فبالاضافة الى الاصلاح الانتخابي وانشاء احتكار التامينات فقد كانت هناك نقطة ثالثة « منذ زمن حاضرة » في ذهنه « مع الرغبة الاكيدة في انتهاز اول فرصة » لتحقيقها : «حل المشكلة الليبية » (١) . ومن المعروف ان هذا التاكيد قد احدث موجة من التفسيرات المتناقضة سواء من قبل واضعي التاريخ او الصحفيين والكتاب بصورة عامة . وقد كتب لويجبي

---

(١) جوفاني جوليتي « مذكرات حياتي » ميلانو ١٩٦٧ ، ص ١٩٢ .

البرتيني مدير « كوريري ديلاسيرا » جوليتي ، ملاحظا « انه قبل ربيع ١٩١١ لم يكن هناك من يفكر أو يستطيع ان يفكر في ليبيا . ولكي نذهب اليها كان علينا ان نواجه عاصفة اعظم من تلك التي اثارها الانزال في طرابلس عام ١٩١١ عندما تقرر هذا الانزال تحت ضغط احداث كنا غريبين عنها » (٢) . ويعتبر البرتيني في الخلاصة ان الاسباب التي قررت العملية « تنحدر من الوضع الذي اوجده حادث اغادير وعواقبه » (٣) .

وقد اشار البرتيني نفسه الى ان « تشدد النظام التركي وحل مشكلة مراكش سياسيا كانت قبل كل شيء العامل الذي جعل البلاد تدرك ضرورة سرعة العمل » (٤) . ويبدو ان راي البرتيني اقرب الى الواقع وخاصة عندما يؤكد ان الازمة الفرنسية المراكشية كانت السبب الحاسم في المبادرة الايطالية . ويكفي القول ان اوراق جوليتي لا تحتوي على اي اثر لوثائق تشير بصورة ملموسة الى امكانية احتلال ليبيا قبل « حادث اغادير » (٥) . وقد يكون من الممكن الملاحظة على كل حال ان مسألة امكانية احتلال ايطاليا لطرابلس وبرقة كانت مطروحة منذ سنوات على بساط السياسة الخارجية الايطالية . فقد نوقشت خلال الاتفاقات مع فرنسا وانكلترا وروسيا وفي الحلف الثلاثي الامر الذي لا ينفي الافتراض بان جوليتي كان ينوي في ربيع ١٩١١ « انتهاز الفرصة » لتصفية الموضوع .

غير انه من المشكوك فيه جدا ان جوليتي كان يود في تلك الفترة ان يعمل

---

(٢) لويجي البرتيني « عشرون عاما من الحياة السياسية » ــ قسم اول جزء ٢ ص ١١٨ .

(٣) نفس المصدر ــ ص ١١٩ .

(٤) نفس المصدر ص ١٢٢ .

(٥) لقد لاحظ رفائيلي مولينيللي Raffaele Molinelli في هذا الصدد : « ان البرتيني على حق فان العملية نضجت بعد اغادير فقط (يوليو ١٩١١) وهو نفس ما يقوله جوليتي ولكنه يخطيء اذا اعتقد ان القرار كان كلية مفاجاة وانه لم يحظ في اطار الحكومة بفترة اعداد حتى ولو ان الاحداث الداخلية والخارجية قد حققته بصورة نهائية . (رفائيلي مولينيللي المصدر السابق ذكره ص ٧٩ ــ ٨٠) .

على حل المسألة الطرابلسية . ففي ربيع ١٩١١ بالذات يبدو ان رئيس مجلس الوزراء كان « ثائرا ضد القوميين » الذين كانوا ينادون باحتلال طرابلس . ولدينا شهادة من قوليامو فريرو Guglielho Ferrero التي قد تبدو معارضة لما كتبه جوليتي نفسه في مذكراته . فيتحدث فيريرو عن محادثة وقعت في شهر مايو بين رئيس مجلس الوزراء نفسه واحد اصدقائه ومساعديه يبدو ان جوليتي قد صرح خلالها :

« القوميون يتخيلون ان طرابلس هي ارض يملكها زنجي ساذج تستطيع دولة اوروبية ان تسقطه عن عرشه كما تشاء . غيـــر ان طرابلس ولاية من ولايات الامبراطورية العثمانية والامبراطورية العثمانية دولة اوروبية كبرى ان كيان ما تبقى من الامبراطورية العثمانية هو احد المبادىء التي يقوم عليها توازن وسلام اوروبــا . ولكي استولى على طـــرابلس يجب ان احـــارب الامبراطورية العثمانية ، ولكي احارب دولة كبرى اوروبية يجب ان يكون لدي السبـــب او على الاقـــل الذريعة ولا استطيع اذ ابـــرز الحـــرب ضد الامبراطورية العثمانية قائلا لاوروبا ان الحزب القومي يريد طرابلس . ثم وبعد ذلك ان كيان الامبراطورية العثمانية شرط في توازن وسلام اوروبا . فهل من مصلحة ايطاليا ان تدمر احدى احجار الزوايا في المبنى القديم ؟ ولو فرضنا ان بعد مهاجمتنا لتركيا تتحرك البلقان ؟ ولو ان حربا بلقانية تتسبب في صدام ما بين مجموعتي الدول وفي حرب اوروبية ، هل في امكاننا ان نتحمل مسؤولية اشعال النيران في مستودع البارود ؟ (٦) .

ان مشكلة اتفاق تاكيدات جوليتي مع الواقع ام لا هي من نوع الخلافات التي تترك للزمن . ولا يبدو لنا ضروريا بصفة خاصة هذا التحقق الى اي مدى كان جوليتي متمسكا بتحقيق عملية استعمارية بعد ان قضى سنوات كثيرة كرسها لمشاكل السياسة الداخلية قبل كل شيء . او بصورة اخرى اذا كان

---

(٦) توليلـــو فيـــريرو G. Ferrero « السلطـــة » اعداد جينـــا فيريرو ولومبروزو — تقديم اومبرتو كامبانيولو — ميلانو ١٩٤٧ ص ٣٢٥ — ٣٢٦ .

"عمل الذي قام به في اخر شهر سبتمبر ١٩١١ كان هو اي جوليتي العامل الرئيسي فيه ام انه قد دفعته اليه مرغما الاحداث السياسية الدولية وضغط العوامل الداخلية والخارجية على وزارته . فمثلا ما هو وزن شخصية وارادة وزير خارجية مثل دي سان جوليانو في كل الاحداث وما وزن الجو الذي خلقته حملة الصحافة لصالح الحرب ؟

لقد لاحظ جوليتي نفسه ان « سان جوليانو » الذي كان يشعر نحو ليبيا بشعور خاص بصفته صقلي كان اكثر تسرعا وكان يعتقد ان من الانسب القيام بالعمل قبل حل المشكلة الخطيرة جدا المعلقة بين فرنسا والمانيا بخصوص مراكش » (٧) وبتصفح الوثائق الموجودة في اوراق جوليتي وبصورة خاصة الرسائل المتبادلة ما بين جوليتي ودي سان جوليانو عشية الحرب الايطالية — التركية (٨) نرى ان هذا التاكيد يجد ما يغلب تاييده (٩) . ففي يوم حادث « اغادير » بالذات في اول يوليو ١٩١١ كتب دي سان جوليانو الى جوليتي: « ان الحالة التي من الممكن ان ترتسم في مراكش تتطلب من جهتنا في اسرع وقت ممكن دراسة هادئة للسلوك الذي يجب ان يتبع وللقرارات المحتملة التي يجب اعدادها » فهذه اول وثيقة من حيث الزمن — يعثر عليها في اوراق جوليتي حول مسالة امكانية القيام بعمل ايطالي او على الاقل حول مناسبة دراسة الحالة على ضوء الاحداث التي كانت تتحقق في البحر الابيض المتوسط (١٠) .

---

(٧) جوفاني جوليتي — المصدر المذكور ص ٢١٧ .

(٨) جزء من هذه الوثائق نشر في « من اوراق جوفاني جوليتي » المذكورة . لدى محفوظات الدولة المركزية بروما — وتوجد ايضا وثائق اخرى هامة لم تدرج في المجموعة المذكورة . وسنشير الى الوثائق التي لم تنشر باحرف A.C.S., C.G.

(٩) فيما يتعلق بسياسة دي سان جوليانو الاستعمارية انظر رينولونغيتانو Rino Longhitano « انطونيو دي سان جوليانو » — روما — ميلانو ١٩٥٤ ص ١٣٧ — ١٩٤ وفرنشسكو كاتالوتشو F. Catalluccio « انطونيو دي سان جوليانو وسياسة ايطاليا الخارجية من عام ١٩٠٠ الى ١٩١٤ » فلورنسا ١٣٥ ص ٤٦ — ٧٣ .

(١٠) A.C.S., C.G., b. 13, f. 13

وبعد بضعة ايام أي في ٢٨ يوليو وجه وزير الخارجية الى جوليتي مذكراته المعروفة وهي قطعة ديبلوماسية رائعة حاول فيها ان يقنع رئيس الوزراء بالاخذ بعين الاعتبار وبصورة واقعية امكانية القيام بعملية استعمارية . وقراءة هذه المذكرة تشعر الانسان ان دي سان جوليانو قد تامل كثيرا في مذكراته . فافعال وحروف الشرط وكلمات « ممكن » التي كانت لا تخلو منها تقريبا فقرة كانت دليلا على الصراع النفسي والعذاب الامر الذي ادركه جوليتي وقد اشر بالقلم الاحمر على كثير من هذه الفقرات . ومع هذا فان دي سان جوليانو لم يستطع الا ان يوضح حتمية قيام ايطاليا بعمل حازم في ليبيا :

« من مجمل الوضع الدولي والمحلي في طرابلس اني اليوم اميل الى الاخذ بانه من المحتمل ان تجد ايطاليا نفسها بعد بضعة اشهر مضطرة الى القيام بحملة عسكرية في طرابلس فمن الضروري ان نحسب حساب هذه الاحتمالات في كل اتجاهاتنا السياسية مع الواجب — حسب نظري ان نحاول تجنبها » .

والسبب الاساسي الذي جعل دي سان جوليانو يفضل حملة عسكرية يكمن في خطر اشتعال الفتيل في البلقان وهو لا يخفي ذلك :

« (...) ان احتمال (احتمال لا تاكيد) انزال ضربة بنفوذ الامبراطورية العثمانية نتيجة لنجاح تلك الحملة ، قد يدفع شعوب البلقان داخل وخارج الامبراطورية — هي اليوم اكثر غضبا من اي وقت من نظام الاتحاديين المركزي المجنون وقد يعجل بازمة قد تدفع او تضطر النمسا تقريبا الى العمل في البلقان » (١١) .

---

(١١) لقد لاحظ فالياني Valiani انه « منذ يناير ١٩١١ قام سان جوليانو (الذي كان وزيرا للخارجية في وزارة لوتساتي) بتكليف القائم بالاعمال الايطالي بفيانا دوق دافارنا بان ينبه للنمسا — المجر بان الراي العام الايطالي وحكومة روما لا يستطيعان الصبر طويلا تجاه هذا المطلب الملح » (ليوفالياني — اسباب الحرب والتدخل الايطالي من خلال الابحاث والمطبوعات في العشرين سنة الاخيرة « المجلة التاريخية الايطالية » سبتمبر ١٩٦٦ ص ٥٩٥) .

وهذا في الواقع هو المظهر السلبي الوحيد الذي ابداه دي سان جوليانو الى جوليتي . بل قد اكد بعد ذلك بقليل انه باستثناء الخطر المذكور « فان جميع اعتباراتنا في السياسة الخارجية قد تنصح — حسب راي — بالاسراع باحتلالنا لطرابلس » وقد اضاف دي سان جوليانو الى الاعتبارات الخارجية عوامل داخلية مثل « الحاجة العامة والحية في ان تتوطد القوة الوطنية بعزم باي صورة » او « اموال ودسائس بنك روما المهتم بتعجيل الاحتلال الايطالي لطرابلس » ومن هنا نشات بالنسبة لسان جوليانو ضرورة الشروع في الاعداد العسكري كي لا نجد انفسنا بدون غطاء او على الاقل لاجبار الحكومة العثمانية على « تفسير سياستها الموجهة ضد كل نشاط مشروع في طرابلس التي قد تنتهي بجعل حملتنا لا مناص منها » .

« فاليوم يختتم دي سان جوليانو تقريره — يكفي أن يكون حاضرا في اذهاننا بان الحملة جميعها قد تغدو لا مفر منها ونوجه منذ الان عملنا نحو غاية مزدوجة : نحاول تجنبها من جهة والاعداد منذ الان لنجاحها حتى ولو كان الاحتمال كما يبدو يزداد باستمرار وسيصبح امرا لا بد منه بالرغم من ارادتنا (١٢) .

وكانت الرسالة الثانية التي بعث بها دي سان جوليانو الى جوليتي من فللومبروسا يوم ٩ اغسطس كانت اكثر تاكيدا وحزما . وقد اوضح فيها وزير الخارجية خطر « قيام بنك روما بالتفاوض والاتفاق على التنازل عن اعماله في طرابلس لصالح شركة بنوك المانية — نمساوية » (١٣) .

---

(١٢) نص هذه المذكرة في « من اوراق جوليتي » المصدر المذكور مجلد ٣ ص ٥٢ — ٥٦ وقد وضعت المذكرة في ثلاث صور فقط واحدة لجوليتي وواحدة للملك وواحدة لمحفوظات وزارة الخارجية السرية وقد حملها الى جوليتي في باردونكيا رئيس ديوانه كاميلو بيانو . والوثيقة مدرجة في الملحق رقم (١) .

(١٣) ابلغ هذا النبا الى سان جوليانو وزير البلاط الملكي مانيولي الذي كتب في بطاقة يوم ٥ اغسطس ١٩١١ من سانتلنادي فالديري (*) : (بلغني اشاعة ان بنك روما ربما يتفاوض او قد توصل الى اتفاق للتنازل عن اعماله في طرابلس الى شركة بنوك المانية — نمساوية . ابلغك هذا النبا لانك تستطيع

« في هذه الايام (اكتب يوم ٧ اغسطس ولكن ستمر بضعة ايام قبل ان اذهب الى روما لنسخها) قد اخذت الحالة الدولية ترتسم كما كنت اتوقع . فيبدو من جهة بالفعل ان الاحتمال متزايد بان المانيا ستطلق يد فرنسا في مراكش مقابل تعويضات مناسبة . ومن جهة اخرى تزداد الريبة العثمانية حول مطامحنا في طرابلس ، ولذلك تزيد وستزداد معارضة تلك الحكومة لاي من نشاطاتنا الاقتصادية في تلك الولايات وهو امر طبيعي ولا مفر من وقوعه بالنظر الى موقف الراي العام في كلنا البلدين وللهجة صحافتنا التي تتفق والشعور المتغلب في ايطاليا (...) فمن الضروري ان يشرع في الاستعدادات منذ الان في سرية تامة لانه اذا كانت هناك قرارات ستتخذ فيجب ان يكون تحقيقها سريعا » (١٤) .

فاذا كانت التقارير والرسائل التي وجهها دي سان جوليانو الى جوليتي ما بين نهاية يوليو واوائل اغسطس ١٩١١ لا تترك كما يبدو مجالا بعد لاعادة التفكير ، فان الموقف الذي اتخذه وكيل وزارة الخارجية بيترو لانزادي سكاليا Pietro Lanza Di Scalea * كان اكثر حزما . فقد ارسل في ١٣ اغسطس ١٩١٣ تقريرا باتا الى دي سان جوليانو جاء فيه :

« اعتقد انه لا يمكن بعد تاخير اتخاذ قرارا . فانت قد لخصت المسالة بوضوح ذهني في مذكرتك التي ابلغتني اياها ، فاذا لا تتخذ قرارا بوضع المسالة بصورة قاطعة امام مجلس الوزراء ولا تجعل منها مسالة مرتبطة

ان تقدمه بما يستحق . وعلى كل حال فلتعلم ان هذه الاشاعات يتناقلها الناس (...) A.S., MAE, Gab. 10, 11, p. 22فلم يكن ابن ارنستو بانشيللي الذي هدد سان جوليانو « بالتنازل من الاملاك الطرابلسية الخاصة بالبنك الى الالمان » كما يستنتج كانابيني (لويجي كانابيني L. Canapini « الوطنية الكاثوليكية » باري ١٩٧٥ ص ١٧٥) .

(١٤) من اوراق جوليتي المصدر المذكور مجلد ٣ ص ٥٧ — ٥٨ .

(*) تولى دي سكاليا وزارة المستعمرات الايطالية في العهد الفاشستي من ٣ — ٧ — ١٩٢٤ الى ٥ — ١١ — ١٩٣٦ (المعرب) .

(**) Santianna Di Valdieri موقع سياحي في ولاية بيمونتي (المعرب) .

بالضرورة بحياتك كوزير خارجية ، فلن تستطيع في المستقبل ان تبرر للراي العام باي شكل اسباب الجمود في وقت تتحرك فيه جميع الامم المتمدنة لتوسيع ممتلكاتها الاقليمية وفي وقت يتغير فيه الوضع في البحر الابيض بصورة اساسية بعد ما عدل كثيرا لغير مصلحتنا نحن فقط » (١٥) .

وفي نهاية اغسطس دخل سان جوليانو في اتصال مع كاميلو قاروني C. Garroni ولويجي مركاتيللي L. Mercatelli وهما ديبلوماسيان عينا حديثا الاول كسفير في اسطمبول والثاني كقنصل بطرابلس وقد ابدلا قبل ان يصلا مقر عملهما بكل من القائم بالاعمال جاكمودي مارتينو ونائب القنصل قاللي Galli (١٦) لقد سالهما دي سان جوليانو رايهما ووضع تحت تصرفهما جميع الوثائق التي كانت في حوزته . والنتائج التي وصل اليه قاروني ومركاتيللي لم تكن تختلف عن الاقتناع الذي توصل اليه دي سان جوليانو حول الموضوع : « بالنسبة لطرابلس يجب القيام بعمل حاسم في اجل غير بعيد » . وعندما ابلغ دي سان جوليانو الى جوليتي نتيجة هذه الاتصالات في ٣١ اغسطس كتب اليه يقول :

« (...) ان المانيا ستنزعج ولكنها لن تفعل اي شيء يسبب لنا الضرر او يزعجنا بصورة جدية (...) ان مزايا ما يسمى بالاعداد (للعنصر العربي في ليبيا) قد تبدو حسب وجهة نظري اقل من مزايا المفاجاة . ان الوطنيين سيكونون الى جانب القوى . فاذا بدت ايطاليا كذلك (اي قوية) سيكونون معها والا فلا .

(...) من كل هذا يظهر — حسب وجهة نظري — وبالمنطق الواضح حقا انه اذا كانت هناك فترة اعداد سياسية مطية سابقة لعملنا العسكري ، فان هذه الفترة يجب ان تكون قصيرة جدا » (١٧) .

---

(١٥) A.C.S., C.G. b. 17, f. 38

(١٦) المصدر المذكور ص ١١٧ .

(١٧) A.C.S., C.G., b. 13 f. 13

وكتب جوفاني انسالدو G. Ansaldo في كتابه عن جوليتي الذي تولى فيه الدفاع عنه ضد الاتهامات المعادية له من امثال سالفيميني والبرتيني فقد لاحظ بمقارنة ذكية ان جوليتي (كان ينظر الى طرابلس كما ينظر اصحاب الحوانيت البعيدو النظر الى المحل المواجه الذي قد يحل فيه منافس لهم — ويستاجرونه عندما يستطيعون لانشاء فرع لهم فيه مع علمهم انه لن يدر شيئا ابدا (١٨) — ويبني انسالدو حكمه على افتراضات ذاتية لا تجد الا القليل من التاكيد امام الوثائق التي عثر عليها حتى الان — مؤكدا ان جوليتي « قرر العملية قبل ان يحدثه عنها دي سان جوليانو (...) وقد قررها لانه اقتنع بانه « من نصيبه هو » بعد عشر سنوات من الحكم المزدهر والسعيد ان يفوز امام الملك والشعب وامام الحلفاء بنجاح في السياسة الخارجية نجاح شخصي وضخم بحيث يعيد اليه « شبابه » ويظهر معدل مقدرته بالكامل لا بصفته مناورا بسيطا للاغلبية وانما بصفته رجل دولة » (١٩) . لا نستطيع ان نوافق انسالدو على تاكيداته الاخيرة التي تنسخ بقوة جدلية ما سبق وكتبه جوليتي في مذكراته بل تتعدى جوليتي نفسه الذي قد لاحظ فعلا ان دي سان جوليانو كان المتسرع والراغب في حل المشكلة في اسرع وقت ممكن . ولا يبدو لنا ان انسالدو يقدم خدمة لجوليتي بالقاء كل شرف المبادرة عليه وكذلك ثمن الاخطاء والقرارات المرتجلة التي قد بدت بانها كانت مدمرة لسير الحرب والتي لا تجعل من جوليتي « صاحب الحانوت بعيد النظر » الذي يصفه انسالدو . ففي الواقع ان قرار الحملة العسكرية درس ما بين شهر يوليو وشهر اغسطس ١٩١١ وفربل وتقرر بوزارة الخارجية ولم يكن ذلك بطلب من جوليتي بل يمكن التاكيد ان وزير الخارجية قد وضع رئيس الوزراء في حالة حصار بما يرسله اليه يوميا من تقارير السفراء لاطلاعه على الوضع ، وفي الخلاصة يبدو ان جوليتي اضطر تقريبا الى قبول

---

(١٨) جوفاني انسالدو المصدر المذكور ص ٣٨٥ .

(١٩) المصدر السابق ص ٣٨٧ .

القرار ولا نعرف مقدار تحمسه له (٢٠) ومن الغريب ان المتصفح للوثائق الخاصة باعداد العملية لا يجد لجوليتي تاكيدات متفائلة وحماسية وهي ما يمتاز بها بالعكس الديبلوماسيون. ان العملية العسكرية كانت تبدو امام اعينه في مستوى اية مشكلة حكومية اخرى ، لقد ظل باردا ومبتعدا امام احتمال الحرب ضد تركيا . يبدو تقريبا انه تقبل الحرب كضرورة « وكقدر تاريخي » اشار اليه في خطابه الذي القاه بالمسرح الملكي بتورينو يوم ٧ اكتوبر ١٩١١ (٢١) .

ولم ينتظر دي سان جوليانو رد جوليتي النهائي كي يشرع في اعداد دبلوماسي مكثف وقاطع وحقيقي للعملية . والسياسة التي استوحى وزير

---

(٢٠) كل شيء — كتب ماريوتوسكانو Mario Toscano كل شيء يبعث (...) على الاعتقاد بان الخلاف الذي دب بين جوليتي وسان جوليانو كان اعمق مما اراد ان يظهره جوليتي في مذكرات (ماريو توسكانو « تاريخ المعاهدات والسياسة الدولية » تورينو ١٩٦٣ ص ٤٦٣) وكتب اندرياتوري من جهته الى البرتيني في ١٥ سبتمبر ١٩١١ : « جوليتي يتنشق الرياح لقد قرر ان يذهب واذا ما وجد ذريعة للبقاء يبقى . مسكينة ايطاليا ، الى اي حد قد وصلنا ، ساعة تاريخية بالنسبة للبلاد تقررها بصورة او اخرى حسابات برلمانية وترجح كفة الميزان بصورة خاصة ما قد يعود على رئيس الحكومة من هدوء شخصي قليلا ام كثيرا » . لويجي البرتيني — مراسلات المصدر المذكور مجلد ١ ص ١١) . وعلى كل فان جوليتي قد اعترف بعد ١٦ ديسمبر ١٩١٣ في وسط البرلمان : « لقد صرحت بذلك اكثر من مرة ولا اتردد في اعادته : انني لم اقم بحرب ليبيا بدافع الحماس : بل بالعكس (...) انها الحقيقة ويجب ان اعترف بها » (انظر برونيللو فيجيتزى — المصدر المذكور ص ٧٠) .

(٢١) « ان السياسة الخارجية — قال جوليتي في تلك المناسبة — لا يمكنها مثل السياسة الداخلية ان تكون خاضعة تماما لارادة الحكومة والبرلمان ولكن للضرورة المطلقة يجب ان تحسب الاحداث والاوضاع التي ليس في مقدورنا تغييرها واحيانا لا نستطيع زيادة سرعتها او تاخيرها . هناك احداث تفرض نفسها مثل قدر تاريخي حقيقي بحيث لا يستطيع شعب ان يتجنبها دون ان يورط مستقبله بصورة لا يمكن تلافيها . ففي مثل هذه اللحظات من واجب الحكومة ان تتحمل جميع المسؤوليات نظرا لان اي تردد او تاخير قد يكون بداية الانحدار السياسي الذي سيأسف الشعب لعواقبه لسنوات طويلة وربما لقرون » (جوفاني جوليتي خطابات خارج البرلمان — المصدر المذكور ص ٢٦) .

الخارجية منها عطله كانت تهدف الى الحصول من جهة علـــى عدم الاهتمام الودي اذا امكن من قبل دول الوفاق التي كان على كل حال يؤمل منها بشيء من التاكيد بعض المساعدة ولو كان ذلك من اجل الاتفاقات الاخيرة ومن اجل سياسة فك الارتباط الجزئي للحلف الثلاثي التي كانت تقوم بها ايطاليا منذ بداية القرن وللاقتناع بان فرنسا وانكلترا وروسيا قد لا تقوم بسياسة من شانها ان تقوي الحلف الثلاثي وتدفع ايطاليا الى احضان المانيا والنمسا ــ والمجر بصورة لا رجعة فيها . وكان الامر اكثر صعوبة بالنسبة لاقناع برلين وفيانا بهضم عمل كان يعكر بصورة انعكاسية العلاقات الطيبة السياسية والاقتصادية ــ التجارية ما بين الامبراطوريات المركزية والباب العالي . هذا دون الاخذ في الحساب الخوف الذي لوحت به المانيا والنمسا بان اذلال تركيا قد يحدث لدى الشعوب البلقانية الخاضعة لتركيا اضطرابات لدرجة تعكر بصورة ملحوظة الوضع القائم في البلقان الذي كان دوما مزعزعا وغير مستقر .

ويمكن التاكيد بصورة عامة ان الطريقة التي عالج بها وزير الخارجية الايطالية الاعداد الديبلوماسي لاحتمال الدخول في حرب مع تركيا كانت تستند على عرض قوي للعداء التركي للمبادرات الاقتصادية الايطالية ذلك العداء الذي افقد ايطاليا صبرها الى اقصى حد . وكان دي سان جوليانو يبدي ملاحظاته الى السفراء الايطاليين في برلين وفيانا ويوجه اليهما التعليمات بخصوص تقديم الخلاف الايطالي التركي الى حكومتي المانيا والنمسا ــ المجر على هذا الوجه :

« (...) ان عداء تركيا لكل نشاط اقتصادي مشروع لنا سواء بصورة ظاهرة او خفية مستمرة ولا يمكن التغلب عليه . ومنذ الخريف الماضي وقبل ذلك لم تجد كل الاتصالات التي اجريتها برسائل وبرقيات متتابعة ومحادثات مع سفراء تركيا ودول اخرى مبديا ومتوقعا الاخطار التي تتعرض لها تركيا باصرارها على مثل هذه السياسة . وربما اعتقدوا انها تهديدات جوفاء وهي ليست بتهديدات وليست بجوفاء وانما كانت بصفتها هذه تعبر عن مواقف

عادلة وحقيقية . لقد اتهمت حلفاءنا في اكثر من مرة وكذلك تركيا بان تهيج الروح العامة التدريجي في ايطاليا قد يصل الى نقطة تجعل الصراع لا يمكن تجنبه والقيام بعمل حاسم لا يمكن تاجيله . لقد اصرت تركيا على معاكساتها : لقد تعددت الحوادث وحاولت امام المجلس (النواب) وفي الصحافة ان اخفف من شانها ، بيد ان تكرارها كان دليلا لا يقبل الطعن بان هناك خطة منظمة لعرقلة نشاطنا الاقتصادي والسلمي ، ومثلما كان متوقعا لقد وصل الغضب العام في ايطاليا في النهاية الى درجة انه لم يشاهد مرة اجماعا كاملا في بلادنا كما هو بالنسبة لهذه المسالة وفي هذا الوقت، باستثناء اصوات قليلة معارضة لا تنصب معارضتها على حقنا الذي يعترف الجميع بانه انتهك ولا على كرامتنا التي يعترف الجميع بانها اهينت ، وانما المعارضة تنصب على احسن الوسائل لمساندة حقنا ووضع حد للاهانة (...) ولا توجد اليوم غير وسيلة وحيدة عملية ممكنة : ان تؤمن ايطاليا الادارة الفعلية للحكومة وللادارة في طرابلس وبرقة (٢٢) .

وبعد يومين في رسالة الى السفارات الايطالية المعتمدة لدى الدول الاوروبية الكبرى شدد دي سان جوليانو على الخطر الذي يتعرض له الايطاليون في طرابلس وفي الامبراطورية العثمانية تجاه « الانفعال المتواصل » ضدهم وضد ايطاليا الذي يثيره الضباط الاتراك والرجال البارزون في لجنة الاتحاد والترقي (٢٣) وقد طلب دي سان جوليانو نفسه

(٢٢) بـ A.C.S., C.G., b. 25, f. 64 برقية دي سان جوليانو إلى بانسا واملارنا من ٢٢ سبتمبر ١٩١١ .

(٢٣) A.C.S., C.G., b. 17, f. 38 برقية دي سان جوليانو الى سفارات ايطاليا في لندن وباريس ومدريد وبرلين وفيانا وبطرسبورغ بتاريخ ٢٤ سبتمبر ١٩١١ . وكان نائب القنصل الايطالي بطرابلس قاللي الذي عرض الحالة بعبارات مثيرة بينما كانت اسطمبول تكذب بصورة قاطعة وجود اضطرابات وتوتر في طرابلس . وكتب قاللي من طرابلس في ٢٠ سبتمبر يقول : « ان عمل لجنة الشباب التركي المثابر والعنيد بدا يعطي نتائجه ويوجد اليوم خطر على المستعمرة وان كان لا يزال مستترا . ومما يساهم في تغذية الاضطرابات مع الاسف الاخبار

من سفرائه التوضيح جيدا بان ايطاليا لا ترمي الى احتكار ليبيا ولكن تركيا « كانت تضعها ليس في حالة دونية فحسب وانما في وضع استمالة » . لو ان حل الازمة النهائي تاجل الى ما بعد فان الخلاف قد يزداد حدة باستمرار وقد يجعل « دائما العلاقات الطيبة الايطالية ــ التركية مستحيلة ويكون خطرا دائما على السلام الاوروبي » لان الصراع قد يشتد « في الفصل والوقت الذي قد تكون فيه التاثيرات البلقانية اكثر احتمالا من هذا الوقت » (٢٤) .

وان عرض المشكلة على مستوى الخلاف الاقتصادي البحت كان ربما احد حدود عمل دي سان جوليانو واحد الاسباب الحاسمة في المفاجاة العامة التي احدثها في الخارج التصرف الايطالي ، بالنظر الى انه كان من المعقول حل المشاكل الاقتصادية على المستوى الديبلوماسي بدلا من اللجوء الى القوة السلاح وسندرس في حدود الامكان وبقدر ما تسمح به الخيوط المعقدة التي حبكتها في تلك الايام الديبلوماسية الاوروبية المواقف والاوضاع التي اتخذتها الدول الخمس الاوروبية الكبرى في مواجهة طموحات ايطاليا .

فقد وضح دي سان جوليانو منذ ٣ يوليو ١٩١١ الى السفير البريطاني في روما سير رينيل رود أن ايطاليا قد ترى نفسها مضطرة « ان تقوم بمظاهرة في طرابلس لتؤمن سلامة الايطاليين المقيمين هناك من الظلم الذي

التي تنشرها الصحف الايطالية بدون تقدير للمسؤولية وبدون اي احد . وهذه الصحف يقراها اكثر الناس تعصبا في الشوارع وشاهدت شخصيا قبل ليلة مثل هذا الحادث « وقد اشار تاللي الى « احتمال حاجته الى حماية سريعة » وتاكيدا للخطر الذي اشار اليه نائب القنصل بطرابلس « فان المسدسات والاسلحة القليلة المعروضة للبيع قد اشتراها جميعها العرب » وقد اشتكى تاللي من الصحافة الايطالية وانتقد مجيء العديد من الصحافيين الايطاليين ومن بينهم بياتسا وباسيتي وفليتشي مؤكدا انه اذا تسبب وجودهم في حوادث فسوف لن يتردد « لحظة في ابعادهم » (برقية تاللي توجد في (A.S. MAE, Segr. gen. pa. 40, pos. 17 a, f. 641 .

(٢٤) A.S. MAE المصدر المذكور ــ برقية دي سان جوليانو الى تيتوني في ٢٥ سبتمبر ١٩١١ .

يلاقونه » (٢٥) غير ان عمليات سبرغور دقيقة ومفصلة شرع فيها ابتداء من اخر يوليو . ففي ٢٦ يوليو كان دور السفير الايطالي بلندن المكيز امبريالي Imperiali الذي اجتمع بالسير ادوارد غراي Grey (وزير الخارجية) وبحث معه الوضع الايطالي الصعب في طرابلس بسبب العداء التركي . وقد اجاب غراي مصرحا باقتناعه باساس الشكوى الايطالية واضاف انه في حالة ان ايطاليا تجد نفسها مجبرة على « حماية مصالحها المداسة » واذا « فشلت كل محاولة » واضطرت الى العمل ، « فان انكلترا لن تتدخل ضدها فقط بل سوف تمنحها العطف والتاييد المعنوي فحسب (٢٦) . وقد ابلغ وزير الخارجية البريطاني نفسه السفير البريطاني باسطمبول ان الشكاوي الايطالية لها ما يبررها وان ايطاليا كان يجب الا تعامل معاملة اقل من الدول الاخرى (٢٧) .

وكان دي سان جوليانو يشير دائما في كلامه الى الديبلوماسيين الانكليز والى امكانية ارسال مذكرات احتجاج او مظاهرات لاجبار تركيا على تلطيف موقفها « غير أن غراي وبصورة خاصة السفير بروما رنيل رود « وهو

(٢٥) B.D., IX, I ص ٢٦٠ .

(٢٦) A.S. MAE, Gab., 1911, pa 22. برقية امبريالي الى دي سان جوليانو في ٢٦ يوليو ١٩١١ « غراي قد لاحظ – يواصل امبريالي – كنصيحة ودية وشخصية ، انه يبدو له من الضروري ان يكون ممثلنا المحتمل له مبرر كانتهاك صارخ لحقوقنا او كدليل واضح على نوايا تركيا ومعاملة ايطاليا بطرابلس معاملة اقل مما تعامل به الدول الاخرى · فقد يكون من المناسب بعبارة اخرى تجلب ان يكون هذا العمل بقصد مطالبة تركيا بالحصول على مراكز متفوقة وممتازة بصورة خاصة لانه في مثل هذه الحالة فانه سيجد نفسه محرجا امام البرلمان لتبرير العطف والمساعدة المعنوية الممنوحة لنا » وقد كان نص المحادثة ما بين غراي وسفيره رنيل رود في ٢٨ يوليو ١٩١١ مطابقة للنص المذكور باستثناء الفقرة الاخيرة (انظر B.D., IX, I, Nº 221 ص ٢٦٤) ·

(٢٧) B.D., IX, I, Nº 223 ص ٦٧ – ٦٦٦ ، برقية غراي الى لاوثر في ٣٠ اغسطس ١٩١١ ·

حكيم ومراقب دقيق (٢٨) قد خمن ان شيئا ضخما كان يتحرك . ففي ١٤ سبتمبر كتب الى غراي من بوزيليبو قائلا انه بالرغم من بعض الهدوء السائد و « هيجان الصحافة الايطالية المزمن بخصص المطالب الطرابلسية الذي هدأ نوعا ما » وبالرغم من أن الساسة الايطاليين كان جميعهم تقريبا على شواطىء البحار او فوق الجبال فقد يكون من الخطا التقليل من اهمية عدم المبالاة الظاهرية هذه وان لا نراقب بانتباه الموقف الايطالي (٢٩) . وبعد بضعة ايام قال انه مقتنع بان الدول قد تجد نفسها قريبا « تجاه الامر الواقع قبل ان يكون لتركيا الوقت لتنظيم المقاومة او ان تستطيع الدول الكبرى الاخرى تقديم تحفظاتها واعتراضاتها » (٣٠) .

وعلى كل حال فان نوايا أنكلترا كانت واضحة : حياد ودي تجاه ايطاليا وتصريحات قاطعة بالنسبة لتركيا كانت تشعرها بانها قد لا تجد مساندة لها في لندن . وفعلا قد كتب امبريالي في ٢٥ سبتمبر الى دي سان جوليانو انه علم من « مصدر اكيد » أن السفير التركي بلندن قد ابلغه وكيل وزارة الخارجية نيكولسون ان « تركيا لا يمكنها ان تعتمد على تاييد انكلترا في

(٢٨) اوتوسطوتوري « الاعداد الديلوماسي للعملية الليبية » ١١١ : « في عشية الاحتلال » في « راسنيادي بولتيكا لنترناسيونالي » . مارس ١٩٣٧ ص ٢٢٨ .

(٢٩) B.D., IV, 1, رقم ٢٢٤ ص ٦٨ — ٢٦٧ — رسالة من رود الى غرا اي في ٤ سبتمبر وبمناسبة تغيب اهم الشخصيات السياسية الايطالية من روما كتب جوليتي . لقد تفاهمت مع دي سان جوليانو ان يظل بحجة العطلة في فيوجي وفللومبروزا بينما كنت انا في كافوروباردونيكيا ، كي نظهر انه ليس هناك شيئا غير عادي كان مطروحا على البساط — وانكر ان الصحف الاكثر انفعالا بالنسبة للمسالة الليبية قد لامتني بحدة على تغيبي من العاصمة وعلى عدم الاتصال بوزير الخارجية واعضاء الحكومة الاخرين في مثل هذا الوقت ولكن شتائمها كانت تبعث في نفسي السرور لانها كانت تدل على ان مخططي قد نجح نجاحا كاملا وقد ساهم في ازالة شكوك الحكومة التركية التي فاجاها انذارنا (جوليتي مذكرات حياتي : المصدر المذكور ص ٢٢٩) .

(٣٠) B.D., IV, 1, رقم ٢٢٧ ص ٧١ — ٢٧٠ رسالة رود الى غراي من بوزيليبيو ١٤ سبتمبر ١٩١١ .

الخلاف الحالي (٣١) . وبعد بضعة ايام قام نيكولسون « بافهــام امبريالي جيدا » ان الاوساط السياسية البريطانية كانت تنتظر من لحظة الى اخرى مبادرة ايطالية في افريقيا الشمالية وانهم ليست لديهم اية نية في « اثارة صعوبات في وجوهنا » (٣٢) . وفي يوم ٢٩ سبتمبــر بعد ارسال الانذار ولدى اقتراب الحرب تحادث غراي مع امبريالي وحدد فــي عبارات محكمة وعلى ضوء الاحـــداث الاخيرة الموقف الانكليزي . وقد لخصه امبريالي في النقاط الاربعة التالية :

١ ــ ان انكلترا لا تنوي التدخل في الصراع .

٢ ــ ان انكلترا بموجب اتفاقيات مبرمــة مع ايطاليا تعتــرف بالاهمية القصوى للمصالح الايطالية في طرابلس وبضرورة حمايتها من قبل ايطاليا .

٣ ــ وان الصداقة الودية التي تربطها بايطاليا ــ اكثر من الاتفاقيات المذكورة ــ تجعلها ترغب في ان تتمكن ايطاليا من الحصول على الترضيات الواجبة لها .

٤ ــ غير ان ايطاليا باحتلالها لطرابلس تتخذ اجراء قصيا لا يستطيع احد اليوم ان يتوقع ما يمكن ان تكون له من عواقب خطيرة جدا على السلام الاوروبي وما يخلق من احراجات جدية لجميع الدول ابتداء من انكلترا التي لها رعايا كثيرون مسلمون ولذا فهي تثق في ان حكومة الملك (ايطاليا) ستجد الطريقة لحماية مصالحها مع تجنيب الدول الاخرى بقدر الامكان الاحراجات والصعوبات (٣٣).

---

(٣١) A.S. MAE, Segr. gen., n° 42, pos. 17 a, f. 641 برقية امبريالي الى دي سان جوليانو ٢٥ سبتمبر ١٩١١ ــ راجع ايضا حول هذه المحادثة B.D., IV, 1, رقم ٢٥١ ص ٨٦ ــ ٢٨٥ و O.U.A., VIII رقم ٢٦٤٨ .

(٣٢) A.S. MAE, المصدر المذكور برقيــة امبريالي الى دي سان جوليانو في ٢٩ سبتمبر ١٩١١ .

(٣٣) المصدر المذكور ــ برقية امبريالي الى دي سان جوليانو في ٢٩ سبتمبر ١٩١١ .

(٣٤) المصــدر المــذكــور .

ويرى السفير الايطالي بلندن ان غـــراي كان يرمي من وراء خطابه الى ثلاثة اغراض : « اظهار الصداقـــة لنا ونصحنا بالاعـــتدال وروح التفاهم وتغطية مسؤوليته امام البرلمان في حالة ان تتحقق مع الاسف المضاعفات التي يخشى وقوعها (٣٤) . وعلى كل فلا شك ان غراي رغم توقعه قيام ايطاليا بعمل حاسم فقد اندهش من السرعـــة التي انقلت بها ايطاليـــا الى العمل الفعلي . ان امبريالي لا يشير الى مفاجاة غراي هذه ربما لان وزير الخارجية قد استطاع أن يخفيهـــا ، بيـــد انه كما يتضح من الوثائـــق الديبلوماسية البريطانية كان غراي يتوقع ان يعمد « الايطاليون الى تقديم احتجاج شديد اللهجة الى اسطمبول وقد يصحبون الاحتجاج بتهديد قد يكون مظاهرة بحرية » ولكن لم يكن يفكر في انذار اربعة وعشرين ساعة يعقبـــه في الحال اعلان الحرب (٣٥) .

وعلى كل وبالرغم من ان المفاجاة قد كونـــت حالة نفسية عامة في كل اوروبا ، فان الحكومة الانكليزية قد اظهرت كلية عـــدم معارضتها للمبادرة الايطالية بالرغم من قلقها بالطبع بالنسبة لاستقرار السلام في اوروبا وهدوء رعاياها المسلمين في الامبراطورية البريطانية . وان الود البريطاني كانت له اسباب ومصالح محددة جيدا . لقد كانت انكلترا تفضل ان ترى على حدود مصر الغربية الايطاليين عوضا عن الاتراك الذين كانوا مرتبطين عسكريا واقتصاديا بالمانيا . وكانت بريطانيا من جهة اخرى مرتاحة لان المسالة التي اثارتها ايطاليا قد تضع برلين في حرج كبير . ويبدو أن غليوم الثاني نفسه كان منفعلا في تلك الايام من سبتمبر خوفا من ان التساهلات البريطانية تجاه المطامع الايطالية قد تكون مناورة من لندن بقصد مزدوج وهو اضعاف الحلف الثلاثي الضعيف فعلا وانساد صداقة تركيا مع الامبراطوريات المركزية (٣٦).

فمهما كانت الاسباب الانكليزية الظاهرة او الخفية فهناك شيء اكيد :

---

(٣٥) B.D., IX, 1, رقـم ٢٧٢ ص ٣٠٢ بـرقية غـراي الى ف . برتي في ٥ اكتوبر ١٩١١ .

(٣٦) انظـر برقيـة كيدرلن الى غليـوم الثـاني في ٢٤ سبتمبـر ١٩١٢ في G.P., XXX, I ص ٥١ ــ ٤٩ حـاشيـة .

ان الود البريطاني وبصورة خاصة قبل بداية القتـــال قد شجع وطمأن دي سـان جوليانو جزئيا . غير ان وزير الخارجية كان يعرف جيدا انكلترا لانه عمل بها سفيرا من عام ١٩٠٦ الى ١٩٠٩ وكان يعلم مدى تاثير الراي العام على الحكومة وكيف ان الراي العام يتاثر بالصحف الكبرى . فقد كان دي سـان جوليانو يخشى بصورة اساسـية حملة صحافية معادية لايطاليا قد تجعل الحكومة الانكليزية تغيـــر موقفها بصورة لا رجعة فيها . وعمل عن طريق امبريالي على ترويض الصحافة الانكليزية . وفي ١٦ سـبتمبر ذكر دي سـان جوليانو الى السـفير الايطالي كيف انه خلال اقامته في لندن منذ بضـعة سنوات قد عمل دوما على تنمية « العلاقات الشـخصية باهم الصحفيين وهم رجال ذوو جدية وثقة « وان غالبا » ما اجتمع « بالسـادة شيـسـول من صحيفة « تايمس » وسـبندر من صحيفة « وستمنسـتر غازيت » ووابر من صحيفة « مورننق بوسـت » (٣٧) وقد اسـتطاع اكثر من مرة ان يـغير من انطباعاتهم ولهجتهم . واليوم تعود المشـكلة و « تجاه الشك في ان ايطاليا ربما تضطر الى اي عمل حاسم فـــي طرابلس » فـــان امبريالي قد يجب عليه « ببعض السـرعة » اعلام كبار الصحافيين الانكليز حول طبيعة الخلافات الايطالية ــ التركية ملاحظا « روح التفاهم » التي سـلكتها ايطاليا في علاقاتها بالحكومة العثمانية (٣٨) .

وقام امبريالي بعملية سبر الغور التي طلبها منه دي سـان جوليانو وقابل صحفيين من ذوي النفوذ من بينهم براهام من صحيفة « تايمس » وخرج بعد هذه الاتصـالات باقتناع بانه بالرغم من ملاحظته لبعض الود ومع « الاعتراف باسـاس الشـكوى ضد تركيا » فانهم كانوا مترددين في تبرير اعمال اكراهية محتملة « من قبل الايطاليين وكذلـــك » هم مترددون في تشـجيعهـــا بسبب قلقهم (...) وتحقيق مشـاريعنا سـواء بالسـلام او بالعنف في طرابلس سـيكون

---

(٣٧) اضاف دي سـان جوليـــانو ــ فالبا ما كانوا يحضرون مع زوجاتهم للعشاء او الغــذاء لــدي ولنا ذاهب لديهـــم (A.S., MAE.) المصدر المذكور .

(٣٨) المصـــدر المذكـــور .

لها اثرها الحتمي على الحالة الداخلية المتردية في تركيا وعواقبها الخطيرة الممكنة على سلام اوروبا » واضاف امبريالي ان صحف « دايلي غرافيك » وصحف متطرفة في الراديكالية مثل « الديلي نيوز » و « مانشستر قارديان » قد تعارض بصورة قاطعة « اي عمل ايطالي » (٣٩) .

وقد ظهر ان قلق دي سان جوليانو كان له ما يبرره : فان انشط وغالبا اعنف رد فعل لاحتلال طرابلس جاء فعلا من الصحافة الانكليزية .

اما الديبلوماسية الفرنسية فقد كانت في صيف ١٩١١ غارقة الى اذنيها في الخلاف مع المانيا بخصوص مراكش وهو الحادث الذي استمد منه دي سان جوليانو الاشارة لفتح المسالة الطرابلسية رسميا . وان روح اتفاقيات برينتي — بارير Prinetti-Barrère لعام ١٩٠٢ كانت تعطي ايطاليا في تلك الفترة اسبابا كثيرة تبعث على الثقة على عدم اهتمام فرنسا بعمليات ايطالية محتملة في طرابلس وبرقة . وقد حاول دي سان جوليانو في علاقاته بفرنسا اولا ان يقلل من نوايا ايطاليا تجاه ليبيا لدرجة انه في حديث له مع لاروش القائم بالاعمال الفرنسي بروما انتقد موقف الصحافة الايطالية العدائي وصرح بانه يامل في حل سلمي للخلاف بفضل تغيير والي طرابلس (٤٠) ولم يكن هناك ما يدل على ان الديبلوماسية الفرنسية حتى بعد ان ظهرت حقيقة النوايا الايطالية انها كانت مستعدة لخلق عراقيل . وفي نقاش ما بين امبريالي والسفير الفرنسي سيرين كامبون في ٢١ سبتمبر حول الازمة الايطالية — التركية لاحظ الديبلوماسي الفرنسي الى زميله الايطالي ان فرنسا كانت ترغب في « الاحتفاظ نحونا بمسلك مطابق تماما للاتفاق القائم ليس في الميدان السياسي فحسب بل وفي الميدان الاقتصادي ايضا » (٤١) .

---

(٣٩) المصدر المذكور — برقية امبريالي الى دي سان جوليانو في ٢٦ سبتمبر ١٩١١ .

(٤٠) D.D.F., II, 14 رقم ٢٢٤ ص ٩١ — ٢٩٠ . برقية لاروش الى دي سلفي (وزير خارجية فرنسا) في ٣٠ اغسطس ١٩١١ .

(٤١) A.C.S., C.G., b. 25, f. 64 برقية امبريالي الى دي سان جوليانو في ٢٢ سبتمبر ١٩١١ .

وكان ترماسو تيتوني Tommaso Tittoni وزير الخارجية الاسبق سفيرا لايطاليا في باريس منذ عام ١٩١٠ وكان شخصية من الطراز الاول لا في الميدان الديبلوماسي فحسب بل في الميدان السياسي في عهد جوليتي . تولى وزارة الخارجية من عام ١٩٠٣ الى ١٩٠٥ ومن ١٩٠٦ الى ١٩٠٩ وكان احد المحرضين على التغلغل السلمي في ليبيا عن طريق بنك روما ثم على الاحتلال الايطالي . وقد تركت محادثاته مع وزير الخارجية الفرنسي دي سلفس اثرا ايجابيا قاطعا . ان فرنسا قد لا تقوم بادنى عرقلة لعمل عسكري ايطالي في ليبيا ، بل صرح دي سلفس نفسه الى تيتوني : « ان اي عمل تقومون به في طرابلس وكيفما كان عملكم فنحن الامناء على التزاماتنا سنكون الى جانبكم بدون قيد ولا شرط » (٤٢) وان وفاء فرنسا لتعهداتها لايطاليا عام ١٩٠٢ قد اكدها الوزيران بيشون وكروبي لتيتوني . وديلكاسي Delcassé (رئيس الوزراء) نفسه « صرح الى تيتوني ان جميع عطفنا وتمنياتنا كانت مع ايطاليا » (٤٣) .

ولم تكن انطباعات تيتوني خاطئة : ان موقف فرنسا هذا يبدو واضحا حتى من قراءة الوثائق الديبلوماسية الفرنسية (٤٤) . ويكفي القول ان كيدرلن * عندما تقدم باقتراح الى السفير الفرنسي ببرلين كامبون من اجل القيام

---

(٤٢) المصدر المذكور ـ برقة تيتوني الى دي سان جوليانو في ٢٠ سبتمبر ١٩١١ ـ لقد كتب جوليتي في مذكراته « ادركت للحكومة الفرنسية جيدا واقرت دون تحفظ ان الحل النهائي الذي وصلت اليه المشكلة المراكشية بموجب الاتفاقيات الاخيرة مع المانيا قد فتح بوضوح مشكلة حل المسالة الليبية بالنسبة لايطاليا . (جوفاني جوليتي المصدر المذكور ص ٢٢٥) بالنسبة لتيتوني انظر فرانشسكو توماريني F. Tomassini «ايطاليا في عشية الحرب ، سياسة توماسوتيتوني الخارجية» بولونيا ١٩٣٤ .

(٤٣) جوفاني جوليتي المصدر المذكور ص ٢٢٥ . فيما يتعلق باللقاء بين تيتوني ودلكاسي انظر برقية تيتوني الى دي سان جوليانو في ٢٥ سبتمبر ١٩١١ في A.S. MAE المذكور .

(٤٤) D.D.F., II, 14 رقم ٣٥٣ ص ٥٠٣ ورقم ٣٥٤ ص ٧ ـ ٥٠٦ ورقم ٣٥٥ ص ٨ ـ ٥٠٧ برقيات كامبون الى دي سلفس وكايوه في ٢٤ سبتمبر ١٩١١ .

بوساطة جماعية تشترك فيها الدول الاوروبية الخمسة بقصد حل الازمة الايطالية ــ التركية وتحاشي الحرب موضحا الاخطار القائمة في البلقان وامكانية تجزئة الامبراطورية العثمانية . فقد اجابت فرنسا على ذلك سلبيا مسببة رفضها بقيام روابط صداقة بينها وبين ايطاليا (٤٥) .

والخلاصة ان ايطاليا وجدت فرنسا في احسن الاستعداد النفسي الممكن : ان حل الازمة المراكشية كان يمثل نجاحا طيبا للديبلوماسية الفرنسية ، ولم تعرقل ايطاليا خلال الازمة مطامع فرنسا في مراكش باي شكل ، فالاتفاقيات التي تمت قبل عشر سنوات كانت واضحة كما ان مصالح فرنسا الزهيدة في البلقان جعلتها تقريبا غير ميالة الى احتمال وقوع ازمات في تلك المناطق .

وكذلك بالنسبة للدولة الثالثة في الوفاق اي روسيا لقد كان دي سان جوليانو يامل جدا في موقفها الودي . لقد كانت اتفاقيات راكونيجي التي تمت قبل عامين تمثل ضمانا لايطاليا ، فحكومة بطرسبرغ لم تكن لديها مصالح خاصة في البحر الابيض المتوسط وقد يسرها ان ترى الامبراطوريات المركزية تواجه صعوبة بسبب الخلاف الايطالي ــ التركي . وكان خوف روسيا موجها فقط الى البلقان والى الاحتمال بان حدوث ازمة داخل الامبراطورية العثمانية قد تسبب حالة قد تفرض تدخل دول اخرى في شبه الجزيرة البلقانية (٤٦) . وكانت روسيا تخشى ايضا ان يكون التصرف الايطالي في ليبيا اساسا لاتفاقيات جديدة مع النمسا بخصوص الدول البلقانية . وكان هذا الخوف الروسي يبدو في محادثة بين اسفولسكي Iswolsky (سفير روسيا بباريس) وتيتوني جرت في ١٤ سبتمبر بباريس رد فيها السفير الروسي على تاكيدات تيتوني حول الاحتمال بان ايطاليا قد « تضطر الى تلقين تركيا درسا » قائلا « افعلوا ما شئتم واجتهدوا في ان لا تجعلونا نجد

---

(٤٥) D.D.F., II, 14 رقم ٣٥٦ ص ٩ ــ ٥٠٨ .

(*) وزير خارجية المانيا (المعرب) .

(٤٦) بنكندورف Benkendorff ١١ رقم ٤٤٥ ص ١٦٧ برقية كورف الى موسكو في ٣٠ اغسطس ١٩١١ .

انفسنا فجاة وبين يدينا حطام تركيا وضرورة تدخل اوروبي في شبه الجزيرة البلقانية » وفي نهاية برقيته الى دي سان جوليانو اكد تيتوني : ان حديث اسفولسكي يواسيني في راي الذي سبق لي ان تشرفت بالاعراب عنه الى سعادتكم اي ان احتلال طرابلس قد تعتبره الدول من وجهة نظر واحدة فقط وهي الانعكاسات التي قد يحدثها في البلقان (٤٧) . ان حديث تيتوني كان ذا قيمة في الواقع بالنسبة لدول الوفاق فحسب ، اما بالنسبة للنمسا والمانيا فكانت هناك عوامل اخرى تدخل في اللعبة وعلى الاخص من الناحية الاقتصادية والتجارية ، التي كما سوف ترى ستخلق عقبات غير قليلة في طريق سير الحرب من قبل ايطاليا .

والامر الذي اثر في الموقف الروسي المؤيد جوهريا لايطاليا كان من المحتمل هو الاقتناع — كما اكد ذلك نيراتوف Neratoff (وزير خارجية روسيا) الى مليقاري Melegari سفير ايطاليا بان « حالة الحرب قد تكون قصيرة » وان تركيا قد تخضع « لقبول شروط من شانها ترضية ايطاليا » (٤٨) .

ومن دراسة موقف دول الوفاق الثلاث في عشية العملية الليبية في امكاننا ان نستخلص بان الديبلوماسية الايطالية قد قامت بعمل جيد في العشر سنوات الاولى من القرن الجديد كي تجد البلاد نفسها في عشية حرب استعمارية مؤيدة تاييدا جوهريا من قبل الدول الثلاثة ، والكلام صالح بصورة خاصة بالنسبة لفرنسا التي منذ غداة الوحدة الايطالية نظرت بشك واحيانا بعداء سافر قوبل بالمثل ، الى السياسة الخارجية الايطالية ، ان

---

(٤٧) A.S. MAE. المصدر المذكور برقية تيتوني الى دي سان جوليانو حول البلقان كانت على كل حال متفائلة وقد كتب السفير الايطالي في نفس البرقية : « يبدو لي ان النتيجة الوحيدة لاحتلال طرابلس من قبلنا هي حدوث اضطرابات في اسطنبول مع سقوط الوزارة وقطع العلاقات الديبلوماسية الايطالية التركية ومظاهرات شعبية ضد السفارة والقنصليات الايطالية في تركيا — وتهديد للممتلكات واشخاص الرعايا الايطاليين ومقاطعة البضائع الايطالية في الموانىء التركية » .

(٤٨) المصدر المذكور ، برقية ميلقاري الى دى سان جوليانو في ٣٠ سبتمبر ١٩١١ .

حكومات العهد الجوليتي التي كانت متهمة بانها منذ عام ١٩١١ قد اهتمت فقط بالمشاكل الداخلية مهملة اهمالا كاملا توطيد وتاكيد سياسة ايطاليا في الميدان الدولي فهذه الحكومات قامت بالعكس بسياسة ذكية وصامتة بحيث انها وجدت عام ١٩١١ — اذا لم نقل التاييد المطلق — فقد وجدت على الاقل تعاطفا لا يستهان به نحو سياسة توطيد ملموسة في الميدان الاستعماري . وقد جاء هذا الموقف من دول خارج نطـاق الحلف التقليدي الذي اتصفت به السياسة الخارجية الايطالية منذ تولى اليسار الحكم بالطبع ، كما لاحظ جوليتي نفسه في مذكراته .

« ان في سلوك هذه الدول الثلاث في تلك المناسبة بالاضافة الى ودها نحونا ووفائها المخلص للالتزامات التي ارتبطت بها معنا ، فقد كان هناك بعض الاستياء ايضا من حكومة الاتحاد والترقى التي القت بنفسها في احضان المانيـا كذلك حساب الملاءمة السياسية بان تركيـا قد تـدرك ان الحماية الالمانية تبدو غير فعالة حتى ضد عضو في الحلف الثلاثي» (٤٩) .

ويجب اضافة افتراض اخر لا يستهان به الـى اعتبارات جـوليتي وهو الاقتناع بان ايطاليا اذا قامت حليفاتها بعرقـلة مخطـطاتها قد تضعف من علاقاتها الواهية اصلا في اطار الحلف الثلاثي الذي اضعفه ازدياد يقظة التحرير والسياسة التوسعية النمساوية في البلقان منذ ضـم البوسنيا والارزتوفينا فصاعدا .

والحديث عن النشاط الديبلوماسي تجاه الحليفات مختلف واكثر تعقيدا ولكي نستطيع ان نتحصل على صورة واسعة وواضحة للمشكل يجب ان نبدأ من اسطمبول لنرى بصورة خاصة وضع العلاقات ما بين ايطاليا وتركيا من جهة وما بين تركيا والامبروطوريات المركزية من جهة اخرى .

وقد قام بدور ملحوظ في الاعداد الديبلوماسي للحرب الايطالية — التركية جاكمودي مارتينو وهو ديبلوماسي معروف وصل في السنوات اللاحقة الى

---

(٤٩) جوفانـي جوليتي ، المصدر المذكـور ص ٢٣٦ .

منصب امين عام وزارة الخارجية (من ١٩١٣ الى ١٩١٩) وامينا للوفد الايطالي لمؤتمر السلام في باريس . وفي عام ١٩٠٨ عينه وزير الخارجية اذ ذلك تيتوني في منصب وكيل ديبلوماسي وقنصل عام بالقاهرة وفي صيف ١٩١١ استدعى دي سان جوليانو الى روما دي مارتينو واسند اليه منصب القائم بالاعمال في اسطمبول . وكان من المفروض ان يخلف دي مارتينو السفير بارون مايوردي بلانشس الذي استدعي بدون اي سبب حقيقي ظاهر ولكن من المحتمل انه استدعي من اجل اعطاء نشاط السفارة الايطالية بتركيا طابعا اكثر قوة .

وكانت الطريقة التي تم بها تصفية وتغيير مايوردي بلانشس طريقة يتغلب عليها طابع الخشونة والسرعة لدرجة ان البرتو تيودولي الذي كان اذ ذاك بتركيا كممثل لصندوق الدين العام العثماني قد اكد : « ان اجراء كهذا يخلو من الاحترام نحو ديبلوماسي محترم وذى نفوذ قد اساء كثيرا الى حكومة ذلك الوقت سواء في تركيا ام في البلاد الاخرى بالخارج » (٥٠) .

وقد عين في شهر يوليو ١٩١١ والي جنوا كاميلو قاروني كسفير جديد لايطاليا باسطمبول وعلاقته الوثيقة بجوليتي لم تكن مجهولة حتى ان الكثيرين راوا في هذا التعيين « تدخلا شخصيا لجوليتي » واستسلاما من قبل دي سان جوليانو (٥١) . ولكن في الواقع ان تدخل جوليتي كان قليل الفعالية

---

(٥٠) البرتوثيودولي Alberto Theodoli ما بين قرنين A Cavallo Di Due Secoli روما ١٩٥٠ ص ٥٧ . لقد املى مايور ببرقية بسيطة هذه لهجتها : « سيملكم هذا الكومندتور جاكمو دي مارتينو الذي نرجو من سعادتكم ان تسلموه في الحال سفارة صاحب الجلالة » ولاحظ ثيودولي على ذلك « كنت اعرف ان جوليتي لم يغفر لمايور لانه كان رئيسا لديوان كريسبي في وقت ازمة البنك الروماني ولكن لم اكن اتصور ان سفيرا لصاحب الجلالة يعفى من منصبه بهذه الصورة » (ص ٧ – ٥٦) .

(٥١) لاحظت صحيفة « كوريري ديلاسيرا » لدى انتقادها لهذا التعيين ان طرد مايور كان يتيح الفرصة « لاختيار الرجل المناسب (...) للمجيء بشاب معدا اعدادا متينا وذي افق ثابت ومتين في مكان التجربة » بينما كانت صحيفة

من الناحية العملية لان قاروني لم يسير السياسة الخارجية في تلك الفترة الدقيقة (وقد وصل الى مركز عمله الديبلوماسي بعد توقيع معاهدة الصلح فقط) اما الذي تولى المهمة فهو رجل ثقة وزير الخارجية : القائم بالاعمال جاكومودي مارتينو . وقد كان دي سان جوليانو فعلا الفائز حيث ان تعيين قاروني الذي لم يكن مستعدا للسفر كان شكليا تماما .

فقد كان وزير الخارجية يريد في مكان هام كسفارة اسطمبول رجلا تحركه مشاعر وطنية حية في استطاعته ان يسلك سياسة قوية تجاه الباب العالي . وقد استوحى دي سان جوليانو نفس الاعتبارات عندما ارسل كارلو تاللي كنائب قنصل بطرابلس في نفس الفترة ، انتظارا لوصول القنصل الجديد مركاتيللي . ومن الغريب وذي الدلالة ايضا ان يكون في تلك الفترة الدقيقة مقران ديبلوماسيان هامان مثل طرابلس واسطمبول يتغيب عنهما الاصيلان ويرسل عوضا عنهما وكيلان .

« وكتب جاكومودي مارتينو في مذكراته — لقد كنت واثقا في الحركة القومية الايطالية خارج وفوق البرلمان ولكني كنت اخشى عمل اولئك الذين عن حسن نية كانوا يفكرون في الحل بالطرق السلمية طرق الاتفاقيات والامتيازات الاقتصادية » (٥٢) .

ان هذا التاكيد يردد الاراء العزيزة على قومية كوراديني (٥٣) : احتقار

« لاتريبونا » مؤيدة . لقد عمل قاروني عام ١٩١٠ على ايجاد مساعدات مالية واقتصادية للصحيفة الرومانية وقت ازمتها . انظر ص ٥٥ من هذا الكتاب ومارشيلا بنكيرلي المصدر السابق ص ٦٨ — ٤٦٦ .

(٥٢) جاكومودي مارتينو المصدر المذكور ص ٢٥٨ .

(٥٣) « ان المهم — كتب كوراديني عام ١٩٠٤ بعد انفجار الحرب الروسية اليابانية — هو ان مدافع القيصر لا تقتصر على اصابة البوارج اليابانية فقط وانما اصابة محكمة لاهاي ايضا وقلب الانسانيين الرؤوف وبما ان هذين الهدفين هما هدفنا فاننا نبتهج مع انفسنا ومع روسيا المقدسة » (تاكيد المدافع — صحيفة «الرينيو» في ١٤ فبراير ١٩٠٤ والان يوجد في الثقافة الايطالية للقرن التاسع عشر عبر المجلات (المصدر المذكور مجلد ١ ص ٤٧٨) .

البرلمان باعتباره معرقلا للمطامـح القومية ومعارضة الطـول الناتجة عن مفاوضات دبلوماسية سليمة ، والرغبة في عمليات حربية . وحسب ما يقول ديمارتينو انه في تلك الفترة الخاصة من تاريـخ ايطاليا كانت قد دخلت النضال : « قوة لا قياس لها ولكنها كاسحة الا وهي الضمير البحري لامتنا . لقد كان الشعور بان حياة ايطاليا على البحار ومن اعـماق خفايا النفس الوطنية كانت اسماء امالفي وجنـوا والبندقية وبيـزا قد قامت بالمعجـزة وتسببت في الهزة . لقد تحطل كابوس عدوه . واستمعت روح الامة الى « نداء البحر » (٥٤) .

فلم يخرج اذن دي مارتينو من جو ١٩١١ القومي القائم بصورة خاصة على تشابك تاريخي يعود قرونا الـى الوراء . فاذا كانـت الحرب الليبية بالنسبة الى كوراديني او كاستيلاني هي تجديد الامبراطورية الرومانية ، وبالنسـبة لقسم من الكاثوليك هي عبارة عن حرب صليبية جديدة ضد الكفار بينما كانت بالنسبة للقائم بالاعمال باسطمبول هي عبارة عـن نبش قبور الجمهوريات البحرية (الايطالية) .

وخلال المحادثة التي جرت ما بين دي سان جوليانو ودي مارتينو قبل سفر الاخير الى مقره الجديد طلب وزير الخارجية منه ان يطبع السفارة الايطالية في تركيا بطابع حازم مؤكدا له : « ان عـداء الحكومة العثمانية المنظم ضد المصالح الايطالية بطرابلس لم يعد محتملا » (٥٥) .

فكان يجب قبل كل شيء الحصول على تغيير والي طرابلس الذي كان عداؤه ضد المصالح الايطالية معروفا وقد اشار دي مارتينـو الى دي سان جوليانو عن اقتناعه بالحل الجذري للمشكلة الليبية ، غير ان وزير الخارجية لم يرغب في الخروج عن توازنه : فهو — كما كتب دي مارتينو فيما بعد — لم يتفوه بكلمات قد تخون شعوره غير اني قرات في الاعيـن الذكية جدا

(٥٤) جاكوبودي مارتينـو — المصدر المذكـور ص ٢٥٦ .

(٥٥) المصدر المذكـور ص ٢٠٧ .

للرجل الذي كان في صراع مع مرض مميت مؤلم قرأت ضوء الموافقة الذي سرعان ما همد » (٥٦) .

وكانت مشكلة ميناء طرابلس احد الاسباب التي استندت اليها الحكومة الايطالية اكثر لدى عرضها الوضع الذي طرا على العلاقات التركية — الايطالية بصورة مثيرة . فقد اتصل دي سان جوليانو ببرلين وفيانا في ١٨ يوليو ١٩١١ مشيرا الى الخطر بان الحكومة التركية « حسب المعلومات التي وصلت الى السفارة الايطالية باسطمبول « قد بذلت جهدها » كي لا يكون المتحصل على الامتياز ايطاليا او انكليزيا » . « فاذا كان صاحب امتياز ميناء طرابلس غير ايطالي — واصل دي سان جوليانو كلامه — فحتى في ايطاليا لن يعتقد احد في سلامة العطاء وان الراي العام في المملكة قد يجبر الحكومة على اتخاذ حلول قصوى » (٥٧) . واراد اهرنثال * في الحال ان يقلل من اهمية الحادث مبديا الى امارنا الاخطار المرتبطة بنفاذ صبر ايطاليا » وقال : « ان عمل ايطاليا في تلك المناطق لا بد وان يؤدي الى حرب مع تركيا ويتسبب ربما في مضاعفات خطيرة » فالنمسا « بصفتها صديقة وحليفة لايطاليا » كان يجب عليها لفت نظر الحكومة الايطالية الى الاخذ بعين الاعتبار خطورة المسؤولية التي تتحملها » (٥٨) . وحاول اهرنثال ان يقوم بدور الوساطة لدى الباب العالي وذلك بنصح تركيا بتاجيل موضوع بناء ميناء طرابلس وتجنب اي خلاف والتساهل مع ايطاليا لابعاد الصعوبات (٥٩).

---

(٥٦) المصدر المذكور .

(٥٧) A.S., MAE, Gab. 1911, pa. 22 برقة دي سان جوليانو الى امارنا وبولاتي بتاريخ ١٨ يوليو ١٩١١ .

(*) وزير خارجية النمسا — المجر وقت الغزو الايطالي (المعرب) .

(٥٨) المصدر المذكور ، برقية امارنا الى دي سان جوليانو بتاريخ ٢٢ يوليو سنة ١٩١١ .

(٥٩) O.U.A., 111, nº 2576 p. 289 برقية دي سان جوليانو الى امارنا وبولاتي بتاريخ ١٩١١ ورقم ٢٥٨٢ ص ٩٧ — ٢٩٦ من بللافيتشيني الى اهرنثال بتاريخ ٥ اغسطس ١٩١١ .

وقد رات الحكومة التركية من جهتها عدم زيادة حدة الخلاف وذلك بابلاغ نيتها في عدم القيام في الوقت الحالي ببناء الميناء (٦٠) .

ولكن دي سان جوليانو لم يطمئن . فقد كانت نيته تتجه الى البقاء على التوتر لانتهاز الفرصة في الوقت المناسب . وجـاء موضوع والي طرابلس مضافا الى مشكلة الميناء وقد سبق ان اشرنا الى موقف الوالي العدائي نحو ايطاليا (٦١) . وبعث وزير الخارجية ببرقية الى دي مارتينو يبدو وكانها اكتسبت لهجة الانذار : « يجب ان ينقل والـي طرابلس وتتغيـر لهجة الصحافة التركية الشبه رسمية وتقع ترضيتنا عن اهانات الجيش ، مع وضع حد لسياسة العداء ضد كل نشاط سياسي لنا في طرابلس « على اساس هذه الشروط فقط قد تقبل الحكومة الايطالية بتعديل لهجـة الصحافة والظهور بمظهر « الصديق المخلص لتركيا » ولكن اذا ظلت تركيا والمانيا تعتقدان ان ايطاليا قد لا تفعل شيئا وانها قد تستمر في « تحمل هذا الوضع » فعندئذ — اضاف دي سان جوليانو — قد تتلقى تركيا « مفاجاة مؤلمة » وان ايطاليا قد تتصرف « بحزم مهما كانت العواقب » (٦٢) .

ومرة اخرى حاولت الحكومة التركية — تقريبا بقصد عدم تشجيع لهجات دي سان جوليانو التهديدية حاولت — تلبية لالحاح النمسا والمانيا — ان تزيل اية حجة للشكاوي الايطالية . وقد تمكن دي مارتينو في ١١ اغسطس ان يبرق الى روما من اسطمبول بان الوزير الاكبر ووزير الخارجية التركي قد « اعلنا استدعاء والي طرابلس » (٦٣) . وهـذا التساهل التركي امام الطلب الايطالي قد فوت الفرصة على الديبلوماسية الايطالية لدرجة ان دي مارتينو من اسطمبول حاول ان « يقلل من اهمية » النجاح الذي تم بنقل

---

(٦٠) O.U.A., 111, nº 2586 p. 304 من بلانيتشيني الى امرنتال بتاريخ ١٠ اغسطس ١٩١١ .

(٦١) راجع ص ٢٠ (المشير ابراهيم ادهم باشا) المعرب .

(٦٢) A.S. MAE, المذكور ، برقية دي سان جوليانو الى دي مارتينو في ٦ اغسطس ١٩١١ .

(٦٣) جاكومودي مارتينو المصدر المذكور ص ٣٦٢ .

الوالي خوفا من ان ذلك قد يخفف من حدة العداء الذي خلق في ايطاليا بالنسبة لتركيا و « قد يتخذه حجة الكثير من المعارضين للاحتلال العسكري » (٦٤) .

ومنذ الايام الاولى من شهر اغسطس كان عمل دي مارتينو موجها الى عرض العداء التركي ضد المصالح الايطالية باسلوب مثير مستمر . وفي احدى برقياته الكثيرة الى دي سان جوليانو ، بعد ان لوح من جديد مرة اخرى بالخطر من ان اعمال بناء ميناء طرابلس من المحتمل ان تخسرها شركة ايطالية ختم برقيته قائلا : « اسمحوا لي ان اعبر عن رأي في انه اذا كانت الحكومة الملكية مصرة على عدم استغلال الظروف السياسية الحاضرة لحل مشكلة طرابلس ، فان التهديدات الموجهة الى الباب العالي لن تفلح الا في زيادة الشكوك والعداء المستتر تحت المظهر القانوني « فتهديداتنا غدت دون اثر » (٦٥) .

وكان دي مارتينو يؤكد ان تعيين الوالي الجديد قد يفيد « المعارضة التركية المنتظمة » وبتاريخ ٢١ اغسطس زاد اصراره في رسالة سرية الى دي سان جوليانو ردا فيها على اسئلة دقيقة طرحها عليه الوزير وقد لاحظ في رسالته هذه ان احتلال ايطاليا لطرابلس قد يضع تركيا « امام الامر

---

(٦٤) المصدر المذكور ـ في ١١ اغسطس ابرق دي مارتينو الى روما ، « لا يجب المبالغة في امر استدعاء الوالي لانها ترضية شكلية لتطميننا . وليست بدليل جدي على تغيير الاتجاه » (المذكور ص ٣٦٢) .

(٦٥) المصدر المذكور « بتاريخ ٨ اغسطس ـ يواصل دي مارتينو كلامه ـ كان الرد على توبيخا وفي حياتي الوظيفية الطويلة تلقيت من البيروقراطية الوزارية توبيخات مختلفة . ولكن هذا التوبيخ اعترف لكم قد سرني بالسرور . كانت برقية المركيز دي سان جوليانو تقول : « انك مخطىء في اعتقادك ان الحكومة الملكية غير عازمة على استغلال الظروف السياسية الحالية لحل مشكلة طرابلس (...) وعلى كل حال فانه من الواضح انه قبل القيام باعمال حربية محتملة يجب علينا ان نبرهن لاوروبا اننا استنفذنا جميع وسائل التفاهم » . ومن الواضح على كل حال ان وزن كلمة « حل » كان غير اكيد لانه وفقا لرسالة من صديقي بروما في منتصف اغسطس فانهم كانوا لا زالوا يفكرون في امكانية ايجاد حل على اساس امتيازات اقتصادية » .

الواقع الذي لا رجوع فيه » وقد يكون « تاكيدا لتلك القوة التي من شانها ان تستعيد نفوذنا في الشرق » (٦٦) .

وفي برقية بتاريخ ٣١ اغسطس عاد دي مارتينو الى دعوة دي سان جوليانو الى التحرك في اقرب وقت . وقد اخذ استياء كبير يدب في تركيا تجاه حملة الصحافة الايطالية لصالح احتلال طرابلس ولم يكن اذن من

---

(٦٦) الرسالة مؤرخة من تيرابيا ٢١ اغسطس ١٩١١ وموجودة في A.C.S., C.G., b. 13, f. 13 وتوجد في نفس الملف رسالة دي سان جوليانو الى دي مارتينو بتاريخ ٩ اغسطس ١٩١١ وقد واصل دي مارتينو كلامه عارضا في الثمان نقط التالية الاسباب التي تدفعه الى المطالبة بحملة عسكرية :

(١) هذا هو الحل الوحيد المطابق لميول الراي العام الايطالي .

(٢) انها الوسيلة الوحيدة التي تسمح باعادة العلاقات الطبيعية مع تركيا بعد وقت قصير نسبيا لان هذا هو السبب الوحيد الذي لا يمكن علاجه للخلافات وسوء التفاهم بين البلدين .

(٣) انه الحل المطابق لمصالحنا السياسية في البحر الابيض المتوسط .

(٤) انها الوسيلة للحيلولة في حالة حدوث ازمة عامة او تفكك للامبراطورية العثمانية في ان تترك لنا طرابلس (...) كتعويض عن مقتنيات تساوية في البلقان (...) .

(٥) من الضروري استغلال مختلف التفاهم مع الدول حول طرابلس ما دامت هذه الاتفاقيات حديثة وفي كامل فعاليتها (...) .

(٦) كل ما تاخر الوقت كلما ازداد الحل صعوبة سواء بالنسبة للتسلح التركي او المصالح الاجنبية (...) .

(٧) ان سياستنا الرامية الى منع الاخرين من النشاط الاقتصادي في طرابلس لا يمكنها ان تستمر ولن ننجح في اكثر من حدود معينة .

(٨) اعتراضات عسكرية جدية لا توجد (...) غير انه تحت المظهر العسكري اود ان يسمح لي ببعض الاعتبارات المعنوية : سمعة الجيش الايطالي كل من عاش في الشرق يعلم جيدا ان ظلال عدوه — الهزيمة المجيدة — بالنسبة للاعتبار الدولي تنعكس حتى اليوم على سمعة الجيش الايطالي وهذا الظل قد يتلاشى نتيجة لعمل عسكري بطرابلس . وما هو الاثر المعنوي في الجيش نفسه ! ومتى قد ترتفع معنويات الجيش نتيجة لحملة — حتى ولو انها خالية من الاخطار غير انها بالنسبة لشعبنا ولجيوشنا قد يطلق عليها فيما بعد احتلال طرابلس ! هل هذا العامل لا قيمة له اذا فكرنا في اليوم الذي يقوم فيه جيشنا بواجب الدفاع عن حدودنا ! » .

المستبعد ان يلجا الباب العالي الى برلين للحصول على تاييد الديبلوماسية الالمانية .

« ان أي موقف تراجعي — لاحظ دي مارتينو — قد تتخذه الحكومة الملكية قد يكون الفضل فيه لالمانيا والضرر لسمعتنا وذلك دون الحصول على تحسن في العلاقات الايطالية التركية (...) وقد يبقى دوما سوء التفاهم الطرابلسي عائقا لا يمكن التغلب عليه » (٦٧) .

واخذت الحكومة العثمانية من جهتها تشدد من مواقفها المسالمة والمتسامحة : لقد اكد وزير الخارجية التركية رفعت باشا من جديد الى النمسا قلقه لسوء العلاقات الايطالية التركية لان ايطاليا « تبدي عصبية كبيرة في جميع المسائل المتعلقة بطرابلس » . وكان يشكو ايضا من الادعاء الايطالي للحصول على معاملة افضل ومن سلوك الصحافة الايطالية التي « كانت تطالب بان تكون طرابلس لايطاليا لا غير » فتجاه هذا الوضع لا يجب ان نستغرب — حسب قول رفعت — اذا كان بتركيا « توجد حقا بعض الشكوك نحو ايطاليا » (٦٨) والسلطان محمد الخامس ايضا اكد من جديد لدي مارتينو يوم ١٨ اغسطس رغبة تركيا في السلام « حتى مع ايطاليا » وكرر وقت توديعه له : كرر مرتين او ثلاثة : : نحن نريد السلام . نحن نريد السلام . وكانت نظراته كما لاحظ دي مارتينو الصادرة من عينيه المنتفختين تعبر عن استرحام تقريبا » (٦٩) .

---

(٦٧) المصدر المذكور .

(٦٨) O.U.A., 111, رقم ٢٥٨٢ ص ٩٧ — ٢٩٦ بالاليفشيني الى امرنتال في ٥ اغسطس ١٩١١ .

(٦٩) جاكومودي مارتينو المصدر المذكور ص ٣٦٤ . غريبة للصورة التي تركها لنا دي مارتينو من السلطان « محمد الخامس » في الحال تمت بالمقارنة — يكتب دي مارتينو — ما بين هذا الرجل البدين المترهل ذي النظرة الباهتة الذي هو في الواقع يتحلى بشعور طيب طبيعي وما بين سلفه عبد الحميد (السلطان الاحمر) صاحب النظرة الثاقبة الذكي جدا والماكر والحازم وذي الجسم الجاف الشديد النشاط (...) فمن المعروف ان عبد الحميد

ولم يتاثر دي مارتينو بلهجة السلطان التوسلية . وقد كتب بعد ذلك بقليل الى دي سان جوليانو محاولا ان يفسر موقف السلطات التركية الهادىء والمسالم ، فقد لاحظ ان الاستسلام التركي قد يدوم « بقدر الخوف من حملتنا العسكرية » وكان خوف القائم بالاعمال الايطالي واضحا : كان يخشى ان الحكومة الايطالية قد لا تكون لديها الشجاعة للسير بالعملية التي شرعت فيها حتى النهاية وان كل شيء ينتهي « باعادة فتاة هربت من منزلها او منح امتياز بناء ميناء » وفي هذه الحالة — يرى دي مارتينو — « علينا ان نحسب باننا تنازلنا من مركزنا كدولة كبرى في الشرق » (٧٠) .

اما الذي كان يبدو انه يسد الطريق امام ايطاليا « ولو بصورة ودية » كما كتب ذلك جوليتي (٧١) وكان يعرقل سياسة دي مارتينو الرامية الى تصعيد لهجات الحوار ، فكان البارون مارشال الذي سعى بطريقة جعلت الباب العالي يتنازل امام اي طلب ايطالي . والبارون ادولف مارشال دي بيبرشتاين Adolf Marshal Di Bieberstein كان ديبلوماسيا عظيما ربما كان من آخر واهم شخصيات الديبلوماسية الاوروبية من المدرسة القديمة التي عاشت ما بين القرنين — وكان قاضيا ونائبا في الرايخستاج عام ١٨٧٨ ووزيرا ببرلين وممثلا في البندسرات * عام ١٨٨٣. ووزيرا للخارجية بعد سقوط بسمارك من ١٨٩٠ الى ١٨٩٦ ، وقد ارسل سفيرا الى اسطمبول عام ١٨٩٧ فـي اطار ولتبوليتيك Weltpolitik التي وضعها غليوم الثاني وهي سياسة التوسع الاقتصادي الاستعماري التي سلكتها المانيا والتي كانت ترمي تحت وطأة اندفاع التطور الصناعي المتزايد الى احتلال اسواق جديدة . وقد استطاع

احتفظ لسنوات طويلة بولي عهده المفترض اسيرا تحت الرقابة الشديدة واحاطه بحريم عجيب يتجدد بين الحين والاخر ويقوم الطواشيون بناء على التعليمات بجعله يشرب جميع انواع الكحول — وبالفعل فان الطبامي من السلطان انه رجل محطم ماديا ومعنويا » .

(٧٠) المصدر المذكور ص ٢٧٢ . الوثيقة توجد A.S. MAE, Segr. gen., nº 42, pos. 17a, f. 641

(٧١) جوفاني جوليتي — المصدر المذكور ص ٢٢٨ .

(*) المجلس الاتحادي (المعرب) .

مارشال — في سبيل تنفيذ برنامجه من أجل تامين مركز من الدرجة الاولى للتجارة الالمانية في جميع انحاء الامبراطورية العثمانية — استطاع بعد بضعة سنوات ان يخلف لنفسه في العاصمة التركية مركزا مضاهيا للمركز الذي احتله سير سترافورد راكتليف ابان حرب القرم . وقد استطاع السفير الالماني بمهارة فائقة ان يكتسب ثقة مختلف الحكومات التركية « وان يعرف كيف يستغل في الحال اخطاء الاخرين .. التي يستطيع احيانا هو نفسه القيام باثارتها » وفي الخلاصة كما لاحظ نيكو مانيتقانسا ، « قد استطاع خلال سنوات قليلة ان يكون السيد الحقيقي لتركيا وللسلطان » . فبعد سنوات قليلة من وصوله الى اسطمبول اخذت المنتوجات الالمانية تجتاح الاسواق التركية ، واسست المدارس الالمانية وانتقل الجيش التركي الى ايدي الخبراء والمدربين الالمان بقيادة وادارة المرشال فون درقولتيز Von Der Goltz وقد حارب الجنود الاتراك في الحرب الايطالية التركية بمدافع كروب وبنادق ماوسر . وقد قدمت منح دراسية للشبان الاتراك الذين كانوا يرغبون الدراسة في المانيا واخذت اللغة الالمانية تتوطد في جميع اركان تركيا اكثر فاكثر (٧٢) . ولم يتاثر نفوذ مارشال بانتقال السلطة من نظام عبد الحميد الى نظام الاتحاد والترقي ولم يتاثر ايضا مركز المانيا على ضفاف البوسفور . وقد بلغ نفوذه درجة جعلته يستحق اسم « ساحر القرن الذهبي . » (٧٣)

وكان على دي مارتيفو ان يعمل ضد مارشال وضد «وحش» الدبلوماسية الاوروبية هذا بعد ان تم نقله من القاهرة الى اسطمبول للقيام بمهمة بالغة الدقة . وكان تصرف مارشال في الخلاف الايطالي — التركي فعالا لدرجة

---

(٧٢) انظر فيكومانتيغاتسا V. Mantegazza البارون مارشال في « راسنياكولتمبورانيا » اكتوبر ١٩١٢ ص ٥٩ — ٤٤ ، اوتسطوتوري المصدر المذكور — الرابع : « اعداد الانذار » في راسنيادي بوليتكا انترناسيونالي يونيو ١٩٣٧ ص ٥ — ٥٠٣ — وقد توفي البارون مارشال في عام ١٩١٢ بعد قليل من وصوله الى مقر عمله الجديد في لندن .

(٧٣) اوتسطوتوري للمصدر المذكور — الرابع — ص ٤٩١ .

اقناع الباب العالي بالتنازل الى ما وراء اي توقعات الامر الذي دفع بدي سان جوليانو — كما سنرى — الى الاستعجال مثيرا بذلك دهشة واستياء الدول الاوروبية وكان موقف مارشال قائما بالطبع على التخوف من ان تطع العلاقات ما بين ايطاليا — حليفة المانيا وتركيا — قد يعرض للخطر جميع العمل الذي قام بـه لاحتـلال المانيا اقتصـاديـا لتركيا وخاصة لـدى افتراض تفكك الامبراطورية العثمانية . وفي حديث له مع الوزير الاكبر يوم ٢٥ سبتمبر (٧٤) كان يبدو واضحا المركز الذي احتله مارشال في تركيا والنفوذ والسلطة التي كان يمارسها ازاء الوزير الاكبر نفسه . وقد بدأ حديثه مع الوزير الاكبر بطريقة خشنة اذ قال : « ان المسؤولية الكبرى عما يقع ناتجة عن السياسة المزيفة التي سلكتها تركيا تجاه ايطاليا بالنسبة لطرابلس » فكان مما لا مفر منه — حسب قول مارشال ان « نقطة اخيرة قد تطفح بالكاس » وقد بدا الوزير الاكبر متساهلا : لقد كان مستعدا ان « يقدم لايطاليا في طرابلس اي امتياز لا يتعارض وطابع البلاد بصفتها ولاية تركية » فاذا كانت ايطاليا تطمح في امتيازات اقتصادية « فكان « مستعدا الى كل شيء : سكك حديد « موانىء طرق ، معادن وغير ذلك » في الامكان ان يوضع جدول بذلك بحيث يترك فقط موضوع « اتمام الشكليات » (٧٥) .

وبعد هذا الحديث ، استدعى الوزير الاكبر في ٢٥ سبتمبر دي مارتينو واشار اليه بخطورة الحالة على اثر تهييج الراي العام والصحافة في ايطاليا بخصوص طرابلس « فهذا التهيج — حسب راي الوزير الاكبر — كان

---

(٧٤) عاد مارشال من اجازته الى اسطمبول في ٢٢ سبتمبر بمهمة تطويق الازمة الايطالية — التركية . انظر المصدر المذكور ص ٩١ — ٤٩٠ .

(٧٥) G.P., XXX, I رقم ١٠٨٣٢ ص ٥٥ — ٥٣ ، برقية كيدرلن وستومبرغ — فوليجروده (من روما) بتاريخ ٢٦ سبتمبر ١٩١١ · وقد حاول الوزير الاكبر ايضا ان يؤثر في مارشال ملوحا اليه بخطر ردود فعل العمل الايطالي على مركز المانيا في تركيا · ولكن مارشال لم يتاثر لانه يرى « ان سياسة المانيا الشرقية واضحة ومدركة لغايتها » ولم يكن « باي حال من الاحوال متاثرا بالتقلبات المحتملة التي قد اعتاد عليها » ·

« مشروعا » فيما يتعلق بالمطامح الاقتصادية ، وغير مشروع بل غير مقبول « فيما يتعلق بالمطامح السياسية » ففيما يتعلق بالموضوع الاول فان الباب العالي قد وجد الوسيلة « للتفاهم اذا كانت الحكومة الايطالية تقدم فترة من الهدوء الذي يسمح بالكلام . لدينا دول صديقة للطرفين قد تستطيع ان تسهل المهمة » واضاف بعد ذلك « قولوا لي ماذا تريدون ؟ » (٧٦) وفي الخلاصة فان العمل الذي قام به مارشال يبدو انه اخذ يعطي ثماره غير ان اتجاه دي سان جوليانو كان موجها بصورة لا رجعة فيها الى الحل عن طريق القوة وان اي عرض ذي طابع اقتصادي قد لا يجد قبولا حسنا لدى وزارة الخارجية

ولم تخف الحكومة الالمانية الصعوبات القائمة لكي تسوي مسألة كان يراها الديبلوماسيون الالمان متدهورة في جزئها الاكبر . ومنذ ٢٢ يوليو ابلغ سفير المانيا بروما جاتوه Jagow حكومته بانه بالرغم من تغيير والي طرابلس فان المسالة لم تعد قابلة للحل بسهولة (٧٧) وفي اليوم التالي ٢٨ يوليو اعرب عن انطباعه بانه لا يستبعد « حدوث مضاعفات بطرابلس » (٧٨) ولم تدخر المانيا جهدا على كل حال في سبيل الخروج من الازمة . وبالاضافة الى اسطمبول فقد امتد نشاطها الى السفارة التركية ببرلين . فقد كان كيدرلن باردا مع السفير التركي الذي ذهب لمقابلته في نهاية اغسطس طالبا تاييد المانيا للحيلولة دون ايطاليا ومطامعها في طرابلس ولم يعطه الا قليلا من الامل . فقد كان من الطبيعي « بالنسبة لكيدرلن انه بعد التصرف الفرنسي في مراكش » ان لا تظل ايطاليا وهي من دول البحر الابيض الرئيسية — غير مبالية وان تبحث من تعويض يوازي المركز الممتاز الذي اخذت تكتسبه دولة

---

(٧٦) A.S., MAE, المصدر المذكور برقية دي مارتينو الى دي سان جوليانو بتاريخ ٢٦ سبتمبر ١٩١١ .

(٧٧) G.P. XXX, I, رقم ١٠٨١٨ ص ٣٤ رسالة جاكوف الى بتمان هوللويق Bethman Hollweg بتاريخ ٢٨ يوليو ١٩١١ .

(٧٨) G.P. XXX, I, رقم ١٠٨١٩ ص ٣٤-٣٦ رسالة جاكوف الى بتمان هوللويق بتاريخ ٢٢ يوليو ١٩١١ .

اخرى من دول البحر الابيض المتوسط » . والخلاصة ان المانيا عملت على افهام تركيا ان عليها ان تحل مشكلتها بمفردها وان المانيا لا تستطيع عرقلة « المصالح الحيوية لحليفتها وخاصة مع وجود الخطر في ان الحكومة الايطالية قد تضطر الى الاخذ بعين الاعتبار اذ كان الامر لا يناسبها « البحث عن حماية مصالحها الخاصة خارج الحلف الثلاثي » (٧٩) .

فبينما نرى من الجانب الالماني انه كانت هناك محاولات مباشرة لتسوية الموضوع والسعي بصورة خاصة لاظهار التفهم للمطالب الايطالية ودعوة الاتراك الى التساهل ، فاننا نرى بالعكس ان حكومة النمسا ـــ المجر قد حاولت صراحة عدم تشجيع الادعاءات الايطالية . وقد تفطن لذلك دي سان جوليانو نفسه منذ ٢٨ اغسطس في حديث له مع القائم باعمال النمسا في روما لوزيج امبروزي Ludwig Ambrozy فقد اكد له وزير الخارجية الايطالية ان « واحدا في ايطاليا لا يفكر في ضرورة الاحتلال المباشر لطرابلس اذ المزارعون والتجار والمهندسون الايطاليون قد يستطيعون ارضاء مصالحهم المشروعة في طرابلس » واجابه الدبلوماسي النمساوي بانه « من الكثير ان نطالب تركيا ان تشجع على صبغ الحياة الاقتصادية في طرابلس بالصبغة الايطالية في الوقت الذي تنازعها الصحافة الايطالية يوميا حق حيازتها بدون منازع في تلك الولايات » .

« وقد اضاف امبروزي : عندما يجد الانسان نفسه تجاه شريك يبسط يده باستمرار لينتزع منه بعض شيء فانه لا يمكنه ان يثق ابدا في هذا الشريك (...) كل دولة لها الحق في الدفاع ضد هذا التصرف . وكانت هناك امثلة لبعض الدول التي بقرار ابعاد او بمنع الهجرة كانت تحتفظ بعيدا عنها بالرعايا غير المرغوب فيهم من الدول الاخرى حتى ولو كانت صديقة » .

---

(٧٩) A.S. MAE, برقيـة تيتوني الى دى سان جوليانو بتاريخ ٢٣ سبتمبر ١٩١١ التي يذكر فيها فحوى تقرير مرسل في ٣٠ اغسطس من السفير التركي ببرلين الى الوزير الاكبر .

ويبدو ان دي سان جوليانو قد رأى من المناسب عند هذه النقطة ان يقطع الحديث . وابلغ امبروزي فحوى هذا الحديث الى فيانا وعرض نوايا وزير الخارجية تحت ضوء غير ملائم : فقد اعتبر القائم بالاعمال النمسوي ان مفهوم دي سان جوليانو ومفهوم الصحافة الايطالية كانا « شديدي الارتباط فيما بينهما » .

« تقول الصحف : طرابلس تخصنا نهائيا لان الدول وعدتنا بها . فمتى اذن سنطرد الاتراك من هناك ؟ ويفكر المركيز دي سان جوليانو : اننا لم نستطيع الاستيلاء على طرابلس اقتصاديا فسنضطر الى احتلالها » (٨٠) .

ولم يتخلف اهرنثال خاصة في الايام التي سبقت مباشرة توجيه الانذار عن جعل ايطاليا تعدل عن نواياها الحربية وعن اقناع تركيا في نفس الوقت بمنح تنازلات اكبر (٨١) . وكان اهم ما يشغل بال النمسا امكانية قيام حركة عامة في البلقان قد تستفيد منها روسيا من جهة وصربيا من الجهة الاخرى (٨٢) .

وقد ادرك دي سان جوليانو بسرعة — من جهته — من اي جهة قد تاتيه اكبر الصعوبات تجاه المبادرة الايطالية . ومنذ ٢٠ سبتمبر فصاعدا كان شاغله الوحيد المستمر هو تلقي ردود فعل الحلفاء النمساويين الالمان . وفي يوم العشرين من سبتمبر نفسه بعث فيوجي برسالة الى جوليتي وبها برقية من فيانا بعث بها افارنا (سفير ايطاليا في فيانا) حول استياء اهرنثال حول ما « كان يقع في ايطاليا بخصوص مشكلة طرابلس » فحسب راي وزير الخارجية النمساوية لم يكن ذلك الوقت المناسب لاثارة المشكلة . وكان هذا

---

(٨٠) O.U.A., 111 رقم ٢٦٠٧ ص ٣٢١ — ٣١٧ · من امبروزي الى اهرنثال في ٣١ اغسطس ١٩١١ ·

(٨١) A.S. MAE. المصدر المذكور « قال لي اهرنثال — جاء في برقية افارنا من فيانا يوم ٢٧ سبتمبر — انه من رايه ان يرد على (مذكرة تركية) ناصحا تركيا بالاتفاق مع ايطاليا وان تتساهل معها » ·

(٨٢) انظر اوغوسطو توري المصدر المذكور · الرابع ص ٥٠١ ·

بالنسبة لدي سان جوليانو عنصرا اخر يؤكد « ضرورة الاسراع دون اشعار الحلفاء مقدما » (٨٣) وبعد يومين اي في ٢٢ سبتمبر بعث دي سان جوليانو ببرقية جديدة الى جوليتي (الذي كان لا يزال في كافور) يشعره فيها برغبة النمسا والمانيا في تجديد الحلف دون ادخال اي تعديل عليه . وكتب جوليتي الى دي سان جوليانو يوم ٢٣ سبتمبر ، وبالرغم من ملاحظته ان الرد لا يمكن الا ان يكون ايجابيا بصورة مبدئية ، غير انه اكد : « لا افهم جيدا سبب تقديم الطلب الآن ولكن بكل تاكيد يجب ان لا تثار شكوك » (٨٤) . فالحكومة الايطالية في الواقع كانت تعلم جيدا ان فتح المفاوضات في ذلك الوقت لتجديد الحلف الثلاثي معناه التنازل مؤقتا عن حيازة ليبيا . فمن مصلحة ايطاليا أن تتقدم الى المفاوضات وهي قوية بحدوث الامر الواقع (احتلال ليبيا) دون ان تضطر من جديد أن تتنازل لحلفائها مقابل « لا مانع » بخصوص طرابلس (٨٥).

فكان من الواضح ايضا ان طلبا من هذا النوع في ذلك الوقت معناه قلق ومعارضة الحلفاء للعملية الطرابلسية الامر الذي جعل دي سان جوليانو وقد تكونت فيه ونضجت باستمرار فكرة عدم اشعار الحلفاء بالمبادرة الايطالية جعلته يقدم عليها مع علمه بمخالفة روح وحرفية المعاهدة ، وفي البرقية التي ابلغ بها الوزير سفيريه في فيانا وبرلين حول القرار الرامي الى

---

(٨٣) A.C.S., C.G., b. 12, f. 10.

(٨٤) الثلاث برقيات المذكورة في A.C.S., C.G., b. 15 f. 25 bis برقية الملك الى جوليتي هي بتاريخ ٢٢ سبتمبر ١٩١١ .

(٨٥) لقد لاحظ سالفيميني في هذا الصدد « ان مشكلة ليبيا قد اصبحت شبه عثرة في طريق السياسة الخارجية الايطالية . فما دامت هذه القضية تظل معلقة بصفتها مشكلة دولية فان ليبيا قد تستعملها دوما — مثل الدول الاخرى — كسبب او ذريعة لخلق الصعوبات في وجوهنا ولجعلنا ندفع ثمن موافقتهم على الرحلية التي تبدناها عليها من اجل مساومتنا . ان ليبيا كانت تهدد بالضغط بصورة ضارة جدا علينا في وقت الدخول في المفاوضات من اجل تجديد الحلف الثلاثي او احتمال انضمامنا الى الوفاق الثلاثي . فكان يجب اغلاق هذا الفصل من تاريخ سياستنا الخارجية ، اغلاقه بالاحتلال الذي كان يبدو مع هذا سهلا جدا (...) » (غايتانو سالفيميني — كيف ذهبنا الى ليبيا المصدر المذكور ص ٣٢٨) .

تامين الادارة الفعلية للحكومة والادارة في طرابلس وبرقة الى ايطاليا » كان يؤكد الافتراض بان النمسا والمانيا تتقبلان الامر :

« بان لا تشعر (بالاحتلال) مثلما قبلت المانيا عدم ابلاغ النمسا لها عن نيتها في القيام بضم البوسنة والارزقونيا . ان هذه التسوية الوقتية Modus Procedendi — يواصل دي سان جوليانو كلامه — تبدو لي في مثل هذا الافتراض الوسيلة التي تمكنهم من المحافظة على صداقتهم لايطاليا او صداقة تركيا نحوهم وان يستوحوا سياستهم دون ضرر على مصالحهم في الشرق — من روح الحلف الثلاثي الذي سيواجه — نتيجة لمشكلة طرابلس تجربة النار — التي يتوقف على حلفائنا ان يخرج الحلف منها وقد ازداد صلابة وقوة واما ان يخرج مهزوزا بصورة لا تتلافى (...) وان من مصلحتنا الان حسب راي — ان لا نتحدث اطلاقا عن مشكلة طرابلس وان نتحاشى بقدر الامكان ان يتحدث عنها الاخرون » (٨٦) .

ونفس الافكار عبر عنها دي سان جوليانو في برقيتين لاحقتين موجهتين الى بانسا وافارنا وقد حويتا التعليمات بحيث اذا ما حلت اللحظة (الاحتلال) فكان يجب عليهما ان يفسرا « بوضوح الى الحلفاء » بان السبب الوحيد الذي جعلنا نتاخر في ابلاغهما هو رغبتنا الودية « في ان لا نضعهم في موقف صعب ولكي نعطيهم الوسيلة للتوفيق ما بين مصلحتهم في الاحتفاظ بصداقة تركيا وبين المشاعر والواجبات المتبادلة التي تربط ما بين الحلفاء » (٨٧) .

---

(٨٦) A.C.S., C.G., b. 25 fasc. 64 برقية دي سان جوليانو الى السفيرين بفيانا وبرلين بتاريخ ٢٢ سبتمبر ١٩١١ .

(٨٧) A.C.S., C.G., b. 37, f. 36 برقية دي سان جوليانو الى السفيرين بفيانا وبرلين بتاريخ ٢٤ سبتمبر ١٩١١ . وكان سفير ايطاليا بفيانا افارنا معارضا لطريقة العمل هذه التي سلكتها الحكومة الايطالية وقد بعث برقيتين متتاليتين في ٢٥ سبتمبر يطلب من وزير الخارجية ان يعلم مقدما « من ناحية اللياقة » الحكومتين النمساوية والالمانية . (A.C.S., C.G., b. f. 13).

ولكن ماذا كان في الواقع يقلق الحلفاء اكثر بخصوص حملة عسكرية ايطاليا بليبيا ؟ فبالاضافة الى الرغبة في الحفاظ على علاقات طيبة مع تركيا التي ترتبط بها النمسا وخاصة المانيا بفضل مساعي البارون مارشال ، بمصالح اقتصادية وتجارية ضخمة فان الامبراطوريات المركزية كانت تخشى ان قيام ايطاليا بعمل عسكري ضد تركيا سيتسبب في « انفصال كريت وفي ثورات البانية وثورة في اليمن وربما في توسع لبلغاريا مع خطر تفكك الامبراطورية العثمانية وهو الامر الذي بالاضافة الى نتائج سياسية غير متوقعة كان في امكانه ان يحدث « على الاقل ارتباكا » للمصالح الاقتصادية لجميع الدول (٨٨) .

ومع هذا فقد حاول دي سان جوليانو ان يقلل من شان معارضة الحلفاء

---

(٨٨) هذه الاراء عبر عنها وزير الخارجية الالماني (كيدرلن ويشتر) الى السفير الايطالي بانسا يوم ٢٢ سبتمبر ١٩١١ ــ انظر برقية بانسا الى دي سان جوليانو في ٢٢ سبتمبر (A.C.S., C.G., b. 17, f. 36)، وقد لاحظ بانسا من بين ما لاحظ : « اجبت كيدرلن انني لا اعرف نوايا الحكومة الملكية الحالية في هذا الخصوص ولكن بصورة شخصية بينت له الصعوبات التي واجهناها في طرابلس من قبل السلطات التركية على حساب توسعنا الاقتصادي المشروع وكذلك الظروف الناتجة عن قرب تولي فرنسا لمراكش وقد اخذ يتكون في ايطاليا تيار حاد جدا لدى الراي العام يرى بعدم امكانية تاجيل حل نهائي للمشكلة الطرابلسية اكثر من ذلك · وفي هذا الوقت ــ لاحظت ان فرنسا التي تحتاج لموافقتنا للمسالة المراكشية لا تستطيع ان تثير في وجهنا صعوبات ولا تتخلى من التزاماتها نحونا · لما اذا اجل الحل الى وقت غير محدد فلا يستطيع احد ان يتنبا فيما اذا كانت علاقتنا بالجمهورية جارتنا قد لا تسوء من جديد لاي سبب ومنذئذ وبالرغم من كل وعد معاكس فالخطر على طرابلس قد يعود من جديد بخطورة اشد نتيجة لاتساع الامبراطورية الفرنسية الافريقية · وفي نفس الوقت ان هذا القلق جعلنا دائما مضطرين الى مجاملة فرنسا مما كان يعرضنا احيانا الى توبيخ حلفائنا بسبب « دورات الفالس » هذا في حين انه اذا حلت مسالة طرابلس نهائيا وبصورة تؤمن التوازن بالبحر الابيض فان مركزنا في الحلف الثلاثي قد يكون اكثر حرية وصراحة لمصالحنا ومصالح حلفائنا (···) ولاحظت ايضا ان عملنا المحتمل في هذا الوقت قد لا يثير الآن صعوبات دولية بالنظر الى استعداد روسيا وانكلترا المتوقع كما اضفت ــ لا نشك في مواقف حلفائنا الذين الان بالذات اقترحوا علينا تجديد المعاهدة الثلاثية » ·

المحتطة فان المانيا حسب وجهة نظره ستقتصر على اعطاء النصائح ولكنها قد لا تعرقل ابدا التصرف الايطالي وخاصة اذا كان هـذا التصرف سريعاً وفي وقته ثابتا . اما بالنسبة للنمسا فلم يكن في امكان دي سـان جوليانو ان يخفي ود حكومة فيانا المفقود بالرغم من انه حتى في هذه الحالة كان تقديره متفائلا تماما : « انها ستمتعض ربما وقد تمتعض بكل تاكيد ولكنها لن تفعل شيئا » (٨٩) .

وقد نضج الاقتناع لدى جوليتي بان الوقت قد حان لتنفيذ المبادرة خلال النصف الاول من سبتمبر ، وقد ساهم في اتخاذ القرار سير الاحداث الدولية من جهة وبصورة خاصة المشكلة المراكشية ومن جهة اخرى ضغط دي سان جوليانو عليه المتواصل (٩٠) .

---

(٨٩) A.C.S., C.G., b. 12, f. 10 رسالة دي سان جوليانو (من فيوجي) الى جوليتي (تورينو) تاريخ ٢٠ سبتمبر ١٩١١ . كتب فرنشسكو ساريونيتي ان حكومة فيانا لا تثق في جوليتي « بسبب وطنيته وحكومة برلين لانها تعتبره ميالا لفرنسا والطرفان كما أعتقد ــ كانا على حق من وجهة نظرهما في عدم الثقة به » (فرنشسكو ساريونيتي F. Saverio Nitti ــ كتابات سياسية مجلد ٤ : ايحاء وتامل وذكريات قام بنشره جامبيروكاروتشي ــ باري ١٩٦٣ ص ٢٦١ .

(٩٠) كتب لويجي لودي : « عرض دي سان جوليانو على رئيس المجلس باستمرار ضرورة تدخل فعلي . والنائب جوليتي وفقا لطبيعته وسوابقه لم يكن ميالا لتقبل نصائح من هذا النوع . فالتوسع الاستعماري لا يدخل في مخططاته : ديبريتيس Depretis (رئيس مجلس وزراء سابق) قد سقط في الواقع بسبب ارتيريا وان عملية طرابلسية قد لا يوافق عليها اولئك الاشتراكيون والذين ظلوا العنصر الاساسي في مخططاته . وعلى كل حال ففي النهاية حمل على الاقتناع على الاقل بصميم الفكرة وهو الذي نضج في دروميرو . وفي منتصف سبتمبر فقط عندما كانت جميع الصحف تطالب بضرورة لاتخاذ قرار ، اضطر الى ترك معتكفه الهادىء ليعود الى روما . وكان بقية اعضاء المجلس يجهلون قراراته حتى ان النائب تيتسكو كطلب من حسن نية بوتيكاتيني ، اي نية لدى الحكومة في الاحتلال واجاب النائب نيتي من كان يوجه اليه السؤال ذاكرا صورة مميزة نديه للكابتن فراكاسا نقش في اسفلها هذه الكتابة « طرابلس ... سعيدة » لويجي لودي Luigi Lodi ــ خمسة وعشرون عاما من الحياة النيابية . من بيللو الى موسوليني ــ فلورنسا ١٩٢٨ ص ١٤٩) .

وتلاقى جوليتي ووزير خارجيته يوم ١٤ سبتمبر ويبدو ان الاثنين اتفقا على مناسبة الشروع في العمليات العسكرية في شهر نوفمبر . بيد انه في اليوم التالي ١٥ سبتمبر كتب دي سان جوليانو الى جوليتي (بكانور) عارضا عليه ضرورة تقديم وقــت العمل لاسباب تتعلــق بالاحوال الجوية وبحالة البحــر :

« (...) اذا كان لا بد من عمل لنا في طرابلس ــ كتب دي سان جوليانو ــ يجب ان يتم في اقرب وقت ممكن او علــى الاقــل قد يكون مناسبا اصدار التعليمات منذ الان في المسائل التي تتطلب وقتا لتنفيذها فبدلا من نوفمبر قد يكون مفضلا العمل في اكتوبر واذا امكــن لا بعد الخــامس ولا قبل يوم ٢٠ وهو الوقت الذي يتبع مباشرة الاستواء الخريفي ويعطي امكانيات اكثر في ان يكون البحر هادئا (...) ــ فاذا كان كل شيء قد درس بدقــة اعتقد اننا سنواجه صعوبات دولية اقل وحكما اكثر وديا من الراي العام الاوروبي هذا اذا استطعنا ان نعمل في الوقت الذي لا تزال فيه اوروبا مشغولة بنتائــج المفاوضات الفرنسية الالمانية المكنة (٩١) بدلا من أن تكون قد اطمانت على هذه الناحية واذن ستكون اقل استعداد للحكــم بعطف على من يجلب لها متاعب جديــدة .

وبدا دي سان جوليانو العمل بسرعة . فالوقت ــ بالنسبة له ــ مناسب حتى بسبب تغيب جميع السفراء الاجانب بــروما تقريبا وبسبب « غيابه المبرر » هو وجوليتي » .

« واضيف ــ كتب فــي نفس الرسالة ــ انّنــي قد استطعــت من محادثتي مع القائم بالاعمال الالماني بارتياح انه مقتنع باننا لن نفعل شيئا واعتقد انه سيبلغ حكومته بهذا الاتجاه . ولكن الى متى سيدوم هذا الحال ؟ بالتاكيد ليس لمدة طويلة . ان العمل الان قبل ان تعلم بــه حكومتنا النمسا والمانيا لامر ضروري جدا بالنسبة لنا وحسب راي مقبول بالنسبة لهم » (٩٢)

---

(٩١) تمت المفاوضات الالمانية ــ الفرنسية يوم ٤ نوفمبر ١٩١١ .

(٩٢) .A.S. MAE, Gab ــ ١٩١١ ص ٢٢ ٠ لا يزال دي سان جوليانــو يواصل مؤكدا « ــدم

وبعد يومين في ١٧ سبتمبر في خلال اجتماع (براكوينجي) * احيط بالسرية التامة احاط جوليتي الملك علما بالقرارات التي توصل اليها . وقد ابدى فيكتور عمانويل الثالث موافقته وعندما عاد جوليتي الى كافور يوم ١٨ سبتمبر اصدر التعليمات للتعجيل بالاعدادات في السرية التامة (٩٣) .

وان احد التساؤلات التي كانت اكثر ما شغف به كل من اهتم بالحرب الايطالية ـ التركية هو هل قرار جوليتي في اتمام العمل العسكري بطرابلس وبرقة قد تاثر بالجو الذي خلقته الصحافة والراي العام لصالح العملية . ومن بين اولئك الذين يميلون الى الرد الايجابي نجد لويجي البرتيني الذي اكد ان « تيار الراي العام الشاسع والكاسح هو الذي سير الحكومة (٩٤) .

اعطاء وقت للصحافة الانكليزية التي لها تاثير على الراي العام ومن طريقها على الحكومة ان تهتم من علم Exprofesso بطرابلس وان تحتفل الفرصة التي تركز فيها اهتمامها على مراكش وضد المانيا » .

(٩٣) جوفاني جوليتي ـ المصدر المذكور ص ٢٣٤ ـ كتبت صحيفة « سومنتو » وهي من الصحف الكاثوليكية الداخلة في شركة قروسولي ، في اليوم التالي ان جوليتي وهو في طريق مودنه وقف يتحدث الى احد الفلاحين ويبدو انه قال له انه « ذهب الى الملك ليتحدث معه في موضوع طرابلس ... » وقد كتب جوليتي الى بروساتي مؤكدا « روح الابتكار الصحفية » واعتبر « مؤسفا » لن يصل الامر الى « اختراع احاديث صاحب الجلالة » والرسالة موجودة في A.C.S., A.B., sc. 10, f. VI. 4. I. وقد ذكرت مارشيلا بنكيرلي هذا الحادث في المصدر المذكور ص ٤٧٩ .

(٩٤) لويجي البرتيني ـ المصدر المذكور القسم الاول المجلد الثاني ص ١٢٣ ـ كانت الحكومة ـ كتب قصر ملكي بولاية بيمونتي (المعرب) .

البرتيني ـ تلاحظ بدون شك ظاهرة نفاذ الصبر الذي تطورت في البلاد وكانت تشعر بان التيار اخذ يرتفع ولم تفكر الحكومة في البداية ان في امكان التيار ان يلحق بها ويجرها . ثم رات انها لم تكن حركة مصطنعة تغذيها بعض العناصر قليلو التامل بل كانت تعبر عن قلق شديد للاغلبية الساحقة من الامة . ولاحظ انه قد تولد تيار مؤيد حتى بين الاحزاب الشعبية رغم معارضة قوية (...) وادركت انها اذا استجابت فلن تواجه سوى معارضة هزيلة قليلة التاثير وسط الخلافات الشاسعة والجدية التي ظهرت في الحزب الاشتراكي نفسه ، اما اذا قاومت فقد تعاكس وتتحدى حركة قومية حقيقية واتخذ قرارها بالقيام بالعملية (المصدر المذكور ص ١٢٤ .

غير ان البرتيني ليس بالوحيد الذي يتبنى هذا الراي . فغايطانو سالفيميني على سبيل المثال اكد بالاسلوب الجدلي الذي يميزه انه بعد يوم ١٧ سبتمبر فقط لا قبل ذلك « اتخذ جوليتي قراره ، والقرار تم بعد ان قامت صحيفة « كوريري ديلاسير » يوم ١٤ سبتمبر « باتهام الملك بمعارضته لارادة البلاد » وفي يوم ١٧ سبتمبر نفسه دفع كوراديني بتجربة الطبع لمقدمة كتابه « ساعة طرابلس » مؤكدا انه تجاه سكون الحكومة ، فالقومية كان يجب عليها « ان تشرع في عمل ثوروي متطرف حتى ضد الاشياء والاشخاص الذين لا يات ذكرهم الان » (٩٥) « لماذا يتساءل سالفيميني — انتظر جوليتي حتى ١٧ سبتمبر لكي يتخذ قراره ؟ لانه شعر في هذا الوقت فقط ان الصحافة خدمته اكثر مما يرغب وان الراي العام قد امسك بيده »(٩٦) وقد ذكر الجنرال اوفو بروزاتي ياور الملك فيكتور عمانويل الثالث الى سبنقاردي (وزير الدفاع) ان انطباعه كان ان الحكومة قد انجرت وراء الراي العام » (٩٧) .

ان الاستدلال الذي قدمه البرتيني وسالفيميني وبروزاتي ثلاث شخصيات تختلف عن بعضها وبعيدة عقائديا فيما بينها ، هو بدون شك ايحائي ، غير

---

(٩٥) الريكو كوراديني « ساعة طرابلس » ميلانو ١٩١١ ص

(٩٦) غايطانو سالفيميني — المصدر المذكور ص ٣٠ — ٣٢٩ .

(٩٧) A.C.S., A.B., sc. 10, f. VI. 4. 36 n° 302, رسالة سبنقاردي الى بروزاتي في ٢٥ سبتمبر ١٩١١ « فاذا كان الامر كذلك — لاحظ سبنقاردي رادا على بروزاتي — فليبارك الله في هذه الحالة للراي العام الذي جنبه ارتكاب خطا اخر ... في التوقيت . ومن الحظ الغريب ان جميع البلاد مؤيدة . ولا انكر ان تكون هناك مصالح قذرة قليلة ام كثيرة في اللعبة غير ان غالبية الجماهير مؤيدة بسبب شعورها الايطالي السامي . ولم يخف سبنقاردي الاخطار التي قد تسببها الحرب مع تركيا بالنسبة للامن الاوروبي : « ستطالب النمسا بتعويضات جديدة وربما يكون زحفها على سالانيك مقدرا كما اعتقد وقد يكون مقدرا ايضا دخولنا في حرب مع الحليفة ولكن ليس الان . فليعطوننا وقتا ولنسمعهم صوتنا ايضا الادرياتيك ».
ان المسألة هنك ليست ايطالية فقط . هناك اخرون اقوى منا يهتمون بالبلقان والاتحاد قوة .

ان المسببات المتبعة لتبريره لا تكفي وحدها لتعزيزه . وخاصة وانه قد يجب ان يستبعد الافتراض بان جوليتي كان سريع الانفعال وسهل التاثير عليه بدرجة ان يجر بسهولة :

«ان معارضة البرتيني وسالفيميني لجوليتي يجب ان تدفعنا ايضا الى تقييم تاكيداتهما مع بعض التحفظات التي وان كانت من زاويتين مختلفين فانها تظهر تلك الروح الجدلية تجاه جوليتي التي دمغت نشاطهما ككاتبين ورجلي سياسة (٩٨) .

ويحضر التساؤل اذا لم يكن دي سان جوليانو نفسه قد تعاون ولو جزئيا مع الصحافة لتهيئة الراي العام للعملية ولمحاولة التاثير على جوليتي بزيادة ضجة الصحافة حول ليبيا ، وقد كان للسان جوليانو دور بارز على سبيل المثال في تحويل صحيفة مثل « كوريري ديلاسيرا » الى جانب مثيري العملية (٩٩) .

وفي الخلاصة فان وزير الخارجية لم يكن من بين اولئك الذين انجروا وراء الراي العام . وحتى الى ايام قليلة قبل اعلان الحرب كان مهتما بالقاء الحطب في النار . وبارادة سان جوليانو نفسه كانت برقيات وكالة ستيفاني

---

(٩٨) لاحظ رفائيل مولنيللي في هذا الصدد : هل كان ضغط الراي العام السبب الحاسم في دفع رجال الحكومة الى العملية لانه لمن الصعب اثباته ومن جهة اخرى لا يمكن عدم الاخذ في الحسب ان اولئك الرجال وعلى الاقل جوليتي عرفوا فيما بعد خلال حملة التدخل في الحرب العالمية ان يقفوا ضد التيار . ومن المشكوك فيه ان ذلك الضغط قد احس به بشدة رجال الحكومة واعطوه ما يستحق من الاعتبار . فيبدو لنا جائزا الافتراض ان جوليتي وقد اقتنع تدريجيا بالعلاقة الموضوعية للامور وان للصحافة قد ساهمت في ان توضح له حتمية العملية وقد قام بالعمل متجاوبا مع توقعات الراي العام المتزايد ضغطه والتي قد تكون دفعته الى تقصير الزمن » . (رفائيل مولينيللي المصدر المذكور ص ١٢٧) .

(٩٩) انظر ص ٦١ ــ ٦٧ ــ لقد كتب جاكوموودي مارتينو انه « خلال شهر سبتمبر هدد الوزير دي سان جوليانو بالاستقالة اذا القرار تاجل مدة اطول » (جاكوموودي مارتينو المصدر المذكور) .

تتخذ لهجة محتدة تثير الانفعال في البلاد . وفي يوم ٢٢ سبتمبر ابرق وكيل وزارة الداخلية الفريد وفالتشوني الى جوليتي الذي كان لا يزال في كافور قائلا :

« ان وكالة ستيفاني بامر محدد من وزارة الخارجية مخالفة بذلك الاعلان الصادر مني ومن فريدلاندر ومن بيانو قد اضطرت الى نشر هذه البرقية من بين ما نشرت : « اسطمبول » يتعلق الامر بارسال عمارة الى طرابلس » لقد تمكننا من الغاء بعض البرقيات المثيرة ، وقد صرح دي سان جوليانو انه بينما كان يعتقد حتى اليوم انه من مصلحتنا التخفيف من حدة البرقيات للفوز بتغلغل سلمي فاليوم اصبح الامر بالعكس اذ انه من المناسب اتباع سياسة مختلفة هدفها هز الراي العام . هذا ما احاطني به علما فريد لنذر بصورة سرية » (١٠٠) .

وبتفسير وقلب استدلال البرتيني راسا على عقب قد يمكننا ان نجازف حقا بالافتراض بان انطونينو دي سان جوليانو كان هو الذي « امسك الزمام » وقاد « تيار الراي العام الشاسع والعاصف » . وعلى كل فيبدو واضحا دون حاجة الى اللجوء الى افتراضات متطرفة ان دي سان جوليانو قد تصور حرب طرابلس كمسالة « مرتبطة » حقا « بحياته كوزير » وذلك حسب ايحاء وكيل الوزارة دي سكاليا . ان شدة الاصرار والمثابرة التي سير بها دي سان جوليانو عمله السياسي والديبلوماسي ، تمكننا بدون شك من اعتبار وزير الخارجية الايطالي العامل الرئيس في الحرب الايطالية — التركية (١٠١) وذلك طبعا لا يدفعنا الى التاكيد بان جوليتي لم يكن له اي

---

(١٠٠) A.C.S., C.G., b. 12, f. 10 . ايتوري فريدلاندر Ettore Friedlender كان مدير وكالة ستيفاني Stefani للانباء .

(١٠١) لقد لاحظ جاكوموبرتيكونه — ان الامر لا يتعلق في الواقع وفي مجموعه بسياسة قومية لانها كانت حكومة جوليتي ، غير انه في الكونسولتا (وزارة الخارجية) (...) لم يزدروا تصفيق القوميين الذين كانوا ينتظرون الحرب ، حرب واحدة وقد اعتقدوا لبعض الوقت ان هذه كانت حربهم » (جاكومو برتيكونه Giacomo Perticone المصدر المذكور ص ١٣٩) .

وزن في القرار وانه انقاد سلبيا وراء دي سان جوليانو . ان مثل هذا التاكيد قد يعرضنا الى الوقوع فيما يسميه مارك بلوخ Marc Bloch «بخرافة القضية الوحيدة » (١٠٢) ففيما يتعلق بموقف جوليتي يجب بالعكس ان ناخذ بعين الاعتبار عاملا اخر لا يمكن تجاهله : بالرغم من انه لم يكن مقتنعا جدا بفائدة استيلاء استعماري كان يمس مصالح تركيا ويجازف باشعال مستودع البارود بالبلقان ، غير انه تجاه ضغط دي سان جوليانو عليه من جهة وتجاه تيار الراي العام الصاخب من جهة اخرى ، خشي على استقرار حكومته وعلى مستقبله السياسي نفسه في حالة رفضه التقدم الى الامام . وقد قام بعملية حساب انتهازية سياسية وهو الذي ليس غريبا بالطبع عن مثل هذه الحسابات ، وفي الخلاصة كما لاحظ قوليلمو فيريرو « لقد ادرك جوليتي ان قوته كانت في خطر وقام بالحرب من اجل انقاذها . وقد اطفا لهيب النيران الشاسع بالقاء رمال مارماريكا (البطنان) عليه » (١٠٣) ونظرا لان المعارضة الاشتراكية نفسها كانت تظهر بمظهر العقم والانقسام وعدم الوصول الى نتيجة وبالنظر لانه لم يجد سوى قوات سياسية ضئيلة مجلبة للشبهة مستعدة لتاييده في حالة رفضه للعملية الاستعمارية ـ وبالنظر اخير الى انه داخل وزارته نفسها كانت توجد موافقة تقريبا اجماعية على الحل بالقوة ، فقد باشر العملية كاخف الضررين وكوسيلة وحيدة في تلك الفترة لتجنب اسقاط الجماهير له من على الجواد وحتى لا تخنقه موجة القومية التي كانت تغزو البلاد .

---

(١٠٢) كتب بلوخ : « (...) ان خرافة القضية الوحيدة في علم التاريخ هي في الغالب الصيغة الماكرة للبحث عن مسؤول ثم عن حكم قيم » . على من يقع الذنب ولمن الفضل ؟ « يقول القاضي ـ والباحث سيقتصر السؤال على : « لماذا » ويقبل ان لا يكون الرد بسيطا . هل هو حكم مسبق للحس المشترك . ام تسليم بالمنطق ام هوس قاضي التحقيق فوحدانية القضية هي للتفسير التاريخي مصدر للاحراج فقط . انها تبحث عن قطار ذي موجات سببية ولا تذعر لان الحياة تظهرها هكذا وتجدها متضامنة » (مارك بلوك M. Bloch المصدر المذكور ص ١٦٣) .

(١٠٣) قوليلمو فيريرو المصدر المذكور ص ٢٢٨ .

وبان الخطر من ان دولتي الحلف الثلاثي قد تتمكنان باي شكل من عرقلة القرارات التي توصلت اليها الحكومة الايطالية فقد خلق الضرورة ـ كما اعرب عن ذلك جوليتي نفسه ـ « للحيلولة دون ان يكون ما بين النوايا الظاهرة في التصرف وبين العمل نفسه (الحرب) اي فاصل من الزمن قد يترك وقتا للتدخل بالنصائح من اية جهة كانت » (١٠٤) . وقد تم بالفعل في هذه الايام اتخاذ القرار بالشكل الذي يؤدي الى الحرب مع تركيا . وقد كتب دي سان جوليانو نفسه مسودة برقية يراد توجيهها الى الملك لاحاطته علما بقرارات الحكومة وحولها الى جوليتي الذي لم يفعل اكثر من كتابة تاريخها « ٢٤ سبتمبر ١٩١١ » والتوقيع عليها (١٠٥) وقد جاء في البرقية الموجهة الى الملك ما يلي :

« لاسباب خطيرة سياسية وعسكرية قد يكون ضروريا ارسال انذار الى تركيا باعتبارنا في حالة حرب معها اذا لم ترد علينا ضمن اربع وعشرين ساعة . الانذار قد يطلب من تركيا أن تصدر الاوامر لسلطاتها العسكرية والسياسية في طرابلس وبرقة بان لا تقاوم احتلالنا العسكري ، وبان تتولى ايطاليا ادارة تلك الولايتين ، لان ذلك غدا ضروريا وعاجلا بالنظر الى المعارضة المنتظمة لحرية توسيع نشاطاتنا الاقتصادية وكذلك الخطر الوشيك على مواطنينا نتيجة للاثارة المتواصلة لجماهير متعصبة وهي ايضا من عمل الضباط الاتراك . فاذا تركيا لم تجاوب ضمن اربعة وعشرين ساعة ستعلن الحرب .

نرجو جلالتكم الاذن للحكومة باتخاذ هذا الاجراء . ان اعلان الحرب قد يضعنا في حالة متمشية مع القانون الدولي وقد يجبر الضباط الاجانب العاملين مع تركيا على رفض عملهم وقد يعطينا حق التفتيش في البحار وقد

---

(١٠٤) جوفاني جوليتي ـ المصدر المذكور ص ٢٩ ـ ٢٢٨ .

(١٠٥) هكذا يبدو من خط مسودة الرسالة المكتوبة على ورق وزارة الخارجية ومحفوظة في A.C.S., C.G., b. 16, f. 28

يسمح لنا بتدمير وحصار الاسطول التركي حيثما كان مؤمنين بذلك سلامة القوافل وربما اجبار تركيا على التسليم حتى قبل الحملة » .

وجاء رد الملك الى جوليتي في نفس مساء ٢٤ سبتمبر ١٩١١ وهو رد جاف وبدون تعليقات : « اشارككم طريقة الرؤيا والعمل بالقدر الاحسن لمصلحة البلاد » (١٠٦) وفي اليوم التالي عقد اجتماع ما بين جوليتي ووزراء الخارجية والحربية والبحرية تقرر خلاله ان الانذار بحدوث اعلان الحرب يمكن ارساله فقط في عشية الحملة المباشرة . ولا يقع تقديم ذلك اللهم الا في حالة سفر سفن تركية الى طرابلس ، وقد تنشأ ضرورة العمل ضدها بقصد « الحيلولة المطلقة » دون ان تنقل هذه السفن امدادات من الرجال والسلاح الى طرابلس . وبابلاغه هذه القرارات الى الملك في ٢٥ سبتمبر حاول جوليتي أيضا ان يطمئن فيكتور عمانويل الثالث حول وزن المعارضات الداخلية للحرب : « الحركة الاشتراكية ــ لاحظ جوليتي ــ لا اعتقد انها ذات اهمية فكثير من الاشتراكيين مؤيدون للعملية وجاء بازلاي هذا الصباح ليقول لي ان الجمهوريين لا يوافقون على سلوك الاشتراكيين ولن يحدثوا احراجات » (١٠٧) . وان الاقتناع بان المعارضة الاشتراكية قد تكون هينة بل في بعض الاحوال قد تقع تاييدات ، وهو عامل لا يجب التقليل من اهميته في الحكم على قرار جوليتي في تحطيم التردد . وقد قام رئيس مجلس الوزراء نفسه في اليوم التالي بتطمين فيكتور عمانويل من جديد حول ردود فعل الداخل على اعلان الحرب : « ان بيسولاتي الذي رايته اليوم لا يعتقد في جدية الاضرابات المعلنة » (١٠٨) .

---

(١٠٦) المصدر المذكور .

(١٠٧) من اوراق جوليتي المصدر المذكور المجلد الثالث ص ٦١ .

(١٠٨) A.C.S., C.G., b. 16, f. 28 برقية جوليتي للملك في ٢٦ سبتمبر ١٩١١ (مسودة) . ان الدور الذي لعبه بيسولاتي في كل الامر يبدو حاسما . لقد حاول ان يكون همزة الوصل ما بين جوليتي والحزب الاشتراكي الايطالي في محاولة للتخفيف من المعارضة الاشتراكية بدرجة انه كان حضر يوم ٢٥ سبتمبر اجتماعا للمجموعة البرلمانية الاشتراكية ببولونيا من مركز كان اكثر

وعند هذه النقطة كانت هناك محاولات المانيا وتركيا الاخيرة لدفع ايطاليا الى التراجع عن نواياها الواضحة . وصرح القائم باعمال تركيا يوم ٢٦ سبتمبر في روما خلال حديث له مع دي سان جوليانو ان حكومته كانت على استعداد لتقديم امتيازات اقتصادية على ان تقف المحاولة (١٠٩) . وفي تركيا في يوم ٢٧ سبتمبر اعرب البارون مارشال في حديث له مع دي مارتينو من جديد عن قلق المانيا من ان احتلال ايطاليا لطرابلس قد يحدث ثورة في تركيا وسقوط نظام الاتحاد والترقي واضطرابات ضد الجاليات الايطالية والاجنبية واعادة فتح مشكلة الشرق. وكان الديبلوماسي الالماني يرى ان تتجنب ايطاليا القيام بعمل عسكري ، وانه من المناسب جدا لها في ذلك الوقت الحصول على امتيازات اقتصادية هامة من تركيا خاصة وان طرابلس لن تفلت من ايدي الايطاليين بل لقد تقررت لها (١١٠) . وقام كيدرلن واشتر بنشاط مماثل في برلين تجاه بانسا (سفير ايطاليا) (١١١) .

ولكن القرار قد اتخذ في النهاية : ففي الليلة الواقعة ما بين ٢٦ و ٢٧ سبتمبر صدرت من وزارة الخارجية برقية تتضمن الانذار الايطالي الى

سلامة من مواقفه قبل بضعة ايام ناديا ان الحرب سيجري قتالها بطريقة سبق الحكم عليها كذلك ، واجتهد ان لن يبين الفوارق ما بين الحالة الحاضرة والحالة التي ادت الى صدوه . وصرح بمعارضته لاي نوع من الثورة او حتى الاضراب البسيط الدال على الاحتجاج كما اقترح ذلك قرازيادي Graziadei وهاد للحرب على نغمة للخطر الذي قد يتعرض له الاقتراع العام من جراء معارضة جوليتي » (رفائيل كولابيترا R. Colapietra — ليونيدا بيسولاتي — ميلانو ١٩٥٨ ص ١٧٤) .

(١٠٩) انظر رسالة دي سان جوليانو الى جوليتي بتاريخ ٢٦ سبتمبر ١٩١١ .

(١١٠) انظر برقية دي مارتينو الى دي سان جوليانو في ٢٧ سبتمبر ١٩١١ .

(١١١) انظر جوماني جوليتي — المصدر المذكور ص ٢٢٨ . في ٢٧ سبتمبر اجاب دي سان جوليانو السفير بانسا بهذه البرقية : في امكان سعادتكم افهام كيدرلن واشتر ان اي رقم او كمية من الامتيازات الاقتصادية قد تترك الاسباب الدائمة للصدامات المستمرة مع تركيا كما هي دون تغيير . لقد اصبح الحل الوحيد الممكن هو ان تكون طرابلس وبرقة ايطاليتين .

تركيا : « انذار غـريب ! » لاحظ فولبي (١١٢) تـعرض بواسطته شروط لا يمكن لاي بلد ان يقبلها ويطالب في الخلاصة من تركيا ان تسمح باحتلال عسكري من قبل ايطاليا لاراضي واقعة تحت سيادتها . والامر يتعلق — كما لاحظ فيليبوميدا F. Meda باعلان حرب حقيقي بمعنى الكلمة . حيث ان الانذار كان يتضمن « طلب شيء لا تستطيع تركيا ان تعطيه لنا حتى ولو ارادت ذلك » (١١٣) وفي الخلاصة ان الانذار كان ذريعة بغرض الحل بالقوة في ذلك الوقت .

وفي جميع تصرفات الحكومة في الايام التي سبقت مباشرة اعلان الحرب والتي قد نستطيع ان نحصرها فيما بين ٢٤ و ٢٧ سبتمبر يلاحظ شيء من اللهث والتشنج والسرعة المرتجلة . فالقرار لم يكن متوقعا على الاقل في هذا الوقت القصير . وهذا لا يبدو كثمرة مناورة دبلوماسية وعسكرية بارعة من اجل وضع تركيا والدول امام الامر الواقع ، لانه اذا كان الحادث قد فاجا تقريبا الجميع في اوروبا فقد فاجا ايضا جيشنا الذي لم يكن مستعدا للعمل .

وفي ٣ سبتمبر قبيل بداية الحرب ببضعة اسابيع سرح الجنود من مواليد سنة ١٨٨٩ ، وفي الوقت الذي ارسل فيه الانذار كان الجيش « في ادنى فعاليته الحربية » (١١٤) ولم يشرع في الاستعداد « ببعض البطء » الا في يوم ١٨ سبتمبر بعد عودة جوليتي الى كافور على اثر مقابلته للملك في راكونيجي . ولم يحاط علما مسبقا باحتمال قرب الحرب لا وزير الحربية سبنقاردي ولا رئيس اركان الحرب بولليو ولا القنصل بطرابلس تاللي . وقد تقرر ان يعد للحملة فيلق خاص غير ان هذا « لم يكن مستعدا بعد عندما ارسل الانذار الى تركيا ولا حتى لدى اعلان الحرب في يوم ٢٩ .

---

(١١٢) جواكينوفولبي — المصدر المذكور — ص ٤٥ — نص الانذار في الملحق رقم ٢ .

(١١٣) « الامر الواقع » في صحيفة « لونيونة » L'Unione ٧ نوفمبر ١٩١١ .

(١١٤) لويجي البرتيني المصدر المذكور القسم الاول المجلد الثاني ص ١٢٢ . لقد استدعوا مواليد ١٨٨٨ فقط . فيما بعد ٣ نوفمبر استدعوا مواليد ١٨٨٩ الذين سرحوا حديثا (انظر فصل ٤) .

(...) ولم يكن الفيلق جاهزا حتى مساء ٣٠ سبتمبر « وان العمارة البحرية التي سافرت من تارانتو الى اوقوسطا انتظارا لجمع الجنود كان لديها « مؤن ليوم واحد فقط » (١١٥) .

ففي ١٩ سبتمبر ابلغ سبنقاردي (وزير الحربية) دي سان جوليانو ان « القافلة » قد تصل امام طرابلس ما بين ١٣ و ١٥ اكتوبر واضاف « اكثر من هذا لا يمكن » وكذلك رئيس اركان الحرب بولليو بدوره لم يكن يعتقد في ٢٧ سبتمبر اي في اليوم الذي ارسل فيه الانذار ان « الانزال ممكن قبل ١٠ اكتوبر » (١١٦) فضلا عن ذلك فان دي سان جوليانو قد ذكر في رسالته الى جوليتي المؤرخة في ١٥ سبتمبر ان حوالي يوم ١٥ اكتوبر ممكن الشروع في العمليات العسكرية . وفي الايام الاخيرة جدا ، في الخلاصة — تم كل شيء بعجلة كبيرة لا تصدق : « العجلة — صاح فولبي بعد التفكير الكثير في طرابلس وبعد عشر سنوات من التاجيلات » (١١٧) .

قد يكون ربما من السهل جدا ان يصفي الموضوع كما فعل البرتيني بالافتراض بان الراي العام قد دفع الحكومة الى « العجلة » والى اعلان الحرب دون الاعداد المناسب وخاصة وانه كانت تكفي بضعة اسابيع للقيام بالاستعداد العسكري بصورة احسن وكان في الامكان احتواء الراي العام لعدة اسابيع اخرى . ولذلك يجب البحث عن عوامل اخرى لتفسير تلك العجلة التي ثبت خلال العمليات الحربية المقبلة مبلغ ضررها .

والامر هو ان الحكومة ودي سان جوليانو اكثر من اي احد اخر خشيا من ان وساطة المانيا قد تنجح في ايقافنا . وبالفعل فان الخطوات الديبلوماسية الالمانية الاخيرة ببرلين وروما واسطمبول فيما بين ٢٤ و ٢٧ سبتمبر قد شغلت فكرة وزارة الخارجية وجعلتها تسرع بالعمل العسكري بصورة حاسمة . فعندما كتب دي سان جوليانو الى جوليتي في ٢٦ سبتمبر لاحاطته

---

(١١٥) جيوكينو فولبي — المصدر المذكور ص ٤٧ .

(١١٦) انظر A.C.S., A.B.S.C. 10, f. VI. 4. 36 nº 302

(١١٧) جواكينو فولبي المصدر المذكور ص ٤٧ .

علما بزيارة ومقترحات القائم بالاعمال التركي علق على ذلك بفصاحة قائلا : « كما ترى لم يعد هناك وقت للتبذير . يريدون وضعنا داخل (الكيس) ولكنهم لم يفلحوا ارجو ذلك » (١١٨) هذا هو وقت القرار النهائي ، وقد ارسل الانذار الى تركيا في نفس ليلة ٢٦ سبتمبر . وتبرير هذا القرار المفاجىء واضح جدا . الخوف من أن تفلح الديبلوماسية الالمانية في النهاية وتستطيع اجبار الباب العالي على منح امتيازات اقتصادية تجعل رفضنا لا مبرر له بالنظر الى الطريقة التي عرضت بها ايطاليا على البساط الدولي موضوع الخلاف مع تركيا .

وان نفس لهجة الانذار تعبر عن نفسها : فهي تدل على ان ايطاليا لم تكن ترمي الى احترام حقوقها التجارية والاقتصادية في طرابلس وبرقة بقدر ما كانت تريد احتمالا استعماريا . وقد ابرق بالوثيقة الى ممثلينا الديبلوماسيين في تركيا التي استلمته في الساعة الثانية من يوم ٢٨ سبتمبر (١١٩) في نص

(١١٨) A.C.S., C.G., b. 12, f. 10 — فولبي يقدم ايضا الافتراض بان الحكومة قد تاثرت بالاشاعات القائلة باحتلال ليبيا من قبل المانيا (جوكينو فولبي المصدر المذكور ص ٤٧ — ٤٦) . ان هذا الافتراض على اساس الوثائق التي اطلعنا عليها يجب حذفه .

(١١٩) وببرقية من ديرابيا بتاريخ ٢٨ سبتمبر (ذكرت البرقية خطا تاريخ ٢٨ سبتمبر) ارسلت الساعة الخامسة صباحا ووصلت روما في الساعة الحادية عشر كتب دي مارتينو : استلمت الان في الساعة الثانية صباحا برقية سعادتكم رقم ٣٦٨٠ مابرق بساعة تقديمها » (المذكور .A.S. MAE) . وقبل ان تصل هذه البرقية اي في الساعة ٣,١٥ ابرق دي سان جوليانو الى دي ماريتنو : « لم تصلني بعد برقيتكم المعلنة باستلامكم برقيتي رقم ٣٦٨٠ والذي يتضح في مكتب التلغراف هنا انها وصلت الى بيرا امس الاربعاء الساعة ١٣,٤٥ . صباح اليوم الخميس الساعة الثامنة لقد ابلغت الى القائم بالاعمال التركي الانذار (المذكور) وحسب اقوال دي مارتينو فان هذا التاخير ناجم من تصرف الادارة التركية التي تعبث ببرقيات الرموز الواصلة والمرسلة الى السفارة الايطالية . ويذكر دي مارتينو ان البرقية المتضمنة للانذار استغرقت اثنتي عشر ساعة لتصل من اسطمبول (بيرا) الى ديرابيا حيث توجد السفارة الايطالية . (انظر جاكومودي مارتينو المصدر المذكور ص ٢٢٧ — ٧٥ — ٢٧٤) .

ـ كما ذكر البرتو ثيودولي ـ « كان من الصعب حله بسبب التمزق الذي احدثه به التلغراف التركي » (١٢٠) .

فذهب دي مارتينو الى الوزير الاكبر في الساعة ١٤٫٣٠ من نفس يوم ٢٨ سبتمبر لتسليم الانذار . والقصة التي يذكرها القائم بالاعمال الايطالي في مذكراته حول هذا الحادث شيقة ومثيرة للعواطف وهو يقدم لنا دوافع انسانية حتى من واقع الحادث البارد والمؤثر . لقد ذهب دي مارتينو قبل بضعة ايام اي يوم ٢٥ سبتمبر لزيارة الوزير الاكبر حقي باشا . وقد عاد حقي باشا بالذكرى الى الايام التي قضاها في روما كسفير لبلاده فاراد ان يؤكد الى دي مارتينو « صداقته الخالصة واعجابه بايطاليا » وقد اطلع الديبلوماسي الايطالي على قاعتين في قصره علقت على جدرانها جميعها لوحات ورسوم ولوحات مائية لوريفتو وكابري والريبييرا ليقوري مع الافضلية لبورتوفينو ورابللو وسانتا مارغريتا ، يذكر دي مارتينو ان الوزير الاكبر لدى استعادته بحماس لذكرى الجمال الطبيعي الايطالي « كانت رموشه مبللة من التاثر » وقد صاح « بحرارة ، والان قولو لي انتم يا سيدي مارتينو قولوا انتم لاننا نعرف بعضنا منذ اعوام ، هل من الممكن ان ارى بلادي في قتال مع ايطاليا ؟ (١٢١) وبعد ثلاثة ايام عاد دي مارتينو الى قصر حقي باشا باسطمبول ليسلم الى رئيس الحكومة التركية انذار ايطاليا . لقد حاول الوزير الاكبر ان يؤجل تلاوة الوثيقة التي ربما كان قد خمن فحواها . ثم بناء على اصرار دي ماتينو قرا مذكرة الحكومة الايطالية « لقد كان انطباعي ـ لاحظ دي مارتينو ـ انه كان يجتهد في كبح شعور الالم والغضب معا . ثم صاح : « والان فهي الحرب » (١٢٢) .

---

(١٢٠) البرتو ثيودولي ـ المصدر المذكور ص ٥٨ .

(١٢١) « سحابة من الحزن ـ كتب دي مارتينو ـ قد احاطت بهذه الزيارة ذات الصبغة الشخصية وعند ما ودعنا بعضنا على عتبة الدار ، فشدة الايدي ونظراتنا كانت تعني : من الان فصاعدا سيذهب كل منا في طريقه » (جاكومودي مارتينو المصدر المذكور ص ٢٧٤) .

(١٢٢) المصدر المذكور ـ ص ٢٧٨ . اما محضر المحادثة الذي بعثه دي مارتينو من بيرا

وقد حاولت الحكومة التركية مرة جديدة الحصول على المساعدة الالمانية فرجت الامبراطور غليوم الثاني ان يتدخل « للحيلولة دون الحرب بين دولتين صديقتين لالمانيا على قدم المساواة » . بيد ان المحاولة لم تفز بالنجاح المرجو . فضلا عن ذلك فان السفير بانسا كان قد ابلغ كيدرلن واشتر بان « الاحتلال تقرر بصورة حتمية » (١٢٣) .

ولم يقدم الرد التركي عناصر جديدة بالنسبة لما سبق واعلنه الباب العالي وقد لوحظ مع هذا ان اللهجة كانت معتدلة وان هناك رغبة في انقاذ ما يمكن انقاذه عن طريق امتيازات ذات صبغة اقتصادية وقد اكدت الوثيقة التركية : « عدم وجود اي سبب قد يبرر القلق على مصير الرعايا الايطاليين والاجانب الاخرين » المقيمين بليبيا . واذا حصر في الجوهر فان الخلاف ــ حسب الرد التركي يكمن فقط في « عدم وجود ضمانات من شانها ان تطمأن الحكومة الايطالية حيال التوسع الاقتصادي لمصالحها في طرابلس وبرقة » وعليه فان الحكومة الايطالية مدعوة الى توضيح تدابير هذه الضمانات « التي قد توافق عليها الحكومة التركية « عن طيب خاطر » ما دامت لا تمس « كيانها الاقليمي » (١٢٤) .

ولم تعتبر ايطاليا الرد التركي كاف بل رات فيه تهربا ومماطلة . وفي

الى روما يوم ٢٨ سبتمبر كان بالطبع باردا ورسميا » : « ذهبت الان الى الوزير الاكبر بصحبة الترجمان الاول وسلمته المذكرة كما وردت حرفيا في البرقية ٣٦٨٠ . وذلك في الساعة ١٤,٣٠ . واضفت انه في نفس الاربعة والعشرين ساعة المحددة ــ يجب ان يبلغ الرد ايضا بواسطة السفارة التركية بروما ــ لفتت نظره الى الجزء الخاص بالاتفاقيات اللاحقة . سال الوزير الاكبر هل كانت هذه الاتفقيات ستجري بشانها مفاوضات بعد الاحتلال . ولاحظ الوزير الاكبر ان فترة اربعة وعشرين ساعة قصيرة جدا من اجل الرد على روما الحديث دار في حدود اللياقة « دي مارتينو » (A.S. MAE, المصدر المذكور) .

(١٢٣) A.S. MAE, المصدر المذكور . برقية دي مارتينو الى دي سان جوليانو في ٢٩ سبتمبر ١٩١١ .

(١٢٤) للرد التركي على الانذار منشور في الملحق رقم (٣) .

الساعة ١٤٫٣٠ من يوم ٢٩ سبتمبر ١٩١١ وصل الى دي مارتينو نص اعلان الحرب الذي قام القائم بالاعمال بتسليمه الى الوزير الاكبر بواسطة الترجمان الاول عند الساعة ١٩ (١٢٥) . وقد حاول دي سان جوليانو في الحال ان يوضح لحكومات الدول اسباب اعلان الحرب مؤكدا ان الرد التركي كان « عبارة عن حيلة ساذجة كانت تامل الحكومة العثمانية ان تكسب بها وقتا »كي تثير وتسلح العرب وتفوت الوقت المناسب على عملية الانزال الايطالية . « وقد تعود بعد ذلك الى عرقلة واهانة حقوقنا ومصالح وكرامة ايطاليا وتطيل بذلك فترة التوتر وتؤجل حل الصراع الذي لا بد منه الى وقت اكثر خطورة على السلام الاوروبي » (١٢٦) .

غير ان الصحافة والراي العام والحكومات الاوروبية حتى تلك التي ابدت عطفها على المطامح الايطالية فوجئت جميعها وغضبت اشد الغضب من ايطاليا غداة اعلان الحرب . وكانت صحيفة « فرنكفورتر زايتونق » Frankfurter Zeitungمن اشد الصحف الاوروبية هجوما وقد اتخذت مواقف معادية بصورة خاصة لبلادنا . والامر الذي لا يخلو من مغزى ان مراسل الصحيفة الالمانية باسطمبول وايتيس Weitz كان على اتصال وثيق في

---

(١٢٥) انظر .A.S. MAE المذكور برقية دي مارتينو الى سان جوليانو بتاريخ ٣٠ سبتمبر ١٩١١ .

(١٢٦) .A.S. MAE المذكور ، برقية دي سان جوليانو للسفارات الايطالية ببرلين ولندن وبطرسبرغ وفيانا وواشنطن وباريس بتاريخ ٣٠ سبتمبر ١٩١١ . اننا لم نقع في هذا الشرك ــ يواصل دي سان جوليانو كلامه ــ ووفقا للانذار السابق الذي قدم للباب العالي فقد قمنا في الحال ــ كما تفرض ايضا اسباب انسانية سامية بالعمل على سلامة الايطاليين والاوروبيين من كل جنسية في طرابلس المهددة (...) ان الحكومة الايطالية بوضعها حد دون تاخيرات اخرى لوضع يضم بذور اخطر المضاعفات وبالتهازها ــ في سبيل هذه الغاية ــ الفترة التي تقل بها احتمالات هذه المضاعفات ، فهي بذلك تقدم الى قضية السلام العام خدمة عظيمة ــ ولجميع هذه الاعتبارات كان من واجبنا العمل بنتيجة انذارنا والشروع في العمليات الحربية في الوقت المحدد وهو على كل حال ما فعلناه مبالغة في الاستقامة » .

عمله بالسفير مارشال (١٢٧) . ففي يوم ٢٨ سبتمبر بعد ذيوع نبا الانذار كتبت صحيفته فرانكفورتر بلهجة منفعلة :

« ليست المرة الاولى في ان سياسة قذرة كهذه قد دفعت دولة الى مثل هذه العمليات وان الكثيرين يعتقدون ان في الامكان اعتبار ذلك قاعدة عادية ، غير ان الدول الاخرى حتى لو انها تركت نفسها تنجر نحو العنف لضرورة سياسية ، فانه كان لديها الحياء لان تنقذ المظهر على الاقل ، وذلك لوضع المسروق امام الاختيار بين قبول بعض الشروط او الخضوع للقوة . وكما يتضح لنا ان يحدث في العصر الحديث لاول مرة ان تقوم دولة بالاعتداء على دولة اخرى دون ان تقدم لها حتى طريقا للخروج . انه بحق « هجوم على عربة البريد » ما الذي تستعد ايطاليا للقيام به ، انه اعتداء ضد مواطنين امنين ويجب على اوروبا المتمدنة ان تهب جميعها للقيام باحتجاج اجماعي دون النظر الى اي راي سياسي فردي او اي مصلحة فردية » (١٢٨) .

وعادت صحيفة « فرانكفورتر زايتونق » الى نفس الموضوع بعد يومين اي في ٣٠ سبتمبر مؤكدة ان اسباب الحرب الحقيقية كانت : من جانب ايطاليا « الرغبة في الاستيلاء على طرابلس وبرقة » ومن الجانب التركي « رفض قبول هذه المزاعم » .

« لم يسبق ان حربا كهذه كانت واضحة الاسباب واساسها الوحيد منطق القوة من قبل المعتدي (...) ان جميع المانيا تستنكر خطوة الحليفة ايطاليا وهي خطورة لا يمكن — من اي وجهة نظر — ان ينظر اليها بعطف او ان يوافق عليها الشعب الالماني . ان هذا التصرف قد يبعث على الاشمئزاز حتى وان كان الامر يتعلق بمصالح حيوية (١٢٩) .

وكتبت الصحافة النمساوية تعليقات مشابهة وايضا الصحافة الروسية

---

(١٢٧) انظر — نيكولا تديفانا — البارون مارشال — المصدر المذكور ص ٤٥ .

(١٢٨) « ايطاليا وتركيا » في فرنكفورتر زايتونق » ٢٨ سبتمبر ١٩١١ .

(١٢٩) « حرب طرابلس » في « فرانكفورتر زايتونق » ٣٠ سبتمبر ١٩١١ .

والفرنسية وان كانت لهجتها اكثر اعتدالا . واعربت جريدة « تايمس » ايضا عن خيبة املها لان الحكومة الايطالية انتقلت الى الحرب ولم ترض بطلب ترضيات عن الحوادث التي وقعت حول امنها في المستقبل » (١٣٠) واتهمت صحيفة « ديلي غرافيك « Daily Graphic — والحديث مستمر عن انكلترا — اتهمت سرادوارد غراي بعدم الحركة لانه لم ينجح في الحيلولة دون اشتداد الخلاف (١٣١) .

وقد دلت ردود الفعل الرسمية على ان خيبة الامل التي كانت تعبر عنها الصحافة الاوروبية كانت الدوائر الدبلوماسية تشاركها في جزء منها . وقد شبه غليوم الثاني اعلان الحرب الايطالية « بانفجار قنبلة » (١٣٢) ولاحظ اهرنتال في حديث له مع السفير افارنا ان لهجة صحف فيانا تتفق والانطباع المؤلم « لحكومة فيانا وانه قد يكون من الصعب جدا ان يقف ضد شعور الرأي العام » (١٣٣) .

ولاحظ غراي للسفير امبريالي الذي ذهب اليه ليشكو موقف الصحافة الانكليزية المعادي انه لو ان ايطاليا « اكتفت بمظاهرة بحرية ضخمة للحصول على ترضية » لنالت « موافقة وتشجيع غير ان نبا انذاركم — واصل غراي كلامه — قد انفجر مثل الصاعقة في وسط راي عام هزت اعصابه مرحلة مشكلة مراكش المقلقة وقد هلع فعلا من توقع حرب غير منتظرة مع مالا يستبعد من مضاعفات خطيرة اوروبية » (١٣٤) وفيما يتعلق بالصحافة الانكليزية فان

---

(١٣٠) « التايمس » ٢٨ سبتمبر ١٩١١ .

(١٣١) « ديلي غرافيك » ٢٩ سبتمبر ١٩١١ .

(١٣٢) G.P. XXX, رقم ١٠٨٤٤ ص ٦٥ رسالة فون جنيش الى كيدرلن في ٢٨ سبتمبر ١٩١١ .

(١٣٣) A.C.S., C.G., b. 14, f. 17/1 برقية افارنا الى دي سان جوليانو في ٢ اكتوبر ١٩١١ .

(١٣٤) المصدر المذكور ، برقية امبريالي الى دي سان جوليانو في ٣ اكتوبر ١٩١١ . فقبل يومين ابرق امبريالي بما يلي : بصورة غير مباشرة واعتقد انها اكيدة قد يبدو لي ان وزارة الخارجية لم توافق على المبادرة التي قمنا بها باعلان الحرب خشية امتداد ميدان القتال اضطراريا بحيث يجعل من الصعب حصر القتال وما يؤخر حلا سلميا » (المصدر المذكور) .

مراسل « التايمس » من فيانا فيكهام ستيد W. Steed الذي تولى فيما بعد ادارة « ريفيو اوف ريفيوز » Review of Reviews (وكان صديقا لايطاليا وكان على صلة وثيقة بدون ستورسو Don Sturzo وقت منفاه في لندن) قد حاول في رسالة الى اندريا توري في ٦ اكتوبر ١٩١١ من فيانا ان يجد تفسيرا لهذا الموقف المعادي الذي اتخذته الصحافة الانكليزية تجاه ايطاليا . فبالنسبة لستيد المذكور ان الانكليز قد « فوجئوا واستاؤوا من العمل الايطالي الذي لم يكن متوقعا » (١٣٥) ويرى ستيد ان اسباب عداء جزء من الصحافة الإنكليزية يكمن في نواح اخرى وبصورة خاصة في « النفوذ اليهودي — الالماني » الذي اوجد هذا التشيع الغريب لتركيا » . وقد اخذ في دراسة الصحافة الانكليزية بالتفصيل ووصل الى هذه النتائج :

صحيفة « ديلي غرافيك » مديرها اسرائيل ديفيس وهو يهودي متشيع لتركيا ومساعده الرئيسي لوسيان وولف وهو ايضا يهودي صهيوني وعميل للسفارة الالمانية .

صحيفة « وستمنستر غازيت » ملكيتها لليهودي الالماني السابق الفرد موند عضو بمجلس النواب البريطاني . ميول الصحيفة تركية والمانية .

صحيفة دايلي نيوز : ملك راديكالي انكليزي ميال للالمان . مدير السياسة الخارجية شخص يدعى رودستين وهو يهودي من اصل الماني .

صحيفة « دايلي اكسبريس » : مديرها بلومانفلد وهو يهودي من اصل الماني .

---

(١٣٥) يواصل ستيد كلامه قائلا ان البعض من ذوي النزعة العاطفية الاخلاقية المتطورة جدا صاحوا ضد « عمل القرصنة » الذي ارتكبته ايطاليا . انهم مع الحق الذي يؤمنون به لانهم لنفسهم تقريبا اللذين واجهوا بوحشية الحكومة البريطانية خلال حرب افريقيا الجنوبية . (كان مالاتودي — على سبيل المثال يراسل « تريبونا » من لندن وكان من رايهم » رسالة ستيد توجد في A.C.S., C.T., b. 1, f. IV

وكانت هناك اثار لنفس النفوذ في صحيفة « ستاندرد » وحتى في « التايمس » . غير انه بالنسبة للتايمس حتى الان النفوذ اقل .

لم ار ابدا اغرب من ظاهرة هذا التضامن بين اليهود الالمان وهو ليس مقتصرا على اوروبا بل في العالم اجمع من حيث تاييدهم للجنة « الاتحاد والترقي » بسلانيك » .

ان ملاحظات ستيد تفيدنا في تفسير قسم من ظاهرة عداء الصحافة الاوروبية لايطاليا،بيد ان الظاهرة كانت متسعة جدا بحيث لا يمكن تفسيرها بنفوذ الراسمال اليهودي الالماني في الصحافة الانكليزية والاوروبية فقط فقد كانت اسباب سياسية بصورة خاصة تلك التي قررت رد الفعل هذا وخاصة الخوف من رؤية اوروبا تضطر الى التدخل من اجل خلاف كان في الامكان حله بسهولة ومن طريق المفاوضات السلمية . وقد لعبت المفاجاة دورها في خلق هذه الحالة النفسية : الا احدا وربما قليلون في اوروبا كانوا يعتقدون ان ايطاليا قد تحقق تلك التدابير التي تهدد بها منذ شهور (١٣٦) .

وكان توماسو تيتوني من بين الديبلوماسيين الايطاليين الذي انزعج وقلق اكثر من غيره تجاه هذه الحملة ضد ايطاليا . ولدى اداركه كيف ان الصحافة والراي العام الفرنسي والاوروبي وقفوا ضد ايطاليا كلية لاحظ وجود « اخطر

---

(١٣٦) كتب جواكينو فولبي : « لم يكن هناك احد في الواقع يعتقد اننا سننتقل الى الحرب ، وخاصة بهذه الصورة المفاجاة وبارادتنا دون انتظار تلك « الظروف » اي مبادرة الغير التي تدل بوضوح تام على عدم امكانية الاحتفاظ بحالة « الوضع القائم » فكانت هناك اذن مفاجاة وخيبة امل وغضب يزيد او ينقص حسب مختلف الحكومات والقادة : وفضلا من ذلك فان الكثير حكموا على هذا السلوك بانه غير ضروري وكان في الامكان تجنبه ومن السهل تجنبه من اجل خير اوروبا ودون الحاق ضرر بايطاليا التي قد تستطيع مع هذا من طريق ضمانات اقتصادية انتزاع طرابلس من الامبراطورية التركية وتحتفظ بذلك الفائدة وتترك لتركيا الالقاب القانونية (جواكينو فولبي المصدر المذكور ص ٨٦) .

واضح في اطالة حالة الحرب » وكان مقتنعا بفائدة قبول « اقتراحات تركية محتملة لا تعرض الحيازة الايطالية للخطر » (١٣٧) .

وكان من غير المحتمل — على الاقل في الوقت الحاضر — ان تتنازل تركيا وتتخلى عن طرابلس حتى مقابل تعويضات لان اوروبا كانت تؤيدها معنويا ومن جهة اخرى فان انفعال الجزء الاكبر من الراي العام في ايطاليا قد وصل درجة لا يمكن معها تقريبا الدخول في مفاوضات غداة اعلان الحرب بدلا من القيام بالاحتلال المسلح . وقد حدث انه في الايام الاولى هذه من الحرب وفي الاشهر اللاحقة مباشرة كان الراي العام والصحافة تقيد ايدي الحكومة بما لا يسمح باجراء مفاوضات جدية ومثمرة . ومما لا شك فيه انه اذا كانت الحكومة قد لبت توقعات قسم من البلاد بالدخول في الحرب من اجل طرابلس ولكنها الان كانت تجد نفسها متورطة وعليها ان تستمر مهما كان الثمن اذا كانت لا تريد ان يسحقها الانفعال الذي خلقته الحملة القومية . وان جوليتي نفسه اشتد

---

(١٣٧) A.C.S., C.G., b. 14, f. 17/1 برقية تيتوني الى دي سان جوليانو بتاريخ ٢ اكتوبر ١٩١١ . وقد افصح بيتروكروتشي مراسل « كوريري ديلاسيرا » بباريس من حالة تيتوني النفسية حيث كتب الى البرتيني في ٣٠ سبتمبر — اول إكتوبر ١٩١١ ما يلي : لقد اضطرب تيتوني وقلق من جراء نغمة التوبيخ الاوروبية التي تذكرني بتلك المعادية لانكلترا وقت حرب الترانزفال . ويفقد انزعاجه لانه توقع ذلك وحذر الحكومة منه . ان الحكومة قد ارتكبت اخطاء جمة كان يجب باي ثمن — ما دامت الحرب ضرورية — ان تبرر بحادث جديد كان يجب خلقه (...) في ايطاليا — ان تيتوني نفسه يقول ذلك — اننا نعيش الان في وسط محموم لا يسمح بالحكم على الوضع بوضوح : وهنا يفهم كيف ان جهل الحكومة قد بدد فرصة جميلة وجعل قضية كنا قد نفتخر بها قضية ثقيلة الظل . ولو كان على راس الحكومة صحفي ذو موهبة مثل فراساتي لما كان ارتكب حماقات اسوا من هذه (...) نرجو ان ينتهي كل شيء سريعا وانه بالنامة سد لمواجهة فيضان البلاغة الذي لا بد منه وقد يوجد ايضا في ايطاليا البعض الذي يفكر ان الذي يظفر بدون خطر ينتصر بدون مجد (« لويجي البرتيني » « رسائل » المصدر المذكور مجلد اول ص ١٦ — ١٥) وقد تبدل موقف الصحافة الفرنسية فيما بعد في القسم الثاني من الحرب وذلك بفضل مساعي تيتوني من طريق السفير الروسي اسفولسكي Iswolsky الذي وضع تحت تصرفه ثمانون مليون ليرة . هكذا يذكر تيتوني (فرنشسكو ماتريونيتي المصدر المذكور المجلد الرابع ص ٢٧١) .

به القلق في تلك الايام من جراء الحالة التي وجدت ايطاليا فيها نفسها باعلان الحرب . وقد رد على الفريد وفراساتي الذي طلب منه معلومات عن الحالة الدولية : « انني في مستودع بارود وبين اصابعي عود ثقاب مشتعل . يجب ان احل المشكلة بحيث لا احرق اصابعي ولا افجر مستودع البارود » (١٣٨) .

وقد حاول جوليتي في خطابه الذي القاه بالمسرح الملكي بتورينو يوم ٧ اكتوبر ١٩١١ (خطاب « القدر التاريخي ») حاول ان يحصر الموضوع في جدوده المعقولة وفي حجمه والعودة به الى القنوات الديبلوماسية الطبيعية . لقد حاول في الجوهر ان يفهم البلاد ان مشكلة طرابلس يجب ان تترك لتقدير الحكومة التي كانت وحدها بيدها جميع العناصر من اجل اتخاذ قرار . واكد ان السياسة الخارجية غالبا ما تخضع « لاحداث خارجية عن ارادتنا » واضاف انه يعتبر « السلام والاتفاق التام مع جميع الدول كفائدة كبرى لايطاليا التي لديها الكثير من المشاكل الداخلية التي تتطلب الحل » مع عدم التضحية بـ : «المصالح الحيوية للبلاد» و «الكرامة الوطنية» . «ان الشعوب القوية — اضاف جوليتي — لا يجب ان تسمح لمشاغل السياسة الخارجية ان توقف او تعكر سيرها نحو درجة اكثر سموا في المدنية ودراسة المشاكل السياسية الداخلية بهدوء » (١٣٩) . لقد كان خطابا بارعا ومعتدلا ، خطابا يدخل بوضوح ضمن المخططات السياسية الجوليتية ويؤكد الروح التي وافق بها جوليتي على الحرب الليبية . كان الخطاب يرمي ربما الى اعداد او جس النبض على الاقل حيال اتجاهات الراي العام تجاه احتمال ايجاد حل للحرب بطريق التفاهم . غير ان خطاب جوليتي لم يرق الا لقلة .

فلم يعجب مثلا سيدني سونينو الذي وصف الخطاب في رسالة الى اندريا توري بتاريخ ٨ اكتوبر بانه « شيء مسكين » وكان سونينو يلوح

---

(١٣٨) الفريدو فراساتي للمصدر المذكور ص ٤ .

(١٣٩) جوفاني جوليتي — خطابات خارج البرلمان ، المذكور ص ٦٢ — ٢٦٠ .

بصورة خاصة الى « الخطر بان الحكومة كي تنهي في اسرع وقت مشكلة طرابلس قد تقبل بعض الاقتراحات من الدول الرامية الى ترك السيادة السامية على طرابلس لتركيا تحت اي شكل كان » ومن اجل دفع هذا الخطر دعا توري الى بعث الحياة في حملة جديدة للصحافة ووضع الحكومة امام تصميم تلك القوى التي تصورت الحرب الايطالية ــ التركية كثورة لقواها الوطنية وكفترة حاسمة ارتبطت بها مصائر الحياة السياسية الايطالية نفسها وكتحطيم نهائي لمخططات جوليتي القديمة وكعملية من اجل وقاية النفوذ الاشتراكي التوراتي (نسبة لتوراتي) من القرارات الحكومية . ان محاولات ادخال العملية الليبية ــ كما كان يريد جوليتي ــ في اطار ادارة السياسية الخارجية الايطالية العادية والدعوة الى الواقع الملموس والى المشاكل الداخلية ، قد شوهدت امام اعينهم الطابع الخاص الذي ارادوا ان يعطوه لها وطالبوا به بالنسبة للعملية الليبية . ان دعوة سونينو الى توري تصطبغ بلهجة قلقة ومنفعلة : « يجب بسرعة تدارك كل هذا ، لانه يظهر لي انهم في وزارة الخارجية يترددون كثيرا حول هذه النقطة (...) يجب اذن ان تبدو ارادتنا غير قابلة للالغاء .

الا يعتقد انه من الخير فتح حملة صحافة حول هذه المشكلة ؟ لا يوجد وقت للضياع وصحيفة « كوريري ديلاسيرا » قد تؤثر كثيرا .

وان دي سان جوليانو نفسه قد يخسر جميع السمعة التي اكتسبها : اني على حق في القول بانه متردد . فيجب التاثير على الراي العام للتاثير على الحكومة قبل المفاوضات التي ستقع قريبا » (١٤٠) .

والخلاصة هي انه كان يجب باي ثمن الحيلولة دون حدوث تسويات مع تركيا وخاصة بعدم احتفاظها باي نوع من السيادة حتى ولو كانت اسمية او دينية على ليبيا . هذه كانت لهجة المقال الذي كتبه اندريا توري بايحاء من

(١٤٠) A.C.S., C.T., b. 1, f. IV

سونينو ونشره على صفحات « كوريري ديلا سيــرا » بتاريخ ٩ اكتوبر ١٩١١ . (١٤١) .

ان الدخول في اتفاقيات وتسيير مفاوضات من اجــل عدم اطالة حرب لاتعرف متى تكون نهايتها ولا اية مفاجات قد يمكن ان يخبئها لاوروبا باجمعها قد غدت في وصف القوميين الحاد عبارة عن شيء من « الخيانة » و «العار» لان ذلك معناه « عقد الصلح قبل قيام الحرب بذريعة توفير بضعـــة ملايين وبعض الارواح الثمينة ولكنها تضحية ضرورية على مذبح الوطن » (١٤٢) .

وقد باشرت الديبلوماسية الاوروبية حالا عملها لحل صراع كان يضايق الجميع وذلك في اقرب وقت ممكن . فبعد ما يزيد على اسبوع بقليل من اعلان الحرب لم يكن الصراع المسلح قد بدا فعلا ، وكانت الحكومة الايطالية تواجه حالة على قدر من التعقيد والاحراج والارتباك ـــ وكان جوليتي ودي سان جوليانو يريان تناقص امكانياتهم في المناورة بصـــورة متزايدة بينما كان الوضع العسكري الآخذ في التحقق في ليبيا يعطي الحرب امكانيات نجاح ضئيلة ويبعد الحل السريع كما كان التخيل في شهر سبتمبر .

وفي الجو الذي اتخذت فيه القرارات لاعلان الحرب على تركيا ووسط المشاكل الخطيرة الديبلوماسية والعسكرية والسياسية التي تنتج عن الحرب

---

(١٤١) اندرياتــوري ـــ الحــل المفروض على ايطاليــا ـــ في « كوريــرى ديلاسيرا » بتاريخ ٩ اكتوبر ١٩١١ . « ان حكــومتنا ـــ لاحظ تــوري في هذا المقــال ـــ لا يمكنها ان تتردد (...) لانها لا تستطيع بعــدم حلها حــلا كامــلا للمشكلة ، ان تعرض البلاد في المستقبــل الى تضحيــات جديــدة للحصول في طــرابلس على ما تستطيع ويجب ان نطــالب به في الوقت الحالــي » . وقــد وصفــت صحيفــة « الكوريري ديــلا سيرا » خطــاب جوليتي بتوريغــو بانه خطــا كانوســا * وهــو عنــوان المقــال الافتتاحــي الذى صدر يــوم ٨ اكتوبــر ١٩١١ وقالت « لديانازيونالــي » بتاريــخ ١٢ اكتوبــر انه « اعظــم وثيقــة ســوء نيــة سجلها تــاريخ ايطاليا الجــديدة » (انظــر ص ٢٥٨ هــامش ١٤٧) .

* تعبير ايطالي يدل على الاذلال نسبة لحادث تاريخي وقع في قصر كانوســا بتوسكانا (المعــرب) .

(١٤٢) ضـد الاجــانب بايطاليا ـــ منشورة في « ايديانازيونالي » ٥ اكتوبر ١٩١١ .

كانت تبدو شخصية فيكتور عمانويل الثالث بعيدة في الغالب ومنفصلة . وقد ذكرنا كيف ان تدخلاته كانت موجزة دائما وباردة . لقد كان يقتصر في اغلب الاحيان على المشاركة في قرارات الحكومة دون ا ن يعبر عن راي او ايحاء او نصيحة . وقد ظل الملك حتى اوائل اكتوبر بعيدا عن روما في راكونيجي ليتنقل بعد ذلك الى ضيعته في سان روسوري بتوسكانا — وكان تغيب الملك عن العاصمة بالاضافة الى خلق صعوبات في وجه القرارات السياسية والعسكرية التي كان يجب اتخاذها ، قد لوحظ ذلك وانتقد خاصة من العسكريين لدرجة ان رئيس اركان الحرب بولليو لم ير بدا من الكتابة في ٢٣ اكتوبر الى ياور الملك الجنرال بروساتي اذ بعث اليه برسالة قصيرة صيغت بهذا الشكل :

« ستقول ان الامر لا يهمني واني اتعدى اختصاصاتي وربما اشياء اخرى صحيحة ولكن لا يمكن السكوت على الامر » .

رموز باللون الاحمر — نحن في حالة حرب وقد يكون من الضروري ان يكون الملك هنا وخاصة وان هناك قرارات خطيرة يجب اتخاذها » (١٤٣) . وقد استعمل جوليتي كل نفوذه لاقناع الملك بان يحضر سفر الجنود من نابولي يوم ١٠ اكتوبر . وقد صرح الملك فعلا انه « ميال شخصيا للتحفظ » ولكنه كان يخشى ان يقال انه كان « غير مبال بالمرة بالحملة وانه كان يتمتع بالريف بينما كان جنوده ذاهبين لملاقاة الاخطار المحتملة » (١٤٤) .

وقد تمكن فيكتور عمانويل الثالث ايضا من خلق بعض المضايقة لجوليتي بسبب مسالة الدوقة دواستا التي اصرت ان « تذهب مع سيدات الصليب

(١٤٣) A.C.S., A.B., sc. 9, f. VI. 6. 35, nº 60

(١٤٤) من اوراق جوليتي — المذكور مجلد ٣ ص ٦٢ • رسالة اوتوبروساتي الى جوليتي في ٢٩ سبتمبر ١٩١١ • وقد رد جوليتي في اول اكتوبر ذاكرا في رسالته : فيما يتعلق بمسالة حضور الملك سفر القوات الى افريقيا فقد رغبت ان اناقش راي زميلي للحربية وللشؤون الخارجية والاثنان كانا من رايي في ان يكون من المفيد ان يحضر جلالة الملك سفر القوات من نابولي الذي يعتقد وزير الحربية انه سيكون يوم ١٠ اكتوبر •

الاحمر الى مسرح القتال » وقد طلب الملك بتاريخ ٥ اكتوبر ١٩١١ من جوليتي ان « يجد الوسيلة لمنع » سفر الدوقة والسيدات (١٤٥) . وبالرغم من تدخل الملك وجليتي ودوق اواستا ، فان الدوقة تمادت في اصرارها لدرجة خلق احراج جدي لرئيس المجلس (١٤٦) الذي اضطر في النهاية الى التوسط في امر كان في الامكان حله عائليا (١٤٧) .

وتبدو شخصية فيكتور عمانويل الثالث وكانها في الظل مختفية تقريبا ان لم تكن غريبة عن احداث حرب طرابلس . ويلاحظ فيه تحفظه المبالغ فيه

---

(١٤٥) من اوراق جوليتي ــ المذكور المجلد الثالث ص ٦٥ برقية الملك الى جوليتي في ٥اكتوبر ١٩١١ .

(١٤٦) اجاب جوليتي قائلا ان اقامة دوقة دواستا في طرابلس في الوقت الذي كان فيه كانيفا والضباط الاخرون « مشغولين في معارك صعبة » قد تكون سببا « في شغل للجنرال بصورة خطيرة » وقد « تعرف في البلاد وينظر الى وجودها بانه غير مناسب جدا » .

(١٤٧) ابرق الملك من جديد الى جوليتي في ١٣ اكتوبر من سان روسوري : (...) كنت اظن ان دوقة دواستا قد تخلت من مشروعها غير المناسب بعدم ارسال سيدات الصليب الاحمر . وقد ابرقت في الحال الى الدوق ليحول دون سفر الدوقة » (المصدر المذكور) . برقية جديدة في ٢٥ اكتوبر : وصل الان دوق دواستا وقال لي ان الدوقة تنوى السفر الى طرابلس مع سيدات الصليب الاحمر وسيغادرن نابولي يوم السبت . ويبدو ان دوقة داوستا لا تريد ان تستمع الى ما وضحه الدوق وانا (المذكور) وفي النهاية أمكن التوصل الى اتفاق تتمكن سيدات الصليب الاحمر من النزول الى الارض ولكن يقدمن خدماتهن على سفينة الصليب الاحمر التي يبقين على ظهرها . (انظر برقية جوليتي الى الملك في ٢٥ اكتوبر ١٩١١ المذكور) . لقد اعتذر الملك في النهاية الى جوليتي لشغله بموضوع الدوقة دواستا وسط مشاغله الجديدة الكثيرة » (المصدر المذكور) غير ان دوقة دولستا عادت من جديد لتكون موضوع الحديث . فبعد سفرها الى مدينة المستشفى « منفي » Menfi اخذت في التشاجر مع المديرة الماركيزة تويتشولي Guicoioli الى درجة ان وزير البحرية ليوناردى كاتوليكا ابلغ بروساتي ببرقة يوم ٧ فبراير ١٩١٢ مؤكدا فيها ان حالة الدوقة رغم (تفانيها المدهش) لا تحتمل بعد بسبب « اساليبها الاستبدادية والتعسفية والظالمة دون مراعاة للمديرة الماركيزة بوتشيولي وجميع السيدات . وينصح وزير البحرية بروساتي ان توجد الوسيلة لاقناع الدوقة دواستا بان لا تبحر من جديد على ظهر « منفي » ، حيث انه من الضروري « راحتها المعنوية » .

وربما خوفه من تحمل المسؤولية ورغبته الغير خافية في عدم الظهور كثيرا بين الجماهير وقد يعود ذلك الى اغتيال والده الملك فـــي مونزا قبل احدى عشر سنة . ويكفي الاشارة الى الاهتمام الذي يتابع به الملك كل حركة من حـــركات الاشتراكيين وخوفه مـــن الاضرابات والاضطـــرابات وتحركات الشـارع (١٤٨) وذلك لكي نفهـم نفسيته وبحثـــه عن حياة هادئة ما بين راكونيجي وسـان روسـوري (١٤٩) .

---

(١٤٨) البرقية التي رد بها الملك على جوليتي الذي كان احاطه علما من النتائج الضئيلة التي قد تنتج من اضراب الاشتراكيين ضد الحرب معبرا عن سروره المستتر : « انـــي سـعيد بالانباء التي بعثتم بها الى حـــول الاضراب وانـــه حتى للصحف قد أشـــادت باجهاضـه » (من اوراق جوليتي المذكور مجلد ٣ ص ٦٢) .

(١٤٩) وقد لاحظت الديبلوماسـية الاجنبية موقف الملك هذا الـــى درجـــة ان القائـــم بالاعمال الفرنســي باسطمبول بوب Boppe اخبر دي سلفس يـــوم ٢١ سـبتمبـــر ١٩١١ ان اخبارا وصلته تفيد ان فيكتور عمانويل الثالث معارضـا للحرب (D.D.F., 11, 14. p. 488). ولاروش نفســه القائـــم بالاعمال الفرنســي بروما لاحظ تـــردد الملـــك بسبب شعـــوره « بالمحافظة على الاسرة » والخوف من الاشتراكيين والاضراب العام . وافاد لاروش على كل حال ان موضـوع طرابلس قد « دخل في دوره الحاسـم » بعد زيارة جوليتي للملك في ١٧ سـبتمبر (D.D.F., 11, 14, nº 348, p. 490) والبرقية مؤرخة في ٢٣ سـبتمبر ١٩١١ .

المشاكل العسكرية والمقاومة العربية

مناورات اغسطس ١٩١١ الكبرى ــ التاخر في الاعدادات العسكرية ــ عيوب تجهيز قوات الحملة ــ انتقادات وتوقعات اوقو بروساتي ــ تاكتيك الجنرال كانيفا التسويفي ــ اختلافات ما بين السلطات العسكرية والسياسية ــ كارلو فاللي نائب القنصل بطرابلس وعدم اعداد العنصر العربي ــ المقاومة العربية التركية و « الجهاد » ــ اخطاء وعدم تفهم الايطاليين للعرب ــ رد الفعل الايطالي لحادث شارع الشط ــ الاحتجاجات في اوروبا ــ القوميون يدعون الى استعمال وسائل القمع .

□ ◆ □

لقد ذكرنا كيف انه بعد ارسال الانذار الى تركيا واعلان الحرب اللاحق به ولمدة ايام اخرى لم تكن الحملة مستعدة لمواجهة القتال . فان قرار دخول الحرب المرتجل قد فاجا في النهاية الجيش الغير مستعد الى درجة ان الجهاز المعقد المرتبط بحملة عسكرية فيما وراء البحار ، قد اعد واتم في بحر ايام قليلة . وهناك امران هامان يفيدان في فهم عدم الاستعداد وهذه المفاجاة

---

* نقتصر في هذا الفصل على الاشارة الى المظاهر العسكرية الاساسية للحرب الايطالية ــ التركية لما فيما يتعلق بخطط الاحداث ذات الصبغة العسكرية التي ميزت الصراع فنحيل القراء الى السرد التاريخي للحرب المنشور في الملحق (ص ١٦ ــ ٤٠٦) .

بصورة احسن : المناورات العسكرية التي جرت ما بين اخر اغسطس واوائل سبتمبر وتسريح المجندين من مواليد عام ١٨٨٩ .

فحتى اول سبتمبر دارت المناورات الحربية الكبرى وجرت المناورات البحرية فيما بين ٥ و ١٥ سبتمبر . ومن المعلوم ان المناورات لا تساعد على اعداد عمل جدي قريب بل هي تمثل عنصر ازعاج جدي . ومع هذا لم يكن هناك ما يمنع تاجيل قيام هذه المناورات وخاصة انه كانت هناك اسباب صحيحة وكافية تبرر هذا التاجيل . ان وباء الكوليرا الذي تفشى في بيمونتي (ولاية الاسكندرية) وفي ليقوريا (بولاية جنوا) اي في نفس المناطق التي كان يجب ان تجري فيها المناورات البرية وقد اثار انتشار هذا الوباء مشكلة القيام بالمناورات ام الغائها . وفي يوم ١٨ اغسطس على اثر زيادة حدة الوباء في بعض المراكز (لقد اصيب الفيالق الثاني والرابع والسادس والسابع والثامن والعاشر والثاني عشر) . وارسل النائب بريسوليزي برقية الى جوليتي داعيا فيها الحكومة الى التخلي عن القيام بالمناورات . وكان جوليتي بباردونكيا فاعلم وزير الحربية سبنقاردي « عن قلقه الكبير » غير ان سبنقاردي حاول ان يقلل من اهمية الحادث ونتيجة لبرقية جديدة من جوليتي في نفس اليوم ، ابرق بها الى بيانو Peano (١) اجاب وزير الحربية بصورة قاطعة : « المناورات ستجري كما اعدها رئيس اركان الحرب مع كل مراعاة ممكنة طبعا » (٢) وفي اليوم التالي ١٩ اغسطس تدخل في الموضوع النائب توارتي طالبا ايقاف المناورات ومهددا بتقديم استجواب الى

---

(١) « كتب جوليتي يقول في هذه الرسالة — اذكر انني قد لاحظت الى وزير الحربية ان اختيار المكان والفصل للمناورات الكبرى غير موفق . ولكنني الان تنقصني امكانية ابداء الراي بسبب عدم معرفة سير المناورات ولا اي جنود ستشترك فيها ولانني ليست لي المقدرة على الحكم الى اي درجة — ارتفاع درجة الحرارة بصورة استثنائية وسير الجنود المتعب وعيوب المياه — تسهل انتشار الكوليرا بين الجنود » (صورة من الرسالة توجد في A.C.S., A.B., sc. 10, f. VI. 4. 36 nº 269 كان صيف ١٩١١ حارا جدا سجلت ٢٨ درجة في ميلانو ٣٨٫٥ في تريفيو وما فوق الاربعين في مقاطعة بوليا .

(٢) المصدر المذكور رقم ٢٩١ صورة من البرقية التي بعثها سبنقاردي الى جوليتي في ١٨ اغسطس ١٩١١ الساعة ١٩٫٤٥ .

البرلمان اذا جرت المناورات . وابلغ سبنقاردي جوليتي ملاحظـا ان رئيس اركان الحرب كان معارضا لايقاف المناورات وان مدير عام الصحة العسكرية نفسه يشاركه هذا الراي . « وعليه ــ يواصل سبنقاردي كلامه ــ لا توجد اسباب كافية من الناحية العسكرية لايقاف المناورات . المسألة قد تتخذ شكلا سياسيا سواء من جهة امكانية اتساع الوباء الغير مستبعدة او لان حدوث اصابات قليلة قد تتسبب في ايجاد رقابة » (٣) . ولم يرد جوليتي ان يتدخل في قرارات العسكريين واقتصر على القول بانه اذا وقعت اصابات « كوليرا بين الجنود فستقع على عاتق رئيس اركان الحرب مسؤولية خطيرة جدا وسيكون حكم الراي العام قاسيا جدا » (٤) . ولا ندري فيما اذا كان جوليتي يخشى على صحة الجيش توقعا لامكانية قيام عمليات عسكرية في ليبيا او تغلبت عليه كما يبدو اعتبارات ذات صبغة سياسية . والواقع هو ان جوليتي خلال كل هذا الحادث ــ لم ينبس ببنت شفة حول امكانية استعمال الجيش في وقت قريب . ان رئيس اركان الحرب الجنرال بولليو « قد تاثر جدا » من برقية جوليتي كما يتضح من رسالة سبنقاردي الى بروساتي في نفس اليوم ١٩ اغسطس وكان مصمما على ايقاف المناورات ، غير انه في اجتماع عقد في مكتب سبنقاردي بحضور تيديسكي وسانتو ليكويد والجنرال فيريرو وبيانو وميرابيللي تغلب في النهاية راي « ترك الحشد الجاري يتم » (٥) .

فهذا الحادث يظهر نواح ذات مغزى كبير لادراك بعض مظاهر الاعداد العسكري للحرب الليبية . غير ان الامر الاكثر مغزى هو تسريح الجنود من مواليد سنة ١٨٨٩ في يوم ٣ سبتمبر . ويكفي القول ان نفس مواليد هذه

---

(٣) المصدر المذكور ــ صورة من البرقية التي بعثها سبنقاردي الى جوليتي في ١٩ اغسطس ١٩١١ الساعة ١٢ .

(٤) المصدر المذكور ــ صورة من البرقية المرسلة من سبنقاردي الى جوليتي يوم ١٩ اغسطس ١٩١١عند الساعة ١٤ . وقد اشر الجنرال بروساتي ياور الملك بالقلم على حاشية جملة جوليتي هذه : « لنزيل منذ الان مسئوليات وزارية » .

(٥) المصدر المذكور ــ « لقد مررت بساعات لا استطيع ان اصفها لك » . انهى سبنقاردي كلامه .

السنة المسرحين قد استدعوا للسلاح بعد شهرين اي يوم ٣ نوفمبر اللاحق وقد اشار سبنقاردي نفسه الى عدم ملاءمة طريقة العمل هذه . وعندما ابلغ وزير الحربية يوم ٢٠ سبتمبر ياور الملك حول الاوامر التي تلقاها من جوليتي والتي تدعوه الى العمل « بسرعة » صاح ياور الملك : « وما القول في انه قبل خمسة عشر او عشرين عاما كان لدينا جنود معدون للتسريح (مواليد ١٨٨٩) وآخرون اعيد استدعاؤهم للسلاح : ثمانون الف رجل مستعدون للسفر في ٤٨ ساعة !! نحن مبذرون ومتهورون »

فاذا كانت الحوادث المذكورة تميل من جديد الى التدليل على ان رئيس مجلس الوزراء كان في شهر اغسطس واوائل سبتمبر لا يزال بعيدا عن فكرة الحرب رغم مناقشته للموضوع مع وزير الخارجية ، فانها تؤكد ايضا الافتراض القائل بان الاجهزة العسكرية لم تكن تعرف شيئا عن احتمال قيام حرب ولو كانت بعيدة الوقوع . فلو كان الامر غير ذلك فمن المفترض على الاقل ان يكون تعرف هذه الاجهزة بشكل مختلف سواء بمناسبة المناورات او سواء بمناسبة تسريح مواليد سنة ١٨٨٩ . والواقع هو ان مشكلة طرابلس كانت مشكلة خاصة بجوليتي ودي سان جوليانو فقط وهي موضوع سياسي واقتصادي ودبلوماسي لا يمثل فيه العنصر العسكري سوى عامل ثانوي ضئيل الوزن وذلك وفقا للاقتناع المنتشر بانه لم تكن هناك حرب حقيقية وان الاتراك قد يستسلمون بسهولة وان العرب قد ينضمون بسرعة الى الجانب القوي كما قرر دي سان جوليانو . (٧)

ويجب الاضافة ايضا ان السرية التامة التي احيطت بها العملية كلها كانت ايضا عائقا في وجه تجهيز الحملة . وهي سرية لا يمكن المحافظة عليها تقريبا وبصورة خاصة بالنسبة للبحرية التي كان عليها ان تقوم

---

(٧) في ٢ نوفمبر ١٩١١ هكذا كتب جوليتي الى فرديناندو مارتيني : « كان الاتفاق بيني وبين سان جوليانو تاما دائما وقد درسنا دوما معا (نحن الاثنين فقط) بصورة موضوعية كاملة مختلف اجزاء المشكلة بحالها وبما عليها » (الرسالة موجودة في (A.C.S., C.M., b. 13, f. 6.

« باتفاقيات لتأجير بواخر وارسالها الى الاحواض بنابولي للاعداد اللازم » (٨) وفي يوم ٢٢ سبتمبر اي قبل اربعة ايام من ارسال الانذار أخبر سبنقاردي بروساتي بانه ابرق الى جوليتي « لاطلاعه كيف ان الحالة العسكرية تزداد خطورة باستمرار ويجب الخروج بسرعة من حالة الاعداد الخفي هذه التي في الوقت الذي تقيد ايدينا فانها لا تصل الى غايتها بسبب ابتكارات الصحافة الخبيثة وتزيد من الصعوبات لضررنا » — وقد طلب سبنقاردي فيما بعد من جوليتي والملك ان « ياذنوا له بالقيام بدون تردد بالقسم التنفيذي لتعبئة الحملة وبنشر اعلان استدعاء مواليد عام ١٨٨٨ الى السلاح في اقرب وقت » (٩) وبعد ثلاثة ايام اي في يوم ٢٥ سبتمبر نشر المرسوم وحدد يوم ٢٨ سبتمبر اول يوم للتعبئة .

وفي الخلاصة فان التاخر الذي حدث على الشروع في الاعداد ثم السرعة الناتجة عن ذلك والرغبة في المحافظة على السرية التامة حتى النهاية كانت العوامل الثلاثة الهامة التي اثرت على تجهيز الحملة وبالتالي على العمليات العسكرية اللاحقة . ويعزى في وزارة الخارجية الى جوليتي في ان تردده يتحمل اعظم مسؤوليات التاخر في اعداد الحملة الذي ارتبطت به اغلب صعوبات الحرب اللاحقة . (١٠)

وتالفت الحملة من قيادة جيش وفرقتين من المشاة وكوكبتين من الفرسان وآلاي مدفعية ميدان وسرية مدفعية ميدان وسرية مدفعية حصون وسرية

---

(٨) A.C.S., C.G., b. 12, f. 10 رسالة سبنقاردي الى جوليتي في ١٩ سبتمبر ١٩١١ . برقيتان لاحقتان من جوليتي الى سبنقاردي والى ليوناردي كاتوليكا بتاريخ ٢١ سبتمبر كانتا قاطعتين فكتب الى سبنقاردي : « ارجو ان تتخذ احتياطات صارمة حتى في ديوانك لان خبرة طويلة علمتني ان السر في وزارة الحربية لا يحفظ » والى ليوناردو كاتوليكا كتب : لا تزال تصلني اخبار عن تسرب الاسرار من وزارة البحرية واخشى بصورة خاصة من ديوانك (...) انكر الى كل من عليه الاحتفاظ بالسر بان المخالفة لا تعد طيشا آثما وانما هي خيانة تعاقب بموجب قانون العقوبات » (المذكور) .

(١٠) هكذا كتب انرديا توري الى البرتيني في ١٢ نوفمبر ١٩١٢ (انظر لويجبي البرتيني — المصدر المذكور مجلد ص ٣١) .

من رجال الاشغال . وكجنود اضافية : الآيان من البرسايري مع اقسام للرشاشات والآي مدفعية جبلية ومجموعة من سريتين مدفعية حصون وكتيبة مؤلفة من سريتين من رجال الاشغال وسرية سلاح الاشارة (تلغراف) وكان المجموع عبارة عن خمسة وثلاثين الف رجل وستة الآف دابة و ١٠٥٠ سيارة و٤٨ مدفع ميدان و٢٤ مدفع جبلي مع اربع محاطات راديو حديثة الاستعمال . وعين قائدا اعلى للحملة الجنرال كارلو كانيفا (١١) الذي اشترك في حملة افريقيا عام ٩٧ ــ ١٨٩٦ بدرجة عقيد . وعين قائدان للفرقتين كل من الجنرال قوليلمو بيكوري جيرالدي Guglielmo Pecori Giraldi واوتافيو بريكولا Ottavio Briccola.

وقد اشارت وزارة الحربية نفسها في كتاب ضخم يتالف من اربعة مجلدات حول حملة ليبيا صدر في سنوات ٢٤ ــ ١٩٢٢ ، اشارت الى العيوب التي صاحبت تجهيز الحملة . فمن ناحية تكوين الوحدات المجندة ــ قبل كل شيء ــ فلم تساهم الدفعات المختلفة بطريقة منسقة . بحيث ان بعض الوحدات تكونت باكملها من دفعة مواليد سنة ١٨٩٠ وفي وحدات اخرى تغلبت دفعة مواليد ١٨٨٨ . (١٢)وعندما حلت الضرورة بعد اشهر من الحرب وازاء

---

(١١) ولد الجنرال كانيفا Carlo Caneva في اوديني عام ١٨٤٥ فكان عمره الان ٦٦ عاما. وقد بدا مهنته في الجيش النمساوي ــ الهنغاري بدرجة ملازم ثان مدفعية . ولنتقل الى الجيش الايطالي عام ١٨٦٧ واشترك في حملة افريقيا ١٨٩٧ ــ ١٨٩٦ بدرجة عقيد . وكان في عام ١٩١١ قائدا لفيالق انكونا وميلانو . وكتب وزير الحربية سبنتاردي الى الجنرال بروساتي في ٢٥ سبتمبر ١٩١١ يبلغه نبا تعيين كانيفا قائدا للحملة الى ليبيا فقال : « ان القائد جيد اذا ساعدته الصحة . الاخرون يبدون لي جميعا مقبولين (A.C.S., A.B., sc. 10, f. VI. 4. 36, nº 302) ويرى فولبي ان قيادة الحملة اسندت الى كانيفا « بعد انتصار حزبه ضد الحزب المقابل في المناورات الكبرى الصيفية التى جرت بوادي البو PO : ان الجنرال كانيفا لم تكن لديه اية فكرة محددة من نوع الحرب الجديدة التي قد يذهب للقتال فيها (جواكينو فولبي المصدر المذكور ص ٦٩).

(١٢) الارقام مستقاة من : وزارة الخارجية « ايطاليا في افريقيا السلسلة التاريخية العسكرية المجلد الاول : عمل الجيش . الجزء الثالث : احداث عسكرية واستعمالها . افريقيا الشمالية (١٩٤٣ ــ ١٩١١) نص ما سيمو ادولفو فيتالي » ص ١٣ ــ ١٢ . وفي الاشهر التالية وصلت قوات اخرى الى ميدان العمليات حتى بلغ مجموعها ٥٥ الف رجل .

الاستياء الذي بدا ينتشر بين الجنود وسرحت احدى الدفع وجدت بعض الوحدات نفسها عارية او اعيد تجديدها بعناصر لم تتعود على مجهود الحرب . وبالاضافة الى ذلك فلم يؤخذ في التقدير حالا تشكيل رديف احتياطي لملا الفراغ الناتج عن الامراض والقتال في الحملة . كما لم يؤخذ في التقدير تكوين فصائل وخدمات جديدة وذلك بناء على الاعتقاد الخاطىء بان الرجال الذين تحت السلاح كانوا يكفون لمواجهة الاحتياجات .

وتاخر صدور قرار استدعاء الدفعات قد تسبب فيما بعد في اخطاء وتعطيل جديد خاصة فيما يتعلق بتجهيز وحدات خاصة مثل رجال الالب والاشارة والصحة والتموين وغير ذلك .

« فيما يتعلق برجال الالب اضطر الى اكمال الكتائب المسافرة بعناصر غريبة عن الالايات المجندة للكتائب نفسها .

وبالنسبة لرجال الاشارة بلغ التاخير ثلاثة اسابيع تقريبا (. . .) وبالنسبة للقطار والصحة والتموين لم يكن في الامكان تشكيل خدمات الفرقة الثالثة في نفس الوقت الذي تم فيه تعبئة الفرقة نفسها ، وبالنسبة لجميع الوحدات كان من الضروري القيام بالتعبئة في الوقت نفسه الذي وصل فيه المستدعون مما تسبب في تنظيم الوحدات بصورة مستعجلة وغير سليمة (. . .) (١٣)

وقامت عراقيل وعقبات غير قليلة بالنسبة للمواد المخصصة للجنود المسافرين . وتكفي الاشارة الى ان رقم الدواب الصالحة وقت الطلب كان ٢٠ ٪ من العدد الذي قدم . والعربات الصقلية التي تم شراؤها في الجزيرة اتضح « انها مستهلكة بصورة عامة لكثرة الاستعمال واضطر الى « تشجيع انشاء عربات جديدة وتطلبت لوازم العربات اصلاحات وتغيير اجزاء . وبخصوص ملابس وعتاد الجنود فان الاحذية الموجودة بالمخازن كانت خالية

---

(١٣) وزارة الحربية « حملة ليبيا » روما ١٩٢٢ المجلد الاول ص ١٧ ـــ ١٥ .

من المسامير لانه لم يتم اختيار النوع . ففي بعض المراكز صحبت عمليات التجنيد « عملية وضع المسامير في مئات ومئات من الاحذية » . وقامت صعوبات اخرى بالنسبة لاستعمال « احذية الراحة » وذلك « لقلة المقاسات الصغيرة » . وبخصوص الاكياس (نوع من الحقيبة يحملها الجندي على اكتافه فان رداءة نوع جلد الاحزمة « جعل من المستحيل استعمالها » : في مخزن مستشفى انكونا غيروا ٥٤ كيسا من اصل ٧٨ وزعت وذلك لانقطاع الاحزمة» وبالطبع فان بناء وشراء المواد الرديئة بصورة مستعجلة قد اجبر القيادات على دفع ثمن اكثر من الثمن العادي دون حساب « ضياع الوقت والعمل » والارقام الخاصة بالتسليح تثير دهشة اكبر : ادارات واقسام المدفعية كانت عاجزة عن تلبية طلبات مراكز التجنيد من البنادق والمسدسات اللازمة . ووجد هذا العيب حتى في ادارة مدفعية نابولي المكان الرئيسي لترحيل الجنود . وحتى « لدى مستودعات القوات الاستعمارية ثم ينشأ اي مستودع خاص لسد الحاجة » . فبعض الاحتياطيين وصلوا الى وحداتهم وسلاحهم الابيض بدون شحذ « ورشاشتهم » تنقصها القطع الاضافية » و « ببنادق رديئة اجبرت الوحدات المستعملة لها على تغيير الكثير منها » (١٤) وقامت

---

(١٤) المذكور ، ص ٢٢٫٠ — ١٨ اسندت مهمة الموارد للقوات الى بنك روما الذي — حسب الارقام التي نقلها غويدو بودريكا Guido Podrecca قد استغلها : « فالاكياس الخاصة بالخنادق التي تبلغ قيمتها ٣٠ او ٤٠ سنتيما كانت تدفع لبنك روما المورد بمبلغ ليرتين ونصف وايجار الابل في المتوسط ٥ ليرات كانت تدفع الى البنك ١٣ ليرة ، واجرة طحن الدقيق ليرة ونصف للقنطار في حين ان طحنها في كاتانيا كان يكلف ٦٠ سنتيما والحطب من اجل الجلود كان يكلف تسع ليرات وثلاثين سنتيما للقنطار في حين ان القنصل البريطاني بالخمس المستر نايت قال لي منذ ما سألته انه كان يورد الحطب بسعر ٢٫٤٠ ليرة للقنطار » اما فيما يتعلق بتوريد الدقيق للجنود فقد كتب النائب دي فليتشي De Felice على صفحات « مسيساجيرو » بتاريخ ٢ مارس ١٩١٢ « بالاضافة الى نوعية مورد الملون المعروف في جميع الازمان ولدى جميع الجيوش بات هنا الان نوعية محددة اصبحت موضع الاحاديث الخاصة وهي نوعية مورد الدقيق . لا ادري من هو وكيف تمت عملية التوريد ولكنني اعلم انه ورد نوعا من الدقيق الرديء الفاسد والغير صالح للغذاء ، وتنسب بعض الامراض المعدية فعلا الى استعمال هذا الدقيق وقد اهتم بالامر

صعوبات اخرى من جراء القرار القاضي بتزويد الملابس الخضراء ـ الرمادية لجميع المقاتلين في الوقت الذي لم يزود الجيش كله بهذا الزي (١٥)

ولو لم تكن هذه الارقام صادرة عن وزارة الحربية مباشرة لكان هناك محل

مرة مجلس الصحة العسكرية بصورة دقيقة ومفزعة وقد حكم الجنرال سفوروزا وهو الذي يعود اليه الفضل في تنظيم الصحة العسكرية وتحقيق نتائج مرضية جدا (...) حكم على هذا الدقيق « بانه غير صالح لتغذية الرجال والحيوانات » . وقد امر المجلس الصحي بمصادرة الدقيق ، غير انه لا نعرف كيف ان امرا في مسألة حساسة كهذه لم ينفذ . فالموحش البشري المورد للدقيق كان لديه من النفوذ ما يبطل قرارا صريحا ودقيقا كهذا. ومن اجل الدقيق فقط اود ان اصرح ان مثل هذا الدقيق لم يستعمل فيما بعد في صنع خبز الجنود ولكن بعد التاكد من صحة الجنود التي هي الان بخير فالدقيق الفاسد وزع على العرب الذين يفدون الى البلاد هاربين من الاتراك » (فويدو بودريكا المصدر المذكور ص ٣٥ ـ ١٣٢) انظر تبريرات بنك روما ازاء هذه الاتهامات ص ٦٨ ـ ٣٦٧ .

(١٥) رئاسة اركان الحرب ـ عمل الجيش الايطالي في الحرب الايطالية ـ التركية ، روما ١٩١٣ ص ٩ . جوفاني ميرا G. Mira وقد اشترك في الحرب بدرجة عريف ثم رقي الى ملازم ثان وقد ذكر في مذكراته : « ان التعبئة تمت بقدر الامكان دون الاخذ في الاعتبار المشاريع المعدة منذ زمن . ففي تلك السنوات اخذ الزي الاخضر ـ الرمادي يقوم مقام الزي القديم ذي الالوان الزاهية تدريجيا غير ان التغيير كان يسير ببطء لان المديرين كانوا يريدون ان يستهلكوا كل ما تبقى من ازياء عهد الملك امبرتو . وكان الالاي الذي ينتمي اليه لا يزال يرتدي الزي القديم ـ وحيث انه تقرر ان يذهب لغزاة ليبيا بالزي الجديد فاحضرت على عجل الملابس والاحذية وغيره ليحدث ـ التغيير في مشية السفر (...) وعندما سافروا كان مجموعة من الجنود والضباط قد شرعوا في التعارف وهو امر بالطبع لا يفيد معانة الالاي الذاهب الى النار . لقد كان من الواجب ان تسافر معهم فرقة الموسيقى وقسم الرشاشات . وفي الوقت الذي تم فيه الحصول على فرقة الموسيقى التي بعد ان كانت تطرب الاطفال والمربيات في الحدائق العامة جاءت لترعب البادية في ميادين ليبيا ، فان الرشاشات وهي اسلحة تجهلها كتيبتنا جهلا تاما كانت تنقصنا وقد تلافوا الامر بالحاق قسم رشاشات اخذ من وحدة اخرى . وكانت اشياء اخرى كثيرة ناقصة فيما يتعلق بالامداد . ولكن الفضائل الوطنية في الارتجال والملائمة انقذتنا وتم التجهيز بعد تاخير خطير وامكن السفر (جوفاني ميرا مذكرات ـ مقدمة لويجي سالفاتوريللي فيشنزا ١٩٦٨ ص ٥٣ ـ ٥٢) .

للشك في صحتها بقدر ما هي مدهشة . ولكنها تبرهن من جديد على ان قرار الحكومة قد فاجأ العسكريين وهم غير مستعدين للحرب وتنقصهم المــواد والتنظيم وقد اضطروا الى الارتحال وسط صعوبات لا نهاية لها .

وان عدم استعداد الحملة وقت اعلان الحرب على تركيا في امكانـــه ان يفشل العمليـــة منذ بدايتها . ويكفي القــول ان ١٧٣٢ بحـــارا من السفن الراسية المدرسية (بعضهم شباب في سن الثامنة والتاسعة عشر يقــول غالي) قد ظلوا سبعة ايام من يوم ٥ اكتوبر الى ١١ منه (يوم وصـــول اول قافلة غـــادرت نابولـــي يوم ٩) يقاومون بقيادة الاميـــرال اومبـــرتو كاني ليصدوا خمسة الاف تركي بصعوبات جمة (١٦)

وبعدما يقارب من شهر ونصف من انفجار الصراع اي في ١٩ نوفمبر ١٩١١ حرر الجنرال بروســاتي مذكرة عنوانها « نقاط تتعلـــق بالحرب الايطالية ــ الليبية » لعرضها ربما على الملك وقـــد القى فيها الضـــوء على الحدود التي اصطبغت بها عملية الاعداد للّحرب . وان قرار اتهامه مدهش لشدته ولخطوه

---

(١٦) في الليلـــة الواقعـــة ما بيـــن ٩ و ١٠ اكتوبـــر هاجـــم ٣٠٠ تـــركي حـــرسا يتكـــون من مئتـــي رجـــل كانوا في الخنـــادق في بومليانـــة · « قـــام كانـــي بعمليـــة تنقلات وتحـــركات مصطنعـــة ليوهـــم الاتـــراك ان مـــــدمم كبيـــر (لويجي البـــرتيني ــ عشرون ســـنـــة من الحيـــاة السياسية ــ المذكـــور ، قسم اول ، مجلـــد ثـــانـــي ص ١٢٢) · انظـــر ايضـــا يوميـــات كارلوتاللي تلصل ايطـــاليـــا في طـــرابلس » ان الخطـــر كان عظيمـــا ــ يلمـــح تاللي يوميـــة ١٠ اكتوبـــر ــ ولكن النتيجـــة تستحق اكثـــر من التقديـــر (·٠٠٠) لو ان كاني لديـــه بـــدلا من الفي رجـــلا عشرة الاف رجل فالان قد لا يكـــون هنـــاك من يتحـــدث عن تـــولت او عـــن منير باشا (كارلـــو تاللي يوميات ورسائل طرابلس ١٩١١ تريستا ١٩١٨ ــ فلـــورنسا ١٩٥٢ ص ١٠٠) . فيمـــا يتعلـــق باحتـــلال طـــرابلس الـــذي قـــامت بـــه البحريـــة عكسا لمـــا قـــرره كانيفـــا اي انـــزال على ســاحـــل تاجـــوراء واخـــر شـــرق طـــرابلس · انظـــر روبـــرتـــو بلشيفيـــا Roberto Benoivenga « مختصـــر انتصـــادي لحـــربنـــا » رومـــا ١٩٣٠ المجلـــد الاول ص ٣٢٩ وكارلـــو دى بـــاسر Carlo De Blase « نســـر الذهب قصـــة اركان الحـــرب الايطالية » (١٩٤٥ ــ ١٩٦١)؛ ميلانـــو ١٩٦٩ ص ٣٩ ــ ٢٣٧ ــ بالنسبـــة لكـــانى انظـــر جـــورجـــو بيني Giorgio Pini حيـــاة اومبرتـــو كـــانـــي ــ ميـــلانو ١٩٣٧ ·

من عبارات وسط في حكمه على الاخطاء التي وقعت قبل قيام الحرب. وحسب وجهة نظر بروساتي لم يكن هناك بالمرة ولم يكن كافيا على الاقل « الاعداد الديبلوماسي الذي طالما تغنوا به » ويصل الى درجة التاكيد ان « الوكلاء الملكيين (ديبلوماسيين) الظاهرين منهم والمستترين قد اساءوا خدمتنا » ولكن اتهام بروساتي اشد عنفا وذلك بالنسبة للاوجه العسكرية :

ان التعبئة العسكرية (...) اقتصرت على اعداد تعبئة فيلق واحد للافتراض المزدوج في ان — يكون ميدان العمليات سهلا او جبلا . وان احتمال تجنيد وحدات اخرى درست كمشروع وعندما اريد تحقيقه اضطروا الى ارباك اغلب الوحدات النظامية للجيش الموجودة بالقارة وخاصة فيما يتعلق بالمدفعية والهندسة العسكرية

(. . .) دخلنا المعركة — على ما اعلم — بدون خطة حرب مدروسة ومتزنة وخضنا بطيش (الكلمة قاسية ولكنها حقيقة) معركة لا نرى لها نهاية حتى بالنسبة للتحفظات الكثيرة التي فرضناها على انفسنا . والتي يبدو فيها واضحا عيب الاعداد الديبلوماسي .

العمل المنسق ما بين الجيش والبحرية كان طارئا اكثر منه متوقعا . ففي الفترة الاولى واجه البحارة بالفعل اخطارا جسيمة كما هو معروف . وكان رئيس اركان حرب الجيش يجهل كل شيء ، لقد اهمل تقريبا . (١٧) بالتمهيد ، بالعمل الديبلوماسي وتحديد الاهداف المرجوة كان من الواجب اسناد دراسة الوسائل والاساليب الى رئيس اركان حرب الجيش بالاتفاق مع رئيس اركان حرب البحرية فقط . ولكننا تحت ضغط نفاذ الصبر في عمل

---

(١٧) يقرا في احدى مذكرات بروساتي بتاريخ اول يونيو ١٩١٢ : « قام بالحرب في البداية جوليتي ودي سان جوليانو اللذان ورما سفننا الحربية على الساحل الليبي وكانا يصدران الاوامر رأسا الى القواد التابعين دون علم القائد الاعلى للاسطول الشرقي . والان يدفع الثمن لذلك الاثم الاساسي ، ان جوليتي لا يفهم ذلك » .

اي شيء قد القينا بانفسنا في الخطـــر دون تـــرو ، متناسين ان الوصول بعملية حربية الى تنفيذ سريع يجب ان يسبقه تامل هادىء .

ومما يدل على عدم الاحتياط والدراسة للعمليات العسكرية المحتملة انه لم تحدد مسبقا ــ وهو امر سهل ــ المواقع التي لدى الحاجة قد تحتلها قواتنا على شواطىء طرابلس وبرقة . فلم يكن معروفا مثلا ان درنة لا تصلح للدفاع .

لقد نظمنا حملة بمثل ما ننظم الوحدات الكبيرة للمنـــاورات اي بارباك الجيش كله من اجل جمع العناصر اللازمة من هنا ومن هناك (. . . .) .

اما الاعداد الخاص باوامر التحـــرك والتجمـــع ووسائل النقل بالبحـــر والنزول الى البر ووسائل التموين (كانت هذه محدودة لا تسمح للقـــوات النازلة بالحركة) فانه اي هذا الاعداد كان دقيقا جدا ويستحق الثناء الكبير وهذا كله لا يكفي فما هي حالات الفعالية التي احتفظ بها الجيش في الوطن ؟

كان الاسطول في بداية القتال متدربا بعد فترة التمارين التي قام بها حديثا بيد ان المواد لم تكن على ما يرام . وهذا ما يدل من جديد على ان قرار العمل اتخذ بصورة مفاجاة ربما بدون ترو كاف مع حسب حساب الفصل وعـــدم وجود مراىء آمنة تقريبا على الشاطىء الشمالي الافريقي باستثناء طبرق على ما يبدو (١٨)

ان مفكرات بروساتي تقدم ربما واحدة من ادق واصح التحليلات حـــول طريقة الاعـــدادالعسكري الايطالي للحرب الايطالية ــ التركية . ان الاخطاء التي يحللها بروساتي لا تشمل السلطات العسكرية فحسب وانمـــا تتهـــم بصورة خاصة الحكومة لنفاذ صبرها ولعدم التروي بما فيه الكفاية .

وبعد ان درس بروساتي حدود الاستعداد العسكري حاول ان يستخلص بعض النتائج وابـــداء بعض التوقعات حول مستقبل الحرب وحالة الجيش

---

(١٨) اوغوبروساتـــي Ugo Brusati مفكـــرات تتعلـــق بالحرب الايطالية ــ التركية موجـــودة في (A.C.S., A.B., sc. 10, f. VI. 7. 39)

الايطالي مضيفا بعض الاعتبارات السياسية . فبخصوص المسائل ذات الصبغة العسكرية فقد توقع ياور الملك مستقبلا صعبا للجيش الايطالي . فالحرب ضد تركيا — حسب بروساتي — وضعت الجيش « ربما لوقت غير قصير في حالة ضعف مؤقت تجاه ما قد يقع فجأة من احداث في اوروبا وتكمن خشية بروساتي بصورة خاصة في احتمال وقوع صراع مع النمسا الذي لمحه بثقة مدهشة ، وهو الصراع الذي قد يجد الجيش الايطالي في وضع في غير صالحه مع امكانية ان « الشعور القومي » الذي تطور بمناسبة الحرب الليبية قد يتمكن في « مثل هذه الحالة ان يجبرنا بالرغم عنا على دفع الاحداث في القارة باعتداد ودون تفكير كما تغلب جزئيا وفجاة الان » . ويحلل بروساتي حالة القتال العسكرية الجارية مع الاشارة بصورة خاصة الى انعكاساتها الديبلوماسية .

« والان استعد لان اقول ربما كلاما يعد كفرا كبيرا » . ان الحملة الافريقية الحالية قد حذرتنا بانه باستثناء حالات نادرة فان ايطاليا لا تحظى بعطف كبير حتى لدى اولئك الذين يبدون عطفهم فانهم يفعلون ذلك على مضض . هل هي غيرة أم حسد لا ادري ؟ قد يكون من العبث ومما لا طائل وراءه البحث الان من اسباب هذه الظاهرة . ويكفي في الوقت الحاضر عمليا ان نتحقق من الامر الذي لا يسرنا بكل تاكيد .

ففي هذا العام بصورة خاصة بالغنا في الاشادة بفضائلنا وبمزايانا الماضية والحاضرة والمستقبلة ، ان ذلك لا يخلق حولنا جوا يعطف علينا . الشعوب مثل الافراد عليهم ان يعرفوا كيف ان يتسامحوا في فضائلهم ومزاياهم لا ان يتظاهروا بفرضها على الغير بقصد الترفع .

يقال ان العملية قد اضرت بالكثير من مصالحنا وقد اثرنا زوبعة . ان هذا تعليل سهل ولكنه لا يكفي لتفسير موقف الراي العام الخارجي نحونا .

ان الحكومات على ما هو معلوم — قد بدت بصورة عامة متعاطفة معنا ، بيد ان هذا العطف يبدو لي انه يخفي شيئا من الريبة .

ان حلفاءنا لم تكن لديهم ثقة كبيرة فينا وان كانوا بالكلام يؤكدون عكس ذلك ، ومع هذا لم يسؤهم ان يرونا مشغولين في صراع لمدة من الزمن يضعفنا ويجعلنا وقت الحاجة اعداء لا يخشى طرفهم . فان مجموعة ما تسمى بالوفاق الثلاثي هي ايضا مسرورة بان ترانا مشلولين مؤقتا بحيث ان قوات الحلف الثلاثي في البر والبحر يقل خطرها لفترة من الوقت (...)

ان نهاية الحرب لا تبدو قريبة . ستتبع تركيا في حكم المؤكد سلوكا في الميدان العسكري شبيها بالسلوك الذي اتبعته دائما في الميدان السياسي اي التسويف . فالقوات التركية — العربية في برقة وطرابلس ستستمر ما دام ذلك ممكنا في الاتصال بقواتنا ومحاصرتها في نفس المواقع التي تحتلها وبتقدم قواتنا ينسحبون الى الداخل وستظل تموينهم القوافل القادمة من تونس ومصر حيث انه من الصعب على السلطات المحلية ان تتمكن (اود ان اقول ان ترغب) في اغلاق حدودها في وجه هذه الحركة .

ان الايطاليين لا يملكون وسائل تموينية كافية للعمل في الداخل بقوات تستطيع ان تؤمن النجاح بينما من المحتمل ان يتحاشى العدو فيما يعد باستمرار الدخول في معركة حاسمة . ولنفرض ان وسائل التموين اللازمة قد تتجمع فقد يلزم وقت غير قصير لذلك واني لاخشى ان التاخير سيطفىء في الوطن جذوة الحماس الذي شاهدناه ذلك الحماس الذي ارتفع غالبا بشدة مما لا يمكن المحافظة عليه . فقواتنا ستبقى في طرابلس وبرقة في حالة حرب دائمة لزمن غير معلوم . وهذا خير ما قد ترغبه تركيا .

ويبدو لي مع الاسف ان ايطاليا تجد نفسها في موضع سيء ليس من السهل الخروج منه الا اذا وصلت الى مصالحة تتناقض وتصريحاتها القاطعة السابقة وتطعن كبرياءها . لقد اسرعنا جدا في اعلان حيازة ما لم نحزه بعد بالفعل وهو الاعلان الذي تم بشكل يقطع الطريق على كل تسوية . لقد اشعلنا النار في الجسور وراء ظهورنا وبحماس لا يكاد يخفي خوفنا من التراجع .

لا يمكن للحرب ان تنتهي ، وقد قال ذلك الاتراك انفسهم — الا اذا استطاعت ايطاليا ان تصيب نقطة حيوية للعدو . ولكن النقاط الحيوية للعدو مع الاسف تحميها التحصينات الديبلوماسية على ما يبدو اكثر من التحصينات الحربية . وهذا ما يبرهن اندفاعنا في العملية الافريقية بصورة طائشة . كان يجب قبل كل شيء اعداد خطة حرب كاملة ملموسة ومدروسة بحيث يمكن تنفيذها بصورة خاطفة (. . . .)

فتركيا تركتنا في عزلة تقريبا وتركتنا محاطين بالشك وقلة العطف وتتظاهر بعدم المبالاة تقريبا بما يحدث فوق القارة الأوروبية . انها تنتظر . ونحن ايضا ربما علينا ان ننتظر وسلاحنا جاهز مادامت احداث لا بد منها وقد تكون اقرب مما نتصور قد تخلق حالة جديدة في الولايات البلقانية ، حالة قد تنقذنا من الاحراج ولكن سيستفيد منها الغير بينما سترتفع الصيحات عالية في ايطاليا . (١٩)

لقد تحقق الكثير من توقعات بروساتي بدقة . وخاصة الافتراض بان الحرب مع تركيا لن تكون نزهة عسكرية كما كان يعتقد الكثيرون بل قد تستمر لزمن طويل دون وجود امكانية للحل ما لم تصب تركيا في بعض نقاطها الحيوية . ولا يخفي بروساتي من جهة اخرى كيف ان الصعوبات التي قامت في طريق الحرب منذ المعارك الاولى ، لم تكن نتيجة للعجلة في الاستعدادات العسكرية وحدها بل وفي عدم التبصر في الاعداد الديبلوماسي الامر الذي ترك ايطاليا معزولة تماما وعاجزة عن الحركة خشية خطر الاصطدام بحساسية دول الحلف الثلاثي والوفاق التي كانت تراقب بارتياب واستياء العملية الايطالية .

وكانت اول صدمة اصيبت بها الحملة لم تنتج عن هزيمة عسكرية وانما لاسباب صحية فصلابة التجمع اختلت بسبب انتشار وباء الكوليرا الذي

---

(١٩) المصدر المذكور .

اصابها بعد الانزال . وكان الوباء قد انفجر في ايطاليا كما سبق وذكرنا — خلال الصيف . وقد حل الوباء بطرابلس قبل عام وانتهى في ٥ سبتمبر ١٩١٠ فقد وقعت ثلاث اصابات خلال هذا الشهر وارتفعت الى ١٣٢ في شهر اكتوبر التالي والى ١٨٦ في نوفمبر وديسمبر . وظهر المرض من جديد في سبتمبر ١٩١١ وفي ١٣ سبتمبر ظهرت اول اصابة بين الجنود الايطاليين في شخص احد البحارة . وحول الحالة الصحية يوجد تقرير للجنرال سالسا Salsa جاء فيه :

« اتخذ الوباء شكلا مفزعا (. . . .) فالاماكن المخصصة للحجر الصحي البحري كان بها اكثر من طاقتها من المصابين المتراكمين في كل مكان ونفس الشيء كان يقع في المستشفى المدني ، وكثيرا من المساجد والفنادق (أسواق الفلال وغيرها) كانت مليئة بالعرب الذين وفدوا من ضواحي طرابلس وقد حشدوا في المدينة بسبب الحرب . ففي هذه المراكز التي يتجمع فيها الناس البؤساء كان الوباء يحصد الكثير من الضحايا . كثيرون ماتوا بمرض مجهول وقد تركوا في الشوارع حتى يحين الليل فيلقى بهم في ساحة المستشفى المدني » (٢٠)

ولم يشر تقرير سالسا الى عدد الجنود الذين اصيبوا بالكوليرا بيد انه توجد رسالة من سبنقاردي الى بروسماني بتاريخ ٧ يناير ١٩١٢ حوت ارقام الخسائر التي تكبدها الايطاليون ويؤخذ من هذه الرسالة ان عدد الموتى بسبب المرض بلغ في الثلاثة اشهر الاولى من الحرب ٣٧٥ — رجلا (سبعة من الضباط و٣٦٩ جنديا) وذلك مقابل ٤٦٦ قتلوا في المعارك (٣٤ ضابطا

---

(٢٠) تقرير عن العمل الذي قامت به الادارة العامة للخدمة المدنية والمكاتب التابعة حتى نهاية مارس ١٩١٢ . الصحة العامة ، موجود في (A.C.S., Pres. Cons. Min. 1912, f. 10) ومن الجنرال سالسا ، انظر كانيفاري كوميسو E. Canevari-G. Comisso « الجنرال توماسو سالسا وحملاته الاستعمارية رسائل ووثائق » ميلانو ١٩٣٥ .

و ٤٣٢ جنديا) . والخلاصة انه من مجموع ٨٤١ ميتا قرابة ٤٠ ٪ منهم ماتوا بسبب المرض . وهي ارقام ذات مغزى . (٢١)

وقد بدت الحالة السياسية والعسكرية في الحال بانها جوهريا تختلف عن تلك التي كانوا يتخيلونها ، والامر الذي كان مفاجاة بصورة خاصة هو عداء السكان العرب الذين كانوا يعرقلون ويترصدون لكل عمل ايطالي وكانت مقاومة الاتراك القاطعة ايضا غير متوقعة . (٢٢) وتجاه الصعوبات التي بدت ملموسة في الحال فقد جرت محاولة الاستيلاء على نقاط حساسة وهامة على الساحل . فاحتلت طبرق يوم ٤ اكتوبر ودرنة يوم ١٨ وبنغازي يوم ٢٠ والخمس يوم ٢١ اكتوبر . وكان اكثر الجميع صعوبة هو احتلال بنغازي الذي قام به الجنرال بريكولا وعرقله البحر الهائج وقاومه بشدة العرب والاتراك (٢٣) وقد استلزم الامر ساعات من قذف القنابل لعدة مرات

---

(٢١) A.C.S., A.B., sc. 10, f. VI. 5.'37 منذ نهاية الحرب فاق عدد الموتى من المرض عدد القتلى في المعارك (انظر صفحة ٣٦٤) كتب بارزيني الى البرتيني في ٤ نوفمبر ١٩١١ : « الكوليرا تنمو وتسبب ضحايا كثيرة . نحن رجال الصحافة جميعا يجمعنا تفاهم وطني بذلت جهدي في سبيله ــ نحاول ان لا نسيء الى البلاد بالقاء الحقائق في الشارع ، غير ان مسؤوليتنا لا تسمح لنا ان لا نتاثر امام جريمة القيادة التي تخدرت . لا نريد ان تنتج حركة من اجل السلام ، كفى من السلام المخزي » . (الويجي البرتيني : رسائل ــ المصدر المذكور المجلد الاول ص ٢٨) .

(٢٢) لقد لاحظ مارشل في حديث مع غرباسو Garbasso, مراسل دي سان جوليانو من اسطمبول خلال الحرب وذلك في اكتوبر ١٩١١ ، لاحظ ان خمسين الف رجل قد يكونوا دوما ضروريين ومتجمدين في طرابلس « للمحافظة على احتلالها وسلطتها في بلد شاسع مثل طرابلس » . ان ايطاليا حسب راي السفير الالماني باسطمبول « لا يمكنها ان تطمع في ان الحكومة العثمانية قد تتنازل لها بدون شك عن ممتلكاتها في افريقيا ــ وبسمو داهظم اضطرت النمسا ان تجند ثلاثة ارباع جيشها من اجل احتلال البوسنة والهرزغوفينا»
(A.S. MAE, Seg. Gen. pa. 42, pos. 17 e f. 643
رسالة غارباسو الى دي سان جوليانو من بيرابيا في ٢٠ اكتوبر ١٩١١) .

(٢٣) كان للنزول الى شاطيء جليانه الذي تم في ١٩ اكتوبر تمهيدا لاحتلال بنغازي ،

وذلك لاجبار القوات المعادية على الانسحاب . (٢٤) وباحتلال النقاط الهامة على الساحل كان في الامكان اعتبار المرحلة الاولى من العمليات العسكرية قد انتهت بحيازة بعض المراكز الرئيسية الساحلية التي يمكن منها مراقبة الحالة التي تبدو الان صعبة ولا يوجد الا توقع ضئيل في ايجاد حل سريع لها . وقد بعث الجنرال كانيفا بتقرير الى وزير الحربية بتاريخ ٦ نوفمبر

---

(٢٤) نص الكابتن لويجي مارينو قائد ناقلة الجنود كاتانيا هذا الحادث ذا المغزى :
كنا نتابع من على سطح الباخرة بالمنظار المكبر البعيد لدولر تبذف القنابل : وقد رأينا بدقة مؤذن كان يلوح من اعلى المئذنة الى الجماهير المتجمعة عند المسجد (...) ولم يفت هذا المنظر على بارجة الاميرالية التي قذفت المؤذن بقنبلة فاصابته في الصميم وقد انهارت المئذنة بين سحابة من النيران والدخان غطت المصلين وعندما انجلى الدخان استطعنا ان نرى امواتا وجرحى كثيرين بين الانقاض (انظر باولو مالتيسي ــ الارض الموعودة ــ الحرب الايطالية ــ التركية واحتلال ليبيا ١٩١٢ ــ ١٩١١ ميلانو ١٩٦٨ ص ١٣٩٠) وفيما يتعلق بالاستيلاء على بنغازي كما روى من الداخل · فهناك رسائل تثير الاهتمام ارسلها مدير فرع البنك العثماني ببنغازي (ج . والتو) ومحاسب البنك (ج . رعد) الى المركز الرئيسي في طرابلس ــ فالمذكوران بعثا في ٣٠ سبتمبر ليعلما المركز الرئيسي في طرابلس بشيء من الدهشة « ان موظفي بنك روما قد غادروا مكاتبهم وسافروا ايضا » (النص الاصلي بالفرنسية) وفي يوم ٢٤ اكتوبر بعد اربعة ايام من الانزال كتبا ما يلي : « ان العرب قد قاوموا بحرارة وللتغلب عليهم اطلق الاسطول قنابل حتى في الليلة ما بين ١٩ و ٢٠ الجاري بدون اي تمييز في الاتجاه · وهكذا فمن بين المنازل التي اصيبت باضرار فادحة نجد منزل قنصل انكلترا وقنصل فرنسا والكنيسة الكاثوليكية ومقر بنك روما الجديد الذي لم ينتقل اليه بعد ومسكن السيد وانو الذي انهار كما كان من السهل توقعه · » وفي يوم ٣١ اكتوبر : « ان بنك روما في مدينتنا من المحتمل انه اراد ان يستفيد من الوضع فحجز لحسابه جميع المساكن الشاغرة التي كان يسكنها الموظفون الاتراك واخذ في المضاربة بتاجيرها باسعار مرتفعة جدا (الاصل باللغة الفرنسية) وكثيرا ما حوت هذه الرسائل اخبارا عن حالة الفزع السائدة ببنغازي للاخبار القائلة بوجود العرب على بعد بضعة كيلومترات من المدينة وعن الكساد التام لجميع النشاطات التجارية التي زادها حدة رفض بنك روما القيام باية عملية « محلية » او خارجية (رسالة بتاريخ ٢٤ نوفمبر ١٩١١) توجد هذه الرسائل في (A. MAI, pos. 178/1, f. 10) وفيما يخص احتلال بنغازي انظر جوليانو بوناتشي ــ اخر ليالي بنغازي التركية ــ روما ١٩١٢ ·

١٩١١ وضح فيه الوضع وقد استهل قائد الحملة تقريره بالتأكيد بصورة واقعية على ان « الحالة السياسية » التي يجد الايطاليون فيها انفسهم بعد الانزال كانت تختلف جدا عن تلك التي كان من المؤمل ان توجد بعد الانزال على هذه الشواطىء » . واضاف كانيفا بعد ذلك قائلا :

« ان المراكز الساحلية والقريبة من المراكز الداخلية برهنت ولا تزال على انها معادية لنا بصورة عامة ، ومن المؤكد — وفقا لدلائل لا يلحقها الشك ان عداءهم لنا خاصة في طرابلس يستند ويتغذى من التعصب الديني . ولهذا فمن المعقول ومن الاصوب الافتراض ان شعور السكان الحالي تجاهنا قد يكون عميقا وشديدا ويكون واقعا لازما بالنسبة لسير عملياتنا العسكرية (٢٥) .

وبعد الاشارة الى تاثير الدعاية التركية في الجماهير العربية (٢٦) لاحظ كانيفا ان الوضع الذي توجد فيه الحملة كان يؤدي الى نتيجة واحدة « معقولة » وهي ان من المناسب « في الوقت الحالي اعطاء الاسبقية للعمل السياسي على العمل العسكري الصرف او ما هو اصلا عسكريا » ولم يكن هدف اعتبارات كانفيا هذه الوحيد الحالة المباشرة او الوقتية وانما كان يرمي الى رؤية ابعاد مستقبل الوجود الايطالي في ليبيا .

« ان كون التعصب الديني في هذه الشعوب واقعي وايجابي ، فلا يجب ان يشغلنا عن الفكرة الاساسية وهي انه يجب يوما ما ان نحكم هذه الشعوب بفن الاسلام المنتج والرخاء المشترك ومن المناسب لنا ان نعجل

---

(٢٥) الوثيقة نشرت في — وزارة الحربية — المصدر المذكور المجلد ٢ (روما ١٩٢٣) ص ٢٩ — ٢٢٥ .

(٢٦) ان هذه الدعاية التي كان تصدها — حسب قول كانيفا — « اقناع الناس ان احتلالنا غير نهائي ولا يرمي الى ابدال الحكومة العثمانية بالايطالية وانما غايته الحصول على بعض الامتيازات التجارية والاقتصادية او على الاكثر الحصول على حماية يعود معها الوطنيون الى الحكم التركي الذي سيتدمون اليه الحصلب من مواقفهم وتصرفاتهم الحالية .

بحلول ذلك اليوم وبكل وسيلة ـ ـ وبناء عليه وبصرف النظر عن اي اعتبار عسكري يبدو واضحا انه من الاصلح لنا ان لا نشرك العرب والاتراك في عمل عسكري متسرع ونعمق بذلك وبصورة محتومة فجوة الدماء التي مع الاسف اضطرتنا الضرورة القاسية الى حفرها ما بيننا وبين رعايانا المقبلين بحيث قد زدنا اكثر من تعصبهم الديني وارتباطهم بتركيا وهو ما يوده هؤلاء » . (٢٧)

ونتيجة لهذه الاعتبارات ولد التاكتيك الانتظاري وكسب الوقت الذي اتبعه الجنرال كانيفا الذي كان يستبعد « عمليات حربية هجومية مباشرة » وتاكتيك كانيفا الذي واجه كثيرا من العداء في ايطاليا كان قائما على تـرو حكيم . ومن المؤكد انه كان وراء حذر كانيفا هذا شبح عدوه الذي منذ اول مارس ١٨٩٦ يقلق منام السلطات العسكرية الايطالية . (٢٨)

والاسباب التي كان كانيفا يبرر بها خط سير هذا كانت على ما يبدو مطبوعة بطابع الواقعية الواعية وشعور سام بالمسؤولية . وقد استطاع بسلوكه هذا ان يمنع ان تتحول الحرب في ليبيا ايضا الى كارثة ومذبحة . فقد ادرك ان هجوما كبيرا نحو الداخل ليس فقط مليئا بالخدع والعثرات بسبب طبيعة الارض وعدم وجود طرق مواصلات والاف الاخطار التي كانت تخفيها حرب العصابات الايطالية ــ التركية بل قد تثبت عدم فائدتها بسبب طوبوغرافية البلاد نفسها و « ان الصحراء المفتوحة من جميع الجهات » كانت لا تسمح باحتلال نقط رئيسية لانها قد تكون معرضة للتطويق من جميع الجهات .

«« ان عملا عسكريا من هذا النوع ــ كتب كانيفا في تقريره الى وزير

(٢٧) المصدر المذكور ص ٢٣٦ .

(٢٨) كتب جواكينو فولبي : « ان شبح عدوه لم يتلاش كله بعد : تفكير سليم بالحذر ولكنه حذر لا ادري كيف يتفق مع الحرب التي هي دائما لا تعرف الحذر تقريبا . (جواكينو فولبي المصدر المذكور ص ٦٩) .

الحربية ــ في المناطق مثل هذا النوع هو دائما من الاعمال التي تحتاج الى التأمل فيها واعدادها بتعمق وانها بصورة عامة لا يحسن القيام بها بدون مساعدة قوات وطنية معتدلة وخفيفة وخبيرة بالمواقع ولكن فـي وضعنـا الحالي مثل هذه العمليات جديرة بالتروي الخاص ، وليس مـن المناسب التسويف في التحديد بالارقام الكميات الضخمة من وسائل التموين التي قد يستلزم اعدادها للقيام بهجوم نحو الداخل مهما كان حجمه وهو هجوم لايمكن تحقيقه في الظروف السياسية ــ العسكرية الراهنةالا بقوات كبيرة ، دون حساب العدد الكبير من القـوات التي قد تبتلعهـا ضرورة حمايـة خطوط المواصلات وسط سكان يناصبوننا اليوم العداء ودون التفكير في الاحتمالات الصحية للحملة التي عليها ان تعمل في هذه المناطق ومواجهة فصل الامطار واتعابها وهي فيما يتعلق بطرابلس قد تكون لا تزال تطاردها الكوليرا التـي تتفشى الان بين الجنود وتقسو على السكان وتحصد الارواح الكثيرة فـي ميدان الاعداد مع احتمـال تلويث المياه والاماكـن التي قـدم تتقدم فيها قواتنا » (٢٩) .

وفي الخلاصة فان كانيفا كان لا يريد ان يحول حملته الى شبه « جيش لا يغلب » موزع ومضطرب على اعتاب الصحراء . فقد كـان يرى انه مـن الضروري جعل القواعد الايطالية على البحر منيعة والقيام بمراقبة الشواطىء وابدال الحرب الحقيقية » بصراع مالي مع الحكومة العثمانية » المضطـرة الى مواجهة نفقات باهظة لمواجهة التموين» عن طرق غير مباشرة ومرتفعـة التكاليف » وعلى كل فان قائد القوات الايطالية بليبيا يـرى « ان موقـف السكان العرب الغير منتظر تجاهنا » اذا ما استمر لوقت طويل فقـد يخلق « حالة خطيرة بدون شك » مع وجود الخطر في أن يهتز عسكريا ومـاليا كيان وفاعلية الامة في حالة حدوث اي طارىء في اوروبا (٣٠)

---

(٢٩) وزارة الحربيـة ، المصدر المذكـور المجلـد الثـاني ص ٢٢٧ .

(٣٠) المصدر المذكور ــ ص ٢٩ ــ ٢٢٨ ــ بالنسبة لكانيفا انظر حكم كارلودي بيـازي المصدر المـذكـور ص ٥٠ ــ ٢٤٥ .

وقد شارك الجنرال بريكولا قائد العمليات الاعلى في برقة الجنرال كانيفا في توجيهاته ، وقد كتب كانيفا الى وزير الحربية في تقرير « سري جدا وخاص » بتاريخ ٢٧ مايو ١٩١٢ يقول : « ان تصور الجنرال بريكولا للحالة في برقة يتفق تماما وتصوري للحالة المحلية في طرابلس والحالة في ليبيا بصورة عامة . (٣٢)

وكان اكثر الناس معارضة لسلوك الحرب هذا ـ بالاضافة طبعا الى الصحافة التي ارادت الحرب والتي كانت ترى انه من الجبن عدم فك الحصار عن الوضع بالقيام بعمليات هجومية ، كان جوليتي ودي سان جوليانو اللذان كانت تقلقهما قبل كل شيء اعتبارات السياسة الخارجية ، وتبرهن على ذلك رسالة بعث بها سبنقاردي الى بروساتي في ٢٠ نوفمبر ١٩١١ . لقد استدعى رئيس مجلس الوزراء وزير الحربية الى قصر براسكي (رئاسة الوزارة) وقد وجده « متأثرا من جديد من عدم حركة كانيفا » وتحدث جوليتي الى سبنقاردي عن :

---

(٣١) المصدر المذكور ص ٢٤٧ ـ جوفاني ميرا في مذكراته يصف بريكولا في برقة كما يلي :
« الجنرال اوتافيو بيكولا كان شيخا جميلا من عود نبيل وذا ابتسامة ابوية . اعتقد انه يترجم بدقة التعليمات التي كانت تصله من روما فيما يتعلق بسير الحرب وحكومة المستعمرة الجديدة . حذر وصبر قبل كل شيء : تامين الاستيلاء على المراكز الساحلية وتحصينها جيدا والاحتفاظ بقوات كبيرة فيها وعدم المغامرة خطوة واحدة نحو الداخل الغادر اذا لم تكن متأكدا من التفوق الساحق . لا مغامرة : البقاء بدون حركة خير من التعرض للضربات . لقد كانت ذكرى عدوه حاضرة كظل قاتم وقد كان من الضروري جدا تجنب امكانية حدوث نكسة تلحق العار بالثقة والشجاعة والحماس الذي بعث في البلاد . وبالاضافة الى هذه التوجيهات فان القائد الاعلى للحملة الجنرال كارلو كانيفا الذي كان يقيم بطرابلس قد اضاف حذره الشخصي وطبع به اتباعه وقد كانت خاصية مشتركة لكثير من قوادنا في ذلك الوقت وفيما بعد وهي الخوف من المبادرة والمسؤولية الناتجة عنها .
وفي الخلاصة فان اشجع قوادنا في الحرب الليبية من المحتمل انه كان رئيس الحكومة الذي اشرف على السبعين جوفاني جوليتي الذي تجاسر وامر باحتلال جزر الدوديكانيز ليضغط على تركيا من قرب ويضطرها الى التسليم (جوفاني ميرا G. Mira المصدر المذكور ص ٦٣ ـ ٦٢) .

« برقيات واردة من طرابلس كانت تتحدث عن القنابل التي تنهال يوميا على المدينة وعن الاستياء العام وعن وضعنا كمطوقين الامر الذي جعلنا محط استخفاف امام العالم وعن الاربعين الف رجل الذين يهزمهم خمسة او ستة الاف عربي ، وعن وضعنا المتزايد في الصعوبة تجاه الحكومات الاجنبية وعن السلام الذي لا يزال دائما بعيدا ومن غير ذلك »

وتحدث جوليتي ايضا باسم دي سان جوليانو بحيث استطاع التاثير على وزير الحربية . وقد اهتز للامر ايضا بولليو رئيس الاركان . (٣٢)

وفي الواقع فان سبنقاردي وبولليو وان لم يبخلا على كانيفا بالنقد الا انهما كانا متضامنين مع قائد الحملة . (٣٣) ولكن الامر الذي كان يضايقهما بصورة خاصة هو تدخل السياسيين في الشؤون العسكرية واصدار احكام دون ان يكونوا على المام بواقع الحالة ومناقشة المسائل العسكرية بدون دراية بتاتا وذلك لوقوعهم تحت ضغط اسباب داخلية او دولية (٣٤) وقد بلغ

---

(٣٢) A.C.S., A.B., so. 10, f. VI. 4. 36, nº 319

(٣٣) كتب بولليو في ١٦ مايو ١٩١٢ الى بروساتي : « ليس هناك ما يعمل كما ترى . الجنرال كانيفا يجيب دوما مبديا اسبابا . يمكن الاعتراض بانه لم يتحدث الا نادرا عن مزايا العمليات ولا يلقي الضوء الا على المساوي والصعوبات . ويعمل ذلك بشكل لا يترك مجالا للرد عليه يمكن النقاش واني اناقش ما يتعلق بالماضي خاصة ولكن من يستطيع ان يحكم على ما قد يقع لو كان الاتجاه غير ذلك ! وماذا قد يحدث لذا تغير اليوم الاتجاه ! »
وقد ارفقت بالرسالة برقية كانيفا التالية من طرابلس الى بولليو بدون تاريخ ولكن يحتمل ان تكون في النصف الاول من مايو » (...) انه من واجبي قبل كل شيء ان اؤكد من جديد انه ما دامت قائمة مقاومة العرب العنيفة الجماعية لكل السكان وما دام لديهم الفعالية الحربية لحرب عصابات عامة فيجب ان تسقط اطلاقا اية محاولة للتغلغل من اية قاعدة من قواعدنا باستثناء فروه وبالاقتصار على قطع طرق التواصل » . (A.C.S., A.B., so. 9, b. VI. 3. 35, nº 193)

(٣٤) كتب من جديد بولليو الى بروساتي في ٢٤ مايو ١٩١٢ : « ان الفكرة بان كانيفا بمجرد نزوله الى البر كان عليه ان يتعقب الاتراك وانه ارتكب خطأ رئيسيا لعدم قيامه بذلك فهذه الفكرة تاتي من الاعلى . ان القول بان من فريان تحكم جميع طرابلس هو قول احد وزراء الخارجية السابقين (ابداها امامي) وكذلك فكرة الصعود مع حدود برقة وطرابلس ! ثم الضغط بالساعدين ، فهي ايضا فكرة

الخلاف بين السياسيين والعسكريين ذروات حادة من التوتر .ففي يناير ١٩١٢ قامت بين جوليتي ووزير الحربية سبنقاردي« مناقشة حادة » اخرى تقرر خلالها استدعاء كانيفا الى روما لبحث الحالة العسكرية ، وجاء في حديث لجوليتي ادلى به الى صديقه المحافظ اناراتوني Annaratone انه قد اشار الى عدم قدرة كانيفا على القيادة العليا التي اسندت اليه واحتفظ بها لانه محمى من «الاعلى» ونفس «الاستياء ابداه جوليتي بالنسبة لسبنقاردي الذي لم يعد يحظى » بكل عطفه (٣٥) ولم يفد مجيء كانيفا الى روما في يناير ١٩١٢ في اقناع جوليتي ودي سان جوليانو بضرورة الاستمرار في تاكتيك التاني (٣٦) .

وكان رئيس اركان الحرب بولليو يرى — من جهته استحالة ايجاد حل للحرب الليبية اذا لم تتم عمليات ضد تركيا في بحر ايجة والدردنيل . وقد كرر اراءه هذه في عدة مذكرات خلال شهري مايو ويونيو ١٩١٢ . وبالطبع فان بولليو لم ينتبه للجانب الديبلوماسي للمشكلة الذي كان

وزير خارجية سابق . لهؤلاء وغيرهم برهنوا على جهلهم بالمسائل العسكرية وهم يصدرون احكاما ويعطون نصائح ترتعد لها الفرائص (المذكور رقم ١٩٩) .

(٣٥) مذكرة بروساتي بدون تاريخ (يناير ١٩١٢) موجودة في
(A.C.S., A.B., sc. 10, b. VI. 5. 37, nº 356)

(٣٦) بخصوص زيارة كانيفا الى روما ، انظر رسالة تيتوني الى دي سان جوليانو في ١٤ فبراير ١٩١٢ موجودة في (A.S. MAE, Segr. gen. pa. 43, pos. 17/p., f. 646)
لقد اراد كانيفا ان تترجم توجيهاته الى اشعار سهلة توزع على الجنود . وصدرت الوصايا العشر التالية : « لا تهمل البندقية — هي وحدها تستطيع انقاذك . اطلق قليلا وصوب جيدا — وستصيب العدو — وفر المياه ولا تبذرها — لانه من الصعب العثور عليها — كن حذرا وشجاعا — ولا تركن كثيرا الى الاعتداد لا تتعرض لنسائهم ولا لاطعمهم — لا تهرب فلن يسخر منك فحسب — بل ستقتل ايضا . في طريق الشرف — اتبع دوما رئيسك — شجاع واحد يهزم مجموعة كبيرة — العدو والله ينتظر — استعمل السونكي — وليكن دليلك دوما : شرفك والوطن والملك » . وكتب دي بيازي ان بولليو عندما استلم صورة من هذه الاشعار علق عليها ببيتي شعر من دانتو وامر بحفظها قائلا مجانين لم غير مجانين فان كانيفا يهوى هذه الاشياء » كارلو دي بازي Carlo De Biase المصدر المذكور ص ٥٠ — ٤٤٩ .

واضحا لدى بروساتي الذي كان مراقبا نبها وحادا لكل المسالة وفي تاشيرة على هامش مذكرة لبولليو في ٤ مايو ١٩١٢ كتب بروساتي :

ملاحظة : الجنرال بولليو يقول اشياء سليمة ولكنه نسي ان عدم وجود مفهوم واضح للحرب، وان احترامنا الكبير للدول الاوروبية ذلك الاحترام الذي جعلنا نغضب الجميع حتى لا نغضب احدا ، وان عدم القيام في اول الحملة باعمال حاسمة خاطفة تضطر الحلفاء والاصدقاء الى قبول الامر الواقع تكون مجموعة من الظروف لا تزال حتى الان تخيم علينا مثل الكابوس (٣٧)

وان ملاحظات بروساتي كانت تعكس الوضع الصعب الذي كانت الحكومة تجد فيه نفسها . وقد ترك اعتراض اهرنتال بعدم اتساع الصراع خارج ليبيا ترك ايطاليا في طريق مسدود بالفعل نظرا لانه اذا كان تقريبا من المستحيل ـ حسب راي كانيفا ـ حل المسالة الليبية بالقوة ما دامت المقاومة العربية قائمة فانه من المستحيل ايضا اخضاع تركيا بعمليات لها بعض الوزن خارج افريقيا الشمالية اذا اريد تجنب مواجهة مضاعفات دولية غير متوقعة بالمرة (٣٨) .

ولم يقتصر الحكم السلبي على عدم حركة كانيفا على جوليتي ودي سان جوليانو وحدهما فالقسم الاكبر من الراي العام الذي طالب بالحرب بصوت مرتفع كان يشعر ان هذا التسويف خيانة له . لقد نظر الى الحرب كمغامرة بطولية جميلة والان عندما عرف ان الجنود الايطاليين كانوا يحصنون مراكزهم الدفاعية وينتظرون في الخنادق بان تحل الحرب في مكان اخر فقد

---

(٣٧) A.C.S., A.B., sc. 9, f. VI. 3. 35 nº 193

(٣٨) كتب كوارد وزولي في هذا الخصوص الى بروساتي من طرابلس في ١٤ ديسمبر ١٩١١ : « (...) اخمن ان الحرب التركية الايطالية يجب ان تكسب هنا بسبب تلك القيود التي اشرت اليها في رسالتك اخيرا ، قيود ظالمة وغير منطقية وقد يكون من العبث الامل في التخلص منها لان للقتال في بحر ايجه لا يمكن الا ان يكون له وجهان : اما سهلة وعندئذ سيضحك الاتراك كما يضحكون من مكاسبنا في طرابلس واما فعالة وحازمة وعندئذ ستمس مصالح الاخرين الذين بالطبع لن يوافقوننا على المساس بهم بصورة غير مباشرة » (A.C.S., A.B., sc. 9, f. VI. 2. 34, nº 14) بالنسبة للاعتراض النمساوي انظر ص ٣٠١ وما يتبعها .

خلق ذلك شيئا من الاحراج والاستياء وبدات الانتقادات تنهال على كانيفا (٣٩) .

وكان بعض الضباط بالجبهة بصورة خاصة لم يبخلوا على الجنرال كانيفا بلومهم القاسي . وكان قلق هؤلاء النقاد الاكبر هو الخطر في ان الجنود مع طول الوقت قد ينهارون نفسيا ويصابون بالجبن ويتعودون على الراحة حتى اذا ما جاء وقت القتال فقد يحتاجون الى الضرب لانتزاعهم من تحت السقوف (٤٠) . وقد قال بومبيو كاميلو انه كان « مؤلما » رؤية جنود مثل جنودنا مضطرين الى عدم الحركة المطلقة » . وان تتحول الخنادق الى اماكن نصف دائرة دائمة مرتفعة ومدعمة بالاغصان ومجهزة بوسائل الدفاع الملحقة : ان الرغبة التي يعبر عنها الجميع هي القيام باي شيء » (٤١) وكانت هذه الرغبة بالنسبة للضباط هي : « الخروج من حالة الحصار او على الاقل ان ينتقلوا الى حالة محاصرين يستطيعون الخروج » . اما الجنود فكانوا

---

(٣٩) كتب لويجبي بارزيلي من طرابلس الى البرتيني في ٤ نوفمبر ١٩١١ : « لا ادري حقا باي مقياس اختير هذا الجنرال . انه يشعرني بانه رجل غبي ومنتهي ومهزوم . ليس لديه ذرة من القوة ، يتحدث بصوت كصوت المحتضر ، ليس لديه فكرة ويأسف لان خلفه الرامية الى اللامركزية ليعمل في طرابلس اولا ثم ليعمل في برقة لم يوافق عليها . انه لا يعرف اين يتجه كل شيء بداخله . لا يخرج ابدا ابدا ابدا من القلعة (السرايا) . يقضي لياليه مؤرقا باليا . انه لمتجمع اذ لا يستطيع ان يتخذ قرارا فهو متردد ولا يتصرف ويؤجل . لم يذهب الى المراكز اقسم بشرفي انه لو لم يقولوا انه يساوي بعض الشيء على المكتب لاعتبرته بطلا في العبط (...) لقد راينا ثلاثين الف رجل ينتظرون نهارا وليلا امام المجهول — لا شيء . كانوا يقولون ان خنادقهم البائسة كانت مثالية . ثم غيروا فكرتهم واعطوني الحق بعد فوات الاوان . انه تلك السخف الكبير ان اربعة مدافع تطلق علينا القنابل من تحت انوفنا . الاتراك يتسلون ، يضعون مدافعهم على بعد خطوتين منا ويعاملوننا كما كان الاوروبيون يعاملون الملاكمين الصينيين . سينتهي الامر بهم ان ياتوا ليتبولوا علينا . انهم يظهرون للعرب انهم الاقوياء — اننا محاصرون لا شك في ذلك » . (لويجبي البرتيني المصدر المذكور المجلد ١ ص ٢٧ — ٢٥) .

(٤٠) المصدر المذكور ص ٢٨ .

(٤١) .A.C.S المصدر المذكور رقم ٩ — رسالة بومبيو كاميللو الى بروماتي من طرابلس ١٩ نوفمبر ١٩١١ .

بالعكس في الخنادق « في مزاج طيب » ولا يطلبون اكثر من البقاء » (٤٢) وهذا كان يشكل ــ كما يرى كاميللو ــ « مدرسة سيئة للجندي تفقده الشجاعة » . (٤٣)

وكان لويجي كابيللو الذي سيكون موضع الحديث الكثير بعد بضعة سنوات بمناسبة كابوريتو (٤٤) عام ١٩١٧ كان برتبة ماجور جنرال قائدا للمنطقة الغربية . وقد كتب الى الجنرال راني في ٢٠ ابريل ١٩١٢ منتقدا هو ايضا بحرارة تاكتيك كانيفا الانتظاري فقال : « هذه الحرب الدفاعية قد انتهت بضمور كل شعور المبادرة والهجوم » وقد يتطلب « وقت طويل بعد الصلح كي نزيل الكثير من الاراء الخاطئة ونعود الى التربية التي تتفق ونظام الحرب الوحيد المؤدي الى النصر » واضاف : « فكرة الدفاع قد خلقت عددا من انبياء » تاكتيك الملائمة « الذين يبشرون في كل ركن من الميادين وفي المخيمات باننا ما دمنا محصنين فمن الضروري انتظار مجيء العدو وليحطم راسه بنفسه وذلك بدون شك اكثر صحة من تاكتيك الهجوم حتى ولو كان قائما على فكرة هجوم استراتيجي » (٤٥) .

---

(٤٢) المصدر المذكور .

(٤٣) .A.C.S المصدر المذكور رقم ٥٢ رسالة بومبيو كاميللو الى بروساني بتاريخ ٢٠ ابريل ١١٩٢ . كتب كاميللو يقول في نفس الرسالة : « منذ بعض الوقت تلقت الايالات الفرسان امرا قاطعا بعدم البحث من العدو واذا ما قابلته لا لا تشترك معه مطلقا في معركة ، لا انوي حقا ان اناقش اوامر لها بالطبع مبرراتها ، غير انه من الطبيعي ان التوصية اليومية « بان يكون الفرسان حذرين » تسيء الى السمع ويؤسف لها قليلا . الفرسان والحذر شيئان يجب ابعادهما عن بعضهما حيث ان فرساننا حذرين في الارض العارية يصبحون فرسانا خائفين » . وقد اشاد كابيللو بشجاعة العرب واقدامهم : « انه امر لا يصدق ويثير الاعجاب في نفس الوقت للشجاعة التي يبديها عشرون او ثلاثون عربي عند ما يهجمون على الخنادق ويموتون وكثيرا ما يتركون احدهم بين الاسلاك الشائكة ومقصه بيده .

(٤٤) انظر لويجي كابيللو ، « لماذا كابوريتو ? » وضعه رينسو دي فليتشي R. De Felice تورينو ١٩٦٧ .

(٤٥) .A.C.S., C.P., b. 1, f. 1 يوجد محفوظ في نفس الملف « يوميات كابيللو عن الحملة الليبية » . وقد ذكرت فيها كافة العمليات العسكرية التي قام بها . لا تكتسب اهمية خاصة سوى من وجهة النظر العسكرية وتفتقر الى ملاحظاته الشخصية .

ويقرأ في مذكرة كتبها الجنرال كابيللو نفسه يحتمل ان تكون في عام ١٩١٣ نقد جديد مفصل لتاكتيك كانيفا وبريكولا الدفاعي .

« ان الحرب قد سيرت في تلك المنطقة (درنة) بطريقة مضحكة !! لا اجد كلمة اخرى اكثر ملائمة . لم يواجهنا ابدا اكثر من ستة او ثمانية الاف رجل اغلبهم غير نظاميين (ربما هذه الارقام ايضا مبالغ فيها) . ولم يكن لدي العدو اكثر من اربعة او ستة مدافع قديمة عيار ٨٧ر٠ مع القليل من الذخيرة الرديئة جدا . وقد وصل عددنا نحن الى ٣٠ الفا رجل مزودين باكثر من خمسين او ستين مدفعا من جميع الاعيرة حتى عيار ١٤٩ من الصلب المطول لا اريد ان اعلق ! (٤٦)

ولا شك انه كانت هناك اسس حقيقية لهذه الانتقادات التي وجهت الى كانيفا غير ان اكثر النقادين الضباط كانوا يفكرون بعقلية دراسات الاستراتيجية التي تلقوها في الكليات العسكرية حيث تعلموا ان سير الحرب او المعركة يوضع حسب النظم التقليدية الخاصة بالحروب الاوروبية . اما في ليبيا فهذه الخطط لا يمكن القيام بها فالحرب قد تحولت الى حرب عصابات بجميع الخدع التي تستعمل في مثل هذا الصراع اضف الى ذلك الاخطار الناتجة عن سوء معرفة المناطق وخاصة تكوين الارض وشدة عداء وشجاعة العدو واخيرا الشك المستمر خلال العمل بان تحت كل عنصر من السكان المحليين قد يختفي عدو قوي .

□◆□

لقد ذكر ان السبب الاساسي الذي من اجله سلك كانيفا تاكتيك الانتظار واستحالة حل الحرب الليبية بالقوة كانت المقاومة التي ابداها السكان المحليون . هذا هو الحدث الجديد المزعج في الحرب الايطالية — التركية الذي فاجاء الراي العام الحكومة والعسكريين وكيف جميع سير الحملة الليبية . ويمكن القول ان مختلف المشاكل المتعلقة بسير الحرب ووضع

(٤٦) المصدر المذكور — مذكرة بعنوان : « دائما في موضوع التلميح » .

ايطاليا الصعب الذي وجدت فيه نفسها في الميدان الديبلوماسي والعـداء
في اغلبه الى الموقف العدائي الذي وقفه العرب ضد الجيش الايطالي . لقد
الشديد الذي ابدته الصحافة الاجنبية ضد الايطاليين ، كل ذلك كان يعود
كانت مقاومة حازمة لا يمكن فهمها علـى ضـوء بعض مظاهرها الا بعقلية
وقياس العالم العربي .

ان قرار الحكومة الايطالية المفاجئ باختصار الوقت واتمام عملية احتلال ليبيا في اخر سبتمبر ١٩١١ لـم يساعد بالتاكيد علـى الاعـداد النفسي والسياسي المناسب لدى سكان الاقطار المراد احتلالها . فان قلق دي سان جوليانو في صدد تحركات الديبلوماسية الالمانية والنمساوية جعل وزيـر الخارجية الايطالية يقلل من الاهمية والدور الذي قد يلعبه العنصر العربي المحلي خلال الحرب . وسبق في رسالة دي سان جوليانو الى جوليتي بتاريخ ٣٠ اغسطس المذكورة ان اظهر عدم تقديره الكامل لاحتمال مقاومة العرب : لقد اكتفى بالافتراض بان الوطنيين سيكونون مع الاقوى وفكرة عطف العرب على الايطاليين كانت منتشرة جدا فـي البلاد وكانت النغمة المتـكررة في مراسلات بفيوني وكوراديني وبياتسا من طرابلس . فحسب اقوال بفيوني ان العرب يرون فـي ايطاليا الدولة « المقدر لها ان تفـعل ببلادهم ما فعلته انكلترا وفرنسا في الشرق والغرب » (٤٧) وكتب قوالتيرو كاستيلليني في ذكرياته عن رحلته في طرابلس وتونس يقول : « العربي والاسرائيلي في

---

(٤٧) جوسيبي بفيوني . المصدر المذكور ص ٢٥ – ٢٤ . سأل بفيوني في نهاية مايو ١٩١١ اعضاء بعثة مفورزا « اذا كان السكان لصالحنا ؟ » فاجابوه :
« انطباعنا هو انه اذا وقع تغيير في النظام فجميع السكان سيكونون في صفنا . سمعنا في مكان ما انهم يفضلون الخنازير على الاتراك – ولعلك تدرك معنى هذه العبارة عند ما تخرج من فم مسلم . فالعرب يرون ان هوية الايطاليين هي بنك روما ، فيتحدثون في كل مكان عن بنك روما وعن مديره بريشاني بعطف واحترام . وقد لقي دقيق مطحن البنك الذي بدا يصل الدواخل نجاحا كبيرا وهو عامل دعاية لا يقدر لو ان الكافالير بريشاني يقرر القيام برحلة للدواخل فسيستقبل استقبالا عظيما في كل مكان كما يستقبل الشريف المنحدر من سلالة محمد » . (المصدر المذكور ص ٩٦) .

هذه البلاد لا يحبون التركي . جميع الاسرائيليين تقريبا يعرفون اللغة الايطالية — والعرب لديهم كراهية متاصلة للاتراك الذين لا يفعلون — كما هو معلوم — اكثر من جبي الضرائب (...) ان العرب قد يرون بفرح حلول دولة تعرف كيف تجلب الازدهار الى بلادهم » (٤٨) ونفس الاعتبارات جاء بها نيكومانتقاتسا في ٢٧ اغسطس ١٩١١ وهو من ابرز المعلقين في السياسة الخارجية وكان يرد على حديث مع صحيفة « جورنالي ديتاليا » فقال : « السكان العرب (...) يكرهون التركي . فمثل ما هو واقع في جزيرة العرب وفي كل مكان يعتبرون التركي مغتصبا . اما العطف فاغلبه موجه نحونا .»(٤٩)

وبعد قليل من ذلك دلت التجربة المباشرة على عدم صحة هذه الاراء التي لم تكن سوى افتراضات بسيطة ووسائل دعائية . فالرصاصات الاولى التي اطلقت من مساكن طرابلس ضد رجال بحريتنا دلت في الحال على مبلغ الصعوبات التي قد يخلقها الوطنيون ضد احتلالنا العسكري . حتى بفيوني نفسه اضطر بعد عام الى تغيير رايه وذلك عندما كتب في صحيفة « لاستامبا » في ٢٧ سبتمبر ١٩١٢ : « كان الجميع يعتقدون منذ عام — باستثناء ربما النائب جوليتي — ان ليبيا قد تحتل دون مجهود عسكري كبير فالمقاومة العربية دمرت جميع التوقعات (...) » (٥٠) .

ومع هذا فلم تغب عن الحكومة معلومات دقيقة عن الحالة المحلية كانت تتطلب ضرورة اعداد يقظ صادق لتجنب المفاجآت . فانساباتو على سبيل المثال لفت نظر جوليتي اكثر من مرة — في تقاريره — عن هذا المظهر من

---

(٤٨) — فوالتيرو كاستيلاني — تونس وطرابلس المصدر المذكور ص ١٩٤ .

(٤٩) نيكو مانتيقاتسا ، « مسائل في السياسة الخارجية » — المصدر المذكور ص ١٢ . بالنسبة للسوابق التاريخية بطرابلس قبل الاحتلال الايطالي — انظر ايتورى روسي — تاريخ طرابلس والقطر الطرابلسي منذ الاحتلال العربي حتى عام ١٩١١ — اشرفت عليه ماريانالينو — روما ١٩٦٨ .

(٥٠) جوسبي بفيولي — ميزانية اثنى عشر شهرا من الحرب — في « لاستامبا » تاريخ ٢٧ سبتمبر ١٩١٢ .

المشكل . فقد كان يرى من الضروري جدا ان تسبق العمل العسكري سياسة تقارب من العنصر المحلي .

« اود فقط ان الاحظ — كتب انسابانو الى جوليتي من طرابلس يوم ٨ اغسطس ١٩١١ — ان اليوم بصورة خاصة تفرض الضرورة علينا ان نصادق السنوسيين ليس من اجل اسباب تجارية وغيرها وانما توقعا لاحتلال ممكن ففي هذه السنوات الاخيرة بالفعل قد تسلح جميع السكان ببرقة ولا يوجد ولد يبلغ الرابعة عشر من عمره الا وفي حوزته بندقية ماوزر او مارتيني (...) فاذا وقع احتلال عسكري قد نجد انفسنا تجاه شعب مسلح اذا ما عادانا قد يجعل الاحتلال اذا لم يكن مستحيلا فعلى الاقل صعبا وداميا » (٥١) .

وفي عشية الحرب لم يفعل الا القليل اولا شيء في سبيل استقطاب ود العرب نحونا . وقد جرت بعض المحاولة خلال الصراع ولكن قد فات الاوان ولم تكن دائما الطرق التي طرقت الافضل واركثر فعالية . وكان كارلو قالي نائب القنصل الايطالي بطرابلس الذي شغل مكان القنصل الجديد ميركاتيللي الذي عين مؤخرا بدلا من بستالوتسا ولكنه لم يكن قد استلم مهام عمله الجديد . قد شغل قالي منصب القنصل بتريستا في عام ١٩٠٥ حتى نهاية يونيو ١٩١١ . وعندما استقبله دي سان جوليانو في انتيكولي يوم ٢٢ يوليو قبل سفره الى محل عمله الجديد دعاه الـى ارسال « اكثر المعلومات الممكنة عن كل شيء » وان يتصرف « بحذر مع التشدد في رعاية مصالحنا » وان يتجنب « مواقف استفزازية » . وبين دي سان جوليانو الى قالي فكرته عن التنظيم الاداري لطرابلس مستقبلا .فقد كان يفكر في انشاء ايالة على غرار تونس يعين على رأسها حسونة باشا قرة مللي رئيس بلدية

(٥١) A. MAI, pos. 103/3 f. 23. كتب انسابانو من طرابلس الى جوليتي مرة اخرى في ١٢ اغسطس يقول : « السنوسيون الذين يسيطرون على برقة سيطرة تامة لهم نفوذ كبير في ولاية طرابلس والاتراك لا يفعلون شيئا الا اذا كان السنوسيون على الاقل غير مهتمين به ، ولهذا فبالنسبة لطرابلس ايضا تفرض علينا الضرورة اكتساب رؤساء الطريقة » (المصدر المذكور) .

طرابلس (٥٢) ووصل كارلو قالي الى طرابلس في ٢٩ يوليو ١٩١١ . وكان من اشد المؤيدين بحماس للحملة الليبية وقد غادر روما يداعبه الامل في ان يكون « آخر قنصل ايطالي لطرابلس » (٥٣) وكانت افكاره السياسية قريبة من القومية من نوع كوراديني وكان بالفعل صديقا لكوراديني وعلى صلة وثيقة به (٥٤) .

ولم يتخلف نائب القنصل الايطالي الامين على تعليمات وزير الخارجية ، عن تحذير وزارة الخارجية في الحال من المقاومة الممكنة التي قد يواجهها الايطاليون من قبل العنصر العربي المحلي — وفي رسالة الى دي سان جوليانو بتاريخ ١٩ اغسطس لاحظ قالي ان « الود والثقة التامة المقتصرة علينا » من قبل العرب في الماضي وذلك بفضل العمل الذي قام به القنصل سكانيليا قبل عشر سنوات « ضاع اغلبه لعدم قيامنا بالعمل الذي كان العرب ينتظرونه بثقة ولترددنا الظاهر في السنوات الماضية ولان السلطات التركية قد فعلت كل ممكن للتقليل من اعتبارنا من جهة ولكسب عطف العرب من جهة اخرى ولكنه اضاف بانه بالرغم من وجود موقف عربي غير ملائم كثيرا للاتراك فانه اذا كان هناك :

« القرار المتخذ للقيام بعمل عسكري (وان وقته المناسب قد يكون في شهر

---

(٥٢) كارلو قالي — المصدر المذكور ص ٥٤٦ وهكذا كتب قالي من دمشق في ٨ يونيو ١٩٢٢الى صديقه السفير ماريو لاقو : « عند ما قرر الماركيز دي سان جوليانو احتلال ليبيا فكر في جعل عائلة قره منلي اسرة حاكمة من طراز الاسرة الحاكمة في تونس (قال لي ذلك قبل ان اسافر الى طرابلس في يوليو ١٩١١ وايضا عند ما حدث في اكتوبر) · لقد كانت خطته جيدة كانت توفر علينا بعض المليارات (المصدر المذكور ص ٤٠٣) .

(٥٣) المذكور ص ٦٩ — ٤٦ — ٥٧ ·

(٥٤) كتب قالي في مذكراته بتاريخ ٢٧ اكتوبر ١٩١١ : « تناول كوراديني وفيدرزوني طعام الافطار معي وكانت نفوسنا مبتهجة — هل يبدأ حقا البعث الذي رجوناه في ١ مارس ١٩١٠ بتكوين الحزب القومي ؟ هل سيحل الغد مسالة الادرياتيك كما تسير الان مسالة البحر الابيض نحو ضمان اكبر ؟ (المصدر المذكور ص ١١٦) ·

اكتوبر حيث الجو المعتدل وحالات البحر لا تزال جيدة) فقد يلزم الشروع فورا في عمل ذكي مع المشائخ والجماهير ـ الذي عن طريق القوة المعنوية والاساليب الحسنة وبعض النصائح والكثير من الاعانات والمساعدات المالية قد يفلح في اقناع النفس العربية بانه عندما يريد الله فان الصحة سوف تاتيهم من ايطاليا وهذا يضمن لنا المساعدة غير المشروطة للجميع او لاغلبية الزعماء المتنفذين (...) .

ويظل اذن ثابتا في نظري ان الصعوبة الوحيدة هـي اكتساب موافقة الزعماء العرب مقدما .

واقترح فالي كوسطاء محتملين لدى الزعماء العرب كل من (..) وبريشاني الذي قد يكون عمله دوما جيدا لان في الامكان دائما التنصل مما يعمل ولا يعرض الحكومة الملكية للمسؤولية « والاثنان على كل حال لا بد ان يعملا تحت ادارة القنصلية » (٥٥) . وبعد بضعة ايام في ٢٩ اغسطس عاد فالي الى الموضوع : « لا داع للحديث عـن ود السنوسية لايطاليا (اعني السنوسيين بطرابلس) . لان العداء نحو التركـي تحدده بصورة رئيسية المبادىء الدينية (...) ولهذا السبب فالعداء قد يكون ضد حكومة مسيحية ممكنة قد تستولى على هذه المناطـق » (٥٦) وعلق القنصل الايطالـي في يومياته على هذه المذكرة المرسلة الى دي سان جوليانو فكتب يقول : « فيما يخص السنوسيين في برقة فان قنصلية بنغازي ستقول رايها ولكنني اعتقد انـه من الصعب ان يكون هذا الراي اليوم مخالفا لرايي واني لاصر على الاعداد السياسـي المحلي » (٥٧) وكان راي بنغازي بالفعل لا يختلف كثيرا عن راي

---

(٥٥) A.S. MAE, Segr. gen., pa. 42, pos. 17a, f. 641 انظر ايضا كارلو فالي . المصدر المذكور ص ٦٠ ـ ٥٨ .

(٥٦) كارلـو فالي ـ المصدر المذكـور ص ٦١ .

(٥٧) المصدر المذكور ص ٦٢٠ ـ بعد ما يقارب من الشهر اي في ٢١ سبتمبر قبل ايـام من انـدلاع الحـرب سأل دي سان جوليانـو عن مقـدار المبلغ الذي قـد يحتاجه فالي ـ (انظـر برقيـة دي سـان جـوليانـو الـى فـالي بتاريـخ ٢١ سبتمبـر ١٩١١

طرابلس ففي يوم ٦ سبتمبر ١٩١١ لاحظ القنصل الايطالي ببنغازي برنباي Bernabei في تقرير بعث به الى دي سان جوليانو قائلا : (٥٨)

« لا شــك ان عناصر المقاومة الاساسية التــي سنواجهــها في حالة الاحتلال هي : القوة العسكرية التركيــة والمساعدة التــي قد يقدمها لها السكان الوطنيون والطريقة السنوسـية التي تستنــد في هذه المنطقة على الرأي العام الاسلامي . (...) ومن المعــروف ان السكان المسلمين ببنغازي ودرنة يعدون اكثر الناس تعصبا في الشمال الافريقي . وليس من المستبعد ان قسما منهم قد يلجا الى السلاح لمساعدة الاتراك في حالة الاحتلال» . (٩٥)

وفي يوم ٢٩ سبتمبر اي في اليوم نفســه الــذي اعلنت فيه الحرب ابلغ تاللي عن وصول باخرة تركية « درنة » محمــلة بالسلاح وشرح بوضوح وبتفاصيل دقيقة الوضع والموقف الذي شرع في اتخاذه العرب قائلا :

« (...) ان مخطط الاتراك هو الانسحاب الى الداخل لصد الحملة وتسليح السكان المستفدين على المناطق الجبلية . وعلى ذلك فان شحنة درنة كانت تنقل بطريقة محمومة الى الداخل ، من المحتمل توزيع السلاح والمــؤن في بنغازي اذا قرر سكان الجبال مساعدة الاتراك في البداية على الاقل » (٦٠) .

(A.C.S., C.G., b. 25, f. 64) واجاب تاللي يوم ٢٣ سبتمبر اي قبل اربعة ايام من ارسال الانذار معتقدا ان مبلغ خمسة الاف ليرة كافيا (انظـر A.S. MAE ــ المصدر المذكور برقيــة تاللي الى دي سان جوليانــو في ٢٣ سبتمبر ١٩١١) وفي شهــر سبتمبر تقرر مكافــاة بريشاني مدير بنك رومــا بطـرابلس بمبلغ ١٥٠ الف ليــرة بغرض تامين « على الاقــل حيــاد العــرب المقيمين هناك (طــرابلس) في حالة قيامنا بحملــة » (المذكــور رسالة بوللبو الى دي سان جوليانــو في ٢٣ سبتمبر ١٩١١) .

(٥٨) وبخصوص نشاط القنصل برنباي في بنغــازي كان حكـم انريكو انساباتو عليه سلبيا اذ اتهمــه بالارتباط بشخص ما يدعى انــه سنوسـي ويستغــل صداقته بالقنصل الايطالي للقيــام بعمليات مشبوهــة مع بنــك رومـــا .
ان سياسـة الاحتيالات والخــداع هذه تهــدد بقطــع علاقاتنا القديمة مــع السنوسيــة بصورة نهائيــة اذا لم تجــدوا لها علاجــا » . (A. MAI, pos. 103/3, f. 23).

(٥٩) A.C.S., C.G., b. 12, f. 10 ــ برقيــة بتاريخ ٦ سبتمبــر ١٩١١ .

(٦٠) A.S. MAE المصدر المذكور برقية تاللي الى دي سان جوليانو ٢٩ سبتمبر ١٩١١ .

ولكن دي سان جوليانو لم يعط ابدا وزنا كبيرا لتوصيات قنصلي طرابلس وبنغازي وهما الوحيدان اللذان كان في استطاعتهما تزويده بمعلومات موثوق بها عن حقيقة الوضع في البلاد . لا شيء قد تم من اجل اعداد الجو الملائم لوصول الحملة الايطالية الى الاراضي المراد احتلالها ، ولم ترسل اية توجيهات الى الممثلين الايطاليين بطرابلس وبنغازي للعمل على التخفيف من شدة مقاومة العنصر المحلي للانزال والتغلغل الايطالي . غير انه عندما بدت المقاومة العربية اكثر اصرارا واخذت تزعج وتجعل الاحتلال اكثر صعوبة ، ارادوا ان يجعلوا من القنصل تاللي كبش الفداء متهمين اياه على ما يبدو بانه لم يقدم معلومات صحيحة عن الوضع المحلي (٦١) . وبعد

---

(٦١) ابرق دي سان جوليانو الى تاللي يوم ٢٤ سبتمبر قبل ثلاثة ايام من ارسال الانذار طالبا منه اذا كان يعتقد انه من المفيد عودة القنصل السابق بستالوتسا . « بالنظر لعلاقاته الشخصية بالزعماء العرب . ومع العلم يواصل دي سان جوليانو كلامه الموجه الى تاللي : انك ستبقى خاصة وانك في هذه الايام قد عززت دائما بثقة الحكومة » . (المصدر المذكور A.S. MAE) حقا ان سلوك وزارة الخارجية في هذه المناسبة يثير الدهشة ــ فقد كانوا يفكرون في اعادة بستالوتسا الى طرابلس لانه على معرفة بالوسط واكثر فائدة بالنسبة للامداد المحلي . فلماذا الان ابدل بغيره قبل شهرين فقط ؟ وماذا كان في استطاعة بستالوتسا ان يفعل في الايام القليلة التي تفصله عن القتال ؟ وهل دي سان جوليانو لا زال يؤمن بقرب الحرب ؟ هذا ما دونه تاللي في يومياته بتاريخ ٢٥ سبتمبر : « من تظن وزارة الخارجية ان اكون ؟ هل يعتقدون انهم يتعاملون مع افراد عادية ؟ ليس لدي سوى فكرة وفرحة : وطني . الباقي مضحك ومسكين ولا يؤثر في . ومع هذا فقد جعلوني امر بفترة من الغضب . وصلت برقيتين سريتين احداهما من الوزير (...) والثانية من كونتاريني Contarini وبالرغم من شعوره الطيب ونواياه الحسنة نحوي ولكنه ضاعف من غضبي اني لا احتاج لتشجيع اي احد كي اعمل واتصرف حتى ضد نفسي ما دام ذلك تامر به روما . يقول لي ان الوزير ابرق لي وقد اعطاه « تاكيدا رسميا من معاني الممتازة ولذلك فان ردي يجب ان يستوحى من اعتبارات المصلحة الوطنية فقط دون النظر الى الطموحات الرسمية الصغيرة » وينهي كلامه مؤكدا ان الجميع يثقون بي وغير ذلك . اجيب في الحال . مع الافتراض ان بستالوتسا لديه صلات بالزعماء العرب فهو يتحدث بدون مترجم وغير ذلك ولكن قد يكون لديه القليل من الوقت للقيام بمهمته . اؤكد بقوة وفخر صميم ان « لدي الثقة في المستمرة » (...) وبعد التاكيد ان الوزير وحده لديه العناصر لاتخاذ قرار

ايام قليلة من الانزال في طرابلس ارسل قاللي من جديد كقنصل بتريستا (٦٢) وقد دفع عن نفسه هذه الاتهامات في رسالة الى الكونت بيرفوسكاري بتاريخ ٢٥ نوفمبر ١٩١٢ . وعلى ضوء الوثائق المدروسة فان هذا الدفاع يبدو لا فائدة منه غير انه يقدم لنا على كل حال عناصر جديدة لتقييم بعض مظاهر الاستعداد للحرب الليبية . وقد وصل قاللي الى طرابلس يوم ٢٩ يوليو ١٩١١ وقد استلم المكتب من الترجمان (قوأس) سمان الذي غادر طرابلس في ٢٠ اغسطس وعاد اليها يوم ٢٦ سبتمبر قبل الانزال بايام قليلة. واقام قاللي قرابة شهر في طرابلس بمفرده في ادق وقت من الاعداد للفترة التي كان يجب فيها ابلاغ الحكومة بكل دقائق الوضع المحلي وقد تغيب عن طرابلس في تلك الفترة ايضا ممثلا بنك روما بريشاني وبالداري وهما شخصيتان بالنسبة لنشاطهما على معرفة عميقة بالوضع المحلي ان من يعرفني — كتب قاللي في رسالته الى الكونت فوسكاري — قد يفترض بالعكس اني قد ارى الحالة في موقعها الصحيح : انه كانت تنقصنا الاستعدادات العامة والتفصيلية وانه كان يجب القيام بعملية جس نبض وكان يجب ازالة الاتراك من الطريق في اقرب وقت والتصرف بصورة مفاجاة وسريعة بحيث تحول دون الاتراك والتاثير على العرب ودون توزيع الاسلحة عليهم (...) فحتى ولو انني قدمت معلومات ملائمة عن العرب وربما اقترحت تدابير عسكرية غير مناسبة فهذا يبرر شهرا من التردد وعدم البت لا غير . فاذا كان نتيجة لاخطاء الغير

انهيت كلامي بهذا التاكيد : فيما يخصني ساكون دوما سعيدا لا تنازل لا من الطموحات السخيفة التي لا افهمها وانما من حياتي ايضا من اجل مصلحة بلادي » (كارلو قاللي المصدر المذكور ص ٨٠) .

(٦٢) لدى وصول الحاكم بوريا ريتشي في ٥ اكتوبر عين قاللي رئيسا للشؤون المدنية . وعاد الى روما في نهاية اكتوبر واستقبله دي سان جوليانو وجوليتي يوم ٣ نوفمبر حيث اقترحا عليه العودة الى طرابلس « مرتبطا فقط بصورة مباشرة بوزارة الخارجية وان تكون اتصالاته بها « بالرموز » وقد رفض قاللي المنصب بحجة انه يجعل منه سحابا ستارا على ان رسالته لا تنشر وسيكون بالعكس معرضا لجميع الانتقادات وهجومات القيادة التي لن يتمكن ابدا من الدفاع عن نفسه ضدها » . (كارلو قاللي المصدر المذكور ص ١٢٩) .

المحطة يراد وضع اساس لعمل لاحق معيب فان قاعدة تبريره ضيقة جدا ويجب البحث عن غيرها . وهذه ليست مهمتي » (٦٣) .

فاذا كانت هناك اخطاء في سلوك تاللي فان جزءا منها فقط ينسب اليه وهو القليل الخبرة بالمشاكل الافريقية وقد اضطر الى قبول منصب ذي اهمية خاصة في تلك الفترة ولم يكن ينصت الى طلباته واقتراحاته . وقد اعطى لويجي بارزيني مراسل « كوريري ديلاسيرا » من طرابلس صورة واضحة عن الوضع والاخطاء التي ارتكبت لا خلال فترة الاعداد بل خلال العلاقات اللاحقة بالعنصر العربي بعد انفجار الحرب وذلك في رسالة واضحة بعث بها في نهاية عام ١٩١١ الى لويجي البرتيني جاء فيها :

« لقد جئنا هنا — دون ان نعد الوسط ودون ان نعد انفسنا . فعندما ارتسم الوضع الذي كان يجب ان يقودنا الى طرابلس كان يجب ارسال قنصل بارع جدا ومتعمق في معرفة الشرق مثل كارليتي (٦٤) . (...) ولكن بدلا من ذلك ارسل تاللي وتقذف به من تريستا بحجة انه صارم ومغرور وعصبي وجاهل بشؤون البلاد (٦٥) . ان قنصلا يكلف بمثل هذه المهام يجب قبل كل شيء ان يزود بالذهب . يجب ان يصرف قليلا اولا بدلا من ان يضطر الى ان يصرف كثيرا فيما بعد . وقد وجدت تاللي قلقا جدا . سألته فقط كم مئات الالاف من الليرات الذهبية قد صرح له بصرفها لكي يشتري على الاقل

---

(٦٣) المصدر المذكور ص ٤٠٠ — ٣٩٧ وقد اعترف نفس جوليتي : « ان تقارير قناصلنا وانكر من ضمنهم تاللي وهو يحكم على الامور بعقل وخبير بمعرفة اولئك السكان فلم يخلقوا ابدا في هذا الصدد اوهاما » (جوفاني جوليتي — مذكرات حياتي . المصدر المذكور ص ٢٣٨) .

(٦٤) توماسوكارليتي T. Carletti كان حاكما للصومال منذ عام ١٩٠٨ .

(٦٥) وكان حكم انسابانو على تاللي ايجابيا . فكتب الى جوليتي من طرابلس يوم ١٢ اغسطس ١٩١١ فلاحظ : « ان القنصل تاللي بالرغم من انه جديد على البلاد قد بدا لي شديد الذكاء وراغبا في تفهم الوضع ويبدو من كلامه شعوره الوطني الذي اكسبه عطف الجالية الايطالية » (A. MAI, pos. 103/3, f. 23)

الزعماء العرب القريبين . لقد اذن له بصرف كلمات جميلة . وبهذا الاعداد نزلنا الى الشاطىء (٦٦) .

والشخصية العربية التي كان يجب ان يوجه نحوها النشاط الفعال هي شخصية حسونة باشا رئيس بلدية طرابلس منذ اثني عشر سنة وهو محبوب ومحترم في جميع الولاية لدرجة انه لا يوجد زعيم عربي يحظى بهذا النفوذ الواسع بكل تاكيد المعترف به من الجميع » (٦٧) . كان في السابق مديرا للعزيزية لما يقارب الخمس سنوات ثم قائمقام بمسلاتة ومصراتة وغريان لمدة ثمان سنوات . كان يعتبر الاتراك مغتصبين لحقه ويتهلف الى يوم استعادة هذا الحق فلم يقدم اي تعهد رسمي او اية خطوة رسمية لحسونة باشا الذي كان في منتصف شهر سبتمبر يزداد انجذابا نحو فلك لجنة « الاتحاد والترقي » منتقلا ببطء نحو موقف التاييد للاتراك ــ وكتب كارلو قاللي في يومياته بتاريخ ٢٢ سبتمبر ما يلي :

« اعتقد انه (اي حسونة باشا) ينتظر كلمة من جهتنا (..) لا يجب الانتظار للشروع في ذلك العمل الذي طلبته من روما . فكل يوم يضيع يتطلب فيما بعد عملا اعظم واصعب . وقد نتساءل ايضا هل سنتحصل من حسونة باشا ان يعود الى الوراء في الطريق التي قطعها حتى الان واذا فرضنا انه قبل فهل سيكون في استطاعته ان يجذب اليه بقية الزعماء وهل ستخضع الجماهير لنفوذه ؟ » (٦٨) .

---

(٦٦) لويجي البرتيني ــ رسائل ــ المصدر المذكور مجلد ١ ص ٧٤ .

(٦٧) كارلو تقللي ــ المصدر المذكور ص ٦٤ . قاللي يقدم لنا هذه الصورة من حسونة باشا : « مظهره شموخ ونبيل جدا ذو نظرة عميقة وذكية في اعماقها الطيبة الاكيدة » (المصدر المذكور) .

(٦٨) المصدر المذكور ص ٧٦ ــ ان هذه الفقرة من يوميات قاللي تعكس ما كان نائب القنصل قد ابلغه الى روما في ٢٣ سبتمبر ١٩١١ . « بخصوص مسلك العرب الاكثر اهمية اكرر انهم تدريجيا راضون ام مكرهون ستستقطبهم لجنة « الاتحاد والترقي » وقد سلك حسونة باشا في الايام الاولى للاجتماعات سلوكا غير واضح كثيرا وكان في الامكان تسييره حتى يلتحق لصالحنا . وزاد فيما بعد تدريجيا من موقفه

وفي الخلاصة فان الاقتناع الخاطىء بان العربي قد يقف متفرجا ، بل قد يساعد الجيش الايطالي وعدم الاخذ بعين الاعتبار اقتراحات الممثلين الايطاليين في طرابلس وبنغازي هي في اغلبها اساس الصعوبات المقبلة التي واجهها سير الحرب وخاصة اذا ما ذكرنا ان الصراع من اجل اخضاع سكان الدواخل العرب قد دام عشرين سنة حتى نهاية عام ١٩٣١ . لقد ارادوا ان يتركوا كل شيء للستراتيجية العسكرية كما لو كان الامر يتعلق بحرب من نوع أوروبي في حين انهم ساروا لمواجهة حرب من نوع مختلف حيث انه من الضروري كما لاحظ لويجي بارزيني « العمل على ان تحل المعارك تلك الصعوبات التي لم يكن في الامكان حلها بغير هذه الطريقة . فالقتال هو الاسلوب الاكثر تكاليفا والابطء في النصر » (٦٩) .

ويكمن الخطا الرئيسي في عدم تفهم العقلية العربية والحكم عليهم عن طريقة العقلية الاوروبية وعدم دراسة النظام الاجتماعي لتلك الشعوب وجهل اسماء وقوة وسلطة كل زعيم . وفي الذهاب اليهم بالابتسامة والصداقة دون معرفة طبعهم الساذج والمتشكك والمتهيب واعتبارهم كسكان فقط دون العلم « بان السكان في البلاد العربية هم عبارة عن مواد حرب » (٧٠) .

وقد كانت هناك دلائل على شعور العرب المعادي للايطاليين قبل الانزال وبعده . فتصرف الاتراك جاء في وقته المناسب ـ فالصحافة المحلية مثلا

المؤيد للاتراك : انا اعتقد انه كان ينتظر كلمة منا وحيث ان هذه الكلمة لم تصله فقد يعتقد رعاية لمصالحه ان الامر حتى في هذه المرة ليس الا حركة الصحافة وحدها دون ان تتبعها الحكومة • وبما ان سعادتكم تطلبون معرفة نية المبلغ الاول الذي قد احتاج اليه للشروع في العمل المذكور في تقاريري السابقة (انظر مذكرة رقم ٥٧) فاعتقد من المفيد عدم تاخير الشروع في هذا العمل لان كل يوم يمر يتطلب فيما بعد عملا اكبر واصعب . وقد نتساءل ايضا هل سنحصل من حصونة باشا على ان يعود الى الوراء في الطريق التي تعلمها حتى الان • واذا فرضنا انه قبل فهل سيكون في استطاعته ان يجذب اليه بقية الزعماء وهل ستخضع الجماهير لنفوذه ! » (المصدر المذكور ،A.S. MAE).

(٦٩) لويجي البرتيني ـ المصدر المذكور ص ٤١ •

(٧٠) المصدر المذكور ص ٤٢ .

ازداد عنفها في شهر سبتمبر خاصة في طرابلس مستفزة العرب بعبارات تؤثر على مشاعرهم « ايها العرب ــ كتبت احدى الصحف الطرابلسية ــ انتم الذين حكمتم نصف الاراضي الايطالية فهل تسمحون لابناء عبيدكم ان يكونوا سادتكم » وايضا « دعوا ايطاليا تستولى على بلادكم وسترون كيف ستنتزع اموالكم وتجردكم من اراضيكم وتجند ابناءكم . كيف يمكنكم ان تعيشوا معا انتم المسلمون وهم الكلاب ؟ (٧١) وعندما وصلت الباخرة درنة قادمة من طرابلس بشحنة من الاسلحة فبالرغم من عدم حدوث مظاهرات صاخبة فقد لوحظ ان اشخاصا من جميع الطبقات كانوا يساعدون الجنود بدون مقابل في تفريغ الباخرة : وضرب الوجهاء المثل على ولائهم بنقل بعض الصناديق على اكتافهم (٧٢) . وفي ٣٠ سبتمبر شرع في تكوين « كتائب المتطوعين » في كل البلاد . ولعب الاتراك لعبة جيدة بوجودهم الارض الصالحة لاغراضهم . ففي الزنتان على سبيل المثال كان بعض المتعصبين يطوفون بطبل كبير في البلاد طالبين جميع الرجال القادرين على السلاح وكان نتيجة ذلك ان سافر خمسمائة او ستمائة مقاتل الى غريان والعزيزية » (٧٣) .

فالاحتلالات والانزالات الاولى الايطالية تمت في جو من البرود وعدم المبالاة اذا لم يقم الوطنيون بعداء واضح . فلدى نزول القوات الايطالية الى طبرق يوم ٤ اكتوبر كان هناك « فراغا » وقد اكد احد الضباط الذين وصلوا مع الطليعة الايطالية بعد النزول في طرابلس : « انه في يوم النزول من الباخرة فيرونا يوم ١١ اكتوبر كان موقف السكان وخاصة الاعيان مطبوعا بالبرود ، كان اغلبهم جالسين حول الموائد في المقاهي متظاهرين بعدم المبالاة اطلاقا بما يقع حولهم . ان المقابلة الودية المرحة التي ابرق بها الصحافيون كانت كذبة وطنية » وهذا ما لاحظته القيادة التي كانت تجتاز المدينة اربعة

---

(٧١) وزارة الحربية « حملة ليبيا » المصدر المذكور مجلد ١ ملحق : مذكرة ١ : انباء ووثائق من ميدان المصدر ص ٢٢٢ .

(٧٢) المصدر المذكور ص ٢٣ ــ ٢٢٢ .

(٧٣) المصدر المذكور ص ٢٢٩ .

مرات في اليوم قادمة من الباخرة وعائدة اليها لتناول وجبات الطعام والاستراحة من يوم ١٢ الى ١٩ اكتوبر لاحظت تعمد العرب الذين تغص بهم المقاهي في عدم الاهتمام (٧٤) .

ولم تقتصر المقاومة العربية على طرابلس وبرقة وحدهما . فبفضل التضامن العنصري والديني الذي يربط بين الشعوب العربية ولبراعة الاتراك في اثارة هذه الحالة النفسية فان ردود الفعل كانت حادة في جميع ارجاء العالم الاسلامي . لقد استطاع الاتراك تجنيد عناصر حتى من البلاد الاخرى الخاضعة لسلطانهم مثل اليمن حيث تضامنت اغلب القبائل مع الباب العالي (٧٥) . وحدثت في المستعمرات الايطالية بعض حوادث عداء . ففي اسمرة مثلا انتقدت الصحيفة العربية المحلية « المؤيد » في عددها الصادر في ٢١فبراير ١٩١٢ انتقدت بعنف تشكيل الكتائب الوطنية التي قامت بها السلطات الايطالية من اجل ارسالها الى ليبيا :

« ان هذهالحكومة الايطالية الماكرة ورجالها قد داست علىالقوانين الدولية وفكرت في ارسال مسلمين لمقاتلة اخوانهم المسلمين لفك الرابطة الاسلامية، ولزرع الفتنة والحقد والعداء بينهم . كل ذلك لمصلحة ايطاليا ولتسهيل عمليتها . (...) يا اخوان ثقوا بالله ولا ترضخوا لاوامر العدو الموحش الماكر » . (٧٦)

وفي مصر ايضا ــ لاحظ الوكيل الديبلوماسي الايطالي بالقاهرة قريماني

---

(٧٤) المصدر المذكور ص ٢٢٠ .

(٧٥) ابرق الحاكم الايطالي في ارتيريا روببولوا الى دي سان جوليانو في ٢١ نوفمبر ١٩١١ قائلا ان الاتراك استعملوا جميع الوسائل لاثارة تعصب السكان وايهامهم بان ايطاليا قد اعلنت الحرب ضد الاسلام ، انيان يحيا ومشائخ قبائل كبار اخرين قد عرضوا خدماتهم ووضعوا تحت تصرف الحكومة الاف العرب بالاضافة الى الالاف الكثيرة التي ترسلها السلطات المحلية الى الساحل لتعزيز الكتيبة التركية » .(A. MAI, pos. 104/1, f. 8)

(٧٦) المصدر المذكور f. 5.

Grimani — كانت الصحف العربية المصرية « جميعها معادية » للعمليات الايطالية في طرابلس (٧٧) .

وعندما توجه الاميرال بوريا ريتشي يوم ٧ اكتوبر ١٩١١ في ندائه بكلمات ابوية الى « السكان الاعزاء » والى السكان الكرام » والى السكان النبلاء » والى السكان المحترمين داعيا لهم ان يهتفوا مع اخوانهم من ايطاليا : « يحيا الملك وتحيا ايطاليا » (٧٨) فلم يكن الاميرال يعرف ان كلامه سيضيع في الهواء لان فكرة السلطة السيادية كانت مجهولة في مجتمع قائم على اسس اقطاعية يحكم فيها شيخ القبيلة .

« كتب بارزيني ايضا : لقد استعملنا وسائل الاقناع التي قد نستعملها في اي مقاطعة ايطالية سهلة لخلق تيار راي عام . ولكن لا فائدة مع العرب في الحصول على اثر نتيجة للبلاغات الملصقة في الزوايا والاعتماد على الحسنات العامة وعلى ما يسمى ببلاغة الوقائع » (٧٩) .

وقد ارتكب خطا اخر ضد الوطنيين غداة الانزال وذلك بنشر سلسلة من

---

(٧٧) المصدر المذكور — برقية بتاريخ ١٤ ابيل ١٩١٢ . « في جميع مصر — كتب ج . منشه » سوري ذو احساس ايطالي « يعمل كرجل ثقة بالقنصلية الايطالية بالقاهرة — المبالغ التي اكتتب بها بلغت مليون وتسعمائة وخمسين الف فرنك فرنسي بما في ذلك الخمسة وخمسين الف فرنك التي ارسلها برقيا عزت باشا وكيل وزارة الحربية بمصر باسمه واسم عائلته (A.S. MAE, Segr. gen., pa. 43 pos. 17, f. 644) وتقرير منشه ارسله الى روما نائب القنصل بالقاهرة دولفيني يوم ٢٨ اكتوبر ١٩١١) وكتبت صحيفة « اللواء » في شهر اكتوبر « ان ملك ايطاليا كان يقود جيشه وامته على طريق العار والقرصنة » وفيما يتعلق بسير الحرب كتبت الجريدة ان الشجاعة التي يبديها ملك ايطاليا تدل على انه ليس الا مهرجا (انظر « لا بورص اجيسيان » الصادرة بالاسكندرية في ١١ اكتوبر ١٩١١) .

(٧٨) انظر نص برنامج بوريا ريتشي في « مجموعة للوثائق للنظام المؤقت لطرابلس وبرقة » قيادة الحملة في طرابلس وبرقة ، طرابلس ١٩١٢ ص ٢٩ — ٢٨ وقد نشرناها في (الملحق رقم (٥) .

(٧٩) لويجي البرتيني المصدر المذكور ص ٤٣

التدابير الغير مناسبة والغير صالحة التي ساهمت في القضاء على عطف ذلك الجزء من السكان المحليين الذين ربما كانوا ينتظرون بثقة وصول القوات الايطالية — كانت اخطاء تعزى ايضا الى عدم المقدرة على تفهم النفسية والتقاليد والتكوين السياسي والاجتماعي لهذا الشعب العريق الاصيل (٨٠) .

وقد عين الجنرال كانيفا قائد الحملة في يوم ١٣ اكتوبر ١٩١١ حاكما عسكريا. «جنرال يعرف افريقيا — كتب بارزيني — افريقيا هذه كما اعرف انا باتاقونيا » (٨١) . لقد كان من الخطا الاعتقاد انه من الضروري لطرابلس اقامة حكومة عسكرية في حين انه كان من اللازم — كما لاحظ كارلو تاللي من جديد في رسالته الى ماريو لاقو بتاريخ ٢٢ اكتوبر — « عمل عسكري وحكومة مدنية » (٨٢) ان ليبيا لم تكن في حاجة لتحتل وانما لتكتسب نحو ايطاليا . لقد حاولوا ان يغيروا النظام الاداري القائم منذ قرون الذي لم يجرا الاتراك على مسه . فلم يعترف بسلطة المدير ومشائخ القبائل الذين كان لديهم سلطان مطلق على اناسهم (٨٣) . ففي الاسبوع الاول من الاحتلال وصل

---

(٨٠) « لقد دخلت في اللعبة — كما لاحظ فولبي — جميع البواعث المعقدة الانسانية متاخرة جدا ولكن غير متوحشة متاثرة جدا بمطالب دينها وتستطيع ان تشعر بشعور لنة كانت خامدة تحت الرماد ، والان بعثت فيها الحياة ايضا بفعل المعاملة الجديدة للنكبة التي مارسها الضباط الاتراك نحو العرب والبربر وهذه الانسانية ظلت دوما بالنسبة لنا غامضة اللهم الا بعض المعلومات السطحية السريعة التي كوناها من بعض الاعيان الذين اكتسبوا تقريبا الصبغة الاوروبية . منذ عشر سنوات كانت ايطاليا والحكومة الايطالية تبعدان مسالة طرابلس ولا يبدو انهما اعتنا بدراسة تلك البلاد ونفسها وحياتها الدينية وجمعياتها السرية والطرق الاسلامية المتعصبة والسنوسية والمدنية والقادرية والسعيدية وغيرها التي بزواياها في طرابلس وفي مواقع اخرى من طرابلس وبرقة كانت تخلق روابط واسعة وغامضة وقوات مقاومة قوية (جولكينو فولبي المصدر المذكور ص ٦٧) .

(٨١) لويجي البرتيني — المصدر المذكور مجلد ١ ص ٧٥ .

(٨٢) كارلو تاللي — المصدر المذكور ص ١١٥ .

(٨٣) « كتب بارزيني ايضا ان المديرين كانوا يرسلون من ضابط مترجم الى مترجم ضابط فثبت احدهم في منصبه بوعود طيبة وطلب من الاخرين ان يعودوا فيما بعد . يا عزيزي البرتيني كان في الامكان شراء جميع طرابلس بمليونين او ثلاثة ملايين

المشائخ العرب الى طرابلس منتظرين التعيينات والنقود والمكافاة المادية والمعنوية ولكنهم لم يتحصلوا على شيء وعادوا خائبين . والمفتي وهو اكبر سلطة دينية محمدية في طرابلس انتظر سدى خلال زيارته الى بوريا ريتشي وكانيفا الاعتراف المناسب لدرجته . « وقد ظل يتسكع هو ايضا منسيا في المدينة حتى اختفى ذات يوم دون ان يثير اختفاؤه اي اثر في السلطات» (٨٤) اذا كانت الحرب التي قادها العرب ضد الجيش الايطالي كانت حربا دينية ايضا فان اهمال المفتي كان من الاسباب الجديرة بالاهتمام .

فالزعماء العرب — في الخلاصة — ومن بينهم حتى اولئك الاحسن استعدادا (نحو ايطاليا) قد راوا انفسهم مخلوعين ومجردين من سلطتهم واعتقدوا ان وجودهم الى جانب الاتراك اكثر امنا وحماية واحتراما واستغل الاتراك الفرصة فاعطوهم السلطة والشرف والمال (٨٥) . وقد كتب الفيلد مارشال الالماني فون درقولتس Von Der Goltz على مجلة نيوز فرايه بريسي Neue Freie Presse في شهر يوليو ١٩١٢ ما يلي مثيرا بذلك استنكار صحيفة « جورنالي ديتاليا » : لا يجب ان نتغاضى عن السمو الذي اكتسبه

ليرة • كان على اولئك المحيرين ان يعودوا الى قبائلهم ومعهم فرمان التنصيب بالحروف العربية الهيروغليفية الضخمة وقد عينهم سلطان ليطاليا (حماه الله) موظفين وقد حملوا معهم الهدايا وراتب عام بالعملة الذهبية علاوة عن وعود بخيرات اخرى • كان يجب ان يصمتوا لقدومنا لكان يجب ان يحضر الزعماء الكبار وكان في الامكان في هذا الوقت ان يكون للحاكم موكب من عظماء قران وغدامس مثل نائب الملك بالهند وهو في موكب الراجات والمهراجات • وهل من الممكن انفاق المال الايطالي فيما هو خير من ذلك ؟ اي حكومة قد تسمح بهذا ؟ واي ديوان محاسبة قد يوافق عليه ؟ لم يفهم احد الموضع وحتى ولو فهمه فاي حاكم ايطالي يشعر بانه مصرح له بصرف ملايين هكذا ؟ واي بند بالميزانية قد يحتمل مصرفا غير دستوري كهذا ؟ لما صرف مئتين او ثلاث مئة مليون ليرة في حرب صعبة كهذا نعم • وصرف مليونين او ثلاثة لانهاء الحرب والاستيلاء على ارض كهذا مستحيل وغير معقول (لويجي البرتيني — المصدر المذكور مجلد ١ ص ٧٦ — ٧٥) •

(٨٤) لويجي البرتيني — عشرون عاما من الحياة السياسية — المصدر المذكور قسم ١ مجلد ٢ ص ١٢٨ •

(٨٥) انظر لويجي البرتيني — رسائل — المصدر المذكور مجلد ١ ص ٤٧ .

الضمير العربي بفضل مقاومته الذاتية وحسب انباء مؤكدة جدا قد تمكن الضباط الاتراك من غرس النظام والطاعة والثقافة العسكرية الاوروبية الى حد ما بين الجماهير العربية » (٨٦) وكتب الجنرال ترومبي Trombi المكلف بقيادة منطقة درنة من جهته وبشيء من الدهشة الى الجنرال بروساتي في ٢٣ ديسمبر ١٩١١ ما يلي : « الاتراك يدفعون الى البادية بسخاء وقرروا مخصصات يومية ثابتة للبادية المجندين ويعدونهم دائما بوصول امدادات جديدة تضم اسلحة ومدافع » (٨٧) .

فهذا النجاح الذي حققه الاتراك لدي العرب الغير منتظر ربما قد انعش وشجع السلطات العسكرية والسياسية العثمانية ــ وكما لاحظ البارون

---

(٨٦) « تشيع الفيلد مارشال فون ديرغولتس لتركيا . سلوك لا يحتمل لقائد حليف » نشر في صحيفة « جورنالي ديتاليا » في ٣ يوليو ١٩١٢ . انظر ايضا الدو براندينى مالفيتسي Aldobrandino Malvezzi « ايطاليا والاسلام في ليبيا ــ فلورنس ــ ميلانو ١٩١٣ ص ٢٢٧ .

(٨٧) A.C.S., A.B., sc. 9, f. VI. 2. 34, nº 18 كان الاتراك يعطون المجاهدين العرب « مرتبا شهريا بما قيمته ١٠٫٨٠ ليرة ايطالية وجراية يومية قدرها كيلو من الدقيق و ١٥ جراما من الزيت ــ وكان اولئك الذين يقومون باعمال خاصة مثل نقل المياه والجرحى والموتى وغيره لهم علاوة ، ويبدو ان الجرحى كانوا يعطون مجيدي فضة (٤٫٢٥ ليرات) ومن يفقد جواده يدفع له ثمنه حسب تقدير لجنة خاصة (...) ولم تكن مقبلات المقاتلين تتقاضى شيئا في اول الامر ولكن فيما بعد عند ما غدت حالة الاسواق حرجة والبؤس مطلق قدمت لهم مساعدات دورية من الدقيق في كل خمسة عشر يوما والبعض كان يحصل على جوالا في الشهر والبعض يقول انه يعطي للجميع راتب شهري قدره عشر ليرات وليرة تركية لاقارب كل شخص مات في الحرب » (وزارة الحربية « حملة ليبيا » المصدر المذكور مجلد ١ ص ٢١٥) وحسب راي خديوي مصر فان : « وجود القوات العثمانية وامداد الضباط الاتراك البارع الذين لم يتركوا اية وسيلة او اكذوبة لاقناع القبائل ان ايطاليا ترمي فقط الى تحطيمهم وتحطيم دينهم ومعتقداتهم هو الذي ساهم في المحافظة على موقفهم العدائي . وان هذا الموقف سينتهي عند ما ستتحرر البلاد من الجيش العثماني وذلك دون امكانية حدوث تغير في مشاعر العرب نحونا وخاصة البدو المتمسكون جدا باستقلالهم وهم ينفرون من اي سيطرة اجنبية سواء كانت عثمانية ام ايطالية بحيث لا يكن فهرهم باية وسيلة اخرى سوى الخوف ومواجهة قوة تستحيل مقاومتها » (A.S. MAE, Segr. gen., pa. 43, pos 17 d, f. 644) رسالة ترياني الى دي سان جوليانو) من القاهرة في ٢٩ اكتوبر ١٩١١ .

مارشـال في حديث له مع السفير بانسا في مايو ١٩١٢ بان « امال الاتراك في دفاع فعال قد انتعشت بمساعدة العنصر العربي . فان اولـئك الوطنيين الذين كانوا يكنون العداء للاتراك بصفتهم ممثلي السلطة والضرائب البغيضة قد ثاروا ضد المحتل نتيجة للتعصب الديني ولعمليات الاثـارة البارعة . والنتيجة هي ان مسالة طرابلس اصبحت مسالة اسلامية لا تستطيع الحكومة حتى ولو ارادت ذلك ان تتساهل والا فانها تقوم بعملية انتحارية » (٨٨) .

والحكومة الايطالية بـدورها وقد قررت ان طرابلس « ولايـة » ايطالية حاولت ان تطبق في الحال نظام الضرائب والادارة السائد في ايطاليا على الاراضي المحتلة وادخال حياة البلاد المحلية كلها في النظام البيروقراطي ، مكررة بذلك ما حدث غداة الوحدة — مع الفوارق اللازمة طبعا — من اخطاء في طبع الجنوب بالطابع البيونتي . وعاد من جديد بارزيني — ببعض الحدة المعادية لجوليتي وبموقف جلي مفرط يقدم صـورة للحالة التي خلقت في طرابلس غداة وصول الايطاليين : « فبعد اتخاذ القرار الرسمي بانها ولاية وبعد طرد حـونة باشا امير القره منلى المسكين بركلة بعد ان وعدناه بتنصيبه بايا ، فقد تدخل جوليتي بصورة مباشرة لتطبيق البيروقراطية في طرابلس بشكل غريب. فكان غزوا من الموظفين . فهذا الاشبر من الارض المحتلة يحكمه النبوغ الاستعماري لرؤساء الاقسام ورؤساء الادارات — فقد تمركزت المكتبية في كل مكان حتى في القيادة وفي رئاسة الاركان بكل ما تحمل من غباء وغرور وهـوس الاوراق المسطرة . ولا يوجـد من بين هؤلاء الكومندتورية (لقب شرفي) (باستثناء ربما السيد موتا ،) من لديه فكرة عملية او يعرف العالم قليلا . ان مثلهم الاعلى هو في انشاء مكاتب — فقد اصبحت لدينا دوائـر احتكار التبغ والملح (الوداع ايتها السجاير المعادية اللذيذة) ومكتب للتوثيق

---

(٨٨) A.S. MAE. Gab. 1912,pa. 25» اعتراف بالسيادة الايطالية على طـرابلس وبرقـة » رسالة من بانسا الى دي سان جوليانو من برلين في ١٨ مايـو ١٩١٢ .

والتسجيل وادارة مالية . فايطاليا الثالثة انتقلت الى هنا بجميع امجادها الهامشية — ووصل الامر الى ارسال موظف من وزارة الخارجية على عجل لينظم ... بلديات برقة . وقد الغى هذا الامر بالطبع لان لم يجد حتى الطريق » . (٨٩)

كل ذلك كان كثيرا ما يتسبب في احداث : « غريبة مضحكة ومؤسفة كانت تزيد من ريبة وشك العرب في قوات الاحتلال (٩٠) .

وحاولت السلطات العسكرية الايطالية ان تستند على اليهود الذين كانوا دوما — حسب شهادة بارزيني يستغلون الظروف لاعدام « جميع دائنيهم العرب » (٩١) .

وعندما تحول فيما بعد الشك والريبة الى حرب علنية تفجرت يوم ٢٣ اكتوبر المأسوي يوم قتال شارع الشاطىء حيث ادى هجوم عربي تركي الى مصرع ثمانية ضباط و ٣٧٠ جنديا وجرح ١٣ ضابطا و ١١٢ جنديا (٩٢) .

---

(٨٩) لويجي البرتيلي المصدر المذكور مجلد ١ ص ٧٨ — ٧٧ .

(٩٠) وكتب بارزيني ايضا الى البرتيني : « (...) لقد لمست ادارة الشرطة وهي تحتاج لانتشار . ورجل الشرطة من عادته ان لا يالف اللغة الايطالية ولا يفهم العربية ويشتبه عليه الامر فيظن أن مساومات السوق الصاخبة انها مشاجرات او اجتماعات معادية ولذا فيقبض على الناس بصرامة ويحل الاتفاقيات باشارة آمرة . وفي صمت ودهشة ينتظر الطرفان اللذان كانا يتعاقدان انصراف هذا الرجل ذي البزة السوداء لكي يعودا الى مفاوضاتهما ، ولكنه يدرك نواياهم في العودة الى التشاجر وبحركة اخرى بليغة يامرهم بالانتشار . وتظل الاتفاقيات المعلقة تسير في صف طويل . وقد اتت الشرطة بمجموعة من الاطفال العرب وهم بملابس العيد لانهم كانوا يقومون برقصة تقليدية وهي عبارة من تمهيد لحفلات احد الاولياء والتهمة الموجهة للاطفال ان عددهم يتجاوز العدد الشرعي للاشخاص المسموح لهم بالاجتماع وفقا للاحكام العرفية — فالسكوت والطاعة اللتان نويل بهما كل عمل من اعمالنا لا يجب ان تخدعنا » (المصدر المذكور ص ٥٨) .

(٩١) راجع رسالة بارزيني بتاريخ ٤ نوفمبر ١٩١١ (المذكور ص ٣٦) .

(٩٢) هذه الارقام توجد في كتاب بومبيليو سكياريني Pompilio Schiarini « الجندي الايطالي في ليبيا (١٩١٢ — ١٩١١) » روما ١٩١٤ ص ٩٨ .

فقد عاد شبح دونللي وعـدوه الى الاطلال من جديد . فالـجميع اذ ذاك في ايطاليا والجبهة تحدثوا عن « خيانة العرب » وهذا الموقف كان يعكس الدهشة التي وقعت لدى الراي العام الايطالي عندما علـم ان الاصدقاء « العرب قد تجاسروا على مهاجمة الايطالي » . أما اولئك الذين كانوا يرون الحرب كعمل تمديني تقوم به ايطاليا ادركوا طابع العملية الاستعماري البحت . فارتورولا بريولا مثلا الذي بالرغم من معارضته لتعليمات حزبه نظر بعطف الى الحرب الليبية فبعد شارع الشاطىء غير الكثير من مواقفه :

« ان البلاد كانت تجهل ان الاسلـحة الايطالية قد لا يهـاجمها الاتراك وحدهم بل والعرب وغيرهم من الوطنيين » .

فان مسؤولية الحكومة تبـدأ منذ أن بدا واضحا بانها لم تهتم باكتساب ود العنصر الوطني وتجاوزت مشاعرهم (...) فثورة العرب نزعت عن الحرب طابعها المثالي وحولتها الى عملية قمع يرفضها ضميرنا . (...) فلن تكون اعمدة هذه الصحيفة بالطبع المكان الذي نطلق منه اسم « خونة » على العرب الذين يقومون بصد محتل غير مرغوب فيه ان هذه لبلاغة متعفنة لا نشترك فيها . ان العرب لهم كامل الحق في مقاومة اسلحتنا وانه لمـن السخافة تحميلهم بذنوب لم يرتكبوها . (٩٣)

---

(٩٣) مع حـرب طرابلس وضدها .AA. VV (مؤلفون مختلفون) « مناقشات في الميـدان الثوري » ــ المصدر المذكور ص ٦٣ . كتب الوطني الترنتيني (نسبة لترنتو) ارجيـتوبيـي Ergleto Bezzi وهو من رجـال غاريبالدي وجمهوري وقومي وقـد حـارب فـي كافارو وبيتزكا ومنتانا حيث جـرح (*) كتب الى صديقه وواضـع ترجمة حيـاته جوسبي لوكاتيللي ميلنيري في ٢٤ اكتوبـر ١٩١١ ما يلي : « استطيع ان اتـرك لكم الاتـراك لا عـرب بنغـازي فهـؤلاء لا يقومون الا بواجبهم : يدافعـون من بـلادهم دون ان يحسبوا اذا كان للصوص الجـدد لـديهم مدافـع كثيرة ومصفحـات وطائرات لم اذا كانـوا كثيرين او قليلين · فلهم الشرف لانهم لم يحدثوا بصـد » · وفي اليوم التالـي ٢٥ اكتوبـر كـرر الى برونو كاستيليوني نفس الاراء : « (...) هؤلاء هم ابطـالي · انهم (...) لا يحسـون الا بـواجب واحـد وحاجـة واحـدة وهي الدفاع من ارضـهم · الشعـوب الحـديثة تقول ان من واجبها نقـل المدنيـة الى جميع انحـاء العـالم · قد يكون الامـر كذلك ولكنهم بالنسبة لي هم مستبدون انها القـوة التي تفـرض نفسـها لا العقـل ــ وعلى هـذا القيـاس فسياتي اليـوم الذي اذا خـرجت فيه من منزلـك

واثار حادث شارع الشاطىء فيما بعد بالجبهة رد فعل ايطالي عنيف ضد « الخونة » العرب ولدى قرائه ، الوقائع سواء في الصحافة الايطالية او بصورة خاصة قراءة ما كتبه المراسلون الاجانب امثال Magée ماجي مراسل « دايلي ميرور » وديفيز Davis مراسل « مورننج بوست » وبنيت بارلي Bennet Burleigh مراسل « دايلي تلغراف » فيبدو تقريبا ان نوعا من الجنون المشترك لقتل الانسان تسبب الخوف في غالبه ، قد استولى على الحملة من الضباط الى الجنود (٩٤) فهناك رسائل من بياتسا وبلميوني وصفت اكثر من غيرها هذه الحوادث المثيرة حقا :

وقابلك من هو اقوى منك فسيطلب حافظة نقودك لم يحطم لك وجهك » وكتب ايضا الى لوكاتيللي في ١٦ ديسمبر : الموهبون يقولون ان عقلية العرب اقل من عقليتنا ولكن منذ ما يمثلونهم بعدد هذه السلوات سيقولون هم ايضا ان لديهم مشخوليهم فـالذا لم يكونوا شهداء بلفيوري سيكونون شهداء طرابلس » ارجيستوبيبي E. Bazzi « للقومية والتدخل في رسائل الى الاصدقاء » ١٩٢٠ ــ ١٩٠٣ اشرف على وضعه ترنسيوفرالدي وبيشي ريتشي ترنتو ١٩٦٣ ص ٦٥ ـ ٦٣) ٦٢ ـ

(*) اسماء مواقع شهيرة في حرب التحرير الايطالية (المعرب) .

(٩٤) بخصوص شارع الشاطىء فلينظر الكتيب الجدلي لباولوفاليرا Paolo Valera ايام شارع الشاطىء بالصور . ميلانو ١٩١٢ وقد نشر كملحق للعدد ١٤٠ للصحيفة الاسبوعية الاشتراكية « لافولا » La Folla الصادرة بميلانو . ويصف ايضا خلال الكثير من الصور افظع الاحداث التي وقعت بمناسبة شارع الشاطىء ويصف كارلو كانيفا بانه جنكيز خان « الاحتلال الايطالي (ص ٢٠) وكتب فاليرا ايضا : « ان الحرب اصبحت هدرا للدماء بالجملة وقتل عام للانسان ــ تنفيذ اعدام لا مثيل له . فلجرم اقترفه ثلاثة او اربعة من العرب اصبح جميع العرب مذنبين . ففي بلاد حيث يملك الجميع سكينا ارسل الى الموت اناس بسبب حوزهم لادوات يستعملها العرب في جميع الاغراض . فكانوا يقتلون من اجل موس حلاقة او ادوات قطع منزلية او رصاصات فارغة وجدت في منازلهم . وان الامر بتسليم الاسلحة كان مبررا للفتك بالعرب . وكان القتل يقع سواء وجدوا الاسلحة او لم يجدوها . كانوا يقتلونهم لانهم كانوا يخشون الموت ولا يطيعونهم ويصمتون ويطلبون براحتهم ويطلبون المؤونة من الله . كان القتل مستمرا ــ فقد اعدموا جميعا ربما بالرصاص فكان كرنتالا من الدماء مملوء بالقذارة والمذابح والجلاوذة ــ ان ايام ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ اكتوبر قد نقشت في النحاس والرخام العربي (بمعنى لا تنسى) انها قصة ستتناقلها الاجيال قصة استشهاد للناسهم الذين اغتالهم السروبي العسكري » . (ص ١٨ ــ ١٧) .

« كان رد فعل رجالنا ــ كتب بفيوني ــ بعد ان تاكدوا مــن الخيانة ردا عنيفا . فقد اطلقوا الرصاص بدون رحمة على العرب فقتلوهم لمجرد الاشتباه فيهم لدى اقترابهم . رائد من رجال البرسليري مصوب ممتاز بالمسدس دخل البساتين التي كانت تاتي منها الطلقات وبكل يد سلاح واخذ يطلق النار على كل من يراه امامه ــ وكان عنف اجتياحه وطلقاته الصاعقة لم تــدع للعرب وقتا للمقاومة بحيث ان كل طلقة اسقطت انسانا » (٩٥) .

وفي الايام التالية ليوم ٢٣ اكتوبر كانت هناك اعتقالات جماعية والقبض على العرب باستمرار وقد حشدوا في طرابلس انتظار لتنفيــذ الاعدام ــ وتحدث كوراديني « عن استمرار وصول هذه القطعان مشدودة الايدي وتحت الحراسة من مختلف طــرق الواحــة » (٩٦) ويصفــهم بياتسا انهم كانوا مشدودين كل واحد ظهره الى ظهر الاخر في كتلة مرصوصة ويسيرون يدفعهم الجنود وهم يترنحون ويتخبطون مرة الى اليسار واخرى الى اليمين » (٩٧) ولاحظ بفيوني من جديد كيف انه كان « ولا بد » من تنفيذ الاعدام الذي دام « ثلاثة ايام » وارسلوا الى الله « اكثر من الف مؤمن » لكي يدخل في « نفس العربي تاكيد قوتنا » (٩٨) وكتب الجنرال كانيفا حول هذه الاحداث تقريرا الى وزارة الحربية :

---

(٩٥) جوسبي بفيوني ــ « كيف ذهبنا الى ليبيا » ــ المصدر المذكور ص ٣٢٣ . كتب لويجبي لوكاتيللي : « ان عملية القمــع تمت بالواحــة ما يفعــل المنجــل بالــزرع والدماء دفعت ثمــن الدمــاء » (لويجبي لوكاتيللي ــ « وجــه الحــرب » ــ رومــا بــدون تــاريــخ ص ١٨) .

(٩٦) انريكــو كورادينــي : احتــلال طــرابلس ص ٦٨ .

(٩٧) جوسبي بياتسا ــ كيف احتللنا طرابلس ــ المصدر المذكور ص ١٣٠ ــ لا يزال بياتســا يصف الحــادث الذي كان بطلــه صف ضابط الذي استفسر منه نقيبه عن احد الضبطية المحليين الذين كانوا يعملون في خدمة الجيش الايطالــي : « يا حضرة النقيب لقــد قتلت الضبطيــة لانــه رفض ان يتبعنــي ويسلــم لي البندقيــة مستقيلا . احسنــت عمــلا اجابــه النقيب » (ص ١٣٠) .

(٩٨) جــوسبي بفيــوني المصدر المــذكــور ص ٧٥ ــ ٢٧٤ ــ فبالاضافــة الــى الاعــدام بالرصــاص فقــد اتهمتها عمليــات الشنق ــ كتب انسو دارميسانو Enzo D'Armesano

« لقد اضطررت كليا الى اللجوء الى هذه الوسيلة الجذرية لاخلاء الواحة . وهي الوسيلة الوحيدة الصالحة لضمان وتأمين التجول في الواحة وراء خطوط جنودنا . فامام هذه الضرورة السامية اذا ما وقع افراط في حوادث منعزلة خلال قمع الثورة من قبل جنودنا الذين كانوا منشغلين في الهجوم الغادر المفاجيء في المؤخرة — يبدو لي (٩٩) اهمال التعليقات غير الطيبة من قبل بعض مراسلي الصحافة الاجنبية (...)

والصحافة الاجنبية كما ذكر لم تتردد في تلك الايام عن انتقاد ما كان يقع في طرابلس بعنف (١٠٠) مشددة الضغط في حديثها من « وحشية الايطاليين » و « انتقام وحشي جنوني » . ولعل اكثر الذين شددوا على هذه الاحداث كانت الصحف الانكلو سكسونية من « دايلي ميرور » الى « دايلي تلغراف » ومن « التايمس » الى « نيويورك وورلد » الى « مورننج بوست » — اما

في يوم ٥ ديسمبر ذهبت الى الرائد روبولو المكلف بمكتب المطبوعات اساله عن اخبار (...) فقال لنا بابتسامته اللطيفة العادية : غدا عند الفجر سيشنق الاربعة عشر عربيا الذين حكمت عليهم محكمة الحرب بالخيانة والثورة يوم ٢٣ اكتوبر (...) فلن يفوزوا بجنة محمد ولا بملذات الحوريات الجميلة لان المشنوقين لا يحظون بالامتيازات السماوية . وكان هذا السبب الذي جعل الشنق يحل محل الرمي بالرصاص في الايام الاولى : ان الغاية هي القمع والوسائل مهما كانت مثيرة للاشمئزاز كان لها ما يبررها . (لنسو دواميانو « في ليبيا . قصة الاحتلال » — بوليس ايرس ١٩١٧ ص ١٠٤ — ١٠٣) وبخصوص القضية التي حكم فيها على اربعة عشر عربيا — انظر باولو ماليرا المصدر المذكور ص ٣١ — ٣٨ .

(٩٩) وزارة الحرب ، المصدر المذكور مجلد ١ ص ٣٠١ ، حث جوليتي يوم ٢٩ اكتوبر كانيفا على ارسال معلومات بهذه البرقية الحازمة : « ان عدم معرفة عدد القتلى رسميا على الاقل في يومي ٢٣ ، ٢٦ اكتوبر يحدث تاثيرا خطيرا في ايطاليا — بالامس ايضا ابدى لي السفراء الاجانب ملاحظاتهم في ان عدم ورود المعلومات هذه يحرك في الخارج اثرا خطيرا يبعث على الاعتقاد ان الخسائر خطيرة جدا او لعدم وجود تنظيم » . (من اوراق ج . جوليتي مجلد ٣ ص ٧١ — ٧٠) .

(١٠٠) راجع وليام ج. اسكيو William G. Askew « Europe and Italyis Acquisition of Libya » ١٩١٢ — ١٩١١ . درهام ١٩١٢ ص ٨٨ — ٦٤ .

الصحافة الفرنسية فلم تعط الحادث وزنا كثيرا لدرجة ان صحيفة «ايمانيتي» لسان حال الاشتراكيين الفرنسيين قد ادانت «الامر في أن « فرنسا وحدها » قد امتنعت عن « ادانة اعمال الوحشية الايطالية » (١٠١) . وفي عدد يوم ٢ نوفمبر ١٩١١ من صحيفة « التايمس » حذر المؤرخ المعروف جورج مكولي تريفليان George Macaulay Trevelyan وهو صديق لايطاليا وباحث ومؤرخ لتاريخها ، .. حذر الايطاليين بان يفهموا الاسباب التي دفعت العرب الى المقاومة وهي نفس الاسباب — حسب وجهة نظره — التي دفعت الايطاليين الى « النهضة » ضد النمسا — « انا لا اناقش — كتب تريفليان — حقوق واخطاء الايطاليين التي لا يعرفها العربي (...) فكل ما يراه (العربي) جيشا من الرجال يختلفون عنه عنصريا ودينيا ينزلون من البحر الاستيلاء على ارضه واعطائه مدنية لا تمت اليه بصلة » (١٠٢) ورات صحيفة غلاسكو وهيرالد Glasgow Herald ان ايطاليا قد اعطت العالم الاسلامي اسوا درس ممكن عن المسيحية التي يحاولون بعناء نشرها في طرابلس » (١٠٣) . اما الصحف الالمانية مثل « فرانكفورتر زايتونق » التي لم ترض عن العملية الايطالية ابدا ، فقد زادت من شدة لهجتها الجدلية بهذه المناسبة مؤكدة « ان « جميع اوروبا » كان لها الحق ان « تحتج ضد سلوك حرب مثل هذه اثبت جميع الشهود العيان ان قسوتها كانت في الواقع غير ذي فائدة » (١٠٤) .

وقد استغل الاتراك الوضع المستجد وبصورة خاصة اتهامات الصحافة الدولية لايطاليا لارسال احتجاج شديدة اللهجة الى جميع الحكومات الاوروبية وقد اشعرت تركيا بموجب هذه المذكرة ، جميع الدول الموقعة على معاهدة لاهاي لعام ١٩٠٧ بانتهاك ايطاليا لمبادىء حقوق الانسان :

(...) بحجة ان بعض الوطنيين العثمانيين من اهل المدينة قد ارادوا

---

(١٠١) صحيفة « Humanité » نوفمبر ١٩١١ .

(١٠٢) مستر تريفليان والبيان الايطالي — في صحيفة « تايمس » ٢ نوفمبر ١٩١١ .

(١٠٣) الجانب الاسود من الحرب — في صحيفة « غلاسكو هيرالد » في ٧ نوفمبر ١٩١١ .

(١٠٤) « فرانكفورتر زايتونغ » اول نوفمبر ١٩١١ .

مساعدة جيش التحرير فان اركان الحرب الايطالية قررت بكل برود الارهاب والموت ضد شعب اعزل . لقد قاموا ولا زالوا يقومون يوميا باعدام جماعات من الرجال الاصحاء والشيوخ لاشتباه بسيط وبدون سبب ايضا . لقد قتلوا نساء واطفالا ودفنوهم في الزنزانات احياء كاملة تركت فريسة للجنود ودمرت بالنيران . الاف التعساء خطفوا من عائلاتهم ومرضى انتزعوا من مراقدهم وحشروا في بواخر لنقلهم بعيدا مصيرهم الحرمان وهلاك اغلبهم مؤكد (١٠٥) . (الاصل باللغة الفرنسية) .

وسارعت الحكومة الايطالية الى تلافي الامر . فكذبت بقوة الاخبار المنشورة على الصحافة الاجنبية ووضعت رقابة شديدة على المراسلين الايطاليين والاجانب بالجبهة . (١٠٦) واعدت مذكرة في مجلدين عن اعمال الوحشية التي ارتكبها العرب والاتراك ضد الجنود الايطاليين وحول استعمالهم لرصاص (دم دم) وزودت المطبوعة بصور عديدة تبدو فيها جثث الجنود المقتولين وقد مثل بها بصورة مريعة (١٠٧) .

وتوجد في هذا الصدد شهادة صحافي ارجنتيني انسودا رميسانو مراسل

---

(١٠٥) A.S. MAE, Seg. gen., pa. 43, pos. 17, f. 644 ارسلت صورة من الاحتجاج التركي التي وصلت هولندا الى جوليتي من قبل رئيس البعثة الايطالية في لاهاي بتاريخ ١١ نوفمبر ١٩١١ .

(١٠٦) وكان ريجينالد كارم مراسل « التايمس » و « الفيقارو » من ضمن من ابعدوا . بخصوص الرقابة بطرابلس انظر ت. ماريو كارانتولو – مكتب المطبوعات والرقابة خلال الحرب بطرابلس . نشر في « لوفا لنتولوجينا » اول مارس ١٩١٤ ص ١٥٤ — ١٢١ .

(١٠٧) وزارة الخارجية : مذكرة الحكومة الايطالية حول اعمال الوحشية التي ارتكبها العرب والاتراك ضد الجنود الايطاليين الذين قتلوا او جرحوا وضد سيارات الاسعاف وحول استعمالهم لرصاص (د م د م) مطبعة وزارة الخارجية بدون تاريخ (. ١٩١٢) مجلدان . (صورة من هذه المذكرة توجد في A.C.S., Pres. Cons. Min., 1912 (طرابلس وبرقة ملف ١٠) وكان العمل الايطالي بعض الاثر حتى ان صحيفة « التايمس » في ٢ نوفمبر اعادت النظر في موقفها جزئيا وفي ٤ نوفمبر نشرت « الدايلي تلغراف » رسالة من طرابلس تتضمن تكذيب كاتبها للاخبار التي نشرتها الصحافة الاجنبية .

صحيفة « لابرنسا » الارجنتينية وقد وصف فيها بعد بواقعية مشهد الجنود الايطاليين ضحية العرب والاتراك :

« كانوا مصلوبين ومخوزقين ومقطوعة رؤوسهم وفاقدي البصر ومشوهين ومقطعي الاعضاء ويزداد الامر فظاعة عندما نفكر ان اغلب هؤلاء الضحايا ينتمون الى الصليب الاحمر .

وفي ركن بيت وضيع دون سقف معد كمركز علاج وجدنا جثة الملازم الطبيب دي مورتاس وقد شوه وظهرت على وجهه علامات احتضاره الفظيع .

وماذا نقول في ذلك العنقود البشري الذي وجد في بئر قريب وقد قيدت ارجلها وايديهم احياء والقوا في البئر — لقد وجدنا الجثث مقيدة الواحدة بالاخرى » (١٠٨) .

انه من الصعب الفصل بين الخطا والصواب في تلك الظروف — انه لوجه الحرب الذي يظهر جانبه السيء . وهذه الاعمال كانت دليلا واضحا على على القسوة والصعوبة التى يواجهها الطرفان في الحرب بينما كانت تتلاشى في ايطاليا بصورة نهائية فكرة « المغامرة الجميلة التي كانوا يحلمون بها في صيف ١٩١١ » .

ان عملية القمع القاسي الذي تلى الهجوم العربي بشارع الشاطيء بالاضافة الى انه خلق حركة مضادة في الراي العام الاوروبي فقد زاد من مقاومة العرب . وبتدبير متخذ بتاريخ ٢٣ اكتوبر اصدر الجنرال كانيفا مرسوما يقضي على جميع الوطنيين المقيمين في مناطق الاحتلال الايطالي بتسليم « اسلحة الحرب النارية والاسلحة البيضاء » التي بحوزتهم (١٠٩) وأكد بومبيو كامبيللو الذى كان يرسل من الجبهة معلومات الى الجنرال

(١٠٨) انسودار بيسالو ، المصدر المذكور ١٠٥ .

(١٠٩) نص المرسوم موجود في مجموعة وثائق النظام المؤقت لطرابلس وبرقة ، المصدر المذكور ص ٧ .

بروساني بصورة دورية انه كان من الانسب « ترك السلاح بيد العرب الذين استسلموا واعطائهم ايضا بعض التنظيم العسكري للدفاع عن انفسهم حيث انهم الآن مضطرون الى التسليم بمطالب الاتراك » (١١٠) وصدر بعد ذلك مرسوم جديد ــ اكثر تسامحا ــ كان يدعو العرب الى التقدم باسلحتهم واعدا بمنحهم نابليون ذهب (عشرين ليرة) وكيس شعير (١١١) وقد تسبب ذلك في احداث لا تصدق وفقا لشهادة بومبيوكامبيللو : « اعتقد ان المكلفين بالتعرف في الاماكن المتقدمة ليسوا في المستوى المطلوب لان عربا مختلفين قد تم القبض عليهم ومعهم اسلحتهم واعدموا دون تردد بينما كان من الانسب لو استجوبوهم وتاكدوا تماما من انهم لم يجيئوا لتسليم السلاح وخاصة وان اعدام اناس لم تحاول المقاومة وقت القبض عليها لا

---

(١١٠) A.C.S., A.B., sc. 9, f. VI. 2. 34, nº 24 رسالة بومبيو كامبيللو الى الجنرال بروساني من طرابلس في ٤ يناير ١٩١٢ ·

(١١١) يقرا في المنشور الذي القته الطائرات الايطالية يوم ٧ يناير ١٩١٢ على ميادين العدو « باسم الله ·· ايها الوطنيون والعرب · ان حكومة ايطاليا السامية جاءت الى البلاد لحماية مصالحنا المشتركة ولطرد الاتراك اعداؤنا واعداؤكم الى الابد · هؤلاء الاتراك الذين يتظاهرون لكم بالصداقة وقد اهانوكم دوما وقتلوا كباركم واعيانكم واعطوكم وعودا لم يحافظوا عليها (···) نريد ان نخلصكم من ايدي ظالميكم · معنا ستكونون بخير ونرجو ان تعترفوا بعملنا هذا ــ نريد ان نعطيكم كل الخير ونعمر بلادكم التي اهملت كثيرا ونحسن اراضيكم بحيث نجد جميعا مزايا عظيمة » ·· وكان هذا المنشور بتوقيع مساعد الحاكم سالسا · وجاء في منشور اخر بتوقيع كانيفا بتاريخ ١٥ يناير ١٩١٢ ما يلي : ماذا تنتظرون في المجيء الينا ! الا تشعرون بالحاجة للصلاة في مساجدكم وبالحياة في هدوء مع عائلاتكم وبرعي حيواناتكم وباستعادة تجارتكم بصورة امنة ! نحن اصحاب كتاب نحن متدينون وشرفاء ــ ان ايطاليا والدكم لانها تزوجت طرابلس امكم · اقول لكم تقدموا امنين الينا ولن يلحق بكم اي ضرر والماضي سينسى ··
اقول لكم ان كل واحد منكم سياتيني ببندقيته وذخيرته سوف ينال نابوليونا (ليرة ذهبية) وكيسا من القمح او الشعير · الزعماء السياسيون والدينيون سوف يعترف بهم وسيتقاضون اجورا . ان كلمتي واحدة : الله اكبر توسلوا اليه ان يفتح اعينكم على الحقيقة » ·· (وزارة الحربية المصدر المذكور مجلد ٢ ص ٢١٨ ــ ٢١٧) ·

يفيدنا كثيرا» (١١٢) وتسببت المقاومة العربية في خلق حالة نفسية في ايطاليا كانت تعكس الضيق والرغبة في رد فعل حازم وعنيف ضد الوطنيين . وقد اثرت هذه الروح في حركة قوية من الراي العام كانت تحبذ استعمال وسائل القمع التقليدية الاستعمارية . ومن الطبيعي ان تكون الحركة القومية في طليعة هذا التيار . وقد يكفي تصفح الصحف القومية لتلك الفترة لادراك نوع حرب القمع التي كان كوراديني ورفاقه يقترحونها ويوحون بها . كان يجب اخراجهم (العرب) من جحورهم وعضهم بالسياط ولا يجب ابدا اعدامهم بالرصاص بل شنق الحيوان المتوحش الذي يسمى « عربي » لقد كانت حربا تدور ضد « شعب ادنى ومتخلف » ضد هؤلاء العرب القذرين الكسالى والخونة » وكان ضروريا استعمال « القوة البسيطة الغاشمة التي تسيطر وتعاقب دون وحشية ودون ضعف ولا تسمح للحكومة بالمساواة (مع الايطالي) » (١١٣) وتمنى بارزيني نفسه في مذكرته المذكورة في اخر ١٩١١ « قليلا من الحلوى وقليلا من السياط تعطى في الوقت المناسب » (١١٤) . وقد وجه مافيو بانتاليوني Maffeo Pantaleoni الاقتصادي المعروف والمتعاطف مع القوميين . (١١٥) وجه رسالة الى جوليتي طالبا مقابلته وارسل اليه تقريرا للكونت اليسيو لاميسون الخبير في الشؤون الشرقية الذي قضى سنوات طويلة في مصر . وهذا التقرير مؤرخ في ٢ اغسطس ١٩١٢ وعنوانه « ملاحظات حول بعض الخدمات الادارية في طرابلس » وهو يقدم صورة للحالة النفسية التي كانت منتشرة في

---

(١١٢) A.C.S. n° 29 المصدر المذكور ب . كامبيللو الى الجنرال بروساتي من طرابلس في ٢٠ يناير ١٩١٢ .

(١١٣) حول هذا الموضوع انظر رفائيلي مولينيللي المصدر المذكور ص ١٢٠ — ١١٨ .

(١١٤) لويجي البرتيني — المصدر المذكور مجلد ١ ص ٨١ .

(١١٥) كتب بانتاليوني يقول : « يجب على الايطاليين ان يفكروا في العرب بمثل ما كان يفكر فيه الجنرال شيرمان بالنسبة للهنود الحمر اي ان الاموات هم فقط الاشخاص الطيبون ويجب معاملة هذه الشرذمة ممن لا اصل لهم معاملة الشعوب الدنية » (راجع رفائيلي مولينيللي المصدر المذكور ص ١١٩ — ١١٨) .

الصحافة الايطالية ولدى قسم من الراي العام بعد اكتشاف مقاومة العرب للتوسع الاستعماري الايطالي . والتقرير يعكس ايضا الخشية من صعوبة امكانية التعايش ما بين العرب والايطاليين في ليبيا اذا اريد ان يجعل من الاراضي المحتلة مستعمرة اسكان وفقا للفكرة الرائجة .

« (.....) لقد اقتنعت — كتب لافيسون — ان العربي ليس الا متعصبا مليء بالحقد على الاوروبي وله عقلية خاصة وهو فوق كل شيء متشكك وغير وفي وهو لا يخضع الا للقوة . فلم تفده في شيء السنوات الطويلة التي عاشها محتكا بالمدنية الاوروبية . الشهران اللذان قضيتهما كانا كافيين لمعرفة طباع عربنا انهم اقل مدنية من عرب مصر وهم ذو طبع انوف ولكنهم اكثر تعصبا وكثيروا الريبة والتصنع انهم ابناء الصحراء الحقيقيون .

انه لمن الغريب وغير المقبول ان يراد حكم شعب شرقي باساليب تتفق والعقلية الاوروبية وانه لمضحك ان نرى عربيا اعتاد حتى ايام قليلة على تلقي ركلات وضربات التركي ان يلجا الى الشرطة الايطالية شاكيا اذا ضربه ايطالي لتاديبه كما يقع الان في طرابلس . والاسوا من ذلك رؤية السلطات توبخ الايطالي بحضور العربي ! كما انه من المخجل رؤية العرب في الطريق يدفعون بمرافقهم ضباطنا ليفسحوا لهم الطريق او رؤيتهم جالسين دون أن يقفوا امام ضابط او موظف كبير (...) ان هذا ليس الا تساهلا وعدم احترام واحتقارا حقيقيا للاوروبي (...)

عقاب السجن لا يترك اثرا في العربي . ان الاعتقال يعتبر فترة راحة بالنسبة له ولا يتصوره عقله كعقاب مشين (...) يجب ان تترك العواطف على حدة اذا اريد حكم شعب افريقي . (...) ان الضمير والندم غير موجودين بالنسبة للبدائيين — انهم لا يتاثرون الا بالالم الجسماني» . (١١٦)

---

(١١٦) اليسيو لافيسون Alessio Lavison بملاحظات حول بعض الخدمات الادارية بطرابلس » (مطبوع على الالة الكاتبة) ص ٢٩ — ٢٨ و ٢٤ و ٢٣ موجود في A.C.S., Pres. Cons. min. 1912

وهكذا فان اسطورة اخرى من الحملة القومية لصالح الحرب الليبية قد تلاشت تجاه الصعوبات التي واجهتها الحملة . وهي اسطورة الاحتلال كعمل تمدني تقوم به ايطاليا وقد حاولوا الاستعاضة عنه بوسائل القمع واللجوء الى «العقوبات الجسمانية» كوسيلة للمحافظة على النظام ومعاقبة الاهانات انه في الجوهر احد الامثلة الاخيرة لتلك « المدنية » الخاصة بالاستعمار والامبريالية التي لايخلو من آثارها تاريخ احتلال البلاد الاوروبية الاستعمارية والتي تاتي كشيء جديد بالنسبة لضمير الايطاليين الذين نادرا ما قدموا مشهدا لاسلوب بهذه القسوة لا نجد ما يربطه بالادب السياسي لايطاليا الثالثة . انها لجرثومة جديدة اخذت تترعرع في المجتمع الايطالي ، جرثومة قد وجدت الارض الصالحة والمساعدات ذات المقاصد في اطار ازمة النظام الجوليتي .

التحركات السياسية الايطالية والعملية الليبية

حادث اوغوسطو ماسيتـــي (Augusto Masetti) ــ الحـــركة الفــوضوية تعيد تنظيمها ــ الفوضويون الايطاليون في الخـــارج ــ الاعتـــداء الفاشل على الملك في دالبا ــ الاشتراكية الايطالية في عشية العملية ــ الاضـــراب العـــام ــ موسوليني ولازاري واليســـار الثـــوري ــ معـــارضة الشباب الاشتراكي للعسكرية ــ الحركة النقابية منقسمة على نفسها : دي امبريس وكوريدوني ، لابريولا واوليفيتـــي ــ توارتـــي ووحدة الحزب ــ مـــؤتمر ريجيوايمليا والتحـــول الى اليســـار ، الكاثوليكيون والحـــرب « عقيـــدة الوطنية » ــ الاساقفة « والمدنية الكاثوليكية » ، ميـــدا ومليولي ودوناتي وفيراري والشباب الكاثوليكي ــ الكاثوليكيون والدولة الليبرالية ــ ستورسو وليبيا ــ القوميون والحملة الليبية ــ تطور وتوقعات القوميين من خـــلال ازمة النظام الجوليتي ــ البرلمان الايطالي والحرب .

□◆□

بعد مرور شهر من انفجار الحرب اي في ٣٠ اكتوبر ١٩١١ عند الساعة ٦٫٣٥ صباحا وفي ساحة ثكنات تشاكديني ببولنيا ، اطلق جندي يدعـــى اوغوســطو مايسـيي الرصـاص على عقيده فجرحه في الوقت الذي كان فيـــه

العقيد يخطب في الجنود المسافرين لافريقيا . ويبدو ان ماسيتي قد صاح وقت اطلاق الرصاصة « لتعش الفوضى » وقد ذكر ارماندو بورغمي الفوضوي الايطالي المعروف في مذكراته ان ماسيتي كان عامل بناء في سان جوفاني ان برسيتشيتو S. Giovanni In Persiceto وكان يلقب « قوسطن » « ليس بطويل القامة . وجه مبتسم . يسير منحيا وتعبا مثل البنائين ، نظيف في ملابس العمال — هادىء النطق — شديد النشاط — كان لا يريد ان يعترف باتحاد العمل ، كان ينتمي الى نقابة عمال برسيشيتو المستقلة والتي تتبع تعليماتنا — كان يحضر بالتاكيد في كل يوم سبت الى منزل الشعب في مورالامي في المدينة وكان يبحث عن منشورات وصحف وكتيبات وكان يدعو محاضرين . واحيانا كنا نسير على الدراجات الى زولا بريدوسا وسانتا اغاتا في باتسانو عند مرتفعات الابنين واحيانا كنا نذهب حتى حدود مودينا ..

لا استطيع القول اذا ما كان « قوستن » قد اعلن مرة انه فوضوي قبل ان يحاول اغتيال العقيد . كان يعمل معنا وكنا نعتبره كمتعاطف معنا من النوع الجيد . (١)

وان عمل اوغوسطو ماسيتي الذي قام به تلقائيا — كما يعتقد بورغي بدون شركاء كان بمثابة انبثاق ثورة الاوساط الفوضوية الايطالية . فاشادت صحف ومنشورات وخطب باسم ماسيتي وسيدوي اسمه من جديد عام

---

(١) ارماندو بورغي Armando Gorghi نصف قرن من الفوضى — ١٩٤٥ — ١٨٩٨) ما قدم من كايطانو سالفيميني — نابولي ١٩٥٤ ص ١٧ — ١١٦ — وقد احدث حادث ماسيتي ضجة في الصحافة وفي البلاد غير ان الحكومة عملت على عدم زيادة الحدة بعدم محاكمة ماسيتي امام محكمة عسكرية الامر الذي قد يعرضه الى الحكم عليه بالموت — واعتقد انه من الانسب سجن ماسيتي في مصحة الامراض العقلية الاجرامية في ريجوديمليا باعتباره « غير صالح بالمرة للتعايش الاجتماعي وخطر على نفسه وعلى الغير » رسالة ١٨ ابريل ١٩١٢ من المكتب السري الى الادارة الرابعة لوزارة الداخلية (الادارة العامة للامن العام « جرائم عسكرية » : (A.C.S., Min. Int., D.G.P.S, Pol., Giud., b. 349) :

١٩١٤ باعتباره شهيدا في سبيل القضية ضد العسكرية (٢) . وان ادانة العسكرية والحرب التي كان الفوضيون يحسون بها دوما قد اشتعلت من جديد وبحدة عام ١٩١١ . (٣)

ففي ٢٤ اكتوبر ١٩١١ عقد في روما اجتماع فوضوي اشترك فيه ممثلون عن العديد من المقاطعات الايطالية . وكذلك زعماء الحركة في ذلك الوقت امثال ماريو ريجير Maria Rygier وباسكوالي بيناتسي Pasquale Binazzi

---

(٢) انظر — انسوسانتاريللي Enzo Santarelli — الاشتراكية الفوضوية بايطاليا ميلانو ١٩٥٩ ، صفحات ٤٦ — ٢٤٥ و ٥٩ — ٢٥٧ .

(٣) سنبحث فيما بعد كيف توسعت وتطورت هذه الحملة المضادة للعسكرية المحققة بالاشتراك مع الشباب الاشتراكي . وصحيفة « المشاغب » اسبوعية تصدر ببولونيا كانت تعد من اكبر واشد صحف الحركة الفوضوية وقد استمر صدورها من عام ١٩١٠ الى عام ١٩١١ وكانت تصف اهدافها بانها « صحيفة اسبوعية للعمل الثوري » وشملت من بين كبار محرريها علاوة من ارماندو بورقي كل من ماريا ريجير وانشلمو موريسي Moriel . وبعد حادث ماسيتي صدرت « المشاغب » بعنوان كبير يحمل في طياته تحليرا وبرنامجا : « في عنف الحرب تبرق الثورة الفوضوية » ويذكر بورقي ما يلي : « بعد ترتيب الصفحات الاولى واجهتنا صعوبة الطبع وتمنا بها في مطبعة ماولوزامبولي (مع مخاطرة شديدة دلت على شدة عود الرفيق القديم) وقام كل منا بتوزيع الصحيفة باليد دون استعمال البريد العادي » ارماندو بورقي المصدر المذكور ص ١١٨) .
وهناك صحيفة اخرى هامة ذات ميول فوضوية «رومبيتي لي فيلي» (Rompete Le File) لسان حال المعارضين للعسكرية تصدر مرة كل خمسة عشر يوما — وقد صدرت من عام ١٩٠٦ الى ١٩١٣ بميلانو اولا ثم في بولونيا وكانت ماريا ريجير من بين محرريها وشعارها كان : « وطننا العالم كله » وانتشرت ايضا صحيفة « جرمينال » التي عاشت من ١٨ يونيو الى ٥ نوفمبر ١٩١١) ومديرها هو جوليوماالتولي . وكذلك « صوت المظلومين » لصاحبها فرلي الذي كان على صلة بلاذي « فرانشسكوليرير » بوكارد — المانيا وكان من رجاله البارزين انتينوري لافارين A. Lavarin وانجلو ستيفانوتشي A. Stefanucci اللذان قبض عليهما البوليس الالماني في سبتمبر ١٩١١ (A.C.S., Min. Int. DGPS, Uff. Ris., b. 24, f. 55)

(٤) A.C.S., b. 23, f. 54 I, المصدر المذكور . تقرير من قنصل ايطاليا العام بجنيف في ٦ اكتوبر ١٩١١ . وتقرر في نفس الاجتماع جمع اموال من اجل ارسال اريكو مالاتيستا E. Malatesta الى ايطاليا للقيام بجولة دعائية وجاء في الرسالة الدورية الموجهة الى جميع المنظمات الفوضوية بايطاليا والخارج ما يلي : هذا هو وقت تعارفنا والاعتماد على بعضنا يربطنا اشتراك الافكار والاغراض بان نرفع رايتنا عالية في هذه الساعة المظلمة التي كما صارعت لاضطهادات الحكومات الوحشية عليها بشجاعة اكثر

وفرجيليو ماتسوني Virgilio Mazzoni وغيرهم . واشير اذ ذاك الى امكانية « وقوع بعض الحوادث الفردية الفوضوية للتاثير على جماعات العمال واحداث نزع حكومي اذا امكن » من شانه ان يعدل من « مشكلة طرابلس » . والاشارات الواردة من مختلف المقاطعات ومن المخبرين بوزارة الداخلية تشير الى « نشاط دمائي واعداد ذي صبغة فوضوية ومضادة للعسكرية وذلك لاحداث اضطرابات في اول فرصة تسنح » (٥) وفي ٢٨ اكتوبر شرح مدير عام الامن العام الى جوليتي في تقرير حالة الوضع مؤكدا ان عناصر كثيرة ترى من المؤكد « قيام الفوضويين الايطاليين والعنصر الثوري فعلا في الاحزاب المتطرفة الاخرى بنشاط كبير » (٦) وبعد ثلاثة ايام اي في ٣١ اكتوبر طلب من جميع حكام المقاطعات بموجب رسالة دورية « تعزيز الرقابة على الاشخاص الخطرين وتنشيط البحث عن المفقودين والاهتمام بكل الوسائل المتوفرة ـ بالعناصر المهوسة وبمراعاة خاصة للقادمين من الخارج » (٧) وكانت ملاحظات مدير الامن العام هذه تعكس الاتجاه المنتشر جدا في البلاد بين القوى الثورية التي كانت ترى من الضروري تجاه عملية طرابلس ان تتجاوز اراءها السابقة القديمة وان تسير حملة مشتركة ضد الحرب . (٨) وكانت حملة ليبيا في الخلاصة الموضوع

ان تقاوم عدم الشعبية ومعاكسة والقراءات الجماعات الجاهلة والعمياء الغير واضحة » الاكتابات لصالح مالاتيستا يجب ان توجه الى امبرتوفانيا ص ٠ ب ٢٧٦ روما (انظر « ريزفليو » الصادرة بجنيف في ٤ نوفمبر ١٩١١) .

(٥) .A.C.S المذكور برقية من وزارة الداخلية الى محافظي ميلانو وبولونيا وليفرنو ولولي وجنوا . وكتب محافظ انكونا في ١٢ ديسمبر ١٩١٢ يقول : « ان طائفة للفوضويين في مونتمار شانو يزداد عددها باستمرار ,(A.C.S., b. 26, f. 56 المصدر المذكور) .

(٦) ,A.C.S., b. 23, f. 54 I المصدر المذكور : « تقرير الى صاحب السعادة الوزير في ٢٨ اكتوبر

(٧) المصدر المذكور ـ رسالة الى المحافظين في ٣١ بكتوبر ١٩١١ .

(٨) « ان الحرب الليبية وما بعد الحرب ـ كتب انسوسانتاريللي Enzo Santarelli مع حلول الازمة الجوليتية كان من شانها ان تقرر للحالة الموضوعية والترابط المناسب لعودة الفوضوية القديمة على المسرح ٠ سيعود ايضا مالاتيستا الذي مع نيني وموسوليني سيكونون ابطال « الاسبوع الاحمر (انسو سانتاريللي المصدر المذكور ص ١٣٢) .

المشترك الذي ربط ولو بصورة جزئية ما بين الفوضويين والاشتراكيين والثوريين وقوات حركة الشباب الاشتراكي وذلك في ميدان الدعاية والتخريب والحملة ضد الحرب . وكان يبدو ان الحركة الفوضوية قد وجدت من جديد ارضا للصراع المشترك مع قوات اخرى مشابهة وذلك بعد سنوات من العزلة التي فرضتها عليها سياسة جوليتي الاصلاحية تلك السياسة التي تخلت عن الاسلوب الاستبدادي الذي اتبعه كل من كريسبي وروديني وبيللو وعملت على تحقيق سياسة اقتصادية مفتوحة على احتياجات الطبقات العاملة فحدت من مطالبها وزالت اسباب الصراع وحصرت بالتالي القوات الاكثر تطرفا . بيد أن الازمة الاقتصادية والحرب الليبية اوجدت استياءات جديدة كانت هامدة في الجو السياسي الذي خلقه جوليتي .فاضطرابات بيومبينو واحداث فريكارو والحرب الايطالية التركية اعادت اشعال الارادة والصراع في نفوس الفوضيين الايطاليين . (٩)

وفي شهر نوفمبر عقدت اجتماعات في كثير من المقاطعات من بينها ميلانو وبولونيا وبادوا بغرض تنظيم وتعزيز حملة فعالة ضد الحرب . (١٠) وفي جميع الخطب كان موضوع عملية طرابلس حاضرا ويناقش . وكانت

---

(٩) وكتب سانتاريللي من جديد قائلا : « ان الحرب الليبية (...) عجلت بأزمة الاصلاح الجوليتية وبالاشتراكية واحدثت بالتالي عودة قصيرة لشعلة الفوضوية (...) عمال يعملون وعمال عاطلون يشتركون في معارك طويلة وقاسية (...) وان ما يبرز في الامر هو انفصال الطبقات العاملة من النظام البرجوازي وهو امر جديد في قدر منه ويميل الى الازدياد والامتداد الى مناطق جديدة من البلاد والى طبقات عديدة . ان التناقض الذي نضج منذ زمن خلال سنوات حكم جوليتي العشر وازداد سرعة في سنوات الحرب وبعد الحرب . هذا التناقض يبدو مفتوحا وواضحا ويلقي المسؤولية على الطبقات الحاكمة وخاصة خلال اضطرابات رجال السكك الحديدية وعمال الحديد والبحر والتبغ ولكن للواقع الجديد البارز الان هو زحف جماهير الفلاحين : مشكلة الارض والجنوب وبطالة العملة والهجرة كل ذلك يطفو بصورة لا مثيل لها ويكتسب بروزا اكبر وقوة ثورية اكثر لان قوات اكثر حيوية وقوات عمالية جديدة اخذت تتدفق على المسرح غداة تلك الحملة الاستعمارية التي كان يجب ان تقوم بمعجزة لمواجهة جوع الارض والعمل في ايطاليا الفلاحة و « العاملة » (المصدر المذكور ص ٣٧ — ١٣٦) .

(١٠) AC.S., b. 24, f. 56 المصدر المذكور .

ماريا ريجير قبل القاء القبض عليها من انشط واشد القائمين بالدعاية : تحدثت في ليفرنو بمناسبة تابين فرانشسكو فيرير فذكرت « كيف ان الجبابرة قد استعملوا الدين دوما لاهانة الشعوب واخضاعها لسلطانهم » واشارت بهذا الصدد الى المنشور الذي اصدره كانيفا في طرابلس وانتقدت عمل ادارة الحزب الاشتراكي الذي من « اجل منع احتلال طرابلس » لم يستطع ان يفعل غير « الاضرابات العامة المجهضة » . (١١)

وكان حادث ماسيتي من الاسباب التي دفعت الحكومة الى تشديد رقابتها والقبض على العناصر الفوضوية المعروفة . وقد اصيبت الحركة في ايطاليا بضربة خطيرة . فمن افلت من القاء القبض عليه مثل بورقي فقد اضطر الى الهجرة . وفي سويسرا وفرنسا وانكلترا حيث كانت هناك من قبل اعداد ضخمة من ممثلي الفوضويين الايطاليين تضخمت اعداد هذه الجماعات وازداد نشاطها وقد ذهب بورقي الى باريس بفرنسا . (١٢)

وبخصوص نشاط الفوضويين الايطاليين اللاجئين في الخارج فقد اشار اليها فلياني Vigliani في التقرير المذكور المرسل الى جوليتي في ٢٨

---

(١١) المصدر المذكور b. 24, f. 55 تقرير محافظ ليفورنو الى وزارة الداخلية في ١٤ اكتوبر ١٩١١ .

(١٢) كتب بورقي يقول : « كنت القي محاضرة يوم الاحد في ماسالومباردا بصحبة جوسبي سارتيني G. Sartini ودومنيكوزافاتيرو D. Zavattero وفي يوم الاثنين استقليت القطار مبكرا عائدا الى بولونيا . واشتريت صحيفة « الريستو ديل كارلينو » في احدى المحطات ولكن فقوت دون ان اقراها غير ان اختي البالغة اثنتي عشر سنة وكانت برفقتي قد ايقظتني مازحة لان عناوين الصحيفة البولونية كانت واضحة : للقبض بالجملة على الفوضويين — فقد اعتقلت ماريا ريجير . فنزلت في لوقو وتركت الصغيرة مع احد الرفاق وعدت الى ماسالومباردا لاحذر الاخرين من الخطر . فقد استطاع سارتيني الفرار والقي القبض على زافاتيرو وتم اطلق سراحه في الحال لانه « لا وجه لاقامة الدعوى » . واما حيث انه كانت على اكتافي قضية في بيومبينو بمناسبة اضطرابات عمال الحديد المذكورة فقد لجأت الى باريس » (ارمندو بورقي المصدر المذكور ص ١١٨) وفي ٢ نوفمبر ١٩١١ ابلغ محافظ بولونيا وزارة الداخلية ان بورقي افلت من القبض عليه لعدم مبادرة مندوب ماسالومباردا . (المصدر المذكور A.C.S., b. 46, f. 113).

اكتوبر وكان يبدو ان حركة الفوضويين الايطاليين بالخارج قد اخذت تتسم بنفس الصبغة الملاحظة داخل البلاد والرامية الى ايجاد عمل موحد للقوات الثورية مع التشديد على : الاتجاه للاشادة بالحوادث الفردية كشكل عملي للاحتجاج والمطالب » ولم يخف مدير عام الامن العام اخطار المؤامرات التي تعد في سويسرا » للقيام باعتداء في المملكة (١٣) ولكن لننظر عن كثب الى هؤلاء اللاجئين الفوضويين النشطين بصورة خاصة في سويسرا وفرنسا . كانت مدن جنيف وبرن ولوقانو وزوريخ وباريس ومرسيليا من اهم ماكز انتشار الحركة الفوضوية الايطالية في الخارج . وبرسالة مؤرخة في ٩ اكتوبر ١٩١١ قدم رئيس البعثة الايطالية في برن كوكي صورة للوضع فيما يلي :

« كما سبق واحطت الادارة العامة علما فانه منذ وقت قريب شرع الفوضويون والاشتراكيون والثوريون المقيمون بسويسرا في دعاية نشطة ضد اسرة سافويا (الاسرة المالكة) ومؤسساتنا وذلك سواء بمقالات عنيفة تنشرها صحيفة « المنيري ديل لا فوراتوري » الصادرة بلوقانو بادارة جاشينتو مينوتي سيراتي Giacinto Menotti Serrati و « ريسفليو » الصادرة بجنيف بادراة الفوضوي المعروف لويجي برتوني او عن طريق محاضرات في جميع مراكز العمال يقوم بها بصورة متكررة لفيف من

---

(١٣) A.C.S., b. 24, f. 56, المصدر المذكور . عقد اجتماع يوم ٢٥ سبتبر ١٩١١ للفوضويين الايطاليين قرب دار الشعب بجنيف — وكتب قنصل ايطاليا ببرن الى وزارة الداخلية يوم ٢٦ سبتمبر ١٩١١ يقول : « كان الجميع متفقين على القول بانهم لن يفوتوا الفرصة ومن المؤكد انه عن طريق الاضراب العام او بعض الحوادث الفردية سيحاولون اصابة الحكومة في الصميم » واراء مماثلة اثيرت يوم ٢٤ سبتمبر خلال اجتماع سري تم في الدور الاول من قهوة لابيز بديجون ما بين لانوف Lanoff ولويجي برتوني L. Bertoni وشبرياني Cipriani وكارلو مالاتو Carlo Malato وذكر لاتوا محدثا الدهشة « ان هناك في الجو شيء مؤكد وهو انه قريبا ستجري محاولة ضد الملك او ضد رئيس مجلس الوزراء » واضاف ان رفائيل نيروتشي R. Nerucci الموجود في مرسيليا يعرف بعض الشيء عن ذلك · ان حملة طرابلس والاضرابات ستثير غضب الجماهير وتساعد على فرض الاعتداء » (المصدر المذكور ,A.C.S., b. 23, f. 64).

المشاغبين المحترفين . فبينما كانوا في السابق يستغلون اضراب بيومبينو والبا بطريقة ماهرة لاثارة جماهير العمال ضد الحكومة اما الان فيستغلون الحرب ضد الاتراك لاثارة اجتماعات متواصلة تلقى فيها اعنف الخطب وتنظم المظاهرات الاحتجاجية ضد المكاتب القنصلية . وعقدت اجتماعات الاحتجاج هذه في جنيف (١٤) ولوكارنو وزوريخ وبازيليا وغيرهم كما قامت مسيرات عديدة وصاخبة في جنيف وزوريخ ووصل الامر بهم في هذه المدينة الاخيرة الى كسر زجاج القنصلية وكادوا ان يستولوا على شعار الدولة . وفي جميع اعداد « انفيري ديل لافوراتوري » و « رزفليو » كانت منتشرة مقالات احتجاج ضد عملية طرابلس » . (١٥)

وكانت الصحيفة نصف شهرية « ريزفليو الاشتراكية الفوضوية » التي كانت تصدر بجنيف في طبعتين واحدة باللغة الفرنسية والاخرى بالايطالية كانت محور التنظيم وكانت تدور حولها جماعات مختلفة فوضوية ــ ليبرالية ثورية مثل « صالون كومنست » الذي كان يعمل في دكان حلاق (١٦) ونادي الشباب « فكرة ماتسيني » بزوريخ وهو يتالف في اغلبه من طلبة البوليتكنيك ويراسه المهندس اميليو جربي (١٧) «ولجنة مساعدة الفارين »

---

(١٤) وكتبت القنصلية الايطالية بجنيف يوم ٧ اكتوبر انه في يوم اول اكتوبر عقد اجتماع فوضوي « لصالح طرابلس تحدث فيه جوسبي كوجينو G. Cugnio فيرارونـي Ferraroni ، كومونـاردو Comunardo ، فريتسي Frizzi وبورتشيللي Porcelli » وفي نهاية الاجتماع صفروا وصرخوا ضد الحرب ومروا امام القنصلية (المصدر المذكور) .

(١٥) المصدر المذكور .

(١٦) كان النظام المعمول به في « دكان الحلاق » هذا نظام تعاوني وصافي الكسب كان يوجه للدعاية الفوضوية « لدرجة ان الزبائن والعمال كانوا « فوضويين أو متعاطفين معهم » والصالون الشيوعي « بلوزان نظم اكتتابا لصالح ماسيتي وصل يوم ٢٠ نوفمبر الى مبلغ ٢٠٠٠ ليرة (المصدر المذكور ــ تقرير المفوضية الايطالية ببرن الى وزارة الداخلية في ٤ ديسمبر ١٩١١) .

(١٧) ان جامعة زوريخ الشعبية « كتبت المفوضية الايطالية ببرن في ٧ مايو ١٩١٢ ــ هي مؤسسة ثورية بحتة بالرغم من جهودها في الظهور بمظهر اللاسياسية كي لا تفقد مساندة الملكيين الاحرار من ابناء الجالية . وقامت هذه الجامعة بمساعي الاشتراكيين والفوضويين الايطاليين الذين جاءوا الى زوريخ (المصدر المذكور) .

بزوريخ ولوقانو وقد تبدلت في يوليو ١٩١٢ الى « لجنة الاثارة ضد الحرب » (١٨) وجماعة « راسيوناليستا » بجنيف (١٩) وجماعة « بدون وطن » بجنيف ايضا وقد اندمجت في شهر يوليو ١٩١٢ مع مجموعة « الدراسات الاجتماعية » برئاسة انريكو البرتيني واميليو فراساتي (٢٠) « الجمعية الاشتراكية ـ الثورية للمهاجرين الايطاليين » التي نشأت في يوليو ١٩١٢ بناء على مبادرة من فرشي Vinci وماتيا Matea وهناك جماعات فوضوية ايطالية اخرى بسويسرا موجودة في بريجنيز (فورالبرغ) وبروق (كنتون ارقوفيا) وفي اراو .

فهذه النوادي والجمعيات كانت تهتم بصورة خاصة بجمع الاموال لمساعدة الفارين من الجندية والمضطهدين السياسيين ولتنظيم الحملة ضد الحرب الليبية (٢١) ، وكانت تقيم سهرات ثقافية راقصة وتمثيليات

---

(١٨) وابلغت مفوضية برن من جديد في اول مايو ١٩١٢ ان « لجنة مساعدة الفارين » « بلوقانو قد استلمت » مساعدات مالية كبيرة من المنظمات الايطالية المعادية بامريكا » (المصدر المذكور)

(١٩) « المجموعة النقابية الفوضوية » « راسيوناليستا » (...) قد اكتسبت بعض التفوق في الوسط الشعبي بصفتها الفوضوية البحتة . ويؤيدها نفس الاشتراكيين الايطاليين الثوريين بسويسرا في صراعها الذي شرعت فيه ضد جماعة الفوضويين المسماة « بدون وطن » التي كانت تريد ان تقاوم بالعنف العنصر العمالي بجنيف . وجماعة « راسيوناليستا » تبحث في جلساتها مختلف اهداف المدارس الفوضوية وتقرا خلال هذه الجلسات الكتب والكتيبات الجديدة وتعلق عليها وتدرس احسن الاساليب لنشر النظريات الثورية بين الجماهير » (المصدر المذكور b. 45, f. 112 رسالة المفوضية الايطالية ببرن الى وزارة الداخلية يوم ٨ ديسمبر ١٩١١) .

(٢٠) اكبر ممثلي جماعة « بدون وطن « كانو » جوفاني فيرلوني ولودوني فاللي ولولوبيرانتوني وجوسبي كوجينو وانيوتروسي وكانت الفكرة الاسلامية للجماعة « فوضى ثورية الى اقصى حد بقواعد فوضوية شيوعية مستوحاة من الدولية » وهذه الجماعة اشد نشاطا من « رزيليو » في الصراع السياسي بينما كانت تهمل المظاهر النقابية (المصدر المذكور ، رسالة مفوضية ايطاليا ببرن الى وزارة الداخلية في ١٠ نوفمبر ١٩١١ .

(٢١) در اكتتاب نظم في لوقانو في مايو ١٩١٢ لصالح الفارين من الجندية واللاجئين مبلغ ١٢٤٤٫٨٥ ليرة ومن بين القائمين بالمبادرة جوليو بارني Barni وباتيستا مانتيغاتسي Mantegazzi المصدر المذكور تقرير المفوضية الايطالية ببرن الى وزارة الداخلية في ١٧ مايو ١٩١٢) .

مسرحية يخصص ريعها لصالح « الدعاية ضد عملية السرقة التي تقودها الملكية السباودية » (٢٢) وكانت تنظم اسبوعيا يوم — الاحد في الاغلب — محاضرات وكان الخطباء المدعون ياتون في الغالب من الخارج ومن ايطاليا ايضا . ونجد بينهم غالبا شبرياني وسبراتي . (٢٣) ودي فالكو وبرتوني مدير صحيفة « رزنيليو » وحيث ان لويجي برتوني من منطقة تشينواي بصفته مواطنا سويسريا له الحق بموجب « حرية الكلمة التقليدية » التي يمنحها التشريع السويسري في امكانية « القيام بدعاية فوضوية نشطة وان يلقي خطابات دفاعية شبه عنيفة » وهي لا « تعاقب » كما كان يكتب كوكي رئيس المفوضية الايطالية ببرن :

« ان الحرب الحالية كما يواصل كوكي كلامه — وخاصة في اشهرها الثلاثة الاولى قد اعطت حجة لبرتوني ومساعديه الكثيرين للسير الى الامام بحملة شديدة ومقلقة للغاية ضد حكومتنا والبيت الملكي غايتها الواضحة اعداد جماهير العمال المهاجرين هنا لتاييد حركة ثورية محتملة في ايطاليا والعمل على « الانتقام لجنودنا القتلى في ليبيا » واستغل برتوني ورفاقه حادث الجندي ماستي ببولونيا واعتداء انطونيو داليا بصورة بارعة وواسعة لاثارة عنصر الشباب المتحمس في المهجر ضد الوطن . وفي الحملة التي بدات ضد حكومتنا ومؤسساتها . سواء كان الفوضويون ام الاشتراكيون والجمهوريون الذين تباروا في العنف فقد ايدتهم بصدق الصحافة والراي

---

(٢٢) هذا ما جاء في منشور دعائي في حفلة رقص شعبية نظمها نادي الشباب « فكرة ماتسيلي » بزوريخ .

(٢٣) تحدث سيراتي يوم ١٢ ديسمبر ١٩١١ في جنيف — وعلق على خطابه القنصل العام بلسو فكتب الى وزارة الداخلية في ١٦ ديسمبر : « كما يظهر من خطاب سيراتي فان الثورويين يتظاهرون بتحميل ملك ايطاليا مسؤولية الحرب وفظاعة العدو من السهل استنتاج امكانية اعتداء ومن وجهتي فقد اعطيت اوامر خاصة لرقابة مستمرة » (المصدر المذكور b. 23, f. 54).

العام السويسري اللذين كما هو معروف ابديا معارضتهما الشديدة لحملتنا ولم يجنبونا الشتائم والاهانات والتهم » . (٢٤)

ويؤكد ممثل ايطاليا في برن ان سويسرا تعج بالنقابيين والاشتراكيين والثوريين والجمهوريين والفوضويين الايطاليين واغلبهم جاء من هناك « لتجنب الاحكام الصادرة ضدهم لشغبهم ضد الحرب » . (٢٥)

ولم تقل نشاطا اعمال الفوضويين الايطاليين المهاجرين بفرنسا . وفي باريس كانت تعمل « مجموعة الفوضويين الشيوعين الناطقتين بالايطالية » التي يراسها انريكو البرتيني الذي نجده فيما بعد في سويسرا ومعه انريكو بتري وكازيميروتا فيلا وانجلوا مبروزولي ورومولونورما وسيرينو بياتسا وجوسبي فيريرو . (٢٦) وابلغت السفارة الايطالية في باريس في مايو ١٩١٢ ان الحركة الفوضوية الايطالية اخذت تستيقظ وتستمد اسبابها من الحرب الايطالية التركية « لمحاولة اثارة طبقة العمال الايطاليين ضد الحكومة وخاصة ضد الحرب الطرابلسية » (٢٧) وكانت هنا مجموعة اخرى

---

(٢٤) المصدر المذكور b. 45, f. 112 كان اسم دالبا في التقرير برنشسكو وهو خطا مدلفاه وبعد الحاح من الوزير المفوض الايطالي ببرن كوكي قررت الشرطة السويسرية القاء القبض على بيرتوني في ٢٩ يوليو ١٩١٢ وكتب كوكي في ٥ اغسطس ١٩١٢ الى وزارة الخارجية يقول : « يجب انتهاز فرصة استعداد الوزارة الاتحادية لتلقين درس الى برتوني الذي (...) يقود الحركة الفوضوية في سويسرا ولا يترك فرصة لا يهاجم فيها الحكومة الايطالية والبيت المالك . (المصدر المذكور) .

(٢٥) المصدر المذكور .

(٢٦) من البارزين الاخرين كان : نيكولا سانتونشينو ولورنزوبيكو ولندريا فورينا واوريستي دوناتي وستيفانو اسبوزيتو ولورنزو بارسوتي وروكوايما وباسكوالي كوريتي وجولاني كالاندري ونيوبوتساني وج . ب . كولومبو وفيوريو كولومبو وفنشنزوموريللو وبلولو ميرلي والطونيو دالبيوند ووايتوري كاساني وفيلتشي فيترلني وارماندو بورقي وقد ساعد فيتسلتي بورقي بعد وصوله الى باريس (انظر ارمندو بورقي المصدر المذكور ص ١٢٠ — ١١٩) .

(٢٧) المصدر المذكور — رسالة السفارة الايطالية في باريس الى وزارة الخارجية في ٣٠ مايو ١٩١٢ كان الفوضويون الايطاليون بباريس يجتمعون بشارع بريطاني رقم ٤٩ .

نشطة في فرنسا تدعى « جماعة بيترو قوري التحررية P. Gori بمرسيليا وكان من اكبر البارزين فيها كريزو كريزي واديلموساريديني واميليو كازيللي وروفوفالبنى والدو بيلوني وانكيثري سبرانا وايتسيو سبرانا ورفائيلي نيروتشي . وكذلك مجموعة « بيترو وقوري » وكانت تنظم حفلات ومظاهرات واكتتابات وغير ذلك . ففي ٢٤ ديسمبر نظمت بالتعاون مع اللجنة الاسبانية « بروامنستيا » اجتماعا كبيرا في قاعة فيريير للاحتجاج على الاحكام السياسية والحرب الليبية . (٢٨)

وفي لندن كان يعمل انريكو مالاتيستا الذي غدى شبه رمز للخارجين الفوضويين الايطاليين حتى وان كانت المجموعة الفوضوية بانكلترا اقرب الى الهبوط على ما كان يبدو . (٢٩)

وهكذا يصف بورقي باريس ذلك الوقت كما كانت تبدو امام امين الفوضويين الايطاليين « بالرغم من المناكسات الاولى فقد وقعت انا ايضا تحت سحر المدينة . ان مناضليها وصحفها واجتماعاتها ونقاباتها وقاعات الدراسة والمقاصف والمكتبات العامة واسماء الطرق والميادين وحتى المقابر فان كل شيء فيها قد وجد لتنشيط الذكاء وتوسيع الافكار والتذكير بعذاب العالم المعاصر في صعوده (...) وكانت تصدر صحيفة يومية باسم « الحركة النقابية » بايحاء فوضوي ومجلة « الازمنة الجديدة » التي كان يديرها جان قريف J. Grave كانت ملتقى خيرة مثقفينا في العالم وصحيفة « ليبرتير » بادارة بيير مارتين P. Martin كانت لسان حال الاضطراب الشعبي الجديد . وفي باريس لحسن الحظ كنت لا القي بل استمع للمحاضرات وكان في امكاني ان اختار دائما » . (ارماندو بورقي المصدر المذكور ص ١٢٠) .

(٢٨) « كتب في منشور الدعاية الذي وزع في الاجتماع ان ايطاليا تسفك دماء اسرى بلد مثالي في السلام والخير الانساني . وتسجن بدون هوادة اولئك الذين رفعوا اصوات الاحتجاج ضد الغزو ومخاطر حرب مغامرة ظالمة . وفي الوقت الذي ترسل فيه الالاف من ابنائها ليقتلوا في واحات طرابلس فان اراضيها الخصبة الغير مزروعة تئن وتتوجع . ويقاسي مواطنوها الجوع والبطالة ويهاجر اخوتنا جماعات الى الاراضي الاجنبية .

(٢٩) وابلغت القنصلية الايطالية بلندن وزارة الداخلية عن اجتماع وقع في ٢٨ اكتوبر ١٩١١ « بلودريفورم رستوران » للاحتفال بمرور ٢٥ سنة على تاسيس جماعة « فريدوم » ولوحظ بين الحاضرين الفوضوي الايطالي مالاتيستا انيكو الذي تحدث عن احتلال طرابلس » . (المصدر المذكور A.C.S., b. 23, f. 54, I)وطلب مالاتيستا في جماعة

فما هو وزن هذه الفوضوية الايطالية النشطة بالخارج والدائبة الحركة والملتزمة والتي كانت تعمل وفي وسط متحرك عقائديا ودوليا كوسط باريس وسويسرا الذي كان من بين ضيوفه لينين الشاب ؟ ان وزنه السياسي في الواقع كان ضئيلا وقليل الاهمية ، خاصة لان موضوعات الدعوى الفوضوية بالرغم من انعاشها بالمسألة الليبية وبالصراع الجديد المشترك مع قوات اخرى متطرفة فانها كانت كما يبدو قاصرة عن الحصول على تاييد جماهير الطبقة العاملة التي تربت في الجو الاصلاحي لعهد جوليتي — واعمال الحركة لم تتعد في الغالب مهام جمعية تعاون متبادل ، فالبعد عن الوطن الام بالرغم من وجود اتصالات متعددة ومستمرة بالجماعات والزعماء الذين كانوا يعملون في ايطاليا وبالرغم ايضا من ان مواضيع الدعاية كانت في جوهرها واحدة فان هذا البعد عن الوطن كان يحول دون الفوضويين الخارجين في الغالب ودون رؤية الاحجام الحقيقية للمشاكل ، هذا دون الاشارة الى الصعوبات المرتبطة دوما بالعمل تحت سيف مسلط او السجن او هجوم الشرطة . ومع ذلك فقد ظل الايمان بالقضية كاملا . شحنة قوية وكثيفة من الانفعالات والعواطف والالتزام الصارم في الصراع والدعاية .

وان الاهتمام الذي كانت توليه الشرطة بدون توقف لحركات هؤلاء الفوضويين سواء داخل الوطن ام في الخارج فقد املاه بصورة خاصة الخوف من وقوع اعتداءات على شخصيات سياسية ايطالية ومن مؤامرات تنظم في الخارج في تركيا مثلا لاحداث ازمة داخل الدولة عن طريق اعمال العنف الامر الذي قد تكون له تاثيرات على ميدان الحرب . (٣٠) فكان

« فريدوم » لن يكونوا نشطين بحيث « يحولون دون مغامرات فرصلة مثل التي تقوم بها الحكومة الايطالية في طرابلس » (انظر « فريدوم » — صحيفة الفوضويين الشيوعيين » نوفمبر ١٩١١ ص ٢) .

(٣٠) انظر A.C.S., b. 29, f. 68 المصدر المذكور حيث يتحدث عن مؤامرة بين الشباب التركي والاشتراكيين والامن تبدو فيها صورة للفوضوي واراديان واضحة . وبدا الحديث

الحديث يدور عن مؤامرات بتفاصيل اكثر او اقل ترد في تقارير قناصل ايطاليا في الخارج والمحافظين والمخبرين . فكانت محاولة لوضع عالم غامض وسري تحت الرقابة لتجنب اعمال طائشة قد يخلق في البلاد اوضاعا لا يمكن السيطرة عليها . فكانت رسائل التهديد تصل يوميا تقريبا الى الملك والى جوليتي وسبنقاردي . ويبدو ان عملا كهذا كان باديا في الجو وينتظر وقوعه من لحظة واخرى بخوف وفزع .

وفي ١٤ مارس ١٩١٢ اطلق انطونيو ديالبا A. Dialba عامل بناء في العشرين من عمره ثلاث رصاصات من مسدس على العربة الملكية في قلب شارع الكورسو بروما وكاد ان يصيب شخص الملك . (٣١) وكثيرون رأوا في هذا الحادث مؤامرة دبرها الفوضويون بالخارج . وفي مايو ١٩١٢ اشارت صحيفة « دي فوسيشي زايتونغ » ان الاوساط الايطالية تعتقد ان ديالبا قد قام بعمله « بتفويض من الفوضويين الدوليين الاجانب » . (٣٢)

من احتمال الاعتداء على جوليتي بمناسبة مادبة تورينو يوم ٧ اكتوبر ١٩١١ فقد كتب محافظ تورينو فيتوريللي الى المدير العام فيلياني يوم ٣٠ سبتمبر ١٩١١ ملاحظا ان التهديد الذي وجهته صحيفة « صيحة الشعب » اليوم وهي لسان حال الحزب الاشتراكي المحلي من ان الاشتراكيين والعمال سيقابلون رئيس الوزراء بالصفير عند وصوله الى المادبة فهذا التهديد يستحق اهتماما خاصا بل ويخاف من وقوع مظاهرات اشتراكية محتملة وقت المادبة » ومنظمو هذا الشغب حسب تحقيقات الامن العام قد يكونا الفوضويين ايتوري بارتولاتس وليليو لونقي .

(٣١) كان ديالبا مختبئا تحت اقواس سرايا ماسيلياني بشارع الكورسو وانتظر مرور السيارة نحو البانثيون حيث كانت ستقام حفلة دينية بمناسبة ذكرى ميلاد امبرتو الاول . واقتحم ديالبا الناس القليلين الموجودين واطلق ثلاث رصاصات طاشت الاولى والثالثة منها اما الثانية فجرحت رائد الحرس جوفاني لانق الذي كان يحرس السيارة الملكية . وامسك احد شرطة الدراجات بديالبا وقال انسالدو « ان رجال الحرس احاطوا بالسيارة الملكية وارتفع صوت ضابط صائحا الى الامام » وواصل الموكب سيره خارجا من شارع لاطا . ان الموت « نفس » موت امبرتو في مونزا كادت ان تمس الملك » (جوفاني انسالدو المصدر المذكور ص ٤٢٥) وحكم على انطونيو ديالبا يوم ٩ اكتوبر ١٩١٢ بثلاثين سنة سجن امام محكمة روما . ودافع عنه النائب الاشتراكي فيري الجنائي المشهور .

(٣٢) المقال كان معنونا : الفوضوية الايطالية ـ انظر المصدر المذكور A.C.S., b. 46, f. 113

وفي طرابلس كان الميل الى الاعتقاد بان الاعتداء قد نظمه الاتراك (٣٣) وانه لمن الصعب جدا البحث عن علاقة بين دياليا والفوضوية الدولية وربما بورقي كان على حق عندما كتب يقول : « ان الفوضويين لا يحتاجون بصورة عامة الى اي شريك لتقرير العمل من انفسهم » . فمن المحتمل جدا أن يكون العمل فرديا . وفي الواقع ان الجو الذي خلقته الحرب كان يساعد على قيام العناصر السهلة التاثر بنوع من الدعاية باعمال متطرفة مثل عمل انطونيو دياليا . وكتب جوفاني انسالدو محللا بدقة هذه الفترة السياسية الخاصة :

« ان حرب طرابلس بما قدمته من دروس عملية في العنف باشعال المزاجات والخيالات قد حولت (..) الكثير من الشبان من ذوي الوطنية غير الواضحة الى قوميين ، والكثير من العمال واصحاب الحرف الى متطرفين من النوع الرومانيولي والموسوليناني — وفعلت اكثر من ذلك فقد اوقدت في كثير من الفوضويين المثاليين فكرة العودة الى النضال . (٣٤) ان كابوس

---

(٣٣) انظر رسالة بومبيو كامبيللو الى الجنرال بروساتي موجودة في
A.C.S., A.B., sc. 9, f. VI.2.34 n/ 38

(٣٤) جوفاني انسالدو المصدر المذكور ص ٢٥ — ٤٢٤ وكتب انسالدو ايضا : « الملك كان ينظر الى صور المعتدي التي ارسلتها الشرطة الى قصر الكورينال — انه نفس الشكل الشاحب المنفعل الذي يشبه من بعيد ذلك الاخر رجل مونزا (الذي قتل والده الملك امبرتو) فعلى هذا فان كل شيء قد فشل خلال عشر سنوات من ملكه . ماذا افادت اذن الحياة النيابية السليمة والتملق الكثير لاحزاب اليسار والكثير من التسامح نحو الثورويين من جميع الدرجات لذا ما كان هو ايضا (الملك) كاد ان يقع في الفخ مثل ما يقع المصور في غابات سان روسوري ؟ (...) ولماذا فكر هذا الشقي في اطلاق الرصاص عليه الان بالذات ؟ فالصحف كانت تقول انه نصف مجنون وان تصرفه فردي ولا توجد اية مؤامرة يا للاكتشاف العظيم . لقد شعر الملك نفسه بذلك في الحال . ولكن ذلك لا يجيب على السؤال ، لماذا بعد سنوات من الطمانينة وزيارات منظمة حتى للمدن ذات السمعة السيئة يعود اتصاف المجانين من جديد وقد استحوذت عليهم فكرة الاعتداء على ملك ايطاليا ؟ ان الرد قد اعطاه الملك انها الحرب حرب افريقيا التي اعادت غليان بذور الفوضوية القديمة والتي دفعت بهذا الشاب الى اطلاق الرصاص على الملك (...) ان افكارا جادة تدور في راس ابن مارغريتا ، انه راس ذكي وبارد تنبثق منه الاستنباطات المنطقية دون مراعاة احد ، ان جميع سياسة جوليتي ستكون محل دراسة قاسية (المصدر المذكور ص ٢٣ — ٤٢٦)

(بريشي) * ثاني كان يجثم منذ سنوات على قصر الكويرنيال وقد حاول جوليتي ابعاده الى الابد عن طريق محاولة التقريب بين الجماهير العاملة والدولة غير انه اطل من جديد واخذ حجما في جو الحرب الليبية . ويبدو ان طلقات ديالبا الثلاث قد حطمت عمل مثابر دام عشر سنوات ، فهذه الرصاصات التي لم تصب الملك كما كتب انسالدو بل « قد اصابت نظام جوليتي في رباطه الدقيق : تلك العلاقة ما بين الوزير والملك » (٣٥)

وقد اصيب النظام الجوليتي بتصدع اخر وهو نقطة ضعف في كيانه المترنح : ان اعتداء شارع الكورسو اضعف ثقة الملك في وزيره الذي عجز عن تجنب هذا الحادث الغير سار . فالتوازن الذي خلق خلال عشر سنوات من العلاقات ما بين الرجلين البيمونتيين (نسبة لبيمونتي) كان يبدو ان ماله التحطم . ولا يخلو من مغزى الامر في ان جوليتي لا يشير ابدا في مذكراته الى هذا الحادث الذي لا يمكن اهماله . ومنح اعتداء ديالبا الحركة الفوضوية سببا في مواصلة معركتها بدون هوادة واحدث بصورة خاصة في العصر الفوضوي الايطالي بسويسرا « حماسا عظيما » . (٣٦) ووجد عمل ديالبا مدافعين عنه في صحيفتي « ريزفليو » و « مستقبل العالم » وفي كثير من الخطب والمحاضرات . وقد ازدادت لهجة الدعاية وضرورة القيام باعمال عنف جديدة . (٣٧) وقد وجدت الفوضوية الايطالية هذه في الفترة التي تبدأ من الحرب الليبية الى الحرب العالمية الاولى ميدان صراع مشترك مع موجة الاشتراكية الثورية المتجددة قوتها بالرغم من وجود خلافات عقائدية لا تنكر .



تلقت الاشتراكية الايطالية عشية الحرب الليبية شبه حكم بالموت صادر

(*) اسم قاتل الملك امبرتو (المعرب) .

(٣٥) المصدر المذكور ص ٤٣٩ .

(٣٦) A.C.S., Min. Int. Uff. ris., b. 45, f. 112 رسالة المفوضية الايطالية ببرن الى وزارة الداخلية في ٢٠ مارس ١٩١٢ .

من بنديتو كروتشي Benedetto Croce في مقال له بعنوان « موت الاشتراكية » نشر في صحيفة « لافوتشي » باسم مستعار وهو فاليا دي كالشيدونيا . (٣٨) وفي الواقع فان الانطباع عن الاشتراكية الايطالية الاوروبية في تلك السنوات كان يؤكد راي كروتشي . وبقبول جوليتي لمبادىء البرنامج الادنى التوراتي (نسبة لتوراتي) كان يبدو وكانه قد نزع عن الحزب الاشتراكي تلك الشحنة وتلك الاندفاعات التي كان يتقد فيها اكثر الطموح الى حرب الطبقات . ولم يكن كل شيء سلبيا في الاشتراكية التوارتية خلال السنوات الاولى من القرن . فقد مثلت كما كتب دي روسا « اول خطوة منهجية » في سياسة ترمي الى قطف وقيادة الضغوط والاندفاعات الديموقراطية داخل الاساس المادي للدولة الحديثة وذلك بصورة منظمة ومدركة . فكان اول مظهر وان كان ضعيفا وتجريبيا لسياسة قد انفصلت فعلا عن سياسة النهضة التقليدية . (٣٩) ووصل الامر في تلك السنوات الى اعتبار الاشتراكية « كحدث وامكانية متجانسة مع تطور البرجوازية الراسمالية نفسها » (٤٠) وهكذا يبدو ربما ان راي كروتشي قد اصاب الهدف مؤكدا نهاية تلك الاشتراكية التي ظلت حتى نهاية القرن تعد رعب البرجوازية ومفزعها . ويبدو ايضا أن جوليتي اراد ان يعتنق

---

(٣٧) اكد المندوب الايطالي ماتيا خلال مؤتمر اتحاد الاتحادات العمالية الذي عقد في ايفردون Yverdon في ٢١ — ٢٠ يوليو ١٩١٢ ضرورة مواجهة « السلاح بالسلاح والرشاش بالرشاش والخنجر والقنبلة والعين بالعين والسن بالسن » . وكان جدول الاعمال الذي تم الاتفاق عليه يحوي عشر نقاط تعكس هذا الخط . وكان الموضوع الاساسي في النقاش هي المسألة الليبية . فاكد ان الشعب لابطالي لم يقاوم بما فيه الكفاية لانه « اقتنع باكاذيب الراسماليين والحكام » ولان العمال كانوا ينتظرون « الحصول على قطعة ارض في الارض المحتلة الجديدة وضع حد لالام عائلاتهم » (تقرير فنشي) . (المصدر المذكور ، رسالة قنصلية جنيف الى وزارة الداخلية في ٢٢ يوليو ١٩١٢) .

(٣٨) اعيد نشر هذا المقال في كتاب « الاشتراكية في تاريخ ايطاليا » باشراف فاسطولي ماناكوردا . باري ١٩٦٦ ص ٢٧٥ — ٢٦٧ .

(٣٩) قابريلي دي روزا — ازمة الدولة الليبرالية في ايطاليا — روما ١٩٦٤ ص ١٣٢ .

راي كروتشي وذلك عندما اكد امام مجلس النواب « ان الاشتراكية الايطالية قد وضعت كارل ماركس على الرف » . غير ان المنهج الاصلاحي والتدريجي الذي كما كان يبدو قد اعطى نتائج طيبة في ميدان التربية السياسية والديموقراطية والمدنية للعمال الايطاليين خلال العقد الاول من القرن فانه لم يكن يملك اي بديل سليم يواجه به حدوث ازمة في النظام الجوليتي . فعندما بدت هذه الازمة واضحة فان الاشتراكية التوراتية قد اضطرت الى فقدان قيادة الحزب لانها — ربما — عاشت طويلا بفكرة كونها الوريث الطبيعي للبرجوازية دون ان تدرك انها اي البرجوازية قد اخذت تدير لها ظهرها للاتحاد مع قوات كان يبدو انها اكثر استعدادا للتجاوب مع مطامحها او مصالحها .

وجاءت الحرب الليبية لتكشف هذه الازمة الكامنة في الميدان الاشتراكي ولتحرك المياه بصورة مضطربة في الغالب ولتوضح ايضا وتحدد مواقف الجماعات والزعماء . وفي عشية الحرب نجد ثلاثة مواقف محددة جيدا تجاه العملية الاستعمارية : الموقف الرسمي لتوارتي وصحيفة « افانتي » تعارض الحرب كمبدأ وترتبط بمواضيع السلام التقليدية دون الاندفاع بالاحتجاج نحو اشكال عنيفة ، وموقف الاصلاحيين اليمينيين بزعامة بيسولاتي وبصورة خاصة بونومي الذين كانوا يهتفون للعملية بنفس اللهجة التي وضعها جوليتي وكانوا يطالبون « بالتضامن السلالي الذي لا يعارض بل يتكامل مع تضامن الطبقات » (٤١) وانضم جماعة من النقابيين الثوريين الى هؤلاء المجندين للحملة الطرابلسية ومن بينهم لابريولا واورانو واوليفتي الذين برروا تاييدهم للحملة بصورة مختلفة ترتكز على موضوع صراع الطبقات الذي انتقل الى الميدان الدولي ، واخيرا فان اولئك الذين كانوا معارضين

---

(٤٠) المصدر المذكور ص ١٣٢ .

(٤١) هكذا كان يؤكد بونومي — انظر جوسبي ماماريلا Giuseppe Mammarella المصدر المذكور ص ٣٠٢ .

(٤٢) الريف الطرابلسي في صحيفة « افانتي » ١٣ سبتمبر ١٩١١ .

للحملة الليبية وعازمين على القيام بعمل احتجاج عنيف كانوا ممثلي اليسار والنقابية الثورية يراسهم لاتزاري وموسوليني ودي امبريس وكوريدوني بالاضافة الى اتحاد الشباب .

وفي ١٣ سبتمبر ١٩١١ اتخذت صحيفة « افانتي » موقفا حازما ضد الحرب الايطالية — التركية مكررة بتاكيدات اندريا كوستا Andrea Costa عام ١٨٩٦ الذي جاء فيها « لا رجل ولا قرش من اجل ارتيريا » وكتبت : « ان رفض كوستا الذي اتهم اذ ذاك بعدم الوطنية قد اكدته بصورة مفجعة الاحداث الدامية التي لا تزال جميع الامهات الايطاليات تذكرها . يجب أن يرتفع مرة اخرى صوت الحزب الاشتراكي صائحا في مستشاري السوء الذين يتزاحمون حول الحكومة لدفعها على الحملة . فقبل برقة هناك كلابريا وهناك سردينيا ثلثا ايطاليا ايها التعساء الذين يهذون بالعظمة والقوة الوطنية وفي عهد الخلاص الايجابي هذا ومن اجل اندفاع بلادنا الاكيد نحو التمدن فنحن نطالب بملايين الدولة وعناية القوانين . واننا نقاوم وسنقاوم بجميع الوسائل اية محاولة لجر ايطاليا نحو مغامرات جديدة » . (٤٢)

وبعد بضعة ايام حذر توارتي من على صفحات « كريتيكا سوشالي » الحكومة من جديد على أن لا تقوم بخطوات خاطئة ولم يخف امكانية قيام الاشتراكيين الايطاليين بمقاومة حازمة . (٤٣) ولكن زعيم الاشتراكيين الايطاليين كان في الواقع كما يبدو لا يزال يثق في جوليتي ويعتبره « فطنا وذكيا بحيث لا يجلب السرور الفائق لاعدائه الاعزاء برؤيته يسقط في الفخ

---

(٤٣) « اذا كان للذوق السليم لا يكفي لمنع المسؤولين من المغالاة التي بدت رياحها بضجة غير عادية . واذا كان عند اتراك وطرابلسية ليطاليا ترفض التعقل وتستميت في دفع الامور الى الهاوية فنعتقد وفي هذا الوقت لا نستطيع ان نخفيه بان الحزب الاشتراكي والعمال المنظمين الايطاليين لديهم اليوم ما يكفي من الضمير والقوة لرفع رؤوسهم وانهم يستطيعون دون فخر ولا خيلاء مواجهة المدعين الثرثارين وان يقال لهم ببساطة : الى الامام يا سادتي — نحن مستعدون » (من بينا الى مراكش وطرابلس مرورا بروما — منشور في « كريتيكا سوشالي » ١٨ سبتمبر ١٩١١) .

الذي يعدونه له « ولم يكن توارتي يعتقد ان جوليتي « وهو في اقصى حد حياته السياسية » قد تمزق » العلم المرفوع لاوسع تاييد من اجل شهوة الامجاد الدموية التي وصمت وطبعت شيخوخة كريسبي . (٤٤)

الامر اذن هو معارضة الحزب للحرب ، معارضة اكدها اجتماع بولونيا الذي اشترك فيه في ٢٥ سبتمبر الاتحاد العام للعمل وادارة الحزب ومجموعة البرلمان . (٤٥) وقد تقرر في اجتماع بولونيا — مع بعض المعارضة — القيام باضطراب عام لمدة ٢٤ ساعة مع اقتراح جاء فيه انه بالرغم من ادانته للعملية الليبية « باسم مصالح الوطن الحقيقية والعميقة وخاصة الطبقات العاملة » فقد دعي العمال الى قصر الاضراب « في حدود النظام الدقيق وفي الاوقات القصيرة التي حددها الاتحاد ».وذلك من اجل تجنب خطر «تقوية التيارات العسكرية ورد الفعل الذي تقوم به بوارجنا في طرابلس » (٤٦) (٤٦) وكان كل من بيسولاتي ولوكود وميكوكالدا ونوفري وزربوليو وبونومي معارضين للاضراب وكانت خشية بيسولاتي في ان يرى بصورة خاصة تعديل المواقف التي وصل اليها الحزب عن طريق اضطرابات عنيفة بالاضافة الى المخاطرة بتطبيق الاقتراع العام . (٤٧) وكان تواراتي مصمما بهذه

---

(٤٤) المصدر المذكور — كتبفليبو ميدا F. Meda ان عملية طرابلس « وجدت الاشتراكيين متشتتين اكثر من اي وقت مضى . فحتى الساعة الاخيرة من فترة الاعداد القصيرة لم يعتقدوا ان الغزو سيتم . وعندما تم لم يخفوا املهم في ان تقوم عقبات من شانها ان تفرض على الحكومة التراجع » . (فليبو ميدا « الاشتراكية السياسية في ايطاليا » ميلانو ١٩٢٤ ص ٥٧٠) .

(٤٥) لقد كان المجلس الاداري لاتحاد عام العمل الذي طالب بجلسة عامة لمختلف اجهزة الحزب وعقد اجتماعات عامة مصرحا بانه « من اجل تجنب كوارث الحرب فهم مخطرون للاضراب الذي اسند امر اعلانه الى اللجنة التنفيذية بالاتفاق مع الحزب الاشتراكي الايطالي والمجموعة البرلمانية الاشتراكية » . (انظر — الاتحاد العام للعمل في الوثائق والمستندات والمؤتمرات ١٩٣٦ — ٩٠٦ باشراف لوتشانا ماركيتي — ميلانو ١٩٦٢ ص ٤٧ — ١٤٦) .

(٤٦) انظر — الحزب الاشتراكي الايطالي في مؤتمراته باشراف فرنكو بيدونه Franco Pedone ميلانو ١٩٦١ ص ١٦٠ — ١٥٩ .

(٤٧) بخصوص موقف بيسولاتي في هذا الاجتماع انظر ص ١٣٨ — هامش ١٠٨ . ولينظر

المناسبة على اسماع احتجاج الحزب حتى ولو انه اضطر الى الاضراب العام كي لا يكذب منظمات محلية مثل تنظيم ميلانو بقيادة فاليرا وكوريدوني وقد اعلنا منذ ١٥ سبتمبر الاضراب . (٤٨)وتنظيم فورلي الذي حدد يوم ٢٦ للاضراب . (٤٩)

ففي فورلي دام الاضراب يومين اي يوم ٢٦ و ٢٧ وفي هذه المنطقة اتخذت المظاهرات شكلا حادا وعنيفا بعكس مقاطعات ايطالية اخرى حيث تم الاضراب « بصورة قوية ومعتدلة » كما كتبت صحيفة « افانتي » (٥٠) التي لم ترد ان تقول ان النجاح كان جزئيا . وفي منطقة فورلي تراس بنيتو موسوليني وسكرتير غرفة العمل اومبرتو بيانكي الاحتجاج ضد طرابلس وقد نظم بالاتفاق مع الفوضويين والجمهوريين مثل بيترو نيني Nenni وارماندو كازاليني Casalini واتخذت المظاهرات في الغالب اشكالا مؤثرة فقد حاولوا منع وصول المجندين الى دار المحافظة بجميع الوسائل (اقامة عراقيل في الطريق ووضع ادوات وسلالم وغيرهما جمعت من اماكن قريبة كما ابرق بذلك محافظ فورلي) وقاموا بتخريب القطار

ايضا بخصوص بيسولاتي والحرب الليبية مقالاته في صحيفة « سيكولو » في ١٥ سبتمبر و ٧ أكتوبر ١٩١١ والمنشورة الان في كتاب : لونيد ابيسولاتي : « سياسة ايطاليا الخارجية من ١٨٩٧ الى ١٩٢٠ كتابات وخطب » — ميلانو ١٩٣٣ ص ٢٤٧ — ٢٢٩ .

(٤٨) جوزيبي ماريلا — المصدر المذكور ص ٣٠٠ .

(٤٩) رنيودي فليتشي ، موسوليني الثائر — تورينو ١٩٦٥ ص ٦ — ١٠٥ .

(٥٠) كتبت صحيفة « افانتي » بتاريخ ٢٩ سبتمبر « تقف الان طبقة العمال مستعدة للتعبير بشكل كاف عن ادانتها للاحداث التي تقع خارج مداورها وارادتها ومسؤولياتها » وان فكرة « افانتي » في انه على الطبقة العاملة ان تنتظر الاحداث بعد تحديد المسؤوليات لم يوافق عليها بيسولاتي الذي كتب في صحيفة « سيكولو » في ٧ اكتوبر مقالا بعنوان (واجبنا الجديد) قال فيه : ان المعارضة قد تمت والاحتجاج تحقق والمسؤوليات تحددت وسنواصل النقد في وقته ولكن في هذه الاثناء وقع الامر وبدا وضع جديد — فهل علينا ان نتوقف ونعاود الاحتجاج وننزوي في ركن دون ان نحاول التاثير على الاحداث الاقل اهمية ! » .

الكهربائي نورلي — امتدولا كما سببوا اضرارا للخطوط التلغرافية والحديدية . (٥١) ويوم ٣٠ سبتمبر حيى موسوليني من على جريدة « صراع الطبقات » نجاح الاضراب العام بفورلي « كاجمل واصدق حدس وافظع مظاهرة للارادة العمالية »

« لقد اعطت فورلي العمالية اعظم مثل . الاضراب العام وقد نجح نجاحا كاملا فنغتبط من اعماق نفوسنا واغتباطنا — لاسباب عدة — مشروع (...) لقد كنا الاوائل في تعويد العمال على سلاح التخريب . وقد جرب التخريب . انها محاولات كما نعلم ولكنها محاولات ذات مغزى — لقد برهن العمال بتوقفهم التام عن العمل وبتخريبهم هذا انهم يعنون كل الوزن الثوري للاضراب العام (...) العمال الاشتراكيين قد ملوا السلمية . فبعد بضعة سنوات من الدعاية ستستطيع هذه الجماهير القيام باعمال بطولية وتضحيات مثمرة حتى الفلاحين قد استجابوا بصورة مدهشة للنداء ولم يتخلف احد .

ولمدة يومين وليلتين كان الشعب المجهول المستغل المحتقر الملك السيد لطرق وميادين المدينة .

ولم يقع اي حادث رغم الظلام فالطبقة العاملة لا تسيء استعمال الحرية . فلم تسجل الاخبار حوادث اعتداء او مشاجرات او سرقات — لقد القيت بعض الاحجار وبعض الصياح ومناقشات حادة لا غير

ستظل يوما ٢٦ و ٢٧ محفورين باحرف من نار في تاريخ الطبقة العاملة بفورلي » . (٥٢)

---

(٥١) رينودي فليتشي — المصدر المذكور ص ٧ — ١٠٦ — النظر بهذا الخصوص ايضا دويليو سوسميل Duilio Susmel « نيتي وموسوليني — لصف قرن في الجبهة » ميلانو ١٩٦٩ ص ٢١ — ١٢ .

(٥٢) بنيتو موسوليني « اوبرا اومينا » « Opera Omnia » باشراف ادوارد ودويليو سوسميل فلورنس ٦٣ — ١٩٥١ المجلد ٤ ص ٦١ وما يتبعها .

لقد حققت الاشادة بالتخريب والاضراب العام وهي القاعدة « نعقلية ثورية جديدة » غرضها في « تحطيم السلمية الاصلاحية الحاسبة » وتحرير الحزب من « عساكر جوليتي » ومن « الدمى المحشوة بالقش » ومن هنا كانت ثقة موسوليني في احداث المستقبل الذي كان يبدو وكانه يخفي تطورا ثوريا غير بعيد لحركة الفلاحين والعمال . (٥٣)

ربما فات على موسوليني تصور الواقع في مناطق اخرى من ايطاليا حيث كان الدفع الثوري على ما يبدو لا يزال خامدا وحيث انه كان ينقص الاتصال الحقيقي بالقاعدة ومما لا شك فيه انه ضمن بان شيئا ما كان يتحرك داخل الاشتراكية الايطالية وان الحرب الليبية والمعارضة التي تقوم بها تحت اشكال مختلفة القوى الثورية وقوى الشباب بالحركة العمالية كان من المقرر لها ان تاتي باثارها ، وان الخلاف اخذ يزداد تجاه ادارة الحزب التي تعلن اضرابا واحتجاجا « معتدلا محددا بالساعة » (٥٤) ولا شك في ان الوضع الجديد الذي نشا داخل الحزب بالاضافة الى الحرب الليبية اعطى لشخص موسوليني حجما جديدا . فقد اخذ يظهر امام يسار الحزب

---

(٥٣) القي القبض على موسوليني ونيني واوريليو لوللي في ١٤ اكتوبر ١٩٤٤ ووجهت اليهم التهم التالية : « مقاومة القوة العامة واصابة ضباط عموميين (...) انتهاك حرية المستخدمين للسلاح ومقاومة السلطة واصابات الموظفين العموميين (...) بالقرب من محطة السكة الحديدية (...) اغلاق المتاجر والمصانع بالعنف (...) ايقاف القطارات الكهربائية في رومانيا بالعنف وقلب عربات البضائع وتخريب الاعمدة الحاملة واخذ ما يقارب ٤٠٠ متر من الاسلاك (...) الحاق الضرر بالخط البرقي الحكومي بواسطة اسقاط الاعمدة الحاملة وكسر الاسلاك (...) ايقاف مناورة احدى القاطرات بالعنف (...) وضع عمود برق على الخط الحديدي فورلي ــ لنكونا مع خطر احداث كارثة للقطار السريع رقم ٦٤ (...) » (انظر قويدو دورسو Guido Dorso « موسوليني في طريق الاستيلاء على الحكم » . تورينو ١٩٤٩ ص ٦١ ــ ٦٠) وقد حوكم موسوليني يوم ٢٣ نوفمبر وحكم عليه بالسجن عاما . وحكم على نيني بعام سجن وخمسة عشر يوما و ٥٠٠ ليرة غرامة وحكم على اوريليو لوللي بستة اشهر سجن و ٢٠٠ ليرة غرامة . وفي الاستئناف يوم ١٩ فبراير ١٩١٢ .

(٥٤) بنيتو موسوليني ــ المصدر المذكور .

الاشتراكي الايطالي كالرجل الجديد الذي في الامكان الاعتماد عليه للسير حتى النهاية بالمعركة ضد الاصلاحية و « عسكر جوليتي » (٥٥) .

وكان فريق يسار الحزب قد جعل من كوستا نتينولازاري اكبر ممثليه وهو الوريث « للعمالية القديمة » وكان يتولى في روما مع جوفاني ليردا اصدار صحيفة «لا سوفيتا» الاسبوعية واختير الاسم للرد على تاكيدات اتباع جوليتي القائلة بان ماركس قد وضع في غرفة السقف اي وضع على الرف (٥٦) وكانت الصحيفة الاشتراكية الرومانية الجديدة هي المنسقة لمختلف الاتجاهات الثورية في الحزب ولجميع التظاهرات ضد الحرب الليبية التي كانت تنظمها مختلف الفروع . وقد افاد هذا لازاري والجزء الاكثر تطرفا في توسيع قاعدتهم السياسية واضعين مقدمات نجاحهم في المؤتمر الذي سيعقد في ريجوايميليا عام ١٩١٢ . (٥٧)

من بين التجمعات التي وقفت موقفا حازما ضد الحرب الليبية يجب ان يذكروا اشتراكيي نابولي الذين كانوا يلتقون حول صحيفة « بروباغندا » التي كانت ايضا لسان حال اتحادات الشباب الاشتراكي بنابولي وكازرتا . وكانت هذه الصحيفة في الفترة ما بين اكتوبر وديسمبر ١٩١١ موضعا لمظاهرات عنيفة وهجمات من قبل جماعات مؤيدة للقوميين . وقد قدم النائب شيكوتي استجوابا للمجلس ذكر فيه ان هذه المظاهرات تمت « بعدم مبالاة وباشتراك السلطات المخصصة للحماية العامة » ولاحظ

---

(٥٥) كتب رنزودي فيليتشي (المصدر المذكور ص ١١٠) : « استمرت اقامة موسوليني بفورلي لمدة اشهر حتى نهاية شهر نوفمبر . ولم يبدو ظاهريا على موقفه التغير فسيظل رئيسا للحركة الاشتراكية المحلية ولكن في الواقع سينتهي سريعا من كونه ممثلا محليا للحركة الاشتراكية حيث انه منذ اطلاق سراحه اتخذ سير حياته الشخصية حجما جديدا تاكد في الصيف في مؤتمر ريجواميليا وبصفته ممثلا وطنيا للتيار الثوروي الحائز فعلا على الاغلبية » .

(٥٦) قايطانو ارفي Gaetano Arfé تاريخ الاشتراكية الايطالية (١٩٢٦ ـ ١٨٩٢) تورينو حزب العمال الايطالي والفوضويون ـ روما ١٩٦٩ .

(٥٧) جوسبي ماماريلا المصدر المذكور ص ٢٠٨ .

محافظ نابولي في تقريره الى وزير الداخلية بتاريخ ١٨ ديسمبر ١٩١١ ان صحيفة « بروباغندا » بوقوفها ضد شعور المواطنين العام وردا على برنامجها المتجاوز للثورية والمعادي للنظام الحالي وللاوضاع القائمة قد شرعت في حملة عنيفة ضد عملية طرابلس « اتخذت منها ذريعة للقيام باعتداء جريء على المؤسسات » وقد كان من « الطبيعي » حسب قول المحافظ فيري « ان مسلكا كهذا يستحق اللوم » قد « اثار استنكار الراي العام » (٥٨) .

« ان المظاهرات الوطنية — يقول محافظ نابولي في تقريره — بدات مساء ٦ اكتوبر وقد تجمهر قرابة الالفي شخص من المواطنين والطلبة واخذوا يصفرون لدى مرورهم بمكاتب الصحيفة — ورد اصحاب « بروباغندا » بشتائم فظيعة مما اضطر مفوض الامن العام ان يتدخل بكل ما لديه من قوات وينجح في ابعاد الجمهور دون وقوع حوادث . (٥٩)

---

(٥٨) طلبت اللجنة الادارية للاتحاد الاشتراكي بنابولي بموجب بيان مشترك نشرته « بروباغندا » عقد اجتماع يوم ٢٤ سبتمبر ١٩١١ » في الساعة العاشرة صباحا في الساحة السابقة لسان لورنزو بميدان سان قايطانو وذلك للتعبير الى الحكام بانه ليس بالحقد بل بالحب والسلام والاخوة وبصفتنا شعبا متمدنا يجب ان نكون متاصرين » مقال : ضد المغامرة الطرابلسية بجريدة « بروباغندا » ٢٣ — ٢٤ سبتمبر ١٩١١) ولم تخل الصحيفة من اتهامات ضد الاصلاحيين الذين لم يساهموا بحملة قوية لتنوير الراي العام (« بروباغندا » ١٤ — ١٥ اكتوبر ١٩١١) ونجد بين المتعاونين مع الصحيفة اميلكاري شبرياني وسيلفا فاني الاسم المستعار للكولونيل السابق جواكينو مارتيني .

(٥٩) A.C.S., b. 29, f. 68. II. المصدر المذكور « لابروباغندا » بتاريخ ٨ — ٧ اكتوبر ردت هكذا على المظاهرات : « عصابة من اللصوص والمتسولين يعدون عدوا جنونيا في شوارع نابولي صائحين للتحيا طرابلس ايطاليا — ولو اقتصرت ظاهرة الجنون على هذا لما تألمنا . غير ان السلطة كانوا يذهبون كل يوم بحماية الشرطة للاحتجاج على يافطة « بروباغندا » طالبين رفع العلم على الشرفة تحية لعملية قطاع الطرق العسكرية (...) واخيرا وحوالي الساعة ١٨ من يوم الجمعة انحدرت جماهير سكارى وجائعة الى شارع روما تحت مكاتب الادارة للاحتجاج على موقفنا المضاد لطرابلس . لا نستطيع ان نصف الوجوه الشاحبة التي يتالف منها الجمهور المدوي مثل الكلاب المسعورة ولا الشتائم المقرفة التي يقذفها ضد المحررين والرد

ووقعت مظاهرات ضد مركز الصحيفة الاشتراكية النابولتيانية في ايام ٨ و ٢٩ اكتوبر و ١٢ و ٢٣ و ٢٥ نوفمبر و ٣ ديسمبر عندما هاجم قرابة الاربعة الاف شخص اغلبهم من الطلبة مقر « بروباغندا » الموجود بشارع روما بقلب نابولي .

« في اليوم الثالث من هذا الشهر خلال حفلة العلم التي نظمها الطلبة الجامعيون وقعت مظاهرتان تحت شرفة بروباغندا الاولى نحو الساعة ١٣,٣٠ والاخرى عند الساعة ١٧,٣٠ (...) وقد نتج عن المظاهرة شتائم متبادلة وسقطت على الجماهير محبرة وحبر وبعض قطع من الخشب القاها الخصوم وقذفت الجماهير بعض الطوب الذي اصاب شعار الصحيفة القماشي المعلق بحافة الشرفة وحطم زجاجان (....) وتكررت فيما بعد مظاهرة الاحتجاج بصورة اكثر ضجيجا لان عدد المتظاهرين كان لا يقل من اربعة الاف كانوا يهددون باقتحام مكاتب الصحيفة ولم يقع اي حادث باستثناء بضعة حجرات قذفت على اليافطة . (٦٠)

وهذا العداء ضد « بروباغندا » جعل محرري الصحيفة يشعرون بانهم اصبحوا وحيدين وان الوسط الذي يحيط بهم معاد لهم حتى في الحركة الاشتراكية. (...) تحت نافذتنا تزار الجماهير المعادية والشرطة كعادتها تجند ضدنا المجرمين والحكومة تامر لقضاء باقامة قضايا تحقيق معنا في حين أن الديمقراطيين ينظرون الينا بغضب لانه قد يلحق بهم بعض من العداء المحيط

الوحيد الذي كان في الامكان اعطاءه لهؤلاء « السانفيديست » (جمعية كانت تساعد على بقاء الاحتلال الاجنبي) هو امطارهم من شرفة « بروباغندا » بسيل من البصاق والسخرية وقد تصاعدت روائح الجوع الكريهة من مسبخة هؤلاء البؤساء كاخر نفس للاحتجاج على عملنا البطولي حقا المشروع . الان تشردوا عائدين الى ادارات تحرير الصحافة الماجورة في مواخير المدنية القذرة في مكاتب الكفاليير مارينو وفي معابد المنحرفين الكاثوليكيين . ولكن منذ الان اذا ما عاد هؤلاء المجرمون الى التجربة سنتبهم سدا مشروعا ـ حسب الظروف ـ بطلقات المسدسات او البطاطس » .

(٦٠) .A.C.S المذكور .

بغا بينما عباد صناديق الانتخابات يتهموننا باننا حطمنا مراكز جيدة كانوا مستعدين فيها ان يواجهوا الاجتماعات للانتخابات الادارية القريبة في حين انه كان يقوم من على بعد الرهبان وموردو الاسلحة والصحافيون الماجورون باثارة غضب وخوف الجميع . (٦١)

ولكن كل ذلك لم يثبط من عزائم الاشتراكيين الثوريين النابوليتانيين الذين كانوا راغبين في فصل مسؤوليتهم عن « زيغ طلاب الحرب » الذي كان يبدو ان عدواه قد سرت حتى الى اصدقاء الامس والمتعاطفين » وكانت هذه المجادلة التي تقوم بها صحف مثل « سوفيتا » وبروباغندا » ضد الاصلاح وضد زعماء الاشتراكية الذين اظهروا تاييدهم للحرب كانت في الغالب محاولة واضحة في نقل الحملة المضادة لليبيا الى النقاش الداخلي للحزب لنيل موافقة جماهير العمال والفلاحين الضرورية للسير بحملة حادة بقصد الوصول الى قيادة الحزب .

وقد قام الشباب داخل الحزب الاشتراكي الايطالي بانشط دعاية ضد الحرب الايطالية ـ التركية دون التقيد بالنظم التاكتيكية . وقد تكون اتحاد الشباب الاشتراكي في سبتمبر ١٩٠٧ ببولونيا وكان نشطا وحاضرا بنوادي ومبادرات بصورة خاصة في ايمليا ورومانيا ولومبارديا وبيمونتي وتوسكانا فمن ١٤٤٩ مشتركا عام ١٩٠٧ وصل العدد الى ٤٣٣٠ مكتتبا عام ١٩١٠ وارتفع العدد خلال مؤتمر بولونيا عام ١٩١٢ الى ٥٦٢٣ . (٦٢)

وكان ارتور فيلا مؤسس ومدير صحيفة « افانقوارديا » لسان حال الحركة الاسبوعية التي اخذت في الصدور بروما منذ عام ١٩٠٦ . (٦٣) وكانت حركة الشباب الاشتراكي تتخذ مواقف قريبة من تيارات الحزب

---

(٦١) Splendid Isolation في « بروبافندا » ٩ ـ ١٠ ديسمبر ١٩١١ .

(٦٢) انظر جورجي ماماريلا ـ المصدر المذكور ص ٢٨٨ .

(٦٣) في سبتمبر ١٩١٢ بعد مؤتمر ريجوليمليا انتقلت ادارة « افانقوارديا » الى اوتوباني حيث ان فيلا انتخب مستشارا وطنيا للحزب .

الثورية وجعلت منذ نشاتها من سياسة المعارضة للعسكرية احد المواضيع الحادة في دعايتها . وباشتعال الحرب الليبية خرجت هذه الدعاية من المواضيع المجردة والعامة الى القيام بحملة رئيسية وشديدة في الثكنات وفي اماكن تجمعات وسفر الجنود وذلك عن طريق توزيع الكتيبات والمنشورات وبتنظيم المبادرات التي عانت منها سلطات الشرطة كثيرا .

وقد اجتاح احد هذه المنشورات التي طبعت بمطبعة الادارة ببارما كملحق للعدد ٤٢ للصحيفة نصف شهرية « الشباب الاشتراكي » جميع ايطاليا في الفترة ما بين اكتوبر ١٩١١ . وكان المنشور موجها للمجندين من مواليد عام ١٨٩١ » وكان مضمونه دعوة الى الفرار والثورة :

« لا تكونوا قطيعا يترك نفسه ليقاد سلبيا الى المجزرة . تعلموا ان تستفيدوا من اجل قضيتكم من السلاح الذي بايديكم . كونوا حازمين في عدم تقديم حياتكم لراحة مستغليكم بل قدموها من اجلكم واجل بعثكم . ان الاوقات الجديدة ستاتي اذا اردتم ايها الشباب العامل المطلوب دخوله الى الثكنات . » (٦٤)

وقد ابلغ المحافظون في تلك الايام عن وجود هذا وغيره من المنشورات المضادة للعسكرية وقد اشارت وزارة الداخلية في ٢٦ اكتوبر عن وجود المنشور المتهم « في عدة مقاطعات » وانه قد تمت المصادرة للمنشور على نطاق واسع و « اعتقل كثيرون في ميلانو وبارما وفي مناطق اخرى ممن كانوا يوزعون ويلصقون المنشورات بصورة سرية . » (٦٥)

---

(٦٤) توجد صورة من المنشور في A.C.S., b. 23, f. 52 المصدر المذكور . وقد قام اوبرتو بالساني امين سر اتحاد الشباب الاشتراكي ببارما بطبع ونسخ وارسال هذه المنشورات . (المصدر المذكور : رسالة محافظ بارما الى وزارة الداخلية بتاريخ ٢١ ديسمبر ١٩١١) .

(٦٥) شرحه — بناء على معلومات جاء بها المخبر باسكاروتشي ارسلت وزارة الداخلية بتاريخ ١٥ نوفمبر ١٩١١ البرقية التالية الى جميع المحافظين : « قررت اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي دعايتها المضادة للعسكرية بتوزيع الاف المنشورات

واتهمت السلطات القضائية ببارما المنشور « بالجرائم المنصوص عليها في البند ٢٤٧ من قانون العقوبات والمادة ١٧ من نظام الصحافة » وفي يوم ٢٥ اكتوبر القي القبض في ريجوايمليا على الطالب برونو ميسيفاري البالغ من العمر ١٩ سنة وكان يقوم بتوزيع مطبوعات ضد العسكرية بشارع مارينا ، وفي يوم ٥ نوفمبر القي القبض في ساساري (سردينيا) على المحامي جوفاني انتيوكيومورا سكرتير غرفة العمل المحلية لوجود منشور شباب بارما الاشتراكي في حوزته الموزع ما بين الطلبة والعسكريين والمستدعين بحامية ساساري . وفي ريجوايميليا علقت مناشير ما بين ٧ و ٨ نوفمبر ١٩١١ تشيد بعمل ماسيتي ، وفي كريمونا القيت مناشير في ٢٩ اكتوبر خلال العرض من شرفات مسرح بوليتا ما فردي . ووزعت وعلقت مناشير في ميلانو وبولونيا ومودينا وليفورنو (٦٦) ، وباري وشيرنييولا وفوجا وكيتي وفلورنس وبالرمو وفيرارا ومنطقتها (فورمينانو وكوبارو وارجنتا) وماريتو فروتا فيراتا وروما (حيث الصقت المناشير حتى في تراستيفييري) واورتي وفالدارنو وغيرها (٦٧) وحتى في طرابلس القيت

ضد الحرب على جميع الفروع الايطالية لتوزيعها بين الشباب وخاصة المطلوبين للجندية . وتاكيدا لتعليمات سابقة يرجى اصدار التعليمات الصريحة للقضاء على توزيع هذه المنشورات السرية » (شرحه) .

(٦٦) وزع فيليورنو منشور موقع باسم « الاشتراكيون والفوضويون » جاء فيه : « ايها العمال نحن لا نفرق بين لغة او ارض ، اننا نرى في العمال الاتراك الذين يقتلهم العمال الايطاليون بصورة لا شعورية لتقوية البرجوازية الوطنية باستمرار .. اننا نرى فيهم اخوة يتالمون مثلنا ويؤملون في مستقبل افضل . اننا لنشمئز من هذه المجزرة الفظيعة ونخجل لان الذين قاموا بها هم من العمال الايطاليين الذين يرتدون لباس البحرية . اننا نشعر بالفزع للمنظر المرعب لكثير من النساء اللذين ربما لا زالوا يحتضرون وسط المياه الدامية ويستنجدون باممهم البعيدة واننا نشارك في الام تلك الامهات اللواتي يلمن في هذه الساعة اللعينة من بعض « فلذات اكبادهن » وفي بولونيا وزع منشور موجه الى « المجندين » حرره ارماندو بورتي وجوزيبي سارتيلي واولو دايليبي (نفس المصدر) .

(٦٧) نفس المصدر .

من السفينة « بابا جوفاني » مناشير ضد الحرب وضد آل سافويا (٦٨) وفي فانو وزع منشور في شهر نوفمبر بعنوان « لو كنت أما » وقد طبع في مطبعة لوتانو الاجتماعية وكانت لهجته متاثرة بالدعاية الانسانية السلمية الفوضوية .

ويبدو ان كان لها تاثير اكيد على نفسية الشعب . ويقرأ في القسم الاخير من هذا المنشور ما يلي : « اذا كنت اما لقلت لولدي ذي العشرين عاما احبب الناس جميعا . ان العالم لا حدود له مثل الهواء الذي يحيط بك والنور الذي يضيئك والعلم الذي يهذبك . احبب ، احبب احبب . ان جميع الرجال اخوتك لا يوجد ايطاليون ولا فرنسيون ولا يابانيون ولا روس كما لا يوجد مسيحيون او مسلمون او يهود او يونانيون — جميع الرجال اخوتك في الانسانية الحرة لان لهم نفس الحاجة والقناعات التي يريدون ارضائها لو كنت اما لقلت لولدي ذي العشرين عاما المطلوب لارساله للحرب : ارفض ! انك لا تستطيع ولا يجب ان تكون قاتلا !... ان الحرب الوحيدة الاكثر قدسية التي تستطيع أن تقاتل فيها هي حرب الحرية والخير ففي هذه الحرب كن جنديا شجاعا ومتطوعا وقدم الحياة التي اعطيتك اياها في سبيلها . (٦٩)

وكانت برما مركز هذه الحركة ضد الحرب الليبية ، فبمناسبة استدعاء مواليد عام ١٨٩١ الى الجندية في شهر اكتوبر بدات « اضطرابات حقيقية معادية للعسكرية بواسطة محاضرات خاصة في النوادي النقابية ورابطات الفلاحين في جميع المقاطعة » ونجد من بين المحاضرين الاكثر نشاطا الشسته دى امبريس واميلكاري تشيبرياني ورينالدو ساليتيواومبرتو باقاني وتوليو ماسوتي وغيرهم (٧٠)

---

(٦٨) نفس المصدر b. 45, f. III ، رسالة موجهة من ادارة شرطة طرابلس الى وزارة الداخلية بتاريخ ٣٠ مارس ١٩١٢ .

(٦٩) نفس المصدر b. 23, f. 52 — هذا المنشور ارسل من قائد حامية فانو الى قائد الفرقة في انكونا يوم ١٦ نوفمبر ١٩١١ .

(٧٠) نفس المصدر b. 45, f. III — رسالة محافظ بارما الى وزير الداخلية بتاريخ ٢٠ اكتوبر ١٩١١ .

وصدر في عام ١٩١٢ كتيب بقلم فيليبو كوريدوني بعنوان « خرائب الامبريالية الايطالية الجديدة ــ ليبيا والحركة المضادة للعسكرية » وقامت بطبعه مطبعة بارما الادارية كرقم ١ من « مكتبة الشباب الاشتراكي » سلسلة « الدعاية المضادة للعسكرية » وقد كلف المؤلف والمسؤول عن المطبعة شيزري روسي (نقابي معروف) اتهام المحافظ لهما . (٧١) فبعد ان انتقد كوريدوني في كتيبه بشدة سياسة الحكومة الاستعمارية ومن يسيرون وراء موكبها التنكري (كرنفال) . (٧٢) ودرس امكانية ايجاد طراز جديد من الصراع المضاد للعسكرية ، قال :

« لا يجب أن تقتنع لآخر مرة ان مقاومة العسكرية الحقيقية تقع في الثكنات وان ثورة العمال ستتم بالجيش لا ضد الجيش . ومن هنا تقفز الضرورة المطلقة لجعل الجيش في قبضتنا . ففي كتيبة تتألف من ٦٠٠ جندي يكفي أن يكون عشرون من اصدقائنا على اتصال مستمر بنا جميعا كي تصبح الكتيبة كلها معنا (.....) نحن نرغب في أن يقوم شبابنا بالثكنات بلغهم التكوين المعنوي للجيش بحيث ان البرجوازية ستجد نفسها محرجة لدى استعمالها للجيش سواء ضد العدو في الخارج أم ضد العدو في الداخل . (٧٣)

ونتج عن توجيه المعركه على هذا الشكل اعظم مبادرات اتحاد الشباب الاشتراكي : تكوين الصندوق الخاص المسمى « من اجل قرش الجندي »

---

(٧١) نفس المصدر b. 22, f. 47

(٧٢) فليبو كوريدوني ــ خرائب الامبريالية الجديدة الايطالية ــ ليبيا والحركة المضادة للعسكرية ــ بارما ١٩١٢ ص ٩ .

(٧٣) نفس المصدر ص ٣٠ ــ هناك كتيب اخر كان له بعض الانتشار هو الذي طبعته ادارة للحزب الاشتراكي الايطالي بعنوان « ضد الحرب » (ميلانو ١٩١١) ــ وطلب مدير الامن العام فليباني لدى اشعاره المحافظين بالامر ان يرفضوا الترخيص « بالتوزيع في الاماكن العامة او المفتوحة للجماهير » . وان يسهروا على ان لا يوزع الكتيب في « الاماكن العامة التي يرتادها الجنود » (A.C.S., b., 45, f. III)

« ان هذا الصندوق كتب وزير الداخلية في رسالة سرية الى المحافظين بتاريخ ١١ يوليو ١٩١٢ — يرمي الى مساعدة الاعضاء المطلوبين للجندية بدفع مخصصات ثابتة تقدر على ضوء ما تسمح به المحاصيل القادمة مع الزامهم بالقيام بدعاية مضادة للعسكرية بين الجنود عن طريق كتيبات وكتب قد ترسل الى هؤلاء بطريق البريد او بواسطة المعارف الذين يكونون في الحاميات ويجب التركيز بصورة خاصة على الجنود الذين لا تصلهم مساعدات من عائلاتهم لاستقطابهم في مدار الحزب عن طريق مساعدات بسيطة .

ان هذا الشكل الجديد للعمل الثوري الذي يراد محاولته لغاية جنونية لا يخلو من اخطار كبيرة تتطلب ضرورة مواجهتها في الوقت المناسب بعلاج سليم وحازم (٧٤) .

وقد استطاع فيلا رئيس اتحاد الشباب ان يشيد بسرور في مؤتمر الحزب الاشتراكي بريجوايميليا بالنشاط العظيم الذي قام به الشباب الاشتراكي في حملتهم ضد الحرب مع الاشارة الى ضآلة ضغط الخط الرسمي للحزب على المواضيع المضادة للعسكرية ومعارضة العملية الليبية . « (....) لقد رايتم — قال فيلا — كيف ان الحملة ضد الحرب الليبية قام في طليعتها شبابنا الاشتراكي بتوزيع الكتيبات وبالتعبير عن معارضة الشباب الاشتراكي للحرب . » واضاف بشكل جلي « لقد حصدنا محاكمات واعتقالات ولكن واصلنا العمل واعطينا مظهرا عظيما من الجدية وحافظنا بايمان على هذا العمل الذي نساه الحزب لسنوات كثيرة . (٧٥)

---

(٧٤) نفس المصدر ، ان « قرش الجندي » تكون رسميا في مؤتمر اتحاد الشباب الاشتراكي الذي عقد في بولونيا في ٢٢ — ٢٠ سبتمبر باقتراح من فوريان ووضع بولانتشولي جدول الاعمال التالي : يقرر المؤتمر بعث للحياة حالا في مؤسسة قرش الجندي وتترك للحرية للاتحادات الاقليمية او في المحافظات مع اجبارهم على اعداد تقرير للمؤتمر الوطني القادم حول سير هذه المؤسسة بحيث يمكن تقرير اي طريق افضل للعمل (انظر « افانغوارديا » ٢٩ سبتمبر ١٩١٢) .

(٧٥) محضر مختزل لمؤتمر الحزب الاشتراكي الوطني ، روما ١٩١٣ ص ٢٨٤ .

وكان الشيستي دي امبريس وفليبو دوريدوني كما راينا من انشط الفاس في هذه الحملة . ومن الغريب ان هذين الزعيمين بالنقابية الثورية قد اتخذا فيمابعد عام ١٩١٥ موقفا مؤيدا لتدخل ايطاليا فيالحرب العالمية الثانية (٧٦) لانهما كانا يريان في الحرب وسيلة ممكنة لان تكون مصبا للثورة العمالية . وفي الواقع وبالرغم من شحنة التشدد الاكيدة فان النقابية الثورية (نتاج عقائدي لمثقفين مضطربين) وذلك (بخلاف الفوضوية « تيــار ذو طبيعة عمالية بحتة تحتفظ اوضاعه الداخلية باستقامة خطة وتماسك لا يتغيران ابدا) . يلاحظ فيها « انقلابية عمومية واستعداد منظم للمغامرة » (٧٧) ولهذا فان الحرب الليبية اظهرت كــم كانت هذه الحركة مضطربة ومتناقضة في مواقفها فاذا كان دي امبريس وكوريدوني القوة المتقدمـــة في المعارضـــة الاشتراكية للحزب فان ارتولا بريولا وانجولو اوليفيتي اللــذان كان يعملان في نفس الاتجاه قد وافقا على العملية الليبية . وقد وصل الامر باوليفيتي الى ايجاد مشابهة ما بين النقابية والقومية وكلاهما « عقيــدة قــوة وارادة تواجه عقائــد او بالاحرى ممارسات الملائمــة (.....) فالنقابية القــومية هما ضد الديمقراطية وضد السلام وضد البرجوازية » . القــومية والنقابية كانتا تشتركان ـــ كما يقول اوليفيتي في « الشعور البطــولي الذي يريدون

---

(٧٦) لقــد بــرر دي امبــريس معارضته للحــرب الليبية باعتبارها « عمــل قطــرصة مــن اعمـــال قطـــاع الطـــرق » في حيـــن انه كان يعتـــرف بـــان الحـــرب ممكن ان تكون « في بعض الاحيـــان » دراســـة جيـــدة فـــي التربيـــة الثوريـــة » انظـــر رنـــزودي فيليتشي « التدخـــل الثـــوروي » منشور في AA. VV. (مؤلفـــون مختلفـــون) ـــ صدمة التدخل ـــ المصدر المذكـــور ص ٩١ ـــ ٣٧١ .

(٧٧) نايطانو ارفي ، المصدر المذكـــور ص ٢١ ـــ ١٢٠ « اذا حكمنا بصورة تاريخية كاملـــة على النقابية الثوريـــة ـــ قـــال نايطانـــو ارفي ـــ فقد نجـــد مكانا للتعبيـــر الـــذي نرى فيها نوعـــا من الاحتجـــاج المتطرف للطبقـــات المتطرفـــة للبرجوازيـــة الصغيـــرة المثقفـــة وهـــم الذيـــن يحاولون الاستفـــادة من حركـــة العمـــال لاحتلال مركـــز ممتاز في المجتمع اي ذلك المركـــز المفقـــود في منطق حـــرب الطبقات الحديثة والذى لا يـــرون لـــه في الـــوقت الحاضر مدخـــلا اخـــر ٠

احياء ... مجتمع مضاربين وبقالين » (٧٨) وكتب اوليفيتي نفسه بخصوص الحرب الليبية يقـول :

« ان ايطاليا تقول : تلك الارض تعجبني وتلائمني وهي لي ، القانون الوحيد مصلحة الدولة : والقوة الموضوع الوحيد والعنف الاسلوب الوحيد . وبذلك تشعر الى الطريق . ففي اليوم الذي تكـون فيه الجماهيـر العمالية ناضجة للنصر العظيم سيخاطبون البرجوازية بنفس اللغة التي خاطبت ايطاليا بها تركيا . وهي لغة القوة الخالدة التي اكدها الاعمال ، لغة روما الام والجرمانية والاسلام والرجل الابيض في أمريكا وافريقيا وآسيا لغة القوي والغازي في كل مكان وزمان .

(....) ان ايطاليا في هذا الوقت تتنكر لكل مـا نتنكر له وتؤكد كل مـا نؤكده وانها بحنفها العظيم تقدم لنا درسا دقيقا في الاعداد الثوروي » (٧٩)

وبالنسبة لارتورولا بريولا ايضا كان هناك توقع دقيق حول موضـوع الحرب كوسـيلة لليقظة الثورية فالعمال الايطاليون لم يكونوا قادرين على عمل الثورة لانهم لم يكونوا يعرفون القيـام بالحـرب . فيجب تربيتهـم وتعويدهم على القتال : « دعوا البرجوازية تعودهم على القتـال الجدي وسترون انهـم سيتعلمون محاربـة البرجوازيـة نفسهـا » هكـذا كتب لابريـولا . (٨٠) وكان تنتقـد فيه اسطورة تحـويل صراع الطبقـات من المستوى الوطني الى المستوى الدولي وهو موضوع دفعته القومية الى الامام

---

(٧٨) انجلوا وليفيتي ــ النقابيـة والقوميـة ــ نشر في صفحات حـرة بتاريخ ١٥ فبرايـر ١٩١١ ثم « مؤلفون مختلفون » AA. VV. لصالح وضد حرب طرابلس . مناقشـات في الميدان الثـوري » المصدر المذكـور ص ١٧ ــ ١٥ .

(٧٩) انجلوا وليفريو اوليفيتي « الحملـة الاخـرى » في « صفحات حـرة » ١٥ نـوفمبـر ١٩١١ ثم في مؤلفـون مختلفون AA. VV. المصدر المذكـور ١٦ ــ ١١٥ .

(٨٠) ارتورو لابريولا ــ اول عملية مشتركة لايطاليا الجديدة نشر في AA. VV. المصدر المذكور ص ٤٩ « اسمحوا بان نحطم الكسل المتعفن في عاداتنا ــ قـال لابريـولا ــ ربمـا لا توجـد اليـوم عمليـة اكثر ثوريـة من هذه التي تحاولها ايطاليـا » .

بلسان كوراديني واكدته في مؤتمر فلورنس لعام ١٩١٠ حيث قال : « مثلما علمت الاشتراكية للعمال قيمة الصراع الطبقي فيجب علينا ان نعلم ايطاليا قيمة الصراع الدولي » . (٨١) كان موضوع « العمالية الكبرى » الذي سحر جوفاني باسكولو والذي كان حاضرا في التبريرات الموسولينية خلال حرب اثيوبيا عام ١٩٣٥ . ويبدو أن هذا الموضوع كان لابريولا متاخرا به جدا بحيث أنه بصفته معاد للفاشية ومهاجر قد عاد الى ايطاليا في تلك المناسبة للانضمام الى النظام (٨٢)

« وكتب لابريولا في اكتوبر ١٩١١ : وان ما يؤكده الآن لا الفقر الثقافي وحده بل ايضا محافظة الديمقراطية الاجتماعية اللاشعورية هي عدم مقدرتها على تفهم القيمة الثوروية للعملية الايطالية .

(....) ان القانون التاريخي وسياسة قطاع الطرق هي من فكاهات الفلاحين فوراء تركيا توجد اوروبا باموالها وديونها والحق المقدس والانجيل وهي تعد الفريسة وتقف ضد من يريد سرقتها . اوروبةُ المرابين التي تقرض التركي بعمولة مائة في المائة وتخشى على ضماناتها اوروبية تيمورلنك التي تريد أن تضع تحت اقدام الامبراطور الالماني وفي خدمة انكلترا المجورة البلاد التي لا تلعن باللغات الاجنبية وبتثاؤب الشماليين . فقد هؤلاء اللصوص قد اصبحنا خارجين على الجماعة واذا تفشل جراتنا فذلك لاننا قاومنا انفسنا في عملية دونكيشوتية جديرة بشعب أراد دائما ان يدخل عنصر الشعر في نثر كيانه اليومي . واذا نحن لن نسحق فذلك لان اجناس البحر الابيض المتوسط بعد أن اثقلت فترة الانحطاط التي دامت قرونا — قد استطاعت ان تضمد جراحها وتعود الى الحياة » (٨٣)

---

(٨١) انظر فرانكو غايطا ، المصدر المذكور ص ٨٥ .

(٨٢) انظر غايطانو ارفي ، المصدر المذكور ص ١٢١ .

(٨٣) ارتورو لابريولا ، المصدر المذكور ص ٦٠ — ٥٩ . اعاد لابريولا النظر في موقفه بعد ثورة العرب (انظر الى الوراء ص ١٩٢) وقد رد دي لمبريسي على تاكيدات اوليفتي ولابريولا بما يلي : « ان هؤلاء النقابيين لا يشعرون انهم بدورهم

وان انضمام رجال مثل بيسولاتي وبونومي وكابريني وبرينيتي ودي فليتش (٨٤) وقراتسيادي ولابريولا واوليفتي وأورانو ومونيتشيللي . ومارفاسي وقويد وبودريكا (٨٥) نفسه عدو الكنيسة الشديد الذي بالاشتراك مع فالانترا قام ولمدة سنوات من على صفحات « الحمار » بهجاء الرهبان والاغنياء والعسكريين فان هذا الانضمام كان ولا بد أن يحدث داخل الحزب نقاشا حادا انتهى في مؤتمر ريجو ايميليا لعام ١٩١٢ بطرد بيسولاتي وبونومي وكابريني وبودريكا من الحزب بناء على اقتراح موسوليني . وقد طرد الثلاثة الاولون لانهم بالاضافة الى تاييدهم للحرب فقد هنأوا الملك بعد نجاته من الاعتداء عليه في ١٤ مارس . وكان الحزب قد اخذ ينزلق نحو اليسار بصورة لا مفر منها وقد حاول توراتي عبثا ان يحتفظ به في قبضته . وعبثا منذ المؤتمر الطارىء الذي عقد في مورينا ما بين ١٥ و ١٨ اكتوبر اعاد الزعيم الاشتراكي تاكيد معاضة « للصوصية الاستعمارية » (٧٦) وفي

لانهم متفقون مع جوليتي والملك وبنك روما ومورردي الجيش ومغامري الثكنة والسياسة والصحافة المحتكرة والفاتيكان وبودريكا وبونو ميللي » (الشيستي دي ابريس ، ضد اللصوصية الاستعمارية ولصالح طبقة العمال في « صفحات حرة » ١٥ اكتوبر ١٩١١ ثم في .AA. VV المصدر المذكور ص ٨٧ — ٧٢) .

(٨٤) فيما يتعلق بموقف دي فليتشي انظر ص ٦٥ — ٦٤ والفيوكارا المصدر المذكور ص ٢٠٦ — ١٤١ . وقد غير دي فليتشي فيما بعد موقفه جزئيا بادانة الحرب الليبية « والصفقات والسرقات » التي تمت لضرر الجنود (انظر ص ١٥٩ حاشية ١٤) .

(٨٥) انظر غويدو بودريكا ، المصدر المذكور .

(٨٦) « اكد توراتي ان التاريخ الاستعماري لجميع الامم كان دائما تقريبا نوعا من اللصوصية غير ان اللصوصية الاستعمارية قابلة للتفاوت قد يكون به ان قل او زاد شيء من المدنية لما استعمارنا هذا فهو لصوصية بحتة . ومما يضاعف من جرمها انه لا فائدة فيها مطلقا وانها تتجه قبل كل شيء ضد مصالح بلدنا . وفي هذا الصدد فان المعارضة التي يواجهنا بها الجناحان المتطرفان تلتقي بشكل غريب . وبصوت واحد يزعم تشيكوتي وبرنيتي بوتومنا في تناقضات مع المبادىء لاننا نؤكد ان احتلال ليبيا لهذا لسبب ممقوت لانه على كل حال قد لا يعطي ايطاليا سوى محيط واسع لا فائدة فيه من الرمال المميتة . » فلو ان المستعمرة الجديدة — يكادون ان يقولوا — كانت لقمة طيبة وارض غنية بالذهب

ريجو ايميليا كرر كيف انه بصورة خاصة يهمه عدم انقسام الحزب بل تعزيز فعاليته (٨٧) وانتقد بدون موارية اليمين لاعلانه موافقته على الحرب بـ «فسطائية و«مكر» و «امتياز» كلها تصلح لمقال ينشر في «نوفا انتولوجيا» ولكن الطبقة العاملة لا تشعر بها ولا يجب ان تشعر بها اذا كان من شأنها ان تطفيء شعلة حماسها في ثورة مقدسة وسخطها الذي لا يلين والذي هو بمثابة الاشارة والعربون والبشير لنيل الطبقة وللمدنية الجديدة التي تريد أن تنقلها الى العالم وقد هاجم توراتي بحزم موقف الاصلاحيين بالنسبة للحرب واكد ببلاغته الحارة الدامغة .

« ما بين بساطة اشعار » لحن العمال الذي اعترف انه هزيل وما بين ... الوطنية المعقولة التي تنادون بها لا يوجد مكان كاف تتمدد فيه سياسة الطبقة العاملة الاشتراكية الدولية ومع ذلك دولية ؟

هذا الصراع ما بين الروحين الاشتراكية و ... الاخرى يتفجر بصورة لا رجعة فيها — انكم تتسلقون على الزجاج . مشانق طرابلس ! انها جرائم شخصية لحاكم . مذبحة العرب مستحيلة ! ان جنودنا العمال بالزي العسكري قد لا يقبلون ارتكاب ذلك (تصفيق) ولكن لا تنسوا انهم جنود فقط . واداة سرقة بالرغم منهم ويقادون للقتل ربما سكارى .. (تصفيق حاد طويل) .

شكرا للتصفيق — ليس من اجلي بل من اجلنا ومن اجلهم لان هذا هو العار قبل كل شيء في هذه الحرب الذي ثرنا ضدها . ان الاشد من اهانة حق الانسان واهانة الانسانية هو خلق الانحراف في الطبقات العاملة

لقترت معارضتكم للحكومة » . معارضتنا لن تتغير ولكن قد نجد ان اللصوصية كانت اقل بلاغة » (فليبو توراتي « الطرق الرئيسية للاشتراكية » باشراف رودولفو موندولفو وتايطانو اربي ، نابولي ١٩٦٦ ص ٣٥ — ٢٣٤) وقد انتقدت الاشتراكية الدولية ايضا معارضة الحزب الاشتراكي للحرب الرسمية . لنظر جوزيبي بامارييلا المصدر المذكور ص ٢٠ — ٣٠١ وجورج هوبت ، الاشتراكية الدولية واحتلال ليبيا في « حركة العمال الاشتراكية » ١٩٦٧ عدد ١ ص ٢٤ — ٣ .

(٨٧) فيليبو توراتي المصدر المذكور ص ٢٤٧ .

وتربيتها على الوحشية وعدم المدنيـــة هل هناك تسامح ممكـــن لجـــرائم الاشـــتراكيين هذه ؟ (٨٨)

غير ان محاولة توراتي في الحفاظ على وحده الحزب كانت فاشلة . ان لاتزاري بمعاونة موسوليني تولى زمـــام الاشتراكية الايطالية التي واصلت صراعها ضـد « الدولة وضد الملكية » كما اكد ذلك لاتـــزاري نفســه (٨٩) فان حرب ليبيا قد وضـعت نهاية للتجربة الاصلاحية والتعاونية التي اعطت مع ذلك ثمارها للطبقة العاملة الايطالية . ان العملية الليبية قد حطمت التوازن . ذلك التوازن الذي اوجده التعاون الصامت بين عالم العمال والبرجوازية قد تحتم بالفعل . فالبرجوازية الايطالية بحـــرب ليبيـــا قد اصيبت بمـــرض القومية الامبريالية ورفضت الحوار والملاقاة مع الاصلاح الاشتراكي ، وقـــد امل توارتي عبثا ان يعيد فتح الحوار الذي اوقف قهرا مع الرجل الذي قـــدم دلائل ملموسة عن حسن النية . وفي اكتوبر ١٩١١ ايضا حاول توارتي في موديـنا ان يفهمه ويعذره دون ان يتخلى عن الانتقاد الذاتي والقاء جزء مـــن مسؤولية ما كان يقع على نفسه وعلى الحـــزب :

« فاذا كان جوليتي » اليوم يؤكد ان عملية طرابلس قد جر اليها رغما عنه واذا كان يعتذر « بالقدر التاريخي » وهي فكرة وجملة سامية ومتناقضة مع عاداته البيروقراطية في الفكر والاسلوب فانني ميال الى الاعتقاد في صدقه لان افريقيا لا استطيع ان اتصورها في جغرافية البرجوازي الصغير من خلال برنامج حكومته .

والواقع انه خضع لغير القوات التي كانت تضغط عليه ومن بينها قوتنا التي كان من الواجب ان تعارضه بقوة ولكنها لـــم تفعل . وهذا لا يبرئه ولا يبرئنا نحن بصورة خاصة اذا لم نثر وهذا مـــا يفسر الامر ويعلمنـــا بعض الشيء » (٩٠)

---

(٨٨) نفس المصـــدر ٥٣ ــ ٢٥٢ .
(٨٩) الحـــزب الاشتراكـــي في مؤتمراتـــه . ــ المصـدر المذكور مجلد ٢ ص ٢١٣ .
(٩٠) فليبو تـــوراتي ــ المصـدر المذكـــور ص ٢١٩ .

غير أن الحوار لم يعد بعد ممكنا . فمن جهة ــ كما لاحظ تايطانوارفي ــ ان الحرب الليبية قد شرخت حتى الكسر تلك العلاقة القائمة على التضامن الموضوعي ما بين البرجوازية وحركة العمال في اطار التقدم الاقتصادي العام للبلاد مما ادى الى اعادة فعلية للاستقلال الذاتي المتبادل للطرفين المتعارضين بوضعهما الواحد تجاه الآخر في صراع لم تعد غاياته اقتصادية بل سياسية (٩١) ومن جهة اخرى فان النمــو العددي الذي وصل اليه الحزب والذي ستدل عليه انتخابات عام ١٩١٣ والتضخم الذي حدث بدخول اعضاء كثيرين لا من العمالية القديمة المــرتبطة « بالتقاليد الاشتراكيــة للسلالــة القــديمة الطيبة » (٩٢) بل بالفوضويين والموسولونيين قد حفر هوة تزداد عمقا مــا بين الحركة العمالية والبرجوازية التي لم تفت لينين الاشارة اليها . (٩٣) فالاسبوع الاحمر لعام ١٩١٤ ثم التاســع عشر فيما بعد كانت المصب الذي لا مناص منه للجو الجديد ولتوازن القوى الذي تأكد داخل الحزب الاشــتراكي في فترة الحرب الليبية (٩٤) محطما بذلك الخطط القــديمة التي سار عليها

---

(٩١) تايطانــو ارفي ،، المصدر المذكور ص ١٥٩ . فيما يتعلق بازمــة العلاقــات ما بيــن البرجــوازيــة والطبقــة العاملــة الحــادة بصورة خــاصــة في مدينة صناعية مثــل تورينــو ، انظــر باولو سبريانو Paolo Spriano الاشتراكية والطبقة العاملــة بتورينــو من ١٨٩٢ الى ١٩١٣ ص ٨٣ ــ ٢٥٩ .

(٩٢) تايطانيــو ارفي المصــدر المذكــور ص ١٦٨ ·

(٩٣) كتب لينين عــام ١٩١٥ : ان البرجوازيــة التي كانت الطبقة الاكثــر تقدمــا الطبقــة الصاعدة قد غــدت طبقــة في طريــق الغــروب ، طبقــة ميتــة داخليا رجعيــة » . (لينين ، حــول الحركــة العمالية الايطاليــة رومــا ١٩٦٢ ص ٥٦ ــ ٥٥) وعلــق لينيــن نفســه عــام ١٩١٢ على الحــرب الايطالية التركيــة فكتب : « ان ايطــاليــا بالتاكيد ليست باســوا او باحسن من البلاد الراسمالية الاخــرى التي تحكمها جميعــا البرجــوازية التي لا تتراجــع امــام اية مجــزرة في سبيل مصدر جديــد للكسب » (المصدر المذكــور ص ٦٠) ·

(٩٤) لاحظ فاسطوله فالاكوردا برجوعــه الى فكــرة كــروتشي حــول مــوت الاشتراكيــة فكتب : « ان عــام ١٩١١ قد كان من الممكن ان يــرى قبل نهايته ازمــة الاشتراكية منذ قيــام الحــرب الليبية تدخــل فتــرة تختلف في اشــارتها من الغــروب الهــادى في احضان الطبقــة المسيطرة التي سجلها كروتشي في صفحــاتــه الساخــرة · بيــد ان الظاهــرة هــي اكثــر شمولا ولا تخص ايطاليا وحدهــا : فالحــرب العالمية والثورة

تريفس وتوراتي وبيسولاتي لقرابة عشر سنوات وسط مصادمات ومجادلات وخلافـــات .

وقد فاجات الحرب الليبية الحركة الكاثوليكية في وقت دقيق بصورة خاصة . فنحن في سنوات بيو العاشر البابا الذي كان يريد من العلمانية الكاثوليكية ان تكون « مطيعة وخاضعة لسلطة الاسقفية » (٩٥) والذي يبدو ان الحركة السياسية الكاثوليكية قد تلاشت خلال عهده بعد اشتعال جذوتها في أواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين وهي الفترة التـــي تطورت ورسخت فيها اقدام اول ديمقراطية مسيحية لروموليوموري . وبعد حل « أوبرا » المؤتمرات (منظمة كاثوليكية) وتصفية حركة الديمقراطية المسيحية التزم الكاثوليك بالرجعية المضادةللتقدم وتنوعت الطرق التـــي سلكها الرجال البارزون الذين خرجوا من المنظمة الكاثوليكية قبـــل وبعد النهضة . فقد حاول من جهة رومولوموري Romolo Mori واصدقاؤه ان يسـيروا بالتعاون مع الرابطة الديمقراطية الـــوطنية وهي محاولـــة استقلالية كان مقضيا عليها بالغرق لانه كان ضائعا باستمرار في البحث ما بيـــن طريق موري نفسه المسلت عليها سيف داموكلس وذلك باتهامه بالتجديد وما بين طريق الديمقراطية الاجتماعية التي يمثلها دوناتي وكاتشا تويـــدا من جهة اخرى، وقد ظل الخط الرسمي مرتبطا بالاتحادات الثلاثة ((الشعبي والانتخابي والاقتصادي الاجتماعي) التي أرادها بيوس العاشـــــر والتي اشـتـــرط فيها رقابة السلطات اللاهوتية الصارمة التي حالت دون تنفسهـــا وتطورهـــا المستقل . وظل بعض المتشددين القدمـــاء منحصرين في جماعـــات تكـــاد أن تختفي وقد تجمعت حول صحيفة مجيدة مثل « اونيتـــا كاثوليكـــا » (الوحدة الكاثوليكية) التي كانت تصدر بفلورانس والذين كانوا يواصلون

الروسية اظهرت بـوضـوح ان الاشتراكية المـاركسية السياسية المدركة لـدور القـوة في التاريخ اي الثـوري لم تمت (فاسطونـه مالاكوردا ـــ بينديتـو كروتشي ومـوت الاشتراكيـة ـــ منشور في صحيفة « رنيـا شيتـا » ٦ اكتوبـر ١٩٦٧ ص ٢٨) .

(٩٥) غابريلي دي روزا ـــ تاريـخ الحركـة الكـاثوليكيـة بايطاليـا ، المصدر المذكـور مجلـد ١ ص ٥٢٥ .

احتجاجهم ضد الدولة المتحررة العلمانية ، وغالبا ما ينتقلون الى مواقف تكامل بحتة ، او مثل قوات الشباب التي تستلهم اساليب النقابية الحديثة لتنظيم نضال ومقاومة جماهير الفلاحين ونجد من بين هؤلاء قويد وملبوني وفرانشسكو لويجي وفيراري بكريمونا ومودينا حيث باشروا أول تجاربهم في الصراع السياسي والنقابي وآخرون مثل ستورسو فضلوا الانزواء وتكريس جهودهم بصورة خاصة في نشاط الادارات المحلية انتظارا واعدادا للاوقات التي يدفعون فيها الى الامام فكرة الحزب السياسي التي بردت في السنوات الاولى من القرن الجديد والتي لم تجد الارض المناسبة للترعرع . وعلى كل فان الوحدة السياسية للكاثوليك بمفهومها كوجود عمل نشط داخل حركة منظمة قد عزقت مع انهيار « أوبرا » المؤتمرات عام ١٩٠٤ . وقد وجدت الكهنوتية المعتدلة في شبه هذا الفراغ الارض الصالحة لتوطيد اقدامها وقد قامت بتجاربها الاولى في الانتخابات السياسية لعامي ١٩٠٤ و ١٩٠٩ حيث استطاعت ان تخلق حولها موافقات كثيرة سواء بين رجال الكهنوت ام بين البرجوازية الكاثوليكية التي تغلغلت بالفعل في النظام الاقتصادي الجوليتي بالرغم من اقتناعاتها العينية بعدم امكانية السير في معارضة غير ملائمة للدولة التحريرية التي كانت تستمد منها امتيازات وقوة كما انها كانت تشعر بضيق عميق بسبب الاتهام بمعارضة الوطنية الذي يوجهه الاحرار منذ عشرات السنين الى الكاثوليك .

وقد ولد في هذا الجو احتكار الصحف الكاثوليكية الذي ساند ترشيحات انتخابية وقام بسياسة تأييد للتحريرية المعتدلة . وهذه الصحف كما سبق ولاحظنا لم تكن اقل من غيرها من الصحف الغير كاثوليكية في تأييدها لحرب طرابلس واثرت تأثيرا عميقا في سنوات العهد الجوليتي في مواقف ومراكز الكاثوليك الايطاليين (٩٦) .

---

(٩٦) فيما يتعلق بموقف هذه الصحافة بمناسبة الحرب الليبية انظر ص ٥٩ — ٥٧ .
وانظر ايضا لويجي كانابيني المصدر المذكور ص ٩١ — ١٧١ وفيما يخص نشأة وتطور الكهنوتية المعتدلة وتاثيرها في تاريخ الحركة الكاثوليكية انظر

ـ وقد وجدت الحرب الليبية بصورة عامة الكاثوليك في حالة استعداد لان يسامحوا في خمسين سنة من الاحتجاجات وان يشطبوا ذلك الاتهام الذي وصمهم بانهم اعداء الوطن والذي تحملوه طويلا ، وحتى هم كما لاحظ فليبو ميدا لم يجرؤ على :

« التخلص من رياح القومية التي كانت تهب من سواحل افريقيا (.....) بل انتهزوا بسرور فرصة العملية لاعطاء حرية الاعراب عن وطنيتهم التي اضطرت غالبا لاسباب كثيرة دينية وسياسية الى زهد وفتور وحذر (٩٧)

ولدينا ما يكفي من الامثلة لهذا المتنفس الحر للنبض الكاثوليكي فلدينا حادث الاسبوع الاجتماعي في اسيزي حيث دوت يوم ٣٠ سبتمبر صيحات الحماس « تحيا طرابلس ايطالية » و « يحيا الجيش » وذلك خلال محاضرة القاها فنشنزو مانقانو وحيث قوبل خطاب الاب نوربرتود انولا الذي اشار فيه الى ان المبشرين الفرنسكانيين الذين ظلوا بين البربر « ينتظرون » الشرف السامي في ان يكونوا اول من يعانق جنودنا الابطال فوق تلك البلاد » قوبل هذا الخطاب بصيحات جديدة « تحيا ايطاليا وتحيا طرابلس » (٩٨)

وقد كان الجو القومي والبطولي واضحا بصورة خاصة بين الشباب الكاثوليكي المنتمي للوسط الجامعي وخاصة في روما حيث احتفل في النادي الجامعي الكاثوليكي في شهر نوفمبر « بساعات التاريخ العظمى

دينو سيكوسواردو Dino Secco Suardo الكاثوليك المتدينين : بريشيا ١٩٦٢ ص ٦٠ ـ ١١٥ ·

(٩٧) فليبوميدا F. Meda من الوطنية الى السلام نشر في « رلسينيا ناسيونالي » ١٦ يونيو ١٩١٢ ص ٥٤٠ ـ ٥٢١ ونشرت الان في « كتابات مختارة » روما ١٩٥٩ ص ٢١١ ·

(٩٨) ذكرت هذه الحوادث وتفاصيلها في كتاب جوفاني سبادوليني Giovanni Spadolini « جوليتي والكاثوليك » (١٩١٤ ـ ١٩٠١) فلورنس ١٩٦٠ ص ٢٣٢ وما يتبعها ·

.. عندما يحتفل الوطن بالنصر ، فان النسور الرومانية تصبح من جديد في رياح افريقيا » (٩٩) وكان يترأس نادي روما الجامعي فرانشسكو اكويلانتي المعروف بميوله القومية . (١٠٠) وقد طغت حملة القوميين في عام ١٩١١ على الكاثوليك والكهنوت الايطالي ، وقد بدت لكثير منهم امكانية الابتهاج بمكاسب الوطن بمثابة التحرير واندفعوا الى اثار هذا الابتهاج في عبارات غير

---

(٩٩) فيما يخص نوادي الشباب الكاثوليكي الايطالي راجع لوتشانواوزيات L. Osbat « مجتمع الشباب الكاثوليكي الايطالي فيما بين الحملة الليبية والحرب العالمية من خلال اوراق المجلس الاعلى » نشر في « مجلة الدراسات السالرناتية » عدد رقم ٥ يناير — يونيو ١٩٧٠ ص ٢٣٦ — ١٩٥ يلاحظ اوزبات كيف ان رئاسة جمعية الشباب الكاثوليكي الايطالي التي كان اذ ذاك يترأسها بيريكولي هدفت الى التقليل من شان لهجات الحماس الوطني من اجل الحرب الليبية محاولة التقليل من التحدث عنها ما امكن في مجلة الجمعية « الشباب الايطالي » وان العمل الذي قام به الشباب الكاثوليكي كان موجها بصورة خاصة الى اعمال ذات صبغة دينية وللبر والمساعدة المرتبطة بالحرب : « تسهيل قيام الجنود في الوطن بالقيام بواجباتهم المعنوية والدينية . دعوة الذين على وشك السفر الى افريقيا الى صلوات دينية قصيرة وتمكينهم من الاقتراب من السر المقدس واعطائهم اشياء وكتب دينية كذكرى عاطفية وان يكونوا على اتصال بالمراسلة بالاعضاء المحاربين وان يصلوا خلال الاجتماعات من اجل الاموات واقامة صلوات عامة مع سر القربان المقدس العام للاعضاء . واخيرا جمع التبرعات من اجل عائلات الموتى والجرحى الفقراء » (ص ٢٠١) .

(١٠٠) في حديث في اواخر عام ١٩١١ امام النادي الجامعي بروما اشاد اكويلانتي « بيقظة الضمير الوطني وتحدث عن الحرب « كصحوة الحياة » الحرب لا يجب ان تكون غاية وانما وسيلة لاعداد الانسانية المعذبة والمتألمة من الامراض القاسية المعنوية والمادية من اجل زيادة ذلك السلام العالمي الداخلي والخارجي وتلك الرحمة العميقة والتضامن الاجتماعي الذي هو بمثابة مؤخرة معبد الرب وبداية ملكه بين الناس » (لوتشانو اوسبات المصدر المذكور ص ١٩٩) لقد وضع اكويلانتي اساس نظرية العمل الروحي للحرب تلك النظرية التي طورها فيما بعد اجلبرتومارتيري المطالب بالتدخل الكاثوليكي في الحرب وذلك بمناسبة الحرب العالمية الاولى . واكد من جديد اكويلانتي في يناير ١٩١٣ ان الكاثوليك كانوا متفقين مع كوراديني في اعتبار ان الفكر القومي يمثل تقدما بالنسبة للفكر الديمقراطي ويتفقون ايضا مع كورادينى في تعريفه بالديمقراطية « كعامل انحلال اجتماعي » (فرانكو قاتيطا) « القومية الايطالية » نابولي ص ١٩٦ — ١١٢ .

متزنة ومبالغ فيها . لقد كانت «عقدة الوطنية» كما لاحظ دي روزا « المرض الجديد الذي كانت تشكو منه الحركة الكاثوليكية » (١٠١) وقد ساهم بجزء كبير في تقرير هذا الاتجاه موقف وخطب قسم كبير من رجال الدين والاساقفة الذين ربما دفعتهم غيرتهم الرعوية تجاه الشباب الذي كان يسافر للحرب الى اطلاق تأكيدات انتقدتها فيما بعد صحيفة « أوسرفاتوري رومانو » . وكان من بين اوائل الذين اتخذوا موقفا اكيدا الاسقف كريمونا مونسيور جريميا بونوميلي الذي لم يكن غريبا على مثل هذه المبادرات اذ سبق له في عهد كريسبي ان هتف للحملات الافريقية . وبعث بونوميللي برسالة دورية مؤرخة في ١ أكتوبر ١٩١٠ يحيي الجنود الشجعان المشتركين في صراع بطولي ، ويضيف قائلا : « في اقصى حدود حياتي انا اسقف المسيح والمواطن الايطالي اوجه نظري الى شبابكم الابي القوي النظرة الذي يذكرنا بحماسات بعيدة وابتهج في صميمي لان على ايطاليا ان تفخر بمثل هؤلاء الابناء — اني اتبعكم بروح متأثرة في البحار وفي اراضي افريقيا اتبعكم لاباركم بكل روحي في كل عمل من اعمالكم ايها الرهبان وايها الشعب لنصلي وننتظر بثقة عيد العودة الظافرة . (١٠٢)

---

(١٠١) فبريلي دي روزا المصدر المذكور المجلد ١ ص ٥٤٥ ٠ في هذا الصدد تجد هذه الفقرة من صحيفة « الفيري ديطاليا » الصادرة ببولونيا وهي ذات مغزى : « (...) اليوم نستطيع ان نفاخر باعتزاز مشروع باننا سبقنا كل الاخرين وعملنا لا بدون ثمرة من اجل اعداد ساعة ثورة الروح الايطالية هذه والفكرة الوطنية مدللين بذلك على ان الكاثوليك الايطاليين لا يأتون وراء احد في الاحساس والدفاع عن مصالح وعظمة الوطن » (بعث الروح الايطالية) منشور في « الفيري ديطاليا » ١٢ سبتمبر ١٩١١ وكررت نفس الجريدة يوم ٦ اكتوبر : « (...) الكاثوليك يشتركون في الشعلة الجميلة ويلمسون حقيقة لا شك فيها وهي انه حيث تظهر المشكلة الوطنية بشكل لا يمس ضميرهم فان الكاثوليك تهتز قلوبهم ولا يتخلفون وراء احد في وطنيتهم النيرة » ٠ (ماليوس ، « وطنيتنا » في « الفيري ديطاليا » ٦ اكتوبر ١٩١١ ٠

(١٠٢) رسالة اسقف كريمونا في « راسينيا ناسيونالي » اول اكتوبر ١٩١١ ص ٣٢ — ٤٣١ ٠

(١٠٣) وطنية رهباننا — رسالة ملحوظة لاسقف بريشا في « الفيري ديطاليا » ١٠ اكتوبر ١٩١١ ٠

وبعد بضعة ايام وجه مونسنيور كورنا بلليجريني اسقف بريشا رسالة رعوية الى الرهبان وشعب الابرشية داعيا اياهم الى الصلاة كي تتوج تضحيات الصراع الكبير بالنصر وكي تنضج تلك الفواكه التي ترغب فيها » . (١٠٣)

وتدخل فيما بعد في يوم ١٦ اكتوبر الكاردينال بيترو مافي الذي تحدث في تحيته الموجهة الى الجنود في كنيسة بيسا .... عن ايراتوستوني وبرنيشي وكالليماكو واريستيبو ودايمبرتو (١٠٤) الذي حول هناك امجاد الشرق الباطلة الى نخيل دائم ، واشار الى البيارق والاعلام الاسلامية المحفوظة في الكنيسة كتذكار للنصر واكد :

« وترون من على جدران هذا المعبد التاريخي المائة علم وغنائم الاجداد المجيدة تنحني لكم وتهتف بالتحية والاماني الطيبة في ان تاتوا قريبا باعلام شقيقة لبعث امجاد جديدة لايطاليا ارضنا . اذهبوا : ان زئير الاسد يكاد يكون مجهولا هناك كما هو مجهول ايضا حق وسن التمساح ولكن عصفورة السنونو قد سبقتكم وستقدم لكم لدى وصولكم تحية الوطن . سافروا ايها الجنود تصحبكم صلواتنا وحبنا . الله معكم ولتكن معكم انتصاراته » (١٠٥)

ان العودة بالذكرى الى الحرب الصليبية ضد الاتراك والبحث بأي ثمن عن رباط تاريخي يعطي الحملة معنى اسمى كان ما يجتهد من اجله الكاثوليك في تلك الايام . وبما ان يوم ٧ اكتوبر هو الذكرى الاربعين بعد الثلاثمائة على معركة ليبانتو فقد خلقت فرصة لذكريات تاريخية اخرى تبرر وتشيد بالحرب الجديدة ضد الاتراك . (١٠٦)

---

(١٠٤) مطران بيسا اشترك في الحرب الصليبية الاولى عام ١٠٨٨ .

(١٠٥) النص يوجد في طرابلس مدرسة القوة » . مختارات صفحات العمل — انجلو بيتشولي روما ١٩٣٢ ص ٧٧ .

(١٠٦) لقد استاءت صحيفة « الوحدة الكاثوليكية » من هذه الاشارات التاريخية التي اعتبرتها غير لائقة فهاجمت بدون مواربة « بعض الصحف الكاثوليكية الجديدة التي تعبر عن فكر بعض الجماعات من ذوي الميول التي لا تقل تجديدا عن غيرها » وواصلت الصحيفة الفلورنسية كلامها فقالت : « الم يحاول ربما

غير ان الحادث الذي اثار دهشة كان خطاب الكاردينال بمناسبة عقد قران الماركيز باتريتسي ودونا صوفيا اوديسكالكي الذي تم في روما يوم ١٨ اكتوبر بقصر اوديسكالكي . فقد قال الكاردينال في خطابه بعد ان ذكر حادث الدفاع عن فينا عام ١٦٨٣ الذي تولاه البابا بنيدتو اوديسكالكي (اينوتشنزوو الحادي عشر) والبطولات التي قام بها في تلك المناسبة جوفاني باتيستا مونتورو سلف العريس قال : « انها استعادة ذكريات مطمئنة لماضي مسيحي مجيد ولتكن هي ملهمة الوطن الايطالي في هذه المناسبة وبرضاء ابنائه في ان ينقل مدينة الصليب الى اراضي تخضع لنير الهلال البغيض » (١٠٧)

من قبل هؤلاء وغيرهم حتى في الميدان المادي ربط ومقارنة مستحيلة وبشعة ما بين ما يحدث اليوم في طرابلس ويوم ليبيانتو المجيد ، ان هؤلاء الهواة الغير حذرين في المقارنات التاريخية لا يشعرون او يتظاهرون بعدم الشعور بان المقارنة مرجاء من عدة جهات ولا تستطيع ان تقف على قدميها • فمن جهة ان الامر يتعلق بتامين مزايا عسكرية واقتصادية لدولة وليس للدفاع او لانقاذ المدنية المسيحية من التهديد الاسلامي كما حدث في ليبانتو ومن جهة اخرى فانه لا مسلمي الشرق او مسيحي الغرب ظلوا كما كانوا قبل اربعة قرون . فاتباع محمد يسمحون بفتح المدارس الكاثوليكية بينما يامر اليعقوبيون في الغرب باغلاقها . فالالوان اي المسلمون يحترمون ولا يزعجون معتقدات الغير بينما الاخرون قبل ان يحاربوا الهلال حاربوا ولا يزالو يحاربون عمليا كتاب تعليم المسيحية بدلا من القران • فلنكذب اذن اذا لا نريد ان نثير السخرية بعض المقارنات البشعة ولا ندنس ذكريات امجادنا المقدسة وخاصة لا نتحدث عن نشر المدنية المسيحية على ايدي اولئك الذين يثيرون في كل خطوة العادات والفساد واصنام الوثنية (...) ولم يتبق امامي سوى التعبير عن امنية بسيطة وهي ان يجد الكاثوليك الايطاليين من جميع الطبقات والمناطق والاوساط في هذه المناسبة ان يجدوا ويعرفوا ان يحافظوا وهو الامر الصعب على الاعتدال (...) لنحذر الحماس الصبياني المبالغ فيه وخاصة ان لا يغمى علينا بسهولة من اجل العلم المثلث الالوان الذي ارتكبت وترتكب في ظلاله الكثير من المظالم في بلادنا » (« وفي الوقت الذي تجري فيه عملية طرابلس » نشر في « الوحدة الكاثوليكية » ٥ اكتوبر ١٩١١) .

(١٠٧) تحية الكاردينال فانوتيللي الحارة الى جنودنا بطرابلس نشر في « الفيرى ديطاليا » ١٩ لكتوبر ١٩١١ انظر ايضا الموقف المؤيد للحملة الذي اتخذه مطران كابوا مونسنيور كابيشيلاترو منشور في « الفونسو كابشيلاترو » من

ان الكاس طفح وقد تدخلت صحيفة « اوسير فاتوري « رومانو » بما لها من نفوذ في الامر وهي لسان حال الفاتيكان . ولم تنظر هذه الصحيفة الى حرب طرابلس برضاء في عشية الحرب (١٠٨) وبعد اندلاع القتال اقتصرت على نشر اخبار العمليات دون تعليقات كثيرة بالرغم من اشارتها وتقديرها « لاستقامة المشاعر ونبل اللهجة التي تضمنها منشور الجنرال كانيفا » . غير انه تجاه الروح التي كانت بعض الصحف الكاثوليكيـة وبعض الاساقفـة يفسرون بها الحرب ، فان صحيفة الفاتيكان رأت من الواجب التدخل . ففي الواحد والعشرين من اكتوبر ١٩١١ ظهرت نبذة في الصفحة الاولى تضمنت ما يلي :

« صحف غير قليلة ترغب في العمل في الميدان الكاثوليكي . كثيرون من الخطباء اللاهوتيين والعلمانيين يتحدثون عن الصراع الايطالـي التركـي بصورة تبعث على الاعتقاد بانها حرب مقدسة قامت باسم وتاييد الديـن والكنيسة وقد خول لنا التصريح بان الكرسي المقدس « لا يكتفي بعدم تحمل اي مسؤولية لهذه التفسيرات ، بل بمـا انه يريد ان يظل خـارج الصراع الحالي فانه لا يوافق عليها ويستهجنها » .

اجـل الحملـة الايطالية في طـرابلس . حب الوطـن والكاثـوليك بصورة خـاصة في ايطاليـا » ـ روما ١٩١١ ـ بالنسبة لاسقلية بيونتي انظـر ماسيمو سالفادوري الحركة الكاثوليكيـة في تورينـو المصدر المذكـور ص ٥٧ ـ ٥٦ .

(١٠٨) « فيما يخصنا كتبت صحيفـة الفاتيكان يـوم ١٦ سبتمبـر ـ يهمنا ان ننبـه مثـلا باننا غير مقتنعيـن بالمـرة بملائمـة احتـلال طـرابلس المسلح المبـاشر من قبـل ايطاليـا » (جـدل وخـلاف ومناقشات منشور في « اوسير فاتـوري رومانـو » ١٦سبتمبر ١٩١١) . واكدت نفس الصحيفـة يـوم ٢٣ سبتمبـر ان « العمليـة المدبـرة (...) ستكـون نتيجتهـا بالتاكيـد تبديـد الحلـم المغـرور القائـل بان احتـلال طرابلس يوطـد التـوازن في البحـر الابيض المتـوسط ذلك التـوازن الذي اختـل لضررها » . والخسارة الاكيدة كانت ايضـا « مظهـر الطيش الكبير الذى لا يغتفر والذي تقدمه نحن الايطاليون بهذه المناسبـة اي الاكثريـة بيننـا الذيـن يندفعون في ثـرثـرة متطرفة مفضوحـة لا تعرف او يبدو انها نسيت جميـع واجبـات الجدية والحـذر » (ا . « خسارة اكيـدة في مسالة طـرابلس » منشور في « اوسيفاتـوري رومانـو » ٢٣ سبتمبـر ١٩١١) .

ولقد عمل تدخل « أوسير فاتوري رومفو » هذا على تعديل لهجة ولغة رجال الدين والصحافة الكاثوليكية الموالية لارشادات الكنيسة بصورة كبيرة حتى ولو انه من الضروري الاشارة ان ليس جميع الاساقفة قد استعملوا لغة ما في وبونوميللي اوفانوتيللي . فاسقف ميلانو على سبيل المثال وهو من البارزين في الاسقفية الايطالية قال في رسالة رعوية بتاريخ ٨ اكتوبر ١٩١١ ما يلي :

« ان الحرب حتى ولو كان لها ما يبررها او يطالب بها لا تكفي عن كونها دوامة للشعب المتورط فيها . ان هذه هي تعاليم الله لان الكتاب المقدس يعتبر الحرب كمصيبة ، ان هذه هي تعاليم الكنيسة » (١٠٩)

ولا شك ان هذا الوضع الحماسي للاساقفة كان يبرره جزئيا قرار الحكومة في ارسال مرشدين من رجال الدين صحبة الجنود ، فبعد أن ظل التسييس سنوات طويلة في اعتبار « الحيوان الاسود » فقد رأى الآن السلطات الحكومية تشعر بضرورة اللجوء اليه لمواساة روح الجنود (١١٠)

---

(١٠٩) « النغمة الصحيحة للحرب الحاضرة » منشور في « الوحدة الكاثوليكية » ١٧ اكتوبر ١٩١١ .

(١١٠) طلبات كثيرة من القساوسة للذهاب الى ليبيا . ففي اول اكتوبر على سبيل المثال ارسلت الجمعية الوطنية لحماية المبشرين الايطاليين بالخارج برقية الى وزير الخارجية جاء فيها : « اذا ما رغبت الحكومة الملكية ان تقوم هذه الجمعية بتزويد الحملة بالوعاظ والاخوات المرضات فان الجمعية تضع نفسها تحت تصرف سعادتكم للاجراءات العاجلة » وقد رفضت رئاسة اركان الحرب العرض برسالة بتاريخ ٤ اكتوبر بالنظر الى انها « واجهت بسخاء الحاجة الدينية نتيجة للطلبات الكثيرة التي وصلتها بالخصوص (A.S. MAE, Segr. Gen., pa. 42, pos. 17 b, f. 642) وكان الاب جوزبي بفيلاكوا ـ المرشد الاكبر للحملة . وقد كان مبشرا في مصر وطرابلس وبرقة وظل لعشرات السنوات رئيسا رسوليا وقد قدم اسمه الى سبنقاردي من قبل مدير الشؤون الاستعمارية انيرا بناء على توصية من ا . سيمونتي عضو جمعية مقاومة الرق الايطالية انظر (A. MAI., pos. 104/1, f. 1) وهناك دليل على وطنية تسم من رجال الدين جاء في كتاب المرشد العسكري ببرقة جوفاني جيروني G. Gerone « لبد بنغازية » فلورنس ١٩١٢ . وصدر عام ١٩١١ كتاب صلوات مهدى الى الجنود للاب فولجنسيودل بيانو Fulgenzio Del Piano « صلواتي في طرابلس » روما ١٩١١ .

ومع مرور الاشهر على كل حال تغير موقف الاسقفية الايطاليـة على الاقل جزئيا واخذت تنظر الى الحرب سلبيا مؤملة في سرعة نهايتهـا . فاسقف نولا ، انيلورنزوللو بعد ان اشار الى وباء الحرب « لا يشير الى الانتهاء » اعرب عن امله في ان تخـرج الامـة من الصعوبات التي تحاصرها بسبب امتداد الحرب ، وعلى سبيل المثال أمر في اعلان بتاريخ ٢٠ فبراير ١٩١٢ : بعنوان « مثل آخرون من اخوتنا الممتازين » : انه والى « اعلان جديد تتلى في الصلوات والطقوس صلاة Pro Pace (للسلام) بدلا من صلاة Temporebelli (للحرب) » (١١١)

وصحيفة « المدينة الكاثوليكية » ايضا اخذت تنظر الى الصراع الايطالي التركي منذ بدايته باهتمام ملاحظة بسرور وجود الوعاظ العسكريين في الحملة وهو امر يعود كل الفضل فيه الى وزير الحربية الحالي « ومنتقدة موقف الحزب الاشتراكي المعادي الذي هوت به الى اسفل « في اعتبار « الراي العام بالبلاد » (١١٢) ومن هذا الموقف التاييدي اساسيـا اخذت « الوحدة الكاثوليكية » مع مرور الاسابيع تتخذ مواقف أكثر انتقادية . فلم يعجب المجلة اللجوء الى اسم الله بكثرة في نداء الجنرال كانيفا معتبرة ذلك اتخاذ الدين اداة لغايات سياسية حكومية (١١٣) ، كما لم يعجبها موقف

---

(١١١) « اشعـارات » منشور في النشرة الدينية لاسقفية نولا » فبراير ١٩١٢ .

(١١٢) « احداث معاصرة » منشور في « المدنية الكاثوليكية » ١٩١١ مجلد رابع ص ٤٥ — ٢٤٤ .

(١١٣) « لا نريد ان نهمل ملاحظة عامة ذا طابع سياسي — ديني . ففي وقت تولى الحكومة السلطة في طرابلس ارادت ان تعطي دليلا من مدى اعتمادها على الدين كاداة لغايتها السياسية التي تستعمل في سبيلها كل وسيلة وتتحالف مع اي حزب . لقد كان يكفي لدى الذهاب الى طرابلس حتى بالنسبة لحكومة حديثة متحررة ومتمدنة ان تعلن ان العرب كانوا احرارا فيما يتعلق بامور دينهم في ان تستمر الاشارة بان بقاءهم مسلمون هو من ارادة القادمين . وقد ارتكب ما هو اسوا . تشويه وتحويل كنيسة كاثوليكية الى مسجد وليس هذا كل شيء لقد حاولت السلطات ايضا ان تسلم هي ايضا ولنعتذر من هذا اللفظ وذلك باستعمالهم لايات من القران وباعتناقهم لمشاعر دينية تبدو في افواههم مصطنعة وكمل

الكثيرين من الكاثوليك الذين تجاوزوا الامر « بالحديث من العملية كما لو كانت ذات اغراض دينية وكما لو انها حرب قد قررتها المسيحية ضد المسلمين بدلا من كونها حرب ايطاليا ضد تركيا » (١١٤) وانتقدت مجلة اليسوعيين اللهجة التي كانت تنطق بها بعض الصحف عن الحرب والاسلوب الذي تصف به الاتراك الذين كان جرمهم الوحيد هو مقاومة الاحتلال الايطالي بضراوة . وقد رأت الصحيفة النصف شهرية الرومانية ان تعود بالمسألة الى حدودها الصحيحة ملاحظة كيف ان الحديث « عن سلوك وعمل الاتراك » يتجاوز « ربما حدود الانصاف العادل . كثير من الاقوال المخجلة والاهانات الرخيصة توجه كما يبدو الى جميع اعمال الاعداء الذين لا يفعلون الا ما تفعله اية امة تحترم نفسها » (١١٥)

ان صحيفة « المدينة الكاثوليكية » حاولت على كل حال ان تحافظ في النداء « على مركز الكرسي المقدس العالمي والذي هو فوق الوطنية » (١١٦) حتى ولو انه مع مرور الزمن وفي وقت السلام بصورة خاصة اشارت الى امر ايجابي ذي صفة داخلية : ازمة الحزب الاشتراكي الذي كان يبدو انه فقد فعلا أي تاثير داخل الحكومة في الوقت الذي تم فيه ايقاف « الزحف المجير لجميع المعادين للكنيسة وللمبادىء الكاثوليكية والدينية كما القى « ظلالا مشؤومة على الماسونية » واشارت « المدينة الكاثوليكية » من جديد الى الامر الايجابي وهو انه خلال الاوقات الصعبة من الحرب فان البلاد شعرت بالحاجة الى العون الالهي وبصورة خاصة مباشرة الجنود للدين كي

سياسي قبيح ومنحرف . اننا نشير الى منشور طرابلس ان استغلال اسم الله والعناية الالهية واضح فيه وذلك النداء يحمل اسم « كاليفا » الذي كان في الامكان ان يقرأ « جوليتي » (المصدر المذكور ص ٦٢) .

(١١٤) المصدر المذكور ص ٣٦٢ .

(١١٥) المصدر المذكور ص ٤٩٨ .

(١١٦) جوفاني سبادوليني ، المصدر المذكور ص ٢٢٤ .

يواجهوا بشجاعة التجربة الصعبة اذا ارادوا ان يتحصلوا على المواساة الدينية » (١١٧)

ولم يشر حتى الآن تاريخ الاحداث الى التردد والعداء ايضا الذي قابلت به الهيئات والبارزون من الكاثوليك الحملة الليبية بل لقد حاولوا اظهار الحركة الكاثوليكية بانها مرتبطة كلية بالمبادرة الاستعمارية الجوليتية ومع هذا كانت هناك شكوك وتحفظات ويكفي تصفح « الوحدة الكاثوليكية » شهر سبتمبر ١٩١١ لادراك مدى حدة معارضة الصحيفة الفلورنسية ، وكيف كانت مجادلاتها مع الصحف الكاثوليكية المؤيدة للحملة شديدة . ان ضجيج « الوحدة الكاثوليكية » هذه كانت ترمي قبل كل شيء الى اظهار عدم جدوى مخاطر ونفقات الحملة في الوقت الذي لا تزال هناك مشاكل داخلية تتطلب الحل ، (١٨٨) وللتدليل على الخطر بان البلاد على وشك القيام بخطوة اكبر من قدرتها « وانها تستعد لابتلاع » وجبة ليست لديها القوى الهضمية المناسبة لهضمها « (١١٩) والامر الذي كان يغضب « الوحدة الكاثوليكية » هو محاولة اظهار جميع الكاثوليك الايطاليين كمؤيدين لطرابلس كما تؤكد

---

(١١٧) « المدينة الكاثوليكية » ، ١٩١٣ مجلد ١ ص ٢٣٧ . وقد كتب دي روزا ان « المدينة الكاثوليكية » قد سرت الان لنتيجة العملية لانها قد تسمح بانزواء وعزل الاشتراكيين في نظر الراي العام وقد توقف « المسيرة المجبرة لجميع المعادين للكنيسة » ضد المبادىء الكاثوليكية والدينية » ولكنها لم تكن ترى اطلاقا الثمن الذي دفع لايقاف تلك المسيرة التي توقفت حقا لتترك المكان لعداء جديد اخر ضد الكنيسة يختلف من العداء العنيف الاشتراكي المفتوح والمعلن وهو عداء القومية الكورادينية التلميحي والمؤثر وذلك فيما بعد العملية الليبية » فابريلي دي روزا ، المصدر المذكور مجلد ١ ص ٥٤٧) .

(١١٨) لورنزو بوتيني L. Butini « هل من المفيد احتلال طرابلس » نشرته « الوحدة الكاثوليكية ١٤ سبتمبر ١٩١١ . وهناك صحيفة اخرى « ايطاليا الحقيقية » كانت معادية للحرب ومتطرفة وكانت تصدر في تورينو . (انظر ماسيموسالفادوري المصدر المذكور ص ٥٠ — ٤٨) .

(١١٩) ايلاريو رانييري Ilario Rinieri « طرابلس والمسالة الشرقية » منشور في « الوحدة الكاثوليكية » في ٣٠ سبتمبر ١٩١١ .

ذلك صحيفة « كوريري ديطاليا » وكان يثيرها ذلك الحماس المنطلق الذي كان يبدو كما لو انه اكراهي ويرمي الى اظهار الولاء والوطنية باي ثمن كان :

« ولكن الآن يكفي — كتبت « الوحدة الكاثوليكية » تقول : ان الحماس الزائد من اللزوم يضر ويغير طبيعة ذلك السلوك الهادىء النقي الذي يجب ان يسلكه الكاثوليك تجاه دولة وحكومة اظهرت دوما عداءها لهم ومستعدة دائما لاهمال المصالح والمطامح والحقوق .

ربما يجب ان يفهم ذلك جميع من هم في اعلى واسفل العالم الكاثوليكي. ان بعض المبالغات تضر بملاءمتنا ، لانه حتى وسط الصياح الصاخب وصراخ الفرح ونشر الاعلام ولو كانت من اجل طرابلس فاننا نبدو مثل الذين يقرعون ابواب الوطنية ليسمح لهم بالدخول في آخر ساعة . ان وطنيتنا لا يجب ان تختلط في الشارع مع وطنية الاحرار والماسونية » (١٢٠)

ويبدو ان الجدل الاحتجاجي القديم الذي تلى النهضة اخذ يظهر على اعمدة الصحيفة الفلورنسية بنفس اللهجة التي استهجنت بها العناصر الكاثوليكية المتطرفة الحملات الافريقية في عهد كريسبي (١٢١) ولم ينج منها ولو بصورة اخف أولئك البارزون من رجال الدين الذين انطلقوا في حماس متطرف .

---

(١٢٠) مينيموس Minimus « ماء في النبيذ » منشور في « الوحدة الكاثوليكية » في ١٤ اكتوبر ١٩١١ . « كتبت الصحيفة الفلورنسية تقول : يبدو ان صحيفة « كوريري ديطاليا » بدون داع هام تستطيع ان تقول ان الكاثوليك الايطاليين يشاطرونها حماساتها الطرابلسية وفي استطاعتهم ان يروا لادراكهم منذ البداية حقيقة طابع واهمية المسألة . ان صحيفة « الكوريري » تتحدث عن نفسها لانه لم يتحرك احد في الواقع » . (الى طرابلس مهما كان الثمن) منشور في « الوحدة الكاثوليكية » في ١٣ سبتمبر ١٩١١ . فيما يتعلق بموقف صحيفة « الوحدة الكاثوليكية » انظر ايضا بيير لويجي بالليني Pier Luigi Bellini « الحركة الكاثوليكية في فلورنس » (١٩١٩ — ١٩٠٠) روما ١٩٦٩ ص ٢٥٤ — ٢٢٥ .

(١٢١) كتبت صحيفة « روما الحقيقية » لسان حال الشرعيين الرومانيين » ان ايطاليا بعد هزيمة عدوها يجب ان تعود على اعقابها بعد هذه المحنة ويجب ان تعرف

وحتى صحيفة « الوحدة » التي يديرها فليبو ميدا من ميلانو الذي لايمكن اتهامه بالتطرف وهي من النوع القديم (١٢٢) لم يخف تردده امام العملية الليبية وكان تردده ناتجا بصورة خاصة عن ضآلة الاقتناع بلائمة الحرب وفي ٢٥ سبتمبر ١٩١١ أراد ميدا نفسه أن يحدد موقفه وموقف صحيفته فكتب :

« (...) نحن معارضون : ليكن معلوما : نحن معارضون على انه يبدو لنا أن الضمان الديبلوماسي كاف وهو لا يكلفنا شيئا فلا نرى اذن ضرورة اللجوء الى خطر الاحتلال العسكري المؤكد : اي بعبارة اخرى نحن لسنا ضد الاحتلال من باب أولى انما نحن ضده لاننا غير مقتنعين بانه امر ضروري يبرر انفاق المال وربما الدماء التي قد تنتج عن تعقيداته » . (١٢٣)

من ادى بها الى هذا الحد ويجب ان تبتعد منهم كاتسي اعداء رخائها وعظمتها ومجدها .

ان ايطاليا لا يجب ان تحرر من غرور كريسبي الجنوني فحسب ولنما يجب ان تتحرر ايضا من الطائفة الملحدة والمسدة التي استعملت كريسبي لاغتيالها » .
(« عار او بكاء » أ منشور في « روما الحقيقة » تاريخ ٢ فبراير ١٨٩٦ .)
وعند ما جرى الحديث عام ١٩٠٢ من احتمال قيام عمل ايطالي في طرابلس كتبت نفس الصحيفة تقول : « ما حاجتنا لبضعة كيلومترات زيادة من ساحل مليء بالرمال والاوحال وقاعه حجري ومنخفض جدا بالنسبة لتوازن البحر الابيض المتوسط (...) واذا ذهبت ايطاليا ـ كما يقال ـ الى طرابلس فان تلك القبائل التي تعودت على الخمسين درجة من الحرارة سترتاح بالنسبة للضرائب كما سنرتاح نحن ايضا لان ايطاليا تريد ان تقوم بدور تشيرنيا Cirenea بالنسبة لفرنسا وانكلترا وتغامر في صحاري تورينه الجافة وسنفوز بالشوك والالام بدلا من اللوز بطرابلس » (« طرابلس والالام » أ نشرت في « روما الحقيقية » ٦ ابريل ١٩٠٢) .

(١٢٢) بالنسبة لمولد وموقف « الاتحاد » والذي جاء نتيجة لدمج صحيفة « ليغالومباردا » مع « اوسيرفاتوري كاتوليكو » في عام ١٩٠٧ انظر تبريلي دي روزا « فليبوميدا والعهد الليبرالي » فلورنس ١٩٥٩ ص ٨٧ وما يتبعها .

(١٢٣) فيليبو ميدا « لنحدد » منشور في صحيفة « الوحدة » ٢٥ سبتمبر ١٩١١ لاحظت فيه الصحيفة في ردها على صحيفة « كوريري ديطاليا » التي اكدت ان الكاثوليك يؤيدون الحرب دون تحفظ فقالت : « نحن لا نناقش ان « الكوريري ديطاليا » يعبر حقا من فكر الكثير من الكاثوليك ولكن فيما يخصنا فنود ان ننبه اننا مثلا لسنا مقتنعين بالمرة بملائمة احتلال ايطاليا المسلح المباشر لطرابلس » (« ايضاح » في « الاتحاد » ١٤ سبتمبر ١٩١١) وبعد بضعة ايام ردت صحيفة

ومثلما حدث فيما بعد بمناسبة انفجار الحرب العمانية الاولى واشتراك ايطاليا فيها فقد اعاد ميدا النظر وعدل من موقفه مع مرور الاشهر وقد برر التغيير في حديث له في روما امام المنتخبين في اول فبراير ١٩١٢ بان اقتناعا تولد فيه بان لا مفر من احتلال ليبيا من اجل مصير سياسة البلاد الخارجية . وهو لا يوافق على الـــروح القومية التي راى خطـــرها بوضوح ولكن يبدي اعتبارات دولية واستراتيجية وهي « مبررات غير مقنعة » (١٢٤) بالنظـــر الى السـوابق السلمية والمعادية للاستعمار التي كان ميدا يلوح بها من على صفحات « الوحدة » في سبتمبر ١٩١١ . وقد اتخذ النقابيون البيض من امثال مليبولي موقفا اكثر اصرارا حيث انه لم يخف مخاوفه من « رائحـــة العسكرية الرجعية » التي تـــرآت له من خلال شمـــور « النبـــل الايطالي المنتشر » و « حماس الوطنية الصادق » . ولكن خشيته الكبرى كانت ترتبط كما حدث في معركته ضد التدخل عام ١٩١٥ بمصائر جماهير الفلاحين التي كان يعبر عنها وينطق باسمها . وعندما اندلعت الحرب لاحظ كيف ان « افق الغد ليس هادئا بالنسبة للعمل الهـــادىء للجماهيـــر الشعبية الكثيـــرة في مناطق مديدة » . وباحتكاكه بفلاحي منطقة كريمونا كان مليولـــي يحس بحاجاتهم ويمثل امزجتهم مدركا ان « التمزق » الذي يحـــدث في الميزانية العامة بسبب « تكاليف طرابلس » قد يعطل اكثر « مطامح الطبقات الفقيرة » وتحقيق « اصلاحيات ديمقراطية » لا بد منها » (١٢٥) وكان يجب ايضا

«الشيتادينو » الصادرة في بريشا و « الموميتو » الصادرة بتورينـــو وهمـــا يدمـــولن الحكومـــة في عـــدم التـــردد وتهـــوان الكاثوليك بان يحولوا بسبب « جهـــل الحكومة وخيـــانـــة الطـــوائف المـــاكـــرة ان تنظـــل ليطاليا ادنى من تاريخها وقـــدرها » وقـــد وصفت صحيفة « الوحـــدة » ان هذه المـــواقف غير حكيمة واكـــدت الضـــرورة بـــان يتحمـــل كـــل واحـــد في الميـــدان الكاثوليكي « مـــوولياتـــه الخاصـــة » (« طرابلس والكاثوليك » منشور في « للوحـــدة » ١٨ مبتمبر ١٩١١) .

(١٢٤) قابريلـــي دي روزا « تاريخ الحركـــة الكاثوليكيـــة بايطاليـــا ـــ المصدر المذكور مجلد ١ ص ٤٩ ـــ ٨٤٥ .

(١٢٥) « ما بيـــن جنونين » منشـــور في « اسيوني » ٣٠ سبتمبـــر ١٩١١ الان منشـــورة في « لاتسيوني مختـــارات كتابـــات » ١٩٠٥ ـــ ١٩٢٢ جمعها كارلو بيللو ـــ روما ١٩٦٧ ص ١٠٤ ، وفيما يتعلـــق بمليولي انظـــر ايضا انطونيو فاباني Antonio Fappani

التفكير في الضحايا الاذلاء الذين سيظلون على قيد الحياة من اطفال صغار وشيوخ في أواخر مراحل الحياة وامهات مسكينات وزوجات ارامل . انه لجيش آخر كبير من الضعفاء جيش غير صالح للحرب وأول من يتضرر بسبب الحرب لان الحرب تحرمه من المرشد والسند والغذاء والخبز والقلب » . وفي الخلاصة « لن نهتف للحرب ابدا » فلم يكن ممكنا بالنسبة لمليولي ورفاقه بصحيفة « التسيوني » بكريمونا أن يشترك في حملة البيان القومية أو ينجر « وراء الوطنية المعتلة وان يهتف للحرب » وكانوا من جهة اخرى لا يريدون ان يختلطوا بالمعارضة الاشتراكية الرامية الى « استغلال دنيء لالام البشر » (١٢٦)

ولم توافق على الحرب في سبتمبر ١٩١١ حتى تلك الرابطة الديمقراطية

تويدو مليولي وحركة الفلاحين روما ١٩٦٤ ص ٩٣ ـ ١٩٠ وفرانكو ليونوري Franco Leonori · لا حرب بل ارض · غويدو مليولي حياة من اجل الفلاحين » ميلانو ١٩٦٩ ص ٤١ ـ ٣٩ ·

(١٢٦) « واجبنا خلال الحرب » منشور في « التسيوني » ١١ نوفمبر ١٩١١ والان في التسيوني ـ المصدر المذكور ص ٧٠ ـ ١٠٥ . لقد عاود مليولي موضوع الحرب الليبية في نقاش مجلس النواب في ٢١ فبراير ١٩١٤ فانتقد موقف أرتورولا بريولا الاستعماري مؤكدا ان لنتائج الحملة الليبية لا يمكنها الا « ان تزيد من حدة الصراع الاقتصادي ما بين راس المال والعمل » وان « تؤخر » بعث الطبقات الفقيرة واعطاء « اوكسيجين جديد للبرجوازية المحافظة » بحيث تجمع تحت علم القومية مختلف عناصر الليبرالية الايطالية ·

خطاب مليولي منشور في كتاب فرانكو ليونوري . المصدر المذكور ص ٦٩ ـ ١٥٧) وكان جيان باتيستا فالينتي G.B. Valente الذي اصبح فيما بعد مؤسس وسكرتير اتحاد العمال الايطالي كان من بين النقابيين الكاثوليك المؤيدين لعملية الغزو ـ وقد كتب ما يلي في ترجمة حياته : « بالاضافة الى مختلف المؤتمرات النقابية التي كانت تعقد في المانيا (كان فالينتي يقوم بعمله ما بين المهاجرين الايطاليين في المانيا) فقد اشتركت ايضا في مؤتمر الايطاليين بالخارج الذي عقد بروما عام ١٩١١ (···) وقد اثيرت فيه ولو بصورة هامشية مشكلة طرابلس التي كانت لا تزال حامية وخرجت من هذا المؤتمر بالاقتناع بان مشكلة الهجرة مرتبطة ارتباطا وثيقا بمشكلة التوسع الايطالي في افريقيا ولهذا منذ ما عدت الى المانيا كتبت على مختلف الصحف الالمانية وخاصة صحيفة Kölnische Wolkszeitung الصادرة بكولونيا بعض المقالات المؤيدة للدواعي

الوطنية (١٢٧) التي بالرغم من عدم اخفائها لبعض العطف على القومية ، ففي المؤتمر الذي انعقد في فلورنس من ٨ الى ٩ سبتمبر ١٩١١ تمت الموافقة بالاجماع على امر يومي اقترحه دوناتي و « قد حذر من الصعوبات والاخطاء وعدم مناسبة توسعات استعمارية ومغامرات عسكرية » ولفت الامر اليومي :

« انتباه البلاد الى المشاكل الداخلية التي على الدولة ان تجد لها حلا وفي طليعتها مشكلة الجنوب ، واوصى فيما يتعلق بسياستنا الخارجية برعاية المدارس الايطالية في الخارج ورعاية وتعليم مهاجرينا والمحافظة على روحنا وثقافتنا في البلاد التي تنطق باللغة الايطالية . » (١٢٨)

ان نص هذا الامر اليومي يردد في بعض فقراته انشائية سالفيميني خاصة فيما يتعلق بالاشارة الى المسالة الجنوبية . ومن المعروف أن دوناتي مدير صحيفة « البوبولو » مستقبلا كان محررا نشيطا في صحيفة « لافوتشي » وصديقا لسالفيميني الذي انتقل معه فيما بعد الى صحيفة « لونيتا » (١٢٩) .

التي دفعت بايطاليا الى حملة ليبيا وهو عمل جرىء لان اغلب المانيا كانت تتحيز لتركيا ضدنا » (جان باتيستا فاليتي « مظاهر واوقات للعمل الاجتماعي للكاثوليك في ايطاليا » ١٨٩٢ — ١٩٦٢) صدرت باشراف فرانشسكو مالجيري روما ١٩٦٨ ص ١٦ — ١١٥) .

(١٢٧) انظر كلاوديو جوفانني Claudio Giovannini « السياسة والدين في فكر الرابطة الديمقراطية الوطنية » (١٩٠٥ — ١٩١٥) روما ١٩٦٨ ص ٣٢٨ وما يليها . وكان يبدو ان رومولو موري كان محسورا من « استمرار الرومانية المسيطرة » وشعر بالسرور « لاظهار القوة والصحة الوطنية التي من اجلها نقف اليوم بين الشعوب التي تريدان تسير دفة التاريخ ولا تتخلى عن مكانها بمذلة الى اخر القادمين (رومولو موري « وثائم شعب ! » منشور في كتاب اميليو سكاليوني المصدر المذكور ص ١١ — ٤١٠) .

(١٢٨) نص هذا الامر اليومي موجود في كتاب لورنزوبيديسكي Lorenzo Bedeschi « الكاثوليكيون المتمردون » روما ١٩٥٩ ص ١٩٨ حاشية .

(١٢٩) ان معارضة دوناتي لعملية طرابلس قد اكدتها ايضا رسالة من انطونيو انزيللوتي الى سالفيميني بتاريخ ٢١ اكتوبر ١٩١١ من فلورنس جاء فيها « فيما يتعلق

وقد جذب الجو الوطني على ما يبدو في الفترة الاولى من الحرب الشاب فرانشيسكو لويجي فيراري F.L. Ferrari الذي سيغدو مستقبلا ممثلا لليسار الشعبي ومعاد للفاشستية ومؤمن بالديمقراطية وقد ارتبط في نواح كثيرة بجوزبي دوناتي ومات مثله مبعدا في فرنسا . وكان فيراري في ذلك الوقت في الثانية والعشرين من عمره يتولى امانة النادي الجامعي الكاثوليكي « لودوفيكو موراتوري » بمودينا وكان يعمل ايضا في الميدان النقابي وقد راى عند بداية الحرب الليبية امكانية توسع التبشير الكاثوليكي في تلك البلاد . وقد اعتقد ان الاحتلال الايطالي لليبيا من شانه ان يساعد على تغلغل الانجيل في تلك البلاد « ويسهل » ابدال المدنية الاسلامية بالمدينة المسيحية على ايدي المبشرين لا بفعل الحكومة الايطالية » (١٣٠) وهذه المواضيع كانت حساسة جدا في محيط المنظمات الجامعية والشبابية الكاثوليكية في تلك الفترة . ولم يكن فيراري من مؤيدي الحرب التوسعية واللهجات الشوفنية وانما اتجاهاته كانت تمليها عليه تقريبا اعتبارات ذات صبغة دينية حالت دونه ربما ودون ادراك مظاهر المشكلة الليبية السياسية في الحال . ولكن سريعا ما شعر بان وراء الحرب يختفي خطر « دفع البلاد

بطرابلس اناشدك ان تمد المواد للكتاب الذي سيواجه كتب الترهات القومية . والله لا يزال لدينا الوقت وان كتابا هو في الواقع نفس السلاح الذي استعمله الخصوم . فاذا ما جئت هنا في اول نوفمبر ومعك المواد الزائدة عن تلك التي لدى بريشوليني على ما اعتقد وبذلك نستطيع اطلاق حملة اعلامية يوم ١٩ نوفمبر (وقد تنضم اليها صحيفة « لاتسيوني » التي يملكها دوناتي) لمواجهة افتاج الفكر الاستعماري القومي المتبجح » . (غايطانو سالفيميني » اوراق » . المصدر المذكور مجلد ١ ص ٥٤١) . فيما يتعلق بتفسير دوناتي للعملية الليبية انظر ص ٧٦ — ٣٧٥ ومقاله « الدولة والمسالة الجنوبية » منشور في « الريسورجيمنتو » يوليو ١٩١٢ ونشر الان في كتاب « جوزبي دوناتي — كتابات سياسية » مقدمة وتعليق وحواشي جوزبي روسيني G. Rossini روما ١٩٥٦ مجلد ١ ص ١٣٠ — ٩٩ ، وقد اعيد نشر المقال في كتاب غابريلي دي روزا — انطونيو تشستارو A. Cestaro « المسالة الجنوبية — مختارات كتابات ووثائق » نابولي ١٩٧٠ ص ٢٢٤ — ١٢١٣ .

(١٣٠) انظر ماريوج . روسي M.G. Rossi « فرانشسكولويجي فيراري من الروابط البيض الى الحزب الشعبي » روما ١٩٦٥ ص ٢٣٦ .

على طريق التسلح الجنوني والمغامرات التي لا تتناسب وواقــع القوى البشـرية والاقتصادية للامة الايطالية » . وانه من الضروري التحقيق في الاخطاء التي ارتكبت خلال سير الحرب دون امكانية تغطيتها « باي من اثواب الشعبية » . وسـواء في مليولي او فيراري كان الخوف حادا من ان تكون الطبقات العاملة هي التي تدفع الثمن ويتاخر تطور البلاد الديمقراطي والاجتماعي .

« نحن ــ كتب فيراري في صحيفة « جورنالي دي مودينا » في السادس من اكتوبر ١٩١٢ ــ نريد بان نفقات الحرب التي تنتج عــن الحرب مباشرة لا تثقل باي شكل كاهل الطبقات الشعبية (...) وفي النهاية نحن سنراقب بان لا تكون النفقات الجديدة سببا باي صورة كانت في تاخيــر القوانين الاجتماعية التي يطالب بها الديمقراطيــون من جميع الميادين والمنظمات العمالية بالحاح مشروع (...) ، فاولئك الذين صفقوا للعمال الايطاليين غداة الانتصارات الليبية يجب ان يذكروا هؤلاء العمال ويمنحوهم مــا تطلبه العدالة والانصاف واوضاع المجتمع الحديث » . (١٣١)

وعلى كل فان المعارضات والخلافات حول الحملة الطرابلسية لم تنعدم بين مختلف التجمعات الكاثوليكية بالرغم من ان الواجب يقضــي بالملاحظة بان معظم الكاثوليك الايطاليين بدون شك قد غمرهم جو الوطنية الطرابلسية وانقادوا لاجنحة الحماس دون التروي كثيرا في عواقب ذلك على مستقبلهم السياسي والذي كان ينقص الكاثوليك تنظيم سياسي موحد في استطاعته ان يتحمل مسؤولية التوجيه . اما التاكيد بان العالم الكاثوليكي باجمعــه قد غرق في بحر الوطنية الليبية الكبير فهو امر غير صحيح ومبالغ فيه . ومن المؤكد ان الاصوات التي حاولت ان تعبر عن معارضتها قد طغت عليها ضجة صحافة الاعلام الكاثوليكي الضخمة التي كان في امكانها ان تصل حيث لا تصل الصحف الصغيرة وخاصة في المدن الكبرى ولكن هذا لا ينفــي ان الشك بان ليس كل شيء يستحق الهتاف والاشادة . ظل في ضمائر كاثوليكيين

---

(١٣١) نفس المصــدر ص ٤١ ــ ٢٤٠ .

كثيرين . وليس بالقليلين الذين ادركوا أن الاندفاع كلية نحو الانضمام الكامل الى الدولة الليبرالية يجب ان يوقف على الاقل جزئيا . وجاء حادث القبض على دون سالا (١٣٢) في مايو ١٩١٢ لكي يوقظ الكاثوليك من حماسهم الطرابلسي — ولم يسع الاتحاد الشعبي اذ ذاك الا اصدار بيان يوم ١٢ مايو بعنوان « نريد حرية » اتهمت فيه حكومة جوفاني جوليتي « بانها تخدم « اغراض الراديكاليين الحزبية السيئة » واضافت :

« المحاكمات تتكرر والقساوسة يضطهدون خلال قيامهم بواجباتهم الدينية اذا لم يخضعوا للمنافقين من اعداء دينهم ، وتنتهك الحريات الدستورية في صمت بعيدا عن ضجة الحياة الوطنية (...) وليكن احتجاجكم من اجل . حرية الانسان ومن اجل حقه المقدس : تجمعوا بسرعة بكثرة لتظهروا للبلاد انكم قوة ليس فقط عنهما تجعلوا من ارادتكم سدا في وجه اعمال اتراك ايطاليا المشؤومة، بل بالتعاون في سبيل كرامة الوطن دون ان تهتموا بالازدراء الذي ينظر به اليكم رئيس الحكومة وحتى وان كنتم مواطنين حقيقيين ومستنرين فلا تنسوا من اجل الحق المشاكل — حتى وان كانت كبيرة — الداخلية ، والحيوية التي يرتبط بها غدا الشعب الايطالي » . (١٣٣)

ان حماس الكهنوت والعلمانيين من الكاثوليك لاعمال الحكومة قد قابلته

---

(١٣٢) في اليوم الثاني عشر من مايو ١٩١٢ ببلدة كبورو بفالتللينا خلال احتفال لمباركة علم النادي الشعبي الكاثوليكي المحلي بحضور النائب ماورى قام جماعات من المعادين للكنيسة بمشاغبة الاحتفال فوجه دون انريكو سالا كلامه الى ضابط البوليس (كرينيري) شيترني مؤكدا « انكم لا تساوون شيئا » واعتبر سلاح الكرينير هذه الكلمات اهانة له فالقى القبض على دون سالا · وحكمت محكمة سوندريو في ٢٠ مايو على دون سالا الذي دافع عنه المحامي مريتسي — بغرامة قدرها مائة ليرة · وقد كانت النيابة تطالب بسجنه شهرا (فيما يتعلق بهذا الحادث انظر « الاضطهاد ضد الكاثوليك في فالتيللينا » نشر في صحيفة » تورد نيفي » الصادرة في كومو في ١٣ مايو ١٩١٢ و « وحشية وعنف ضد كاثوليك فالتللينا » نشر في « اوسرفاتوري رومانو » ١٨ مايو ١٩١٢ و — اضطهاد الكاثوليك » نفس المصدر في ٢١ مايو ١٩١٢) .

(١٣٣) يوجد منشور في A.C.S., Min. Int. DGPS, Uff. ris., b. 48, f. 114

هذه بحادث اهان مشاعركم ومثاليتكم . (١٣٤) فقـد ظهر من جـديد وجه الدولة القديم الذي كان يضطهد الكنيسة ويحد من حريتها وقد انهالت على وزارة الـداخلية برقيات ووسـائل الاحتجـاج من النـوادي والابرشيات والجمعيات من جميع انحاء ايطاليا . (١٣٥) ولا شك ان الازمنة تغيرت وان الكاثوليك كانوا يستعدون لمواصلة العمل باتفاق جنتيلوني فيما يسمـى « بالهروب الى الامام » . (١٣٦) وهو العمل الذي شرعوا فيه مع الحملة

---

(١٣٤) هذه الحالـة النفسية تبـدو واضحـة مـن بـرقيـة رئيس اتحـاد الانتخـابـات الكاثـوليكية بيولونيـا فليبـو سلسولي دي بيانكي الذي طـالب باحتـرام للحريات الـدستوريـة كاسـاس للتعـاون الصـادق مـن اجـل خيـر الـوطـن » (نفس المصدر) وبصورة خـاصة من رسـالـة وجههـا باولو بريكولي رئيس جمعية الشبـاب الكاثوليكي الى وزارة الـداخلية في ١٠ اكتوبـر ١٩١٢ الرسـالة موجهة الى (بارون فير محـدد اسمه) يطلب بموجبها حمـايـة المؤتمـر الاقليمي للشباب الكاثـوليكـي بمقاطعـة اومبريا المتوقـع عقـده بريتي في ١٢ ـ ١٤ اكتوبـر وقد اضاف : قـد يكون من المـؤلـم انـه في الـوقت الذي تشغل فيه البـلاد احـداث ذات خطـورة استثنائية (كانت تجري بلـوزان مفاوضـات الصلح مع تركيـا) فـان الكاثوليـك الذين برهنـوا بالعمـل على ادراكهم لـواجبهم والذين تتكون منهم خيرة عناصـر الجيش بليبيـا قـد يجـازون لمنعهم من ممارسة حقوقهم التي ضمنها لهم الـدستور لتمكيـن اولئك الذين يصيحـون في المظاهـرات العامـة « ليسقط الوطن » ويلقـرون حقدهم الطائفي » (نفس المصدر) . وقد كـرر الكونت جـوزبي ديـلا توري رئيس الاتحـاد الشعبـي الجـديـد في خطـاب له بالبندقيـة يـوم ٢٦ ينايـر ١٩١٣ كـرر نفس الافكـار : (...) وقد اجبنا على هذا الاضطهاد وهذه الاهانات اليومية باحتجاجات الـوطنية وبتقديم ولائنا وصدق نوايـانا ، ولكن باسلوب من يعتـرف بتلك التبريرات ولا يحـاول في الاستقامـة ونبـل اعمالـه ان يتخـذ من البلاغـة الوسيلة الكافية لاقنـاع البـلاد لدى غيرنا قد يعتبـر هذا السـلوك تقريبا نوعـا مـن الخضـوع الصابـر . فيجب علينا ان نشعـر بكل الفخـر الذي نستمده من القضية التي مـن اجلها نقاتـل ومن شرف نوايـانا (...) علينا ان نذكـر ان شعـور النظام يعتقـد فينا ليس كفاية في حد ذاته بـل كوسيلة وضمـان لاتدس مبـادىء عظمة الـوطن الدينية والمدنية تلك المبادىء التي اذا اهينت او ديست بالاقـدام قد تسمح لنا بالثورة ضد كل من باسم النظـام يستمـر في الاستخفاف بها » (جوزبي ديلاتوري « الكاثوليك والحيـاة العامـة الايطاليـة » مقالات وخطابات ـ بعناية غبريلي دي روزا ، رومـا ١٩٦٢ ص ٧ ـ ٢٠٦) .

(١٣٥) انظر .A.C.S المصدر المذكور بطاقة « بالتللينا ـ القاء القبض على دون سـالا . احتجاج الكاثـوليك » .

(١٣٦) انظر غبريلي دي روزا ، الكاثوليك في .AA. VV « صدمة التدخل » المصدر المذكور ص ١٢٩ .

الليبية غير ان بعض الغضب والتحفظ ظل في نفوس الكثيرين وكذلك البحث عن طريق خاص وعن برنامج ذاتي للحياة المدنية والسياسية . وظلت في الكثيرين الخشية من ضياع الشخصية واكتساح القومية الطاغية والمحبذة للحرب التي اصابتهم جرثومتها والتي تغازلهم بمناسبة قرب الانتخابات . (١٣٧)

وانه لمن الصعب البحث عن هذه الاصوات المتناقضة التي لا يتحدث عنها المحافظون الا لماما لانهم سعداء لان ينقلوا الى الحكومة ان الكاثوليك هتفوا للوطن ولطرابلس في الكنائس والاجتماعات ، وكذلك تتحدث عنها قليلا الصحف المحلية المتمشية في الغالب مع موقف الاسقف غير انه بدات تظهر ازمة عند اصحاب الضمائر الحساسة وخاصة بين اولئك الاقرب من مطالب طبقة الفلاحين . وعلى كل فاذا كان حقا ان جزءا من البرجوازية الكاثوليكية من سكان المدن بصورة خاصة قد شعرت بالازمة كما لاحظ دي روزا « بمناسبة تقدم عملية التقارب ودمج الحركة الكاثوليكية مع المصالح السياسية للطبقة الحاكمة الليبرالية » ، فانه من الحق ايضا ان جزءا كبيرا من تلك القوى التي كان عليها ان تكون التيار المتقدم في الحزب الشعبي الايطالي (نشير الى طيولي ودوناتي وفيراري) راوا ان الحرب الليبية لا غنى عنها في تلك الفترة من اجل مقتضيات البلاد وغالبا ما وافقوا عليها كباعثة لنوع من اليقظة الدينية بيد انهم لم يشعروا ابدا بارتباطهم بمصائر اولئك الذين ارادوا وتسببوا في الحرب . (١٣٨)

---

(١٣٧) انظر فيما يخص الموضوع غبريلي دي روزا « التاريخ السياسي للعمل الكاثوليكي ، باري ١٩٥٨ مجلد ٢ ص ١٩ ــ ٢٠٤ ورفائيلي مولينللي المصدر المذكور ص ٧٢ ــ ١٢٩ .

(١٣٨) ان موقف لويجيي ستورسو يستحق مقالا على حدة . فقد كتب ستورسو الحزب الشعبي في كتاب بعنوان Politics and Morality في لندن عام ١٩٣٨ ما يلي : « ان العمال الكاثوليك كانوا معارضين للحرب الليبية لانها ببساطة حرب بصرف النظر من اخلاقيتها او عدم اخلاقيتها.ان بنك روما الذي كان بيد رجال الدين الرومان قد قام بعملية تغلغل اقتصادية في ليبيا وساعد على اعداد

وفيما يتعلق بالقوميين فقد سبق ان درسنا كيف أنهم تصوروا الحرب وكيف حاولوا ان يؤثروا في قرارات الحكومة بمواقفهم المتطرفة وكيف رأوا مشكلة الاستعمار الافريقي . وكانت خطتهم المضطربة لصالح الحرب — كما لاحظ فولبي — تجربة حقيقية عامة للهياج التدخلي في عام ١٩١٥ (١٣٩)

الاحتلال . وساندت الصحف الكاثوليكية « كوريري ديطاليا » و « كوريري دي سيشليا » الحملة الليبية بحماس . ففي هذا الوضع وبالنظر الى مركزي كعميد بلدية كالتاجيروني ولاني لتولى مناصب عامة اخرى فقد ارتأيت اتخاذ موقف حذر متحفظ « لويجي ستورسو Luigi Sturzo Politics and Morality ترجمة بربرا باركلي كارتر — لندن ١٩٣٨ ص ١٠٩ — ١٠٨) . وبالرغم من تصريحات ستورسو هذه المتاخرة فيمكن اعتبار ان الكاهن الصقلي كان ينظر الى العملية الليبية ببعض الامل . ومما لا شك فيه انه ليس من دعاة الحرب الصليبية ضد الكافر او من المتاثرين ببعض خرافات من النوع القومي — ان المسالة الليبية تبدو في رؤية ستورسو من خلال مشكلة الجنوب ومن المحتمل انه ايضا قد سحره جو الامال الذي احدثه في صقلية الاحتلال الاستعماري والدليل انه في اهم خطاباته عن الجنوب الذي القاه في نابولي يوم ١٨ يناير ١٩٢٣ فقد تحدث عن اقتناء برقة وطرابلس « كعمل سياسي حكيم » واضاف أن مجهود ايطاليا كان يجب ان يكون « خلق منفذ دائم لتيار الهجرة بصورة خاصة في برقة وللتجارة مع افريقيا الوسطى عبر مستعمرتنا » فالمستعمرة الجديدة يجب ان تكون نوعا من مركز توزيع لتدفق التجارة التي يجب ان تنتشر من الجنوب الى حوض البحر الابيض المتوسط وافريقيا والشرق . وعلى كل فان « فتح التجارة وتداول المداولات وتشغيل اليد العاملة والاستعمار تحت الرقابة المباشرة للوطن الام » قد تعطي « الاندفاع في خلق زراعة وطنية في الجنوب وتطوير التجارة بما يتناسب واهميتها الانتاجية » (لويجي ستورسو « الجنوب والسياسة الايطالية » في « خطب سياسية » روما ١٩٥١ ص ٢٨٣ . انظر في الموضوع غابريلي دي روزا « لويجي ستورسو والمسالة الجنوبية » في AA. VV. « الحزب الشعبي وصحة تجربته » ميلانو ١٩٦٩ ص ٣٧ — ٣٢١) . وان ايمان ستورسو هذا في دور المستعمرة الجديد اخذ يتضاءل الى درجة انه عام ١٩٢٦ اعترف « بان المستعمرات الافريقية لم تلب بالمرة احتياجات ايطاليا » السكانية والاقتصادية » مع التاكيد تقريبا على طريقة جوليتي « انه كان يجب احتلال ليبيا للمحافظة على التوازن بالبحر الابيض المتوسط » (لويجي ستورسو « ايطاليا والفاشستية » بولونيا ١٩٦٥ ص ٢٨ — ٢٧) .

(١٣٩) جواكينو فولبي « ايطاليا سائرة » ميلانو ١٩٢٧ ص ١٦١ . كتب فيدرولي : « حاولت القومية بعد الحرب الليبية ان تمد روح الايطاليين الى تجربة

(التدخل في الحرب العالمية الاولى) . غير أن هناك بعض الاعتبارات الاخرى يجب ابداءها حول تطور هذه الحركة ابتداء من الحرب الليبية وما بعدها .

لقد كتب ان جوليتي — من طريق عملية طرابلس — قد انتزع الخبز من فم القوميين واستطاع بارضائهم ان يتجنب امكانية زيادة جدالهم حول ركود وضعف الحكومة تجاه الاشتراكية وتجاه مشاكل السياسة الخارجية . وفي الجوهر قد طبق اسلوب سياسة جوليتي المعتاد تجاه المعارضين : تلطيف الشحنة بتلبية الطلبات . هكذا فعل جوليتي مع اشتراكية توراتي وتريفس الاصلاحية وهكذا قد فعل عام ١٩١١ مع قومية كوراديني وفيدرزوني . أنها فكرة قابلة لكثير من الاعتراض . لقد كان هدف جوليتي دائما امتصاص وتفريغ القوى التي تزعجه وتعرقل مخططاته السياسية وجعلها في وضع لا تؤذى منه ، ان اشتراكية توراتي التي خرجت قوية ومناضلة من الرجعية المستبدة في نهاية القرن وقد وجدت نفسها بعد بضعة سنوات بفضل سياسة جوليتي عبارة عن حزب منقسم على نفسه تمزقه ازمة داخلية واشد المجادلات . واعتقد ان نفس الشيء افلح فيه جوليتي ايضا في عامي ١٩١٢ — ١٩١١ اذا خرجت منها القومية منهوكة وقد عمرتها موجة الحماس الوطني . ولقد قررت صحيفة « لافوتشي » في ٩ مايو ١٩١٢ نهاية القومية الايطالية كحركة سياسية مؤكدة انه بالرغم من ان « الروح الوطنية » قد « انتشرت خارج الحزب بصورة غير متوقعة ومدهشة » فانه في نفس الوقت « اخذ القوميون الحقيقيون من منظرين وقادة ووطنيين

اوسع وابشع » (لويجي فدروزني — « ايطاليا الامس من اجل تاريخ الغد » . ميلانو ١٩٦٧ ص ١٤) . وحول العمل القومي للوصول الى الحرب الليبية كتب غوالتيرو كاستيلليني : « حتى ولو ان النائب جوليتي قد حركته عناصر اقناع اخرى وخاصة عوامل دولية ولم يؤثر الهيجان القومي كثيرا في دفعه الى العمل غير ان القومية كانت تعلم انها اتمت الاعداد النفسي والاعلامي الفني للراي العام الايطالي من اجل العملية (جوالتيرو كاستيلليني Gualtiero Castellini « ادوار ومعاقد للقومية » ميلانو ١٩١٥ ص ٢٢) .

متشددين » اخذوا في التناقص . فالوطن قد استطاع « من جديد » ان « يبتلع مدى الوطنية » (١٤٠) وكروتشي ايضا قال انه بدا في ذلك الوقت « انه لا ضرورة بعد لحزب قومي » (١٤١) واكد كاستيللني ان الاجماع الكبير والموافقات على الحرب الليبية افقدت الحركة سيماءها الذاتية واضعفتها كحزب » . (١٤٢)

ما هي القومية الايطالية في عشية الحرب الليبية ؟ لم تكن بالتاكيد حزبا يشغل ويخيف جوليتي الى درجة اجباره على الحرب . لقد كانت حركة نخبة لا حركة جماهير حركة لا تجد الكثير من المنضمين اليها سوى عطف البرجوازية المتوسطة في البلاد التي كان يسهل استقطابها عن طريق البلاغة الوطنية والمثل الداعية للعظمة وهي تعبة من الحياة على وتيرة واحدة ومن حياة الإدارة العادية الرتيبة التي يبدو ان نظام جوليتي كان يجبرها عليها ، وكانت هذه البرجوازية تنظر الى القومية كقوة شابة قادرة على ايقاظ قوى النهضة الروحية التي لم تمسها اجيال القرن العشرين ولكن تمثلتها عن طريق اساليب تفسيرات المدرسة الليبرالية البليغة . وفي الخلاصة فان هذا الشعور الذي انعش البرجوازية المتوسطة تجاه القومية الايطالية كان اكثر منه انضماما . لقد كانوا بكل تاكيد قليلين اولئك الذين قد يوافقون على البرنامج المتناقض والمضطرب الذي تمخض عنه مؤتمر فلورنسا في ديسمبر ١٩١٠ ، وهو الذي يشير الى مولد الجمعية القومية الايطالية . (١٤٣) غير ان القومية الايطالية احتبان

---

(١٤٠) نهاية القومية » في صحيفة « لاتوتشي » في ٩ مايو ١٩١٢ .

(١٤١) بنيدتوكروتشي « تاريخ ايطاليا من ١٨٧١ الى ١٩١٥ . المصدر المذكور ص ٢٨٩ . وقد اضاف كروتشي : « غير ان القومية بعد ان تحررت من الاوهام والارتباكات التي كانت تغطي طبيعتها الحقيقية بدات متدنية في سلوك طريقها الذاتية » .

(١٤٢) فوالتيرو كاستيلليني ، المصدر المذكور ص ٢٣ — حول هذا الموضوع انظر فرنكوفاتليا المصدر المذكور ص ١٠٠ وقد لاحظ ان القوميين قد استمدوا من العملية الليبية « سببا لتفسير لاحق لايديولوجيتهم ولكي يحشروا انفسهم بشيء من الهيبة في المناسبة السياسية الملوثة » . انظر رفائيلي موليناللي المصدر المذكور ص ٦٢ — ١٢٤ .

(١٤٣) انظر فرانكو فالتيطا — المصدر المذكور ص ٩١ — ٨٤ .

حرب ليبيا قد تجد لها الاتباع الذين ينتصونها وقد تخرجها نهائيا من المخططات الرومانتيكية ـــ الادبية ، لقد شعرت انها لا تملك القوة ولا الصلابة لتسلك نفس الطريق التي سلكها شارل موراس Charles Maurras وصحيفة « لاكسيون فرنسيس» فيما وراء جبال الالب وعليه فقد لعبت بجميع اوراقها على طرابلس فمن طريق طرابلس وليبيا لم تعد تشعر القومية الايطالية بعد بانها معزولة وغريبة في مخططات السياسة الايطالية الداخلية . لقد شعرت بان بيديها اوراقا هامة تستطيع لعبها وشعرت انه كانت تكفي بعض الاشياء مثل حملة صحافية حسنة التوجيه كاللجوء الى مواضيع العظمة وتوسع الوطن الاقليمي او الى مثل النهضة كي تجد نفسها وسط حركة ضخمة توجهها نحو اهدافها السياسية .

« ان الحرب اليوم ـ كتب كوبولا على صحيفة « ايديا ناسيونالي » في اكتوبر ١٩١١ ـــ تعيد الى ايطاليا الاخلاقية الوطنية . ان التضامن الوطني يبعث فوق حساسيات الاقاليم القديمة وفوق جشع الطبقات الجديدة . وتتاكد المصلحة الوطنية كقوة مثالية حية وعاملة فوق مصلحة الفرد والمجموعة المهنية او الاقتصادية اي انها مصلحة مثالية وبالتالي اخلاقية ـــ ان ذلك الضمير الوطني الذي فقدته ايطاليا حتى اليوم يتولد عن احساس المعركة . ان الرؤيا المباشرة للعالم الخارجي المتناقض بالضرورة تنعش وتجدد نشاط عالمنا الداخلي Hinc incipit nova Italia ان خلاصنا يبدأ » . (١٤٤)

وقد ادرك فليبو ميدا بحسه السياسي الدقيق الذي امتاز به ان « تصرف وعمل القومية في الحياة السياسية الايطالية ، كان « بدون شك احدى النتائج الداخلية الملحوظة لحربنا ضد تركيا » وانه « بدون الحرب لما خرجت القومية من دائرة النظريات ولاقتصرت عمليا على بعض المظاهرات بين الحين والآخر » وواصل ميدا قوله :

---

(١٤٤) فرانشسكو كوبولا « الخلاص » نشر في « ايديانازيونالي » ١٩ اكتوبر ١٩١١ .

« ربما قد كان مستقبلها يقتصر على ارضاء بعض المثقفين الذين لا يحتملون العامية وهم وفقا لطبيعتهم وتربيتهم اعداء للديمقراطية ولكنهم غير مستعدين ان يظلوا في احضان اليمين وهم في حاجة الى اقتناء ميدان نشاط يختلف قليلا عن النشاط العادي على الاقل في السنوات التي لا يبحث فيها من النشاط السياسي كواسطة مفيدة للوصول الى غاية ملموسة بل كتمارين او رياضة مسلية ومقوية . ان الحرب الايطالية ـ التركية التي يفاخر القوميون بانها نصر لهم كما يعتقد في ذلك الكثيرون ممن كانوا يجهلون الظروف الحقيقية التي اجبرت الحكومة على احتلال ليبيا .. اعطت هذه الحرب فجاة للقومية القوة والقيمة التي لم تكن تامل فيها مهما كانت الظروف حتى بعد سنوات طويلة من الجدل والتبشير (...) (١٤٥)

ان القول في النهاية ـ كما يؤكد ذلك الكثيرون ـ بان جوليتي حاول عن طريق الحرب الليبية أن يرضي القوميين كما ارضى من قبل الاشتراكيين (١٤٦) من اجل خلق قاعدة سياسية مضطردة الاتساع ، هي فكرة تدخل في المخططات التقليدية للسياسة الجوليتية ولكنها تبلغ من البساطة والسطحية

---

(١٤٥) فليبوميدا « من القومية الى الفاشستية » المصدر المذكور ، منشور في «كتابات مختارة» ص ٦ ـ ٤٠٤ .

(١٤٦) « (...) كتب فرانكو فاتيطا ـ ان الحرب الليبية والتعديل الانتخابي واحتكار التامينات كانت بالنسبة لجوليتي ثلاثة عوامل ضرورية للحفاظ على بقاء نظامه وذلك باعطاء بعض الشيء لتيارات اليمين وتيارات اليسار » (فرانكو فاتيطا المصدر المذكور ص ٩٩) . ولاحظ برونيللو فيجيتزي بدوره : « الحرب الليبية لذا اعطى وزن مسيطر » لتعبيرات « السلطة فان الحل سهل ايضا . فجوليتي كي يعيد تنظيم نفسه كان عليه ان يعطي قليلا للقوميين وقد يحدث ان يفلت هؤلاء من يده فيما بعد . وقد تاكد ذلك . اما فيما يتعلق بجوليتي فيبدو لي ان الافتراض ضعيف الاساس . حتى الاوراق لا تسمح باستنتاجات كهذه . لقد كان جوليتي مقتنعا تقريبا لاسباب سياسية دولية ان ايطاليا « في هذه المرة لا يمكنها الا ان تهتم بليبيا . فهو يتماشى بصعوبة مع حل الحرب ويحاول ان يحافظ في نفس الوقت على اسس النظام » (برونيللو فيجيتزي المصدر المذكور ص ٧٠ ـ ٦٩) .

حدا يتعذر معه قبولها . ومع هذا فالقيوميون لم يتقبلوا ابدا الحرب بالطريقة التي وضعها وسيرها جوليتي . (١٤٧)

وبدلا من ان تقوي الحرب الطرابلسية النظام الجوليتي اضعفته ، ووجد بالفعل في تلك السنوات بداية الازمة التي كانت ستؤدي به نحو نهايته المقدرة البطيئة . وقد دخل النظام الجوليتي في الازمة لان جوليتي نفسه لم يعد يستطيع السيطرة على وضع سياسي واقتصادي يزداد ارتباكا واضطرابا وقد كانت الحرب الليبية السبب في جزء كبير منه . لقد افلت الاشتراكيون من يديه تماما والكاثوليك رغم انضمامهم المتاخر للنظام كانوا بالنسبة له « مستودع اصوات » وليسوا بقوة يمكن الدخول معها في حوار . واما القوميون فقد ولدوا في حجر النظام الجوليتي نفسه غير انهم كانوا ابناء فاسدين تعلموا في عام ١٩١١ بالذات ان يسمعوا اصواتهم ويفرضوا انفسهم ، وكان من الصعب ان لم يكن مستحيلا اعادتهم الى الحظيرة وتلقينهم درس الديمقراطية النيابية السليمة بعد ان بدا لهم ان يرفعوا اصواتهم اكثر من الآخرين لينالوا ما يريدون . ومما كان يزيد الامر صعوبة انه لم يكن وراءهم رجال مثل بريتسوليني وبابيني الذين عرفوا كيف يربطون ما بين نوع من الرومانتيكية الادبية المطبوعة ببوهيمية الشباب والرغبة في تجديد سياسي وثقافي للبلاد . فلم يعد الامر بعد كما يسميه كروتشي « انحرافات ادبية » و « اعوجاج اخلاقي لا يبعث على الثقة » .

---

(١٤٧) كتبت صحيفة « ايديا ناسيونالي » بعد خطاب جوليتي في تورينو : « لقد عمل جوليتي على تقليل اهمية الاحداث السياسية والعسكرية التي تثير فخرنا وايماننا بمستقبل مصير الوطن الى حدود متواضعة ويبدو ان جوليتي قد وضع عناية خاصة لابراز الطابع العرضي والاضطراري للاحداث نفسها وتبديد كل وهم قد يتولد بالنسبة للعواقب الدولية لهذه الحوادث بالاضافة الى التبعات الناتجة مباشرة من احتلال طرابلس ان (...) خطاب تورينو يكون اعظم وثيقة سوء نية سجلها التاريخ لايطاليا الجديدة » (خطاب تورينو ووطنية النائب جوليتي في « ايديا ناسيونالي » ١٢ اكتوبر ١٩١١) .

وكان وراء القومية بالعكس قوات سياسية واقتصادية كانت ترمي الى وضع العلاقات داخل الحياة السياسية الايطالية على اسس جديدة لتخليصها من شروطات امثال توراتي وتريفس وبيسولاتي الملة ووضعها على قاعدة اكثر سلطة ومحافظة .

□◆□

كان مجلس النواب خلال الحرب الليبية عمليا بعيدا عن النقاش الدائر في البلاد ولم يستطع البرلمان التعبير عن رايه في الحرب والاحتلال الا بعد خمسة اشهر فقط على اتخاذ القرارات . وقد التزم جوليتي بمضمون المادة الخامسة من الدستور الالبرتي المبهمة التي تعفي التاج من اشعار المجلس عن اعلان الحرب وعقد معاهدات السلام والتحالف اذا كانت مصلحة وامن الدولة « لا تسمح بذلك » . (١٤٨)

وهذه الصيغة الغامضة والمحددة لصلاحيات البرلمان كانت المفتاح الذي مكن الحكومات الايطالية والملكية منذ عام ١٨٤٨ وفيما بعد من القيام بسياسة خارجية خاصة بعيدا عن اية رقابة برلمانية وكان في امكانها عقد الاتفاقيات والمحالفات واعلان الحرب قاصرة القرار على حلقة ضيقة من الاشخاص كانت تقتصر في احيان كثيرة على الملك ورئيس الوزراء ووزير الخارجية. وفي عالم كان فيه الوجود الجماهيري في الحياة العامة يبدو دوما اكثر نشاطا وعلى ابواب تطبيق حق التصويت للجميع ، فان سياسة ايطاليا الخارجية كانت لا تزال مرتبطة بالاساليب القديمة الديبلوماسية القرن التاسع عشر السرية .

وقد واجه مجلس النواب المسالة الليبية في ٢٣ فبراير ١٩١٢ المناقشة

---

(١٤٨) انظر بهذا الخصوص فابريلي دي روزا « التدخل الايطالي في الحرب العالمية الاولى . نصوص ووثائق ومذكرات « نابولي ١٩٦٧ ص ١٠ ـ ٧ ليوفالياني Leo Valiani « الحزب الاشتراكي في فترة حياده ١٩١٥ ـ ١٩١٤ » ميلانو ١٩٦٣ ص ٦٠ ـ ٥٩ · برونيللو فيجتري المصدر المذكور ص ٦٠ ـ ٥٩ · وليقرا ايضا راي جوزيي ماررانيني Giuseppe Maranini تاريخ السلطة ١٩٦٧ ـ ١٩٤٨ » فلورنس ١٩٦٧ ص ٢٤٠ وهو يؤكد أن الدكتاتورية البرلمانية اتخذت خلال الحرب الليبية « شكل دكتاتورية بدون عقبات » ·

والموافقة على المرسوم الملكي الصادر في ٥ نوفمبر ١٩١٢ والخاصة باعلان السيادة . (على ليبيا) ـ وكانت فرصة سانحة للبرلمان الايطالي كي يقدم للبلاد مناقشة رفيعة المستوى وينهمك في تقدير انتقادي للحرب وفي دراسة عميقة للسياسة الخارجية الايطالية حول دور المستعمرة الجديدة وسلوك الجيش والديبلوماسية والسلطة الاقتصادية للبلاد. لكن شيئا من هذا لم يحدث لقد ترددت نفس نبرات الصحافة في قاعة مونتي شيتوريو (البرلمان) بلهجات تعبة في الغالب وفاقدة لاية فكرة . لقد كتبت الصحف باسهاب عن مظاهر الحماس الوطني التي قامت في مونتي شيتوريو سواء من قبل النواب ام من قبل الجمهور وتعكس محاضر النقاش باستثناءات نادرة في هذا الجو .

وكان التقرير التقديمي لفريد نياندو ومارتيني قد شدد على الفكرة بان ايطاليا قد دفعت الى العملية « لا بسبب شهوة مفاجاة في الاحتلال وانما بسبب ضرورة طالت تجربتها للدفاع عن المصالح السياسية والاقتصادية ولحماية وضعها كدولة على البحر الابيض المتوسط » . وهي في الخلاصة فكرة جوليتي التي ابداها في صيغته المختصرة « القدر التاريخي » .

غير ان مارتيني اراد ان يضيف الى التقرير المواضيع العزيزة على الادب « الليبي » والمرتبطة بذكرى مستعمرة روما القديمة فقال :

« كانت ليبيا لنا : ان معول الفلاح يقوم مقام مداعبة الشمس لاطلال المدنية اللاتينية والعمل العظيم الذي قام به اجدادنا البعيدون . وشجاعة الجيش تعيدها لنا اليوم » . (١٤٩)

---

(١٤٩) وثائق البرلمان الايطالي ، مجلس النواب دورة ١٩١٢ ـ ١٩٠٩ (الاول للهيئة التشريعية الثالثة والعشرين) ومناقشات ـ جلسة ٢٥ فبراير ١٩١٢ صـ ٤٤ ـ ١٧١ . تشيزراي سبيلانزون وصف تقرير فريدنياندو مارتيني بانه « موضوع جميل في البلاغة الادبية » مؤكدا انه لا يحتوي على اية اشارة سياسية جديرة بالاعتبار او التامل » (تشيزاري سبيلانزون ، المصدر المذكور ص ٧) وكتب كوزين باسلوبه الجدلي ان مجلس النواب قد كشف عن عاطفيته معبرا عن الغريزة السرية لتلك البرجوازية الصاعدة الان من العدم وكانت تتحمس

وسونينو من جهته – وهو لم يتوقع ان التاريخ سيجازيه بنفس العمله – احتج على الحكومة لقلة الدقة وقلة الاحترام للدستور حيث انتزع من البرلمان قرار من اختصاصاته . ومع ذلك فقد وافق على العملية طالبا « تاجيل الدراسة » والحكم على الاساليب ووثائق الوزارة او من يقوم مقامها فيما يتعلق بالسلوك الدبلوماسي او العسكري للحملة وذلك الى وقت وفرصة احسن » (١٥٠) وكان اغلب الخطباء امثال فاللي وفاللي والراديكالي جوليواليسي يكررون نفس المواضيع مشحونة بالحماس والمديح لعمل الحكومة وقد انضم اليهم بيسولاتي ايضا الذي مع بعض التحفظات اعتقد أن من واجبه ان يصوت لصالح المرسوم مستندا الى « مصالح ايطاليا العليا » (١٥١) .

ولكن للحصول على فكرة كيف ان اسطورة ايطاليا دولة عظمى قد رسخت في عقول ممثلي الامة الايطاليين أيضا وكيف ان الدعاية القومية قد فتحت لها ثغرة حتى في مونتي شيتوريو يكفي ان نذكر ماذا حدث عندما قال لويجي توراتي « ايطاليا دولة لا تزال نسبيا فقيرة ... » فمحاضر البرلمان تتحدث عن اصوات كانت تصيح « كلا ... كلا ! احتجاجات حادة . ضجة متواصلة » صياح : « لتحيا ايطاليا » .

« لا استطيع ان افسر – اكد توراتي عندما استطاع ان يستانف كلمته – غضب الجمعية والضجة المفاجاة : يبدو ا نهناك اعتقادا بانني اهنت ايطاليا وذلك بتكراري لكل ما نعرفه جميعا وما برهن عليه مائة كتاب بان ايطاليا لا تقدر اليوم أن تنافس الدول الاكثر قوة والاكثر ثروة . واستطيع ان اضيف

لاحاديث اعمال البسالة . كانت تصفق « لملحمة ما وراء البحر » متخيلة انها حققت بعض الشيء الجدي وخلقت تضامنا وطنيا قويا جيدا كان يستند بالعكس على رمال للماطلية مثل تلك الارض البشعة التي احتلت بنفقات كثيرة لا فائدة منها » (فابيوكوزين Fabio Cusin ضد تاريخ ايطاليا – ميلانو ١٩٧٠ ص ١٥٠) .

(١٥٠) وثائق البرلمان المذكور ص ١٧١٤٦ .

(١٥١) نفس المصدر ص ١٧١٥٦ .

ما يعرفه ايضا الجميع : انها بالمقارنة مع تركيا فهي مائة مرة افقر . ولكن الواقع انها ليست فقيرة في العبارات والهتافات والاحتجاجات » . (١٥٢)

وتحدث ايضا شيكوتي ضد مرسوم الانضمام في حين ان الجمهوري كييا لم يضيع الفرصة في انتقاد سياسة الاحلاف التي تسير عليها الحكومة والتي حالت حتى ذلك الوقت دون القيام بحرب حاسمة خارج طرابلس وقد اراد كييا ان لا يشارك الحكومة موقفها تاركا لمن أملى الحرب مسؤولية اتخاذ القرار :

« ان موجة الحماس لا يمكنها ان تكون مغسلا للمسؤوليات الحكومية التي تختلف الاراء بشأنها واننا نعارضها بصورة مطلقة (.....)

انكم لم تدعوا البرلمان منذ البداية : ولذلك لا نستطيع اليوم أننضمن عملياتكم ليتحمل كل واحد مسؤولية اعماله : ونحن لا نعرقل اعمالكم ولذلك سيكون صوتي الى جانب الامتناع .» (١٥٣)

وانتقد بارزلاي بدوره التحالف مع الامبراطوريات المركزية ولكن اعترف ببلاغة الامر الواقع الملزمة والاسباب العميقة التي رايناه ينجدفع منها» (١٥٤) وكانت هذه المواقف تعكس حالة التردد التي واجه بها الجمهوريون نقاش الحرب وقد وجدوا انفسهم ما بين تيارين الاول المتطرف الذي عارض العملية مرتبطا بانتقادات الجمهورية ضد كل السياسة الخارجية الملكية التي ادت الى الاحتجاجات بالشوارع بالاشتراك مع الاشتراكيين (١٥٥) كما حدث في فورلي مع نيتي وكان اذ ذاك جمهوريا ــ وبين التيار المعتدل

---

(١٥٢) نفس المصدر ص ١٧١٦٧ .

(١٥٣) نفس المصدر ص ٧٤ ــ ١٧١ لنظر ايضا لويجنيو كييا Eugenio Chiesa خطابات برلمانية (١٩٢٤ ــ ١٩٠٦) ميلانو ١٩٦٠ ص ١٩٢ ــ ١٧٦ · وفيما يتعلق بكييا راجع « حياة اوجينيو كييا في ذكرى مرور مائة عام على مولده » باشراف ابنتيه ماري ولوتشانا ، ميلانو بدون تاريخ (١٩٦٢) .

(١٥٤) وثائق البرلمان المذكورة ص ١٧١٧٥ .

(١٥٥) وكتبت صحيفة « لاراجوني » تقول : نتنبأ منذ الان من النتائج المشؤومة

الذي كان يترأسه بارزيلاي وقد كان هذا الاخير على وشك ترك الحزب بعد ان رأى ان احتلال طرابلس « يختلف في الجوهر » عن جميع المحاولات الاستعمارية الايطالية السابقة (١٥٦) ومما لا شك فيه على كل حال ان النقد الجمهوري لسياسة الحكومة الخارجية كان يتغذى بصورة رئيسية من معارضة المعاهدة الثلاثية ومن حركة تحرير الاراضي التي لا تزال خاضعة للاجنبي (Irredentismo) وهي الحركة التي تركت عليها طابعها .

وقد رد جوليتي على الانتقادات بنظريته المعروفة . لم يذهب الى الحرب « بدافع الحماس وانما عن طريق العقل » واكد فكرة « الضرورة المطلقة للنظام الدولي لتفادي مخاطر كبيرة قريبة الاجل » وان هذه الاعتبارات

للمغامرات الحربية كما استخلصنا دائما من الاعيب الجنونية التي تنبع من سياستنا الخارجية » (ج٠ طرابلس ـ المغامرة والحلفاء والاصدقاء في « لاراجوني » ١٠ سبتمبر ١٩١١) ٠

(١٥٦) سالفاتوري بارزلاي . « من اجل ايطاليا الذاهبة الى طرابلس في « لاراجوني » ٢٩ سبتمبر ١٩١١ يبرر بارزيلاي في نفس المقال وفي ثمان نقاط موافقته على الحرب : (١) لان طرابلس بصفتها ارض استغلال لا تقل عن غيرها التي احتجزتها بجشع دول اوروبية كبيرة (٠٠) (٢) لان التغلغل السلمي ليس الا جملة وضعت ذات يوم في جلسة بقصر مداما استلقى عليها الجميع تدريبا للتوفيق ما بين اشياء كثيرة ومتناقضة في نفس الوقت (٠٠) (٣) الاحتلال لا بد منه لتجنب طرد ايطاليا من البحر الابيض المتوسط (٠٠٠) (٤) لا يجب ان تظل طرابلس ابدا مثل المرآة التي تلمع امام انظارنا اذا لم تكن اللقمة التي تلقى في حلقنا لدى اي اضطرابات اوروبية محتملة في المستقبل (٠٠٠) (٥) لدى انتهاء المعاهدات يجب ان نكون في احسن قوة (٠٠٠) (٦) لدينا مصلحة في اقامة علاقات طيبة مع تركيا من اجل الحركة التجارية ومن اجل جالياتنا في الشرق وبدون عمل حازم لا تتحقق هذه العلاقات ابدا (٠٠٠) (٧) (٠٠٠) ان من لا يضع قدمه خارج بيته بسبب شعوره بالبؤس فانه لن يجد ابدا الفرصة الذي تتيح له اقامة علاقات تنشله من بؤسه (٠٠٠) (٨) ان احترام بعض المبادىء لا تمانع في الاحتلال ٠ وان بارزلاي نفسه المعروف باتجاهه الفاشستي خاصة خلال حرب الحبشة قد طالب بضرورة احتلال ليبيا منذ ٩ مايو ١٩١٠ وذلك على صحيفة « ايطاليا دلبوبولو » راجع ترجمة حياته ـ سالفاتوري بارزلاي Salvatore Barzilai « اضواء وظلال الماضي ٠ مذكرات حياة سياسية ميلانو ١٩٣٧ ٠

وحدها دفعته الى العمل « بحزم » (١٥٧) وتمت الموافقة على القرار الذي اقترحه كاركانو بموافقــة ٤٣١ صوتا ومعـــارضة ٣٨ مع امتنـــاع صـــوت واحـــد . (١٥٨)

وبالرغم من جهود توراتي وشيكوتي وكيبيـا فان المعارضة لم تعرف ان تات باية كلمة جديدة . لقد تكررت بصورة مملة نفس المواضيع القديمـــة ، وكانت الغاية ترمي بصورة خاصة الى الفصل بين المسؤوليات ولكنهـــم اخفقوا في رسم خط معارضة يشير الى النضوج ويستطيع ان يفتح نقاشا اعمق واوسع حول اوضاع البلاد الحقيقية . وتجاه فكرة الاغلبية (بـــدون جوليتي) التي احتوتها اسطورة ايطاليا دولة عظمى لم يكن هناك من استطاع ان يواجهها بواقع البلاد وبالاخطار التي قد تسببها الحرب على المستـــوى الدولي . فقد التزموا بالاسلوب القديم حول الحلف الثلاثي وضده مع تلوينه بتحرير الاراضي المحتلـــة .

فنتجت عن ذلك ازمة سياسية حقيقية ، ازمة الطبقة الحاكمة التي اتبعت تيار الرأي العام الذي خلقته الصحافة دون أن تستطيع او تحاول تكييفها وهو يتبع ويهدف لقرارات الحكومة دون تحليلها او نقدها ، وكانت تلـــك نتيجة عشرات السنين من سياسة التطوير (Trasformismo) التي انامت الحياة البرلمانية وسمحت للسلطات التنفيذية ان تفعل ما يحلو لهـــا .

وبعد ايام من النقاش البرلماني حول الضم ، كرر قايطانو سالفيميني على صفحات « لونيتـــا » نقاشه الشديد حول هذه الديمقراطية الايطالية التي كان يبدو انها فقدت كلية مقدرتها على التحليل والنقد والمعارضة . وقد كتب سالفيمينـــي :

---

(١٥٧) وثائـــق البرلمـــان الايطـــالي المذكـــورة .

(١٥٨) « ان المجلس ولئـــن عـــن التعبيـــر عـــن شعـــور البـــلاد العـــام ينتقل الى مناقشـــة بنـــد مشروع القانـــون » . ولا يخلـــو من مغـــزى الامـــر بان التصويت السري علـــى القانـــون قد اعطى ٩ اصوات معـــارضة ووافق مجلس الشيوخ على قانون السيـــادة يـــوم ٢٤ فبرايـــر — وسواء في مجلس الشيوخ او في مجلس النواب احيـــل مشروع القانـــون الى لجنـــة خـــاصـــة .

« غير ان اغلب نواب وصحافي الديمقراطية الايطالية سواء كانوا راديكاليين او جمهوريين او اشتراكيين ، لم يعودوا بعد سوى نفاية مجنونة وحيوانية من الصارخين التائهين وفاقدي الارادة المتوهمين ومن المجانين الذين يبيعون انفسهم بالمزاد العلني . ان الصارخين لا يحسنون الشكوى من المفاجأة كما تفعل الفتيات اللاتي يفقدن بكارتهن وراء السياج — ان العاجزين لا يحسنون سوى قبول المناصب الوزارية والرد على كل شيء بكلمة نعم ان الخبثاء يعترفون تدريجيا بالامر الواقع ويضعون في جيوبهم ثمن الشراب ويشيدون بالكرامة الوطنية . هذه هي الديمقراطية الايطالية باستثناء حالات فردية نادرة . ولا تنتظر بلادنا منها اي شيء مفيد . » (١٥٩)

وقد ركز تشيزاري سبيلانزون — بعد ذلك بقليل — في مقدمة كتابه « افريقيا العدوة » على عجز رجال السياسة الايطاليين الانتقادي وكتب هذا المؤرخ الفنيسي (نسبة لفنيسيا) وكان لا يزال في الثامنة والعشرين من عمره قائلا :

« ان عدم الاهتمام بالنقد في المجلس بروما لدليل على أن ايطاليا تنقصها تربية سياسية مناسبة ، وان عيب الوسط البرلماني هو عدم ادراك مصالح البلاد الحقيقية والواقعية . »

ان الرجال تبرز والشعوب تعرف في أوقات الصدمات الكبرى : فاذا البلاد لم تستطع ان توجد تيارا عاملا من الافكار ، وان لا توجد من بين الرجال القريبين من سلطة الدولة من لديه الشجاعة لمواجهة عنف الوهم الجماعي واكراه الحماس الطائش ، فهو امر يدل على ان قوات البلاد المعنوية والفكرية لا تزال غير قادرة على أن تستعجل في الزمن الطرق المثالية لتطور جريء وتقل العقول القادرة على اعداد الامة لمصائر قريبة محظوظة . ولكن لا يكفي تاكيد الاعتقاد بمصالح الوطن السامية كي يبرر صمتا يساهم في جزء كبير

---

(١٥٩) « ميمينس جوفاباط » بصحيفة « لونيتا » ١٢ مارس ١٩١٢ منشور في كتاب نابطانو ساليميني « كيف ذهبنا الى ليبيا » ، المصدر المذكور ص ١٧٩ .

من استدامة الاخطاء ولا ان يصبغ الشرعية على موافقة اذا تمت بدون اقتناع فانها دليل على ضمير مضطرب لا يجسر على مقاومة العواطف الجماعية المكتسحة . (....) .

ان اكثر ما ينقص ايطاليا هو الشعور بحالة العزلة التي اخذنا في تدبيرها في حياتنا الخارجية المباشرة او الغير مباشرة ، وذلك عن طريق تنازلاتنا وعدم اعتدالنا . لا توجد بيننا رؤيا واضحة لنسبية قواتنا ونغتبط كالعادة باخفاء الواقع عن انظارنا بوميض الاوهام وبعظمة الذكريات بصورة مضطربة وهي من خاصيات الشعوب المريضة . (....)

اننا هنا سررنا لاثارة عواطف الشعب واغلقنا امام البلاد اي نشاط انتقادي . (١٦٠) انه رأى يعكس على ما يبدو بوضوح ولو بصورة جلية

---

(١٦٠) تشيزاري سبيلانزون المصدر المذكور ص ١١ – ١٠ وفي مقال بعنوان « الديموقراطية اليوم وغدا » نشر بصحيفة « بونغولو Pungolo » بباريس بتاريخ ١٥ يوليو ١٢٩ . اعاد فرنشسكو لويجي فيراري التأمل على ضوء ظاهرة الفاشستية في الاحداث السياسية الايطالية بعد الوحدة مع برلمان مجرد من مهامه خاضع للسلطة التنفيذية يسيطر عليه الخوف من « مرسوم الحل » الذي كان الطاغية يتحصل عليه في كل مرة يشعر ان هنالك بوادر ثورة في مقاعد الاغلبية المختلفة الاشكال » . يكفينا ان نذكر كيف كان واقع البرلمان الايطالي في عشية الحرب العالمية بخضوعه المعتاد لارادة دكتاتور طيب وسلمي فلم يكن يطلب اكثر من ان « يخدم » وكان يخدم القلة من القوميين المتطرفين للملكية والجالسين على مقاعد اليمين وذلك باقامة وطنيتهم الكلامية في وجه دولية اقصى اليسار الفاشلة . وكانت المجموعة المتعددة الالوان في الوسط واليسار تؤدي خدمة بخنق كل محاولة تجديد للعرف السياسي – وكانت تخدم الاحزاب المتطرفة المتظاهرة بوجود معارضة ثورية فابتها دعم الاغلبية المؤمنين . لقد كان الاشتراكيون والقوميون والكاثوليك ومعارضو الكنيسة والملكيون والجمهوريون جميعا يعملون من اجل سياسة التوازن والوفاق الدقيقة والمعارضة بطبيعتها بمبدأ التنافس الكبير وهو الوسيلة التي تولد تقدم الامة السياسي . كانوا يعتقدون في وجود الاحزاب بينما لم يكن لديهم سوى « مجموعات » تتجدد باستمرار وفقا لدوافع المصالح المحتملة والمطامع الشخصية . واذا قام بين مجموعات « المؤمنين » احد ليزمجر ويهدر ويحذر فان محاولته النبيلة سرعان ما تختنق وتتلاشى احلام المثاليين الباهرة وسط انقسامات الاستهزاء . مقال فيراري موجود في مقال سالفو ماستيلوني Salvio Mastellone

حادة، واقع البرلمان والحياة السياسية الايطالية في تلك السنوات في الوقت الذي كانت تستمر فيه نظرية التطوير بصيغ وتوجيهات جديدة بالنسبة للاساليب التي كان يتبعها يسار دبريتيس عام ١٨٧٦ — ولكن الاتفاق الآن اصبح له وزن مختلف لانه لم يعد يشمل بعد صفوف اليمين التقليدية واليسار الليبرالي ، ان قوات سياسية جديدة وهم الاشتراكيون الكاثوليك والجمهوريون والراديكاليون .. هذه القوات بدلا ان تعمل كقوة تجديد سياسي وبدلا من ان تعمل كعناصر مهذبة ومجددة للحياة العامة يبدو ان اغلبها قد انضم الى التنظيم القديم الذي اعاد تشكيله جوليتي على اسس جيدة اكثر حساسية بالنسبة للميدان الاجتماعي ولكنه ايضا فاسد في الميدان السياسي والنيابي .

وعلى كل فان ضآلة العمل الانتقادي وعدم وجود نقاش نيابي أكثر دقة بمناسبة الحرب الليبية يدخل ضمن اساليب الحياة السياسية في تلك السنوات . فالامر لم يكن مفاجأة ولم يثر اي تعجب اذ كان صورة للواقع السياسي المتدهور بوضوح الذي قدم المناخ المناسب فيما بعد الحرب — رغم الحالات السياسية العامة الجديدة المختلفة — الى تلك القوى القادرة على استغلال الضعف الاصيل في تكوين الديمقراطية بالبلاد .

بعنوان « كتابة مجهولة تقريبا لفرانشسكوليويجي فيرلري بمجلة « الفكر السياسي » ١٩٦٩ رقم ٢ ص ٦٠ — ٢٥٩ . واكد ستورسو من جهته ان « مجلس النواب في وقت جوليتي اصبح اكثر من مرة مجلس تعويضات لقد طور جوليتي طريقة الاتفاقيات في سبيل تحاشي الصراعات النيابية متغلبا على اقوى المقاومات محاولا اغراء الاحزاب باحلاف ٠ـبلة والمساعدات والتناقضات الاجتماعية (لويجي ستورسو المصدر المذكور ص ٦١) » .

الحرب «المستقبلية» أساطيرها وواقعها

مارنيني والحرب الليبيـــة ــ ادا نيقري ــ دانونيسيو واغاني بطولات ما وراء البحار ــ باسكولي و « العمالية الكبـــرى » المقاتلــون في ليبيــا في التفسير القومي ــ الجندي الايطالي والحرب ــ ضائقة اســر المجندين مظاهرة الاحتجاج ما بين الجنود ــ رأي ترومبي وكابيللو وكـــوراد وزولي وجـــوليتي .

منذ اندلعت الحرب من أجل طرابلس كان قد انقضى شهران فقط منذ ظهور اعلان فيليبو توما سومارينتي Filippo T. Marinetti : « ذلك الاعلان ذو العنف الجارف والناري » الذي كان يرمي الى تحرير البلاد من الغنغرينة المتعفنـــة » ، ويتغنى « بالشجاعة والجرأة والثورة (.....) وبالحركـــة المتنمرة وحمى الارق وخطوة العدو والقفزة المميتة والصفع واللكمة » كان يرمي الى تجميد الحرب « كالوسيلة الوحيدة لصحة العالم .. » فالحركـــة المستقبلية ايضا كانت مثل القوميين تبحث عن دربها . مارنيتي لم يتـــردد في السفر الى طرابلس وقد وصف الانذار النهائي الى تركيا انه « مستقبلي » و « مستقبلي » ايضا نفس الحكومة التي يترأسها جوفاني جوليتي الذي لم يكن يعرف في الواقع ربما هذه الكلمة فقـــط . (١)

---

(١) لمستقلي من اغـــرلفنا التحليـــل الانتقـــادي لبعض الاتجاهـــات الفنية والادبية التي طبعت الفتـــرة التي نقوم بدراستها ــ ونـــود فقط ان نشير الى تاثيرها في خلق الجـــو الخاص بايطاليـــا في تلك السنوات وتكييف الحـــرب الايطالية ــ التركيـــة لهذه الاتجاهـــات .

« ان ايطاليا تتخذ اليوم امام اعيننا شكل وقوة سفينة مدرعة جميلة تحيط بها جزر من النسافات ونعتز بشعورنا في تساوي حماسنا للحرب الذي يلهب كل البلاد ونحرض الحكومة الايطالية التي اصبحت اخيرا « مستقبلية » على تضخيم طموحاتها الوطنية وازدراء الاتهامات السخيفة بالقرصنة ونعلن ولادة الجامعة الايطالية . شعراء ورسامون ونحاتون وموسيقيون من مستقبلية ايطاليا : فما دامت الحرب قائمة لنترك جانبا الابيات وفرشيات الرسم وازامير النحاتين وفرق الموسيقى .

لقد بدات اجازات العبقرية الحمراء ! لا شيء نستطيع اليوم الاعجاب به اكثر من سيمفونية اسلحة « شرانبلس » Shrapnels والنحت الجنوني الذي تقوم به مدفعيتنا الملهمة في صفوف الاعداء (...) نريد أن تنتهي ايطاليا الى الشباب الايطالي لان الشباب بقتالهم حاليا في طرابلس قد كشفوا في النهاية عن الضمير الوطني . نحن نطالب بتربية مناسبة لهذا المثل الاعلى ، تربية مستقبلية قائمة على البطولة وحب السبق والغرام بالمخاطر وشجاعة المتهور والسرعة والقوة وشد العضلات . نطالب بجميع الالعاب الرياضية العنيفة في الهواء الطلق ، العدو والملاكمة والعاب الحروب » . (٢)

وارسل مارنيتي من طرابلس برسالاته الى الصحيفة الفرنسية « لينترانسيجان » L'intransigeant من ٢٥ الى ٣١ ديسمبر ١٩١١ . وقد كرر فيها نفس لحن الحرب بتصورات غاضبة دفعت الشاعر الى التغني

---

(٢) فليبو توماسومارنيتي F.T. Marinetti « الحرب الوسيلة الوحيدة لحفظ صحة العالم ميلانو ١٩١٥ ص ١٥٤ ـ ١٥٣ وباولوبوتسي Paolo Bozzi وهو من المستقبليين ايضا كتب بدوره يقول : « الان لتغني بك ايتها الحرب والتي بنفسي لاموت . لريد ان اقاتل صامدا لريد ان اقاتل تحت سد من الرصاص القاتل (...) اطولي رشاشة المستقبل الكاملة والعشرة الاف سيف التي سلتها السواعد الرومانية » (فيما يتعلق بالمواضيع المذكورة هنا من المهم مراجعة كتابات فيتوريو قوريسيو Vittorio Gorresio تاريخ الوطنية الايطالية (١١١) ايطاليا الطائرة » منشور في « الموندو » ٢ سبتمبر ١٩٥٠ (١٧) حفظ صحة العالم » المصدر المذكور في ٩ سبتمبر ١٩٥٠) .

لا بالرشاقة فقط واصفا اياها بالمرأة الجميلة (٣) وانما انتغني حتى بالجياد المخصصة لجر المدافع : « ذات المظهر التمثالي والصدر الواسع والظهر المربع والعيون الجميلة الصقلية « التي » كان صهيلها الابي السردانيولي (نسبة لسردينيا) يحاول ان يطلق اللكمة العظمى : ايطاليا — ايطاليا ! » (٤)

والحركة المستقبلية خرجت هي ايضا مثل القومية من الكنائس والمنتديات الادبية والفنية وجاءت لتؤثر في نفسية الجماهير وبصورة خاصة الشباب الذين كانت تستهويهم اسطورة التقدم التقني في اشكالها الظاهرة والساحرة مثل السيارة والدراجة النارية والطائرة ويشيدون بالقوة والسرعة والخطر

(٣) « تنحني الرشاقة الى الامام مثل المرأة ذات الجسد النحيل والصدر اللدن المطرز بالمخمل الاسود والمزين بحزام متماوج ملئ بالرصاص وتلتمع من بين شعرها الاسود بل من بين اسنانها المتوحشة بصورة ابدية ولندفاع متواصل جنوني مثل اجمل زهرة موجودة الاوركيديا البيضاء من اللهب الحاد (فليبوتوماسومارنيتي « معركة طرابلس » بادوا ١٩١٢ ص ١٢) وقد لاحظ ايزننغي Isnenghi مثل مارنيتي ان وجود الموضوع الشبقي متواصل (...) وان شبقية مارنيتي الحربية ستظهر بانها لا نهاية لها وتبدو منذ الان كاحد مظاهر الذوق الجميل (ماريو ايزننغي M. Isnenghi المصدر المذكور ص ٢٧) ·

(٤) فليبوتوماسومارنيتي المصدر المذكور ص ١٦ · لقد كتب جوفاني انسالدو حول مارنيتي ما يلي : « ان هذا البرجوازي الصغير الايطالي — المصري المتخرج من الاداب بباريس طيب وكريم النفس وبه شيء من السذاجة وهو مقتنع بنبوغه ولديه ارادة قوية في نيل شهرة عالمية بوجهه الصارم وصوته القاطع وبصرامته المسيطرة : غير ان للسلام يتصم رجليه ويحد من خطبه الجيدة ، لانه لم يسمع في حياته غير دوي البنادق فلوبرت Flobert التي تستعملها اكشاك اصابة الهدف · فهو عندما يتحدث عن الحرب يتحدث من سمع وفي الوقت المناسب لا يجد الاصوات المقلدة لنغمة الحرب · ان حملة طرابلس قد اثارت حماسه ودوي المدافع العائمة في بوملياتة والرشاشات جعلته ينتفخ اغتباطا وان الرحلات الجوية الحربية الاولى التي قام بها مويسو Moizo على بعض العرب والقى فيها بعض القنابل التي لم تصب حتى نعجة قد بدت له كرؤيا لحقيقة معنوية وسياسية وفنية سامية هو النبي المقدر لها » · (جوفاني انسالدو المصدر المذكور ص ٤١٦) ·

واسلحة الحرب والرياضة بصفتها تطور وتأكيد للعنصر و « كحركة عدوانية » (٥)

وقد اعطى كوراديني لحملته الليبية صفة اكثر دقة في اتجاهها السياسي وهي الصفة التي اذا ما جردناها من القشرة الخارجية والزخرفة الكلاسيكية الجديدة تكتسب فكرة من النوع العسكري الامبريالي . اما فيما يتعلق بمارنيتي فالتكوين السياسي غير مؤكد وقد غمره ضجيج المحركات والرشاشات وقد بدا مضطربا ومرتكبا حيث تغريه دفعات تتخذ في بعض الاحايين طعم الفوضوية التي تغذيها التقنية وتربية الاجسام ومع هذا فالحرب الليبية رأت ان اشتراك القومية والمستقبلية في نفس الميدان تربطهما نفس الامنيات العابرة والتطوعية ونفس اللهجات الحادة قد خلقتا اتباعا في اوساط الطلبة واثرتا في شباب البرجوازية المتوسطة والصغيرة بالمدن (٦) متسغلين قلق الاجيال الجديدة التي سئمت جو العهد الجوليتي القاتم (٧) وان معركة ليبيا حسب مارنيتي — بالنسبة للمستقبلين قد افادت

---

(٥) كان حكم سانقونيتي Sanguinetti قاسيا على هذا المظهر من الدعوى المستقبلية : « ان مبادة الشيء الحديث لمارنيتي كان لديها مركزها النفسي ومنطقة تكرتها المسلطة الفنية (من طريق طرابلس — ادريانوبولي مارة بجبال الكارسو ومتواصلة حتى الفرقة العاشرة « ماس » الفاشستية) وذلك في عجائب الحرب الصناعية : ان الكلمات في الحرية وانفجار اساليب القياس وتوقيت الخطابة جميعها كانت تولد وتطور باتصال متين مع المظهر الجميل للمعركة في عهد تطور الراسمالية الصناعية العنيفة والامبريالية ، وذلك باساليب تستحق الاعجاب لملائمتها وتنسيقها وغالبا لجراتها على سبق الزمن (ادوارد وسانقوينيتي « الحرب المستقبلية » منشور في « كوينديشي » ديسمبر ١٩٦٩ ص ٢٨) .

(٦) « (...) تختلط في اذهان الشباب افكار القومية والمستقبلية . فكانوا يريدون اغلاق المتاحف واعادة قيام اعمدة الكنائس المردومة في ليبيا . وكانوا يريدون امبراطورية كورادبني بنسورها الرومانية ويريدون ايضا امبراطورية ماريليتي بمحركاتها الالية . وقد كانت هناك نقطة اكيدة . « لم يوجد بعد حرب ليبيا في مدارس المملكة الثانوية طلبة متعاطفون مع الاشتراكية سوى ابناء النواب الاشتراكيين » (جوفاني انسالدو المصدر المذكور ص ٤١٨) .

(٧) كتب كارلو ساليناري يقول : « اذا كانت الجوليتية قد عززت قوة ايطاليا الرسمية

في أعداد « جو حربي عظيم » . لقد تحصل الطلبة الايطاليون « في النهاية على مثل أعلى للبطولة اليومية وشغف حار بجميع اشكال البطولة » حتى وان لم تزل بعد بعض العادات السيئة من مجتمعنا : العاطفية والشفقة العليلة ونزع المقعدين و « حنان القلب » و « الحساسية المقاربة للنسائية » . (٨)

وقد حددت الحرب الليبية هوية مراكز القومية والمستقبلية بل الاكثر من ذلك جعلت فنانين وادباء يلتقون في نفس الضفة وقد رفضوا حتى ذلك الوقت الدعوى القومية والمستقبلية (٩) . وهكذا لم يقف الى جانب مارينيتي وكورادينى الشاعر دانونزيو فحسب بل جوفاني باسكولي واداً نيقري وجمع لا يصدق من دعاة الادب . فالصحف والمجلات ومئات من

المحافظة والمتحررة واذا كان تطور الحركة العمالية قد وسع نفوذ الاشتراكية فان تقدم الاقتصاد والاسس الحقيقية للبلاد والشعور بانتشار الرخاء والقوة (...) كانت جميعها تغذي القسم الكبير من قلق الاجيال الجديدة ونفاذ صبرها من أجل العمل والمجد والرغبة في العظمة والقوة . فالقلق ونفاذ الصبر والرغبات التي كان يرفضها اكثر الممثلين للرسميين في الشكل وفي العمل السياسي ، في حين انها على النقيض من ذلك كان يشاد ويطالب بها » (كارلو ساليناري Carlo Salinari « اساطير وضمير الانحلال الايطالي » ميلانو ١٩٦٢ ص ٥٤ ــ ٥٢) .

(٨) فيليبو توماسو مارينيتي « الحرب الوسيلة الوحيدة لحفظ صحة العالم » المصدر المذكور ص ٨٠ .

(٩) وكتب اوجينيو قارين Eugenio Garin قائلا : « الحرب الليبية الحت في التقاء كورادينى ودانونسيو ومارينيتي وحتى باسكولي . الخلافات لا اهمية كثيرة لها . فاسم « الحرب المستقبلية » جاء للدليل على عرض كان مقدرا له ان يتكرر اكثر من مرة . وليس صحيحا ان هؤلاء كانوا عبارة عن اصحاب ضجة لا غير كما كتب بريتسوليني فقد ساهموا ربما دون شعور في فتح الابواب للقوات التي كانت تريد قلب العالم او كما سيقول موسوليني فيما بعد لقد عملوا على خلق « الروح الايطالية » . ولم يتخلف اساتذة الفلسفة امام ضجة المستقبليين ودعاة الحرب من الانضمام الى الجوق ببلاغتهم المعتادة : « ان ايطاليا التي اعطت العلم حضارتين تحوي في عالمية نبوغها الضمانات المباشرة والخالدة للشعوب والعشائر بان تقدر سير الحضارة يدفعها اليوم الى الاشتراك في مصائر التاريخ العظيم المهيئة » هكذا حلل ايجينو بتروني Igino Petrone المشاكل الدينية التي اقترحها استعمار العالم الاسلامي » (اوجينيو قارين) اخبار الفلسفة الايطالية » ٩٤٣ ــ ١٩١١ ، باري ١٩٦٦ المجلد الثاني ص ٩٨ ــ ٢٩٧) .

جرائد الاقاليم قد غزتها الاشعار الطرابلسية (١٠) التي اجتاحت البلاد على اجنحة انشودة « طرابلس ، يا أرض الحب الجميلة » وهي الانشودة الشعبية التي نظمتها « جيانيلا تاريزندة » . فقد وضعت المشاكل والصعوبات جانبا وتوجب الغناء من اجل طرابلس ومن اجل الحرب . والبلاد يبدو انها كانت تقبل وترغب وتسكر بهذه الموسيقى وقد تحقق في المستوى الثقافي نفس الظاهرة التي طبعت الحياة السياسية . الروح القومية والحرية والامبريالية تتسرب بدرجات متفاوتة في انسجة المجتمع المدني ، وهكذا اكتسبت اتجاهات المستقبليين والطلائعيين اتباعا في الوسط الفني والثقافي ونتج عن ذلك انتاج اصابته البلاغة الخاوية بالعدوى تلك البلاغة القائمة على التلاحق والتواثب والتكرار .

ولعل اكثر هذه المواضيع انتشارا وشيوعا هو موضوع الجندي الايطالي الذي يموت ببطولة في الصحراء الليبية والذي أوجد اسطورة الام التي لا تبكي ابنها الصريع ولكن تفاخر بموته . وقد أصابت هذه العدوى الشاعرة ادا نيقري Ada Negri التي عرفت باثارتها لمآسي ومشاكل عالم العمال ومواضيع التضامن الانساني فانشدت :

لا ابكي كلا . هذا هو المجد ! يا ابني
لا ابكي كلا . هذا هو المجد
امهات كثيرة تملك الآن قلبي

---

(١٠) هكذا حيت صحيفة من كلابريا الجنود المسافرين الى ليبيا : وتسافر المراكب العجيبة الى بحر الكوبلت الشاسع مليئة بارواح قوية مثل الفولاذ والرصاص بينما نساء ايطاليا من امهات وزوجات او اخوات يتبعونها بدموعهن انتظارا لعودتهم المظفرة . ويسيرون .. ويسيرون والبحر يبتسم والامواج تلاطمهم — انتم يا ابناء ايطاليا الشجعان — يا ابطال في كثبان الرمال وفي الصحراء دوما تحيا ولتنتصر ايطاليا (اميديو دي باسكوالي Emdio De Pasquale لتحيا وتنتصر ايطاليا » منشور « في كروناكي كالابريزي » ٥ نوفمبر ١٩١١) . وفيما يختص باعطاء فكرة عامة عن انتاج الصحافي والادبي المتعلق بموضوع الحرب الليبية Antologio راجع « المختارات » باشراف اميلو سكاليوني Emilio Scaclione المصدر المذكور .

المتحجر ووجهي المحتضر
يسكتن . هكذا اراد الوطن وهكذا يكون
حب يفوق كل حب آخر
(...) الانتحاب بصوت يائس
على الابن الميت لن يكون هناك من يسمعه :
لانه أمام المجد مسمر الى حب الامومة
كما لو كان على صليب (١١)

ففي كل مكان يحتفل الشعر بالموت الجميل الذي يثير الحسد في الاحياء لانه يخلق حول القتيل هالة من المجد للتضحية السامية في سبيل الوطن .

وهكذا يشيد جوزبي ليباريني بأول بحار سقط في طرابلس :
انا الاول الذي قدم دمعه للعمل البطولي ، ان اسمي
لن يذكر : لقد نزلت لغزو البحر .
يرقد معي في الرمال التاحلة الرفقاء
القادمون من رؤوس الجبال ومن السهول الضاحكة
يرقدون وعيونهم في اتجاه ايطاليا : انهم الف ربما !
غير ان الكل يحسدني هذا المصير : لانني أنا كنت الضحية
الاول واول بطل (١٢)

وقد اصابت عدوى هذا الشعر الوطني كل شيء حتى عالم الاطفال وقع تحت مطارق هذا الشعر المتكرر . وقد خلقت « كوريري دي بيكولي » أكثر صحف الاولاد انتشارا شخصية جان سانتيا الذي يرمز الى الجندي الايطالي الشجاع والماهر والماكر الذي يستغل سذاجة العرب ليحقق عمليات باهرة

---

(١١) ادانيجري « الام » شعر . ميلانو ١٩٤٨ ص ٥٣٦ ـ ٥٣٧ . انظر في صفحة ٢٨٦ رد فعل ام على هذا النوع من الادب .

(١٢) جوسبي ليباريني « من اجل اول بحار سقط بطرابلس » في مجموعة انجليو بيشولي « طرابلس مدرسة العزيمة ـ مختارات صحف الامل » المصدر المذكور ص ١٠٣ .

مسلية . وقد اخترعت لعب اطفال جديدة لم تقتصر على أسلحة النار التقليدية ، بل على دمى تمثل الجنود الاتراك الصرعى والبحارة الايطاليين بيدهم العلم الايطالي . وقد رأت مجلة « اللستراسيوني ايتاليانا » في ذلك عاملا يظهر « الاهتمام الذي تثيره في الصغار الحرب الدائرة في اراضي افريقيا » . (١٣)

وكان الشاعر جبريلي دانونسيو أكثر من أي احد حاول أن يتقمص شخصية الشاعر الملهم نبي الصعود و « رسالة الهيمنة الوطنية » (١٤) وكان الشاعر موجودا عند انفجار الحرب الليبية في اركنشون بلدة فرنسية في مقاطعة جيروند في منفى تطوعي أجبرته عليه المشاكل المالية ومطالبة الدائنين . وكان الشاعر يتعاون منذ زمن مع صحيفة « كوريري ديلا سيرا » وفي ٢٩ سبتمبر طلب منه البرتيني « قصيدة غير طرابلسية ولكن بمناسبة طرابلس ونزولنا على تلك السواحل التاريخية وثورة شعورنا الوطني العظيمة » (١٥) وتحمس دانونسيو لذلك ، وبعث بعد بضعة أيام الى البرتيني بالانشودة الاولى ورد عليه قائلا :

« قضيت الليالي محموما . ان الصفحات لا تزال ساخنة ولا ادري كم من الحماس استطعت أن أجبره لتضمنه قياسات الابيات الرهيبة . وعلى كل فالانشودة صوت من صميم القلب . (١٦)

وفي ١٨ أكتوبر نشرت صحيفة « كوريري ديلا سيرا » باحرف بارزة في الصفحة الثالثة « انشودة وراء البحار » (١٧) :

---

(١٣) راجع فيتوريو توريسيو « حفظ صحة المعلم » المذكور . حسب قول كوراديني « حتى الاطفال البالغين ثلاث سنوات من عمرهم يعرفون ان اليوم حربا تدور ضد الاتراك وحتى هم يدور الحرب في قلوبهم » .

(١٤) ايتوري باسيريلي دانتريفس Ettore Passerin D'Entreves الدانونسية والفاشستية في AA. VV. « من القومية الى الفاشيستية » تورينو ١٩٦٧ ص ٢٨ .

(١٥) لويجي البرتيني « رسائل » المصدر المذكور مجلد ١ ص ١٤ .

(١٦) المصدر المذكور ص ١٦ .

(١٧) الاناشيد الاخرى المنشورة هي : انشودة الدم والانشودة السر المقدس والانشودة

« ايطاليا ايطاليا ! لم يكن ابدا ربيعك

في مدينة الزهرة والاسد

وعندما كان كل نفس رسولا للحب

جيدا مثل فصلك هذا

العجيب حيث من اجلك تنشد

افواه المدافع المستحيرة

انه من أجلك الربيع المقدس

الذي يقول فيه الله من كل بذرة طيبة

وحوت الثمرة التي من هناك لا تتهشم »

وكتب توم انتونجيني Tom Antongini مؤرخ حياة قابريلي دانونسيو وامين سره يقول : « ان كل حب الشاعر لوطنه » وكل محبته العزيزية لكل خطر ومغامرة تفجرا من خلال أناشيده المشيدة ببطولة اخوانه الايطاليين . (١٨) وان دانونسيو في الواقع لم تلهب حماسه وطنيته فقط وانما اسباب ذات صبغة طارئة كما يشهد بذلك انتونجيني . لقد كان الشاعر مثقلا بالديون وان الالف ليرة (١٩) التي يعطيه اياها البرتيني عن كل انشودة كانت مفيدة

المغانم وانشودة ديانا وانشودة ميلانة للفرنسية وانشودة امبرتو كاني وانشودة ماريو بيانكو والانشودة الاخيرة . جميع هذه الاناشيد منشورة في كتاب « قابريلي دانونسيو — اناشيد السماء والبحر والارض والابطال الكتاب الرابع : ميروبي Merope · اناشيد بطولة ما وراء البحار (١٩١٢ — ١٩١١) » ميلانو ١٩٢٩ وقد كتب بروورس Bruers عام ١٩٢٤ يقول : « ان حرب ليبيا التي فتحت مهدا مريعا من شانه ان يقلب ويجدد ايطاليا قد وجدت في الشاعر الكلمة العظيمة والنبوة . انه يجد في الحرب الليبية اول اشارة لارادة ايطاليا في العالم (« انطونيو بروورس » ، قابريلي دانونسيو » ، روما ١٩٢٤) ·

(١٨) توم انتونجيني « اربعون عاما مع دانونسيو » ميلانو ١٩٥٧ ص ٢٢٠ » ان عناصر اناشيده كان يستمدها من انكبابه بصورة ملحة على قراءة الصحف الايطالية والاجنبية وايضا من بعض رسائل التي كانت تصله من المقاتلين بطرابلس » (المصدر المذكور) ·

(١٩) المصدر المذكور ص ٢٢٥ .

له بصورة خاصة لعلاج مشاكله المالية كما يبدو ذلك واضحا من « رسائل » البرتيني ومن ترجمة حياته التي وضعها انتونجيني . (٢٠)

وقد نالت قصائد دانونسيو نجاحا كبيرا وارسلت للشاعر شهادات بذلك من جميع انحاء ايطاليا ومن الجبهة الليبية . وقد ابلغه الجنرال موكاقاتا انه يحتفظ في صندوق واحد بقصائد دانونسيو وبالعلم الايطالي الامر الذي جعل دانونسيو يشعر « بشعور المجد » (٢١)

وان مطالبة دانونسيو بالتدخل في الحرب العالمية الاولى وبتحرير الاراضي الايطالية التي لا تزال محتلة التي وصلت اقصى حدتها في مايو ١٩١٥ وقد ولد في ايام ١٩١٢ — ١٩١١ في منفاه باركانشون فلم يكن الاراضي الايطالية التي لا تزال محتلة التي وصلت اقصى حدتها في مايو

---

(٢٠) وحسب ما يقول البرتو البرتيني ان دانونسيو « عندما انعزل في اركانشون وحتى في تلك العزلة) التي كان يواجه فيها الرمال والمحيط استطاع ان يثقل نفسه بالديون ولنشاء كابونشينا اخرى (اسم مقره في ايطاليا) حيث امتلى الكلاب والاسطبلات ولستورد الاكوام من الكتب بغية استعادة مكتبته القديمة . وفي بحر بضعة اسابيع طالبه مجلد الكتب بمبلغ ٢٢٠٠ ليرة وطالبته للطباخة بـ ٦٦٩٩ ثمن زيت وحطب وشموع في ثلاثة اشهر . انها مبالغ مذهلة في ذلك الزمن . كان يقرع باب اخي للحصول على مبالغ مسبقة لاعمال مستقبلة وكان اخي ساذجا اذ ظن ان في امكانه تخليصه من هذه العبودية (...) . لقد كان دانونسيو يعمل نهار كالمحكوم عليهم كان يكتب اشعارا ونثرا وقطع مسرحية واغاني وقصصا . فكان يكسب بكثرة وكانت صحيفة « كوريري ديلاسيرا » تضاعف له الاجر ولكن كل ذلك لم يكن يكفيه — كان يبدو انه كي يعمل يجب ان يكون في حاجة للهث وراء المال . فلم يكن لديه ما يدفع به اجور الخدم ولا النقود من اجل شراء طوابع البريد (البرتو البرتيني A. Albertini « حياة لويجي البرتيني » روما ، ١٩٤٥ ص ١٣٦) . وقد برر لويجي البرتيني فيما بعد المبادرة في نشر اناشيد دانونسيو قائلا : « لقد فعلنا نحن ايضا مثل بقية الصحف الكبرى في سلوك البلاغة . فمن جهة اخرى كانت ضرورة قد يسخر منها المتشككون ومن يحكمون على الامور من بعيد . ان الصحيفة ليست من الاعمال التاريخية التي تظل بعد موت مؤلفها وانما هي انعكاس للحياة ودفع للعمل » (لويجي البرتيني « عشرون عاما من الحياة السياسية » المصدر المذكور قسم ١ مجلد ٢ ص ١٢٧) .

* : احد القواد الايطاليين بالجبهة — المعرب .

دانونسيو الشاعر الذي يتغنى ببطولات الوطن في افريقيا فحسب اذ ان افريقيا كانت الخطوة الاولى في خطوات اخرى اهم واكثر حسبما ادت به الى « الاحتلال السامي » .

« افريقيا ليست الا المن
حيث شحذنا حديدنا لاقتناء
سامي ضد المكاسب المجهولة (٢٢)

وازدادت لهجة دانونسيو حدة مع مرور الاسابيع الى درجة السفاهة بالنسبة للنمسا :

« رفرف النسر ذو الرئيسين
الذي مثل العقاب يلفظ
لحوم الجيف التي لا يهضمها » (٢٣)

ووصف فرانسوا جوزيف امبراطور النمسا بانه « ملاك المشنقة الدائمة » (٢٤) ولم ير البرتيني من المناسب نشر هذه الاشعار في ذلك الظرف الخاص والصعب الذي كانت تجتازه الدبلوماسية الايطالية (ديسمبر ١٩١١) وهذه الاشعار كانت جزءا من انشودة الدردنيل وقد اغضب ذلك دانونسيو واثار اشمئزازه . فكتب الى البرتيني في ١٦ ديسمبر ١٩١١ قائلا :

« لم اكن افكر في أن انشودتي قد تهين اعتدال « الكوريري » . ولم اكن أظن ان اسمي لم يكن بالاتساع الكافي لتغطية المسؤولية الكاملة لكل ما اذيله باسمي (...) ان ارتباطا رائعا وغير عادي ما بين الشعب الايطالي وكاتب وطني قد انقطع (...) والسحر قد تحطم . انني حزين وفاقد الرغبة . منذ

---

(٢١) لويجي البرتيني « رسائل » المصدر المذكور مجلد ١ ص ٤٠ .

(٢٢) غابريلي دانونسيو — المصدر المذكور ص ١١٨ (انشودة ماريو بيانكو) .

(٢٣) السالف الذكر ص ٨٤ .

(٢٤) المصدر المذكور — لقد لاحظ البرتو البرتيني « الى متى يخضع دانونسيو تدريجيا الى اسلوب الاهانة السيء والكلمة السفيهة وهو تقليد قديم من الادب السياسي الايطالي نتاج حالات نفسية عليلة تبدا من عقدة الشعور بالدونية الى هوس الاضطهاد » (البرتو البرتيني المصدر المذكور ص ١٤٠) .

يومين لم استطع كتابة بيت واحد . لا اشعر الا باعياء المجهود والضيق من بؤسي الذي نسيته لبضعة اسابيع من النشوة ولكن الاشياء الجميلة لا تدوم كما يقال » . (٢٥)

ودانونسيو هذا الوطني والداعي الى الحرب وعدو النمسا والمطالب بتحرير الاراضي قد انعكس على جزء من البلاد وخاصة على الشباب البرجوازي الذين وجدوا ذاتيتهم في الرجل الاسمى الدانونسي وهاجموا سياسة التمنيات سواء في الميدان الثقافي أم في السياسي التي لا تستطيع ان تحقق تطلعات ملموسة سياسية ومعنية لانه تنقصها الاسس لتحقيق تلك الطموحات . (٢٦)

والكل كان لا يزال قابعا في حلم مبهم اقليمي للمجد والقوة فقد رؤى واقع البلاد واحتياجاتها ومشاكلها الاقتصادية والاجتماعية وهي مشاكل يبدو ان باسكولي بالعكس قد احس بها . فهو يرى ان أسطورة التوسع الايطالي تتخذ طعما اجتماعية . فالاحتلال الايطالي يغدو كما قال في بارقة يوم ٢٥ نوفمبر ١٩١١ — دفاعا عن حق ، أي حق العمال « في الكساء والغذاء بمنتوجات الارض التي عملوا فيها « فايطاليا » العاملة الكبيرة » و « ضحية الامم الكبرى » تطالب بحق العمل لابنائها . ان الايطالي « المهان والمحتقر والفقير والذليل » يثأر ضد من اراد أن « يستغله للابد » (٢٧) ومع ذلك حتى باسكولي لم يستطع أن يخرج عن طابع الادب الذي خلق حول العملية

---

(٢٥) لويجي البرتيني ، المصدر المذكور مجلد ١ ص ٦٧ .

(٢٦) فيما يتعلق بنزوات دانونسيو راجع كارلو ساليناري Carlo Salinari امل قومية وايديولوجية باسكولي ودانسيو . منشور في « Societa » مايو ١٩٥٨ ص ٤٧٤ .

(٢٧) خطاب باسكولي في « اصل ايطاليا الحديثة » . المصدر المذكور ص ١٠٩ — ١٠٤ . وقال ساليناري ان باسكولي « يود ان يفلح في استرجاع الدعوى الاشتراكية في الفكرة العامة للامة وان وان يصهر الاشتراكية والوطنية معا وان يدعو للارتفاع بالطبقات الشعبية مع رفض حرب الطبقات وتحقيق تعاون ما بين مختلف طبقات المجتمع لصالح الامة والوطن المشترك » . (كارلو ساليناري المصدر المذكور ص ٤٧٤) .

الليبية ولهجته لم تختلف عن الطابع القومي الا في التلوين . فالتوسع كحل لمشكلة الهجرة كان احد المواضيع المفضلة لدى قومية كوراديني مثل اسطورة روما التي تعود في النهاية لتسير في شوارع امبراطوريتها وهو الامر الذي استهوى باسكولي .

وعلى كل فاننا نواجه سواء في دانونسيو ام في باسكولي مصدر الايحاء القومي الذي يتخذ بالنسبة لباسكولي لونا انسانيا مبهما لا يبعد في الواقع عن دانونسيو وينتهي بالعكس الى تقديم المواضيع للدعوى القومية . وقد كتب قرامشي صفحة ذات معنى حول هذا الموضوع :

« كان باسكولي يطمح في ان زعيم الشعب الايطالي غير (...) ان طابع الاجيال الجديدة « البطولي » كان يتجه نحو الاشتراكية وقد فعل مثل الاجيال السابقة بالاتجاه الى المسألة الوطنية التي كانت تبدو له في مستوى الاحداث . فهو اذن خالق فكرة الامة العاملة وافكار اخرى استعملها كوراديني والقوميون المنحدرون من النقابة : فهذه الفكرة كانت قديمة لديه . وقد توهم ان عقيدته هذه تنال خطوة لدى المسؤولين (...) وهذا الخلاف في نفس باسكولي جدير بالاهتمام: فهو يريد ان يكون شاعرا حماسيا وشعبيا في حين ان طبيعته كانت اقرب الى العاطفية » .

ومن هنا ينشأ خلاف فني يظهر في المجهود والتهالك والبلاغة وقباحة الكثير من الموضوعات في سذاجة مزورة اصبحت صبيانية حقيقية . (٢٨)

الجندي الايطالي او الجندي الصغير كما كان يحلو لباسكولي ان يناديه

---

(٢٨) انطونيو قرامشي Antonio Gramsci النهضة « تورينو ١٩٥٥ ص ٢٠٨ . وفيما يتعلق بتاثير دانونسيو وباسكولي على تكوين عقيدة قومية فقد كتب ساليناري ايضا ما يلي : « يبدو واضحا في الخلاصة ان باسكولي ودانونسيو قد اعطيا في اواخر القرن الماضي واوائل ١٩٠٠ صوتا ادبيا لجميع الاساطير التي نشأت منها قوميتنا . دورهما اذن كبير في تاريخ الروح العامة في عشرات السنين هذه » وتاثير باسكولي ربما حتى وان اقل ضجة فهو اكثر ظهورا من الاخر بسبب طابع عقيدته الاقل شمولا والاكثر فسادا » (كارلو ساليناري ـ المصدر المذكور ص ٤٨٦) .

كان في قلب هذا الوضع الذي خلقته الصحافة والادب وحتى السينما وهي لا تزال في اول تجاربها (٢٩) حول عملية جوليتي الاستعمارية . كان الجندي موضوع الاف القصص والحوادث من البطولي الى المؤثر من الدرامي الى الرومانتيكي وفي وسط هذا النهر من الكلمات والاشعار غرقت حقيقية الحرب الدائرة التي كان يعيشها الجنود وفقدت ابعادها وصورتها الواقعية واخذت تغذي عقدة تفوق واجهت فيما بعد بمناسبة الحرب العالمية الاولى تجربتها القاسية في القتال . وفي الخلاصة ان البلاد قد وجدت نفسها وقت انفجار الحرب العالمية تملك جهازا مجربا تجربة واسعة ومستعدا لتكرار تلك النغمات والمواضيع العزيزة على قلبه التي ساهمت كثيرا في تعبئة الراي العام . وقد استطاع كورادو الفارو في احدى مؤلفاته الخفيفة الدم المثيرة التي قام بنشرها فورميجيني وقد خصصها لالبرتيني فقد وصف في عام ١٩٢٥ العلاقة ما بين راي الصحافة وواقع الحرب الملموس مع اشارة خاصة الى صحيفة « كوريري ديلاسيرا » والحرب العالمية الاولى وهذا ما جاء في وصفه :

ان صحيفة « كوريري ديلاسيرا » قد دعت للحرب الليبية والحرب مع النمسا والحملة ضد البلشفية بشكل عبادة مبالغ فيها للذوق السيء والبلاغة وهما عنصران مظهريان ينتهيان بالتضليل . وليس الامر بتضليل مبيت وانما طريقة ترجمة الاحداث بصورة مضللة ومزورة بكل تاكيد . وفي الخلاصة فان قوة مواجهة الواقع وقول الحقيقة هي من الصفات التي فقدتها صحف كثيرة ايطالية تحت ضغط منافسة « كوريري ديلاسيرا » ومدرستها الصحفية .

---

(٢٩) راجع باولو مالتيني المصدر المذكور ص ٢٣٠ . نقل مالتيني رسالة احد قراء صحيفة « لاستامبا » نشرته في عددها الصادر في ١٩ فبراير ١٩١٢ جاء فيها :
« تقوم دور السينما في تورينو وطبعا حتى في مدن اخرى بعرض احداث حربية وهجمات بالسلاح الابيض وحوادث بطولة جميعها مزورة . اننا نرى جنودنا يمرون امامنا في الف شكل متغطرس ويزيلون من المنظر احيانا ما هو قريب من الواقع . وهذا لا يكفي فالضباط انفسهم يظهرون جامدات في وضع الضوء كانهم ياخذون الصور بعد نهاية المناورات الكبرى ويتبادلون التحيات بشد الايادي ويقدمون ابتسامات مقبلة للجمهور وهكذا تصبح الحرب سخرية » .

ان فلول هواة الانفعالات التي استطاعت « الكوريري » ان تكونها بنجاح في سنوات الخمول قد قدمت رغم جميع نواياها الطيبة خدمات سيئة للبلاد بعد أن قدمت تلك الخدمة الممتازة وهي مساعدة البلاد على واقع الحرب .

ان ايطاليا كانت تدخل مرحلة ماسوية وجدية في حياتها والصحف تجد في تلك الحجة للتطوين فالجيش الذي ارسل لحملة قصيرة جدا كما كان متوقعا مع قليل من المدافع والرشاشات القليلة اصبحوا يشيدون به كعظيم لا يقهر . وكادورنا وهو منظم كبير اصبح قائدا مكتسحا . وفي الوقت الذي كنا فيه نقاوم اكثر الحروب مشقة وقد تسمرنا في الارض التي كان علينا ان نكسبها مقابل تضحيات لا نهاية لها ، فان الصحافة و « الكوريري » وصفت جيشا قد يصل تريستا في بضعة اسابيع وعدوا تعبا وفاقدا لاية مبادرة والقيادة العليا لم تكتف بتهليل الصحف لبلاغاتها « المتسترة » بل تاثرت ايضا بنفاذ صبر هذه الصحف وأمرت بتقدم دموي للقوات في عمليات مفككة وضارة بروح الجنود وبمقاومة القوات نفسها . (...) وبالرغم من تجربة الحرب الدموية فالصحافة و « الكوريري » اعطت للحرب التي كانت جدية بصورة رهيبة ، مظهرا تمثيليا من سحر الخيال . لا توجد صفحة من صفحات بارزيني او فراكارولي يستطيع ان يعرف احدنا فيها نفسه رغم ارتباكنا هناك — وفي الشهر السادس من الحرب كان كل واحد منا عندما يلقي بنفسه خارج المواقع كان لا يعرف هل هو يؤدي واجبا رهيبا أم هو ممثل أمام جمهور شاسع غافل . (٣٠)

---

(٣٠) كورادو الفارو Corrado Alvaro لويجي البرتيني ، روما ١٩٢٥ ص ٤٥ — ٤٣ وفيما يتعلق بالحرب الليبية فان نفس البرتيني اكد في رسالة الى اندريا توري بتاريخ ١٧ مايو ١٩١٢ : « لقد احتفظنا هناك لاشهر واشهر بنخبة من المراسلين اللذين كانت لديهم بعض التجارب في الحرب وقد عاشوا طويلا في احتكاك بضباط من جميع الاسلحة يستمعون الى آرائهم فيستوعبون ويفربلون اراء مختلفة : ولكننا لم نسمح لهم باصدار احكام لقد احتفظنا بمقالاتهم الانتقادية حرصا على المصلحة الوطنية السامية » (لويجي البرتيني المصدر المذكور مجلد ١ ص ١١١) .

« شبان جميلون اعزاء النفوس يملؤهم المرح يذهبون الى الحرب كما لو انهم ذاهبون الى حفلة لانهم يدركون أنها كانت حفلة الوطن » . (٣١) فيمثل هذه العبارات وهذا التصور وصف سرجيو سيغيلي — وهو قومي من ترنتو — وتخيل الجنود الايطاليين الذين كانوا يذهبون لمواجهة الاتراك في الصحراء الصليبية . وكانت هناك الى جانبه كتابات ادبية شاسعة حول الموضوع وصفت جيشا وشعبا يجمع بينهما رباط روحي ووفاق كامل دون تحفظ بالنسبة للحرب من أجل احتلال ليبيا . وقد لاحظ النائب فيتوريو كوتافافي وهو من الاحرار (٣٢) وقد شغل منصب وكيل وزارة المالية مع جوليتي من ابريل ١٩٠٧ الى ديسمبر ١٩٠٨ ... في كتاب اصدره عام ١٩١٢ حول انطباعاته وذكرياته عن الحرب الليبية ، انه بالتحدث مع الجنود « حتى عندما يكون الحديث بصورة ودية يشجع على اطلاق العنان للنفس والتعبير عن الرغبات المكتوبة » فلم يسمع ابدا « واحدا من الجنود يبكي حريته كمدني اذا استدعى للجندية او يأسف على حياة الثكنات اذ كان مطلوبا للجندية » (٣٣) ومن جهة اخرى فان جواكنيو فولبي اكد وضغط على هذه التاكيدات اذ كتب يقول :

« في خضم العراك والخطر وتحت ضغط الضرورة فقد تلاشى ذلك القدر القليل من الروح المعادية للعسكرية التي قد تكون رتابة وبرودة هواء الحاميات قد اعطتها بعض التغذية . وقد اعقبتها روح الموافقة على الحروب والاهتمام بتلك الحدود حتى ولو انها لم تكن مطابقة الا قليلا للصورة التي قد يكونوا تخيلوها عنها . وبابتعادهم عن الواحات الساحلية اخذوا يفهمون

---

(١٣) شيبيوسيغيلي Scipio Sighele اخر صفحات القومية ، ميلانو ١٩١٢ ص ٣٢ .

(٣٢) تولى كوتافافي Cottafavi فيما بعد وكالة وزارة المالية في حكومة سالاندرا من مارس ١٩١٤ الى يونيو ١٩١٦ ، في عام ١٩١٧ كان من مؤسسي الفاشستية البرلمانية .

(٣٣) فيتوريو كوتافافي المصدر المذكور ص ١٢٢ .

واقع طرابلس المختلف عما كتبه الصحفيون المتسرعون ولكن بالعمل الايطالي ستعود الى الازهار هكذا كانوا يفكرون » . (٣٤)

واذا عدنا بالذكرى الى ما كان يردده الكثيرون باستمرار في الاشهر الاخيرة عن ذكرى روما القديمة وغزواتها الافريقية فقد واصل فولبي كلامه في هذا الصدد : « لقد اعاد الجنرال كانيفا في أول منشور الى الجنود ذكرى الرومان . وشعر الجنود اذ ذاك بان تالك النسور الرومانية » وتلك « المدنية الباعثة » لم تكن عبارات جوفاء » (٣٥) ليس من الصعب الادراك بان فولبي كان يزيد الكيل قليلا . وعلى كل فان فكرة الاتفاق الاجماعي على الحرب الليبية يبدو انها كانت مقبولة باقتناع متفاوت من اغلبية مؤرخي الحرب الايطالية التركية .

ومما لا شك فيه أن رياح القومية والوطنية قد اصابت بعدواها كثيرا أم قليلا اغلبية الراي العام في البلاد . ولا يعني ذلك انه لم يكن هناك مقاومة حتى وان كانت محدودة ومنعزلة وغير ضارة بالعملية الجوليتية . لقد وقع حادثان مدويان في سنوات الحرب الليبية استعجل الكثيرون بالحكم عليهما بعدم الاهمية : حوادث انفجار فردي لا يمكن تبريرها الا جزئيا كاعمال فوضوية او نتيجة جنون . انا نشير الى الرصاصة التي اطلقها الجندي اوتوسطو ماسيتي على مقدمه يوم ٣٠ اكتوبر ١٩١١ عندما كان الجندي يستعد للسفر الى ليبيا للاعتداء على حياة الملك وعندما كان ذاهبا الى البانتيون الذي قام به انطونيو دالبا . انهما حادثان مدويان ، لابد انه كانت لهما قاعدة وخلفية لا يمكن انكارها حتى يتفجر بهذا الشكل العنيف .

---

(٣٤) جواكينو فولبي « عملية ليبيا » المصدر المذكور ص ٧١ ــ ٧٠ وقد أكد فولبي نفسه ان غزو ليبيا كان « اول عملية لايطاليا على طريق تجديد شبابها . فكانت تحتوي على كل الحماس والسذاجة والطراوة التي تمتاز بها اعمال من تجاوزوا عشرين عاما » . . (جواكينو فولبي « ايطاليا التي كانت » ميلانو ١٩٦١ ص ١٠٢) .

(٣٥) جواكينو فولبي « عملية ليبيا » المصدر المذكور ص ٧٢ .

لا يمكن اهمال بوادر المقاومة والاستياء والمعارضة للحملة رغم كونها كانت متهيبة وذلك لاعطاء صورة حقيقية وواقعية عن الحياة الايطالية في فترة عامي ١٩١٢ ـــ ١٩١١ . هذه الاحداث رغم انه لم يكن لها اي وزن سياسي او قوة في الراي العام فهي تصور الروح التي واجه بها جزء من البلاد تلك الحرب . واهمال هذه الاحداث معناه التوقف للنظر الى الواجهة الجميلة للمشكلة كلها وتجاهل بصورة خاصة لاولئك الذين كانوا جزءا فعالا في الحرب والذين مستهم شخصيا . فماذا كان موقف من اضطر للاشتراك في الحرب او من كان لديه ابن او زوج في الغالب هو عائل العائلة الوحيد ؟ فهل اشترك حتى هؤلاء في جو بطولة العملية الاستعمارية الجوليتية ؟ وهل شعروا هم ايضا بتجديد ارتفاع النسور الامبراطورية الرومانية ؟ ان تحريات من هذا النوع قد تمت على نطاق واسع وبوثائق قوية وذلك بالنسبة للحرب العالمية الاولى » (٣٦) التي بالنظر الى اتساعها وتاثيراتها اتخذت طبعا ابعادا وتطلعات يختلف وزنها عن وزن الحرب الليبية . ومع ذلك فقد يكون من المناسب الاستمرار في هذا الموضوع ومحاولة اجراء تحريات مماثلة بالنسبة للحرب الايطالية ـــ التركية . (٣٧)

فمنذ عام ١٩١٤ في غداة الحرب اصدر الماجور بومبليو سيكاريني كتابا لا يختلف عن الكتب المماثلة المتحمسة التي صدرت في تلك الفترة ، غير انه وضع مشكلة سلوك الجيش تحت امتحان دقيق وجاء في كلامه :

---

(٣٦) للذكر على سبيل المثال كتاب « فرقة الاعدام » الذي نشر باشراف انسو فورشيلا والبرتو مونتيكوني Enzo Forcella & Alberto Monticone باري ١٩٦٨ وبحث قابريلي دي روزا حول موقف الكاثوليك خلال الحرب العالمية الاولى موجود في AA. VV. « صدمة التدخل » المصدر المذكور ص ٢٠١ ـــ ١٦٥ .

(٣٧) اقترح البرتو مونتيكوني بمناسبة البحث « من سلوك الجنود ومن مثلهم العليا » خلال الحرب الليبية و « الى اي مدى اشتركوا في التهييج الوطني وفي امال الاراضي الجديدة التي ستستعمر وفي المثل العليا « بالحرب الجميلة » (البرتو مونتيكوني » التاريخ العسكري الايطالي ومشاكله » المصدر المذكور ص ٢٣) .

« (...) ان الحكم على تماسك وصلابة القوات (وهو نتيجة لميزاتهم العنصرية وصفاتهم البدنية والمعنوية وتربيتهم المدنية واستعدادهم العسكري) كان دائما مستوحى من علم الحدود ومن القياس الذي يكون ذروة المعرفة الانسانية ؟ او لم يتنقل من تشكك قلق الى عدم مبالاة مطلقة ؟ ان الادلة الممتازة التي قدمتها سرايا شكلت بالارتجال من جنود مستدعين ومجندين قادها في بعض الاحيان ضباط مساعدون شبان لا خبرة لهم . فهل يمكن اعتبار ذلك كافيا لاعادة التجربة في ميادين اخرى وضد اعداء آخرين ؟ (٣٨)

وفي الخلاصة ان بحثا من هذا النوع ينفع على الاقل لادراك مظاهر كثيرة في سلوك الجيش الايطالي خلال الحرب العالمية الاولى والازمات العميقة التي هزت الضباط والجنود والبلاد في الاوقات الاشد حزنا خلال الحرب الكبرى .

ويقول سكياريني ايضا في هذا الصدد : « يجب اعادة النظر على ضوء الواقع في مسائل كثيرة تقررت على اساس معيار نظري » فيجب اعادة النظر « بمواضيع ايجابية أكثر من حكم ومزاعم بديهية عن الاشياء والرجال » (٣٩) ومع هذا فان سكياريني يصل الى خلاصة لا نستطيع الموافقة عليها على ضوء الوثائق الموجودة اليوم . فهو يرى أن الحرب الليبية قد ظهرت الى الضوء ، واوضحت « الروح المحاربة » التي تلهب الايطاليين .

« ان غريزة الصراع ــ كتب سكياريني ــ لا تزال حية في شعبنا رغم العبودية السياسية الطويلة والابتعاد عن السلاح لقرون واسباب أخرى

---

(٣٨) بومبيليو سكياريني « للجندي الايطالي بليبيا » (١٩١٢ ــ ١٩١١) روما ١٩١٤ ص ٩٠ .

(٣٩) المصدر المذكور ص ٩٢

حيثة ، مما يجعلنا نؤكد ان روح الايطاليين الحربية لا تقل اليوم عن اي شعب آخر متمدن ان لم تزد على اكثر من واحد » (٤٠)

جمع باتشو باتشي Baccio Bacci في كتيب أصدره الناشر بمبوراد عام ١٩١٢ عددا من رسائل الجنود والضباط بالجبهة الليبية استطاع أن يستنتج منها خلاصة لا تتفق على ما يبدو مع ما ذهب اليه سكياريني — ويكتسب عمل باتشي هذا اهمية لانه يعتبر بصورة خاصة من اولى المحاولات من هذا النوع التي تتم في ايطاليا مع انه يضع حدودا دقيقة تفقد عملية التحري قيمة الجدية وكونها وثيقة لا تقبل الشك . ويبدو ان اختيار باتشي لرسائل الضباط والجنود قد كان منذ الاساس يقصد به اثبات موافقة الضباط والجنود التامة على الحرب كما ان ما اجراه من الحذف على العديد من الرسائل يدعو الى التردد ، خاصة وان جميع الرسائل تقريبا واردة من جنود وضباط ينتمون الى مدينة فلورنس وضواحيها وهو الامر الذي لا يسمح بالتحري مثلا من رد فعل ومواقف الجنود القادمين من مناطق حرمت طويلا من منافع ومزايا السياسة الاقتصادية الجوليتية ويصل باتشي مع هذا الى نتيجة بان الجنود الايطاليين هم شعراء أكثر من كونهم محاربين . « ان شعرهم لم يتأملوا فيه وانما عاشوه ساعة بساعة وسط اصوات الحرب والتضحيات القاسية والاخطار وقد زادته حدة ذكرى الاسرة البعيدة التي استبد بها قلق الانتظار » (٤١) وفي الخلاصة فان الجندي الايطالي حسب وجهة نظر باتشي لم يكن سوى :

« المحارب الشديد والمتوحش الذي يبدو لنا كالجلاد المخيف المعتز بقوة سلاحه والذي لا يرى في مذابح أعدائه سوى نتيجة تفوقه . لقد كان الجندي الايطالي دوما وظل بطلا وشاعرا : ليس متوحشا بطبيعته وليس قاسيا ولا

---

(٤٠) المصدر المذكور .

(٤١) باتشو باتشي Baccio Bacci المصدر المذكور ص ٦ . عيب اخر في هذه المجموعة وهو ان تحريات باتشي اقتصرت على الاشهر الاولى من الحرب واهمل الفترة اللاحقة التي وقعت خلالها حوادث استياء وتعب بين الجنود في الجبهة .

ثرثارا (...) فاذا ما خرج من المعركة وعاد الهدوء يعود مقاتلنا الى نفسه : تتلاشى من امامه المناظر الدموية ويصبح في حاجة الى العطف والحب والود العائلـــي » .

ومن هنا كان الحنين المضني للوطن وللام بصورة خاصة . (٤٢) وتبدو هذه الحالة النفســية واضحة في رسائل باتشي المنشـــورة وخاصــــة في مناسبات الاعياد مثل عيد الميلاد حيث يتجه الفكر طبعا الى المودة العائلية .

« ففي مثل هذه الساعة لا تزالون في الســهرة ــ كتب الملازم ثاني روبرتو بيندي من بارقا التابعة لمحافظة لوكا ــ الى صديق له ــ وتاكلون الكستنة مع النبيذ الجيد . اني لا اتصور عائلاتكم واتصور بارقا في هذه الليلة . اننا تحت الخيام ولا نرى خارجها سوى خط الخنادق الاسود وخيال الحراس الساهرين . لا اطلب منكـــم ان تفكـــروا في وانما توجهـــوا بفكرتكم الـــى اموانتـــا » . (٤٣)

وهكذا كتب الجندي اميليو فيريتي الى امه بعبارات ابسط : « قضيت يوم عيد الميلاد في حالة سيئة بسبب بعدي عن عائلتي العزيزة ولا اجد خجلا في الاعتراف انني بكيت من صميم قلبي مثل الاطفال » (٤٤)

---

(٤٦) المصدر المذكور ص ١١٧ . لقد كتب باتشي في هذا الخصوص بلهجة الكاتب دي ميكيليس « ان جنودنـــا وقد انهكهم التعب واقلقهم صدى المعركة واذهلهم فقدان الكثير من رفاقهم سواء كانوا تحت الخيمـــة او متكئين على صخـــرة أو مضطجعين على حافـــة الخنـــدق او قابعين في قلب الخنـــدق نهم يكتبون الى ذويهم ويفكرون في امهاتهـــم . هـــذه الام العزيـــزة وهذه الصورة المقدســة نشعر بها في قلوبنا مثل ملاطفة ملاك وكم من المـــرات ذكرت في الرســـائل التي ستقراونها والتي ستبكيكم (المصدر المذكور ص ٧١) وبتاريـــخ ٧ نوفمبر ١٩١١ كتب من طرف البحار جوسيبي ليونيتي من بارليتـــا الى امه قائلا : « (...) الحياة هنا مؤلمة جـدا بسبب الطعـــام والنوم والعمل الكثير . ولكن اللـــه سيرعانـــا نحن اولاده ويمنحنا القـــوة على هذه الحرب واذا مريـــم العذراء نظرت الينا باعينها سنجتمع بجميع العائلـــة » (من طرابلس « رسالـــة مـــن بحـــار مـــن بارليتـــا » منشور في « بـــون سنمـــو » تـــاريـــخ ١٩ نـــوفمبـــر ١٩١١) .

(٤٣) باتشـو باتشي ، المصدر المذكور ص ٧٧ ــ ٧٦ .

(٤٤) المصدر المذكور ص ٧٧ ، كتبت صحيفة « لوسرفاتوري رومانو » بمناسبة عيد الميلاد لعام

وبقراءة هذه الرسالة وغيرها من رسائل المحاربين وخاصة الجنود من الفلاحين والفعلة والعمال يدرك المرء ان هؤلاء في الواقع لا يهتمون بسياسة دي سان جوليانو الخارجية الذين كانوا ربما يجهلون وجوده ولا بمقالات « لاستامبا » و « تريبونا » و « كوريري ديلاسيرا » ولا بخطب كوراديني و « انشودة فيما وراء البحار » لدانونسيو او لنداءات روما التي يذكرها الجنرال كانيفا . واذا تعمقنا في البحث نجد امامنا حقيقة جديدة وهي انه بعض الملفات بين اوراق المكتب السري للامن العام لمحفوظات الدولة المركزية حيث يحتفظ بالكثير من الرسائل اغلبها مجهول مرسلها وقد وجهت في الدرجة الاولى الى جوليتي ثم بصورة اقل الى وزير الحربية سبنقاردي والى الملك ومن خلالها يمكن اكتشاف بعض مظاهر الحرب الليبية التي ظلت غامضة حتى الآن وان كان اطارها مكفهرا وباهتا . فهي رسائل غير لائقة وركيكة تبرهن على الاستياء والضيق المنتشر خاصة بين الطبقات السفلى من السكان . وهي اصوات مجهولة ولكن من السهل التعرف عليها لانها اصوات من لا يجد حلا آخر غير اللجوء الى الصلاة والتهديد والاهانة والسباب وهي اصوات يبدو انها كانت صادرة من صميم نفوس قلقة لا تعرف طريقا للخروج من وضعها .

لقد بدأ الاستياء ينتشر سواء في الجّبهة ام في ايطاليا بعد الاشهر الاولى من الحرب خاصة عندما ادرك الناس أن الغزو لم يكن بالسهولة التي صوروها لهم وان المقاومة التركية كانت اعظم مما كان منتظرا وان تضامن العرب المزعوم (مع ايطاليا) قد تحول الى عداء . ففي يوم ٢٧ اكتوبر ١٩١١ اي بعد ثلاثة ايام من حادث شارع الشاطىء المأسوي ارسلت الى جوليتي

١٩١١ معبرة من الحالة النفسية المنتشرة في البلاد فقالت : عيد ميلاد تعس يحل على جميع شبه الجزيرة سواء في قصور العظماء والاغنياء ام في بيوت البرجوازيين والاكواخ وفي المدن والارياف وان المثل العليا في السياسة والتوسع الاقليمي المشروع والبطولة في المعارك لا تفلح في تخفيف الم الفراق (« عيد ميلاد تعس » منشور في «« لوسرفاتوري رومانو » ٢٥ ديسمبر ١٩١١) .

رسالة من كاستيلا ماري ادرياتيكو (بولونيا) بتوقيع « اب عائلة طيب » وصفت رئيس مجلس الوزراء بانه « رئيس القتلة الايطاليين » (٤٥) وانهالت على جوليتي رسائل بنفس اللهجة من جميع انحاء ايطاليا وذلك عند نهاية عام ١٩١١ . (٤٦)

وقد اشعر النائب ادواردو جوفانيللي الرئيس جوليتي بهذا الاستياء السائد منذ الاشهر الاولى للحرب وذلك برسالة قال فيها : « انه بمناطق بولونيا وفيرارا وماركي « توزع صحيفة « لاشنتيلا » الصادرة بفيرارا على نطاق واسع وهي الصحيفة التي اشادت « بجنود الالاي الذين رفضوا طلب الذهاب الى طرابلس باستثناء خمسة منهم » (٤٧) واكد النائب في رسالته أن في مدينته استي « يسقط بعض الشباب بسهولة في الفخ بسبب الخوف » (٤٨)

ولكن الاستياء ازداد كما يبدو بصورة أعظم في الاشهر الاولى من عام ١٩١٢ بصورة خاصة . فعندما استدعي مواليد عامي ١٨٨٨ و ١٨٨٩ الى الجندية قام هؤلاء خاصة ومعهم عائلاتهم بالاحتجاج لان مواليد هذين العامين

---

(٤٥) A.C.S., Min. Int., DGPS ris., b. 29, f. 68 (II) التاريخ ومكان الارسال مستقاة من البريد .

(٤٦) وجاء في احدى هذه الرسائل المرسلة من كونو (برقامو) بتاريخ ١٣ نوفمبر ١٩١١ ما يلي : « لقد حان الاوان لوضع حد ونهاية تذكروا كم ابكيتم من الاسر » . واعتزت محافظة برقامو في رسالة الى وزارة الداخلية بتاريخ ١٨ ديسمبر ١٩١١ الى المدعو نابيوسانتا بانه هو المجهول صاحب الرسالة ووصفته بانه : « شخص سيء مختل ومن اصحاب السوابق (...) وانه يدعي انه اشتراكي ومعارض للمؤسسات التي تحكمنا وخاصة للجيش . ولاحظت المحافظة انها قارنت بين خط سانتا والخط الذي كتبت به الرسالة المجهولة فلم يكن في الامكان التاكد أن صاحبها واحد » وفي رسالة اخرى بدون تاريخ وبدون مظروف جاء فيها : « لتسقط ليبيا . الموت للرجل الفير جنير الذي يتسبب في حزن العائلات الكثيرة وان يعاقبه الله اشد عقاب . ايها المغتصب الظالم لقد للحت في دفع الصحف الى الوقوف الى جانبك ولكن الاكثرية ضد مليك (المصدر المذكور) .

(٤٧) انظر مقال « دوما في طرابلس من اجل الملك والبابا » منشور في « لاشنتيلا » بتاريخ ٢٢ اكتوبر ١٩١١ .

(٤٨) A.C.S. المصدر المذكور — الرسالة واردة من استي وتاريخها اول نوفمبر ١٩١١ .

كانوا بالجبهة منذ بداية الحرب وتحت السلاح منذ اشهر كثيرة . وكتب مجهول الى جوليتي من تورينو يقول له ان في مدينته « الكثير من الاباء والامهات يذهبون الى غرفة الاشتراكيين للشكوى والبكاء ويتحدثون عن الاسى والمرض والالم الذي يلم بجنود عام ١٨٨٩ الذين جاءوا الى بيوتهم والذين يكتبون انهم منهكون وقد بلغ بهم التعب اشده وملاتهم الحشرات وغدوا مثل قطعة القماش البالي ، ولم يعدوا يحتملون اكثر من ذلك » (٤٩)

وجاء في رسالة اخرى بتاريخ ١٨ ابريل ١٩١٢ من كيوجيا ما يلي :

« لدي ابن من مواليد عام ١٨٨٩ قد استدعي (...) وآخر من مواليد ١٨٨٨ قد مات والآن تريدون اخذ الآخر (...) ساصل روما قريبا اذا المسيح منحني الصحة (يتتبع شتائم) وذلك كي اقبض على رقبتك واعلم انني قد غدوت مجرما و سفاكا واني لارتعش لدى كتابتي هذه الكلمات . » (٥٠)

وكانت هناك نداءات مؤثرة اقل قسوة من الرسالة السابقة ، فقد وصلت الى النائب جوليتي من اقليم كونيو رسالة من أم تطلب تسريح الجنود من مواليد سنة ١٨٨٩ مبررة طلبها بالكلمات الآتية :

« اسمحوا لي كام مسكينة وباسم الكثير من الامهات المسكينات اللاتي يرفعن لكم هذه الشكوى : كيف نعمل للاحتفاظ بالنقود في كل شهر لقد وضعنا النقود في جيوبهم عندما سافروا ثم في كل شهر نرسل لهم

---

(٤٩) المصدر المذكور فيما يتعلق بهذا وبالفقرات التابعة تحاشينا كتابة طبق الاصل للكلمات النابية نظرا لكثرتها .

(٥٠) المصدر المذكور — بتاريخ ٢٠ ابريل ١٩١٢ كتب المدعو فرنشسكول . من روما رسالة الى جوليتي باسم خمسة وعشرين من المشتكين اكد فيها : « ان اولئك الذين بيدهم مصير الامة (...) يجب ان يكون لديهم ضمير يحس بالام وفزع اباء وامهات العائلات مثلنا الذين يتلهفون الى لحظة رؤية ابنائهم الموجودين بطرابلس للدفاع عن الوطن منذ ١٢ اكتوبر اي منذ اول الحملة » .
وطلب كاتب الرسالة من جوليتي منح الجنود الذين سافروا في اول فوج للحملة ثلاثة اشهر اجازة وفي « حالة عدم الموافقة سنقوم بتنظيم احسن وبعدد اكبر بحيثنحدث تمردا بين الجنود في ليبيا » (المصدر المذكور) .

باستمرار والآن تعبنا واثقلت كاهلنا الديون والآن تبدا اعمال الزراعة وكيف نستطيع أن نعمل اذا لم يعودوا الينا لاكتساب قوت الشتاء وازواجنا متقدمون في السن ولا يستطيعون تلافي هذا كله » . (٥١)

ومن بيومونتي أي من تورينو هناك رسالة أخرى لأم تعبر فيها بصورة اكثر نظافة وكياسة عن الاستياء والحالة النفسية المنتشرة بين عائلات المستدعين للجندية وقد جاء في رسالة هذه الأم التورنينية المجهولة :

« انتم لا تفكرون في مبلغ الضرر الذي لحق بعائلات المحاربين،انكم تفكرون فقط في توسع الوطن » . ونفس الرسالة تصور مزاج الجنود بالجبهة حتى وان كانت بعض التاكيدات مبالغ فيها :

« هناك جنود يقتلون انفسهم أو يفرقون فهم يجدون على كل حال طريقة الموت . ولماذا يقع هذا ؟ لانهم في حالة تعب واعياء وملوا الصراع ضد الاتراك والحرارة . ولكن هذا لا تنشرونه في الصحف (...) وعندما تفقد أم ابنها وتكتب الصحف « مات ابني كبطل واعطى دمه للوطن » فهل تعتقدون ان النساء من الغباء لدرجة ان يصدقن هذا الكلام او انكم تستطيعون ان تخدعوهن ؟ » (٥٢)

ونجد رسالة من أم جندي من بارتينيكو (بالرمو) اكثر عداء وحدة :

« انك قمت بهذه النزوات لان لا أولاد لك يشتركون في هذه الحرب ولذا تدفع بابناء امهات كي يموتوا وتزيد بذلك ثروتك . دع رجال الحملة الاولى

---

(٥١) المصدر المذكور بتاريخ ختم بريد الارسال يوم ١٦ مايو ١٩١٢ ومكان الارسال غير واضح .

(٥٢) المصدر المذكور— يقرا ايضا في نفس الرسالة : «الجنود هناك تلوكهم الحشرات وتهدمهم الحرارة وقد بلغت مرة الحرارة ٤٣ درجة وكانت المياه تغلي واصبحت جلودهم سوداء من الحرارة . واعلم جيدا ان ذلك ليس كذبا ولكن هكذا كتبوا يقولون من لا يزالون في طرابلس . هم محرومون من كل خيرات الله . المياه والجو الحار والخلاصة لا يطلبون غير الرحمة (...) وبعد ذلك يجب الاستماع الى ما يقوله الشعب » وتاريخ ختم ارسال هذه الرسالة هو ٢ مايو ١٩١٢ .

يعودون والا ستطير راسك مثلما تجعل امهات كثيرة تبكي بسبب نزواتك فعائلتك يجب ان تبكي اذا لم تعمل على عودة رجال الحملة الاولى » (٥٣)

ووصلت جوليتي ايضا رسائل من الجنود المحاربين بالجبهة . احدى هذه الرسائل وصلت من طرابلس في ٤ مارس ١٩١٢ والتوقيع باسم « العديد من المستدعين » ولهجة هذه الرسالة يشوبها شيء بين الاشتراكية والفوضوية التي تبدو في مواضيعها الدعائية وحتى وان كانت صيغة الرسالة ركيكة . وجاء في الرسالة :

« ان هذه الرسالة ليست من احدى الرسائل الكثيرة الغامرة بالحماس وحب الوطن التي لا يكتبها الجنود وانما تصيغها ادارات تحرير الصحف البرجوازية فهي احتجاج ، وهي صوت يعبر عن الآف الجنود وآلاف الامهات والآف الزوجات الذين بلغ لديهم السيل الزبي (...) هل تعتقدون انه في امكانكم البقاء على هذا الوضع لمدة اطول وان تشعروا بعائلاتنا وترعبوا زوجاتنا وتواصلون المذبحة في الصحراء ، وذلك ارضاء لشهيتك انت يا سيد تغليسة البنك الروماني وطغمتك ؟ (...) لقد تحققت بوادر الثورة الاولى وهي الخطوات الاولى نحو مستقبل جديد . ان العداء للعسكرية ينتشر انتشارا شاسعا حتى بين الجنود المحاربين وان فجر عهد جديد غدا كتاب قوس او ادنى . » (٥٤)

وهناك رسالة اخرى دون تلوينات سياسية وارادة من جبهة بنغازي بتاريخ ٢٠ مارس ١٩١٢ وموجهة الى جوليتي . وهي عبارة عن بطاقة بريدية مرسلة من احد جنود سنة ١٨٨٨ كان على وشك العودة الى الوطن فقد كتب هذا الجندي المجهول ما يلي : « اننا نشعر بالاهانة لتركنا اصدقاء اعزاء

---

(٥٣) المصدر المذكور — لم تقد تحريكات سلطة بارتينيكو في معرفة صاحبة الرسالة . وقد وصلت الى جوليتي رسالة اخرى من فيتوريا (سيراكوزا) تسبت الى الدمو ايانويلي ستريتو من مجندي مواليد سنة ١٨٨٩ .

(٥٤) المصدر المذكور .

علينا ماتـــوا بايدي البادية والعرب . في دورنـــا يوجـــد ابناؤنا يبكون من الجـــــوع . » (٥٥)

وفي ٢٥ مارس ١٩١٢ ارسل ستة وعشرون جنديـــا من كالتانيستـــا رسالة الى الملك فيكتور عمانويل الثالث يطالبون بتسريح مواليـــد ١٨٨٩ . وحاولت شرطة كالتانيستـــا بـــدون جدوى ان تكتشف اصحـــاب الرسالة المجهولة ـــ وقد اجاب المحافظ على وزارة الداخلية بهذا الصدد يوم ٢٤ مايو بما يلي : نعتقد ان الرسالة الصادرة من احد المستدعين من مواليـــد ١٨٨٩ حيث قد اتضح ان الاستياء يتسرب بين المذكورين الذين يعبرون عنه بخطب واراء غير مناسبة حتى خارج المقـــر » (٥٦)

وقد بدا في شهر مايو ١٩١٢ ان الاستياء قد ازداد ما بين الجنود وبعض طبقات من الناس المهتمة مباشرة بالحرب وذلك رغم تسريح مواليد عام ١٨٨٨ وتدل على ذلك احداث عديدة : اجاب محافظ ميلانو فقال انه لا توجد اية عناصر « تؤكد الشك في ان المجهولين المشار اليهم ينتمـــون الى الاحزاب المعارضـــة » وحسب وجهة نظر المحافظ ان الامر بالعكـــس ويجب اعتباره صحيحـــا انه مـــن :

« عمل اشخاص تربطهم روابط الدم والصداقة بالمستدعين الذين ينتشـــر الاستياء بين عائلاتهم وتغذية الصحافة المتحررة (...) وقد خفف تسريح دفعة ١٨٨٨ من هذا الاستياء بصورة اكثر غير انه لم يتلاشى لان دفعة ١٨٨٩ لم يسرحوا في نهاية الستة اشهر كما اعتقد الناس خطا » (٥٧)

---

(٥٥) المصدر المذكور . عندما اشيع ان دفعة ١٨٨٧ سوف تستدعي الى السلاح ارسلت الـــى جـــوليتي رسـائـــل من هـــذا النوع : « اذا قدرت على استدعاء دفعـــة ١٨٨٧ ســـوف احضر الى روما لقتلـــك . الا تـــرى ايها الحيـــوان القبيح ان لي زوجـــة وولديـــن ! » (المصدر المذكـــور) .

(٥٦) المصدر المذكـــور .

(٥٧) المصدر المذكـــور .

وقبل ايام من هذه الرسالة اي في ٢٠ ابريل ١٩١٢ ارسل نفس محافظ ميلانو تقريرا الى وزارة الداخلية يحذرها فيه من خطر ما قد يحدث يوم اول مايو او يوم ٨ و ٩ مايو وهو اليوم الذي تنتهي فيه مدة الستة اشهر للمستدعين للجندية من مظاهرات احتجاج من قبل الجنود وبان هذه المظاهرات قد ينظمها المجندون من دفعة ١٨٨٩ المنتمون الى الالاي السابع والعشرين للمدفعية والاي البرساليري الثاني عشر ويضيف المحافظ انه بالرغم من تاكيدات قيادة الفرقة العسكرية من انه مع وجود بعض الاستياء «فلا توجد نوايا حقيقية في التظاهر» واشار محافظ ميلانو انه يوجد بين الجنود «البعض في حالة اضطراب حقيقي لاسباب عائلية وبايماز من محركات سياسية قد أوجدت فيهم استيــاء حــادا من جراء اطالــة بقائهم تحت الســلاح» . (٥٨)

ولكن المظاهرات التي كان يخشى محافظ ميلانو وقوعها لم تقع (٥٩) بينما حدثت في مناطق اخرى من ايطاليا . وفي يوم ١٤ ابريل ١٩١٢ قام بعض الجنود المسافرين الى الجبهة في محطة سكة حديد بترا سنتا (لوكا) بمظاهرة حادة (٦٠) وفي فيرشيللي حدث يوم ٨ مايو ١٩١٢ ان قام قرابة خمسين جنديا من دفعة ١٨٨٩ (الثالث والخمسون مشاة والخامس والعشــرون مدفعية) وقد تجمعوا ساعة خروجهم في الشارع الرئيسي بمظاهرة غير

---

(٥٨) A.C.S. المصدر المذكور, b. 45, f. III-II : عــداء العسكريــة .

(٥٩) المصدر المذكور ، انظر رسالة محافظ ميلانو الى وزارة الداخلية بتاريخ ١١ مايو ١٩١٢ .

(٦٠) المصدر المذكور ، رسالة محافظ لوكــا الى وزارة الداخلية بتاريخ ٤ مايو ١٩١٢ (... كان ثلاثة وخمسون جنديــا تابعيــن لالاي المشــاة الثــاني والعشريــن مسافــرين في عربة من عربــات الدرجة الثالثــة بالقطــار رقــم ١٦١١ القــادم من سبيسيا مــارا بمحطة بيتراسانتــا في الساعــة ١٩ من يوم ٤ ابريل المذكور متجهيــن الــى بيــزا بقيــادة المــلازم ثاني البــرتي ليواصلوا بعــد ذلك الســفر الى درنــة وخــلال توقف القطــار في هــذه المحطــة اخــذوا يصيحون بهتافات مختلفــة ربما بتاثيــر النبيــذ الــذي شربــوه واعتقــد احــد موظفــي المحطــة انهم كانــوا يهتفــون : «لتسقط الحكومــة» ، «انهم يرسلوننا الى المجــزرة» «لتحيا الفــوضى» وذلك دون التمكن من معرفــة مصدر هــذه الصيحــات من بين الجنــود» .

صاخبة منادين فيها « نطالب بالتسريح » وانضم الى المظاهرة « بعض المحنيين اكثرهم من الاولاد » (٦١) وعاد محافظ نوفارا بعد بضعة ايام الى الموضوع فافاد بان التحقيق الذي قامت به السلطات العسكرية « دل بوضوح ما لم تكن هناك براهين مخالفة ان الاحزاب المحلية المتطرفة لم يكن لها ضلع في تنظيم المظاهرة التي لم تكن متوقعة وقد قررها سرية وبحذر المستدعون انفسهم » (٦٢)

هذا ولم تكن الحوادث التالية منفردة : في يوم ٢ ابريل ١٩١٢ في موتالتشياني (نوفارا) رفض عشرة من الجنود خلال عمليات القرعة العسكرية وهم من دفعة ١٨٩٢ ان يخلعوا ملابسهم للفحص الطبي . (٦٣) اعتبر سبعة وثلاثون من مجندي دفعة ١٨٩٢ في بلدية ايستي (بادوا) متمردين لانهم لم يتقدموا الى مجلس القرعة في بادوا . (٦٤) وفي يوم ١٢ ابريل ١٩١٢ برافينا قامت سرية تتالف من قرابة ثمانين جنديا من دفعة ١٨٨٩ وجميعهم من اقليم رومانيا قاموا بمظاهرة احتجاج ضد الحرب خلال انتقالهم من ثكنة الى اخرى بالمدينة حيث يجري الاقتراع على المسافرين الى طرابلس . (٦٥) وقبل ذلك بيومين رفض ثلاثة عشر جنديا من دفعة ١٨٩٢ في جنزانو (روما) السفر . (٦٦) وفي الليلة الواقعة ما بين ٣٠ ابريل

---

(٦١) المصدر المذكور ، برقية محافظ نوفارا « زوكوليني » الى وزارة الداخلية بتاريخ ٩ مايو ١٩١٢ .

(٦٢) المصدر المذكور ، رسالة محافظ نوفارا الى وزارة الداخلية بتاريخ ٢١ مايو ١٩١٢

(٦٣) انظر رسائل محافظ نوفارا الى وزارة الداخلية بتاريخ ١٠ ابريل و ٨ يونيو ١٩١٢ (المصدر المذكور) .

(٦٤) انظر برقية محافظ بادوا الى وزارة الداخلية بتاريخ ١٩ ابريل ١٩١٢ ورسائل بتاريخ ٢٨ ابريل و ٣ مايو (المصدر المذكور) .

(٦٥) المصدر المذكور ، برقية محافظ رافينا « موكاشيتي » الى وزارة الداخلية بتاريخ ١٢ ابريل ١٩١٢ ورسالة بتاريخ ١٣ ابريل .

(٦٦) المصدر المذكور ، رسالة محافظ روما الى وزارة الداخلية بتاريخ ٨ مايو ١٩١٢ . وكان نادي للشباب الاشتراكي في جنزانو الذي اسمه اوتومتشيني وانجلو تشيبوني ولنشنفزو تامبوري كان هذا النادي يقوم بنشاط واسع في هذا الخصوص .

واول مايو ١٩١٢ اشعلت النار في مخازن العلف الخاصة بالالاي الثامن مشاة بفيرونا . (٦٧) ويبدو ان هذا العمل قد ارتكبه المستدعون القادمون من الخارج . واخيرا وفي يوم ١٢ سبتمبر ببلدية زيانــو (بياشنزا) :

« وفي الطريق العام قام بعض المجندين من دفعة ١٨٩٢ وكانوا هناك في اجازة ويستعدون للعودة الى المركز العسكري ببياشنـزا ... بمظاهرات وكان يساندهم ويؤيدهم الشباب المعادي للجندية المحلي ونادى المتظاهرون بسقوط الحرب والحكومة والعسكرية » (٦٨)

وحدث في سالرنو في ثكنة سان دومنيكو في الليلة الواقعة ما بين ٤ و ٥ يوليو ١٩١٢ ان اطلق الجندي انسلموانجوليتي التابع لالاي المشاة الثالث والستين المرابط في فيرونا (بيروجا) طلقة من بندقيته تحت ذقنه فخر صريعا في الحال « وذلك لانه ربما استبدت به فجاة حالة انهيار بسبب سفره في اليوم التالي الى ليبيـا » . (٦٩)

ولم تنعدم في الجبهة ايضا الاحتجاجات والحوادث . ففي رسالة لصحيفة « افانتــي » من طرابلس بتاريخ ٨ ابريل جاء فيها ان ستة عشر جنديــا قد قدموا الى المحكمة العسكرية لاعرابهم عن حقهم « في العودة الى منازلهم »

---

(٦٧) المصدر المذكور،برقية محافظ فيرونا الى وزارة الداخلية بتاريخ اول مايو ١٩١٢ . وتحدثت صحيفة « مومنتــو » بتاريخ ٩ اغسطس عن مؤامرة حقيقية ترمي الى تفجير مستودع البارود (انظر المقال « محاولة اجرامية ضد العسكرية بين المستدعين القادمين من الخارج) ولكن هذا الافتراض قد كذبته صحيفة « لاتريبيونا » بتاريخ ١٢ اغسطس ١٩١٢ (تكذيب محاولة ضد العسكرية مزعومة) .

(٦٨) المصدر المذكور ، رسالة محافظ بياشنـزا الى وزارة الداخلية في ١٨ سبتمبر ١٩١٢ .

(٦٩) A.C.S., Min. Int., DGPS, Pol. Giud., b. 349 « بملف الجرائم العسكرية » رسالة المدعي العام في نابولي الى وزارة الخارجية (بتاريخ ٨ يوليو ١٩١٢) . الامر لا يتعلق بحادث منفرد . لقد وقعت حوادث مؤلمة مثل حادث الجندي نوبيلي الذي القى نفسه في نهر التيبر بروما من شدة يأسه بسبب زوجته واولاده المرضى وبدون مورد ولكن تم انتشاله . والجندي فيتوريو موسكاتو الذي لم يستطع تلبية حاجيات اسرته فشرب زجاجة حبر . (فيما يتعلق بهذه الحوادث انظر باولو ماليتي المصدر المذكور ص ٥٤ ــ ٢٥٢) .

بعد ستة اشهر قضوها في الحرب والخنادق . وقد عبرت رسالة مجهولة بعث بها بعض الجنود المرابطين بدرنة الى الجنرال كابيلو عن شكواهم من جراء الاشاعات القائلة بان دفعة ١٨٨٩ التي ينتمون اليها قد تظل في الجبهة حتى نهاية الحرب . والرسالة في جوهرها لا تختلف عن غيرها من الرسائل المجهولة التي درسناها حتى الآن والتي تقدم لنا صورة اخرى عن التعب الذي كان يتغلغل بين الجنود . فقد كانوا يشكون بصورة خاصة من التعب والتضحيات « مؤكدين انهم شبعوا وملوا وسئموا من هذه الحياة الشائنة » والسبب في ذلك حتى هنا هو بعد العائلة (....) : « تأكدوا أن قلوبنا مغمورة بالالم فالحكومة لم تأخذنا من الطريق لان لدينا عائلات تركناها منذ زمن وهم يكتبون لنا غالبا قائلين انهم يعيشون في اشد أنواع البؤس ولا يجدون ما يمكنهم من الحياة » فالمشقة والتفكير في العائلة والامراض (« كل يوم يموت احد رفقائنا من جراء العمل الخطير الذي نقوم به ») كلها كانت تغذي التهديد « بالثورة » وتقلق بال الضباط الكبار . (٧٠)

وتصل الينا شهادات من هذا النوع من المصدر التركي ايضا . فقد كتب انور بك قائد الجيش التركي في ليبيا ثم وزير الحرب ورئيس أركان حرب الجيش في عام ١٩١٤ كتب في مذكراته عن الحرب الليبية بتاريخ ٣٠ مايو ١٩١٢ : « يصل في بعض الاحيان بعض الفارين الذين يتولون اشياء هامة عن الايطاليين . يفقد الايطاليون في كل يوم عشرين رجلا تقريبا بسبب « الدوسنطاريا » والمستشفيات مملوءة ومعنويات الجنود منهارة والجميع يريد السلام » . (٧١)

ان هذه الحوادث تدل بوضوح على ان الحرب لم تكن مقبولة بالمرة لدى جزء من الجنود كما لو أن دعاية القوميين وموافقة الجزء الاكبر من الراي

---

(٧٠) A.C.S., C.P., b. 1, f. I

(٧١) « انور باشا اوم تريبوليس » بقلم هوجو براكمان Enver Pacha um Tripolis « فيرلاج مونشن » Hugo Bruckman ، Verlag-Munchen ، ١٩١٨ — روجعت الترجمة الايطالية المحفوظة في A. MAI, pos. 104/1, f. 12

العام على العملية لم تؤثر فيهم . وعندما اعلن فيما بعد في خريف ١٩١٢ المرسوم بدعوة مواليد عامي ١٨٨٧ و ١٨٩٠ الى السلاح فقد حاول البعض الفرار الى الخارج للتخلص من التجنيد . ففي الاول من اكتوبر ١٩١٢ ابرق محافظ بورتوما وريشيوبيشي الى وزارة الداخلية يعلمها ان مامور شرطة فنتيميليا قد ابلغه ان « عساكر كثيرون » يتدفقون على الحدود من مواليد ١٨٨٧ و ١٨٩٠ « مزودين بجوازات سفر للخارج وذلك كما هو واضح بقصد التخلص من التجنيد . لقد اوقف ثلاثة وعشرون منهم واودعوا السجن المحلي . ويبدو أن آخرين كثيرين سيصلون كما صرح بذلك المقبوض عليهم وجميعهم تقريبا من بيسا وفلورنسا » (٧٢) . وبعد يومين من ذلك ابرق نفس المحافظ قائلا : « اعلم سعادتكم انه يتواصل وصول وايقاف المجندين من دفعتي ١٨٨٧ و ١٨٩٠ الذين يحاولون الهجرة » (٧٣)

وبالرغم من الراي المعاكس الذي عبرت عنه اكثر من مرة القيادات العسكرية فان الحكومة رات من المناسب بعد مرور ستة اشهر من الحرب ان تعجيد جزءا من القوات وترسل بدلهم . (٧٤) وقد شرع في أول أبريل في تسريح جنود دفعة عام ١٨٨٩ الموجودين في ليبيا وانتهى ذلك في يوم ١٨ مايو وفي ٢٠ يونيو استدعيت الفئة الثانية من دفعة عام ١٨٩١ وفي يوم

---

(٧٢) A.C.S., Min. Int. DGPS, Uff. ris., b. 29 f. 68- II

(٧٣) المصدر المذكور .

(٧٤) « كتب الجنرال فيتوريوتوروميي من درنة الى ياور الملك الجنرال بروساتي بتاريخ ٢٥ ابريل ١٩١٢ يقول : ان الامر السيء في هذا الوقت هي الازمة التي نجتازها بسبب تسريح جنود دفعة عام ١٨٨٨ ، واعتقد انه اول حادث في التاريخ العسكري ان يسرح جنود في حالة حرب وعدوهم على بعد ثلاثة عشر كيلومترا منهم بعد ان تعودوا على التعب والارض ليحل محلهم بعض الشبان (...) وهذا عمل كان في الامكان تجنبه . فاذا وضعنا جانبا ازالة التاثر من المستجدين وتعويدهم على الوسط والجو والعمل وحياة الميدان فانه يجب اعادة تكوين الوحدات واعادة تكوين الحربيين ودراسة ومعرفة القادمين حديثا » واشر بروساتي على ذلك بقلم ازرق : « ان كل الطريقة التي بدات وتدور بها الحرب لغريبة » .(f. VI.2.34, n° 55 A.C.S., A.B., sc. 9.)

٢٠ يوليو سرحت دفعة عام ١٨٨٩ . وقد اتخذت هذه القرارات امام ضرورة بدت غير قابلة للتاجيل بالرغم من تنام خطر ارباك العمليات الحربية . وبلغ الامر حتى بصحيفة « جورنالي ديطاليا » انها نشرت رسائل ومقالات لمواطنين يطالبون فيها بتسريح دفعة ١٨٩٠ (الفئة الاولى) . (٧٥)

وكثيرون ارادوا نسب الاستياء والضيق الذي كان يسود جزءا من الجنود بالجبهة الى عدم الحركة التي اجبروا عليها بسبب سياسة الجنرال كانيفا الانتظارية والتسويفية . « ان الكسل لا بد ان يحدث اثاره الضارة . كتب بارزيني الى البرتيني في نوفمبر — ديسمبر ١٩١١ — (....) ان بعض اشاعات الصلح التي غالبا ما تطلقها الصحف تجد بسهولة وسطا مستعدا لمناقشتها بسبب عدم الحركة الاجبارية » (٧٦) وفي يوم ٤ ابريل ١٩١٢ كتب الملازم بومبيو كامبيللو الى بروساتي ملاحظا بدوره ان الراحة اخذت تضغط بثقلها وان فترة الكسل الطويلة كانت تساعد على « ارتخاء في النظام » (٧٧) الذي كان محسوسا بين مجندي دفعة ١٨٨٨ بصورة خاصة . وقد وقعت حوادث في هذه الفترة بالذات خاصة بين جنود الاى المشاة الاربعين والاى البرساليري الحادي عشر . وبعد تسريح دفعة عام

---

(٧٥) هكذا كتب رئيس اركان الحرب الى الجنرال بروساتي في ٣١ اغسطس محاورا اولئك الذين كانوا يطالبون بتسريح الجنود الذين بالجبهة : « ان صحيفة جورنالي ديطاليا » تدعو الى هجومات وتقدم على طول الخط وتلوم القواد الذين لا « يتوغلون » ... ومع ذلك فهي ترحب بشكوى بل بشكاوي كثيرة من اشخاص يصرون على الاستدعاء (العودة) وحتى تسريح دفعة عام ١٨٩٠ . والنتيجة هي الاحتفاظ بالجيش في الوطن « والقيام بالحرب بدفعة واحدة » (المصدر المذكور رقم ٢٢٧) . وكانت صحيفة « جورنالي ديطاليا » قد كتبت بتاريخ ٢٥ اغسطس ١٩١٢ مقالا بعنوان « تبديل الوحدات المقاتلة في ليبيا » جاء فيه : « ان قلة الماء والشمس الحارقة التي لا يمكن اتقاؤها والف والف من الحرمان الذي تعانيه قوات الجنرال فاريوني فهي بقدر ما تمثل مفخرة هائلة فيجب ان تدفع قيادة الحملة الى مناسبة احلال غيرها محلها » .

(٧٦) لويجي البرتيني « رسائل » المصدر المذكور مجلد ١ ص ٥٥ .

(٧٧) A.C.S., A.B., sc. 9, f. VI.2.34, n° 44

١٨٨٨ لاح في الجو اضطراب جديد بين مجندي دفعة عام ١٨٨٩ الذين كانوا يأملون هم ايضا في التسريح .

« بعد اشهر من السكون — كتب لويجي البرتيني الى اندريا توري في ٣ مايو ١٩١٢ — لا تزال الكثير من الوحدات تعيش تحت الخيام مثل الاوقات الاولى عندما كان الحماس للعملية يعطي تلك الحياة غير المنتظمة والغريبة شيئا من الرومانتيكية المشوبة بشيء من المغامرة . غير ان تحويل وضع مابر بطبيعته الى شيء دائم يستنهزف المقاومة (...) وان نفس الحرمان الجسدي يحدث خللا في توازن النظام العصبي وهو من الاسباب الرئيسية التي تدفع بعدد ضخم من الناس الى الرغبة الملحة في العودة الى ايطاليا . وقد وقعت بالاضافة الى ذلك حوادث مؤسفة بسبب هذا الحرمان القضري اي ظهور حالات انحراف ما بين الجنود » . (٧٨)

وكتب البرتيني ايضا في ٧ مايو ١٩١٢ الى بارزيني ملاحظا ان « معنويات الجنود تنهار والانهيار يصل حتى الضباط » . (٧٩)

وهناك ظاهرة اخرى تدل على ضعف حالة الجنود النفسية بالجبهة وهي الاستعمال الخارق للعادة للاسلحة النارية حتى وان كانت لا ضرورة لذلك . فهذا الدليل الواضح على حالة عدم الامان والبرهان على ان حرب العصابات العربية التركية قد تركت اثرها غير القليل على معنويات المحاربين وعلى متانة نفسيتهم . وقد ذهبت عبثا التعليمات بخصوص اتباع خير وسيلة لمواجهة العدو ومن ضمن هذه التعليمات عدم التبذير في الذخيرة والعتاد

---

(٧٨) لويجي البرتيني ، المصدر المذكور مجلد ١ ص ١٠٨ — ١٠٧ . كتب الجنرال بريكولا في تقرير بتاريخ اول يونيو : « من اجل ايقاف انتشار الامراض النسائية الفظيع ومن اجل حماية الجنود والافراد (...) قد شيدت خصيصا اربعة منازل للبغاء . اثنان للجنود وواحد للضباط وواحد للوطنيين » (انظر باولومالتيستي المصدر المذكور ص ٢٥١) .

(٧٩) لويجي البرتيني ، المصدر المذكور مجلد ١ ص ١١٠ .

الحربي دون فائدة . وكتب الجنرال كابيللو بهذا الخصوص من درنة بتاريخ ٣٠ ابريل ١٩١٢ الى الجنرال راني ملاحظـــا :

(.....) يوجد هنا اسراف فوق العادة في اطلاق المدفعية ضد اي مجموعة من العرب ولو كانوا اثنين او ثلاثة سواء كانوا تحت المرمى او خارج المرمى تطلق عشرات الطلقات في الهواء او عدة بطاريات تطلق قذفاتها على اي ضوء يعتقد انه لاح في الليل مهما كان البعـــد (...)

وبصرف النظر عن هذا المشكل الكبير الناتج عن اسراف الذخيرة الذي يعتبر في الحرب الهجومية خطرا جدا فان هذا السلوك في اطلاق النـــار والغريب والمضاد لكل قاعدة حسنة يتسبب في اضرار اخرى مادية ومعنوية. فان العدو الذي كان يرهب المدفع ينتهي به الامر لكل قاعدة الى الضحك عليه لان نتائج القذف ضد تشكيلاتهم الصغيرة او القليلة الظهور لن تكون الا محدودة هذا من جهة ومن جهة اخرى فان المشاة بل الدوريات من المشاة لن تتجرا بعد على التحرك اذا لم تحميها نيران بطاريات كاملة » . (٨٠)

والجنرال ترومبي قائد منطقة درنة نفسه كان قاسيا في حكمه على ضباطه وقد افضى بشيء من ذلك الى الجنرال بروساتي برسالة مؤرخة في اول فبراير ١٩١٢ اذ قـــال :

« انهم (اي الضباط) بدون روح وبدون عزيمة وبدون معنويات عسكرية . انهم كهنة يجب ارسالهم لينشدوا الترتيلات الدينية مع الجوقة . لا يهمم الا القلق من الاخطار التي قد يواجهونها وقلة وسائل الراحة اللازمة (.....) وقد احلت الى المحكمة العسكرية التي تكونت هنا منذ يومين فقط ضابطين لمخالفتهما للبند ٩٢ من القانون الجنائي العسكري . وحتى في هذه الحالة تقوم العقبة المعتادة بحيث ان العقاب (الاعدام او السجن لمدة عامين) يؤثر

---

(٨٠) A.C.S., C.P., b. 1, f. 1

في القضاة وتتدخل الشفقة لتحل محل العدالة . لو كان هناك على الاقل الحكم بالتجريد من الرتبة » . (٨١)

وفي شهر سبتمبر عممت وزارة الحربية اجراء يقضي بالسماح بالعودة الى ايطاليا بالنسبة للضباط الذين لديهم اسباب خاصة . وحيا اغلب الضباط بالجبهة هذا الاجراء واستغلوه للعودة الى الوطن متسببين في خلق ازمة للوضع العسكري في ليبيا .

« ان ذلك كان عملا سيئا حقا ــ كتب الكولونيل ارتورو شيناديني الى الجنرال بروساتي في ١٩ سبتمبر ــ فرحمة بالوطن يجب ان لا نتحدث في ذلك . ولكن مما لا شك فيه أن الضباط الذين لم تكن لديهم اسباب صحية او عائلية خطيرة قد قابلوا اجراء الوزارة بحماس زائد ، واعطوا مظهرا غير بناء لمشاعرهم العسكرية . وقد خشينا لايام ان يكون لذلك صدى خطير بين الجنود وخاصة جنود دفعة ١٨٩٠ والذين يكونون ثلثي قوة الآلايات الاولى التي نزلت على الساحل الليبي » . (٨٢)

وهناك حكم آخر قاس عبر عنه الجنرال كابيلو في بعض مذكراته عن الحرب الليبية . لقد لاحظ ان هذه الحرب وجدت الجيش غير مستعد بسبب « فترة السلام الطويلة » و « الاهمال » الذي ترك فيه » ، ولاحظ ايضا انه كانت هناك « بطولات مشتركة وفردية » غير انه « كان هناك ايضا اغبياء »

« تراجع الاي لا اريد ان اذكره من قتال يوم ٢٧ (٨٧) ديسمبر وكان واقعا تحت تاثير قوي لرجة انه في الليلة التالية وقعت في المعسكر القريب من الفنار انذارات مزورة ومظاهر رعب مضحكة ودرامية ولقد اضطررت ان

---

(٨١) A.C.S., A.B., sc. 9, f. VI.2.34, n° 85

(٨٢) المصدر المذكور .

(٨٣) هذا القتال وقع في منطقة درنة قتل خلاله من بين الايطاليين ٤٢ وجرح ٧٦ .

اتدخل بالطبع وبصورة صارمة . (...) وهناك حوادث اخرى غريبة استطيع أن اذكرها ولكني امتنع لتحفظ طبيعي » . (٨٤)

وفي الخلاصة ومع مرور الاشهر اخذ الجميع ولو بقدر قليل يتراجعون في حكمهم الذي اصدروه في ايام الحرب الاولى من خلال الجو البطولي والوطني الذي خلق حول عملية طرابلس . فقد حيا الجميع سلوك الجنود الايطاليين بعبارات الاطراء والاعجاب العظيم . ومن بينهم كورادو زولي مراسل صحيفة « سيكولو » الذي اشار في الاشهر الاولى من الحرب بتصرف الجنود الايطاليين . وقد اعاد زولي فيما بعد النظر فيما قاله وذلك في عام ١٩١٣ عندما اعاد دراسة الحالة العسكرية بموضوعية اكثر . فقد كتب يوم ١٥ يوليو ١٩١٣ الى الجنرال بروساتي مقدما له اتهاما حقيقيا حول تصرف الجنود الايطاليين :

« (....) لقد ساهمنا جميعا كل بقدر — ربما كان ذلك عملا من اعمال الرحمة بالوطن — وذلك بخلق اسطورة خطيرة : وهي بطولة جنودنا . ولكن المسؤولين عن العمل العسكري في المستعمرة يجب اليوم أن لا يتركوننا ننخدع بالاساطير : بطولة جنود المشاة لا اعتقد ان هناك حاجة للحديث منها . الاسلحة الخاصة مثل الالبين (جنود جبال الالب) والمدفعية الجبلية مثلا قد قدموا انتاجا جيدا . اما المشاة والويل لي . اما المشاة فلم يظهروا الا بمظهر لا بأس به عندما كان يقودهم ضباط ممتازون فقط . وعندما يكون عنصر الضباط ايضا عاجزا (....) فسلوك المشاة يكون السبب الرئيسي في هزائمنا » .

ولا ينكر زولي وجود عوامل بيئية ومعنوية مزعجة كانت تؤثر في سلوك الجنود وذلك مثل « قسوة الجوء ووحشية العدو ومهارته الفائقة في استغلال طبيعة الارض واختفاؤهم فيها خلال القتال وكذلك طريقتهم القتالية المخيفة

---

(٨٤) A.C.S., C.P., b. 1, f. 1

وقيمة الحياة العظمى بالنسبة للمتمدنين مثلنا » كل هذا لم يفلح في تبرير بعض التصرفات ولا شيء كان يستطيع ازالة الانطباع « بأن بعض قواتنا في هذه الحرب لا يمكن الثقة فيها كثيرا » (٨٥)

ولعل جوفاني جوليتي قد ادرك اكثر من اي احد اخيرا واقع حالة الجيش الايطالي خلال الحرب الايطالية التركية . وكان رئيس الوزراء يتابع يوميا سير الحملة في ليبيا وكثيرا ما يحل محل القيادة العسكرية وذلك ربما بسبب قلقه من امكانية ردود فعل داخلية نتيجة لسير العمليات الحربية . فقد كان يعلم اذن تفاصيل سلوك الضباط والجنود . والفكرة التي كونها في ذلك العالم عن الحرب لم تكن ايجابية بالقدر الكافي اذ ان احد اسباب تمسكه بالحياد عام ١٩١٥ كان فعلا خشيته من ان الضباط والجنود الايطاليين لا يستطيعون مواجهة حرب صعبة مثل ما بدت عليه الحرب العالمية الاولى وذلك بناء على تجربته الليبية . وخلال احاديثه في تلك الايام المتشنجة من شهر مايو ١٩١٥ كانت ذكرى سلوك الجيش الايطالي خلال الحرب الليبية تظهر دائما في كلامه . وكان تردده يكمن قبل كل شيء في الجنود والضباط الكبار فقد تحدث مع مالاتودي يوم ٩ مايو (٨٦) كما تحدث في اليوم التالي

---

(٨٥) A.C.S., A.B., so. 10, f. VI.5.37, n° 362

(٨٦) « يظن جوليتي ان جيشنا قليل الاستعداد المعنوي على القتال . وشعبنا من سكان الارياف الذين من المفروض ان يكونوا العصب يفتقدون الى الباعث البسيط والغريزي للحرب كما يمكن ان يشعر به البدائيون مثل الفلاحين الروس ، الذين لم يكتسبوا بعد فكر وضمير المواطن مثل الالماني والفرنسي والانكليزي . ان تربية المواطن المدرك امر بطيء ، فهو يحتاج الى اجيال فالضباط النظاميون لا يقلون عن غيرهم شجاعة وهم ايضا مثقفون ومستعدون تقنيا وخاصة الشبان منهم بيد ان القواد لا يساوون شيئا ، لقد تخرجوا من الصفوف عندما كان ينخرط في الجيش ابناء العائلات الاغنياء الذين كانوا لا يعرف ماذا يفعل بهم . لقد سلموا قيادة جيش الى روبرتو بروساتي الذي بالكاد يستطيع ان يعود الآن . وقد استدعينا فروجوني من ليبيا لكثرة ما ارتكبه من حماقات . وزوكاري لم يكن سوى رجلا انيقا . والوحيد الذي يمكن الثقة به هو قانا » (اولنيدو مالاقوري ، المصدر المذكور ص ٩٥ ــ ٥٨) .

مع سلاندرا . وقد صرح جوليتي لهذا الاخير انه لا يريد الحرب لانه بالاضافة الى الاسباب الاقتصادية فان « الجنود يفرون كما فروا في ليبيا وقد اضطروه هو جوليتي على اختلاق اعمال بطولية وتزوير البرقيات » (٨٧)

ان ملاحظات ترومبي وكابيللو وزولي وجوليتي المدهشة في صرامة حكمها قد تكون متأثرة ببعض الغضب المحتمل بسبب خيبة الامل والمرارة من جراء سير العمليات الحربية بعد آمال الايام الاولى من الحرب ولا شك ان الصعوبات الاولى اثرت كثيرا في تصرف المقاتلين وهي دلالة لا يمكن التغاضي عنها وقد يكون من الممكن الافتراض ان الكثيرين كانوا يظنون وقت الانزال في الايام الاولى من اكتوبر ١٩١١ انهم ذاهبون لملاقاة مغامرة جميلة . وقد انتشر هذا الشعور خاصة بين الاطارات العالية اذ ان ضباطا كثيرين تقدموا حقا بطلباتهم للانضمام الى الحملة (٨٨) . وعندما تبدلت تلك التي كانت تبدو مغامرة سارة الى حرب حقيقية وقاسية تغيرت بالتالي حالتهم النفسية . فتجاه التضحيات والصعوبات والاخطار بالاضافة الى خطر الكوليرا الذي اصاب الحملة بعد قليل من انزالها الى ليبيا وداء الدوسنطاريا وغيرها من الامراض التي تسببت في عدد كبير من الضحايا ، فان الحماس الاول تلاشى وحلت محله الرغبة في وضع حد للحرب في اقترب وقت والعودة الى الاهل . وقد تضاءل حتى تلاشى بين اولئك الذين يفهمون ويدركون لغة معينة ذكرى نسور روما التمدنية التي بعثتها الدعاية القومية وقد فهم ان استعمار اراضي اغلبها صحراوية سيكون امرا صعبا

---

(٨٧) فرديناندو مارتيني Ferdinando Martini ـ مذكرات ١٩١٨ ـ ١٩١٤ . صدر باشراف غابريلي دي روزا ، ميلانو ١٩٦٦ ص ٤١٣ .

(٨٨) انظر اوتوبروماني ـ « مذكرات تتعلق بالحرب الايطالية ـ التركية » المذكور كتب الجنرال لويجي كادورنا من باريس يوم ٤ اكتوبر ١٩١١ الى ابنه روفائيل قائلا : اعتقد انها ستكون حملة مضحكة وستتلخص في عملية الاستيلاء او اكثر من ذلك بقليل » (لويجي كادورنا L. Cadorna « رسائل عائلية » ميلانو ١٩٦٧ ص ٨٢) .

وبطيئا . (٨٩) وبالنسبة للآخرين وكلهم من الجنود واغلبهم اميون فبان المشقة واخطار الحرب والاكراه على الاقامة في ارض غير مضيافة والتفكير في الاسرة البعيدة التعبة لقلة السواعد كل هذا كان يغذي الاستياء والاحساس بالاسى والتعب .

ويمكن الاضافة انه على كل حال وبخلاف ما حدث في الحرب العالمية (خاصة في الفترة الاولى من قيادة كادورنا) فان السلطات العسكرية ادركت في اغلب الحالات مصدر استياء الجنود وحاولت داخل حدود ضيقة ان تلبي طلباتهم المشروعة . لقد نظر — على كل حال — الى الجندي كانسان له مطالبه وله حدوده . ويكفي ان نذكر التبديل الذي حدث في منتصف عام ١٩١٢ ما بين مختلف دفعات المجندين والتساهل في الاحكام في بعض الجرائم وان ضرورة عدم اثارة النفوس اكثر من اللازم كانت بالطبع اساس هذا الموقف .

وان احالة اوقسطو ماسيتي الى المحكمة المدنية بدلا من المحكمة العسكرية لتجنب الحكم عليه بالاعدام بكل تاكيد لهو الادلة الواضحة على هذا الاتجاه ويجب ان نضيف هنا ان في كل ذلك لعبت الحساسية وحكمة جوليتي دورا كبيرا وهو المتنبه دوما لاتقطاب مزاج واتجاهات الجماهير . (٩٠)

---

(٨٩) هكذا وصف الجنرال ترومبي منطقة درنة في رسالة الى بروساتي بتاريخ ٢٣ ديسمبر ١٩١١ : « انني في بلد بدون موارد فيه سكان قليلون (...) والجو هنا سيء لا من حيث صحيته بل بسبب الرياح والمطر والبرد »
(A.C.S., A.B., f. VI.2.34, sc. 9, n° 16).

(٩٠) انظر ص ٢٠٤ حاشية رقم ١ .

اوروبا تجاه الحرب الليبية

النمسا وهجوم بريفيا — رد الفعل التركي للحرب — مهمة تيودولي — مرسوم السيادة ورد الفعل الاوروبي — تصلب النمسا ومذكرات كونراد — سياسة مرشال الموالية لتركيا — بريطانيا وفرنسا وعدم محاولة ايجاد تفاهم في البحر الابيض المتوسط — روسيا ووساطة سازونوف — حادث قرطاج ومنوبة وسياسة فرنسا الجديدة — ضآلة فائدة وساطة الدول الكبيرة .

□◆□

بينما كان دوق الابروتسي مساعد اميرال مفتش للنسافات المخصصة للعمل في اسفل بحر الادرياتيك وبحر يونيو يجوب بوحداته في نفس يوم اعلان الحرب المياه التي تطل عليها ميناء بزنفيا على الساحل الادرياتيكي التركي اذ القت مرساها نسفتان عثمانيتان فهاجمت السفن الايطالية السفينتين التركيتين واصابتهما واغرقتهما . هذا من جهة ومن جهة اخرى بينما كان القبطان بيسكاريتي يمر امام الشاطىء رأى بعض السفن النمساوية المشتبه فيها ورد على النيران الموجهة ضد سفنه باطلاق مدافعه على سان جواني مدوا . (١) هذا الحادث وهو طبيعي في وقت الحرب دل

(١) انظر لويجي البرتيني « عشرون عاما من الحياة السياسية » المذكورة مجلد ١ قسم ١١ ص ١٣٤ . باولو ماتييي المصدر المذكور ص ٦ — ١٠٣ وخاصة جوفاني رونكاني Giovanni Roncagli « الحرب الايطالية التركية (١٩١٢ — ١٩١١ » تاريخ ووقائع العمليات البحرية » مجلد ١ روما ١٩١٨ ، ص ١٣٠ — ٨١ .

في الحال على مدى الصعوبات والمضايقات التي قد تتعرض لها ايطاليا وبصورة خاصة من قبل النمسا .

وكانت نية جوليتي ودي سان جوليانو كما ابلغاها للملك يوم ٢٤ سبتمبر (٢) هي تحمير الاسطول التركي حيثما كان بحيث تضطر تركيا الى التسليم قبل الحملة . غير ان موقف النمسا الصلب قد جعل من المستحيل تنفيذ هذا التكتيك . وقد غضب اهرنتال كثيرا لمبادرة البحرية الايطالية المذكورة خشية ان تكرار مثل هذه العمليات بالقرب من البحر الادرياتيكي قد يتسبب في « عواقب خطيرة » (٣)

وقد اهتزت الحكومة الايطالية وقلقت . وعندما اعلم جوليتي الملك ابلغه انه من اجل ازالة اية صعوبة فقد اصدر وزير البحرية امرا « بتجنب اية عمليات ضد بريفيا والموانى التركية الاخرى الواقعة على الادرياتيك وبحر يونيو وذلك بصورة مطلقة » (٤) وقد دلت فيما بعد لهجة البرقيات التي بعث بها جوليتي الى دي سان جوليانو والى ليوناردي كاتوليكا بخصوص عملية بسكاريتي ، على ان رئيس مجلس الوزراء كان يخشى من موقف النمسا الثابت . وبلغ الامر بهذا الخصوص الى صدام حقيقي ما بين جوليتي ووزير بحريته (٥)

---

(٢) انظر ص ١٣٧ .

(٣) O.U.A., III, n° 2708 p. 392 من اهرنتال الى ابيروزى بتاريخ ٤ اكتوبر ١٩١١ فقد كتب جوليتي في مذكراته : « اهرنتال قال لسفيرنا دافارنا يوم اول اكتوبر ان هذه العمليات تتعارض بصورة صارخة مع تعهداتنا في حصر القتال في البحر الابيض المتوسط وانه لا يمكن السماح باستمرار العمليات في بحر الادرياتيك وبحر يونيو ويجب وضع حد لذلك والا فقد تقع احداث وعواقب خطيرة وقد يكون مضطرا ان يخاطبنا بلهجة مختلفة » . (جوفاني جوليتي المصدر المذكور ص ٢٤٠) .

(٤) « من اوراق جوليتي » المذكور مجلد ١١١ ص ٦٤ .

(٥) ابرق دى سان جوليانو يوم ٦ اكتوبر الى جوليتي الذي كان موجودا بتوريلو قائلا : « بسكاريتي واصل عملياته في الادرياتيك التي قد تتسبب في خطر كبير . ابرقت الى اقانا وبانسا مفترضا انه لم تصله اوامر جديدة . تحصلت من ليوناردي على وعد انه في

واجتهد دي سان جوليانو في أن يبرر للدول الكبيرة الاسباب التي دفعت البحرية الايطالية الى الهجوم على بريفيا . فبموجب برقية له بتاريخ ٢١ اكتوبر ١٩١١ دعا سفراء ايطاليا في لندن وباريس وبرليــن وبطرسبورغ وفيانا الى افهام الحكومــات الاوروبية ان بريفيا كانت قاعــدة عمليــات خطيرة ضد ايطاليا حيث ان تركيا تحتفظ فيها بعدد من النسافات الممتازة والسريعة جدا « وان تدمير هذه القاعدة كان يعتبر بالنسبة لايطاليا « احدى العمليات التمهيدية لحملة طرابلس » بل و « شرطا اساسيا » (٦) وفي نفس اليوم دعا وزير الخارجية السفير بانسا الى الضغط على الحكومة الالمانية لتبذل مساعيها الطيبة لدى اهرنتال لاقناعه بوجاهة الاسباب الايطالية الواضحة (٧) .

ولكن اهرنتال كما كان يبدو لم يرد أن يستمع الى اي سبب . ففي يوم ٩ أكتوبر كرر وزير الخارجية النمساوي الى السفير افارنا الذي عاود الكرة لتوضيح وتبرير العمليات الايطالية بانه لا يمكنه ان يقبل فكرة الضرورة بالنسبة لايطاليا في « الاحتفاظ بكامل الحرية عسكريا لتحطيم المقاومــة التركية وانهاء الحرب في اقرب وقت » (٨) ، بالنظر الى ان ايطاليا نفسها صرحت بارادتها في تجنب عمليات عسكرية في الادرياتيك وبحر يونيو .

هذه الليلة ذاتها سيبعث اليه باوامر قاطعة . » ويبعث جوليتي من تورينــو الى ليوناردى كاتوليكا بما لي : يجب ان يصدر امر رسمي الى بسكاريتي بالامتناع من اية عملية . ولذا لم يطع الاوامر بصورة مطلقــة يجب استدعاؤه في الحال الى رومــا لانه من المؤسف ان الغرور الشخصي يضر بمصالح الدولة الحيوية » . وفي ٦ اكتوبر بعث جوليتي ايضا الى ليوناردى كاتوليكا ما يلي : استلمت معلومات لاحقة بخصوص عمليات بسكاريتي . لنــه لعمل مشين ضد الاوامر الرسمية يجب في الحال تجريده من اية قيادة . انتظر تأكيــدا بتنفيذ هذا . وبنفس التاريخ بعث جـولبتي الى دى سان جوليانــو : « اذا كان وزيــر البحرية عاجزا من ايقاف العمليات ضد الموانى الاوروبية سأقترح على الملك ان يتصرف »

(٦) AS. MAE, Segr. gen., pa. 42, pos. 17 b, f. 842

(٧) المصدر المذكــور .

(٨) O.U.A., III, n° 2738 p. 420 برقية اهرنتال الى سفارتي روما وبرلين بتاريخ ١٠ اكتوبــر ١٩١١ .

وفي موقف ايطاليا هذا الرامي الى اطفاء جدة العداء النمساوي وارضاء الحليفة كان يتضمن ايضا الرغبة في عدم مواجهة موقف صلب للنمسا قد يضر بمستقبل الحرب والخشية — كما لاحظ جوليتي نفسه من أن ايطاليا قد تقع في لعبة النمسا وتدفعها الى احتمال احتلال دوراتو الامر الذي قد يفتح مجاة ازمة بلقانية (٩) .

غير أن هناك امرا اكيدا : ان موقف النمسا كان يشجع المقاومة التركية ويشعر الحكومة العثمانية بان الى جانبها حليفا قويا مما يجعلها تتشدد في موقفها . وفي تلك الايام بالذات قرر النواب الاتراك اعضاء لجنة « الاتحاد والترقي » خلال اجتماع خاص « بمنح الثقة الى سعيد باشا (وزير الحربية) بشرط ان يسير الحرب ضد ايطاليا بدون هوادة » (١٠)

---

(٩) جوفاني جوليتي ، المصدر المذكور ص ٢٥٠ .

(١٠) هكذا قال احد المخبرين من اسطمبول الى المفوضية الايطالية بصوفيا :
رسالة بوسداري الى دي سان A.S. MAE, Segr. gen., pa. 42, pos. 17 c. f. 643 جوليانو بتاريخ ٢١ اكتوبر ١٩١١ . بخصوص الحالة في تركيا يجب التذكير بان رعاية المصالح والمواطنين الايطاليين بتركيا اسندت الى السفير الالماني باسطمبول البارون مارشال بينما ظل قاربانو بتركيا كمراسل لوزير الخارجية الايطالية وهو احد موظفي السفارة يتمتع بالحصانة الديبلوماسية ولكنه لا يستطيع ان يظهر بين الجماهير (انظر البرتو تيودولي المصدر المذكور ص ٥٩) .
لم تقع اعمال عدائية ضد الايطاليين في تركيا سوى حوادث قليلة الوزن . فسواء الحكومة التركية التي بعد اعلان الحرب لم تطلب طرد الايطاليين وسواء الشعب قد حافظ على تصرف سليم بصورة عامة . فقد كانت قليلة الحوادث المعادية لايطاليا ووقع اكبرها يوم ٣٠ سبتمبر في سالونيك حيث صادر رجلان من الشرطة بريد الاطاليين . ودخلت في نفس اليوم مجموعة من الاتراك الى بعض المدن الايطالية واحرقوا اعلامها وذهبوا الى المدرسة الايطالية فحطموا الشعار الايطالي ومزقوا العلم . وكان على راس الجمهور متصرف الشرطة اديب بك وبعض رجال الشرطة بملابسهم الرسمية وفي الساعة التاسعة من مساء نفس اليوم اقتحم مسكن ومكتب القنصل الايطالي . واعيدت الامور الى نصابها بفضل تدخل القنصل الالماني . (انظر A.S. MAE, Segr. gen., pa. 42, pos. 17 b, f. 642) رسالة الى دي سان جوليانو بتاريخ ٦ اكتوبر ١٩١١ ، انظر ايضا برقية تيتوني الى دى سان جوليانو في ٦ اكتوبر الذي ينقل اليه فيها ما بلغه من موسى ناوهروا ايطالي قادم من سالونيك وطلب دى سان جوليانو هذه البرقية بما يلي : (الى مكتب المطبوعات يجب ان يعرف هذا في الخارج) . ووقع حادث آخر قليل الاهمية وذلك يوم ٢ اكتوبر باسطمبول حيث

لقد غدا موقف ايطاليا الآن اكثر صعوبة . لم يعد الامر يتعلق بالاستيلاء على الاراضي الافريقية بالموافقة الضمنية للدول الكبيرة كما كان مؤمـلا . فالامر يتعلق بالقيام بحرب صعبة شائكة كثيرة المحدودية من جهة وببذل نشاط ديبلوماسي غير سهل من جهة اخـرى .

وغداة انفجار الحرب بذلت الدول الكبرى الخمس جميعهـا مساعيهـا الطيبة لحل المشكلة الليبية . وبالاضافة الى الطرق الديبلوماسية العاديـة كانت هناك شبه محاولة من تركيا مباشرة عن طريق البرتو تيودولي الذي يبدو غريبا أن جوليتي لا يذكره في مذكراته (١١) . وتيودولي هذا من نبلاء روما وهو مندوب ايطاليا لدى صندوق الدين العام العثماني منذ عام ١٩٠٥ وهو مرتبط ببنك روما وبالنشاطات الايطالية في الامبراطوريـة العثمانية ولذلك فهو يعرف جيدا الرجال والاوساط التركية . ففي يوم ٣ أكتوبر زار تيودولي في مكتبه نائب تركي من اسطنبول وهو اسرائيلي من سالونيك يدعى كاراسوا ، وكان بصحبة المهندس الايطالي تيناري القائم ببناء الكنيسة

جرت محاولة لاغلاق بنك روما وقد تلافى مرشال الامر (المصدر المذكور رسالة فارياسو الى سان جوليانو في ٤ اكتوبر ١٩١١) .وقد تمكن البنك من مواصلة اعماله بعد ان غطى بالطته حتى ٢ يناير ١٩١٢ عندما تقرر اغلاقه . وعند اندلاع القتال لوحظـت بـوادر قلق في مختلف انحاء الامبراطورية العثمانية وخاصة في البلقان . وقد كتب القنصل مانشينيللي سكوتي من شكودرة بتاريخ ٣٠ سبتمبر الى دي سان جوليانو يعلمـه ان السكان الالبان وهـم مسلحـون تسلحـا كامـلا مستعـدون للثـورة للتخلص من الحكـم التـركي
(A.S. MAE, Segr. gen., ps. 42, pos. 17 a f. 641)
وفي كريت احدث نبا الحرب « في البلاد هزة كبيرة واشعلت من جـديد وبصورة عجالية الامال في حل قريب مناسب للمشكلة الكريتية » (المصدر المذكور وحاولت الحكومةالايطالية بالوسائل التي تحت تصرفها ان تهدىء المياه وان تحول دون وقـوع حـركات قد تخلق اوضاعا تؤثر سلبيا في عملها الاستعماري بالاضافة الى خطر تدخل دول اخرى مما قـد يتسبب في حدوث ظواهر لا يمكن السيطرة عليها بسهولـة . وبسبب هذا القلـق رفضت المساعدات للالبان من اجل القيام باضطرابات او ثورة كما دعى ملك الجبل الاسود « بان يمتنع عن اي عمل يعكر الحالة في البلقان » وفقا لما ذكر جوليتي الذي اضاف : « رأيت بصورة خاصة من المناسب تجنب وقوع احداث في الادرياتيك علما بان في فيينا حزب قد يحاول الاستفادة من ذلك » (جوفاني جوليتي ـ المصدر المذكور ص ٢٣٩) .

(١١) ـ البرتو تيودولي ـ المصدر المذكور ص ٥٩ .

الكاثوليكية في بيرا . وقد قام الاثنان باسم وزير الداخلية بدعوة تيودولي « الى السفر حالا الى روما بقصد تجنب وقوع عمليات حربيـــة بين تركيا وايطاليا » وبعد مقابلة مع الوزير الاكبر ومع وزير الحربية التركي سافـــر تيودولي الى روما يحمل معه مقترحات السلم التاليـــة :

« اقتراح بالاحتفاظ بسيادة السلطان الذي يمنح بدوره الى ملك ايطاليا تفويضـا باحتلال وادارة ليبيـــا .

تدفع ايطاليا عشـرة ملايين ليرة تركية بصفة تعويض الى الدين العام العثماني واحتكار التبغ .

معاهدة صداقة بين ايطاليا وتركيا (١٢) .

فابحر تيودولي في سرية كاملة على باخرة رومانية وتوقف اولا في فيانا حيث اعتبر السفير افارنا مهمته « مهمة جدا » . ثم وصل روما بعد ثلاثة أيام من سفره فوجد الوسـط « متهيجا بالحماس » وادرك تيودولي في الحال أن المقترحات التركية قد لا تجد قبولا حسنا . وبالفعل فان جوليتي أبلغ تيودولي عن طريق مركاتيللي أن الحكومة ترفض ان تأخذ بعين الاعتبار المقترحات التركية لاسباب ثلاثـــة :

١) لا تقبل ايطاليا ان تترك ليبيا تحت سيادة السلطـــان .

٢) يجب اعلان الضم الايطالي دون تهرب .

٣) لا شك في ان ايطاليا بفعل سفنها القوية و ٢٠ الف جندي بقيادة كانيفا تستطيع أن تتغلب بسهولة في وقت قصير على بضعة كتائب تركية مسلحة بمدافع قديمـــة (١٣) .

كان تيودولي متفهما لعقلية الاتراك وعالما بان تركيا لن تتخلى بسهولة لايطاليا كي تبسط سيادتها على تلك الاراضي والسكان بما « يتناقض والتقاليد

---

(١٢) المصدر المذكـور ص ٦٠ .

(١٣) المصدر المذكور ص ٦٢ .

الاسلامية » وأن ما وجده في ايطاليا من مواقف متطرسة في أوساط كثيرة ترك فيه انطباعا بالطيش في تلك الفترة الصعبة بالذات (١٤) .

« كنت ميالا ايضا ــ كتب تيودولي ــ الى الاعتراف بان خيبة الامل التي قاستها ايطاليا ووجود العقلية النيابية المسيطرة وقد ابعدتها عن اية فكرة احتلالية سنوات كثيرة قد تشعر بالعكس وبصورة غريزية بالطموح المتلهف لتواجه بالسلاح تجربة هامة تعطيها الفرصة لتقيس قواتها الناهضة وان تضطر الحكومة الى تأييد حركة الامة الغريزية هذه بادراك . فهي اذن الحرب حقا وكان يجب تقييم حجمها كله وجميع عواقبها . وبعد أن تقرر رفض الاقتراحات التركية كنت انتظر أن تزن (الحكومة) خطورة عمل مثل ضم ليبيا وهو يعرض شرفنا العسكري وسمعتنا كاملة في العالم . ولكني بالعكس سمعت الكلام يدور باستخفاف عن حرب قصيرة الاجل وبدون صعوبة حسب حساب جميع العوامل التي قد تؤثر كما اثرت فعلا على سير العمليات . » (١٥)

وكانت عودة تيودولي الى تركيا عاصفة تقريبا . فقد انهال عليه اجاز باشا بهذه الكلمات : (لغة فرنسية) « لم أكن اعرف انك انت ايضا ضمن عصابة قطاع الطرق العقلية هذه التي استولت على الكونسولتا (اسم مقر وزارة الخارجية) . (١٦) ومرشال بدوره وقد غضب لعدم احاطته علما بهذه

---

(١٤) ــ « وجدت بروما فوضى واهمالا في تصريف الامور المتعلقة بالحرب ــ كتب تيودولي ــ وكذلك وجدت استخفافا في استعمال اشخاص في ليبيا اعتدونا مطلق الشائخ اصدقائنا، هذا اذا لم يبلغ بهم الطيش درجة توريطهم . واعتقدت انه كان من الضروري ان تكون الحملة اقوى من التي ارسلت ، خاصة ان مائة مليون ليرة التي يتحدثون عنها كنفقات محتملة سوف يتجاوزونها بكثير حيث انهم سيواجهون حملة طويلة في اراضي معدومة من اية موارد للرجال والحيوانات ولاحظت ايضا بالم دلائل عدم الرؤيا التي اذا ضمت الى حوادث اخرى ذات اهمية اقل علمت بها خلال الفترة القصيرة للاعداد فقد اعطتني الانطباع بانهم يلقون بانفسهم في هذه التجربة دون تبصر ودون اعداد للوسائل المناسبة . ولاحظت ايضا عدم وجود تنسيق وتعاون بين مختلف الوزارات وهو امر مزري » (المصدر المذكور ص ٦٤) .

(١٥) المصدر المذكور ص ٦٣ .

(١٦) المصدر المذكور ص ٦٧ .

المبادرة وتجاوزه قد صرح بان « وجود تيودولي » « غير مرغوب » فيه بتركيا وارغمه على السفر تــوا .

اما الكونسولتا فلم تعطي اي وزن على ما يبــدو لمقترحات تيودولــي .

غير انه فيما بعد اقتنعت حكومة روما انه لا بد من التفاوض المباشر مــع الاتراك من اجل ايجاد حل للحرب . وكان دي ســان جوليانو في تلك الايام مشـغولا بدراســـة اقتراحات اخرى ، وهي الاقتراحات الصادرة عن حكومات اوروبية من فيانا وبرليـــن .

وقد صرحت المانيا منذ اول اكتوبر بانها مستعدة للعمل من اجل الوصول الى حلول سلمية وان « تقوم في الوقت المناسب بدور الوسيطة » (١٧) . وفي اليوم الثالث من اكتوبر افاد امرنتال بان الحكومة التركيــة مستعــدة للتفاوض (١٨) . وفي نفس اليوم اقترح جاكوف ايجاد حلول سلمية . وكان رد جوليتي ودي سان جولينو هو انه بالنسبة لايطاليـــا من الضروري « القيام بالاحتلال اولا ثم التفاوض فيما بعد » (١٩) . وقام جاكوف في خطوة لاحقة بعرض بعض المقترحات التركية على الكونسولتا . ووفقا لتصريحات السفير الالماني فان الباب العالي « تلبية منه للرغبــة الصادقة في المحافظة على السلام » كان : « مستعدا لتقديم قاعدة جديدة تسمح بفتح المفاوضات اقتناعا بانه قد حان وقت القيام بوساطة فعالة « وهذه القاعدة هي دراسة مشتركة لمصالح ايطاليا والالتزام بالاعتراف بها بموجب اتفاق مادامت الطلبات الايطالية تعتبر مطابقة للوضــع مع التحفظ المعلن بالبقاء على حقوق السيادة التركية » (٢٠) .

---

(١٧) ــ راجع A.S. MAE, Segr. gen. pa. 42, pos. 17 b, f. 642

(١٨) ــ راجع جوفاني جوليتي المصدر المذكــور ص ٢٤٠ .

(١٩) ــ A.C.S., C.G., b. 16, f. 28

(٢٠) ــ A.S. MAE المصدر المذكور برقية دي ســان جوليانو الى سفارات برلين ولندن وباريس وبطرسبورغ وفيانا بتاريخ ٩ اكتوبر ١٩١١ .

ورفض دي سان جوليانو الاقتراح باعتباره « حيلة تركية » لا « يمكن اخذها ماخذ الجد » (٢١) .

ولم تكن الحكومة الايطالية تنوي الآن التنازل أمام الاتراك . فبالنسبة لسان جوليانو فان الحل الوحيد كان هو « بسط السيادة الايطالية الواضحة والكاملة على طرابلس وبرقة » انه ليس لمصلحة ايطاليا فحسب بل ومن مصلحة أوروبا وتركيا نفسها ايجاد حل نهائي لمشكلة طرابلس بحيث لا تظل في المستقبل سببا في صراعات « ايطاليا ـ تركيا تؤدي الى تعقيدات دولية» (٢٢) . وفي الخلاصة كان لا يجب أن تترك اسباب لصراعات مستقبلة وانه من الواجب تجنيب الديبلوماسية الاوروبية مشاغل جديدة . وكان دي سان جوليانو يضيف الى كل هذه الاعتبارات ذات الصبغة الدولية اعتبارا آخر « ذا صبغة داخلية خطيرة » . لقد كان وزير الخارجية مقتنعا بان « الاغلبية الساحقة في الامة الايطالية » لم تكن « مستعدة للسماح ببقاء السيادة الاسمية للسلطان » (٢٣) . وكان يبدو اقتناعه هذا واضحا في البرقيات المرسلة الى الممثلين الايطاليين في الخارج وكان ذلك احد الاسباب

---

(٢١) المصدر المذكور . كانت هناك مبادرات وساطة قامت بها لندن وباريس . ففي يوم ٧ اكتوبر ابرق امبريالي الى دي سان جوليانو : « من المحتمل حدوث عملية وساطة بريطانية لصالح السلام . ويجب ان نعد خطة سلوكنا ازاء هذا الاحتمال كي لا تاخذنا الاحداث على غرة . لا شك ان احتلالنا لطرابلس يكون القاعدة لاية محاولة (A.C.S., C.G., b. 14, f. 17/4). وقد ابرق تيتوني يوم ٨ اكتوبر بما يلي : « دي سلفس وباربر متمسكان بانه في حالة وجود وساطة يجب ان لا تبقى فرنسا غريبة منها . (...) وقد ضغطت الهيئات المالية الكبرى على فرنسا في هذا الصدد . قلت لباربر انه كان من العبث التحدث عن وساطة ما دامت تركيا لم تصرح بنيتها بانها تريد الاعتراف باحتلال ايطاليا لطرابلس » (المصدر المذكور) .

(٢٢) ـ المصدر المذكور A.S. MAE برقية دي سان جوليانو الى برلين ولندن ومدريد وباريس بطرسبرغ وفيانا ووشنطون بتاريخ ١٠ اكتوبر ١٩١١ . وقد طلب دي سان جوليانو من السفراء في نفس البرقية أن « ينبهوا » مختلف الحكومات « والصحافة والراي العام بدعاية مستترة توضح الاخطار والاضرار الناجمة من حل يختلف من بسط للسيادة الايطالية الكاملة والواضحة على طرابلس و برقة » .

(٢٣) ـ المصدر المذكور .

الاكثر تكرارا في رفض مقترحات التسوية المخالفة للفكرة الايطالية . وقد برزت ايضا في ايام اكتوبر تلك امكانية الوصول الى حل عن طريق الاعتراف بحرية العلاقات الدينية والروحية ما بين السلطان بوصفه خليفة المسلمين والمؤمنين المقيمين في طرابلس وبرقة . وقد تحدث دي سان جوليانو الى حاكوف في هذا الصدد يوم ١٣ اكتوبر (٢٤) وارسلت لهذا الغرض مذكرة الى برلين . (٢٥) ولكن المبادرة التي نبشت بعد عام وذلك خلال مفاوضات السلام قد سقطت بسبب رفضها في اسطمبول لعدم قبولهم التنازل عن السيادة من جهة وبسبب عدم وجود قناعة كبيرة لدى الايطاليين خشية ان التنازل عن اقل سيادة للسلطان قد يؤثر في النفوذ الايطالي امام العرب وخوفا من ان تعود للتغلب من جديد :

« اسطورة ضعفنا وان العرب سيشعرون اذا ما ساعدونا بانهم ثائرون على ملكهم الذي يعتبر في نظرهم السلطان لا ملك ايطاليا . وقد يعتبرون ايطاليا ليست بصاحبة الارض وقد يخشون ان تحل بهم نقمة الاتراك اذا ما تركتهم ايطاليا بين لحظة واخرى » (٢٦) .

وقد كانت النمسا والمانيا بصورة خاصة وفي الايام الاولى من الحرب تضغطان من اجل وضع حد للصراع في اسرع وقت .

« اذا ايطاليا الحت في الاحتلال المجرد ــ لاحظ مارشال في حديث له

---

(٢٤) ــ المصدر المذكور A.S. MAE برقية دي سان جوليانو الى بانسا بتاريخ ١٣ اكتوبر ١٩١١ . جاكوف « اصر بشدة على ضرورة اقتبلس حل بالنظر الى الحالة الداخلية في تركيا والى العداء المتزايد في الراي العام الاوروبي »

(٢٥) ــ كانت اهم الشروط للتفاوض من اجل السلام بالنسبة لايطاليا ما يلي : « ا) التنازل لايطاليا عن كامل السيادة على طرابلس و برقة . (...) ب) الاعتراف بسلطة السلطان الدينية بمثل ما تتضمنه نصوص البند الرابع من البروتوكول التركي ــ النمساوي » المؤرخ في ٢٦ فبراير ١٩٠٩ بخصوص ضم البوسنة والهرزوقوفينا الى النمسا . وقد اشير ايضا الى امتيازات اقتصادية من قبل ايطاليا A.C.S.,C.G., b. 17, f. 3 برقية بانسا الى دي سان جوليانو بتاريخ ٢١ اكتوبر ١٩١١ . راجع ايضا جوفاني جوليتي المصدر المذكور ص ٢٤١)

(٢٦) ــ A.S. MAE المصدر المذكور برقية من دي سان جوليانو الى السفارات الايطالية في باريس وبرلين ولندن وبطرسبورغ بتاريخ ١٩ اكتوبر ١٩١١ .

مع قارباسو في تيرابيا ــ فلن توجد حكومة عثمانية تقبل بهذا وسيؤدي ذلك الى عواقب خطيرة جدا (...) واذا ما استمرت الحرب حتى الربيع فقد تشتعل النار في البلقان وان (...) النمسا تبدو فعلا غير مرتاحة لذلك » (٢٧)

وبتاريخ ٢٥ اكتوبر الحت برلين على السفارة الايطالية عن طريق وكيل الخارجية زميرمان ناصحة « بالتساهل » مع تركيا ومؤكدة أن المانيا لــو الحت على الباب العالي لارغامه على التنازل فان الحكومــة البريطانيــة « سرعان ما تستغل الوضع لتظهر للاتراك أن الالمان أصدقاء ومستشارون خبثــاء » (٢٨) .

وبناء على طلب محدد من امبريالي كتب غراي تلميحات زيمرمان مؤكدا انه اجاب دوما بان اية محاولة وساطــة لا يكـون اســاسهــا سيادتنــا الكاملة ستكون عبثــا » (٢٩) .

وكل هذا يدل بوضوح على ان المبادرة الايطالية كانت تدور وسط تضارب مصالح مختلف الدول السياسية والاقتصادية ، بحيث انه كان من الصعب العثور على راس الخيط . وان نفس زيمرمان اضاف فيما بعد بقليــل أن شكوك الالمان كانت تتجه ايضا نحو روسيا التي كان في امكانها ان تنتهز الفرصة « لحل مشكلة المضائق لصالحها » (٣٠) .

وقد شبه جوليتي في مذكراته باحدى تصوراته الملونة التي تاتي بين الحين والآخر لتنعش اسلوبه الجاف ، فقد شبه الحالة التي اوجدتهــا الحــرب الايطالية التركية في الميدان الدولي « برقصة البيض » للتدليل على الصعوبات

---

(٢٧) ــ A.S. MAE, Segr. gen. pa. 42, pos. 17 c, f. 643 رسالة من قارباسو الى دي سان جوليانو بتاريخ ٢٠ اكتوبر ١٩١١ .

(٢٨) ــ A.C.S., C.G., b. 17, f. 35 برقية من مارتين الى دي سان جوليانو بتاريخ ٢٥ اكتوبر ١٩١١ .

(٢٩) ــ جوفاني جوليتي المصدر المذكور ص ٢٤٢

(٣٠) ــ المصدر المذكور ص ٢٤٣ .

والتوازنات التي اضطرت الحكومة الايطالية الى مواجهتها للوصول بالعملية الى مرساهـــا .

« ان أراضي امبراطورية العدو ــ كتب جوليتي ــ كانت محاطة من جميع جهاتها بشبكة كثيفة من المصالح والرهنيات والتربص والجشع التي كـــان العدو يستفيد منها لحمايته . لقد كانت هناك مصالح الدول الاوروبيـــة العامة المتضاربة فيما بينها ومصالح الروس ضد النمساويين ومصالـــح الانكليز ضد الالمان وكانت هناك مطالب وطموحات مختلف الدول البلقانية وشره واحتجاجات وحقوق اقتصادية وسياسية من كل نـــوع » (٣١) .

ومن أجل تحطيم هذا الوضع وجعل تركيا والدول الكبرى أمام الامـــر الواقع والحيلولة دون استمرار لعبة الحكومات المعقدة لاجبار ايطاليا على التنازل عن كامل سيادتها على طرابلس وبرقة ، فقد اضطر جوليتي الى اصدار مرسوم السيادة . فان الخطوات والمباحثات التي كانت تتشابك وسط الديبلوماسية الاوروبية قد اقلقت كثيرا الحكومة الايطالية الواقعة تحت ضغط الصحافة المطالبة بأعلى صوت بكامل السيادة على طرابلس وبرقة وبوقوف الديبلوماسية الايطالية موقفا ثابتا وشجاعا وابعـــاد الحلـــول الجزئيـــة والتسوية (٣٢) وكان هناك سبب آخر يدعو الى الخوف هو ازدياد عداء الدولتين الحليفتين وصحافتهما . « وكان السفير أفارنا منذ ١٩ اكتوبـــر صريحا وواضحا . فبعد أن القى الضوء على الانتقادات العنيفة الموجهة الى ايطاليا من الصحف النمساوية (تبرز من بينها صحف « راشيس بوست » Reichs Post والجمـــايـــن زايتونـــق Allegemeine Zeitung »وبســتـــر للويد Pester Llyod اضاف قائـــلا :

« من العبث العيش في الاوهام . فمنذ رفضنا الاعتراف باي رابطة ولو اسمية بين تركيا وطرابلس بصورة خاصة فان عملنا تنظر اليه حليفتانا

(٣١) ــ المصدر المذكور ص ٣٩ ــ ٢٣٨

(٣٢) ــ انظر ص ٥٠ ــ ١٤٩

بشيء من المضض بسبب مصالحهما الخاصة في تركيا . وعليه فان اقل تصرف خاطيء نرتكبه قد يتسبب في بعض التطورات التي ستبرز بالرغبة في المحافظة على الوضع القائم في البلقان سواء كانت هذه الرغبة حقيقية أم مزورة » (٣٣) .

وجاء في برقية اخرى للسفير افارنا ان فيانا قامت بخطوة لدى حكومات برلين ولندن وبطرسبرغ تسألها عن مدى الاستعداد « لتبادل وجهات النظر » حول طريقة سبرغور اسطمبول للوصول الى حل للصراع (٣٤) ، وقد اقلقت هذه البرقية جوليتي ووزارة الخارجية لما تتضمنه هذه الخطوة من اخطار اذ قد ينتج عنها فرض حلول لا ترغبها ايطاليا . وفي هذه الايام بالذات تكونت ونضجت فكرة مرسوم السيادة على ليبيا الذي اعلن كما اعترف جوليتي « خوفا من تدخل الدول الحليفة أو الصديقة » (٣٥) .

ومع هذا فالمرسوم رقم ١٢٤٧ الصادر يوم ٥ نوفمبر ١٩١١ الذي نص على وضع طرابلس وبرقة « تحت السيادة الايطالية التامة والمطلقة » لم يجنب ايطاليا جزئيا من ضغوطات الدول الكبرى الثقيلة . واعتبر الكثيرون بالعكس هذه الخطوة غير مناسبة وعقيمة وهكذا علق البيرتيني على مرسوم السيادة :

---

(٣٣) A.S. MAE المصدر المذكور ، برقية افارنا الى دي سان جوليانو بتاريخ ١٩ اكتوبر ١٩١١ وقد اكد افارنا في نفس البرقية أن اهرنتال غير راض عن عمل ايطاليا في الجزء .

(٣٤) المصدر المذكور ، برقية افارنا الى دي سان جوليانو بتاريخ ٢٤ اكتوبر ١٩١٢ .

(٣٥) ـ جوفاني جوليتي ، المصدر المذكور ، ص ٢٤٤ . هكذا برر جوليتي المبادرة الايطالية : « ان شهرا من القتال قد اظهر مدى اتساع شبكة مصالح الدول الاخرى التي قد يمتد فيها عملنا . وبالرغم من ثقتنا في ان فرنسا وبريطانيا وروسيا سوف تحافظ على تعهداتها نحونا وان المانيا والنمسا سوف لن تخلا بواجبات التحالف ، غير انه كانت هناك الخشية من قيام تعقيدات بين مختلف الدول المهتمة بالامبراطورية العثمانية مما يدفعها الى بذل الضغوط بحيث تنتهي الحرب وتدفعنا الى قبول سيادة اسمية للسلطان في اطار صلح عام وهو الشرط الذي بدونه ـ كما انذر مارشال حكومته ـ سوف تتجرجر الحرب لمدة طويلة جدا » (المصدر المذكور ص ٢٤٣) .

« لقد جعل من المستحيل على تركيا ان تتنازل وزاد من تصلبها في مقاومة لا تكلفها كثيرا ولا تعرضها لاخطار كبيرة ، حيث انه قد حذر علينا ان نصيبها في الموقع المميت . ووضعنا في حالة لا تحتمل ولم نستطيع التخلص منها الا عندما هددت الدول البلقانية بتسديد الضربات التي منعنا من القيام بها » (٣٦) .

وعلى كل فان ايطاليا قابلت المرسوم بحماس كبير فالصحافة ابتداء من كوريري ديلا سيرا الى « تريبونا » و « ايديانسيونالي » عبرت جميعها عن الرضاء والامل في المستقبل . وكتب فليبوميدا نفسه على صحيفة «لونيوني» ان مرسوم الضم كان :

« من الممكن ان يكون بالنسبة لتركيا نقطة انطلاق معقولة في طريق الاتفاقيات المؤدية الى ايقاف القتال (...) وهذا هو السبب الذي يجعلنا راضين عن مرسوم الضم الذي يضع عملنا فوق قاعدة قانونية تمكنه من التطور وتحميه اكثر من الانتقادات وشكوك السياسة الدولية » (٣٧) .

غير انه مثلما لاحظ من جديد البريتيني فان الصحافة الايطالية كانت تنقصها العناصر للحكم على مغزى المبادرة الايطالية من جانب واحد في مجموعها . لقد كانت الصحافة تجهل تعهدات الحكومة بعدم نقل الحرب خارج الاراضي الافريقية وكانت تجهل مضمون البند السابع من الحلف الثلاثي ، (٣٨) الذي سوف تدور حوله مناقشة شديدة ما بين روما وفيانا .

\

---

(٣٦) — لويجي البريتيني ، المصدر المذكور القسم الاول المجلد ٢ ص ١٣٧ .

(٣٧) — « الامر الواقع » بصحيفة « لونيوني » ٧ نوفمبر ١٩١١ .

(٣٨) — انظر لويجي البرتيني ، المصدر المذكور قسم ١ مجلد ٢ ص ١٤١ . ادركت صحيفة « الماتينو » بعد بضعة اشهر خطا التقدير اذ كتبت تقول ان ايطاليا بتاكيدها للسيادة بمفردها و « تحديا واستفزازا » لتركيا وهي السيادة التي كان في الامكان بقليل من الصبر الوصول اليها بالاتفاق مع تركيا فانها اي ايطاليا قد خلقت عائقا في وجه السلام لان الاتراك لا يمكنهم ان يقبلوا « انتزاع ولايتهم بعنف » دون حرب « بصورة حاسمة وتامة » (« الماتينو » ٩ — ١٠ فبراير ١٩١٢)

. ان مرسوم ٥ نوفمبر كان في الواقع عبارة عن اتخاذ موقف قليل المضمون القانوني والمعنوي . لا مضمون قانوني له لان ايطاليا وتركيا كانتا في حالة حرب معلنة رسميا ، ولذا لا يحق لايطاليا ضم اراضي واقعة تحت السيادة التركية دون موافقة الجهة الاخرى ويضاف الى كل هذا ان المرسوم كان مجرد صورية قانونية حيث أن الاراضي التي اعلنت ايطاليا انها تريد ان تبسط عليها سيادتها كانت اغلب هذه الاراضي لا تزال تحت الاشراف السياسي والعسكري التركي .

واعتبرت الدول الكبرى القرار الايطالي مستعجلا وغير مناسب (٣٩) . « واغتاظ جدا مارشال وتوقع ان ايطاليا سوف تندم على ذلك » تحت وطأة ضربات خيبة الامل التي سوف لا يطول انتظارها » (٤٠) ورأي نيراتوف ان ايطاليا « قد أغلقت امامها كل امكانية في العودة الى الوراء » (٤١) اما جاكوف فقد اشعر برلين بطريقة اكثر جدلية حيث اتهم جوليتي بانه اراد رفض اي محاولة تسوية وتبع اساليب حكومة مستبدة .

« ان افكار رجل الدولة هذا الاستبدادية (اوتوقراطية) قد ازدادت مع السن واخذت تظهر عن طريق شبه الدكتاتورية التي يمارسها . حتى الكونسولتا (وزارة الخارجية) لا تستطيع ان تفعل شيئا ضد عناده . ان

---

(٣٩) ـ بالنسبة لرد فعل للدول لقرار الضم انظر . وما يتبعها
D.D.F., III, 1, nn. 44, b. 1, 63 ecc. pp. 48
وحسب وجهة نظر غراي فان الانضمام كان يبدو « مستعجلا » وجعل مهمة وساطة الدول اكثر صعوبة » (ص ٤٨) . ـ ووصف سفير فرنسا في تركيا بومبارد المرسوم بانه « اسلوب نابليوني » (ص ٦٠) امام تركيا فان سفيرها بباريس رفعت باشا أحتج في رسالة الى دي سلفس وزير الخارجية) رقم ٥٦ ص ٥٨ ـ ٥٧) بتاريخ ٨ نوفمبر على اعلان السيادة الايطالية واعتبرها « لاغية قانونيا وعمليا » ضد ابسط مبادىء قانون الشعوب »

(٤٠) ـ المصدر المذكور رقم ٢٥ ص ٣٥ ـ ٣٦ برقية من بومبارد الى دي سلفس من ترابيا بتاريخ ٥ نوفمبر ١٩١١ .

(٤١) ـ المصدر المذكور رقم ٤٦ ص ٤٩ ـ من دي بانفيو القائم بالاعمال الفرنسي ببطرسبرغ الى دي سلفس بتاريخ ٧ نوفمبر ١٩١١ .

الماركيز دي سان جوليانو كان منصرفا منذ الاساس الى قبول سيادة اسمية للسلطان كشرط للسلام . بيد انه بعد عودة جوليتي من تورينو غير رأيه واصر على الانضمام المجرد قائلا ان ذلك مطلب الراي العام . ولكن الراي العام قد اثارته في آخر لحظة اجهزة رئيس الوزراء الذي اعتقد مناسبا لاسباب سياسية داخلية ان يتظاهر بالتصلب لدرء هجمات المعارضة القومية . ولا اعتقد انني اخطىء اذ اقول ان دي سان جوليانو الذي يتمتع اكثر بادراك رجل الدولة قد اعترف حالا بالخطأ الذي ارتكب (٤٢) .

ليس من السهل التاكد من صحة كلام جاكوف من أن جوليتي اراد مرسوم الانضمام بأي ثمن لاسباب سياسية داخلية على نقيض وزير خارجية الاكثر رغبة في التفاهم . فالامر ناتج ربما عن انطباع او تخمين السفير الالماني . بيد ان الامر الواضح جدا بالعكس هي المقاومة البادية بين ما اتبع من اجراءات للوصول الى انذار ٢٧ سبتمبر واعلان الحرب وما اتبع للوصول الى مرسوم ٥ نوفمبر (السيادة) ففي كلتا الحالتين تظهر عناصر ثابتة وهي العجلة ونفاذ الصبر وكسب الزمن والرغبة تقريبا كما لو كانوا يريدون قطع خط الرجعة وراء ظهورهم . ففي الحالتين تم الرهان على المفاجأة والامر الواقع خشية تدخلات خارجية قد تفسد العملية القائمة بها ايطاليا . وفي الخلاصة فان اهم مبادرات هذه الحرب اتخذتها ايطاليا تحت عامل الحاجة الى السرعة وتجنب تدخل الدول الصديقة والحليفة .

ويكمن في هذه العجلة اتخاذ قرارات لم تدرس الا قليلا وقد زادت من الصعوبات على المستوى الديبلوماسي والعسكري . وقد اخذت تظهر الآن على السطح الحدود الواضحة للاعداد الديبلوماسي . لقد كان من المعتقد احتواء رد فعل الدول الحليفة بسهولة ولم تقدر مدى تمسكها بمصالحها

---

(٤٢) G.P., XXX, I, n. 10917, pp. 147-149 برقية جاكوف الى بيثمان هولويغ بتاريخ ٦ نوفمبر ١٩١١ . هذه الفقرة كررها ايضا البرتيني (المصدر المذكور قسم ١ مجلد ٢ ص ٤٠ ــ ١٣٩) .

الاقتصادية بالامبراطورية العثمانية وبالمسرح البلقاني حق قدرها . فبالنسبة للنمسا — المجر والمانيا بالذات يلاحظ على ايطاليا سلوك اسلوب عمل قائم على التحيل والخداع والمناورات الصغيرة التي زادت من حدة شكوك الحليفتين وعدم استعدادهما للمساعدة وجعلتهما يتجهان اكثر فاكثر — رغم مظهرهما الدبلوماسي السليم — نحو موقف مؤيد لتركيا ومتصلب بالنسبة لايطاليا (٤٣) .

وقد ذهبت توصيات بانسا اوفارنا — المطالبة بولاء اكثر لالمانيا والنمسا علما بالاخطار التي تتعرض لها ايطاليا اذ قامت الحليفتان بعمل سلبي — ادراج الرياح . اذ ان وزارة الخارجية لم تعرها الا اهتماما ضئيلا وتصرفت آخذة في الاعتبار ردود الفعل الداخلية لا الدولية . فلم تشعر الحليفتان مسبقا باعلان الحرب ولا بصدور مرسوم السيادة وذلك خوفا من ان تتوقف وتتبدد اهدافهما . ولذلك فقد نشأ بين الطرفين اي ايطاليا وحليفتيها جو من الشك

---

(٤٣) — كتب اهرنتال الى السفير النمساوي بروما فون ميري بتاريخ ١٩ ديسمبر ١٩١١ متذمرا من سلوك ايطاليا : « لقد تعودت ايطاليا بصورة كبيرة على تسامح الحلفاء منذ عهد « دورات الفالس » لقد حاولت بكثرة ان تغطي نفسها من كل جانب بروابط من كل نوع . فهي تستند على الحلف الثلاثي وتشعر بانها ضمنت ظهرها . وهي تود ايضا ان تستغل الحلف لاخراجها من ورطتها الحالية بفضل ضغط النمسا والمانيا على تركيا وتحاول في سبيل الدفع الى هذا العمل ان تلوح من نيتها في آخر الامر في القيام بعمليات بحرية . ومن جهة اخرى فانها تخشى فرنسا وانكلترا وتشك في ان هجوما على الدردنيل قد يؤدي الى القضاء على تفاهم راكونيجي مع روسيا .
وتبرز من هذه الاعتبارات المختلفة حالة نفسية تحول دون اتخاذ سياسة واضحة صادقة وهي توحي بعدم الثقة حتى لدى الحلفاء . وعليه فانه من اللازم اذا ارادت ايطاليا الاستمرار في التمتع بالمزايا التي تاتيها من الحلف الثلاثي فعليها ان تبرهن علنا عن نواياها هذه ليس بالكلام فقط انما من خلال سلوك الحكومة الملكية السياسي . وطالما هذا الاتجاه يعبر عنه بصورة واضحة ومستمرة بقدر ما تتخذ العلاقات فيما بيننا الطابع الودي بين حلفاء طبيعيين . وبقول واحد يجب وضع حد لهذه السياسة الايطالية التي تتودد للجميع ومع ذلك تتردد بشكل يثير الشكوك فينا وقد احيا في ايطاليا امل تحقيق المطامح القومية . هل تستطيع حكومة ايطاليا ان تجد وضوح الرؤيا اللازمة والشجاعة لمثل هذا القرار ؟ »
(هذه الوثيقة موجودة في « جولكينو فولبي » ايطاليا في الحلف الثلاثي المذكور ص ٤٦ — ٢٤٥) .

المتبادل وعدم الصراحة مما كان يهدد الحلف من أساسه . وكان الكثيرون في وزارة الخارجية وخارجها يتوقعون بوضوح أن النمسا بعد المغامرة الافريقية سوف تكون العدو الطبيعي لايطاليا . وقد جاء ذلك في تقارير ومذكرات لدبيلوماسيين وعسكريين لمح اليه بصورة تكاد تكون صريحة . فان الحلف الثلاثي المتزعزع من قبل قد أصابته الحرب الليبية بضربة قاسية وان تجديد الحلف الاكثر شكليا من كونه جوهريا الذي تم عام ١٩١٢ لم يكن في امكانه ربما الصدع (٤٤) . فان الحالة التي قامت بعد مرسوم الانضمام وبصورة خاصة التردد والحيرة التي صاحبت قرار ايطاليا من جانب واحد في كل أوروبا قد وضحها اسفولسكي في برقيته من باريس الى حكومته :

« لا يبدو اي شعاع من نور في المسألة الطرابلسية ، وزير خارجية فرنسا لا يعرف شيئا عن نوايا ايطاليا المقبلة ولا يعرف ما هي الضربة التي تنوي توجيهها الى تركيا لاجبارها على السلام » (٤٥) .

وقد كان اسفولسكي يدرك جيدا انه بالنسبة لايطاليا لم يعد امامها سوى طريق خروج واحدة : بما أنها لم تستطع ان تتغلب على المقاومة التركية — العربية في ليبيا وحيث ان حلا على أساس الوساطة الدولية يبدو في الوقت الحاضر صعبا ، فانه لم يتبق لايطاليا من اجل التغلب على المقاومة

---

(٤٤) — نشرت صحيفة « روما » بتاريخ ٥ نوفمبر ١٩١١ مقالا قالت فيه : « ربما بعد نهاية الحرب ستعدل الصحافة الالمانية والنمساوية لهجتها وتعود الى الحديث عن رساخة الحلف الثلاثي ولكن اذا وقع هذا فان لا احد في ايطاليا سيصدقه . يجب ان لا ننسى زوبعة الصحف الالمانية والنمساوية المعادية لايطاليا في الوقت الحاضر . من العبث الحديث من تجديد الحلف الثلاثي لان الحلف قدم تجربته ولا داعي لتجارب لاحقة . في امكان ايطاليا ان تنال صديقة الجميع حتى النمسا والمانيا ولكن الاحلاف الصورية يجب ان تزول . (...) لقد غدت ايطاليا بعد احتلالها الاراضي الافريقية الجديدة دولة كبيرة مطلة على البحر الابيض اكثر من اي وقت مضى وهي لذلك من مصلحتها ان تعيش في كامل التفاهم والاتفاق خاصة مع دول البحر الابيض الكبرى اي فرنسا وانكلترا » .

(٤٥) — « كتاب أسود : دبيلوماسية ما قبل الحرب وفقا لوثائق المحفوظات الروسية نوفمبر ١٩١٠ — يوليو ١٩١٤ » مقدمة ميلية مارشاند باريس (١٩٢٢) دون تاريخ مجلد ١ ص ١٦١ .

العثمانية سوى عمل عسكري حاسم في نقطه حيويــة من الامبراطوريــة التركية . بيد ان اسفولسكي لم يكن يعلم او ربما قلل من اهمية الامر بوجود خطر نمساوي ضد اية مبادرة من هذا النوع .

ومنذ ٢٧ اكتوبر قام دي سان جوليانو بواسطة افارنا بجس نبض فيــانا مؤكدا احتمال « وقوع عمليات في بحرايجة وفي غيره » و « احتلال مؤقت لجزر » قد تقوم به ايطاليا « في حالة ظهــور ان ذلــك ضروريــا للاستفــادة منه في السلام ، وان اخطار التعقيدات الناتجة عن هذه الاحتلالات تكون اقل من تلك التي تنتج عن اطالة القتال » . وبين دي سان جوليانو بعد ذلك ان موضوع تطبيق المادة ٧ من الحلف (٤٦) قابل للمناقشة في هذا الظرف .

« بالنسبة للبند السابع من المحالفة الثلاثية ـ لاحظ دي سان جوليــانو ـ يبدو لي ان تطبيقه على الحالة موضع الدراسة هو امــر قــابــل للمناقشــــة وان الاحتلال المؤقت كعمل حربي لا علاقة لاهدافه بالجزر التي ستحتل وانه يتطلب اتفاق مسبق ويؤدي الى حدوث تعويضــات ، وهو الامر الذي يبدو لي انه يطبق ليس على الاحتلال المؤقت في حد ذاته بل على المزايا التي في المسائل المرتبطة بالمناطق المحتلة مؤقتــا قد يحققهــا احد الطرفيـــن من الاحتلال . ومع هذا ممكن الاعتراف بضرورة الاتفاق فقط . وقد يمكن عندئذ

---

(٤٦) ـ البند السابع من المحالفة هكذا وضع :

« النمســا ـ المجر وايطاليا ترغبان في المحافظة على الوضع الاقليمي القائم في الشرق بقدر الامكان وتتعهدان ببذل نفوذهما لتجنب اي تعديل اقليمي من شانه ان يضــــر بطرف او بالاخر من الدولتين الموقعتين على هذا الاتفاق . ومن اجل هذا الغرض تتبادل الدولتان جميع المعلومات الرامية الى تنويرهما حول استعداداتهما واستعدادات الدول الاخـــرى .

ومع هذا وفي حالة ان المحافظة على الوضــع القائم في البلقان او على الشواطىء والجزر العثمانية على بحر الادرياتيك وبحرايجه يصبح نتيجة للاحداث مستحيلا وسواء نتج من عمل دولة ثالثة او ان النمســا ـ المجر تريان ضرورة تعديله وذلك بقيامهما باحتلال وقتي او دائم فان هذا الاحتلال لن يتم الا بعد الوصــول الى اتفاق مسبق بين الدولتين يقوم على مبدا التعويضات المتبادلة من كل المزايا الاقليميــة كانت او من اي نوع آخر قد تتحصل عليها كل واحدة بالنسبة للوضع القائم الحالي مع ارضاء مصالح ومطالب للجهتين القائمة على اساس ثابت » . (انظر جواكينو فولبي المصدر المذكور ص ١٢٩ ـ ١٣١)

التأكيد بان هذا الاتفاق المسبق قد تم حيث وافقنا على ابعاد شواطىء بحر يونيو وبحر الادرياتيك من عملياتنا واحتفظنا بحرية العمل في الباقي الذي وافقت عليه النمسا من جهتها » (٤٧) .

أما بالنسبة لفيانا فان البند السابع من الحلف الثلاثي بالعكس يعتبر بالنسبة لموضوع الدراسة تقييدي بصورة خاصة . وقد جس افارنا النبض كما طلب منه دي سان جوليانو لمعرفة راي اهرنتال الذي أخذ بدوره يتضايق . ففي يوم ٤ نوفمبر ابدى وزير الخارجية النمساوي في رسالة الى سفيره ببرلين استياءه بوضوح من جراء النوايا الايطالية التي قد تحدث « ارتباكا محسوسا على الحالة في البلقان » .

« نحن — لاحظ اهرنتال — وقفنا حتى الآن موقفا وديا تماما ازاء جهود ايطاليا من اجل توسيع دائرة قوتها والتفكير في مواصلة ذلك ، وان كان من السهل التدليل على ان قيام ايطاليا بالعملية الطرابلسية يتعارض مع روح ونص معاهدة الحلف لان هذا العمل يجب ان يعتبر كهزة الحقت بالامبراطورية العثمانية ، وهي مناقضة لسياسة الوضع القائم وذلك دون اشعارنا مسبقا بهذا المخطط .

غير انه الآن اذا ارسل الاسطول الايطالي حقا الى بحر ايجه فانى مصمم على اعتبار اي عمل في تلك المياه يتعدى حدود مجرد الاستعراض اي انه يشمل مثلا احتلال بعض الجزر ولو بصورة مؤقتة وانه مناقض للبند السابع من معاهدة الحلف (٤٨) .

وقد تم افارنا بدوره بابلاغ دي سان جوليانو بموقف فيانا المتصلب :

« ان اهرنتال يعارض كل عمل عسكري لنا خارج طرابلس وبرقة لانه يعتقد انه قد لا ياتي بنتيجة اكراه تركيا ماديا على الصلح بل بالعكس قد يزيد

---

(٤٧) — A.S. MAE, Segr. gen., pa. 42, pos. 17 c. f. 643 — برقية دي سان جوليانو الى افارنا في ٢٧ اكتوبر ١٩١١ .

(٤٨) — الوثيقة في كتاب جواكينو ڤولبي المصدر المذكور ص ٤١ — ٢٣٩) .

من سخطها ويدفعها ربما الى طرد الرعايا الايطاليين وقد يزيد في طول مقاومتها مما يعرض حلفائنا لخطر كبير ويزيد من خطر تعقيدات دولية ويتضح لي أن وجهة نظر المانيا تطابق ولا تختلف عن ذلك (...) ويبدو ان ذلك ايضا هو رأي روسيا » (٤٩) .

واشارة افارنا الى روسيا تعكس قلق بطرسبرغ بالنسبة لاحتمال اغلاق تركيا للمضايق نتيجة لعمليات ايطالية بالدردنيل . وبتاريخ ٨ نوفمبر كلف نيراتوف سفيره باسطنبول بان يطمئن الحكومة التركية بخصوص جهود حكومة بطرسبرغ لايقاف ايطاليا بخصوص نواياها الهجومية ضد « مناطق مركزية اكثر حساسية بالامبراطورية العثمانية » (٥٠) . وهكذا فان روسيا ايضا التي لم تتخلف عن ابداء الدلائل الواضحة على عطفها وصداقتها لايطاليا قد اخذت في تغيير موقفها جزئيا عندما رات خطر المساس بمصالحها . وعندما هددت تركيا في ١٨ نوفمبر بصورة واضحة بغلق المضايق اذ صرحت أنه في حالة قيام ايطاليا بعمليات عسكرية في البحر الاحمر وبحر ايجه فانها قد تتخذ « تدابير وقاية من شانها ان تضر بالتجارة الدولية » (٥١) وقد تدخلت بطرسبرغ من جديد لدى اسطمبول وروما مطالبة باحترام مصالح الدول المحايدة (٥٢) .

وفي غداة مرسوم الانضمام وجدت ايطاليا في الواقع نفسها مكتوفة الايدي وفي زقاق اعمى . وتركيا بدلا من ان تتنازل كما كان من المؤمل لقد

---

(٤٩) — A.S. MAE, Segr. gen., pa. 43, pos. 17 d, f. 644 برقية من افارنا الى دي سان جوليانو بتاريخ ٩ نوفمبر ١٩١١ .

(٥٠) — D.D.F., III, I, n. 54, pp. 56-57 بومبارد من ترابيا الى دي سلفس تاريخ ٨ نوفمبر ١٩١١ .

(٥١) — المصدر المذكور ارقام ١٤٧ ، ١٥٧ ، ١٨٥ ، ١٨٨ وصفحات ١٣٠ وما يتبعها .

(٥٢) — المصدر المذكور رقم ١٩٥ ص ١٨٠ — ١٧٨ . « مذكرة » السفير الروسي بباريس الى وزير الخارجية الفرنسي تاريخ ٢٣ نوفمبر ١٩١١ . ان ايطاليا — كتبت صحيفة (روما) بتاريخ ١٥ فبراير ١٩١٢ لم تكن تنتظر من الدول ان تجد لها السلام بل ان تدعمها تقوم بالحرب .

زادت من تصلبها في حين ان الحكومة الايطالية لم تعد بعد في امكانها قبول حلول تبيح للباب العالي بسيادة ولو اسمية (٥٣) . فالمخرج الوحيد الآن هو كسب الحرب غير ان المقاومة غير المتوقعة التي واجهتها ايطاليا في ليبيا ووقوف الدول الكبرى ضد اي هجوم عسكري مفاجيء خارج افريقيا من شأنه ان يضعف تركيا قد جعلت من المستحيل حل الصراع بصورة اساسية . فقد كان مما لا بد منه ان يدخل الآن العمل الديبلوماسي والحرب نفسها في جو متعب خال من اية توقعات ملموسة في حين ان احداثا جديدة جاءت لتزيد الحالة الدولية الغير واضحة التي كانت ايطاليا تجد فيها نفسها لتزيدها تعقيدا .

ففي ٣٠ نوفمبر ١٩١١ اعفي من منصبه الجنرال النمساوي الهنغاري فرانس كونراد فون هوتزندورف رئيس اركان حرب الجيش . وقد احدث هذا الامر سرورا بايطاليا لان الجنرال كونراد كان مشهورا بعدائه لايطاليا واعتقد انه في هذا الحادث نصر شخصي لامرنتال وتعزيزا للصداقة الايطالية النمساوية .

غير أن اسباب اعفاء كونراد الحقيقية لم تعرف في ايطاليا الا فيما بعد فقط عندما نشرت الوثائق الديبلوماسية النمساوية ، وفي الواقع ان الحادث لم يكن يعني تعزيز الصداقة بين روما وفيانا الا في جزء منه وانه بالفعل قد ازاح الستار عن حالة نفسية كانت منتشرة جدا في النمسا وكانت ترمي الى المطالبة بامكانية استغلال الحرب الليبية لمهاجمة ايطاليا .

وقد كرس كونراد للموضوع مذكرتين اكد في الاولى (٢٤ سبتمبر ١٩١١) بعد ان لوح بنوايا ايطاليا في احتلال الاراضي النمساوية الناطقة بالايطالية بضرورة استغلال الازمة الطرابلسية لتصفية الحساب مع ايطاليا نفسها

---

(٥٣) ــ لاحظ امارنا في برقية بتاريخ ١١ نوفمبر ١٩١١ الى دي سان جوليانو :
« لا شك ان ضم طرابلس مناسب جدا من الناحية المعنوية لوضع حد لحملة التخويف القائمة في الخارج ضدنا وللتدليل بصورة رسمية على قرارنا الذي لا يتزعزع بعدم قبول حلول اخرى بيد انه يبدو حتى الآن ان الحالة الواقعية لاحتلالنا لطرابلس وبرقة لا تبرر ذلك » A.S. MAE (المذكور)

وللقضاء لمدة طويلة على المصالح الايطالية حول الاراضي الايطالية بالمملكة (النمساوية المجرية) والسيطرة على بحر الادرياتيك والنفوذ بالبلقان » (٥٤) .

وأكد كونراد بعبارات أكثر دقة في مذكرته الثانية بتاريخ ١٥ نوفمبر مستندا على تأييد الارشيدوق فرنسوا فرديناند لفكرته في انتهاز ضعف ايطاليا المؤقت مؤكدا بوضوح « ان حربا ضد ايطاليا تفرضها الظروف » وان ذلك « هو الوقت الاكثر مناسبة » (٥٥) وكان كونراد في الواقع كما ظهر قليل الاقدام على العمل في أوانه . فلم تكن آراؤه في تلك الفترة تحظى بامكانيات كثيرة للنجاح لدى الامبراطور الذي اشتد قلقه فأقاله يوم ٣٠ نوفمبر من منصبه كرئيس لاركان الحرب . وقد ساعد تأثير اهرنتال المعتدل كثيرا في

---

(٥٤) ــ O.U.A., III, n° 2644 pp. 346-348 نشر ايضا في كتاب جواكينو فولبي المذكور ص ٢٤٢ . بخصوص كونراد راجع ايضا فرانس كونراد فون هوتزندورف Aus Meiner Dienstzeit (١٩١٨ ــ ١٩٠٦) فيانا ١٩٢٢ ــ ١٩٢١ المجلد الثالث

(٥٥) ــ فرانس كونراد ــ المصدر المذكور مجلد ٢ ص ٤٤ ــ ٢٤٢ . ان محاولة النمسا لايطاليا ــ حسب وجهة نظر كونراد قد تاتي بالفوائد التالية :

(١) ابادة عدو يهاجم المملكة من وراء ظهرها في اية مضاعفات اخرى .
(٢) حرية العمل التي تعود علينا نتيجة لذلك وبصورة خاصة تجاه روسيا في البلقان .
(٣) تقليم اظافر عدو يتبع غايات عدائية ايجابية تجاه المملكة (...) .
(٤) اعادة الاستيلاء على مقاطعة فنيتو ذات الاهمية الرئيسية للسيطرة على الادرياتيك وتامين سلامة اراضي المملكة .
(٥) او على الاقل التنازل من اراضي حتى نهر تاليامنتو وايضا اراضي كارنيا وكادورك (...) بالاضافة الى تعديل واسع لصالح المملكة في الحدود الاخرى السيء وضعها الآن .
(٦) ابادة الاسطول او احتمال التنازل عنه .
(٧) تقاضي تعويضات كبيرة او مساهمات حرب .
(٨) زيادة نفوذ وبالتالي اهمية المملكة السياسية .
(٩) وفي النهاية رفع روح الجيش المعنوية المستاء بكل تاكيد من سياسة المساومات المستمرة والتردد والتنازلات .

فانا اعتبر اذن ان حربا ضد ايطاليا تفرضها الظروف والوقت الحالي هو الاكثر مناسبة فيما يخص هذا الحادث انظر ايضا لويجي البرتيني ، المصدر المذكور قسم ١ مجلد ٢ ص ٤٨ ــ ١٤٣ .

اتخاذ الامبراطور لقراره وقد قال في تقرير له بتاريخ ٢٢ اكتوبر بصورة ملحوظة من احتمال خطر الايطاليين مؤكدا ان الحرب الليبية « ستشغل ايطاليا لمدة طويلة » عن محاولات قد تتخذ « صبغة التهديد » بالنسبة للنمسا » (٥٦) . بيد ان اعفاء كونراد كان نجاحا ايطاليا جزئيا . فقد شرع اهرنتال يطالب ايطاليا بالفعل بسياسة اكثر تماسك بالحلف الثلاثي وترك سياسة « دورات الفالس » وسياسة « ارضاء الجميع » (٥٧) .

وقد وقفت الصحافة والراي العام النمساوي بصورة علنية مع كونراد ضد اهرنتال وغذت بذلك جدلا شديدا ضد ايطاليا . وقد القى الملحق العسكري في فيانا البريتشي الضوء على هذا الاتجاه المعادي لا للصحافة وحدها ، وانما لحكومة النمسا نفسها التي كانت الصحافة تحت اوجه كثيرة عبارة عن فيض منها وذلك في رسالة له موجهة الى بروساتي بتاريخ ١٩ مايو ١٩١٢ (٥٨) .

« قليل من الصحف المعتدلة تتخذ سلوكا متزنا وفي بعض الاحيان وديا ايضا . اما البقية فهي معادية على طول الخط . والجمهور كله تقريبا اسوا من كونه معاديا . وهو يتحفظ قليلا حياء بسبب المحالفة وبسبب الدين ولانه يدرك في النهاية أن لا يجوز في القرن العشرين الوقوف صراحة الى جانب الهمجية . لا اود ان اتحدث عن العسكريين ويكفي الاطلاع على صحف « دانزرس » Dunzeris » وميلتار زايتونغ » Militär Zeitung واشالها (...) .

يجب علينا ان لا نغتر بهؤلاء الناس . انهم لن يهاجموننا عن قصد بكل

---

(٥٦) ــ O.U.A., III, n° 2809, pp. 446-70 نقله جواكينو فولبي في المصدر المذكور ص ٤٥ ــ ٢٤٤ .

(٥٧) ــ هكذا جاء في برقية بعث بها اهرنتال الى دون جيري في ١٩ ديسمبر ١٩١١ ، O.U.A., III, n° 3139, pp. 701-703 وقد نقله جواكينو فولبي في كتابه المذكور ص ٤٦ ــ ٢٤٥ .

(٥٨) ــ كتب البريتشي قائلا : « (...) لا يوجد هنا راي عام ويفكرون بمثل ما تفكر به صحيفة الحزب والمجموعة والطبقة المنتمي اليها الفرد ، (...) الحكومة تتصرف في الصحافة كما تريد والى حيث تريد » (A.C.S., A.B., sc. 8, f. VI.2.34, n° 63)

تاكيد ففي عهد الجنرال كونراد كانت هناك مبالغات وتاويلات كثيرة غير صحيحة . فانا لست من اولئك الذين فكروا ان كونراد كان يريد محاربتنا فهنا يفكرون اننا نحن الذين سنحاربهم . غير انه لا يوجد بالنسبة لنا ولطامحنا اي عطف ولو من بعيد ، ففي كل مرة يستطيعون ايذاءنا بشرف دون ارباك هدوئهم فانهم سيفعلون » (٥٩) .

ولكن يجب ان يؤخذ بعين الاعتبار عامل آخر في سياسة النمسا الخارجية. فالزحف على سلانيك لا يزال برنامجا قائما بل يبدو ان الحرب الايطالية ـ التركية قد فتحت أمام النمسا امكانية تعجيل الزمن بالنسبة لعمل حاسم في البلقان . وبالرغم من التوصيات التي كانت تبديها النمسا الى ايطاليا كي لا تتسبب في احداث من شأنها أن تعرض للخطر الوضع القائم بشبه الجزيرة الا انها كانت تعمل لتمهد الطريق لهجوم مفاجيء . فمنذ نهاية عام ١٩١١ لوحظت بوضوح نشاطات العملاء النمساويين في البلقان والاتصالات ما بين المفوضية النمساوية في صوفيا واللجنة الثورية المقدونية . (٦٠) وعلى كل مثلما لاحظ رئيس المفوضية الايطالية بصوفيا بوزداري فانه بالرغم من الهدوء الظاهر في بلاد البلقان وسيطرة العثمانيين عليها الا ان الخطر الحقيقي كان ياتي من فيينا .

« فيما وراء الدانوب ـــ كتب بوزداري ـــ يوجد كلب اكثر ضخامة يحدث صوته احيانا صدى مخيفا . ان الشك في النمسا بكل تاكيد لم يكن حسب ظني أبدا بخطورة الوقت الحاضر » .

ويتصور بوزداري أن الحالة دقيقة بالنسبة لايطاليا بصورة خاصة لانها بانشغالها في طرابلس قد تجد نفسها غير قادرة على فرض ثقلها في حالة

---

(٥٩) ـــ المصدر المذكور .

(٦٠) ـــ هكذا كتب بوزداري في رسالة الى دي سان جوليانو من صوفيا بتاريخ ٢٨ ديسمبر ١٩١١ موجود في (A.S. MAE, Segr. gen., pa. 43, pos. 17 f f. 648)

انفتاح الازمة البلقانية . ومن هنا تاتي ضرورة انهاء المشكلة الليبية في اسرع وقت حتى ولو قدمت في سبيل ذلك بعض التضحيات والتنازلات . والاعتبارات النهائية لبوزداري واضحة كل الوضوح :

« ان الحرب الايطالية التركية لم تعدل مطلقا قوة وضعف تركيا السياسي والعسكري من جهة ومقدونيا والبانيا والدول البلقانية من جهة اخرى بيد انها قد بعثت في النمسا الرغبة والنية في سلوك سياسة اكثر اقداما وايجابية . وانه من المستحيل توقع حدودها ووزنها هنا غير انه على ايطاليا ان تحسب حسابها . ربما حتى اذا لم نقدر قد يكون من المناسب لنا ان نحاول مقاومة تطور الامور الطبيعية . اما اذا تحركت الامور نحو تنظيم نهائي لهذه المناطق المضطربة فمن الواضح ان على ايطاليا ان تشترك في ذلك . ومن الواضح ايضا ان اشتراكها سيكون احسن في تلك الحدود ايا كانت والتي ستبدو مفيدة وممكنة اذا كانت قد انهت الحرب مع تركيا . كل هذا يزيد من رغبتي في السلام حتى مقابل تنازل هام واني لاخشى ان الراي العام الايطالي وقد سحرته الحرب لا يعرف ولا يشعر باخطار استمرارها بصورة لا نهاية لها تلك الاخطار التي قد تتحقق بسهولة في الاتجاهات الحالية ومخططات العمل » (٦١) .

فاعتبارات بوزداري هذه ترمي الى التحليل بخطورة الحالة التي توجد فيها ايطاليا باستمرار الحرب الايطالية التركية وهو وضع يتركها مؤقتا خارج اللعبة الضخمة الهامة التي تدور حول البلقان . عزلة ايطاليا ثم ازدياد هذه العزلة بسبب عداء الدول الكبرى الواضح والذي يكاد يكون علنا بسبب مختلف الاسباب المتناقضة،وقد اخذت هذه الدول تتودد الى اسطنبول وتستعمل لهجة « من شانها ان تخلق في تركيا الوهم بان امتداد المقاومة « قد ينهك ايطاليا ويجعلها تتساهل في مسالة السيادة التامة والكاملة على طرابلس

---

(٦١) ـــ المصدر المذكور .

وبرقـــة (٦٢) وكانت نفس محاولات الحلول السلمية التي قامت بها الدول قد وضعت بشـروط لا تخدش الحســاسية العثمانية (٦٣) .

وقد كان البارون مارشال سفير المانيا باسـطنبول أبرز القائميــن بهذه السياسة ذات الجهتين الذي بذل نفوذه على وزارة الخارجية العثمانية ليبرهن « صـراحة وبلهجة حادة » من عدائه لاية وساطة تقوم بها الدول (٦٤)

---

(٦٢) ــ هكذا كتب دي ســان جوليانو في برقية بتاريخ اول ديسمبر ١٩١١ الى السفــارات الايطالية في برلين ولندن وباريس وبطرسبورغ وفيانا (المصدر المذكور A.S. MAE) ــ لقد غضب دي ســان جوليانو كثيرا من قلة ولاء الدول : « انها على خطا عظيم ــ اضـاف في برقيته المذكورة ــ فالامة الايطالية مجمعة على هذه النقطة التي تفوق اهميتها مسـالة طرابلس في حد ذاتها لان الامة الايطالية تدرك ان كل مسـتقبلها ومركزها الدولي يتوقفان على تجربة الصلابة المطلوب منها تقديمها وعلى النجاح الكامل في هذه النقطة الحيويــة : فمــن الضـروري ان تركيا واوروبا باجمعها تقتنع باننا لن نتسـاهل ابدا وباي ثمن في هذه النقطة مهما كانت العواقب » . واضـاف فيما بعد بالنسبة للسـفير تيتوني فقط : « اضيف طالبا التاكيد ان باريز Barrere * قد قال لحكومته وحكومته ابلغت بومبارد Bompard * بان ايطاليا مثلمـا فعلت عام ١٨٩٦ سـيلتهي بها الامر الى الكلل والتنازل ولو جزئيا عن موضـوع السـيادة . فاذا باريز قال ذلك فانه انخدع بدون شك من حسن نية واترك الامر لسـعادتكم في اختيار وسـيلة ازالة هذا الانطباع الخاطىء والخطيــر . »

(٦٣) ــ كتب اتوسـطوتوري في هذا الخصـوص : « والاكثر من هذا ان تركيا كانت تعلم جيدا ان اية محاولة من جانب ايطاليا لتوجيه ضربة قاتلة اليها سوف تواجه مقاومة ومعارضـة اوروبا التي اختلفت في جميع المســائل دوما وقد وجدت من جديد الآن الاجماع في ادانة العمل الايطالي . والاسـباب كانت مختلفة فمنهم من كان قلقا بسبب التاثيرات على الشـعوب الاسـلامية في المسـتعمرات ومن كان مشـغولا بمصالحه التجارية والدينية وايضـا السـياسـية في تركيا ومن كان لا يريد اتجاه العطف التركي لصـالح مجموعة او دول معادية ومن ربما كان يحرص على مركزه الشخصي المكتسب في اسـطمبول كسفير فكل واحـد كان يكيف سـلوكه مع هذه الاسـباب المختلفة ويهتم بها اكثر من اهتمامه بتوطيد السـلام » (اوتوسـطو توري ــ « راسـينيا » اسـباب الحرب العالمية « منشـور في « المجلة التاريخية الجديدة » نوفمبر ــ ديسـمبر ١٩٣٠ ص ٥٧٦) .

(٦٤) ــ هكذا كتب دي ســان جوليانو الى بالمــا في ٢٤ فبراير ١٩١٢
(A.S. MAE, Segr. gen. n° 47 pos. 17 g. f. 647)
وقد كتب اريقوسـولمي Arrigo Solmi : لا احد من الدبلوماسيين المعارضـين انكلتـرا .

وان الامر كان بحيهيا حيث ان المانيا كانت تشير الى ان التشدد التركي كـاد يكون اكبر عقبة في سبيل حل سلمي في حين ان السفير الالماني لـدى الباب العالي نفسه كان يغذي هذا التشدد . فكان الامر عبارة عن « حلقة مفرغـة » كما لاحظ دي سان جوليانو وهي احدى الحلقات المفرغة الكثيرة التي كانت تحول دون ايجاد مخرج من هذه الحرب الغريبـة .

وفيما يتعلق بفرنسا وانكلترا يجب الاشارة الى انه بذلت محاولـة في فترة الحرب الليبية ذاتها من اجل الوصول الى اتفاق ثلاثي مع ايطاليا حول تفاهم بخصوص البحر الابيض المتوسط . وكان اكبر المحرضين على امكانية هذا الوفاق سفيري فرنسا وانكلترا بروما ، باريز ورود اللذين انتهزا ربـما فرص القلق الايطالي تجاه حلفاء الثلاثية (٦٥) وهذا الوفـاق كـان هـدفـه المحافظة على الوضع القائم بالبحر الابيض المتوسط جميعه وكان يجب ان يعدل قبل كل شيء قواعد السياسـة الخارجية الايطالية واجبـار ايطاليا على « الخيار بين دول الوفاق وحلفائها » (٦٦) مع الاخذ بعين الاعتبـار الخطر بان الحلف الثلاثي باحتلال ايطاليا لليبيا قد يمكنه بسط نفوذه على البحر الابيض المتوسط بصورة خطيرة . ولكن غراي وزير الخارجية خنق هذه المباحثات في مهدها باعتبارها مستحيلة بالنظر الى موقف الراي العام

وفرنسـا من جهة والمانيا والنمسا من الجهة الاخرى كان ينوي القيام بضـغط فعال على الحكومة التركية لان كل منهما كان يخشى ان عمله الذي قد يسبب بالضرورة مضايقة قد تعود الى صالح الخصم » (اريتوسولي ، الحرب الليبيـة والدونيكانيز في وثائـق الديبلوماسـية السرية الروسـية » موجودة في « بوليتيكا » بتاريـخ ٣١ مارس ١٩٢٤ المجلد الثامن عشر ص ١٩٩) .

* سفير فرنسـا بروما في تلك الفترة (المعـرب) .

* سفير فرنسـا بتركيا في تلك الفترة (المعـرب) .

(٦٥) — راجع فيما يتعلق بهذه المحاولات كتاب جانلوكا اندريا Gianluca André ايطاليا والبحر الابيض المتوسط عشية الحرب العالمية الاولى . محاولات الوفاق التوسطـي (١٩١٤ — ١٩١١) ميلانو ١٩٦٧ ص ١٠٩٤ .

(٦٦) — هكذا كتب باريز الى دي سيلفي في يوم ٢٥ اكتوبر ١٩١١ — راجع جانلوكا اندريا (المصدر المذكـور ص ٢٠) .

البريطاني المعادي لايطاليا (٦٧) وان المحاولات التي بذلها باريروخاصة رود تاكد ان الود الذي كانت تبديه فرنسا وانكلترا عشية الحرب كـان يغـذيـه بصورة رئيسية غرض تخليص ايطاليا اكثر فاكثر من الحلف الثلاثي . بيـد انه كانت هناك في تلك الفترة ثلاثة عوامل حالت دون تحقيق المشروع ولو بصورة جزئية . فكان هناك قبل كل شيء عداء الصحافة البريطانيـة الـذي كان يحول دون الحكومة البريطانية واتخاذ خطوات ودية مع روما ثم عـداء الحكومة الفرنسية بعد تولي بوانكريه للحكم واخيرا اقتناع دولتي الـوفاق بعدم وجود خلافات كبيرة بين ايطاليا والنمسا . فلـو أن لنـدن وبـاريس كانتا على علم بالعقبات التي كانت تضعها النمسا امام كل حركة ايطـاليـة لاتخذتا بدون شك خطوات اكثر حزما لدى وزارة الخارجية الايطالية .

ففي تلك الفترة لم تكن هناك سوى روسيا وحدها قادرة على تأييد المطالب الايطالية وتقديم العون الديبلوماسي لروما ، غير ان فعالية هذا العون كـانت لا تستطيع تغيير الوضع مع الاخذ بعين الاعتبار العلاقات غير الطيبة القائمة بين بطرسبرغ واسطنبول . فمصالح الروس غير الخافية في المضايق لا يمكنها الا أن تثير اخطر شكوك الباب العالي . ومع ذلك فان المبادرة الاكثر موضوعية لحل المشكلة الليبية جاءت من بطرسبـرغ . ففي الخامـس والعشرين من ديسمبر قام سازونوف وزير خارجية روسيا بخطوة لدى مختلف الحكومات الاوروبية لبذل عمل موحد من أجل حمل تركيا على قبول الهدنة . وحسب ما جاء في اقتراح سازونوف الذي ابلغه الى ايطاليا يوم ٢ يناير ١٩١٢ فان الدول بادراكها ان من مصلحة اوروبا عقد الصلح بين تركيا وايطاليا قد تقوم « بخطوة لدى اسطمبول لاقتناع تركيا » بـان خسارة ولايتها التي احتلتها ايطاليا « كانت » امرا لا مناص منه لحملها على قبـول هدنة توازي ايقاف القتال الفعلي » . وان هذه الهدنة قد تمتد حتى يظهر

---

(٦٧) ــ حسبما يقول غراي انه في نهاية الحرب الايطاليـة ــ التركيـة فقط كـان فـي الامكان الوصول الى اتفاق مع ايطاليا (المصدر المذكور ص ٣٦)

« احتمال عقد صلح نهائي » واذا ما اتفقت الدول على هذه المقترحات فان فرنسا قد تتكلم باسم « جميع الاخريات » (٦٨) وان فرنسا قد تشترط فيما بعد منح قرض لتركيا عند ابرام الصلح مع ايطاليا (٦٩) .

ولكن الاقتراح لم يجد قبولا كبيرا لدى الحكومات الاوروبية وقد عارضه بصورة خاصة السفير الفرنسي لدى اسطمبول بومبارد مؤكدا ان الدور المطلوب من فرنسا القيام به دور بغيض بصورة خاصة وقد يثير العداء العثماني ضد المبادرات الاقتصادية الفرنسية في الامبراطورية العثمانية وذلك لصالح المانيا (٧٠) . وذكر جوليتي ان موقف فراي كان « مترددا وحائرا » (٧١) . اما النمسا والمانيا بالرغم من معارضة سفيريهما باسطمبول الشديدة فقد اعلنتا عن استعدادهما للتباحث وفيما يتعلق بايطاليا لقد وضع دي سان جوليانو شرطا مسبقا بسحب القوات التركية من طرابلس وبرقة » وان توقفنا عن العمليات العسكرية — كتب وزير الخارجية الى السفير الايطالي ببطرسبرغ — دون سحب الجنود والضباط الاتراك قد يكون كله ضارا بنا » وان الوسيلة المقترحة من سازونوف بربط اخلاء القوات التركية بتعويض نقدي غير مقبول من ايطاليا « لاسباب كرامة واضحة ومصالح سياسية وعسكرية » (٧٢) .

---

(٦٨) A.S. MAE, Segr. gen. pa. 43, pos. 17 FF. 646 برقية دي سان جوليانو الى السفارات الايطالية ببرلين ولندن وباريس وبطرسبرغ وفيانا . فيما يخص اقتراح سازونوف راجع اريكوسولي المصدر المذكور ص ٢٠٤ — ٢٠٣ .

(٦٩) — راجع D.D.F., 111, I, nn. 399, 407, pp. 405-507, 418- 418

(٧٠) المصدر المذكور رقم ٤٣٦ ص ٤٨ — ٤٤٤ . كتب بومبارد الى باريس يوم ٥ يناير ١٩١٢ :
« انه من الواضح انه بقيامنا بعملية الضغط البغيضة على تركيا لسلبها ولاياتها الافريقية فاننا سنجلب على مواطنينا ومؤسساتنا في الامبراطورية العثمانية غضب السلطات من كل درجة ونظام وان الضرر الذي سيلحق بمصالح فرنسا سيكون بدرجة تتطلب زمنا طويلا لتلافيه . بل بالعكس ستخلص المانيا من حرج خطير جدا لانها بوضع نفسها في موقف من اشد المواقف احراجا ما بين الحليفة والصديقة لم تفلح حتى الآن سوى في اغضاب الطرفين .

(٧١) — جوفاني جوليتي — المصدر المذكور ص ٢٤٥ .

(٧٢) — A.S. MAE, البرقية المذكورة المؤرخة في ٤ يناير ١٩١٢ .

واتخذ دي سان جوليانو موقفا اكثر حزما في برقيته الموجهة الى بانسا يوم ١١ يناير . وقد ظلت دائما النقطة الثابتة بالنسبة لايطاليا السيادة الكاملة والمطلقة على الاراضي الافريقية :

« من العبث التكرار باننا لن نقبل ابدا المفاوضات والصلح على اساس يختلف عما جاء في مرسوم ٥ نوفمبر مهما كانت العواقب وهذا لا يحول دون عقد اتفاقيات ذات صبغة دينية ومزايا اخرى لتركيا لان من مصلحتنا المحافظة على نفوذ وقوة تركيا في اوروبا . ان الهدنة دون الجلاء مستحيلة ولا يمكننا قبولها » (٧٣) .

وقد قضى على وساطة سازونوف في مهدها لان الدول بصورة خاصة التي كان من المفروض ان تقوم بالوساطة قد خلقت لدى الباب العالي بسبب التنافس والغيرة والمصالح الاعتقاد ان ايطاليا سوف تتساهل عاجلا ام آجلا (٧٤) . فمن مارشال الى بومبارد ونفس السفير الروسي باسطمبول تشاريكوف قد قاطعوا علنا الوساطة (٧٥) .

وقد ساهم ايضا في فشل المبادرة الروسية بعض « عدم اهتمام الدول » (٧٦) وخوف النمسا من « ان يعود فضل النجاح المحتمل للمفاوضات الى روسيا بدلا من حليفات ايطاليا » (٧٧) .

---

(٧٣)ــ المصدر المذكور .

(٧٤) ــ في ١٣ يناير عاد دي سان جوليانو الى الشكوى الى بانسا من سلوك مارشال :
« يبدو لنا بصورة مطلقة ان احدى العقبات الاكثر خطرا ضد السلام هي اقتناع مارشال ان ايطاليا سينتهي بها الامر الى التساهل في موضوع الضم . فان كل نشاط شخصي في اسطنبول مستوحى من هذا الاعتقاد الخاطىء وربما ينقل ذلك ويؤكده للاتراك دون ارادته . واني ادرك لوطنية سعادتكم بذل المساعي باستغلال فرصة مجيئه بطرلكم لتبديد اوهامه وجعل حكومته تصدر اليه اوامر قاطعة » (المصدر المذكور) .

(٧٥) ــ ابرق دي سان جوليانو الى السفارات الايطالية بباريس وبطرسبرغ يوم ٨ فبراير ١٩١٢ « قد اكدوا لنا ان السفير الروسي باسطمبول الذي قام هناك دوما بسياسة موالية لتركيا يعارض اقتراح حكومته ويعتبره صراحة غير مناسب وانه امام تركيا يعبر بطريقة اكثر صراحة (n° 43, pos. 17 g., f. 647 A.S., MAE, Segr. gen,).

(٧٦) ــ A.S. MAE, Segr. gen., pa. 43, pos. 17 f, f. 646 برقية دي سان جوليانو الى امبريالي بتاريخ ١٧ يناير ١٩١٢ .

ومما زاد الحالة المرتبكة اصلا تعقيدا انفجار الخلاف الفرنسي الايطالي في يناير ١٩١٢ بخصوص موضوع الباخرتين « قرطاج » و « منوبة » (٧٨) وبصرف النظر عن الحادث في حد ذاته الذي وصفه جوليتي لعدم اهميته بان « قضية محكمة اولية » (٧٩) فانه دل على أن استعداد فرنسا الطيب نحو ايطاليا اخذ يتدهور بسرعة منذ ان تشكلت الحكومة الجديدة برئاسة رايموند بوانكاريه ذات الطابع الوطني الواضح .

وكان اوضح دليل على اتجاه السياسة الخارجية الفرنسية الجديد هذا الخطاب الذي القاه بوانكاريه امام مجلس النواب يوم ٢٢ يناير والذي رفض فيه رفضا باتا اقتراح جوليتي باحالة الخلاف الى محكمة لاهاي (٨٠) ، واكد بالعكس ان العلاقات بين البلدين لن تعود كعلاقات طيبة الا بعد « تسليم

---

(٧٧) ــ المصدر المذكور ، برقية دي سان جوليانو الى امارنا بتاريخ ١٥ يناير ١٩١٢ .

(٧٨) ــ اوقفت البارجة الايطالية « اتوردات » في ١٦ يناير ١٩١٢ في جنوب سردينيا الباخرة الفرنسية قرطاج وقد عثر على ظهرها على طائرة صودرت وارسلت الى كالياري . وقد اعتبر الموضوع منتهيا بعد تاكيدات رسمية بانه لا الطائرة ولا الطيار قد يعملان في خدمة الاتراك . بيد انه بعد يومين اي في ١٨ يناير اوقفت نفس البارجة اتوردات باخرة فرنسية اخرى « منوبة » وقد كان على ظهرها ٢٩ ضابطا وجنديا تركيا ابحروا من مرسيليا في طريقهم الى تونس . ومما زاد في خطورة الحادث ان بوانكاريه على اثر قيام تيتوني بابلاغه بوجود الاتراك على ظهر الباخرة مختفين في ثياب رجال الصحة ، قد اكد بالقيام بتحقيق دقيق لمعرفة هوية الركاب بمجرد وصول الباخرة الى تونس في حين ان البحرية الايطالية وكانت بدون تعليمات مناسبة ولا تعلم شيئا من تاكيدات الحكومة الفرنسية قد باشرت بايقاف « منوبة » (راجع فيما يتعلق بهذا الحادث لويجي البرتيني المصدر المذكور قسم ١ مجلد ٢ ص ٥٩ ــ ١٥٨) .

(٧٩) ــ جوفاني جوليتي المصدر المذكور ص ٢٤٧ .

(٨٠) ــ بوانكاريه ــ كتب اوتوسطو توري ــ الذي اعتلى رئاسة الحكومة منذ ايام قليلة قد جاء على اثر بعث الشعور الوطني الذي تحقق في فرنسا بعد ازمة اغادير : ومن اجل هذا الوضع وبسبب مشاعره الخاصة كان ميالا الى المبالغة في اي حادث يشتم منه ولو على اقصى بعد المساس بالشرف الفرنسي وتجنب اي اتهام بالضعف مهما كان بعيدا . ولذلك فقد تصلب في الحال في موقف مقاومة متطرفة وترك المسالة تنتقل الى مجلس الامة بالرغم من ان الحكومة الايطالية ابدت استعدادها لحل ودي ومشرف للطرفين » (اوتوسطو توري المصدر المذكور ص ٥٨٠) . فيما يخص باهداف سياسة بوانكاريه

الركاب » الاتراك الذين كانوا على ظهور « منوبة » وقد اوقفتهم السلطـــات الايطالية . وقد اعتلى رئيس الوزراء الفرنسي في تلك المناسبة كـمـا كتـب فولبي « صهوة أكثر جياد المعركة هياجا واقتحم الميدان مسلحا وقذف بعيدا كل اعتبار دولي من أجل ارضاء مزاج امته » (٨١) . وكتب نيتي ذاكـــرا الحادث وموقف بوانكاريه الصارم فقال بـــدوره :

« لم يجرأ بوانكاريه من خلال وطنيته المثيرة ان يهاجم المانيا مباشرة لان الامر لا يخلو من مخاطر ولكنه سعيا وراء عمل ذى اثر بالغ يوطد مركزه فقد ظن أنه من الاسهل مهاجمة ايطاليا مستغلا الفرصة التي كانت تبدو له ملائمة وليست على قدر كبير من الخطورة ... اذلال ايطاليا دون اخطـار ربمـا بدت امام بوانكاريه كفرصة ملائمة يجب انتهازهـــا » (٨٢) .

وقد وجد خطاب وموقف بوانكاريه الحازم تاييدا لدى الصحافـة والــراي العام الفرنسي الى درجة جعلت تيتوني يصيح قائلا بان الصحافة الفرنسية

الخارجية واقتناعه بحتمية الحرب مع المانيا وضرورة تحصين الاستعدادات العسكرية الفرنسية وعدم جدوى القيام بسياسة وفاق مع ايطاليا التي قد تبدو علامة ضعف وذلك على نقيض باريز الذي كان يرى في ذلك فساد كل عمله ، انظر جانلوكا اندريه المصدر المذكور ص ٢٤ — ٢١ .

(٨١) — جواكينو فولبي « عملية طرابلس » المصدر المذكور ص ١١١ .

(٨٢) — فرانشسكو ساڤريو نيتي المصدر المذكور مجلد ٤ ص ٦١ — ٢٦٠ — وقد كتب جورج سوريل عن حادث الباخرتين « قرطاج » و « منوبة » بعد بضعة سنوات : يجب ان نذكر المزاج السيء الذي اظهره سياسة فرنسا وبريطانيا عندما استعدت ايطاليا لاحتلال ليبيا — فان الاستيلاء على الشواطيء الواقعة ما بين مصر وتونس يساهم بقوة في تحرير البحر الابيض من الهيمنة الفرنسية البريطانية . بل ان الحكومة الفرنسية ابت اكثر من الغضب عندما قامت طرادات ايطالية بالتصدي وايقاف بواخر فرنسية تنقل اشياء كثيرة الشبه بمهربات الحرب . وان اولئك الذين يزعمون عندنا بانهم امز اصدقاء ايطاليا لم يكونوا اقل حماسا في المطالبة لفرنسا بحق على ما يسمونه : « البحيرة الفرنسية » للبحر الابيض المتوسط . قد يكونوا اصدقاء لايطاليا على شرط ان يكون ذلك قريبا من الوضع الذي وجدت فيه اسبانيا نفسها بعد « اتفاق المقاتلة » (جورج سوريس (Georges Sores) « اوروبا تحت العاصفة » ميلانو ١٩٤١ — ص ١٧ — ١٦)

« قد استنفذت قاموس الاستهانة » (٨٣) وبدا في بعض الاوقات ان الموضوع أخذ اتجاها سيئا : فقد وصل الامر بايطاليا الى الخوف من هجوم فرنسي وكتبت صحيفة « فيقارو » انهم كانوا على قيد خطوة من الحرب (٨٤) . واخيرا امكن الوصول الى اتفاق ترك بموجبه للسلطات الفرنسية مهمة تدقيق هوية ركاب « منوبة » واعترف بانتمائهم لفريق الصحة وانتهى الحادث . ولم ترغب الحكومة الايطالية في الشد كثيرا على الوتر في وقت دقيق بيد ان الموقف الفرنسي ترك في البلاد شعورا بالدهشة والمرارة (٨٥) .

وقد امكن خلق جو اقل توترا بين البلدين بفضل مسعى باريير المعتدل بصورة خاصة الذي وان كان يتعارض مع تعليمات حكومته فقد طرح بصراحة مشكلة احترام اتفاقيات ١٩٠٢ من قبل فرنسا (٨٦) غير ان مما ساعد على تحسين العلاقات الفرنسية الايطالية حدوث تغيير في موقف الصحافة الفرنسية التي بعد حملتها في الايام الاولى التالية لحادث « قرطاج » و « منوبة » قد غيرت اتجاهها على ما يبدو نتيجة لتدخل اسفولسكي سفير روسيا بباريس وصديق كبير للسفير الايطالي تيتوني . وحسب شهادة نيتي

---

(٨٣) — جواكينو فولبي ، المصدر المذكور ص ١١٢ ، رسالة من باريس بتاريخ ٢٦ يناير ١٩١٢ .

(٨٤) — هكذا ذكر نيتي تلك الايام : « كنت وزيرا للتجارة في حكومة جوليتي وكان وزيرا الخارجية دي سان جوليانو والبحرية ليوناردي كاتوليكا من اصدقائي الحميمين . وقد نبهاني الاثنان بان كل شيء قد اعد لرد اية امكانية هجومية لفرنسا وظلت السفن الحربية في لاسبيسيا ليلتين نيرانها متقدة . وقد اتخذ زميلي وزير الحربية سبينغاردي ايضا جميع التدابير المناسبة على حدود الالب (فرنشسكو سافير يونيتي . المصدر المذكور ص ٣٦٠ .

(٨٥) — كتب فولبي : « لقد تنكر اصدقاء فرنسا في ايطاليا وتنكر من بين الفرنسيين باريير الذي ذكر حكومته بان ايطاليا اوفت - نحوها بتعهدات ١٩٠٢ وعبر عن خوفه من ان يذهب عمل عشر سنوات ادراج الرياح . واستيقظ فينا الشك القديم — وكانت خيبة امل للكثيرين الذين فقدتهم الامال — وظهرت صورة فرنسا القديمة دوما للوقوف في وجه اي تقدم ايطالي والشك المتاصل في انها لن تقدم لنا صداقة ملموسة ولن تسر كثيرا في ان تكون جيرانها في تلك المنطقة الافريقية التي كان يوجد بها اكثر من مائة الف ايطالي (جواكينو فولبي المصدر المذكور ص ١١٣) .

(٨٦) — راجع اوتوسطو توري ، المصدر المذكور ص ٨٢ — ٥٨١ .

فان تيتوني قد وضع تحت تصرف اسفولسكي مبلغ خمسين مليون . « فيما بعد دفع ثلاثين مليون اخرى لنفس السبب » . ونتيجة لهذا المبلغ المتواضع (...) حدث انفراج محمود » (٨٧) ومن الطبيعي ان وساطة اسفولسكي كانت له فيها مصلحة : فكل النشاط الذي كانت تبذله الحكومة الروسية لصالح ايطاليا كان من الممكن ان يسبب خلافات داخل الوفاق بسبب العداء الذي كان يبدو أن فرنسا قد أظهرته نحو ايطاليا . وكان اسفولسكي مرتبطا جدا بسازونوف ويشاطره مشاطرة كاملة سياسة الوساطة في الصراع الايطالي — التركي ، وقد أدرك تيتوني ذلك في أكثر من مناسبة .

وأدرك دي سان جوليانو ان الخطوات الصديقة لا يمكن الا ان تاتي من روسيا وحدها ولعب بكثير من اوراقه على بطرسبورغ . وكانت نيته كما يبدو بوضوح من الوثائق الدبلوماسية الايطالية هي اقناع روسيا لتكون الاولى في الاعتراف بالسيادة الايطالية . وهي خطوة — حسب ما كان يرى وزير الخارجية الايطالي — قد تقتدي بها دول أخرى لاسباب ملائمة واضحة .

---

(٨٧) — فرانشسكو ساليريونتي ، المصدر المذكور ص ٢٧١ . كانت الصحافة الفرنسية في تلك الفترة قابلة للرشوة بصورة خاصة . وكتب اسفولسكي الى بطرسبرغ : « موضوع طرابلس يظهر مثلا المزايا التي قد تاتي من صرف المال على الصحافة . اعلم ان تيتوني استطاع ان يهيا اهم الصحف الفرنسية (يشتريها) بطريقة عميقة وكريمة . والنتائج واضحة » (كتاب اسود ، المذكور مجلد ١ ص ١٤٨) . واكد اسفولسكي بوضوح من جديد في ديسمبر ١٩١٢ خلال حرب البلقان عمله الرامي الى تكييف مواقف الصحافة الفرنسية فكتب يقول : « كما تعلمون انا لا اتدخل شخصيا في توزيع الاعانات . غير ان هذا التوزيع الذي يشترك فيه وزراء (وزير الخارجية ووزير المالية) على ما يبدو فعال ويصل الى الهدف . ومن جهتي فاني احاول ان أوثر في صحف باريس الاكثر اهمية مثل « طامب » Tempe و « جورنال دي ديبات » Journal des Débats و « ليكو دي باري » Echo de Paris وغيرها والخلاصة ان الصحافة الباريزية اليوم لا يمكن مقارنتها بصحافة عامي ١٩٠٨ و ١٩٠٩ » (المصدر المذكور مجلد ١ ص ٢٧١) . وكتب نيتي أن ما بين اسفولسكي وتيتوني » قامت روابط متينة . فالسفيران كانا يقضيان ساعات كاملة معا . فحديقة السفارة الروسية بشارع دي قرينيل بباريس كانت مجاورة للسفارة الايطالية بباريس شارع فرين وقد فتح ممر بين السفارتين بحيث ان السفيرين يكون في استطاعتهما الملاقاة والبقاء معا كما يحلو لهما بعيدا من الصحافة وفضول وزارة الخارجية الفرنسية (فرنشسكو ساليريونيتي المصدر المذكور مجلد ١ ص ٢٧١) .

« في موضوع الاعتراف ــ كتب دي سان جوليانو الى توريتا في ٢٢ مارس ١٩١٢ ــ « والامتيازات ومفاوضات السلام وتطبيق الحياد وعملياتنا البحرية المحتملة في بحر ايجه أو في غيره فان روسيا تستطيع ان تؤثر في سلوك فرنسا غير انه قد فات الاوان (...)

فاذا قام سازونوف باستشارة دول اخرى قبل ان يقوم بأي عمل للاعتراف بسيادتنا على ليبيا فانه سيواجه شكوكا وصعوبات اما اذا قام باي عمل في هذا الصدد دون استشارتها فمن الصعب أن لا تقتدي به على الاقل حليفتانا ولو على مضض وفرنسا ايضا سواء لاحترامها لروسيا أم بسبب اتفاقيات عام ١٩٠٢ (٨٨) .

وبذل سازونوف مسعى وساطة جديدة في ٩ مارس ١٩١٢ وكان الفشل نصيبه . فقد ذهب سفراء الدول الخمس المحايدة الى دي سان جوليانو وسالوه :

« ما هي أدنى الشروط » التي تقبلها ايطاليا من اجل وساطة « بقصد وضع حد للصراع » (٨٩) .

فالشروط الايطالية كانت على كل حال معروفة منذ زمن ولم يكن دي سان جوليانو عن ترديدها تقريبا يوميا في برقياته للسفارات الايطالية : الاعتراف بالسيدة الايطالية وايقاف القتال وسحب الجنود الاتراك . والامر الذي كان ضايق دي سان جوليانو هو لجوء الدول باستمرار الى ايطاليا دون الاستماع أبدا الى شروط الباب العالي .

« بالفعل ــ لاحظ دي سان جوليانو ــ اذا كانت تركيا توافق بصورة مبدئية على التفاوض فمن العبث مناقشة الشروط معنا قبل معرفة النقط التي تتمسك بها تركيا اكثر من غيرها ـ واذا كانت تركيا بالعكس لا تقبل

(٨٨) ــ A.S. MAE, Segr. gen., pa. 44, pos. 17 h. f. 648

(٨٩) ــ المصدر المذكور .

التفاوض فهذا يساعدنا بالطبع لانه يوضح بان فشل المفاوضات عـائـد الى تركيا وليس بسببنا » .

وكان هناك خطر في أن هذه الخطوات المبذولة فقط لدى ايطاليا قـد :

« تلقي علينا كل أو بعض المسؤولية في عدم نجاح المفاوضات في حين انه يهمنا كثيرا أن تقع كما هو الواقع ــ هذه المسؤولية في اقرب وقت على تركيـا » (٩٠) لقد كان الوصول الى اتفاق بعيد الاحتمال بمثل هذا التردد والتهرب خاصة اذا اخذنا بعين الاعتبار أن الدول كانت تظهر دائما بصورة واضحة قلة رغبتها في التحدث بصراحة الى السلطات التركية ــ وكانت النمسا والمانيا تعطيان دوما انطباعا بعدم تاييد المطالب الايطالية ولو بقدر ضئيل بل كانت تقاطعها ــ وقد دفع القلق بجوليتي الى التدخل برسالة الى السفير الايطالي ببرلين ، لوح فيها بالخطر من أن الراي العام الايطالي بعد تجاوز صدمة حادث « قرطاج » و « منوبة » قد يطالب الحكومة باتجاه جديد لسياستها الخارجية معارض للامبراطوريات المركزيـة .

« اعتقد أن من واجبي أن اقول لك ــ كتب جوليتي الى بانسا ــ أن هنا في ايطاليا بعد ما عرف عن طريق اخبار كثيرة وصلت من اسطمبول بان مارشال سفير المانيا يشجع الاتراك على المقاومة ، فقد اخذ يتولد في الراي العام تيار معاد لالمانيا أصبح يقلقني جـدا .

انك لتعلم ان الاحزاب المتطرفة هنا تعمل من اجل الاتفاق مع فرنسا . فعليه من الضروري ان لا يبدو عمل المانيا اقل صداقة من فرنسا في أمر مثل مسألة طرابلس التي اثارت جميع الطبقات الاجتماعية بشدة وتعتبر الآن في ايطاليا اهم بكثير من جميع المسائل الدولية الاخرى . فاوصيك ببذل اكبر جهد للحيلولة دون انحراف الراي العام مما قد يؤدي لعواقب وخيمة » (٩١)

---

(٩٠) ــ المصدر المذكور ، برقية دي سان جوليانو الى السفارات الايطالية ببرلين ولندن وباريس وبطرسبورغ وفيانا بتاريخ ١٧ مارس ١٩١٢ . وبخصوص محاولات وساطة أخرى مقبلة (راجـع اريتوسولي ، المصدر المذكـور) .

كان من الواضح اذن أن الصراع لن يجد عن طريق محاولات وساطة الدول الحل السهل والسريع . ان تضارب مصالح مختلف الحكومات كان يقف دوما في وجه احسن النوايا للوصول الى حل سلمي . ولم تعر تركيا ـ كما يبدو اية أهمية لخطوات الدول المشتركة مدركة ـ كما لاحظ مارشال الى الروسي سوتشين « انها ، اي هذه الخطوات تنتهي على اكثر تقدير بنصيحة بسيطة وان الاتفاق ما بين الدول لا يصل ابدا الى فرض قرار مشترك بوسائل اكراهية » فان مختلف المبادرات الروسية حسب وجهة نظر مارشال ـ كانت عديمة الجدوى لان شروط ايطاليا كانت معروفة منذ ٥ نوفمبر ١٩١١ وقد صرح الباب العالي بتكرار انها غير مقبولة .

فاذا ارادت ايطاليا ان تقفل لصالحها العملية التي استعدت لمواجهتها في آخر سبتمبر ١٩١١ فكان عليها ان تفرض السلام على تركيا بفضل مجهود عسكري كبير . او تفتح مفاوضات مباشرة مع الباب العالي متجنبة الوساطات المنتفعة التي لا تفعل شيئا سوى اضاعة الوقت الثمين بالنسبة لايطاليا مع خطر وجودها وسط الحريق في المنطقة البلقانية ومشكلة طرابلس لا تزال مفتوحة . فكان يجب في الجوهر التعديل سواء في طريقة سير الحرب التي لا تجد مخرجا من حرب العصابات المستنزفة والعقيمة في الصحراء الليبية وسواء في العمل الديبلوماسي الذي استمر اكثر من خمسة اشهر عبارة عن تبادل كثيف من البرقيات والمقترحات والمحاولات المقدر لها

---

(٩١) ـ A.S. MAE, Segr. gen., pa. 43, pos. 17 g. f. 647 رسالة جوليتي الى بانسا بتاريخ ٢٦ فبراير ١٩١٢.ابرق دي سان جوليانو الى بانسا يوم ٢٩ فبراير مكررا نفس افكار جوليتي ومضيفا : « من الضروري ان لا يكون في سلوك الحكومتين الحليفتين لا في الجوهر وانما في المظهر ايضا ما يجنب الراي العام الايطالي اي انطباع غير مناسب ولن تكون لهجة تلك الصحافة او ذلك الجزء منها الذي تستطيع هذه الحكومة ان تؤثر عليه ان تكون اكثر ودا » . المذكور) .

الفشل منذ قيامها (٩٢) وان الشعور في الوقت المناسب بمبلغ خطورة اتباع هذا الخط وتغير دفة السير بصورة خاصة في الميدان الديبلوماسي كان بدون شك من المظاهر الايجابية لسلوك الحكومة وجوليتي خاصة الذي اضطر الى دفع ثمن الطيش وقلة التروي الذي اندفع به في العملية الطرابلسية :

---

(٩٢) ــ كتب تيتوني الى دي سان جوليانو في ١٤ فبراير ١٩١٢ : « ان الحاحنا الشديد على الدول كي تدفع تركيا الى السلام قد يجعل ما يهمس به البعض تملا يقال في الخارج بصورة علنية وهو ان ايطاليا بعد ان عجزت عن الاستيلاء على طرابلس بقوتها فهي تريد ان تقوم الدول باجبار تركيا على اعطائها اياها »
(A.S. MAE, Segr. gen., pa. 43, pos. 17 f, f. 646)

العمليات فى بحر ايجة والسلام

اللقاء ما بين غليوم الثاني وفيتوريو عمنويل الثالث بالبندقية ــ احتلال الدوديكانيز والغارة على ميلو ــ موقف فيانا ــ اقتراح بولليو بمهاجمة ازمير ــ جوسبي فولبي وجوليتي يبحثان عن حل ــ الوفاق العثماني ــ مهمة فولبي في اسطمبول ــ مباحثات لوزان ــ انــدلاع حرب البلقان ــ صلح اوشي ــ رد الفعل في ايطاليا ــ ميزانية الحرب ــ بنك روما والحكومة ــ نتائج وتبعات الحرب الليبية .

وصل العمل العسكري والمحاولات الدبلوماسية من اجل الوصول الى حل للصراع حوالي شهر مارس الى نقطة ميتة . لقد كان من الواضح كما لاحظ تيتوني ان العمل العسكري لا يستطيع « باي شكل ان يقرر نهاية الحرب التي قد تستمر الى ما لا نهاية اذا ظللنا نحن والاتراك ننظر الى بعضنا من بعيد » (١) وان هذا التصرف ما كان يؤدي الا الى البطلان المطلق لاي اثر والى « دوام الحرب الى ما لا نهاية » (٢) فعند هذه النقطة كان يجب تجاوز عقبتين : التغلب على معارضة الدول لاعمال عسكرية خارج الارض

---

(١) ــ A.S. MAE, Segr. gen., pa. 43, pos. 17 f, f. b4u رسالة تيتوني الى دي سان جوليانو في ١٤ فبراير ١٩١٢ .

(٢) ــ المصدر المذكور .

الافريقية وايجاد الوسيلة للاتصال المباشر بالسلطات التركية لفتح حوار صريح حول موضوع السلام دون النظر إلى وساطة الدول العقيمة (٣) .

وكان العسكريون منذ زمن والصحافة نفسها يضغطان لتحويل مركز العمل الايطالي نحو جزر بحر ايجه والدردنيل غير ان النمسا لم تتساهل في تفسيرها للبند السابع من الحلف الثلاثي التقييدي . وكان يكفي ان تقوم عمارة بحرية ايطالية بفتح نيرانها على سفينتين حربيتين تركيتين في ميناء بيروت يوم ٢٤ فبراير كي تبعث فيانا من جديد باحتجاجاتها الحارة الغاضبة مع الاتهام « بضرب مدينة مفتوحة بالقنابل » (٤) وتجددت الاحتجاجات عندما اقتحمت وحدات ايطالية — دون تعليمات محددة — الدردنيل وضربت القلاع التركية بالمدافع وانسحبت تحت نيران العدو .

وحدث تحوّل هام بزيارة امبراطور المانيا لايطاليا وملاقاته في البندقية بفيتوريو عمنويل الثالث . وقد دعا ملك ايطاليا الامبراطور ان يضغط على فيانا كي تزيل معارضة برشتولد الذي غدا وزيرا للخارجية بعد موت اهرنتال يوم ١٧ فبراير ١٩١٢ — وقد اكد غليوم الثاني للملك ايطاليا بصورة رسمية اهتمامه بالامر . (٥) فكان من الواضح ان نية الامبراطور عدم شد الحبال اكثر من اللازم خشية تعريض كيان الحلف الثلاثي نفسه للخطر . وعلى اساس موقف غليوم الثاني المساعد تكمن الرغبة فعلا في المساهمة في تعزيز الحلف . وكتب الامبراطور في تقريره حول اللقاء مع فيتوريو عمنويل يقول :

---

(٣) — منذ ٢٦ — ٢٧ اكتوبر كتبت صحيفة « الماتينو » : « اذا اريد تحطيم الاعتداد التركي يجب على الحرب ان تخرج من خليج سرت وان تصيب في العمق حيث يجب ان تلمس الاعضاء الحيوية . »

(٤) — جوفاني جوليتي المصدر المذكور ص ٢٥١ .

(٥) — راجع G.P., XXX, 2, n° 11085, pp. 364-385, رسالة فون جنيش الى بيثمان هولويغ من كورفو بتاريخ ٢٨ مارس ١٩١٢ كتب بحماس دي سان جوليانو الى جوليتي يوم ٢٥ مارس ١٩١٢ : صديقي الكريم لدى وصولي الآن الى الكونسولتا وجدت برقية موجهة الي من الملك : « كل شيء سار على ما يرام في حديث طويل . الامبراطور امر السفير جاكوف ليتفاهم معكم بخصوص ما ترغب فيه » . (A.C.S., C.G., b. 14, f 17/1).

« ان جلالته كان ممتنا لو عدنا بالتدخل لدى فيانا.والاحظ بانه اذا تنازلت النمسا عن معارضتها فان ذلك لن يسهل تجديد الحلف الثلاثي فحسب بل يجعله شعبيا . ان صاحب الجلالة يرغب في ان لا يعتبر شعبه هذه المعاهدة كضرورة سياسية بل ان تفهم روحها وتكون لها جذور . التوقيع يجب ان تقوم به كل الامة بقلبها وهذا ما سيحدث اذا اتبع الطريق السالف الذكر . » (٦)

وجاءت على مضض موافقة فيانا المترقبة بلهف مع التحفظ « بحرية العمل الكاملة في حالة أن العملية الايطالية قد تغير من الوضع القائم بالبلقان » وقد اتخذت موقفا سلبيا تجاه احتلال « مؤقت » لجزر رودس وسكاربنتو وستامباليا (٧)

وكانت ستامباليا أولى الجزر التي احتلت يوم ٢٦ ابريل في الوقت الذي كان فيه الجنرال اميليو يحشد في طبرق حملة (٨) امكنها يوم ٤ مايو النزول في خليج كاليتيا واحتلال رودس . وقد استسلمت الحامية التركية نهائيا يوم ١٧ مايو وباختصار فقد تم احتلال جميع جزر سبورادي الجنوبية (سكاربانتو بيسكوبي ، نيسيري ، ليرو ، كاليمنو ، باتمو ، كو ، سيمي ، وكالكي) (٩)

---

(٦) — G.P., XXX, 2 n° 11065, pp. 365-367 التقرير المؤرخ في كورفو يوم ٢٧ مارس ١٩١٢ كان مرفقا برسالة جنيش المذكورة .

(٧) — لقد كان في تلك الايام تبادل برقيات كثيف بين روما وفيانا وبرلين راجع الوثائق الديبلوماسية الالمانية وبصورة خاصة (وما يليها (G.P., XXX, 2, nn. 11083, 11086, 11091, pp. 381 ولوثائق النمساوية : وما يليها (O.U.A., IV, nn. 3417, 3420, 3436, 3440, 3447, pp. 79 انظر ايضا لويجي لبرتيني ، المصدر المذكور مجلد ١ قسم ٢ ص ٧٧ — ١٦٧ وجوفاني جوليتي المصدر المذكور ص ٥٢ — ٢٥٢ .

(٨) — تتألف من الايين مشاة وكتيبة للبيني ومجموعة مدفعية وسرية فرسان . في المجموع عشر كتائب و ٥ بطاريات .

(٩) — بخصوص عمليات الدوريكانيز راجع كاميلو مانفروني Camillo Manfroni للحرب الايطالية التركية تاريخ احداث العمليات البحرية مجلد ٢ ميلانو ١٩٣٦ وايضا رنزو سيرتولي ساليس Renzo Sertoli Salis جزر ايجه الايطالية من الاحتلال الى السيادة روما ١٩٣٦ .

وذلك بموجب عمليات انزال جديدة . وقد انشأت في ستامباليا قاعدة بحرية قوية ودعم احتلال الجزر . وقامت فيما بعد خمس نسافات ايطالية بقيادة القبطان ميللو في ليلة ١٨ يوليو بالتغلغل في الدردنيل بقصد نسف الاسطول التركي الراسي هناك ولكن امرها اكتشفت واضطرت الى الانسحاب تحت نيران المدافع التركية . وقد قامت البحرية بهذه العملية دون اتخاذ الاحتياطات اللازمة للحيلولة دون ثورة الدول الاوروبية . وقد قلق جدا دي سان جوليانو للحادث (١٠) . لقد كان يؤمل ان تتجنب البحرية فيما بعد سياسة الغارات هذه الخطيرة بصورة خاصة وقليلة الفائدة على المستوى العسكري والضارة على المستوى الديبلوماسي . ومع هذا فان بارير نفسه قد نصح دي سان جوليانو بهذا المعنى . » (١١)

---

(١٠) — في يوم ١٩ يوليو هكذا كتب دي سان جوليانو من فيوجي الى جوليتي : « في موضوع الدردنيل الجديد ان اهم شيء في الوقت الحاضر هو التاثير الاول في اوروبا بان اغلاق المضيق ليس له مبررات ، ولهذا من الصالح وجود الشك حول وجود نسافاتنا ام لا في تلك المياه ومن الضروري ان تفهم اوروبا ان النسافات لم تكن تقصد مهاجمة الدردنيل ومحاولة المرور وانما لمراقبة ومهاجمة للنسافات التركية التي كان من المعلوم انها كانت تريد ان تخرج لنسف سفننا . اذا نجحنا في احداث هذا الانطباع في اوروبا فمن المحتمل أن تركيا لن تغلق الدردنيل او ان غضب اوروبا يتحول ضد تركيا لا ضدنا (...) من المؤكد ان البحرية لم تمتثل كالعادة للتعليمات بان لا تظهر اذا كان النجاح يبدو محتملا جدا .

ويبدو لي واضحا انه بعد رؤية الانوار الكاشفة تعمل من على بعد لم يكن هناك داع للاقتراب وكان في الامكان العودة الى الوراء ، والان يجب ان نحول دون تسرب الاخبار من البحرية مما يضعف من حجتنا وان تتوقف البحرية على الاقل لفترة من الزمن عن القيام بالعاب خطرة قد تسيء من جديد الى اوضاعنا الدولية المتحسنة دون الحصول على مزايا مقابلة . ولهذا يبدو لي ان تصدر لها الاوامر بعدم تكرار المحاولة حتى اعلان جديد » (من اوراق جوليتي المذكور مجلد ٣ ص ٧٣) .

(١١) انظر D.D.F., III, 3, n° 224, pp. 278-299 من بارير الى بوانكريه بتاريخ ٢٥ يوليو ١٩١٢ ان هموم الايطاليين — كتب نولبي — وقد توجوا بما قام به حفنة من الرجال في تلك الرحلة الليلية ضد الخطر والموت وما حواه من مغامرة تقارب الخيال وقد اضافوا هذا الحادث الى السجل الذهبي للحرب الليبية وفي الفصل الجديد للسياسة الايطالية (جواكينو نولبي « عملية طرابلس » المذكورة ص ٤٠ — ١٣٩) .

وفي رسالة كتبها جوليتي بعد بضعة اشهر الى فرديناند ومارتيني لاحظ ان احتلال الجزر كان بالنسبة لايطاليا يرمي الى « اهداف كثيرة واحدا اخطر من الآخر .

« وكان من الضروري بالنسبة لنا — لاحظ جوليتي — ذلك الاحتلال لمنع تهريب السلاح الى ليبيا الذي يمر من هناك او يرسل رأسا . وكانت تلزمنا ايضا قاعدة ستامباليا لمراقبة السواحل التركية ومن اجل اي عمل مقبل محتمل . وكان من اللازم الحصول على رهن في اليد من اجل مفاوضات السلام المقبلة (...) » (١٢) .

وردت الحكومة التركية على احتلال الجزر بطرد الايطاليين المقيمين بتركيا (١٣) بيد انه على المستوى العسكري لم تترك العملية الاثر الذي كان يتوقعه الكثيرون والمقاومة العثمانية لم تتأثر على الاقل ظاهريا وخشي الكثيرون ان الحادث الجديد لن يدخل اي تعديل على الحالة . وقد كتب امارنا — على سبيل المثال — الى دي سان جوليانو يوم ٢٥ مايو ١٩١٢ ما يلي :

« لقد اعتقدت منذ ان طرحت المسألة على بساط البحث أن احتلال جزر بحرايجه ولو انه قد يكون بالنسبة لنا شبه رهن يفيدنا في مفاوضات السلم المقبلة ولكن ليس بالوسيلة الفعالة لاخضاع تركيا . وهذا ما لا أزال أعتقده حتى الآن هذا الاحتلال ولو امتد حتى على جميع جزر بحرايجه قد يخلق بعض الارتباكات لتركيا مثل بعض الضيق الاقتصادي والشعور بالاذلال ولكن من المشكوك فيه أن ذلك قد يكرهها على التفاوض معنا (...) وعليه فيبدو لي

---

(١٢) — A.C.S., C.M., b. 12, f. 6 رسالة جوليتي الى مارتيني بتاريخ ٢٦ اكتوبر ١٩١٢ .

(١٣) — المرسوم الصادر في ٢٠ مايو اصبح نافذا في ١٢ يونيو . وعاد الكثير من الايطاليين الى الوطن وفي ٢٣ مايو شكل جوليتي « لجنة اسعاف لصالح اللاجئين » من تركيا بقصد ايجاد العمل لهم وجمع التبرعات وتالفت اللجنة من الاتي ذكرهم : جوليانى فاللينا — اكيللي دي جورجو — انجلو بالوني — بارتلومي روبني — فنشنزو جهاريدا — ولليتشي فيوري .

انه اصلح لنا ، ان نعزز عملياتنا في طرابلس وبرقة وان ندفع بالعمليات العسكرية بكل سرعة ممكنة لنؤكد اكثر فاكثر استيلاءنا على تلك المناطق باحتلال نقاط على الساحل لم يجر احتلالها حتى الآن » (١٤) .

ولاحظ سفير النمسا ــ المجر باسطمبول بالافيتشيني بدوره في ٣٠ مايو خلال حديث له مع امارنا لاحظ انه لا يرى اية وسيلة ممكنة لانهاء الصراع . فالحرب ــ حسب وجهة نظره ــ لا تزعج تركيا التي يبدو انها لا تزال قوية كي تقاوم مدة اطول . وان الوسيلة الوحيدة للخروج من الموقف هو « التنازلات المتبادلة » من الجهتين وذلك بالنسبة لموقفهما المتصلب المتخذ . (١٥) وقد اغتاظ دي سان جوليانو كثيرا لهذه التصريحات واكد :

« اذا كانت الحرب حتما ــ كما يقول بالافيتشيني ــ لا تخلق لتركيا متاعب فمن الواضح انها ستستمر الى مالا نهاية بالنظر الى اننا لن نتساهل ابدا في موضوع السيادة . فعلى الدول التي ترى بحق في استمرار الحرب خطرا وضررا على الجميع ان تعترف بان لا حق لها في منعنا من جعل تركيا تحس باخطار واضرار الحرب . وحيث اننا لم نعلم تركيا ابدا باننا لن نتنازل عن مسالة السيادة ، فان بالافيتشيني يساهم في تمسك تركيا بالاوهام ويؤدي خدمة سيئة لتركيا وايطاليا على السواء . ان الامر لا يتعلق بتقديم نصائح ولا القيام بضغوط وانما من اجل الحقيقة فقد اعلمكم بذلك » (١٦) .

وكان بالافيتشيني في الواقع يعكس استياء فيانا لتحول الحرب الى بحرايجه ذلك التحول الذي اضطر برشتولد (وزير الخارجية) الى الموافقة عليه بتدخل من برلين . وازداد هذا الاستياء لان ايطاليا لم تقصر احتلالها

---

(١٤) A.S. MAE, Segr. gen., pe. 44, pos. 17 k, f. 650

(١٥) المصدر المذكور .

(١٦) A.S. MAE, Segr. gen., pa. 44, pos. 17 f. f. 651 برقية دي سان جوليانو لامارنا بتاريخ ١ يونيو ١٩١٢ .

على الثلاث جزر الموافق عليها من فيانا ـ ويؤكد جوليتي ان وزير خارجية النمسا « كان شخصا بدون افكار ذاتية ومسخر كليا لخدمة الطغمة العسكرية الامبراطورية التي لا تكاد تصدق أن تقتنص الفرصة لتحقيق مشاريعها في الباليا وفي السنجق » (١٧) وهذا حكم قاس يبدو ان الملحق العسكري في فيانا البريتشي يشترك فيه معه ايضا :

« كتب البريتشي في رسالته المذكورة الى بروساتي قائلا : اعلم ان هذا السيد (برشتولد) لا يساوي شيئا . فهو لا يتكلم ابدا معبرا عن نفسه . فيقول دائما ان الدوائر ستدرس وسترى وانها لا تريد .. الخ ، فكل مسالة يجب ان تدرس لاضاعة الوقت على الاقل . ان الديبلوماسية النمساوية القديمة قد وجدت فيه ممثلا رائعا . واني لمتاكد أن سفيرنا الحذر والمتحفظ يفكر مثلي تماما . وقد قال لي سفير انكلترا بصراحة انه لا يحظى باحترام الا في الصالونات (١٨) .

واكد البرتيشي نفسه فيما بعد : « أن الخوف والشوكة الخطيرة » كانت تكمن في الاحتمال بان النمسا تعتبر نفسها بعد العملية الايطالية في بحرايجه قد اصبحت « حرة » في ان تذهب الى دوراس والى فالونا » .

ان عدم تحقق ما كان يؤمل من انهيار تركيا بعد احتلال الدوديكانيز دفع بعض الاوساط العسكرية الى الاقتناع بانه من الضروري مواصلة العمليات خارج الاراضي الليبية واصابة تركيا في مصالح اخرى اكثر حيوية . وكان

---

(١٧) جوفاني جوليتي المصدر المذكور ص ٢٥٦ . واصل جوليتي كلامه : « وان سلوكه الديبلوماسي الدائم الشكوى والتهديدات ضدنا دون أن يصل ابدا الى نتيجة ، وكذلك الرقابة التي كان يصر عليها في تفسيرات اعتباطية ولا اساس لها لالتزاماتنا دون لن يواجه جدال سان جوليانو المعاكس كل ذلك كان يعطي انطباعا عن رجل لا يملك حرية او مقدرة العمل وانه بدلا من ان يفكر بعقله لادراك واقع الامور فهو ينفذ ببساطة الدور المسند اليه » (المصدر المذكور) .

(١٨) ACS., A.B. sc. 9, f. VI.2.34, n° 69 رسالة البريتشي الى بروساتي من فيانا بتاريخ ١٩ مايو ١٩١٢

الجنرال بولليو رئيس أركان الحرب الناطق باسم هذا الاتجاه ، قد ارسل في ٢٩ يونيو ١٩١٢ مذكرة عن الحالة السياسية العسكرية الى سبنقاردي وزير الحربية واجه فيها بحرية الراي المواضيع المتعلقة بالحرب الليبية مقدما حلولا قاسية ونهائية كانت تتعارض بوضوح مع كل السياسة الحذرة والمسايرة للظروف سواء في الميدان العسكري ام في الميدان الديبلوماسي التي كانت تتبعها الحكومة . فبعد ان مهد بعدم معرفته جيدا للوضع « بالنسبة للدول الصديقة والحليفة » لعدم اعلامه بذلك ولجهله « بالاسباب التي كانت تشل العمل الايطالي في شرق البحر الابيض المتوسط » اكد بولليو ان وضع تركيا قد وصل الى درجة تجعل انحلال الامبراطورية العثمانية امرا لا بد منه في وقت قصير فمن مصلحة ايطاليا اذن ان تعجل بهذا الانهيار لنتجنب استمرار حرب طويلة وباهظة الثمن .

« يقال بحق — كتب بولليو — ان مبادرتنا الجديدة الجريئة قد ضايقت وكونت خطرا على كل اوروبا . هذا صحيح جدا غير ان المقدر وقع وانا لا ارى للضيق والخطر نهاية بينما نواصل الحرب في ليبيا ونحتل جزر اسفل بحرايجه ونحتفظ بسفننا في ستامباليا واواسط بحرايجه . ففي الخلاصة اننا مثل المعلقين في انتظار وقوع اي حادث مساعد يمكن ان يعدل الوضع من اساسه لصالحنا . والآن لا ارى من الاحداث المساعدة الا اثنين : الانتصارات في ليبيا وانهيار تركيا . فالانتصارات في ليبيا لا تحدث اي اثر لا في تركيا ولا خارجها . يتبقى الانهيار وهذا الانهيار اذا كان قادما فلماذا لا ننتهز الفرصة ! واذا اضطررنا نحن الى تقريبه واظهاره فلماذا ننتظر في ان نصيب ؟ من المؤكد لو ان جميع الدول الكبرى كانت متفقة وتفرض علينا التوقف أمام قوة كبيرة حقا . غير أنني اسمح لنفسي أن اشك في ان الدول اذ خرجت من دائرة العداء الاصم الذي وضعت نفسها فيه قد تستطيع ان تتفق فيما بينها . وبالاضافة الى ذلك فقد اعلنت هذه الدول حيادها في حين تعهدنا نحن باحترام شبه جزيرة البلقان مثلما هو واقع . بيد انه بقيامنا بالحرب ضد تركيا هل يمكن منعنا من القيام بالعملية التي تساعدنا اكثر

والتي من الوجهة العسكرية والسياسية تبدو لي بالطبع افضل الا وهي احتلال ازميـــر ؟

انني كما قلت اجهل الوضع الدولي ولا استطيع الاجابة على ذلك . ولكن من جهة اخرى ففي وقت الحـــرب يتداخل العمـــل العسكـــري في العمل السياسي لدرجة عدم امكان فصلهما عن بعضهما ، وفي ذلك اعتقد انني مؤهل للنصح بان تؤخذ ازمير انها عملية جدية وصعبة ولكنها ليست اكبر مـــن وسائلنا وقدرتنا الحربية . انها حرب غريبة التي نخوضها ولا يمكن الا الاعتراف بالصعوبة التي تواجهها ديبلوماسيتنا في حربها وهي تقاتل فـــي حرب اخرى مملوءة بالمكائد وهل يخشى حقا بعد ان وصلنا هذه النقطة ان تقوم الدول الغربية بارسال اساطيلها واحتلال ايطاليا اذا قمنا بحرب جدية ضد تركيا ؟ واذا كان هذا الخطر غير قائم فيوجد فقط تهديد الدول بالبحث عن التعويضات على حساب تركيا وقبل ان تذهب الى اخذ نصيبها فلنذهب نحن اولا ! ان النمسا ــ المجر قد تطمع في سنجق نوفي بازار وماذا يهمنا اذا عادوا اليهـــا ؟

قد تطمع في البانيا وهذا هو الاسواء . ولكن هل يترك الالبان بهدوء ان تقدم بلادهم تعريضا ؟ هذا ما اعتقده . هل ممكن التفكير في تدخل المانيا في البحر الابيض المتوسط اذا كانت قد تضطر الى ترك الاسطول البريطاني وراء ظهرنا ؟ وهل سنجد في انكلترا عدوة ما دمنا قدمنا لها الكثير من الاحترام بما في ذلك ايقاف العمليات البحرية الايطالية لادخال الاطمئنان على اليخت الملكي وهو في طريقه الى الهند ؟

وهناك اعتبار آخر اعتقد انه يساهم في تامين حرية العمل لنا . هـــو موقف دول البلقان الصغيرة التي لا تنتظر بكل تاكيد سوى كلمة لتنضم الينا عاجلا أم آجـــلا » (١٩) .

---

(١٩) مذكرة بولليو موجودة في AC.S., A.B., sc. 10, f. VI.8.40

وقد رفض جوليتي بصورة قاطعة اقتراح بولليو (٢٠) المشوب بالمخاطرة الواضحة سواء في الميدان الديبلوماسي أم في الميدان العسكري — فقد حشدت تركيا في ازمير قوة كبيرة من جيشها وقد يتطلب الامر — حسب راي جوليتي مائة الف رجل على الاقل لانهاء العملية . غير ان الحالة الدولية كانت اكثر ما يقلق رئيس الوزراء في هذا الخصوص فمن المحتمل ان بولليو كان يجهل — كما يؤكد ذلك هو نفسه — مبلغ خطورة وصعوبة العقبات التي كانت الدول تقيمها في وجه اي توسع للصراع . ان فتح جبهة جديدة في آسيا الصغرى قد تؤدي — في تلك الفترة — الى عواقب دولية خطيرة من الصعب التحكم فيها . وانه لغريب تعليق جوليتي على اقتراح بولليو : « لمن سوء الطالع ان قليلين اولئك الذين لديهم المناعة ضد الاثارة الخاصة التي تصحب اي حرب » (٢١) .

ولكن نوايا بولليو يبررها تاثير الظروف بصورة جزئية . فاذا ما درس اقتراحه بدقة فان الوثيقة تظهر النية المستترة في التعجيل وتسهل ازمة البلقان للحصول فيما بعد على « مزايا كبيرة ايضـــا » (٢٢) .

هذا في حين ان جوليتي كان يهمه انهاء العملية التي سببت له الكثير من

---

(٢٠) هكذا كتب سبقاردى الى بروساتي يوم ٣ يوليو ١٩١٢ : طلب مني بولليو ان ابلغ جوليتي بمذكرته حول ازمير وبحر ايجه التي ولا بد قد وصلتك صورة منها وكان حكمه عليها غير موافق (المصدر المذكـور) .

(٢١) جوفاني جوليتي — المصدر المذكور ص ٣٩٤ .

(٢٢) وكتب ايضا بولليو في مذكراته : « لا يوجد ما هو اهم واعظم وزنـا في السياسة من العمل العسكري الحازم . واضيف في النهاية انه ولو لسوء الحظ اضطررنا الى التخلي عن عملية ازمير التي يجب بالضرورة ان يسبقها احتلال كيوس من الضروري اطلاقا — مهما كانت نتيجة المفاوضات الديبلوماسية ومهما كان المصير الذي ينتظر تركيا — ان تنسب لنا على الاقل النية في اخذ ازمير . لقد حشد الاتراك فيها جيشا . فقد يكون من المؤلم حقا اذا ما اقتنعوا بعدم تحركنا ووجهوا تلك القوة مثلا الى البانيا حيث قد يكون في امكانهم المساهمة في اصلاح الوضع الذي لم نخلقه والذي على ما اعتقد يفيدنا فوائد كبيرة خاصة اذا ما اشتعلت النار في مقدونيا واذا ما بدات الدول الصغيرة البلقانية تتحرك » .

المضايقات اكثر مما كان يتوقع (٢٣) وان الضربة التي تلقتها تركيا في بحر ايجة لا يمكن أن تكون امتصتها كلية ولم تلطف من مقاومتها العنيفة . وكذلك الحرب في ليبيا نفسها كانت الآن اكثر ايجابية وسجلت بعض النجاح . (٢٤) فكان ولا بد اذن من محاولة الحوار وتحسس نوايا الباب العالي مع تجنب التدخلات ذات المصلحة . وكان يجب في الخلاصة ــ حسب وجهة نظر رئيس الوزراء ــ الوصول الى الوقت الذي نجلس فيه مع الاتراك ونعثر معا على مخرج مع التمسك بنقطة السيادة الايطالية على طرابلس وبرقة وهذا ما كان يرمي اليه جوليتي منذ زمن .

وفي نفس الفترة تقريبا التي تحول فيها العمل العسكري الى بحر ايجة ، حدث ايضا تطور جديد في طريق البحث عن السلام بقصد ابعاد وساطة الدول بالذات والارتباط بتركيا عن طريق اتصالات مباشرة . وفي هذا الظرف برزت شخصية جوسبي فولبي وزير مالية موسوليني المقبل (من ١٩٢٥ الى ١٩٢٨) وفيما بعد حاكم طرابلس وكونت مصراتة ، وفولبي هذا كان من رجال المال والصناعة بالبندقية ، وقد انشا الشركة التجارية للشرق الكثيرة النشاط في البلقان والتي لم تكن خافية علاقاتها الوثيقة المصلحية بالبنك التجاري لدرجة جعلت جواكينو فولبي يصيح قائلا ان الحرب الليبية « بدأت تحت رعاية بنك روما اي انها عمدت في غرفة المقدسات بالكنيسة » وانتهت « تحت الرعاية الالمانية او الايطالية الالمانية او اليهودية للبنك التجاري أي

---

(٢٣) نحن ــ كتب جوليتي ــ قصدنا ببساطة احتلال ليبيا واعددنا لهذا الغرض وسائل ديبلوماسية كثيرة توازي العسكرية ، ولن نجاحنا دون الحاجة الى اللجوء الى خريطة معالجة جزئية تنطوي على مخاطر مقابلة ودون التسبب في فتح مسائل وصراعات اخرى مع احراز غاياتنا التي قصدناها منذ اول يوم بدقة فهذا في نظري كان اعظم ميزة للحكومة » (جوفاني جوليتي ، المصدر المذكور ص ٢٩٤) وفي هذه الحدود نضع حكم سبادوليني الايجابي عندما كتب أن الحرب الليبية « قد تولي جوليتي ادارتها بحكمة » (جوفاني سبادوليني Giovanni Spadolini « عالم جوليتي » فرنسا ١٩٧٠ ص ١٠٥) .

(٢٤) بخصوص العمليات العسكرية لهذه الفترة راجع جدول الاحداث الزمني الملحق .

انها تثبت عمادها في الكنيست اليهودية » (٢٥) ويشير جوليتي في مذكراته بصورة متخففة الى اتصالاته بفولبي (٢٦) غير انه في الواقع ان جوليتي منذ شهر يناير ١٩١٢ جعل من فولبي مخبره الخاص في المسائل العثمانية وكان يرسل الى جوليتي تقارير تقريبا اسبوعية ينقل اليه فيها الاخبار التي يرسلها اليه المهندس نوقارا مدير الشركة التجارية للشرق باسطمبول والذي كان يعتبره فولبي « رجلا يركن اليه وذا اخلاق سامية » (٢٧) وحسب ما يقول فولبي فان « لعبة الدول » لم يكن في امكانها ابدا ان تفلح في زحزحة المقاومة التركية ، وان حادثا بلقانيا جديدا « قد يستطيع ان يقرر اتجاهات جديدة والا فيجب » انتظار الانتخابات (التركية) مع العمل وعدم ترك اسطمبول ولو للحظة واحدة (٢٨) .

وحوالي شهر ابريل بدأ عمل نوقارا المكثف واتصالاته بالاوساط الرسمية التركية يفتح آفاقا جديدة . وقد بعث نوقارا الى قارباسو بمحتوى محادثة هامة جرت بينه وبين ب.افندي هالاجيان وزير سابق للعدل ونائب رئيس المجلس الاكبر للجنة الاتحاد والترقي ، وكان على اتصال يومي بمسيري السياسة العثمانية » . وحسب ما كان يراه الوزير السابق فقد كانت تلك « الفترة الملائمة لايطاليا للسير في مفاوضات وان ابرز رجال السياسة العثمانية »

---

(٢٥) جواكينو فولبي — « عملية طرابلس » المصدر المذكور ص ١٥٠ — لقد اوضحت دراسات فيجنتري دور مشاركة الشركة التجارية في التوسع الايطالي وفي العمل الذي قام به رئيسها جويل خلال الحرب الليبية والذي كان يرمي لا لجعل مصرفه منافسا لبنك روما وانما من اجل توحيد « جميع قوى البلاد للحصول على مبادرة سلمية وحيوية » وتفكير جويل — كما اشار الى ذلك فيجينتي — قريب جدا من سياسة التوسع الاقتصادي والتجاري في الشرق التي كان يؤملها دي سان جوليانو والتي تظهر واضحة بالوثائق في المذكرة الاتي ذكرها (ص ٦٩ — ٣٦٨) راجع برونيللو فيجينتي المصدر المذكور ص ١٩ — ١٨ و ١٨ — ٢١٤ .

(٢٦) جوفاني جوليتي — المصدر المذكور ص ٦٥ — ٢٦٤ .

(٢٧) A.C.S., C.G., b. 18, f. 43/1 رسالة فولبي الى جوليتي بتاريخ ٢٦ يناير ١٩١٢ .

(٢٨) المصدر المذكور .

يرغبون أن تكرههم الاحداث على الصلح » ولكن طجان كان يضيف بان « الاحداث الديبلوماسية » كانت « غير كافية » . ومن خلاصة لقائه مع الوزير التركي السابق فقد لاحظ نوقارا ما يلي :

(١) ان تركيا تعلق على مسألة الخلافة اهمية اساسية ولذلك فان قيامنا بدعاية لصالح خليفة آخر او اكثر قد يكون من العوامل التي تكرهها على السلام .

(٢) ان تركيا في حاجة الى حدث عسكري حربي هام يمسها من كثب ويبرر دخولها في مفاوضات السلم امام الراي العام .

(٣) ان الظرف السياسي الحالي قد يكن ملائما لاجبار تركيا على السلام ولذلك يجب الاستفادة منه (٢٩) .

وقد فتحت الانباء التي بعث بها انوقارا بصيصا جديدا من الامل حول امكانية الوصول الى نهاية متفق عليها للحرب . غير ان المرحلة الحاسمة في الموضوع جاءت في أوائل يونيو . فبعد ما علم فولبي من نوقارا ان امكانية لقاء مسؤولين في السياسة العثمانية قد نضجت ، قرر أن يجس النبض مباشرة بغرض فتح المفاوضات الرسمية فيما بعد وقد نضجت هذه الامكانية دون شك نتيجة للعمل الايطالي في بحر ايجه الذي أخذ « يقلق الحكومة التركية » (٣٠) وفي الخلاصة قد تحقق احد العوامل التي كان يعتبرها طجان ضرورية لاكراه تركيا على السلام .

---

(٢٩) رسالة نوقارا الى قارياسو موجودة في A.S. MAE, Segr. gen., pa. 44, pos. 17/1, f. 649 وفيما يخص لقاء نوقارا وطجان ، راجع ايضا جوفاني جوليتي المصدر ص ٦٥ — ٢٦٤ فقد كتب نوقارا في اليوم السابق ٣ ابريل الى فولبي ناقلا اليه بانه علم من مصدر موثوق به ان تركيا كانت « تريد شراء بعض الصحف الايطالية » لاسقاط حكومة جوليتي» وان ما امرته يعنينا — يضيف نوقارا — انهم بذلك يضرون بحكومة جوليتي . وقد لا ابتعد من التفكير في ان سكارفولو المعروف قد يدخل في اللعبة — على كل حال فان التفكير يتجه اليه لانه قد يكون له بعض العلاقة بالشبان الاتراك » (الرسالة موجودة في (A.C.S., C.G.b. 16, f. 43/2)

(٣٠) جوفاني جوليتي المصدر المذكور ص ٢٦٥ .

ولا يجب أن ينسى أن في تلك الايام بالذات تفجرت ثورات في المانيـــا . وهناك عامل آخر دل على رغبة تركيا في السلام وهو النبا الذي بعث به كاربانسو يوم ٣يونيو يذكر فيه أن الاتراك يقترحون الاعتراف « باعـــلان استقلال الولايات الافريقية « كشرط مسبق لتخلي الاتراك عن ليبيا وترك الامر فيما بعد لايطاليا لحل المسالة بوسائلها الخاصة مع الوطنيين ! (٣١) ومن ذلك يبدو ان الانفراج العثماني كان واضحا .

واذن جوليتي لفولبي بالذهاب الى اسطمبول . وقد سافر يوم ٦ يونيو وبما انه كان قنصلا عاما لصربيا بالبندقية فقد كان من السهل دخوله تركيا وكان ذهابه الى اسطمبول من الناحية الرسمية من اجل « شؤون تتعلق بشركة الشرق التجارية » غير أن الحكومة التركية كانت على علم بمغزى الزيارة لدرجة ان المهندس ديناري الذي لعب دورا رئيسيا بمناسبة مهمـــة تيودولي (٣٢) ذهب الى جوليتي باسم طلعت بك ليستفسر اذا كان في امكان الوزراء الاتراك أن يتحدثوا جديا مع الكوملدتور فولبي » . واجاب جوليتي ان في امكانهم « الشـروع معه في مباحثات مفيدة » (٣٣) وطبع بذلك مهمة فولبي بطابع شبه رسمـــي .

وصل جوسبي فولبي الى اسطمبول في ١٠ يونيو ١٩١٢ اي قبل يومين من دخول قانون ابعاد الايطاليين في حيز التنفيذ . وفي نفس يوم وصوله

---

(٣١) A.S. MAE, Segr. gen., pa. 44, pos. 17 I., f. 651 برقية بوسداري الى دي سان جوليانو بتاريخ ٢ يونيو ١٩١٢ ورد وزير الخارجية بنفس التاريخ . وفي نفس يوم ٣ يونيو بعث بوسداري من صوفيا بنبا وصله من كاربانسو مفاده ان مجلس الوزراء التركي كان يبحث منذ زمن مناقشات حول السلام وسط اتجاهين ، واحد سلمي (يترأسه رئيس الوزراء سعيد باشا) « وهو قلق بسبب الصعوبات الداخلية والمالية » ومقتنع بان « ايطاليـــا لن تسحب ابدا مرسوم الانضمام » . اما الاتجاه المتطرف فكان يقوده طلعت وجاهد بك « الاول من اجل البقاء في الحكم والثاني وهو بطبيعته ميال للسلام ولكنه يظهر المقاومة ليبعد عنه شبهة شراء ايطاليا لـــه » (المصدر المذكـور) .

(٣٢) راجع ص ٣٠٦ ـ ٣٠٥ .

(٣٣) جوفاني جوليتي المصدر المذكور ص ٢٦٥ .

كان لقائه الاول مع وزير الحربية محمود شوكت باشــا الذي صرح « انه مستعد لتأييد حل مشرف لتركيا » . مدركا ان ايطاليا بصفتها دولة كبيرة لا تستطيع بعد العودة الى الوراء . وفي اليوم التالي تقابل مع حاسم بك وزير الخارجية الذي قال انه مقتنع بضرورة « تفاهم سريع ومباشر مع ابعــاد امكانية « عقد مؤتمر قد يثير تعقيدات جديدة وقد ظهرت مع هذا استحالته منذ الاوقات الاولى » (٣٤) .

وفي يوم ١٢ يونيو قام فولبي بانهم لقاء مع الوزير الاكبر سعيد باشا الذي بدا « مؤيدا بصورة قاطعة لتفاهم مباشر وللبحث عن صيغة مشرفة من اجل السلام كما لم يبدو ابدا منذ بداية الحرب » وجس فولبي خلال مهمته نبض اعظم البارزين في الحياة العامة العثمانية وذلك بصورة عمليــة باستثناء حسين جاهد النائب ومدير صحيفة طنين الذي اتخذ موقفا متطرفا قاطعا .

وقد صرحت الشخصيات التي استمع اليها فولبي ولو بصيغ مختلفة انها تؤيد السلام . ونجد بين هؤلاء المسيو بيسارد مدير عام الدين العام العثماني ونسيب بك رئيس تشريفات الامير ولي العهد وطجان افندي نائب رئيس المجلس (النواب) واخيرا رئيسا الوزارة السابقين حسين حلمــي باشــا وكامل باشــا .

وعاد فولبي الى ايطاليا يوم ١٦ يونيو وارسل تقريره النهائي عن المهمة الى جوليتي يوم ٢٠ يونيو من البندقية . وكان تقرير فولبي بصورة خاصة عبارة عن صورة لواقع تركيا عشية انهيار امبراطوريتها وهو واقع يعطي ايطاليا امكانيات كثيرة لاغلاق الحساب مع اسطمبول في النهاية . وقــد كتب فولبي في تقريره الى جوليتــي :

---

(٣٤) في حديث لاحق بتاريخ ١٥ يونيو خفف حاسم بك من نظرتــه المتساهلة للامر واكد على استحالة خسارة تركيا لطرابلس بالاشكال المطلوبة من ايطــاليا . جميع تقاريــر فولبي الخاصة بهذه المباحثات موجودة في A.C.S., C.G., b. 17, f. 43/8 وانظر ايضا بخصوص هذه المباحثات جوفاني جوليتي المصدر المذكــور ص ٦٧ — ٢٦٥ .

« بعد انفجار الحرب وفي الاشهر الاخيرة من العام الماضي وجدت تركيا نفسها غير مستعدة لمقاومة سريعة جدية وبما انها تجهل خط السلوك الذي تنوي ايطاليا اتخاذه لتسيير الحرب فقد حلت بالحكام الاتراك فترة اولية من التردد والفوضى كان من الممكن ان تؤدي — حسب راي البعض الى حل سريع للصراع مع بعض المصالحة لصالحنا . فكانت هناك مشاريع مختلفة واقتراحات من كل نوع صادرة من كل تيار لكل سلطة (...) ولكن لا يوجد بينها واحد شبه رسمي ، والكثيرون مقتنعون بانه لو لم يات مرسوم ٥ نوفمبر ليضع نقطة ثابتة في الامر فقد لا يصلون الى اي شيء ملموس .

وبعد ذلك تغير الوضع تغييرا جذريا :

التنظيم العسكري وما اتبعه من استدعاء للجنود تم بما يقارب الخمسمائة الف جندي تحت السلاح من بينهم خمسون الفا في ولاية ازمير و ٢٠٠ الف رجل او ما يزيد ما بين مقدونيا والبانيا .

المقاومة في طرابلس وبرقة وقد نظمت بالتعاون مع العرب وعلى اساس دفع رواتب منتظمة للجنود الوطنيين .

الثورة في جزيرة العرب لا تزال في وضع غير خطير .

المقاومة في طرابلس وبرقة نظمت بالتعاون مع العرب وعلى اساس فيها ايطاليا نفسها . والجبل الاسود يكاد يكون عديم الحركة وعلى حدوده قرابة اربعين الف جندي تركي .

ان مثل هذه الحالة القائمة التي اكتملت في الاشهر الاولى من هذا العام جعلت تركيا تتطرف وقد خدعتها ايضا مواقف جميع الدول الودية جدا نحوها في اسطمبول وهو الموقف الذي لم يتغير بصورة عامة حتى الآن . وكذلك الطريقة الكيسة التي تولت بها المانيا رعاية المصالح الايطالية .

وفي المدة الاخيرة فان الانتصارات الايطالية الجديدة المتواصلة في ليبيا رغم اخفائها وعدم الاعتقاد في جزء منها وابعاد البارون مارشال الذي يعتقد

انه ضحى به في سبيل ايطاليا وموقف روسيا من مشكلة الدردنيل .. كل ذلك ازعج امن الحكام في اسطمبول .

غير ان هذه الاسباب لم تكن تؤدي الى اية نتيجة فعلية اذا لم يطرأ سببان كبيران للقلق : احتلال جزر ايجه من قبل ايطاليا والحالة الاقتصادية الداخلية التي تزداد تفاقما . (...)

انه بلد يواصل طريقه نحو نهايته المقدرة ، يتولاه رجال قليلو الذمة جميعهم او ما يقارب ذلك هم ادنى من المهمة المسندة اليهم ، وهم مع الاسف الذين بيدهم مصير البلاد حتى الآن ، وهم بكل تاكيد لدى اختيار مختلف الطرق المفتوحة امامهم والواجبات الملقاة على عاتقهم لا يملكون حرية الاختيار بسبب سوء سمعتهم المقدرة ودرجة اخلاقياتهم المشكوك فيها لدى القليلين والسلبية لدى الاغلبية المطلقة (٣٥) .

ولا يقل اهمية التقرير الذي بعث به قارباسو الى دي سان جوليانو حول مهمة فولبي بتاريخ ١٦ يونيو ، ، وقد وضع قارباسو بصورة خاصة النقاط على الحروف حول عدم جدوى جميع وساطات الدول لعدم صدقها تجاه تركيا ولسياستها المليئة بالتحفظات الذهنية مما كان يجعل التقارب بين الطرفين الاكثر مصلحة مستحيلا بصورة عملية . وقد القى قارباسو الضوء على الجو الاقل تطرفا السائد حاليا في تركيا . فهو يشعر كيف أصبحت الاوساط الرسمية في اسطمبول الآن اكثر مرونة ورغبة في ايجاد مخرج :

« للمرة الاولى خلال تسعة اشهر من الحرب ـــ كتب قارباسو في تقريره ـــ كان في الامكان التعرف بدقة وعن طريق مباشر كيف يحكم رجال مخولون هنا على الحالة ويبدون قلقهم من اجل وضع حد للحرب ولاول مرة عرضت ـــ ولو بصورة خاصة ـــ وجهة نظرنا ومطالبنا المشروعة ـــ وكما سبق لي ان وضحت لهذه الوزارة فان الحكام العثمانيين لم تبلغهم ابدا كلمة صادقة من

---

(٣٥) A.C.S., C.G.b. 18, f. 43/8

حالة الراي العام في المملكة ، وعن قصد الحكومة الايطاليـــة الاكيـــد في المحافظة على البرنامج الموضوع (...)

ففي هذه اللحظة اخذ يظهر هنا بعض الانفراج وانه بالرغـــم من اقوال الصحف التركية فان خصوما عنيفين مثل حسين جاهد بك محرر صحيفة « طنين » لا يريدون الاعتراف حتى الآن بتنـــازل تركيـــا ، الا انهم يقرون بان برقة وطرابلس قد خســرتهما الامبراطورية .

يوجد اذن فارق كبير ما بين راي الباب العالـــي الذي طالب منذ بضعة اسابيع في وثيقة رسمية بالاعتراف بسيادة السلطان الفعلية وسحب القوات الايطالية وبين ما جمع من افواه بعض اعضاء الحكومة الذين لا يعترفون بخســارة الولايتين فحسب بل يبحثون عن وسيلة لحل الصراع ويقبلون ليس المباحثة فقط بل والمناقشـة أيضا مع من يعتبر ــ رغم تصريحه بانه غير مخول ــ بانه اذا لم يكن الناطق باسم نوايا حكومتنا ، فهو على الاقـــل الشخص الذي سينقل بامان كل عوارض هذا الاتجاه السلمي الذي اخـــذ يتعمـــم (...)

هناك شيء اخذ ينضج وهو دليل على ان رجال الحكومة واللجنة لم يعد يخشون الاساءة الى سمعتهم بظهورهم في الاجتماعات الخاصة ، وبدوا اقل تطرفا مما يصرحون به علنا (٣٦) .

ان ايطاليا من الآن فصاعدا في امكانها الوصول الى السلام بمفردها وان تتبع الطريق الوحيد وهو الاتصال المباشر باسطمبـــول ــ وقد كان لتدخل جوليتي الشخصي وزنه بدون شك كان هو في الواقع الذي شد حبال هذه الاستطلاعات المتهيبة وكان منذ شهر يناير على اتصـــال شخصي بفولبي ليعرف بالتفصيل اتجاهات الباب العالي ، وهو الذي كان يؤمن اكثر بالحوار المباشر مع اسطمبول بدون وساطة الدول . ومن خلال تاملاته في مهمة فولبي

(٣٦) A.S. MAE, Segr. gen., pa. 44, pos. 17 I., f. 651

اكد جوليتي انه كان يعتبر « هاما بصورة خاصة الامر في ان الحكومة التركية قد اعترفت بمناسبة المفاوضات من اجل اتفاق مباشر مع ابعاد اي تدخل او وساطة قد يكون من نتائجها تعقيد المشكلة التي كانت صعبة بطبيعتها » (٣٧) .

وقد تغلب الاحساس العملي في جوليتي في هذه المناسبة فهو لا يحب سفسطة الدبلوماسية الاوروبية ، ويشعر بان المشكلة يجب ان تواجه بصراحة.وكان دي سان جوليانو ضائعا تقريبا في المتاهات التي خلقتها الحكومات الاوروبية . وتائها وسط تبادل البرقيات الكثيف العديم الفائدة . ولم يستطع غير تكرير الفكرة المعتادة وهي استحالة تنازل ايطاليا عن السيادة الكاملة منتظرا دون فائدة أن تصدر من برلين او فيانا او بطرسبرغ كلمة حاسمة وقوية الى اسطمبول دون ان يرى بارقة امل في ذلك . ولا يخلو من مغزى بصورة خاصة الامر بان نوقارا رجل ثقة فولبي هو الذي نظم الاتصالات للوصول الى لقاء بين الوفدين الايطالي والتركي وكان هو الوسيط وقد اعترض جوليتي بشدة على اختيار فيانا كمركز للمباحثات ، خشية انه في العاصمة الدانوبية « سوف لا تعجز حكومة النمسا عن ايجاد الوسيلة لمعرفة كل ما كان يحدث » (٣٨) ويكفي دراسة تشكيل الوفد الايطالي الذي بعد قليل اي في ١٢ يوليو التقى في فندق جيبون بلوسان بالوفد التركي لفتح مفاوضات سلام حقيقية حتى وان كانت بصورة شبه رسمية . (٣٩) كان الوفد الايطالي يتألف بالاضافة الى فولبي من شخصين مخلصين جدا لجوليتي : بيترو برتوليني نائب بالبرلمان ووزير اشغال عام سابق ومرشح لتولي وزارة المستعمرات وقد كان قريبا من سونينو في أعوام كريسبي ثم انفصل عنه واصبح من ابرز شخصيات الاغلبية الجوليتية لدرجة انه مثل

---

(٣٧) جوفاني جوليتي المصدر المذكور ص ٢٦٧ .

(٣٨) المصدر المذكور .

(٣٩) تحقق هذا الاجتماع بعد اقل من شهر من سفر فولبي من اسطمبول وذلك بفضل العمل الذي قام به نوفارا لدى الاتراك .

ما ذكر سلاندرا ان برتوليني « بدا للحظة كمرشح لخلافة جوليتي وكانوا يمزحون منه اذ يلقبونه بالامير ولــي العهد » (٤٠) اما العضو الثالث في الوفد فهو النائب قويدو فوزنياتو وزير المعارف السابق مع جوليتي في عام ١٩٠٦ واستاذ في القانون الدولي وهو من المخلصين لجوليتي . (٤١) وفي الخلاصة فهم ثلاثة من رجال رئيس مجلس الوزراء ينقلــون اليه نتائــج المباحثات . (٤٢) وقد يكون من المبالغة القول ان دي سان جوليانو قد سلبت مهامه غير انه مما لا شك فيه ان شخصية رئيس مجلس الوزراء كانت تبرز في قلب هذا العمل ، وفي هذه المقابلات التي ستؤدي الى الســلام .

وعين لرئاسة الوفد التركي سعيد حليم باشا وهو من اصل عربي ورئيس مجلس الدولة ورئيس سابق للجنة الاتحاد والترقي . (٤٣) وكانت المفاوضات طويلة وشاقة تميزها الاقتراحات والاقتراحات المضادة والمتباينة جدا وذلك

---

(٤٠) انطونيو سالاندرا « الجهـاد الايطالي » (١٩١٤) ميـلانو ١٩٣٥ ص ١٤٠ وبخصوص برتوليني يراجع « يومياته » المنشورة في « نوفا انتولوجيا » اول فبراير ١٩٢٣ .

(٤١) في يوم ٢٢ سبتمبر ١٩١٤ مات فوسيناتو منتحرا بصورة مأسوية بعد ان استبدت بــه فكرة ان ايطاليا بعدم انضمامها الى الامبراطوريات المركـزية خلال الحـرب العظمى قد تلحق بها نتائج خطيرة لا حصر لها (راجع انطونيو سلاندرا المصدر المذكـور ص ٤٤ — ١٤١ وفرديناندو مارتيني المصدر المذكور ص ١١٧) .

(٤٢) جميع تقارير الوفد الايطالي حول محادثاته مع الاتراك موجودة A.C.S., C.G., b. 21, f. 48 وفيما يخص مفاوضـات السلام راجع انجلو بيتشولي « سلم اوشـي » روما ١٩٣٥ .

(٤٣) هكذا يصفه فوسيناتو في رسالة الى جوليتي : « انه رجل صغير الحجـم في الخامسة والخمسين تقريبا شعره قصير تغلب عليه البياض وشاربه اكثر سوادا . الامر الذي يدل على انه عمل اكثر براسه من فمه .. وفي المجموع شكله خفيف الظل يذكـرنا بفيتوريو ايمانويلي اورلندو مختصر . ملامحه وتصرفاته غاية في الكياسة والاتقان مما يدل على انه سيد من سلالة . ويعبـر بفرنسية جيدة جدا ويدخـن سجاير ممتـازة صنعتها له خصيصا ادارة الاحتكارات العثمانية . وكما نعلم جيدا انه شخصية كبيرة يحمـل لقب صاحب السمو لملاقته بخديوي مصر وهو عضو في مجلس الشيوخ ورئيس مجلس الدولة وهذا المنصب يعطيه حق عضوية مجلس الوزراء . وقد كان من النظام السابق غير انــه انتقل تلقائيا وفي الحال الى النظام الجديد واصبح حائزا على ثقة الشبان الاتــراك » (جوفاني جوليتي المصدر المذكور ص ٣٦٩) وسعيد حليم باشا سينتخب رئيسا للوزارة في عـام ١٩١٣ .

في جو من السرية التامة . (٤٤) وفي يوم ٢٨ يوليو غادر الوفد التركي لوزان على اثر أزمة الحكومة التركية وتشكيل وزارة جديدة . ثم استؤنف المباحثات في ١٣ اغسطس في كاو Ouux بوفد تركي جديد متكون من نابي بك وزير مفوض سابق بصوفيا وفخر الدين بك القنصل العام ببودابست وفي يوم ٤ سبتمبر نقل مركز المفاوضات مرة اخرى الى اوشي احد ضواحي وميناء لوزان على الضفة الشمالية لبحيرة جنيف . وبوصول وزير الزراعة والصناعة والتجارة التركي رشيد بك الى أوشي يوم ٢٩ سبتمبر اتجهت المفاوضات نحو مرحلتها النهائية بحيث انه في يوم ١٦ اكتوبر استلم المندوبون الاتراك والايطاليون كل من عاصمته توكيلا رسميا بصفته مفوضا .

اللمسات الاخيرة في محادثات اوشي كيفها حادث البلقان الجديد . ففي ٣٠ سبتمبر عبات بلغاريا واليونان وصربيا والجبل الاسود جيوشها . وحاولت الدول في اللحظة الاخيرة الوساطة ولكن دون جدوى . وقد وصلت مذكرة نمساوية روسية غايتها اشعار الدول البلقانية بارادة الدولتين في مقاومة اي تغيير في الوضع القائم الاقليمي للامبراطورية العثمانية ... وصلت هذه المذكرة بعد ان كانت دولة الجبل الاسود قد اعلنت يوم ٨ أكتوبر الحرب على تركيا واتبعتها بعد قليل من ذلك بقية دول الرابطة البلقانية.(٤٥)

وان الامر المخيف الذي كيف ، كل سلوك ايطاليا العسكري والديبلوماسي والذي غذى تطرف النمسا ضد كل مبادرة ايطالية جاء الآن — تحت مظاهر كثيرة — ليسهل من مهمة المفوضين الايطاليين باوشي .

فتحالف الدول البلقانية في تلك الفترة ضد الباب العالي قدم ، بدون قصد

---

(٤٤) احتجت بعض الصحف الايطالية لان البلاد كانت لا تعلم شيئا . فلاحظت صحيفة « روما » في عددها بتاريخ ٥ اكتوبر ١٩١٢ ان الشعب قدم امواله ودماءه من اجل الحرب وله الحق ان يعرف كل تطور المفاوضات .

(٤٥) بالنسبة للحرب البلقانية الاولى راجع فلاديمير ديديجير V. Dedijer « المعقدة البلقانية وسراييفو » ميلانو ١٩٦٩ ص ٣٢٧ وما يتبعها .

خدمة جيدة لجوليتي غير ان الامر اغضب القوميين الايطاليين وصحفا مثل « الماتينو » التي لم تتقبل التوقيع على السلم في ذلك الظرف « بفضل الدول البلقانية » والتنازل هكذا « عن لقب وكرامة الدولة الكبيرة . (..) فاقل ما يمكن ان ننتظره اليوم ــ لاحظت الصحيفة النابوليطانية ــ من أجل شرف بلادنا ومستقبلنا هو ان ترفض تركيا آخر شروطنا » (٤٦)

ولكن بالرغم من الضربة التي تلقتها من الدول البلقانية فان تركيا قامت ببعض التسويف خلال المفاوضات الامر الذي دفع بالوفد الايطالي يوم ٢ اكتوبر بناء على توجيهات من جوليتي الى تقديم انذار مدته ثمانية أيام تدعو فيه المفاوضين الاتراك الى التوقيع على الاتفاق السري الذي تم التوصل اليه والا فستتوقف المباحثات وتستأنف ايطاليا كامل حريتها في العمل (٤٧) وجاء الرد التركي يوم ١١ أكتوبر مغيرا المشروع الموضوع من أساسه (٤٨) وقد رفض وكان يبدو فعلا ان المفاوضات اصبحت على أبواب القطع بصورة لا أمل فيها وقد وجد في ايطاليا من سر لهذا الامر (٤٩) ولكن جوليتي والوفد

---

(٤٦) « الماتينو » ٢ ــ ٣ سبتمبر ١٩١٢ . بعد شهر منذ ذلك وصف سكارفوليو مفاوضات اوشي بانها مضحكة واضاف : « لا نبالغ اذن اذا قلنا ان اتمام الصلح في هذا الظرف قد يكون جريمة وخيانة عليا ضد البلاد التي اعطت ثقة ومالا ودماء بما يكفي للفوز بهدفها السامي والتي سترى خيبة جميع امالها » (تارتارين Tartarin « السلام عبارة من خيانة » في صحيفة الماتينو ٤ ــ ٥ اكتوبر ١٩١٢ ، راجع ايضا « الخيانة تمت » ٦ ــ ٧ اكتوبر ١٩١٢) .

(٤٧) جوفاني جوليتي ــ المصدر المذكور ص ٩٥ ــ ٣٦٨ بخصوص الجو الذي ساد المفاوضات للسلام راجع الرسائل التي بعث بها باروريني من سويسرا الى البرتيني منشورة في لويجي البرتيني « رسائل » المصدر المذكور مجلد ١ ص ١٢٨ وما يتبعها .

(٤٨) راجع جوفاني المصدر المذكور ص ٢٨٨ .

(٤٩) « الماتينو » بتاريخ ١٢ ــ ١٣ اكتوبر ١٩١٢ اغتبطت لهذا التوقف في المفاوضات « ان ايطاليا من جديد في حالة حرب ! معسكرنا ليست بعد محطوطة في رفوف الاجراءات المنتهية ، بل قد اسندت من جديد الى سيوف قوادنا ــ ــ تحيا ايطاليا ــ وهناك اعتبار آخر . ان ملايين البنادق البلقانية والاف المدافع الايطالية تضيق الخناق على تركيا التي تقرر مصيرها ــ ان العنصر التركماني في استطاعته ان يرفع الخيام ويعود الى القوقاز من حيث اتى » واكدت الصحيفة في اليوم التالي : « لقد اسند الينا فعلا ان نمثل القسم

الايطالي اظهروا من جديد جدا وثباتا واخذوا يلعبون على الصعوبات التي كانت تواجهها تركيا في منطقة البلقان ثم منحوا تركيا خمسة ايام اخرى مهددين بهجوم الاسطول الايطالي على ازمير وقطع ملتقى الخطوط الحديدية في ديديافياتش Dedeaffatch في تركيا الاوروبية وهو ملتقى حيوي بالنسبة لتركيا لانهاء التعبئة اللازمة لمواجهة اليونان وبلغاريا . ومرت ايام اخرى من التردد والتسويف والشكليات غير انه في هذه الايام بالذات اخذت الدول الكبرى تكتسب اكثر نشاطا وقوة من اجل تعجيل انهاء المفاوضات بين ايطاليا وتركيا .

« كانت الحكومات ــ كتب فولبي ــ تعمل من اجل امكانية ايقاف الاعصار قبل ان يتفجر وكانت تتفق في رغبة السلام لا في اسلوب العمل من اجل المحافظة عليه وقد تجددت الحالة نفسها لعام مضى في غمرة الحرب الايطالية ــ الليبية ، وقد عاد نفس العرض للاتفاق الاوروبي المزيل وبنفس القلق الكامن في كل احد بان لا يتورط ولا يفسد الصداقة مع هذا او ذاك من الطرفين المتخاصمين وعدم ترك الآخرين يتحصلون من الاحداث الجديدة على مزايا اعظم مما لديهم . وكان شبح المانيا ايضا يقض المضاجع ولكن النمسا كانت اكثر ازعاجا ، حيث كان يخشى من ردود فعلها . واخيرا ماذا كان في امكان روسيا أن تفعل ! » (٥٠) .

ولكن هذه الازمة الدولية الجديدة ــ كما لاحظ فولبي نفسه ــ قد مكنت من تحقيق ما لم يكن في الامكان حتى ذلك الوقت ابدا الحصول عليه من الدول : اي تدخلها لدى اسطمبول كي تخضع للامر وتلقى السلاح » (٥١)

الاول من حديث تاريخي ذي اتساع عالمي : ليس سقوط الامبراطورية العثمانية وانما سقوط الحكم المطلق والحكم الديني التركي في الامبراطورية العثمانية » وقالت الصحيفة ان تعاون ايطاليا في « الحملة الصليبية البلقانية » يكسب « نفس المغزى وستكون له نفس النتائج السعيدة التي فزنا بها من اشتراكنا في حرب القرم » (ناردلرين : تحيا ايطاليا » منشور في « الماتينو » تاريخ ١٣ ــ ١٤ اكتوبر ١٩١٢) .

(٥٠) جواكينو فولبي ــ المصدر المذكور ص ١٤٢ .

(٥١) المصدر المذكور ص ١٤٣ .

وبما ان المصالح المتنافس عليها كانت اشد وطأة على الدول الآن فمن الانسب اذن وضع حد للحرب في ليبيا التي كانت تنهك تركيا وتولد في الميدان البلقاني عناصر الاضطراب . ولذلك تحركت برلين وفيانا وبطرسبرغ وباريس ، حتى ولو ان بوانكاريه كان قلقا بخصوص جزر الدوديكانيز خشية ان لا تتعهد ايطاليا باعادتها . (٥٢) ولكن كان من مصلحة ايطاليا ايضا قفل الموضوع في اقرب وقت ، لدرجة انه كانت هناك تدخلات من قبل تيتوني وامبريالي من اجل دعوة فرنسا وانكلترا للتدخل لدى حكومة اسطمبول (٥٣) .

واخيرا تم التوقيع على الاتفاق التمهيدي عند الساعة السادسة مساء من ١٥ اكتوبر . وهذا الاتفاق كان ينص على انه يجب أن يسبق التوقيع على معاهدة السلم الحقيقية صدور الوثائق التالية من الطرفين من قبل تركيا : صدور فرمان بمنح الاستقلال الذاتي لليبيا مع الاحتفاظ للسلطان بحق تعيين الرئيس الديني وأن يرعى المصالح العثمانية في تلك المناطق بواسطة ممثل له ، واصدار ثان تمنح بموجبه اصلاحات وعفو عن سكان الجزر التي احتلتها ايطاليا وكذلك العفو عن السيد ادريس — اقطاعي عربي كبير كان قد انضم الى الايطاليين — ومن قبل ايطاليا : كان يجب ان يصدر مرسوم ملكي بمنح العفو عن الوطنيين ويعترف بالقاضي المعين من السلطان كرئيس ديني لطرابلس وبرقة .

---

(٥٢) طالب بوانكاريه ان تقدم ايطاليا « بلاغا احتياطيا بجميع الاتفاقيات » المعقودة مع تركيا « حول اعادة جزر ايجه وحول النظام السياسي والاداري للباب العالي » (انظر D.D.F., III, 4, n° 81, p. 84 بوانكاريه الى السفراء الفرنسيين في لندن وبرلين بتاريخ ٨ اكتوبر ١٩١٢ و B.D., IX, 1, n° 443, p. 423 برقية غراي الى ف . برتي بتاريخ ٨ اكتوبر ١٩١٢) . ولم يكن غراي موافقا على هذه الصيغة خشية ان تتعثر المفاوضات (المصدر المذكور ص ٤٢٤ وما يتبعها) .

(٥٣) جواكينو فولبي المصدر المذكور ص ٤٤ — ١٣٤ — راجع ايضا B.D. المذكور رقم ٤٤٢ ص ٢٣ — ٤٢٢ برقية ديرلق مستشار السفارة البريطانية بروما الى غراي في ٢ اكتوبر ١٩١٢ يؤكد فيها ان دي سان جوليانو كان يرحب بتدخل بريطاني لدى الباب العالي .

وفي ١٦ اكتوبر نشر الفرمان الذي اعلن بموجبه محمد الخامس عجزه عن تقديم المساعدات الفعالة والضرورية لسكان ليبيا للذود عن بلادهم ورغبته في تجنب « مواصلة حرب مدمرة » فقد منحهم « استقلالا ذاتيا كاملا وشاملا » مستندا على ما تخوله « حقوقه الملكية » .

« ان بلادنا — واصل السلطان كلامه — ستسيرها قوانين جديدة ونظم خاصة ستساهمون بنصائحكم في سبيل اعدادها بحيث تاتي مطابقة لرغباتكم وتقاليدكم .

اني اعين لديكم كممثل لي خادمي الامين شمس الدين بك بلقب نائب السلطان واكلفه برعاية المصالح العثمانية في بلادكم — وان مدة التفويض الذي امنحه له خمس سنوات وساحتفظ بعد مرور هذه الفترة بحق تجديد مهمته او تعيين خلف لـه .

وحيث اننا ننوي أن تظل قوانين الشريعة السمحاء سارية المفعول فاننا نحتفظ بهذا القصد بحق تعيين القاضي الذي يقوم بدوره بتعيين النواب من بين العلماء المحليين وفقا لتعليمات الشرع الشريف . و سنقوم نحن بدفع مخصصات القاضي في حين ان مخصصات نائب السلطان وموظفي الشرع الشريف الآخرين ستدفع من الواردات المحلية » (٥٤) .

وقد تحدث السلطان في الخلاصة كما لو أنه لا يزال هو القادر على التصرف بحرية في الولايتين الليبيتين اذ لا يوجد اي اثر في كل الوثيقة للوجود الايطالي . لا يقتصر الامر على عدم الاعتراف او الحد من السيادة الايطالية فقط : (٥٥) لقد تجاهل ايطاليا عن عمد كما ان ما وقع في الاثني عشر شهرا السابقة يعتبر تقريبا بالنسبة للسلطات العثمانية امرا لا اهمية له . فالسيادة على طرابلس وبرقة بالنسبة للسلطان لا تزال بوضوح بين

---

(٥٤) النص الكامل للفرمان بالملحق رقم ٩ .

(٥٥) راجع باولو مالتيسي المصدر المذكور ص ٤٥ — ٢٤٤ .

يديه (٥٦) الوثيقة واضح : ان تركيا لا تريد ان تبدو امام العالم الاسلامي كمنهزمة بل بالعكس تبرز مرة اخرى كحامية لمصالح وحقوق السكان الليبيين . فاذا اخذنا بعين الاعتبار الرابطة الوثيقة القائمة لدى اولئك السكان بين السلطة الزمنية والسلطة الدينية فان تعيين نائب السلطان كان يخفي بنية واضحة عدم الاعلان عن نقل السلطات وانما استمرارية النظام القديم .

وفي اليوم التالي ١٧ اكتوبر نشرت الجريدة الرسمية للمملكة الايطالية المرسوم الملكي المتوقع (٥٧) . وقد تحدث فيه فيتوريو عمانويل الثالث بالطبع كالسيد الشرعي لطرابلس وبرقة بحيث نتج ظرف غريب بظهور دولتين تبدو ان في نفس الوقت — وعلى اساس وثائق كل منهما — صاحبتا السيادة على ارض وسكان ليبيا وبالاضافة الى ذلك ففي الوقت الذي لا تشير الوثيقة التركية ابدا الى ذكر ايطاليا فان المرسوم الملكي الايطالي يشير بصراحة الى مضمون الفرمان الامبراطوري مؤكدا هكذا ضمنيا الانطباع بان مرسوم السيادة الايطالية الساري المفعول منذ شهر نوفمبر ١٩١١ ليس الا امرا شكليا لا غير . (٥٨)

وكانت ردود فعل البلاد على توقيع المعاهدة مختلفة . فقد نظر اليها

---

(٥٦) كتب جيرارد لاوثر الى غراي في ١٧ اكتوبر ١٩١٢ من اسطمبول : « شمس الدين بك اطلق عليه لقب « نائب السلطان » اي ممثل السلطان (لا الخليفة) وهو مكلف برعاية المصالح العثمانية (لا الاسلامية » واضاف ان « ايطاليا لم يكن بكل تاكيد في امكانها الحصول على السلام بنفس الشروط بدون عمل وتضحيات الدول البلقانية وان لدى بعض ممثليهم هنا هذا الانطباع بان ايطاليا قد سببت لهم صعوبات». (B.D., IX, 1, n° 458, p. 431)

(٥٧) راجع نص المرسوم المنشور بالملحق رقم ١٠ .

(٥٨) راجع نص معاهدة الصلح في الملحق رقم ١١ . هكذا ابرق الملك الى جوليتي في ١٨ اكتوبر : « استلمت بسرور البرقية التي تشعروني فيها بان معاهدة الصلح قد وقعت اود ان اشكركم من صميم قلبي على العمل الوطني السامي الذي تمتم به بنشاط وذكاء في هذا العام الذي دخل التاريخ . اوافق على اقتراحكم بتكوين وزارة المستعمرات وتعيين النائب برتوليني . سانتظر فيما بعد اشارتكم فيما يتعلق بدعوة البرلمان التي يستحسن عدم تاخيرها اذا كنتم من نفس الراي . (...) »

بصورة عامة كامر ايجابي وكنهاية لمغامرة كان في امكانها ان تصبح خطيرة وكنهاية لفاصل في حياة البلاد كان لا يمكن ان يطول كثيرا ويعرض التطور الاقتصادي والاجتماعي للخطر وكعودة الى الحياة العادية وهي العــودة التي يرغبها من كان اكثر من غيره قد مسته الحرب شخصيا . وفي مقال منشور بمجلة « راسينا كونتمبورانيا » هكذا عالج نونزيانتي مغزى السلام خارج الاعتبارات السياسيــة :

« ان السلام كان مرغوبا فيه ، وهو مرغوب فيه اليوم ، كما كان مرغوبا فيه في العام الماضي عندما نزل كاني مع حفنة من البحارة الابطال الى ساحل طرابلس . ان الراي العام لا يتالف من الشبان الجريئين والمتحمسين الذين يصيحون في الشوارع : « لتحيا الحرب وليسقط السلام » .

ان الامهات والزوجات والعرائس والفلاحين المتقدمين في الســن الذين تركهم أولادهم وظلوا وحدهم يعملون في ارض الاسرة ورجال الصناعــة والتجارة والذين كسدت اعمالهم كلهم كانو يؤملون في العام الماضــي أن لا يتحطم السلام ، وهم اليوم يجب ان يكونوا مسرورين ومرتاحين لان السلام قد تــم .

قد يكون مخالفا للمنطق وللطبيعة اذا لم تكن هكذا » (٥٩)

وانقسمت الصحافة في حكمها وفقا لاتجاهها السياسي الخاص . هناك صحف قابلت السلام بارتياح واشادت بحكمة الحكومة ، وهناك من انتقدت التنازلات التي اعتبرت واسعة كثيرا والتي قدمت كذلك للبــاب العالــي

وقد صادق مجلس النواب على معاهدة الصلح يوم ٢٦ اكتوبر ١٩١٢ بعد مناقشة قصيرة وذلك بموافقة ٢٩٥ صوتا ومعارضة ٢٥ . ووافق عليها مجلس الشيوخ باغلبية ١٥٧ صوتا ضد ٢ وذلك يوم ١٤ ديسمبر ١٩١٢ .

(٥٩) فردينالدو نونزيانتي Ferdinando Nunziante « صلح لوزان والحرب البلقانية » منشور في راسينيا كونتمبورانيا Rassegna Contemporanea نوفمبر ١٩١٢ ص ٨٦ — ٤٨٥ .

الرغبة تقريبا في التراجع امام الحرب البلقانية دون محاولة الاستفادة منها او الانانية في ترك الشعوب البلقانية وحدها تواجه تركيا . (٦٠)

ولعل اكثر الصحف اليومية جدالا في هذا الصدد كانت صحيفة « ماتينو » لادوارد سكارفوليو الذي لم يضن على الحكومة بهجماته بلهجة حادة قاطعة ومؤلمة بعد نهاية المفاوضات . وقد وصف معاهدة أوشي « باقبح معاهدة سلام » تنهي حربا شبيهة « باحدى التمثيليات الايمائية البطولية العزيزة على روح الايطاليين المزخرفة » .

« وواصل سكارفوليو كلامه : كان يبدو كاننا سافرنا لاحتلال الاوتاماتونا (عبارة عن معنى مناطق بعيدة جدا) انه لجنون حربي منتفخ ومزبد مثل الفيضان تدفق من علياء الحكومة الى ادنى الطبقات الاجتماعية . ولم يكن في الامكان تدخين لفافة تبغ في مقهى موسيقى دون ان يضطر الانسان الى أن يقف كل خمس دقائق ليستمع واقفا الى النشيد الملكي ولا يستطيع ان يسير خطوة دون ان تصدمه الاناشيد الوطنية . »

ان معاهدة الصلح كانت في الخلاصة « العقاب العادل » عن « الغرور والطيش » للشعب الايطالي الذي هاجمه تارتارين باحد مقالاته اللاذعة السامة :

« لستم انتم من طينة الجوارح ومن رعاة الشعوب ، انتم الذين لا تعرفون ولا تجرؤون حتى على التخلص من وزارة تجعلكم موضع الشفقة والسخرية . انتم رجال النشويات والشيكوريا . واصلوا مصيركم وحاولوا ان يكون اكلكم افضل وان تشربوا نبيذا اقل ثقلا وأن تسكبوا في نسائكم قليلا من النعومة وفي شعرائكم المزليين بعض النبوغ واستعيضوا على اللوتو (لعبة

---

(٦٠) وكتب ايضا نونزيانتي في المقال المذكور : اهلا وسهلا بالسلام ، بيد ان الكثيرون قد كانوا يرغبون نهاية مشرفة اكثر من عمليتنا فيما ورا البحار ، ان الصحافة وفي طليعتها الصحافة شبه رسمية قد اسكرتنا لمدة عام كامل ببطولات وذكريات روما القديمة الكلاسيكية وهل هذا ذنبنا اذا تعودنا على الشمبانيا فنجد الان نبيذ دارنا بدون رغوة ! هكذا بلغ الامر بالبعض الى التساؤل : هل هو سلام مظفر ام سلام مخل؟» (المصدر المذكور ص ٤٨٧) .

يانصيب حكومية) بالروليت ــ واذا كان ولا بد من ارضاء الاحفاد بحاجات البطولة التي لا تزال عالقة في نفوسكم فلا يكفي قراءة كتاب الفرسان الثلاثة فاننا نعطيكم يوميات حرب الجبل الاسود التي جمعها شهود عيان » (٦١)

ولم يكن سكارفوليو رحيما حتى مع الحكومة التي حسب قوله لم تعرف كيف تحمي السيادة الايطالية :

« بتفويض من الحكومة خان المفاوضون الايطاليون بلوزان بصورة رسمية الكلمة التي قطعتها الحكومة على نفسها باسم الامة . وفي هذا الصدد بذلت كنوز من العبقرية والمرونة ، تلك المرونة والعبقرية التي يستعملها موثق العقود النبق بدقة في تحويل حرفية احدى الوصايا . ايها العنصر اللاتيني انت لا تكذب نفسك ابدا في تكذيبك الخالد لنفسك . ان اولئك الذين يقولون ان صيغة الحكم الذاتي كما وضعها الذين رسموا وثيقة او شيئا في استطاعتها أن تنقذ) مرسوم السيادة هم يكذبون من جديد ، ويكذبون جيدا مع علمهم بانهم يكذبون بصفتهم متهربين ومزورين . (...)

توجد اذن منذ ٥ نوفمبر ١٩١١ بالنسبة للحكومة الايطالية ولايتان لا سيادة عليهما لغير ملك ايطاليا ، غير أن ملكا آخر هو رئيس الامبراطورية العثمانية يصرح بموجب ارادة بان الولايتين المذكورتين عثمانيتان وذلك في ١٧ اكتوبر ١٩١٢ ويصرح بانهما مستقلتان ذاتيا بموجب ما تخوله له « حقوقه السيادية » هذه هي كلمات الارادة (....) وهكذا ينفذ مرسوم الانضمام حسب الصيغة الشبه رسمية وهكذا سنواصل التكذيب والكذب لاننا شعب تلق ومرتعب ، جرىء اللسان ومتهيب القلب بليغ بالشارع وغير جدير بالمنبر فيالنا من اناس » (٦٢)

وجاءت الانتقادات ايضا وبالطبع من صحيفة « أيديا ناسيونالي » . فلم

---

(٦١) تارتارين « ملحمة بولشينلا » في صحيفة « ماتينو » ١٨ ــ ١٩ اكتوبر ١٩١٢ . راجع ايضا مقال « تضحية اوريدبين تيت » في ١٦ ــ ١٧ اكتوبر ١٩١٢ .

(٦٢) كيم Kim « السهم المر » منشور في « ماتينو » ١٨ ــ ١٩ اكتوبر ١٩١٢ .

يعجب ميرافيليا ذلك السلام الذي « لم يفرض بالقوة » وانما جاء نتيجة تفاوض مع العدو . (٦٣) ولم يقتصر احتجاج القوميين على مقالات الصحف . ففي روما نزل الى الشارع في اوائل اكتوبر مجموعات من الشبان كانوا يوزعون منشورات تدين مفاوضات السلام لانها قد تنكرت لتضحيات الجنود الذين سقطوا في المعركة . (٦٤) « والسلام — حسب ما قالته صحيفة « جورنالي ديطاليا » — قد سمح بقبوله من اجل الوطنية » وان كان في الامكان الوصول اليه قبل عشرة اشهر بنفس الشروط . (٦٥)

واختلفت انتقادات رجال اليسار الديموقراطي من امثال بيسولاتي وقد وبخوا الحكومة لتخليها عن الشعوب البلقانية ، واضاعة فرصة البقاء الى جانبها واتمام « عمل متمدن » بتعاونها في سبيل مطالب هذه الشعوب الوطنية التي اتخذت طابع حدث عظيم « الاهمية الثورية » . (٦٦) وهي نفس فكرة قايطانو سالفيميني وهو الامر الذي كان يبدو تقريبا كمقدمة منذ عام ١٩١٢ لذلك التيار الديموقراطي الذي طالب بالتدخل في الحرب العالمية وهو امر حساس بصورة خاصة لموضوع القوميات وقد كان كل من سالفيميني وبيسولاتي من اكبر المؤهلين للتعبير عنه في عام ١٩١٥ .

وكان سالفيميني ايضا يرى « انه من التمشي تماما مع التقاليد الوطنية — لا القومية — الايطالية ان نمد يد المساعدة الى القوميات البلقانية في الصراع الذي يبدو اننا سنقوم به بكثير من التضامن غير المنتظر والمجزي

---

(٦٣) ماوريسيو مارابليا Maurizio Maraviglia « الحرب وحنين السلام » منشور في « ايديانسيونالي » ٢٤ اكتوبر ١٩١٢ .

(٦٤) راجع رافائيلي مولينيلي المصدر المذكور ص ٢٣ — ١٢٢ » وهكذا فان الحرب — قال مولينيلي — التي طالما رغبوها بقوة وايدوها فقد تركتهم — بعد هذا السلام الجدير بها — بعضهم اصيب بخيبة امل في حين ان كل البلاد استقبلت النهاية بفرحة » .

(٦٥) راجع « جورنالي ديطاليا » ١٩ ، ٢٠ اكتوبر ١٩١٢ .

(٦٦) راجع « كوريري ديلا سيرا » ١٧ اكتوبر ١٩١٢ — بارزيلاي كان يرى انه بالرغم من انه كان في الامكان التجرؤ اكثر وفرض سلام مختلف من « على ظهر البارجة الامبرالية امام مالن ايامونيا » غير ان السلام مرض بالنسبة لنتائج مجهودنا » (لقاء مع النائب بارزيلادي ، نشر في صحيفة « جورنال ديطاليا » بتاريخ ١٨ اكتوبر ١٩١٢) .

فالسلام كان بالنسبة لسالفيميني « عمل اناني قذر » يشوه ايطاليا ويهدم سمعتها في الشرق (٦٧) . وانتقد سالفيميني ايضا مضمون معاهدة الصلح الذي وصفه بانه أمر مبهم حقيقي ، حيث كان من غير الممكن باي صورة كانت أن يفهم شيء « من كل هذا التشابك من الفرمانات والمراسيم الملكية والارادات والاتفاقيات العامة دون ابداء راي مسبق للاتفاقيات السرية المحتملة » .

« ان معاهدة لوزان — كتب سالفيميني بشيء من السخرية المرحة — تذكرنا بتلك اللوحات المنسوخة الموجودة في بعض فنادق الارياف والتي تمثل امراة وقحة تبتسم بعينيها وتغمز وتلاحق بنظراتها كل من نظر اليها من اي مكان في الغرفة وتبدو له انها تبتسم وتنظر اليه وحده . واذا كنتم ثلاثة تنظرون اليها من اماكن مختلفة فهي تبتسم لكم وترضيكم انتم الثلاثة . فلمن تبتسم اذن معاهدة لوزان ؟ : للاتراك ام لايطاليا ؟ الى مسلمي ليبيا ؟ الى الجميع ؟ لا لاحد ! لدينا انطباع عام تقريبا غريزي بان معاهدة لوزان مقدر لها أن تبقى في التاريخ كاحدى الخدع الديبلوماسية الاكثر لياقة . وهي خدعة لذيذة وكاملة بحيث سيكون دوما من الصعب جدا التقرير بدقة من هو المخدوع . عمل رائع من نوعه » (٦٨)

---

(٦٧) غايطانو سالفيميني « الصلح الايطالي — التركي والمسالة البلقانية » في صحيفة « اونيتا » ١٢ اكتوبر ١٩١٢ والان موجودة في كتاب سالفيميني « كيف ذهبنا الى طرابلس » المذكور ص ٤٤ — ٢٤١ . « لقد انتقلت مسالة ليبيا من الناحية الدولية واصبحت الحرب في طرابلس مسالة سياسية داخلية ايطالية ، واننا نستطيع الان بهدوء أن نقوم مع روسيا بدور حارس البلقان ضد النمسا . وهو على وجه الدقة ما يحتاجه الحلف الرباعي البلقاني الذي يؤمن ظهره من جهة الدانوب ويحصر جهوده بحرية ضد تركيا (...) فهذه هي اهمية وفائدة الصلح الايطالي — التركي في هذا الظرف . وفي الوقت الذي نرى طبيعيا ان يقوم سكارفوليو وامثاله من رجال السياسة الالمانية — النمساوية والامبريالية الاستعمارية فيحق لنا ان نغبط نحن الذين نعتبر منع النمسا من اي توسع آخر في البلقان هدفا رئيسيا لسياسة ايطاليا الخارجية في هذه الفترة من التاريخ الدولي ومن تطورنا الداخلي » (المصدر المذكور ص ٤٤ — ٢٤٣) .

(٦٨) غايطانو سالفيميني « مرسوم السيادة وصلح لوزان » منشور في صحيفة « لونيتا » ٢٦ اكتوبر ١٩١٢ منشور الان في كتاب سالفيميني « كيف ذهبنا الى ليبيا » المصدر المذكور ص ٢٥١ .

وبالرغم من الاشارة الى ان ايطاليا قد تراجعت رسميا بمرسوم ٥ نوفمبر عن (الانضمام) فان سالفيميني لم يسعه سوى ابداء اغتباطه للوصول الى السلام وللعمل الذي قام به المفاوضون الايطاليون ، حتى ولو انه « بعد عام من الحرب وصرف مليارين وفقدان آلاف الارواح الايطالية التي ضحى بها في المعارك والمستشفيات « فان الاحتلال الايطالي لم يتغلغل في الداخل اكثر من بضعة عشرات الكيلومترات » .

ويلاحظ في سالفيميني من خلال حكمه على سير الحرب ومفاوضات السلام بصورة عامة انه قد خفف من جداله المستمر ضد جوليتي . بل والغريب في الامر هذا ، وهو لا يخلو من مغزى ان يحكم على جوليتي حكما يعد من الاحكام ايجابية حول صفاته كمعتدل وحول حكمته وترويه ، وان يصدر هذا الحكم من اعنف معارضيه ، وهذا ما يدل اذا كانت هناك حاجة الى دليل على شرف قايطانو سالفيميني السياسي والفكري العظيم . لقد سر لان جوليتي بالذات كان يتولى مقاليد الامور في البلاد في تلك الفترة مدركا بوضوح المخاطر التي قد تنتج عن فقدان الاتزان والانقياد للحماس الشديد بصورة خاصة في الصحافة ، والطيش والاندفاع التي سرت عدواها في قسم من الطبقة الحاكمة وفي العسكريين وفي وزارة الخارجية وفي الكثير من الاوساط التي يسهل بصورة عامة « تقبلهم للاماكن المشتركة والعبارات المعدة دون ان يرتابوا ابدا في امكانية احتوائها على خطا او خديعة » ولكن جوليتي ظل غريبا عن هذا الحماس ولم تصبه العدوى . وقد سير الحرب ببرودة تامة الى درجة انه جعل اعنف خصومه الذين دمغوه بلقب مشين وهو « وزير عالم الجريمة » يقول : لقد كان حظا عظيما للبلاد — في النهاية — في ان يكون لديها رئيس وزراء مثل جوليتي .

« من يريد ان يحكم بصدق على عمل جوليتي في هذا العام الماضي — كتب سالفيميني — اذا عثر على اخطاء كثيرة تدعو الى الشكوى واتعسها ما نقوم فعلا بالاهتمام به — فعليه ان يحكم ضميره ويعترف ايضا ان اي شخص آخر في مكان النائب جوليتي كان يرتكب اخطاء اكثر عددا واكثر

شؤوما ، لانه قد يكون غير مستعد لمواجهة صعوبات الحملة لا اقل ولا اكثر من النائب جوليتي ، ولكن قد تنقصه برودة جوليتي الذي لا يتاثر بشيء وتساهله ، تلك البرودة التي إذا بدات ضارة ومثيرة في الغالب للاشمئزاز في السياسة الداخلية فانها تكون ضرورية ومناسبة في السياسة الخارجية. لنفرض أن بدلا من جوليتي كان هناك رجل آخر مندفع ومتغطرس ومغرور ومعتد ولا يقل جهلا من نوع فرنشسكو كريسبي . لنحمد جميع الالهة التي جعلتنا نقضي هذا العام الماضي في نظام جوليتي » . (٦٩)

وقد حيت الصحف الوزارية امثال « لاستامبا » و « لاتريبونا » السلام بارتياح . واتخذت صحيفة « كوريري ديلا سيرا » موقفا متسامحا محاولة تبرير مغزى الوثيقة التي وقعت في لوزان . (٧٠) فالفرمان الامبراطوري — حسب وجهة نظر صحيفة البرتيني كان يجب أن يفسر كحيلة « لاعطاء الخصم الوسيلة كي يودع نهائيا دون اذلال كبير رعاياه الذين تعرف كل المعاهدة تحولهم النهائي والرسمي الى رعايا ايطاليين » وتعارض صحيفة « كوريري » اتهامات اليسار الديموقراطي : كنا في اشد

---

(٦٩) المصدر المذكور ص ٢٥٤ . حتى جيريتي اكد وسط المجلس يوم ٢٤ فبراير ١٩١٤ : « اريد ان اعترف انه وقد انتهت الحرب بان كان من حظ ايطاليا نسبيا ان يكون في الحكم جوليتي بدلا من وزير اخر لديه الاستعداد للتنازل امام مطالب وضغوطات القوميين » (وثائق البرلمان الايطالي الدورة ٢٤ القسم الاول، مناقشات، جلسة ٢٤ فبراير ١٩١٤ ص ١٦٧٨).

(٧٠) هكذا لويجي البرتيني يوضح الموقف الذي اتخذته صحيفة « كوريري ديلاسيرا » : يجب في الوقت المناسب ان نعرف كيف نضحي في الحرب ويجب ان نعرف ايضا كيف نريد السلام العادل الذي يكيف حقوقنا مع حقوق اعدائنا ولا يغذي صراعات جديدة ولن كان ثمن ذلك عدم الشعبية . ففي عام ١٩١٢ لم يكن من الصعب علي القيام بهذا الواجب : وان اتمام هذا الواجب وعلى راس الحكومة خصم سياسي لدليل على ما يبدو لي على اخلاص ونزاهة القناعات التي كنا نحارب بها سياسته الداخلية » . (لويجي البرتيني » « عشرون عاما من الحياة السياسية » المذكور قسم ١ (مجلد ٢ ص ٢٠١) .

(٧١) « قيمة السلام » في « كوريري ديلاسيرا » ١٨ اكتوبر ١٩١٢ : من الغريب ان جوليتي كي يبرر عمله يبدو انه استعمل نص « كوريرى ديلاسيرا » : « ان انفجار حرب البلقان بالنسبة لي بالعكس كانت سببا جديدا وقويا كي نقوم بتصفية مسالتنا باي حال على حدة وقبل نهاية حرب البلقان التي ستجدنا بين القضاة لا بين اولئك الذين يجب محاكمتهم

الحاجة لحريتنا في وقت ستجتمع فيه أوروبا لتقرير المسالة البلقانية وان نتقدم الى المحكمة الاوروبية لنحكم لا لنحاكم » (٧١)

وعاد لويجي ايناودي الى حديثه عن ليبيا على صفحات « كوريري ديلا سيرا » بعد المجادلات العاصفة التي واجهها قبل بضعة اشهر . (٧٢) فقد واجه من جديد ابعاد المشاكل المرتبطة بالمستعمرة الجديدة مشيرا الى الطريق التي يجب اتباعها — حسب وجهة نظره لاقامة العلاقات ما بين السكان المحليين والوطن الام على اسس طيبة . ومن هذه الزاوية — حسب رايه — فان معاهدة لوزان تقترب « بقدر الامكان من العمل الحكومي الفني الرائع » حيث أن المبادىء التي تضمنتها المعاهدة كانت تضع ايطاليا على الطريق القويم في ممارسة السيادة » .

« ان التجربة التاريخية — كتب ايناودي — قد دلت على أن تلك البلاد التي افلحت في الاحتفاظ بمستعمراتها مدة طويلة هي التي عرفت ارضاء سكان هذه المستعمرات باحترام تقاليدهم الدينية والسياسية والاعتراف لهم باكبر قسط من الحرية المتمشية مع سيادة الوطن الام والاعتماد الى اكبر حد على تعاونهم الاداري والسياسي ايضا . ان كل ذلك معلوم ولا يحتاج الى برهان . ان البلاد التي تريد أن تفقد المستعمرات تعتبر سكانها رعايا في حين أن تلك التي تحتفظ بها تدعو تقريبا السكان للتعاون معها في ممارسة السيادة المحلية » .

وفي الخلاصة فان من اجل الاحتفاظ وازدهار المستعمرات « كان يجب احترام مؤسسات الوطنيين والتعاون معهم وتجنب اي اقتصار للتمثيل على المستعمرين الايطاليين أو من اندمج معهم وتجنب « انشاء دساتير سياسية بعدد اقسام الشعب (وطنيون ويهود ومعمرون ايطاليون) بحيث لا تظهر الواحدة مختلفة عن الاخرى » . (٧٣)

(جوفاني جوليتي المصدر المذكور ص ٢٩٤) . فيما يتعلق براي « كوريري ديلا سيرا » في الصلح راجع ايضا الافتتاحية بعنوان « السلام » بعدد ١٦ اكتوبر ١٩١٢ .

(٧٢) راجع ص ٨٣ — ٨٢ .

(٧٣) لويجي ايناودي ، « القيمة الايطالية لمعاهدة لوزان » في « كوريري ديلاسيرا » تاريخ

واعتبارات ايناودي هذه المتأثرة دوما بمبدأ التحريرية (الليبرالية) ضد اي نوع من الاحتكار كانت يجب ان تعرض على كل حال في المستقبل حيث انه — كما كتب « ان الامال في ان المهاجرين الايطاليين سيتجهون الى المستعمرتين الليبيتين في جموع غفيرة لا يعرف الآن متى يمكن ان تتحقق » (٧٤) ان احتلال ليبيا الكامل الحقيقي لم يتم بعد وان البلاد (ايطاليا) قد تنتظر اعواما كثيرة قبل ان تستطيع توجيه تيار من المهاجرين نحو المستعمرة الجديدة التي في الواقع لم تصل ابدا الى الذروات التي من شانها ان تؤثر في الاقتصاد الايطالي تاثيرا مفيدا .

ان حربين عالميتين والتغييرات العميقة في الحياة السياسية الايطالية وقضية الاستقلال والتحرر السياسي للبلاد الافريقية التي قامت غداة الحرب العالمية الثانية تزيل اليوم عن اعتبارات ايناودي اي طابع يتصف ببعد النظر . بيد أن الاراء التي عبر عنها قامت على افتراضات دقيقة على كل حال ولم يكن في امكانه ان يتوقع ما سوف يحدث خلال الخمسين عاما التالية التي كان يؤمل ان ايطاليا تستطيع في نهايتها جني ثمار الاحتلال الذي تم حديثا .

ان الخسائر البشرية التي تكبدتها البلاد بسبب الحرب لم تكن جسيمة ، حتى وان كانت بسبب حرب كانت تعتبر سريعة و « نزهة عسكرية » تقريبا فان الخسائر لا يمكن ان يستهان بها : ٣٤٣١ فقيدا من بينهم ١٤٨٣ قتلوا في المعارك (١٣٩١ جنديا و ٩٢ ضابطا) و ١٩٤٨ ماتوا بسبب المرض .

اول نوفمبر ١٩١٢ والان منشور في كتاب لويجي ايناودي « الاحداث الاقتصادية والسياسية في ثلاثين عاما » (١٨٩٣ — ١٩٢٥) تورينو ١٩٦٣ المجلد الثالث ص ٤٨ — ٤٤٧) .

(٧٤) المصدر المذكور ، « ان التجربة التاريخية — اضاف ايناودي — تدل على ان عمليات الاستعمار دوما بطيئة جدا في المبدأ وبعد للوصول الى ارقام الملايين فقط تصبح الحركة اكثر سرعة والان فالانشاءات في المستعمرات لا تقدر بسنوات ولا ببضعة عشرات السنين . وحتى لذا ما تركنا المسالة كما هي وهي التي تختلف حولها الاراء بخصوص قابلية المستعمرة الجديدة الزراعية الانتاجية بل ولذا ما فرضنا حلها بصورة اكثر ملائمة فان الانشاءات

وكان عدد الجرحى الاجمالي ٤٢٢٠ . (٧٥) والاقليم الذي دفع أعلى مساهمة في عدد الرجال الذين سقطوا في الحرب هو كامبانيا بـ ١٦٩ قتيلا ثم لومبارديا (١٦٨) وبيمونتي (١١٨) وسيشليا (١٠٢) ولاتسيو (١٠١) (٧٦) . اما القتال الذي دفع فيه اكبر ثمن من الارواح فهو قتال شارع الشاطىء يوم ٢٣ اكتوبر ١٩١١ حيث سقط ٣٧٨ قتيلا و ١٢٥ جريحا وتليه معركة سيدي بلال يوم ٢١ سبتمبر ١٩١٢ وقد سقط فيها ١٢٠ قتيلا و ٤٢٩ جريحا .

أما نفقات الحرب فقد كانت اكثر بكثير مما كان متوقعا . ان احصاء نفقات حرب يعد دائما من الامور الصعبة وغالبا ما يشوبها الخطأ أما بسبب النقص او المبالغة حسب الفكرة التي يريدون صانعتها . وخلال النقاش البرلماني الذي دار بمجلس النواب من ١٠ فبراير الى ٧ مارس ١٩١٤ ، (٧٧) قال جوليتي ان النفقات بلغت ٥١٢ مليونا فقط في حين ان سونينو اتهم الحكومة بالتلاعب بالارقام وبمدفوعات مقدمة على حساب ميزانيات مستقبلة واكد ان النفقات الفعلية قد تكون الضعف . وهناك آخرون تحدثوا عن ١٣٠٠ مليون واكد الوزير ليوني فوللمبورغ ان النفقات الفعلية قد تدور حول ١٧٠٠ مليون . وعلى كل فهناك رقم اكيد : ان الحرب كلفت كثيرا اذا

الاستعمارية التي سيكون المعمرون الايطاليون فيها اقلية بسيطة في مجموع السكان فهي تتطلب ما لا يقل من نصف قرن » بخصوص التنظيم الاداري المقبل للمستعمرة راجع ادالجيزو رافيتسا Adalgiso Ravizza « ليبيا في نظامها القضائي » بادوا ١٩٣١ .

(٧٥) راجع بومبيليو سكياريني المصدر المذكور ص ٩٧ . الارقام المذكورة ماخوذة من البلاغات الرسمية حسب نشرة قيادة رئاسة الاركان « عمل الجيش الايطالي في الحرب الايطالية التركية » المذكور ص ٧٠ ، يختلف عدد الموتى اذ يشار اليه بـ ٣٣٨٠ (١٤٣٢ سقطوا في المعارك و ١٩٤٨ ماتوا بسبب المرض) ولم يتغير عدد الجرحى . اما خسائر الاتراك والعرب فقد تصل الى ١٤٨٠٠ . *

(٧٦) هذه الارقام ماخوذة من بومبيليو سكياريني ، المصدر المذكور ص ٧ ـ ١٠٦ .

* هذه الارقام يجب ان تؤخذ بتحفظ لان القيادة الايطالية كانت تهون من خسائر الايطاليين وتهول من خسائر الوطنيين . فقد قتلوا مدنيين عزلا واعتبروهم في عداد الجنود وقبضوا على الناس في الاسواق وارسلوهم الى ايطاليا باعتبارهم اسرى حرب . (المعرب) .

(٧٧) دار النقاش حول مشروع القانون : « نفقات ناجمة من احتلال طرابلس وبرقة ومن الاحتلال المؤقت لجزر ايجه ومن الاحداث الدولية : تحويل المراسيم الملكية الصادرة من

ما علم ان الدخل القومي الايطالي عام ١٩١٢ كان يبلغ ١٩٠٥٨ مليونا في حين ان مجموع الاستثمارات الاجمالية قد بلغت ٣٧١٥ مليونا . (٧٨)

ولكن الذي خرج من الحرب الليبية محطم العظام هو بنك روما . لقد تعرضت وكالاته ومؤسساته الزراعية والصناعية في برقة وطرابلس الى النهب من قبل القوات التركية ــ العربية ، وكذلك فان اغلاق مركز البنك في اسطمبول الذي فرضته الحكومة التركية يوم ٢ يناير ١٩١٢ والمحاولات الانتقامية ضد وكالات البنك في مصر قد الحقت اضرارا ملموسة بالمؤسسة المالية الرومانية التي اعتقدت ان من حقها مطالبة الحكومة بتعويض مناسب . (٧٩) فقد تخلى البنك بنهاية الحرب والاحتلال الايطالي من جميع مشاريعه التجارية والصناعية التي شرع فيها منذ عام ١٩٠٧ في ليبيا وخرج بذلك عن الدور الذي كان يمثله في احداث طرابلس ليؤكد تقريبا الافتراض بان دوره في ليبيا كان ولا بد ان يكون دور « حصان طروادة »

يوم ٢٩ يونيو الى ٣٠ ديسمبر ١٩١٣ الى القوانين والاذن بالنفقات اللازمة حتى ٣٠ يونيو ١٩١٤ .

(٧٨) راجع روزاريو روميو المصدر المذكور ص ٢٠٥ ــ ٢١١ .

(٧٩) ــ يقرا في تقرير مجلس ادارة بنك روما المقدم الى الجمعية العامة في ٣٠ مارس ١٩١٢ :
« لا يجب علينا الآن ان نخفي عليكم ان الاوقات الاولى من الاحتلال تسببت لنا في بعض الاضرار بسبب السرقات والنهب التي لحقت بوكالتنا حيث استولت جماعات غاضبة من الاعداء على البضائع والحيوانات بصورة خاصة التي كانت موجودة بالمخازن وبممتلكات معهدكم وقد وصل الامر الى اعمال متوحشة ضد وكلائنا العرب الذين دفعهم اخلاصهم الشجاع لكم الى محاولة مقاومة الاعتداءات الوحشية لانقاذ ما كان بمعهدتهم .
وتاكدوا بان اضرارنا ستجد الاعتراف الواجب بها . فقد شرعنا في العمليات اللازمة لدى الحكومة الملكية (...) وهناك اسباب اخرى للاضرار الناتجة من الحرب الايطالية ــ التركية هي اغلاق مركزنا في اسطمبول اغلاقا فرضته علينا السلطات العثمانية وانذرتنا به رسميا يوم ٣ يناير من هذا العام (...) وكان لاعلان الحرب بعض الوقع على مراكزنا في مصر حيث التعصب المطلق الخارج من محطه حاول القيام بانتقامات مؤسفة نحونا (...) .
(بنك روما الجمعية العامة العادية للمساهمين بتاريخ ٣٠ مارس ١٩١٢ . تقرير مجلس الادارة والمراجعة روما ١٩١٢ ص ١١ وما يليها) .

فقط الذي استعانت به الحكومة الايطالية في ليبيا . (٨٠) وكان هم البنك الوحيد غداة الحرب هو البحث عن اعتراف الحكومة بالاضرار التي لحقته والمصاريف التي قدمها لتموين الجيش ــ وظل البنك ينتظر بثقة لمدة عامين الاعتراف بذلك :

« اقوياء بحقنا ــ جاء في تقرير مجلس ادارة البنك بتاريخ ٣١ مارس ١٩١٤ ــ ولازلنا واثقين من عدالة الحكومة فلدينا من الاسباب ما يدفعنا الى الاعتقاد ان التعويضات المشروعة التي نطالب بها ستمنح لنا . فتاكدوا على كل حال ان مصالحكم سنرعاها بقوة . (٨١) غير ان المفاوضات طالت :

---

(٨٠) ــ في تقرير مجلس الادارة الذي تلي على الجمعية في ٣١ مارس ١٩١٣ صرح بما يلي : ان بنككم الذي قام وحده بشجاعة دون الحاجة الى تهليل برسم الطريق في ظروف غاية في الصعوبة يترك للاخرين اليوم ميدان الصناعة بكل تاكيد » وليس معنى ذلك انه سيقتصر في مهمته على مساعدة المشاريع الصحيحة مع الضغط على اي عمل مباشــر له في ان يكون عملا مصرفيا فقط مع اتباع الطرق الصالحة للاستفادة من املاكه الشاسعة » (بنك روما ــ الجمعية العامة للمساهمين في ٣١ مارس ١٩١٣ . تقرير مجلس الادارة والمراجعة روما ١٩١٣ ص ٩) . ويقرا في تقرير ٣١ مارس ١٩١٤ : « لقد واصلنا في ليبيا مثلما سبق واخبرناكم في تصفية المؤسسات ذات الطابع الصناعي لا المصرفي التي انشاناهــا قبل الاحتلال فقط من اجل تغلغل اسم بنككم والراســـال الايطالـي بين اولئك السكان المحليين . وهكذا في العام الماضي تنازلنا الى شركة « سيشليــا » عن خطنا الملاحــي الساحلي الذي يربط بين مالطا ومصر . وكذلك قدمنا الى الشركة الاستعمارية الايطالية للكهرباء بميلانو آلات منشاتنــا الكهربائية ــ الحرارية والامتياز المتعلق بها . وايضــا اسندنا تجارة الاسفنج الى شركة تتكون في اغلبها من راسمال ايطالي ولدينا فيها مصالح كبيرة ومع ترك الحديث عن العمليات الصغيرة فاننا نتفاوض بخصوص التنازل عن مطحنتنــا ومعصرة الزيت في طرابلس » (بنك روما الجمعية العادية للمساهمين تاريخ ٣١ مارس ١٩١٤ تقرير مجلس الادارة والمراجعة رومــا ١٩١٤ ص ٩) .

(٨١) ــ المصدر المذكور ص ١٦ ــ كتب كوردو زولي قبل ذلك بايام على صحيفة « سيكولو » : (...) سيكفينا ان نلاحظ ان بنك روما ذهب الى ليبيا وانشا بها فروعا وعقد العديد من العمليات الجيدة والسيئة والاكثر سيئة كلفتنا خسارة ستة او سبعة ملايين ــ وقد كنا بالطبع نخسر اكثر لو لم يقفز « القدر التاريخي » على السواحل الافريقية يوم ٥ اكتوبر ١٩١١ . ان احدا حتى الان لم يعوض بنك روما من هذه الخدمات الحقيقية التي لا تقبــل النقاش والتي لا نجسر ان نقول انها قدمت للبلاد لان الامر يقبل النقاش بوضوح . ولكنها قدمت على الاقل الى امبريالية الماركيز دي ســان جوليانو وعليه فان المتسببين في عملية الاحتلال الافريقية مدينون ماديا ومعنويا بنجاح عمليتهم الى المعهد الرهباني . (كورادو زولي « بخصوص المناقشة الليبية » المصدر المذكــور)

ولم يستطع الطرفان ايجاد اتفاق حتى نهاية عام ١٩١٤ رأى البنك انه في حالة اضطرار يخفض رأسماله بنسبة ٢٥٪ بحيث انتقل من ٢٠٠ مليون الى ١٥٠ مليون ، وكان هذا التخفيض ناتجا في اغلبه عن المصاريف التي واجهها البنك في ليبيا . (٨٢) وواجه تقرير مجلس الادارة الى الجمعية العامة للمساهمين في ٣١ مارس ١٩١٥ بالتفاصيل موضوع العمل الذي قام به البنك والاضرار التي لحقت به في اشهر الحرب مجيبا بذلك على الاتهامات الكثيرة التي وجهت الى البنك بانه قد استفاد من الحرب :

« خلال الحرب وقع علينا الخيار في تموين جيش الاحتلال وهناك شهادات مؤهلة جدا . لقد كان في امكاننا ان نقدم ونسهل كل شيء من تحويل الاموال والناقلات للجرحى والمرضى الى توفير الاماكن للتخزين وللجنود والى تموين هؤلاء الجنود . وبسرعة وتحت الضرورة القصوى وبدون شكليات رسمية تقرر برسالة بسيطة تموين القوات بحطب الوقود والشوفان والتبن والقش . وبعجلة ودون النظر الى النفقات تم تنظيم كل ما يلزم لنتمكن من الوفاء بالتعاقد فاعدت المخازن واشتريت المواد اللازمة للتفريغ من جنوا ومالطا والاسكندرية : القطارات والمعدات والمواعين

---

(٨٢) — ان التخفيض كان يعزى الى انواع النشاطات الآتيــة :

راس مـــال	٣٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠	ليرة
سندات ملكيــة	١٠ر٨٢٠ر١٤٨ر٩٠	ليرة
مكـــــــررة	٣ر٩٢٥ر٩٠٤ر٢٤	ليرة
دفعات مقدمة على حساب سندات وبضائع	٨ر٢٤٥ر٣٨٣ر٩٢	ليرة
التباتات معلقــة	٥ر٠٩٢ر٤٤٨ر١٠	ليرة
مراسلون ودائنون مختلفون (بما في ذلك اضرار الحرب الليبيــة)	١٨ر٩٠٦ر٨٨٠ر٩٠	ليرة
مؤسسات صناعية وتجارية في ليبيــا	٣ر١١٩ر١٣٤ر٤٣	ليرة
المجمـــــوع	٥٢ر٢١٠ر٩٠٠ر٥٩	ليرة

ولكي يدخل التخفيض في حدود الخمسين مليون فان الفائض ٣ر٢١٠ر٩٠٠ر٥٩ ليرة قد اخذ من الاحتياطي العادي (راجع بنك روما) الجمعية العامة العادية وغير العادية للمساهمين بتاريخ ٣١ مارس ١٩١٥ . تقرير مجلس الادارة والمراجعة روما ١٩١٥ ص ٨) .

والزوارق وانشاء جسر عائم بطرابلس وآخر ببنغــازي وابرم عقد للنقل بالابل والعربات ، واجرت بواخر ومراكب شراعية واحتكرت في نفس الوقت البضــائع المطلوب تقديمها .

ولكن سرعان ـــ لضروريات الحرب التي لا نريد مناقشتهــا ـــ احتل الجنود الكثير من مخازننا وتم الاستيلاء على القوارب والقطارات والمواعين من اجل انزال الجنود والمدفعية الى البر . واخــذوا منــا الجســر العائــم واستولوا على وقود السيارات . وفي الخلاصة قد اسدوا كل التنظيــم الخاص بخدمات الانزال والنقل . ونظرا لان اسبقية التفريغ كانت لخدمات الدولة فلم يسمح لسفننا ان تنقل الى الارض اكثر من مائة طن في اليوم . ولهذا السبب ظلت وارداتنا على ظهر السفن الشراعية والبواخر زمنا اكثر مما يجب وكلفنا ذلك زيادات ضخمة في الاجور . ومن السخريــة ان ادارة المهامات العسكرية كانت تحرر ضدنا المخالفات عندما لا تجد في مخازنها جميع كميات البضــائــع التي كانت ترغب فيها والتي لم نتمكن مــن نقلهــا لاستيلائهم على وسائل تفريغنـــا .

وعلى كل فمن الضروري ان نذكر انه بسبب الحرب قد اغلــق المطحن والمعصرة ونهبت حيواناتنا وضاعت البذور واشتعلت النيران في مستودعات الحلفاء وتوقفت كل اعمالنا الصناعية والتجارية .

الا نستحق لجميع هذه الاضرار تعويضا عادلا ؟

اننا نؤكده ، والحكومة الملكية لا تنكره . غير انه مع الاسف فان مثل هذه الاجراءات تأخذ وقتا طويلا لتصل الى النهايـــة .

وتجاه ذلك قد راينا من الواجب ضغط الحسابات والشروع في عمليــة تخفيض واسعة لنشاطنا في ليبيا ولائتماناتنا لدى الحكومة » . (٨٣)

وهب انطونيو دي سان جوليانو لتلبية مطالب البنك وبذل الوساطة وهو

---

(٨٣) ـــ المصدر المذكــور ص ١٠ وما يليهــا .

الذي كان ملما جيدا بالدور الذي اسندته الحكومة للبنك . فقد كان وزير الخارجية يعتقد أن بعض المؤسسات المالية وخاصة بنك روما والبنك التجاري كانت أداة مفيدة للحكومة لا بقصد التغلغل الايطالي الاقتصادي فحسب وانما التغلغل السياسي ايضا في الخارج وخاصة في البلاد الضئيلة التطور الصناعي مثل البلاد البلقانية والافريقية والشرقين الادنى والاقصى . (٨٤)

وبسبب الازمة في العلاقات ما بين بنك روما والحكومة على اثر الحرب الليبية فقد اصبح المصرف التجاري الذي يترأسه أوتوجويل O. Joel (٨٥) المساعد المباشر للحكومة في القيام بنشاطات في الخارج . وقد قام المصرف التجاري بعمليات في الجبل الاسود وتدخل في البانيا واشتراك في سكك حديد صربيا وساعد في المشاريع الاقتصادية في آسيا الصغرى « لدرجة انه من الممكن القول — لاحظ دي سان جوليانو في مذكرته الى سالاندارا — انه بدونه لما كان في مقدورنا ممارسة سياستنا الخارجية لانها اليوم هي سياسة أعمال قبل كل شيء » (٨٦)

وحسب وجهة نظر وزير الخرجية لم يكن مناسبا سياسيا بالنسبة

---

(٨٤) — كتب دي سان جوليانو في مذكرة الى سالاندارا في ١١ يونيو ١٩١٤ : « بالنظر الى طابع مصرف ايطاليا وهو غير مصرح له بالتدخل المباشر في عمليات مالية وسياسية خارج المملكة ونظرا للقيود التي تحول دون اي عمل مماثل من قبل مصر في نابولي وسيشليا ونظرا لضآلة مقدرة المؤسسات الاخرى ، فان للحكومة الملكية لم يكن تحت تصرفها غير معهدين حققا في وقت قصير نسبيا تطورا عظيما وهما بنك روما والمصرف التجاري A.C.S., b. 8, f. 639 اوراق سالاندرا ، والوثيقة اشار اليها ايضا برونيللو فيجيتسي المصدر المذكور ص ١٥ حاشية ١٠) . ولان المذكرة المعنونة « الحكومة الملكية وبنك روما » قد جاءت نتيجة برقية من فلورنس من اسطمبول بتاريخ ٢٩ مايو ١٩١٤ جاء فيها ان مجلس ادارة بنك روما كان ينوي انهاء مركز اسطمبول والاحتفاظ ببنقه على قيد الحياة ببرامج سلبية فقط » .

(٨٥) — فيما يتعلق بوضع المصرف التجاري ورئيسه جويل في هذه الفترة راجع برونيللو فيجيتسي المصدر المذكور ص ٦٢ — ٢٠١ .

(٨٦) — .A.C.S المذكور .

للحكومة ان ترتبط بالمصرف التجاري فقط وانه كان من المناسب جدا « ازالة العقبات » التي تحول دون استئناف العلاقات الطيبة بين الحكومة وبنك روما . وقد يستطيع المعهد الروماني من جديد ان يمارس بنجاح عمله في سوريا ومصر وفي الشرق الاقصى وذلك لصالح السياسة الخارجية الايطالية .

« بيد انه — واصل دي سان جوليانو كلامه دون ان يشير الى الحالات التي قد يكون فيها تدخل بنك روما ثمينا — من المناسب ايضا الاشارة الى الضرر الذي قد ينتج عن موقف معاد للبنك نفسه نتيجة للتوتر الحالي في العلاقات مع الحكومة الملكية .

ان العداء في حالات كثيرة ، او حتى استقلال البنك فقط من اي رباط مادي او معنوي معا قد يكون ضارا وخطيرا علينا .

وبما ان اسبابا ايجابية واسبابا سلبية تتفق في ترغيبنا في ان يسوى الخلاف القائم في اقرب وقت ممكن ، فان عملنا الديبلوماسي قد يستفيد من جديد من هذه الادارة التي لا تزال ضرورية اكثر من كونها مفيدة » . (٨٧)

وبالرغم من وساطة دي سان جوليانو الذي كان على ابواب الموت ما بين البنك والحكومة فان النزاع كان على اشده . وقد بلغ الامر على ما يبدو من شهادة خديوي مصر التي نقلها فرديناندو مارتيني في « يومياته » دون التدليل بوثائق مؤكدة ان بنك روما قد حاد عن طريق ضغطه على السنوسي دون الوصول الى سلام مع القبائل الثائرة الا بعد ان تقوم الحكومة بالتزامات نحو البنك . (٨٨)

---

(٨٧) — نفس المصدر .

(٨٨) — كتب فرديناندو مارتيني بتاريخ ٢٠ سبتمبر ١٩١٥ . « صاحب السمو الذي كان دوما وفيا لايطاليا اعلم وزير المستعمرات بان عدم التوصل الى صلح مع السنوسي الامر الذي عمل من اجله وحاول في سبيله من طريق ارسال وفود على حسابه — يعود السبب فيه الى بنك روما ورئيسه باكشيللي الذي حذر السنوسي من عدم اتمام اي شيء

وقبل ان يكتب دي مارتينو هذه المعلومات في يومياته بعشرة ايام اقام البنك عن طريق محاميه دعوى امام محكمة روما ضد وزيـــر المستعمرات (مارتيني) ووزير الخارجية (سونينو) ووزير الخزينة (كاركانو) اجـل دفع « جميع نفقات التغلغل التجاري والاقتصادي في ليبيا » والتعويض « من جميع الاضرار التي نتجت عن الحرب الايطالية ـ التركية » (٨٩) وكان الطلب يستند على ان العمل الذي قام به البنك في ليبيا كان بنـــاء على دعوة وتفاهم مع الحكومة التي « استخدمت المعمل المصرفي والصناعي للبنك للتوصل الى اهدافها السامية السياسية مما يبرر تعويضا مشروعا وشريفا كافيا للبنك نفسه » . وبوثيقة مماثلة طلب من وزير الحربية دفع قيمة تموينات الجيش بالحطب والاعلاف والبالغة قيمتها ٧٫٩٢٣٫٣١٣ ليرة . وطال الخصام وكانت عروض الحكومة غير متناسبة مع طلبات البنك وقد رفضت . غير ان الحكومة خشية خطر تصفية قضائية تفرض على الدولة دفع « مبلغ اعلى من ذلك الذي قد يمكن الوصول اليه عن طريق المصالحة » فقد قرر وزير الخزانة بالتشاور مع الوزراء المختصيـــن في ان يضع حـــدا للنزاع وان يعرض على البنك مبلغ اجمالي قدره ٤٫٧٦٠٫٠٠٠ ليرة . (٩٠)

وقبل بنك روما المبلغ المقترح رغم انه اقل بكثير من مطالبه « رغبة منه ان يظهر مرة اخرى واجب الاحترام نحو الحكومة ولتجنب ـ خاصة فـــي الوقت الحاضر ـ (كنا في غمرة الحرب العالمية) ، القلق والمصاريف التي لا ترتبط بالحرب الحالية » (٩١)

مع الحكومة الايطالية ما لم تدفع هذه الى بنك روما الاربعين مليون المدينة له بها نتيجة النفقات التي قام بها البنك في ليبيا وبامر الحكومة نفسها . وان الوثائق التي تثبت ذلك ستوضع تحت تصرف الشخص الذي سوف ترسله الحكومة الايطالية (او وزير المستعمرات) لاستلامها في لوزان (فرديناندو ومارتيني المصدر المذكور ص ٥٣٩) .

(٨٩) ـ الوثيقة توجد فـــي A. MAI, pos. 178/1, f. 7

(٩٠) ـ المصدر المذكور ـ التعويض المطلوب من بنك روما كان يبلغ ١٠٫١٨٨٫٨٨١٫٤٥ ليرة .

(٩١) ـ السابق الذكر ـ تصريح بنك روما في ١٤ ابريل ١٩١٧ .

وهكذا تنتهي بعد خمس سنوات من نهاية الحرب الليبية مغامرة بنك روما في طرابلس التي — كما ذكر سابقا — لم تكن عملية مفيدة للمعهد المالي الروماني . وقد كتب فيشنتيني انه كان في الامكان التغلب على ازمة البنك « بصورة رئيسية بسبب تدخل واهتمام بنك ايطاليا الذي دفع مقدما في هذا الصدد خمسة عشر مليون خصما على خارج الدفتر الاستاذ لمجموعة من البنوك الكاثوليكية التابعة لاتحاد البنوك الايطالية » (٩٢)

انتهت الحرب الليبية وحل صراع جديد اخذ يقلق الحياة الاوروبية . فحرب البلقان التي خشى منها كثيرا طيلة مدة الحرب بين ايطاليا وتركيا قد جاءت لتسهل الوصول الى الصلح غير ان الحربين كانتا في الواقع الواحدة نتيجة للاخرى مثل ان طرابلس كانت نتيجة لاغادير . (٩٣) وكانت هناك سلسلة خطيرة من الصراعات لا تزال محصورة بصورة واضحة وان كانت السيطرة عليها اخذت في التضاءل وقد اخذت هذه الصراعات تميز السياسة الدولية وتشعل خلافات جديدة واسبابا اخرى تبعث على القلق من اجل السلام . وقد اظهرت الحرب الليبية — رغم عودة شعلة الثلاثية (الحلف الثلاثي) وتجديدها قبل الاوان في ٥ ديسمبر ١٩١٢ — ... كم اصبح مركز ايطاليا مزعزعا داخل الحلف الذي انقضت عليه ثلاثون عاما . فالحرب الايطالية التركية قد عرت هذه الحقيقة وان جهود دي سان جوليانو للاحتفاظ بالحلف حيا عامل لم يعثر دائما على امكانية النجاح . لقد وجدت ايطاليا في حلفائها دوما محاورين صعابا وطلبي المراس تتفق مصالحهم بصعوبة مع مصالح ايطاليا . وان النتيجة التي وصل اليها الحلف الثلاثي في مايو ١٩١٥ لم تقررها عوامل طارئة ترتبط بالحرب الكبرى . فمنذ وقت وخاصة خلال ايام عملية طرابلس بدت لدى الاوساط السياسية وصحافة العاصمتين

---

(٩٢) — راجع فابريلي دي روزا « تاريخ الحركة الكاثوليكية » المذكور مجلد ١ ص ٥٤٤ .

(٩٣) — راجع برنارد فون بولوف ، مذكرات مجلد ٣ : « الحرب العالمية والكارثة » (١٩٢٠ — ١٩٠٩) ميلانو ١٩٣١ ص ٢١٣ — ١١٣ .

امكانية تصادم مباشـر ما بين روما وفيانا كحدث لا يمكن تلافيه طال الزمن ام قصـــر .

وفي ٢١ سبتمبر ١٩١٤ استخلص فرديناندو مارتيني ما كان يسمى بالحلف النمساوي ـــ الايطالي في السنوات السابقة ولاحظ كيف انه منذ الحرب الليبية ذاتها ـــ وفيما بعد ـــ اخذ الحلف يتردى حتى وصل الى نهاية التي لا مفر منهـــا :

«(....) كنا في الحلف نتسلح ضد الحليفة التي قد تكون اقل منا ذمة في يوم أو آخر . ان النمسا كادت أن تهاجمنا خلال الحرب الليبية : ولكن لحسن الحظ لم تلق بالا الى ايمازات رئيس اركان الحرب كونراد الذي يقترح ذلك وهو يعبر عن فكر الارشيدوق فرديناند الذي كان يطالب بحق قيادة الجيش عند قيام الحرب ضد ايطاليا . ان الحلف الثلاثي ـــ باعتراف جوليتي نفسه قد جدد قبل وقته خشية ان يموت الامبراطور في الفترة مـــا بين نهايـــة الحلف وتجديده نظرا لكبر سنه ومرضه وقد علم أن الامير ولي العهد قد كان لا يوقعه رغبة منه في ضربنا فقط . ان تقاليد ومشاعر وتضارب مصالح سياسية واقتصادية تجعلنا وستجعلنا معادين للنمسا وستجعل من النمسا عدوة لنا وراغبة في سحقنا . هل من اجل معاهدة قامت على هذه الاسس واستمرت لنفس الاسباب والتي كانوا يريدون ابطالها لمحاربتنا .. هل من اجلها نضحي بمستقبل بلادنا السياسي والاقتصادي ؟ قد نكون خائنين لمن وضعوا ثقتهم فينـــا » . (٩٤)

ان المهمة التي اختصت بها الحرب الليبية هي تعرية حدود الحلف الثلاثي وخاصة العلاقات الايطالية النمساوية واضعة فيما بعد ايطاليا فـــي حالة ادنى بالنسبة لحليفاتها . ان المجهود العسكري الذي تم كان له فعله واثره على الاستعداد للحرب العالمية نفسها . فكل مخطط التجديد الذي وضعه سبنقاردي وبولليو من الفترة من ١٩٠٩ ـــ ١٩١٣ قد طار باكمله بسبب

(٩٤) ـــ فرديناندو مارتيني ـــ المصدر المذكور ص ١١٤ ـــ ١١٣ .

الحملة الليبية لدرجة ان بولليو لاحظ في فبراير ١٩١٣ أن حالة الجيش « كانت من اسوء ما يمكن تصـــوره من حيث تدريب الجنـــود والاعـــداد للحرب » (٩٥) ومما كان يزيد الامر خطورة ان الحرب الليبية لم تنته بصلح لوزان ولكنها قد تشغل الجيش لسنوات قادمة خالقة بذلك الصعوبات ذات الصيغة الاستراتيجية والعسكرية خلال الحرب العالمية الاولـــى . (٩٦)

---

(٩٥) ـــ راجع جورجيو روشـات ـــ المصدر المذكور ، ص ٣١٣ . كان اعلى حد وصــل اليه عدد القوات الايطالية في ليبيا في ٣١ مايو ١٩١٢ عندما بلغ ٩٨٫٥٥١ جنديا ، ونزل هذا العدد في ١٥ نوفمبر ١٩١٢ الى ٩٦٫٤١١ ووصل في فبراير ١٩١٣ الى ٨٧٫١٢٧ ليعود فيرتفع في ١٥ اغسطس ١٩١٣ اي بعد عام تقريبا من صلح لوزان الى ٩٤٫٤٧٢ (راجع خطاب جيوبتي امام مجلس النواب ، مدرج في « وثائق البرلمان الايطالي ، الدورة الرابعة والعشرين دورة الانعقـــاد الاولى ، مناقشـــات ، جلســـة ١٤ فبراير ١٩١٤ ص ١٦٨٢) .

(٦٩) ـــ بعد ابرام الصلح مباشرة ظل في طرابلس وبرقة اثنان من اهم رؤسـاء الجيش التركي انور بك وعزيز بك حتى يونيو ١٩١٣ ومعهم ٨٠٠ جندي تركي مواصلين القتال وتنظيم المقاومة العربية وقد ترك السلاح للوطنين لتمكينهـم من مواصلة مواجهـة الجيش الايطالي ويبدو ان العرب انفسهم حالوا دون القواد الاتراك ومغادرة ليبيا . ان « رئيس السنوسيين يبدو انه قد عارض بصورة رسمية سفرهم » (انظر برقية تيتوني الى دي سان جوليانو من باريس بتاريخ ٨ سبتمبر ١٩١٢ موجودة في A.S. MAE, Segr. gen.,) (pa. 44, pos. 17 I., F. 851 وقد فرض انفجار الحرب الكبرى تخفيضا كبيرا في الالتزامات العسكرية بليبيا . وقد اضطر الايطاليون في نهاية ١٩١٤ الى ترك فزان وفي اغسطس ١٩١٥ لاعلان الحرب على تركيا ـــ انفجرت ثورة عربية جديدة كان يغذيها السنوسي وقد اعلن الجهاد وفي نهاية ١٩١٥ كانت ايطاليا تسيطر على طرابلس (مدينة) وخمس وبعض القلاع الصغيرة في برقة . وفي نهاية عام ١٩٣١ فقط وبفضل التزام الحكومـة الفاشستية القوي استطاع الجنرال غراسياني بعمليات حاسمة تامين السيطرة على داخل الاراضي الليبيـــة . بخصوص تطورات الحرب في ليبيا من صلح لوزان الى اتمام الاحتلال نحيل القارىء الى ف.لوبيللو F. Lobello « الاحداث السياسية العسكرية في الاثنى عشر سنة الاولى من الاحتلال الايطالي ببرقة » ـــ بلغازي ١٩٢٥ ، جوزبي مولبي دي مصراتة « بعث طرابلس ـــ مذكرات ودراسات حول اربع سنوات من الحكم » ميلانو ١٩٢٦ ، ورودو لوفرارياني « نحو فزان » طرابلس ١٩٢٩ ، المذكور « استعادة فزان » ميلانو ١٩٣٤ ، المذكور « السلام الروماني في ليبيا » ميلانو ١٩٣٧ ، رئاسة اركان حرب الجيش « حملة ليبيا » روما ١٩٢٨ ، رفائيلي تشاسكا ، المصدر المذكور ص ٣٩٤ وما يليها ، كورادو زولي « التوسع الاستعماري الأيطالي (١٩٣٧ ـــ ١٩٢٢) روما ١٩٤٩ وزارة الشؤون الخارجية « ايطاليا في افريقيـا » سلسلة تاريخيـة ـــ عسكرية مجلد ١ جزء ٢ المذكور ص ٢٢٧ ـــ ٢٢٩ .

والحرب الليبية في الواقع يمكن اعتبارها كحلقة ضمن المخططات الكلاسيكية للسياسة الدولية السابقة للحرب الكبرى . وكانت بالنسبة لايطاليا فرصة لجني ثمار سياسة خارجية رامية الى عدم ابعادها عن الميدان الاستعماري وميدان البحر الابيض المتوسط . وتحت هذا المظهر يبدو « القدر التاريخي » الذي نادى به جوليتي كادق تفسير لهذا الحدث حيث ان الامر كان يتعلق بعملية مرتبطة ببعض نظم السياسة الدولية التي قبلتها ضمنيا الدول الاوروبية بتذمر وعدم رضا . غير ان العملية تمت بعد وقتها اي بعد ان غدت المخططات القديمة غير متمشية الا جزئيا مع الواقع الدولي وقد تحققت خلال الاف الحيل التوازنات التي صدمت مصالح وحساسيات ايطاليا ووضعتها وحكومتها ودبلوماسيتها في لعبة معقدة وصعبة لم تستطع الخروج منها الا بفضل الازمة البلقانية المخيفة التي فتحت بدورها مصالح جديدة اكثر اتساما لطفت من جو العناد المتطرف القائم .

ولكن السياسة هي قبل كل شيء مسالة اختيار ومن المناسب التحقق اذا كانت بعض الاختيارات مفيدة ام لا في ظرف معين وهل افادت تقدم البلاد السياسي والثقافي والاقتصادي ؟ الامر اذن يتعلق بتقييم عمل طبقة سياسية معنية ، فهل رات بوضوح مهامها ، وعرفت كيف توجه عملها نحو الاهداف الاكثر مناسبة ؟ الحرب الايطالية — التركية — كتب شيزراي سبلانزون في عام ١٩١٢ مثلت « اصعب واعقد شيء في الحياة الايطالية » (٩٧) بالنظر الى كثرة العوامل التي دخلت اللعبة والتي غالبا ما تحول دون القيام بدراسة وحكم تاريخي دقيق وهادىء . ولكن لنعد الى الكلام عن الاختيارات السياسية التي عهد بها الى تقدير الطبقة الحاكمة يمكن حصر المسالة في حدودها الجوهرية : هل كان قرار ادخال البلاد في حرب مفيدا ، في تلك الفترة الخاصة لاغراض التقدم المدني والتطور الاقتصادي للمجتمع الايطالي ؟ ليس هذا التساؤل غريبا وجديدا . وقد

---

(٩٧) — شيزراي سبلانزون — « اوريقيا المعادية » المذكور ص ١١ .

طرحت « نوفا انتولوجيا » منذ يناير ١٩١٢ هذا السؤال :

« (...) كانت ايطاليا تتطور نحو فترة اعادة بناء عضوي وهي فترة كانت ويجب أن تكون سبب قوتنا حتى في الخارج ومن المحتمل انها تثير الآن حسد الآخرين . فقد بعثت المالية والائتمان ، واخذ الاقتصاد الايطالي يتدرب على تجارب جديدة وعلى مكتسبات اوسع ، فبفضل التضحيات التي قدمت بسخاء من البلاد والبرلمان وبفضل الوزراء الفنيين المختصين وخاصة النائب سبنقاردي فان قواتنا العسكرية قد شرعت في فترة اعادة تنظيم صلبة . واخيرا قد كان من المباح تبين الملامح الاولى لضمير ايطاليا الشابة التي كانت تتقدم والتي قريبا ما توطد مركزها بسياسة عمل ومدرسة قوية وحديثة وباتجاه اصلاحات ضرائبية واجتماعية واسعة قد استهلتها الملكية الليبرالية . وفاجأتنا بها طرابلس في منتصف الطريق » (٩٨)

ـ فالحرب ـ حسب مجلة « نوفا انتولوجيا » جاءت لتعطل فترة توسع هامة في حياة البلاد ، جاءت لتربك شيئا من التوازن السياسي ـ الاجتماعي الذي كان قريبا الوصول اليه ، وان تلك الوقفة الى الامام وذلك التوازن هل من الممكن استئنافه غداة الحرب فان الامر كان يبدو دوما اكثر صعوبة وتعقيدا في نظر المعاصرين انفسهم . ان البلاد التي خرجت من الحرب ضد تركيا في اكتوبر ١٩١٢ كانت تختلف عن تلك التي تأهبت قبل عام واحد ببعض الاعتداء لتقوم بغزوتها « الجميلة » فيما وراء البحار . ان اولئك الذين رأوا عن حسن نية أن عام ١٩١١ كان عام الثورة الوطنية وان الاحتلال الجديد ورأوا فيه حلا للكثير من مشاكل البلاد الخطيرة واهمها مشكلة الجنوب والهجرة قد اضطروا الى تغيير ارائهم فقد ظلت البلاد كما كانت بالاضافة الى زيادة ثقيلة في العبء الذي تتحمله نتيجة لنفقات الحرب . لقد وجدت البلاد نفسها غداة الحرب وقد استولت على جزء ضئيل من مستعمرة

(٩٨) ـ فيكتور الى طرابلس » الحرب المصورة » منشور في « نوفاانتولوجيا » اول يناير ١٩١٢ ص ١٤٣ .

ومع توقع استمرار حالة حرب عصابات صعبة وخطيرة لزمن طويل . ان احلام امثال دي فيليتشي وفورتونانو ودي فيتي دي ماركو الذين كانوا يتوهمون ان الحرب الليبية ستخلص الجنوب وتحل مشاكله الاجتماعية والاقتصادية قد كان مقدر لها ان تتلاشى بسهولة . وقد لاحظ ذلك بدقة الشاب جوسبي دوناتي في مقال نشر على صحيفة « ريسور جيمنتو » في يونيو ١٩١٢ . وهذا الشاب الذي غدا فيما بعد مديرا لصحيفة « بوبولو » وضع بصورة خاصة النقاط على الحروف على ان مشكلة الجنوب لم تكن مشكلة اقتصادية ولكنها وقبل كل شيء مشكلة سياسية واخلاقية ولم يكن في الامكان حلها تلقائيا بغزوة استعمارية :

« (.....) ان الايطاليتين قائمتان ومن العبث واللهو الصبياني أن نفكر ان الحرب الليبية تستطيع ازالة وتبديد اثارهما الى الابد . ان الايطاليتين لا تنحدران من انقسام سياسي يستطيع قانون الدولة ازالته وبسبب الكراهية والنفور في الطباع الذي تولد ما بين الجنوبيين والشماليين بسبب تعودهم الطويل العهد على الطعن والاحتقار المتبادل بحيث أن الحرب حقا تستطيع أن تقضي أو تسكن ذلك . وانما تنحدران من اوضاع اقتصادية مختلفة ومتضاربة ومن الاضطراب الاداري الخاص الذي كان يحافظ عليه الفساد السياسي للحكومة المركزية من اجل فائدتها ومن عدم كفاية التعليم الاولى ومن الامراض الكبيرة البدنية والمعنوية الخاصة بالبيئة ، الخ ...

لكي يستفاد من الحرب (....) يجب ربما ان يكتفي بازالة الحالات الواقعية البعيدة جدا عن دائرة تاثيرها . (٩٩)

---

(٩٩) — جوسبي دوناتي « كتابات سياسية » المذكور مجلد ١ ص ٣٦ — ١٢٥ . قد اجاب دوناتي على اولئك الذين كانوا يظنون ان الحرب حلت حدود عدم التلاحم التي كانت قائمة ما بين الشمال والجنوب قائلا : « ان الاف الالاف من فلاحي الجنوب الذين ناثروا اكثر منا نحن الشماليين بالحرب الافريقية الاولى لم يتخذوا من الضرر والخداع عذرا في الخلاف او الثورة . لقد ماتوا ودفعوا و .. هاجروا . وهذا دليل على انه لا يجوز القول بعدم وجود ايطاليتين لان هناك ايطاليا واحدة سياسية ... ان الحالة النفسية

فالمسالة الجنوبية بعيدا عن الاوهام التي نضجت في سبتمبر ١٩١١ فانها كانت لا تزال من احداث الساعة بما تحتويه من مشاكل لم تجد الحل لدرجة ان دوناتي قد اكد عشية الانتخابات السياسية عام ١٩١٣ ان مشكلة الجنوب كان يجب « ان تطرح من جديد على بساط الحياة السياسية الوطنية برمتها كما كانت قبل الحرب وباستمرار مشاكلها المخيفة والخطيرة وان على اولئك الذين يحبون ايطاليا ان يمدوا كرة الرصاص لربطها في اقدام جميع الحكومات القادمة . » (١٠٠)

واعترف الكثيرون ان من بين الاثار الايجابية للحملة كان العثور من جديد على الوفاق الوطني ووحدة النفوس في جو الحرب الافريقية دون اختلاف اقليمي او طبقي . وفي الخلاصة فقد كان هناك تفكير في ان الحرب قد حققت حلم ماسيو دازيليو « بان يخلق الايطاليون » بعد « قيام ايطاليا » وقد بلغ الامر بباسكو الى فيلاري ان يكتب غداة ابرام الصلح ما يلي :

« (....) من المؤكد ان الحرب الحاضرة كانت الاولى التي غمر فيها الحماس الامة باكملها . لقد اشتركت فيها جميع النظم الاجتماعية : الارستقراطية والبرجوازية وشعب المدن والارياف والجنوب ايضا وربما اكثر من الشمال . (...) والشيء المؤكد هو الشعور العميق الذي تكون في البلاد بان هذه الحرب كان مقدر لها ان تخلق الامة بصورة نهائية وان ايطاليا العظيمة الجديدة اخذت تتحول الى حقيقة يعترف بها الجميع . ان جنودنا سافروا كصليبيين جدد حملهم الشعب على اكتافه هاتفا لهم . كان يبدو ان الجميع كانت تسيطر عليهم فكرة واحدة . كل صوت مخالف كان يخنق وكل معارضة ضد الحكومة تلاشت بالمرة » . (١٠١)

التي تركتها الحرب هي استثنائية مثل الحرب نفسها . فنود ان نقول اذا كان الاندفاع الحالي يقصد اتخاذه للتدليل على ان هذه هي الحالة النفسية للايطاليين في الشمال والجنوب دون اختلاف فيجب قبل ذلك اثبات اللامعقول : اي ان الحرب حدث عادي في حياة الشعب الايطالي » (المصدر المذكور ص ١٢٨) .

(١٠٠) — المصدر المذكور ص ١٢٩ .

(١٠١) — « كوريري ديلا سيرا » ٢٤ نوفمبر ١٩١٢ .

انها لفكرة متفائلة لدرجة ان حتى اشد معارضي الحرب الليبية قايطانو سالفيميني قد قبلها . (١٠٢) ولقد حاولنا ان نبين في بعض الصفحات السابقة (١٠٣) كيف انه لم تنعدم في الجنوب وعائلاتهم الخلافات والاستياء والتردد وكيف ان اسطورة الحرب الجميلة تتلاشى امام الصعوبات وعدم كفاءة القيادات ورد فعل السكان المحليين . اما بالنسبة للحماس الشعبي فالى اي حد لعبت عوامل عدم النضوج والايحاءات السهلة والاساطير التي خلقتها الصحافة ؟

لقد فكر جوليتي في اتمام عملية سياسية دولية دون تكدير النظام الداخلي . فالحرب الليبية بالنسبة له كانت ويجب ان تظل عملية ضرورية حتى وأن كانت مزعجة بالنسبة لايطاليا ، عملية تتفق بوضوح مع اتجاهات وممارسات السياسة الخارجية الاوروبية القديمة . وخطابه في تورينو يوم ٥ اكتوبر ١٩١١ واضح جدا في هذا الخصوص . فهو لم يدرك ماذا يمكن عمليته ان تحدثه من تأثير في هيكل البلاد السياسي والاجتماعي . لقد ظن انه اذا ما انتهت الحرب فقد سيكون في امكانه مواصلة سياسته كاداري هادىء بسلطة ونفوذ متجدد . ولم يحسب أن الحرب بالعكس قد ساهمت بتعجيل شرح وتجاوز نظامه السياسي القديم المتاكل الذي تولى قيادته طويلا وتجاوز ازمات داخلية صعبة غير انه لم يصمد أمام الصدمة النفسية التي اصابت البلاد بسبب العملية الليبية . ان سياسة التحول الجوليتية قد

---

(١٠٢) ــ كتب سالفيميني في رسالة موجهة الى ماريتيللي ومنشورة بصحيفة « اونيتا » بتاريخ ٥ اكتوبر ١٩١٢ ما يلي : « انت ايضا تعترف بسرور بانه تجاه ضرورة العملية التي تشغل اليوم ايطاليا ، فان جميع الجنود من مختلف المناطق قد القوا في افريقيا « متحدين ومتآخين » لا بسبب الخطر فقط بل بسبب الشعور بالواجب والشرف الوطني ايضا » . وانت ايضا مرتاح « لان شعور الشرف الوطني نفسه هنا في الوطن قد حافظ على الجميع في نظام حتى وان كانت النفوس غير متفقة » . وانت ايضا تشاهد بعطف « هذا الاندفاع العظيم في التضامن من اجل الحرب » . ان هذه نتيجة مفيدة للعملية التي نحن رغم معارضتنا القوية لها فلنا الحق والواجب في ان نغتبط دون حدود » (قايطانو سالفيميني » كيف ذهبنا الى ليبيا » المصدر المذكور ص ٤٠ ــ ٢٣٦).

(١٠٣) ــ راجع بصورة خاصة صفحات ٩٩ ــ ٢٨٤ .

انتهت فعلا . فلم يكن في امكانه بالتاكيد استعادة سيره بادخال الانتخابات العامة التي كان يراها الكثيرون كمناورة لاعادة كسب موافقة اليسار المفقودة بسبب العملية الليبية . والاقتراع العام بالعكس كان يقلق اكثر فاكثر البرجوازية الليبيرالية والمعتدلة وكان يساعد تشكيل تكتلات راديكالية في مواقف الدفاع تذفت في الهواء بعمل عشر سنوات من السياسة المنفتحة على مطالب عالم العمل . وان دخول اصوات الكاثوليك الذي انتظر كثيرا فبدلا من ان يعمل كقوة موضحة داخل التشكيل السياسي ، فقد جاء ليزيد من الفوضى حيث ان الكاثوليك ايضا كان يكفيهم الخوف والتسرع . (١٠٤)

وفي الخلاصة فان جوليتي رغم جهوده في حصر العملية الليبية في اطار عمل اداري عادي لم يفلح بعد في ان يكون صانع المعجزات في الحياة السياسية الايطالية ، وقد دفع ثمن اعتداده في الاستمرار الى ما لا نهاية في نظام حكم لم يعد بعد — من جهة — مقبولا من الحركة العمالية التي ابتلعت مرارة الحرب ولكنها آخذة في تنظيم مقاومتها خارج المناقشات البرلمانية وقد رفضت بالفعل الاصلاح والتدرج التوراتي ومن جهة اخرى كان يرى تطور وتضخم معارضة سالا ندرا وسونينو التي كانت تستعد للثار بمساعدة القوميين من جماعة كوراديني الذين نضجوا واشتد ساعدهم واجتذبوا اليهم تاييد وعطف بعض البرجوازية من المقاولين الذين يدينون مع ذلك الى جوليتي بثرواتهم وقوتهم .

وكان يرتسم وراء كواردينى واصدقائه ظل شخصيات كانت تعرف كيف

---

(١٠٤) — راجع فابريلي دي روزا — « ازمة الدولة الليبيرالية في ايطاليا » المذكور ص ٧٢ — ١٧٠ .

« بخصوص الطبقة الحاكمة الليبيرالية — كتب فابريلي دي روزا — فانها منذ الحرب الليبية اظهرت نحو القوميين المنتجين اكثر من العطف الذي اخذ يتزايد مع مرور السنين كلما كشفت القومية بالتدريج من طبيعتها الرجعية الجافة . والان فان هذا التآمر التدريجي ما بين ليبيرالية اليمن والقليان القومي وجد المصادقة عليه وتتويجه في الفلسفة في فكرة جنتيلي « الحالية » وفي السياسة في حركة سالاندرا الدخلية الذي رغم تاكيده اي سالاندرا انه من اتباع سيلفيو سبافنتا فقد انتهى بدافع من حقده لجوليتي الى الانحناء امام مساعي القوميين الحربية » .

تستغل لصالحها تلك الصيحات غير المنتظمة من أجل تصفية جوليتي . وكان وراء كوراديني وقومية المنتجين يرتسم ظل انطونيو سالاندرا وظل اليمين الليبيرالي المحافظ المضاد لجوليتي ، والذي بالرغم من استناده الى تقاليد اليمين التاريخي للنهضة قد وجد في القومية التي كانت تقبل نفس المثل وان كانت تشوهها — الادارة لتطوير ومواصلة السير الى الامام بتلك السياسة التي ستؤدي الى ايام مايو المشرقة « والى التدخل عام ١٩١٥ — وان اندريا توري مثلا قد كتب الى البرتيني في ١٦ اكتوبر ١٩١٢ داعيا مدير «كوريري ديلا سيرا» الى تجنب مهاجمة القوميين : الذين « بدونهم لما حدثت بعض التغييرات في الراي العام الايطالي في الاوقات الاخيرة وليس من اللائق أن نحط من معنوياتهم فانهم يمثلون قوة مثل عليا تفيد البلاد » (١٠٥)

واهمية عمل الحركة القومية في اعوام الحرب الليبية تكمن فعلا في أنها وجدت ليس لدى جوليتي — بل لدى مجموعات قوية من الطبقة الحاكمة الليبيرالية وجدت فيهم حلفاء واصدقاء . وان طابعها السياسي — كما لاحظ دي روزا — كان في انها وجدت :

« كيف تتغذى وتتضخم من انفعال طبقة حاكمة يعصف بها الخوف من التصادم مع قوى سياسية ، حتى وان كانت تتضارب فيما بينها وتختلف في نوعيتها ، غير انها في الواقع بوجودها الايجابي النشيط تعرض للازمات عوامل الاستئثار والرغبات في التركيز التي كانت تمارسها هذه الطبقة على الحرية والملكية وعلى جميع أحجام المجتمع المتمدن بصورة عامة » . (١٠٦)

ولكن الكل كان جدا جديدا الذي سمح لهذه التشكيلة السياسية التي كونت قاعدة للتدخل الايطالي في الحرب العالمية الاولى . وهو جو ساهم

---

(١٠٥) — لويجي البرتيني — مراسلات — المصدر المذكور مجلد ١ ص ١٢٦ .

(١٠٦) — ج . دي روزا — المصدر المذكور ص ١٧٣ . « كل ما كان هناك من صحيح واصيل في «الثورة» اي ذلك الذي اصبغ منذ البداية الكرامة على رد فعل اتباع ليوناردي على حيرة الادب الايجابي قد اعاقه في الحال وهو في الطريق تيار قومية المنتجين المتعكرة والصاخبة وتيار القومية الامبريالية والحربية الراغبة في حمام ساخن من الدماء لتطهير ايطاليا جوليتي الصغيرة من عيوبها » (المصدر المذكور) .

القوميون بقوة في خلقه . وراقب ادولفو امودیو باهتمام خاص خلال الحرب الليبية ، الحالة النفسية الجديدة التي اخذت تتكـون في البـلاد بفعـل موجة القومية العاتية . وقد شعر هو ايضا ان شيئا ما اخذ يتغير في ضمير وفي الحياة العامة بالبلاد وان روحا غير ناضجة ولكنها خطيـرة اخذت تتغلغل في الايطاليين لتشوه وتفسد حبهم لوطنهم — وقد لاحظ كيف انه لم يعد في الامكان توجيه النظر الى تلك المشاكل التي كانت هـي المشـاكـل الحقيقية وقد بدا كل شيء مرتبكا وقد امتزج في « نشوة سكر من الحماس » والبطولة الرخيصة . واشتكى امودیو من عدم النضوج هذا الذي اظهرته البلاد ولم يكن في امكانه « ان يغتبط لامجاد الوطن » .

« يا صديقتي — كتب امودیو الى ايفازونا في ٢٤ اكتوبر ١٩١١ مـن بالرمو — اني احب ارضي واحب ثقافة وتقاليد شعبي بقوة يزداد عمقا بقدر ما يقل ظهورها . ان تفاهة الوطنية القومية والحماس المتدفق المبالغ فيـه يخدش حبي لوطني هذا ، اني ملتاع من رؤية الى اية ايدي سلم(الوطن) او بمعنى ماذا يتبقى لدينا من العمل . واذا كان نجاح هذه الايام يخفف قليلا من هذا القلق ، فانني لا اخفي بان ايطاليا ينقصها الكثير والكثير من اجل ان تصبح بحق عظيمة . هل في هذه النفوس يعيش حقا الوطن ؟ كم من الرجال تتجسد فيهم اماني الوطن يرتجفون بكل روحهم من اجـل مصيره ويجتهدون في التمسك وفهم المشاكل التي تعصف بالوطن فهما عميقا ! ان الوطنية المتطرفة (شوفنية) التي تطغى في هذه الايام على الصحافة ليست بضمير وطني بمعنى عمق الكلمة . لا يبدو لي انه من حقي ان اهتف للامة التي يديرها جوليتي في خدمة المصالح الاحتكارية لاسرة سافويا البرجوازية (الاسرة المالكة) . ان الامة وهي لا تزال مفككة الاوصال تعصف بها غنغرينة الجهل والخرافة . واني لاخشى من ان نشوة الحماس هذه تضر اكثر مما تفيد واود لوطني حتى في النصر ان يظهر بمظهر الرجولة الباردة والهدوء الحكيـم . » (١٠٧)

---

(١٠٧) — ادولفو امودیو Adolfo Omodeo « رسـائـل ١٩٤٦ — ١٩١٠ » تورينو ١٩٦٣ ص ١٢ — ١١ .

وقد توصل فيليبو ميدا في كتابه « من القومية الى السلم » الى نفس الخلاصة التي توصل اليها اموديو وان اختلفت اللهجة وبتحليل سياسي ادق لتلك الفترة الخاصة من الحياة العامة الايطالية . ولم يستطع ميدا الا ان يحذر مواطنيه من الاخطار التي قد تنتج عن اندفاع امبريالي وحربي متزايد جـــدا .

« لنتجنب ان نساعد بسهولة كبيرة التيار التجريبي الذي يبدو انه اخذ يتغلب ويدين السلمية او بالاخرى يدين الفكر والطموح الذين تحت صفة السلمية المحتقرة يعتبران خيالا وحلما : كلا ، ان السلمية لها قاعدتها المنطقية والمعنوية التي تسمح لها أن تؤكد نفسها كهدف مسلم به في تصور المجتمع القانوني : ان عمل القائمين بها سيكون في مثل اليوم متفاوت فعاليـــة وعملية . قد يكون ربما متسرعا وغير مناسب : غير ان السلمية كاسلوب لها تكوينها الصلب الصامد الاكثر بكثير مما لدى النظم السياسية والمعنوية المعارضة التي يشملها اسم الامبريالية والقوميـــة » (١٠٨)

ان عهدا تاريخيا كان في طريق النهاية في ايطاليا وفي اوروبا . لقد كانت الايام الاخيرة في عصر — رغم ما عرف من اهتزازات وخوف وازمات — فقد قدم هذا العصر للشعوب فترة حياة تميزت بصورة جوهريـــة بالهدوء والعمل . وكان ايضا عصرا يخفي في طياته تناقضات وأمراضا كان ولا بـــد عاجلا أم آجـــلا أن تنفجر في اشكال عنيفة . وقد تدرج ازدياد القلق واخذت بعض الحركات اللامعقولة توطد اقدامها وازدادت صعوبة رقابتها واعادتها الى مجرى اسلوب حياة متمدنة صحيحة . هذا في حين قد اشتدت الخلافات بين الدول وكانت تغذيها مصالح الهيمنـــة والامبرياليـــة . انها سنـــوات « العشية » انها مقدمات المأساة التي كان يجب أن تقلب وتغير وجه القارة الاوروبيـــة .

---

(١٠٨) — فليبو ميدا — المصدر المذكور ص ١٢٥ .

ملحـــق رقـــــم ١

مذكرة وزير الخارجية دي سان جوليانـــو

(٢٨ يوليـــو ١٩١١)

اكتب هذه المذكرة بيدي واكلف شخصا اثق فيه ان يكتب ثلاثـــة نسخ واحدة لصاحب الجلالة الملك ، وواحـدة لرئيس مجلس الـوزراء ، والثـالثـة للايداع في خزانة الوثائق السرية بالكونسولتا (وزارة الخارجية) .

ان مجمل الحالة الدولية والمحلية في طرابلس تدفعني اليوم الى الاعتقاد بانه من المحتمل ان تضطر ايطاليا في غضون بضعة اشهر الى القيام بحملة عسكرية في طرابلس . ومن الضروري ان نحسب حساب هذا الاحتمال من خلال توجيه كل سياستنا مع وجوب محاولة تجنبها حسب وجهة نظري .

ان بعض الوسائل اللازمة لتجنبها ، كما سابين ذلك فيما بعد ، فان هدفها ونتيجتها تسهيل النجاح في حالة ان هذه الحملة تصبح ضرورية .

فالسبب الرئيسي الذي يدعوني الى الاعتقاد بانه من المستحسن تجنب حملة طرابلس هو الاحتمال (احتمال لا تاكيد) بان الضربة التي سيسددها نجاح هذه الحملة الى هيبة الامبراطورية العثمانية قد يدفع الشعوب البلقانية للعمل ضدها في داخل وخارج الامبراطورية ، وهي الشعوب الغاضبة اليوم اكثر من اي وقت مضى على نظام ((الشاب التركي)) التركيــزي المجنون وتعجل بذلك في حدوث ازمة قد تجعل النمسا او ربما تجبرها على العمل في البلقـــان .

ومن المحتمل جدا ان تنتج عن ذلك تعديلات في الوضع القائم (status quo) الاقليمي في البلقان وفي بحر الادرياتيك وهي في جزء منها حقا ضارة بالمصالح الايطالية ، وفي جزء آخر يعتبرها الراي العام ضارة ايضا وان كان في ذلك مخطئا .

فهذه التعديلات وما يتبعها من مظاهر معادية للنمسا ، خاصة في شمال ايطاليا قد تحدث في وقت تجد فيه ايطاليا نفسها ولو بصورة عابرة قد ضعفت بشكل محسوس في الارض والبحر (ولهذا السبب ستكون اقل نفوذا في اوروبا ولن تخشاها او تعتبرها النمسا عسكريا) وذلك لان حملة طرابلس تتطلب على الاقل جيشا كاملا وكل الاسطول تقريبا .

وبالنظر فعلا الى القوات الارضية التركية الموجودة في طرابلس والى القوات البحرية التركية الموجودة في البحر الابيض المتوسط فلا شك في ان الحملة يجب ان تتكون من قوات متفوقة بدرجة تضمن النجاح السريع والاكيد .

وانه من الواضح ان الضرورة تتطلب ان لا يكون النجاح اكيدا فحسب بل وسريعا ايضا .

يجب ان تجد اوروبا نفسها تجاه الامر الواقع قبل ان تباشر في دراسته تقريبا وان يصفى بسرعة الوضع الناتج عن ذلك فيما يتعلق بالعلاقات الدولية .

ان فرنسا لا تستطيع ان تعارض بموجب الاتفاق اما انكلترا والنمسا والمانيا فستنظر الى عملنا هذا باسف ولكنها لن تستطيع ان تمنعه وخاصة اذا تم بسرعة .

واكرر بان السبب الرئيسي الذي يجعلني اعتقد في ان تقوم محاولة لمنع هذا العمل هو خشية تاثيره على الحالة في شبه جزيرة البلقان والبحر الادرياتيكي . ربما هذا التاثير لن يحدث ، بيد ان احتمالات حدوثه هي اليوم جدية جدا مما يعزز الرغبة في تجنبها .

وباستثناء هذا السبب الكبير الخطورة فان جميع اعتبارات سياستنـــا الخارجية تنصح ــ حسب رايي ــ في الاسراع باحتلالنا لطرابلس .
واشير الى اهم هذه الاعتبارات :

١ ــ ان فرنسا ستلتزم مخلصة باتفاق عام ١٩٠٢ ومن مصلحتها اليوم وهي لم تنتهي بعد من اعطاء مراكش الصبغة التونسية ، ان توفي بتعهدها . وسيقل اهتمام فرنسا هذا بعد ان تحقق غرضها في مراكش ، اي بعد ان يكون الجزء من الاتفاق الفرنسي الايطالي الملائم لفرنسا قد نفذ مفعوله ولن يتبقى سوى الجزء الذي هو في مصلحة ايطاليـــا .

٢ ــ ومما لا شك فيه ان اعطاء مراكش الصبغة التونسية وهو على ما يحتمل سيكون نتيجة المفاوضات الفرنسية الالمانية الحالية ، فان ذلك قد يغير التوازن في البحر الابيض لضررنـــا .

٣ ــ ان حل مشكلة طرابلس قبل تجديد الحلف الثلاثي سيجعلنا في وضع احسن تجاه حلفائنا عند التفاوض حول الاتفاقيات التي يراد تعديلها .

٤ ــ من الممكن ان يشترط الحلفاء لتجديد الحلف الغاء الاتفاق الفرنسي ــ الايطالي لعام ١٩٠٢ وهو امر سيسبب لنا صعوبات كثيرة سواء قبلنا هذا الشرط ام رفضناه . وان هذه الصعوبات ستقل في حالة ان الاتفاق الايطالي ــ الفرنسي ينتهي قبل تجديد الحلف وذلك دون اعلاننا لالغائه او فسخه من قبلنا وانما يكون سقوطه تلقائيا بنهاية اغراضـــه حيث تكون ايطاليا قد احتلت ليبيا وفرنسا قد احتلت مراكش .

٥ ــ وعلى كل حال قد يكون من المفيد لنا احتلال طرابلس قبل تغيير الوضع القائم الاقليمي في البلقان وبحر الادرياتيك كي نحول دون حلفائنا واعتبارهم ان احتلالنا لطرابلس هو تعويض عن توسع النمســـا الاقليمي المحتمل . هذا في حين اننا نتمسك بان تكون التعويضات في نفس حوض بحر الادرياتيك ، وان الاتفاقيات النمساوية ــ الايطالية تترك الامر مبهما .

٦ ــ وفي اطار الاوضـــاع الدولية الراهنة فان احتـــلال طرابلس لـــن تعترضه عقبات سياسية خطيرة في حين انه قد تزداد هذه العقبات خطورة في وقت آخر عندما يغدو الاحتلال ــ لاسباب اخرى ــ لا مفر منه .

٧ ــ بعد احتلال طرابلس فقط سيكون في الامكان قيام علاقات صداقة حقيقية بين ايطاليا وتركيا (طبعا بعد مرور فترة من الوقت والتوتر) .

٨ ــ ان اوضاع تركيا العسكرية في انحاء مختلفة من الامبراطورية قد تجعلها الآن في صعوبة اكثر من حيث ارسال قوات ملموسة الى طرابلس .

٩ ــ فاذا لم تقع اسباب سياسية تضعف ، او يحدث انحـــلالا فـــي الامبراطورية العثمانية فانها اي الامبراطورية سيكون لديها في غضون عامين او ثلاثة اسطول ضخم قد يجعل غزونا لطرابلس اكثر صعوبة او مستحيلا وسيشجع تركيا على نهج سلوك اكثر استفزازا وعداء من سلوكهـــا الحـــالي تجاه مصالحنا في طرابلس .

وهكذا بعد دراسة الاسباب الخارجية المؤيدة والمعارضة لاحتلالنا القريب لطرابلس . يجب علينا دراسة الاحتمالات الكبيرة والصغيرة في ان الـــراي العام الايطالي قد يفرض على الحكومة هذا القرار (سواء كانت الـــوزارة الحالية ام غيرهـــا) .

ان هذه الاحتمالات تزداد كل يوم للاسباب التاليـــة :

١ ــ من المحتمل ان الاتفاقات الفرنسية ــ الالمانيـــة ــ الانكليزيـــة بخصوص مراكش قد ينتج عنها تبادل التعويضات التي قد تكون احداهـــا استيلاء فرنسا على مراكش الامر الذي قد يخل حقا بتوازن البحر الابيض المتوسط وبعض التعويضات الاخرى التي وان كانت في الواقـــع لا تضـــر بالمصالح الايطالية غير انها قد تحدث في البلاد تاثيرا ــ من المحتمل ان لا يكون له اساس ــ ومع هذا فانه لا يقل خطورة .

٢ ــ لان سلوك الحكومة العثمانية المعادي لكل مصالحنا الاقتصادية في طرابلس والمهين لكرامتنا الوطنية مستمر ومن المؤكد تقريبا انه سيتواصل .

٣ ــ ان الشعور السائد في ايطاليا وهو شعــور لا اســاس له بان سياسة الحكومة الخارجية متساهلة جدا وان مصالح وكرامة ايطاليا ليست محترمة بالقدر الكافي . وان هناك حاجة قوية وعامة الى تاكيد القوة الوطنية بطريقة مـا .

٤ ــ لان كل حادث طرابلسي او ايطالي ــ تركي صغيــر تضخمــه الصحافة بفن ولاسباب مختلفة من بينها المال ودسائس بنك روما الذي يهمه التعجيل باحتلال ايطاليا لطرابلس .

لقد قلت سالفا ان نفس الوسائل التي تعمل من اجل تجنب حملة طرابلس فانها تعمل في نفس الوقت ــ في حالة ان الحملة لا مفر منها ــ على تامين النجاح . ويتعلق الامر سواء بالوسائل العسكرية ام بالوسائل السياسية . ولنبدا بالوسـائل العسكرية حيث انه من الواضح انه كلما ازداد اعداد وتحسين الوسائل (البرية والبحرية) كلما كان النجاح اكيدا وسريعا .

ولذلك اعتقد انه من المناسب الشروع منذ الآن في بعض الاعدادات وذلك لانه في حالة اتخاذ قرار العمل ، فمن الضروري ان يمر اقل وقت ممكن ما بين القرار والعمل بحيث لا يكون هناك وقت لتدخلات الغير الديبلوماسية ولقيام تركيا باستعدادات كبيرة ولتغيير الحالة العامة التي قد تبدو ملائمة .

فالشروع في بعض الاعدادات يفيد (كما وقع في حادث قوزمان) ايضا في التقليل من الاحتمال بان الحملة تغدو لا مفر منها حيث ان هذه الاعدادات ستصل الجمهور عن طريق تسرب المعلومات بصورة ذكية وستصل تركيا وستكذبها الحكومة بصورة غير قاطعة وبذلك ستفهم تركيا اننا لسنا مستعدين للتسامح في طريقة سلوكها معنا . ومن المحتمل ان ذلك قد يدفعها الى تغيير سلوكها (كما وقع في حادث قوزمان) ويسهل علينا اذ ذاك تجنب ضرورة اللجوء الى الوسائل القصوى . فالاتراك بالفعل لا يخضعون الا للقــوة .

الوسـائل السياسية هي نفسها التي استعملت حتى الآن وهي بالاضافة الى مثل هذا التهديد المستمر يستحسن ان تستمر لبعض الوقت على امل ــ لا يجد

ما يسنده في الواقع ــ في ان تؤدي الى النجاح ولو جزئيا على الاقل فــي تحسين العلاقات المتبادلة المرغوبة ومن اجل التدليل لاوروبا على اننا قبل العمل قد استنفذنا جميع المحاولات الودية وكنا متساهلين جدا وصابرين .

ومن جهة اخرى فان شهرا او اثنين من المحاولات السلمية لن تذهب هدرا اذا ما استعملت لتحسين استعداداتنا العسكريــة .

ولا استطيع ان اخفي الاقتناع الذي تكون لدي ، وهو ان الوسيلة الاكثر فعالية لتجنب الحملة العسكرية هي اعدادها واشعار تركيــا دون اعلامها بذلك رسميا باننا نستعد ، حيث انه عن طريق التهديد فقط قد نستطيع دفعها الى تغيير سياستها تجاه جميع نشاطاتنا المشروعة في طرابلس وهو الامر الذي سيجعل ايفاد الحملة العسكرية امرا لا مفر منــه .

وفي حالة قيام هذه الحملة فماذا يجب ان يكون هدفهــا ؟

ان بيتولو (Bettolo) تداعبــه فكرة احتلال طبرق وهي اقــل اخطــارا ونفقات من احتلال طرابلس ولكنها غير فاصلــة .

فاذا اردنا ان نواجه جميع النتائج الممكنة لعمل جرىء فيجب ان يكون في هذا الحل ، ويجب ان يهدف حالا وراسا الى الاستيلاء على مركزي الحكـومة التركية في افريقيا الشمالية اي طرابلس اولا وبنغازي بعد بضعة ايــام .

فاذا ما تم ذلك سنحاول اعطاء الشكل الاكثر ملائمة لممارسة سيادتنــا على طرابلس ليصل بنفقاتنا الى الحد الادنى ، وكذلك فيما يتعلق بالاستعمال الدائم لقوات عسكرية ايطالية في تلك البقاع وذلك ولو لبضعة اعــوام على الاقل . ومن المحتمل الاستفادة من اسرة قرة منلي التي لم تنطفىء بعد او التوصل مع تركيا الى ايجاد حل مثل الذي اتخذ بالنسبة للبوسنيا عام ١٨٧٨ او مع الصين بالنسبة لالمانيا ودول اوروبية اخرى .

ولكن مناقشة كل ذلك سابق لاوانه ويكفي اليوم ان نضع في حسابنــا الاحتمال ان جميع الحملة قد تصبح قريبا لا مفر منها وان نوجــه منذ الآن

عملنا الى غاية مزدوجة ، اي تجنب الحملة من جهة واعداد نجاحها منذ الآن من جهة اخرى ، اذا — كما يبدو — تزايد احتمالها وغدت لا مفر منها حتى ضد ارادتنـا نفسهـا .

ا . دي سان جوليانـو

ملحـــق رقـــــم ٢

انـــذار ايطـــاليـــا الى تـــركيـــا (*)

(٢٦سبتمبـــر ١٩١١)

ارجو من حضرتكم تسليم الباب العالي المذكرة التاليـــة :

لم تكف الحكومة الايطالية ابدا خلال سلسلة طويلة من السنين عن تذكير الباب العالي بالضرورة القصوى لوضع حد لحالة الارتباك والاهمال الذين تركت فيهما تركيا كل من طرابلس وبرقة وان تتمكن هاتـــان المنطقتان مـــن التمتع بنفس التقدم الذي تحقق في اجزاء اخرى من افريقيا الشماليـــة .

وان هذا التغيير الذي تفرضه المقتضيات العامة للمدنية يكون بالنسبـــة لايطاليا مصلحة حيوية من الدرجة الاولى وذلك لقرب هذه المناطـــق مـــن الشواطىء الإيطاليـــة .

وبالرغم من سلوك الحكومة الايطالية التي قدمت دوما تاييدها لحكومة الامبراطورية العثمانية في مختلف المسائل السياسية وحتى في الاوقـــات

---

* ارسل هذا الانذار الى القائم بالاعمال الايطالي باسطمبول دي مارتينو في الليلة الواقعة ما بين ٢٦ و ٢٧ سبتمبر وسلمه دي مارتينو نفسه الى الوزير الاكبر يوم ٢٨ سبتمبر في الساعة ١٤،٣٠ . وقدمت نفس الوثيقة الى القائم بالاعمال التركي بروما يوم ٢٨ سبتمبر في الساعة الثامنـــة .

الاخيرة ، وبالرغم من الاعتـــدال والصبر اللذين برهنت عليهمـــا حتى الآن الحكومة الايطالية ، فان الحكومة الامبراطورية لم تتجاهل رغباتها المتعلقة بطرابلس فحسب ، بل وهذا ادهى وامر ، فان كل مبادرة ايطالية في تلك المناطق كانت تواجه دائما بمعارضة عاتية منظمة لا مبرر لها .

وان حكومة الامبراطورية التي برهنت حتى الآن على عدائها الراسخ ضد اي نشاط ايطالي مشروع في طرابلس وبرقة ، قد تقدمت مؤخرا بخطوة اللحظة الاخيرة مقترحة على الحكومة الملكية التوصل الى تفاهم معلنة عن استعدادها لمنح ايطاليا اي امتياز اقتصادي يتفق والمعاهدات السارية وكرامة تركيا ومصالحها العليا . ولكن الحكومة الايطالية لم تعد تعتقد انها في وضع يمكنها من الدخول في مثل هذه المفاوضات التي بدلا من ان تكـــون ضمانـــا للمستقبل لا يمكنها الا ان تكون سببا دائما في نزاعات وصراعات .

ومن جهة اخرى فان المعلومات التي تتلقاها الحكومة الملكية من وكلائها القنصليين في طرابلس وبرقة تصور الحالة هناك بانها في غاية الخطورة بسبب الهيجان السائد ضد الايطاليين والذي يحرض عليه بصورة واضحة جدا الضباط واجهزة السلطة الاخـــرى . وهذا الهيجان لا يكون خطرا قريبا على الايطاليين فحسب بل وعلى الاجانب من جميع الجنسيـــات الذيـــن دفعهم تاثرهم وقلقهم المشروع على سلامتهم الى الشروع في السفر تاركين طرابلس دون تـــردد .

ان وصول ناقلات عثمانية عسكرية الى طرابلس ، الذي لم يفت الحكومة الملكية لفت نظر الحكومة العثمانية الى نتائجه الخطيرة ، لا يمكنه الا ان يزيد من خطورة الحالة ويفرض على الحكومة الملكية الواجب الملح والمطلق في تدبـــر الاخطار الناتجة عنـــه .

ان الحكومة الايطالية ترى نفسها ــ والحالة هذه ــ مجبرة على التفكير في حماية كرامتها ومصالحها ولذا قررت القيام باحتـــلال طرابلس وبرقـــة عسكريـــا .

ان هذا هو الحل الوحيد الذي تستطيع ايطاليا اتخاذه ، وتنتظر الحكومة الايطالية من حكومة الامبراطورية اصدار الاوامر اللازمة بحيث لا تواجهها اية مقاومة من قبل الممثلين العثمانيين المحليين . وان تتم التدابير الناتجة بالضرورة عن ذلك بدون صعوبـــة .

ان اتفاقات لاحقة ستتخذ ما بين الحكومتين من اجل تنظيم الحالة النهائية الناتجة عن هذا الامـــر .

ان السفارة الملكية باسطمبول لديها الامر في طلب رد قاطـــع في هـــذا الصدد من الحكومة العثمانية داخل مدة اربعة وعشرين ساعة منذ تقديم هذه الوثيقة الى الباب العالي . وفي حالة عدم الرد فان الحكومة الايطالية ستكون مضطرة الى القيام في الحال بتطبيق التدابير الرامية الى الاحتلال .

يترك لحضرتكم ان تضيفوا ان رد الباب العالي في الاربعة والعشرين ساعة المذكور من الممكن ان يصلنا عن طريق السفارة التركية برومـــا .

ا . دي سان جوليانـــو

ملحق رقم ٣

الرد التركي على الانذار الايطالي (*)

(٢٩ سبتمبر ١٩١١)

ان السفارة الملكية (الايطالية) على علم بالصعوبات المتعددة والظروف التي لم تسمح لطرابلس وبرقة من الاشتراك بالقدر المرغوب في فوائد التقدم . ويكفي عرض الامور للتحقق من ان الحكومة الدستورية العثمانية لا يمكن اعتبارها مسؤولة عن وضع اوجده النظام القديم .

فاذا سلمنا بهذا ـ فان الباب العالي اذا ما استعرضنا ما حدث في السنوات الثلاثة الاخيرة ـ يبحث دون جدوى عن الظروف التي اظهر فيها مناوءته للاعمال الايطالية في طرابلس وبرقة . بل بالعكس لقد رأى الباب العالي دوما انه من المفهوم والمعقول مساهمة ايطالية برؤوس اموالها ونشاطها الصناعي في النهضة الاقتصادية لهذا الجزء من الامبراطورية .

وتشعر حكومة الامبراطورية بانها ابدت استعدادها للاستجابة في كل

---

* ارسلتها وزارة الخارجية التركية يوم ٢٩ سبتمبر الى السفارة الايطالية باسطمبول الى وزارة الخارجية الايطالية بواسطة السفارة التركية بروما . وقد اعتبر الرد « طريقة للتهرب والتاجيل » وفي نفس يوم ٢٩ سبتمبر في الساعة السابعة مساء سلم الى الوزير الاكبر اعلان الحرب الايطالي .

مرة وجدت نفسها امام اقتراحات من هذا النوع . كما انها قد درست وحللت بصورة عامة بروح الصداقة كل شكوى تقدمت بها السفارة الملكية .

ومن الضروري ان نضيف ان حكومة الامبراطورية كانت تخضع بذلك الى ارادتها التي طالما عبرت عنها في الرعاية والمحافظة على علاقات ثقة وصداقة مع الحكومة الايطاليـــة .

ومن هذا الشعور وحده استوحت حكومة الامبراطورية اقتراحها الحديث جدا على السفارة الملكية في ايجاد تفاهم قائم على منح امتيازات اقتصادية من اجل اعطاء النشاط الايطالي ميدانا فسيحا في الولايتيـــن المذكورتين . وقد وضعت شرطا وحيدا لهذه الامتيازات في ان لا تمس بكرامتها وبالمصالح العليا للامبراطورية وبالمعاهدات السارية وبذلك فان الحكومـــة العثمانيـــة اظهرت مدى شعورها بالرغبة في التفاهم دون ان تغرب عنها رؤية المعاهدات والاتفاقيات التي تلتزم بها امام الدول الاخرى والتي لا تسقط قيمتها الدولية بارادة طرف واحد .

وفيما يتعلق بالامن والنظام سواء في طرابلس ام في برقة فان الحكومة العثمانية وهي القادرة على الحكم على الحالة ، لا يسعها الا ان تلاحظ كما سبق لها شرف الاعراب عن ذلك من قبل — عدم وجود بصورة مطلقة اي سبب يبرر القلق على مصير الرعايا الايطاليين وغيرهم من الاجانب المقيمين هنـــاك .

فلا توجد في هذا الوقت قلاقل في تلك المناطق فحسب ولا دعاية محرضة بل ان الضباط واجهزة السلطة العثمانية الاخرى لديهم الاوامر بالمحافظة على النظام وهي رسالة يؤدونها بكل اخلاص .

اما فيما يتعلق بوصول ناقلات عسكرية عثمانية الى طرابلس والـــذي اتخذت منه السفارة الملكية سببا لاستخلاص نتائج خطيرة ، فان البـــاب العالي يود ان يلاحظ ان الامر يتعلق بباخرة صغيرة كان ابحارهـــا سابقا

لمذكرة ٢٧ سبتمبر . وبغض النظر عن ان الناقلة لم تحمل جنودا فانها لم تحدث في النفوس الا تاثيرا مطمئنـــا .

اما وقد انحصر جوهر الخلاف في عدم وجود ضمانات تطمئن الحكومة الايطالية حيال التوسع الاقتصادي لمصالحها في طرابلس وبرقـــة . فــان الحكومة الملكية ــ اذا لم تقدم على عمل بهذه الخطورة كالاحتلال العسكري ــ ستجد الرغبة الاكيدة لدى الباب العالي لتسوية هذا الخـــلاف .

وعليه فان الحكومة الامبراطورية تطلب من الحكومة الملكية معرفة طبيعة هذه الضمانات ، وهي على استعداد لقبولها عن طيب خاطر ما لم تمس بسلامة اراضيها . وهي تتعهد في هذا الصدد بعدم تغيير اي شـــيء على الحالة الحاضرة في طرابلس وبرقة خلال المفاوضات وخاصة من الناحية العسكرية وتامل في ان تستجيب الحكومة الملكية لاستعدادات الباب العالي المخلصـــة فتقبل هذا الاقتـــراح .

منشور الاميرال فارافيللـــي الى سكان طرابلـــس *
(١٦ اكتوبـــر ١٩١١)

يا سكان طرابلس ، نحن الاميرال لويجي فارافيللي القائد الاعلى للاسطول الثاني لقوة البحرية الايطالية قد استولينا باسم صاحب الجلالة ملك ايطاليا بالامس على مدينة طرابلس واننا نتوجه اليكم بتحياتنا يا سكـــان مدينة طرابلس والاريـــاف .

كنا نود ان ناتي اليكم دون اقل اساءة لهدوئكم ولمصالحكم : هذا هـــو شعور حكومة صاحب الجلالة وهذا هو شعورنا : غير ان الحكومة العثمانية والسلطات المحليـــة قد اضطرونا بسلوكهـــم الى العمل العسكـــري وقذف البطاريات بالمدافع . ان قلبنا وقلب كل ايطالي يامل في ان تكون الاضرار الناتجة عن ذلك طفيفة جـــدا .

واننا نؤكد لكم باسم صاحب الجلالة ملك ايطاليا احترام وحرية دينكم واحترام نسائكم واننا نعلمكم بان التجنيد الاجباري سيلغـــى وستقـــدم التحسينات الاقتصادية الممكنـــة .

اعتبروا انفسكم منذ الآن مرتبطين ارتباطا وثيقا بايطاليا ، واذكروا ان ملك ايطاليا يمد اليكم يده العظيمة وحمايته المدنية وارفعوا اصواتكم معنا : لتحيا ايطاليا ليحيا الملـــك .

وحيث ان السلطة العثمانية قد زالت فقد عينا الاميرال رفائيلـــي بوريا رينتشي حاكما للمدينة بسلطات عسكرية ومدنيـــة .

صدر بطرابلس في ١٦ اكتوبر ١٩١١ .

ل . ج . فارافيللـــي

---

* صدر هذا المنشور غداة الاستيلاء على طرابلس .

ملحـــق رقـــــم ٥

منشـور الحاكم بوريا ريتشي الى سكان طرابلـــس

(٧ اكتوبـــر ١٩١١)

ايها السكان المحترمــون

بالنظر الى ان السلطة العثمانية التي زالت من هذا البلد كانت تحاول بجميع الوسائل عرقلة توسع المصالح الايطالية في طرابلس .

وبالنظر الى ان جميع الجهود التي بذلتها الحكومة الايطالية منذ سنوات بقصد الوصول الى اتفاق مع تلك السلطة (العثمانية) من اجل افساح المجال هنا للنشاط الايطالي ، قد اصابها الشلل نتيجة للمعارضة العثمانية الامر الذي اضطرنا مكرهين الى احتلال هذا البلد عسكريا . ولم نقم بهذا العمــل من اجل تامين مصالحنا فحسب ، وانما في نفس الوقت بقصد النهوض باوضاع الاقتصاد والتجارة في طرابلس لصالح سكانها انفسهــم . ولذلك فنتولى اليوم باسم ملك ايطاليا العظيم الحكم في طرابلس لادارة شؤونها المدنية والعسكريـــة .

واعلموا ايها السكان الاعزاء اننا نود ان نؤكد لكم بشدة باننا سوف نقوم بكل العناية والاحترام والاعتبار الواجب نحو دينكم بل نتعهد بحمايته بكل قوة اذا ما لحقت به اقل اهانــــة .

فمن هذه الناحية الذن في امكانكم ان تناموا هادئين حيث اننا التزمنا بكلمتنا المقدسة . وكذلك فيما يتعلق بالمحاكم الشرعية ستظل كما كانت في السابق وستكون محل احترامنا واجلالنا العظيمين ، وان احكامنا ستاخذ مجراها كما كانت في عهد الحكومة الغابرة بل نتعهد بتنفيذ هذه الاحكام اذا اقتضى الامر ذلك . وسيستمر مديري الاوقاف في ادارة املاك الوقف كما هو الحال حتى الآن ولن يكون هناك اي تدخل ايطالي فيها اللهم الا اذا تعلق الامر بمساعدة المديرين المذكورين بالنصائح الرامية الى تحسين وتطوير زيادة هذه الممتلكـــات .

واننا نعطيكم ايها السكان الاعزاء كلمتنا بصفتنا حاكما عاما اننا لن نترك وسيلة الا وسلكناها من اجل اظهار احترامنا الاعظم واعتبارنا الاكبر للمراة . واذا حدث وتجرا اي متهور على المساس بشرفكم فهذا معناه انه قد نال من شرفنا ايضـــا .

ان نفس الاحترام والتقدير الذي نريده لنسائنا نود بل نفرضه بالنسبة لنسائكم . ونؤكد لكم في كلمة واحدة ان شرفكم شرفنا والويل للمتهور .

ان ممتلكاتكم الثابتة والمنقولة هي ملك مقدس لا يمس وتخصكم انتم فقط . وسنعمل كل الممكن لتثبيت هذه الممتلكات بحيث تكون بعيدة عن دواعي الشك او الخصام وافضل مما كانت عليه خلال العهد التركي الزائـــل .

ان جميع حقوقكم مهما كان نوعها هي مقدسة ولا تتعرض لاي ظلم لاننا نؤكد لكم ان المحاكم الايطالية ستدور حول محور لا يسمح باي تفرقة في الدين او الاجناس .

ونؤكد لكم ايها السكان المحترمون النبا الجديد وهو منع التجنيد الاجباري في هذا البلد . ولقد الغي وابطل جزء من الضرائب التي كانت تثقل كاهلكم في عهد الحكومة الزائلة هذا في حين ان الجزء الصغير من الضريبة التي ارتاينا الاحتفاظ بها قد انقصت وخفضت . واننا ننوي عن طريـــق كل هـــذه المزايا التي نقدمها لكم تنمية مكاسبكم وتطوير تجارتكم وانعاش الصناعة

في هذا البلد واعطائكم بصورة خاصة الوسيلة لتقدم الزراعة بحيث تتمكن طرابلس ايضا خلال سنوات قليلة من ان تحتل في العالم المتمدن المكان الذي تحتله شقيقتاها المجاورتـــان .

وهكذا ايها العرب الكرماء سوف تنتقلون من الحالة الاقتصادية المزرية التي تعيشونها الى الرخاء ومن الفقر الى الثروة ومن البؤس الى الرفاهية .

واننا ننصحكم يا سكان هذا البلد الشرفاء بان لا تستمعوا للمحرضين الذين لا يبغون سوى جلب الشرور الكبيرة عليكم وعليهم (وليعلم اولئك ان ارهب العقوبات تنتظرهم) . فضموا نواياكم الطيبة الى نوايانا واندمجوا معنا وابذلوا كل جهد لتكون اعمالكم شبيهة باعمالنا ، فان تاريخ المستقبل يحفظ لكم مكانا مجيدا مثلما حفظ التاريخ لاجدادكم الشرفاء مجلدات تشهد بالتقدم والرفاهية والمجد الذي نالوه . هذا هو املنا الصادق بل هذا مـــا يشعر به نحوكم قلب كل ايطالي لانكم اصبحتم ابناءنا . فلكم مثلنا نفس الحقوق التي يتمتع بها الايطاليون والذين لا يجوز ان نميزكم عنهم : فصيحوا اذن مع كل اخوانكم في ايطاليا : ليحيا الملك . لتحيا ايطاليـــا .

صدر في طرابلس يوم ٧ اكتوبـــر ١٩١١

ر . بوريا ريتشـــي

ملحق رقم ٦

منشور الجنرال كانيفا الى سكان طرابلس وبرقة

(١٣ أكتوبر ١٩١١)

باسم الله الرحمن الرحيم

في عهد صاحب الجلالة فيتوريو عمانويل الثالث ملك بلاد ايطاليا الكبيرة حفظه الله وجعله دوما عظيما ومجيدا .

انا الجنرال كانيفا قائد القوة الايطالية المكلفة بانهاء حكم الاتراك في طرابلس وبرقة والمناطق التابعة لهما .

الى جميع السكان القاطنين في المناطق المذكورة من شاطيء البحر الى آخر الدواخل ، الذين يملكون منازل في المدن وبساتين وحقولا ومراعي حول المدن نفسها او بعيدا عنها داخل البلاد .

اعلن ما يلي :

ان القوات الخاضعة لامري قد ارسلها صاحب الجلالة ملك ايطاليا حماه الله ، لا لاخضاع واستعباد سكان طرابلس وبرقة وبلاد الدواخل الاخرى الواقعة الآن تحت استعباد الاتراك ، وانما لنعيد اليهم حقوقهم ونقتص من مغتصبيهم ولنجعلهم احرارا واسيادا لانفسهم ، ولحمايتهم من المغتصبين انفسهم اي الاتراك ومن كل من يريد استعبادهم .

فانتم يا سكان طرابلس وبرقة وفزان والمناطق التابعة لها سيحكمكم من الآن فصاعدا رؤساء منكم تحت الرعاية السامية لصاحب الجلالة ملك ايطاليا حرسه الله وهم مكلفون بقيادتكم وفقا للعدالة وبالرافة والحسنى .

ان جميع القوانين الدينية والمدنية ستحترم ويحترم الاشخاص والممتلكات والنساء والحقوق والامتيازات المتعلقة باعمال البر والدين . ان الغاية الوحيدة من عمل الرؤساء (المشائخ) هي خيركم وهناؤكم ويجب ان يكون هذا العمل مستوحى من الشريعة والسنة . وسيقضي بينكم وفقا للشريعة بواسطة قضاة متفقهين في الدين ذوي استقامة وسيرة حميدة .

ولن نغض الطرف عمن يظلم من الرؤساء ولا نسمح بانحراف القضاة ، فالكتاب والشريعة والسنة فقط ستكون لها السيادة .

ولن تؤخذ اية ضريبة لصرفها خارج البلاد ، وان الضرائب الحالية سيعاد النظر فيها وسوف تخفض أو تلغى وفقا للعدالة .

ولن يطلب من احد الانخراط في الجندية بغير ارادته وانما يقبل اولئك الذين يرغبون طواعية الانضواء في ظل العلم الايطالي من اجل حماية النفوس والممتلكات ولكي يضمنوا للبلاد كل الرخاء والسلام .

واما الاخرون فيبقون في بيوتهم عاكفين على العمل في حقولهم ورعاية مواشيهم او تعاطي التجارة وجميع الحرف الضرورية للحياة المدنية .

وهكذا فان كل امرىء يستطيع اقامة الصلاة في مسجده من اجل عظمة الشعب الايطالي ومجد ملكه حفظه الله وهم الذين وضعوكم يا سكان هذه البلاد تحت رعايتهم وحمايتهم ويودون ان ذكر اسمهم يرهب اعداءكم ويكون محبوبا ومباركا منكم .

وبناء عليه ، وحسبما خولني جلالة ملك ايطاليا العادل المنصور وحكومته ، اعلن ما تقدم واصدره اليوم ٢٠ شوال ١٣٢٩ من الهجرة ليبقى كاساس للعلاقات المقبلة ما بين الحامية والمحميين ، وبين الايطاليين وسكان

هذه البلاد ، واني لعلى ثقة انكم سوف تتقبلون ذلك بقلوبكم كقاعدة يجب اتباعها بامانة وباستقامة روح ونوايا كلا الطرفين .

واذا وجد من لا يقدس الشرائع ولا يحترم الاشخاص او يمس حرمة النساء او يعتدي على الممتلكات او يثور على ارادة العناية الالهية التي ارسلت ايطاليا الى هذه البلاد ، وباسمها استلمت هذه الاوامر ممن كان ولا يزال له الحق في اصدارها والمحافظة عليها فساقوم بتنفيذها بالقوة الموضوعة تحت تصرفي من اجل انتصار الحق والعدالة .

يا سكان طرابلس وبرقة والمناطق التابعة لها .

اذكروا ان الله قال في كتابه العزيز :

« لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتسقطوا اليهم ان الله يحب المقسطين » .

واذكروا انه جاء في الكتاب العزيز ايضا :

« واذا جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله »

فايطاليا تريد السلام وتريد أن تبقى بلادكم اسلامية تحت حماية ايطاليا وملكها باركه الله يخفق عليها العلم الابيض والاخضر والاحمر اشارة الى الايمان والمحبة والامل .

ك . كانيفا

ملحـــق رقـــــم ٧

مـــرســــــوم الضــــــــم

(٥ نوفمبـــر ١٩١١)

بناء على اقتراح رئيس مجلس الوزراء ووزير الشؤون الخارجية ،

وبعد الاستماع الى راي مجلس الوزراء ،

وبعد الاطلاع على البند ٥ من الدستور الاساسي للملكـــة ،

رسمنـــا ونرســـم :

لقد وضعت طرابلس وبرقة تحت سيادة المملكة الايطالية الكاملة والمطلقة ،

ستقرر بقانون النظم النهائية لادارة تلك الناطق والى حين صدور القانون سيعمل بمراسيم ملكية .

هذا المرسوم سيعرض على البرلمان لتحويله الى قانون .

روما في ٥ نوفمبـــر ١٩١٢

فيتوريو عمانويـــل

ملحـــق رقـــــم ٨

اشعـــار الــدول بمرســـوم الضـــم

(٥ نوفمبـــر ١٩١١)

ان احتلالنا للمدن الرئيســية في طرابلس وبرقة وانتصار اسلحتنا المؤكد وقيامنا باعداد قوات متفوقة للارسال الى هناك ، كل ذلك جعل عبثا اية مقاومة تركية لاحقة وعديمة الاثـــر .

ومن جهة اخرى ، فمن اجل وضع حد لسفك الدماء هدرا يجب الاسراع في ازالة اي تردد خطير من نفوس اولئك السكـــان .

ولذلك فبموجب مرسوم ملكي صدر اليوم وضعت طرابلس وبرقة تحت سيادة المملكة الايطالية الكاملة والمطلقة بصورة نهائية لا رجعة فيهـــا .

ان اي حل آخر اقل جذرية يترك ولو ظلا من السيادة الاسمية للسلطان على الولايتين قد يكون سببا دائما لنزاعات مقبلة ما بين ايطاليا وتركيا قد تنفجر بصورة حتمية في وقت لاحق حتى ضد رغبات الحكام وفي وقت — خلافا للآن — قد يكون خطرا جدا على السلام الاوروبـــي .

ان الحل الذي اتخذناه هو الوحيد الذي يرعى بصورة نهائية مصالـــح ايطاليا واوروبا وتركيا نفسهـــا .

ان السلام الموقع على هذا الاساس سيقضي على جميع اسباب الخـــلاف

العميقة ما بين ايطاليا وتركيا وان ذلك سيسهل علينا توجيه كل سياستنا نحو موضع اهتمامنا الاكبر الا وهو المحافظة على الوضع القائم الاقليمي في شبه جزيرة البلقان الذي يعتبر توطيد الامبراطورية العثمانية شرطه الاساسي .

ولذلك نرغب بحرارة ـ اذا كان سلوك تركيا لا يجعل ذلك مستحيلا ـ في ان تكون شروط السلام متمشية بقدر ما يمكن مع مصالح تركيا وهيبتها .

ان طرابلس وبرقة لم تعودا جزءا من الامبراطورية العثمانية ، واننا اليوم على استعداد بروح التفاهم الواسعة لدراسة الوسائل لتسوية اثار الاحداث ـ التي تمت بصورة لا رجعة فيها ـ بالطريقة الاكثر ملاءمة والمشرفة لتركيا .

ومن المؤكد اننا لا نستطيع ان نحافظ على نوايا التفاهم هذه فيما اذا اصرت تركيا على اطالة الحرب بدون جدوى . واننا على ثقة في ان مساعي الدول الكبرى الطيبة قد تجعل تركيا تتخذ دون تردد القرارات الحكيمة والحاسمة التي تتفق ومصالحها الحقيقية ومصالح العالم المتمدن كافة .

وان ايطاليا على كل حال ستتعاون في هذا السبيل بالاعراب عن استعدادها لشروط سلم عادلة وعن عزمها في نفس الوقت على اتخاذ الوسائل الاكثر فعالية لفرضها في اقرب وقت ممكن .

وفي امكان سعادتكم اعطاء صورة من هذه البرقية الى وزارة الخارجية بطرفكم .

أ . دي سان جوليانو

ملحق رقم ٩

فرمان السلطان محمد الخامس *

(٢٦ اكتوبر ١٩١٢)

الى سكان طرابلس وبرقة :

لما كانت حكومتنا في وضع يجعل من المستحيل عليها تقديم المساعدات الفعالة والضرورية لكم من اجل الدفاع عن وطنكم ، ولما كانت ، من جهة آخرى ، حريصة على هنائكم حاضرا ومستقبلا ، ورغبة منا في اتقاء استمرار حرب مدمرة بالنسبة لكم ولعائلاتكم وخطيرة على امبراطوريتنا ، وبقصد احياء السلام والرخاء في بلادكم ، فانني استنادا على حقوقي السيادية قد منحتكم استقلالا ذاتيا مطلقا وكاملا . وستدار بلادكم بموجب قوانين جديدة وانظمة خاصة ستساهمون في اعدادها بنصائحكم لكي تكون مطابقة لحاجاتكم وعاداتكم .

وقد عينت خادمي الامين شمس الدين بك ممثلا عني بلقب نائب السلطان وعهدت اليه برعاية المصالح العثمانية في بلادكم ، وستكون مدة انتدابه خمس سنوات احتفظ بعد مرورها بحق تجديد انتدابه او تعيين خلف لـه .

ولما كانت رغبتنا المحافظة على بقاء الاحكام الشرعية الغراء سارية المفعول ، فقد احتفظنا لهذا الغرض بحق تعيين القاضي الذي سيتولى بدوره تعيين نواب عنه من العلماء المحليين وفقا لما تنص عليه الشريعة . وستدفع رواتب القاضي من قبلنا . اما رواتب نائب السلطان والموظفين الشرعيين الآخرين فستدفع من الواردات المحلية .

محمد الخامس

---

* انها اول وثيقة تمهيدية للتوقيع على معاهدة السلام وفقا للاتفاق الذي تم بين الوفدين الايطالي والتركي في لشي .

ملحق رقم ١٠

مرسوم ملك ايطاليا

(١٧ اكتوبر ١٩١٢)

فيتوريو عمانويل الثالث ملك ايطاليا بفضل الله وارادة الامة .

بعد الاطلاع على القانون رقم ٨٣ بتاريخ ٢٥ فبراير ١٩١٢ القاضي بوضع طرابلس وبرقة تحت السيادة الكاملة والشاملة لملكة ايطاليا .

وبقصد تعجيل السلام في الولايات المذكورة .

وبعد سماع مجلس الوزراء بناء على اقتراح رئيس مجلس الوزراء ووزير الخارجية قررنا ونقرر :

المادة ١ ــ يمنح عفو كامل وشامل لسكان طرابلس وبرقة الذين اشتركوا في الحرب وتورطوا بسببها باستثناء الجرائم العادية . وتبعا لذلك لا يحاكم احد مهما كانت طبقته وحالته او يضايق في شخصه وممتلكاته او في ممارسة حقوقه وذلك بسبب الاعمال السياسية او العسكرية التي قام بها او بسبب اراء عبر عنها خلال الحرب .

الاشخاص المسجونون والمبعدون لهذا السبب سيطلق سراحهم في الحال .

المادة ٢ ــ سيستمر سكان طرابلس وبرقة كما كانوا في الماضي في

التمتع بكامل الحرية في ممارسة شعائر الاسلام . وسيستمر ذكـر اسـم صاحب الجلالة الامبراطور السلطـان بصفته خليفة في الصلوات العامـة للمسلمين ويعترف بالشخص الذي يعينه ممثلا له وستسحب مخصصاتـه من الواردات المحلية . حقوق الاوقاف ستحترم كما في الماضي ولكن يكون هناك اي عائق في علاقات المسلمين بالرئيس الديني المسمى بالقاضي الذي يعينه شيخ الاسلام وبالنائب الذي يعينه والذين ستسحب مخصصاتهم من الواردات المحليـة .

المادة ٣ — الممثل المذكور معترف به حتى بالنسبة لرعاية مصالح الدولة العثمانية والرعايا العثمانيين الذين يظلون بالولايتين بعد قانون ٢٥ فبراير ١٩١٢ رقـم ٨٣ .

وبموجب مرسوم آخر ستعين لجنة يشترك فيها اعيان وطنيون لتقديم الاقتراحات بالنسبة للولايتين والخاصة بالنظم المدنية والادارية المستوحاة من المبادىء التحريرية (ليبرالية) ومن احترام العادات والتقاليد المحليـة .

نامر بنشر هذا المرسوم بعد ختمه بختم الدولة في مجموعـة الـقـوانين الرسمية ومراسيم المملكة الايطالية ونطلب الى جميع من يهمهـم الامر ان يعملوا به والامر بالعمل بـه .

توقيعـات : جوليتي ، دي سان جوليانو ، فينوكيارو ابريلي ، فكتا ، تيديسكو ، سينقاردي ، ليوناردي كوتوليكا ، كريدارو ، ساكي ، نيتي ، كاليسانـو .

صدر في سان روسوري في ١٧ اكتوبر ١٩١٢

فيتوريو عمانويل الثالث

ملحـــق رقـــم ١١

معاهـــدة ســـلام ما بين ايطاليـــا وتركيـــا

(١٨ اكتوبـــر ١٩١٨)

ان صاحبي الجلالة ملك ايطاليا وامبراطور العثمانييـــن ، بدافع مـــن رغبتهما المشتركة في وضع حد لحالة الحرب القائمة بين بلديهمـــا قد عينا مفوضيهـــم .

عن صاحب الجلالة ملك ايطاليا : السنيور بيترو بيتوليني حامل وسام الصليب الاكبر من نيشان تاج ايطاليا ووسام ضابط اكبـــر من نيشـــان القديسين موريس ولازار وعضو البرلمـــان :

السنيور قويدو فوزيناتو حامل وسام الصليب الاكبر من نيشان تـــاج ايطاليا ووسام ضابط اكبر من نيشان القديسيـــن موريس لازار وعضـــو بالبرلمان ومستشـار دولة .

السنيور جوسبي فولبي حامل وسام كومندتور من نيشـــان القديسين موريس ولازار ونيشان تاج ايطاليـــا .

عن صاحب الجلالة امبراطور العثمانيين : صاحب السعادة محمد نابي بك حامل وسام الوشاح الاكبر من نيشان العثمانية الامبراطوري ، مندوب فوق العادة ووزير مفوض لصاحب الجلالة امبراطور العثمانييـــن .

صاحب السعادة روم بيوغلوي فخر الدين حامل وسام ضابط اكبر مــن نيشان العثمانية الامبراطوري مندوب فوق العادة ووزير مفوض لصاحب الجلالة امبراطور العثمانيين .

وبعد ان تبادل الطرفان وثائق الاعتماد ووجداها صحيحة قانونيا فقــد اتفقا على المواد الآتية :

المادة الاولى : تتعهد الحكومتان بان تتخذا فورا بعد التوقيــع على هذه المعاهدة التدابير الضرورية لايقاف القتال حالا وفي نفس الوقت . وسوف يرسل مندوبون خاصون الى المواقع للاشراف على تنفيذ ذلك .

المادة الثانية : تلتزم الحكومتان باصدار الاوامر الفورية بعد التوقيع على هذه المعاهدة ، باستدعاء ضباطهما وجنودهما وموظفيهما المدنيين : بالنسبة للحكومة العثمانية من طرابلس وبرقة وبالنسبة للحكومة الايطالية من الجزر التي احتلتها في بحر ايجــه .

ويتم جلاء الضباط والجنود والموظفين المدنيين الفعلي من الجزر المـذكورة بمجرد اخلاء طرابلس وبرقة من الضباط والجنــود والموظفيــن المدنييــن العثمانييــن .

المادة الثالثة : تتبادل الحكومتان الاسرى والرهائن في اسرع وقت ممكن .

المادة الرابعة : تتعهد الحكومتان باصدار عفو عام شامل . فتعفو الحكومة الملكية عن سكان طرابلس وبرقة ، وتعفو الحكومة الامبراطورية عن سكان بحر ايجه الخاضعة للسيادة العثمانية ، اي الذين اشتركوا في الحــرب او تورطوا بسببها ما عدا الجرائم المتعلقة بالحق العام . وتبعا لذلك لا يحاكم اي شخص مهما كانت الطبقة او الفئة التي ينتمي اليها او يمس شخصه او ممتلكاته او ممارسة حقوقه بسبب اعماله العسكرية او السياسية او بسبب الاراء التي ابداها خلال الحرب . وان الاشخاص المعتقلين والمبعديــن لهذا السبب سيطلق سراحهم في الحــال .

المادة الخامسة : سيعاد في الحال العمل بجميع المعاهدات والاتفاقيات والالتزامات مهما كان نوعها وطبيعتها وصفتها التي عقدت او كانت سارية المفعول بين الطرفين المتعاقدين قبل اعلان الحرب ويعود وضع الحكومتين ورعاياهما ازاء بعضهما الى نفس الوضع الذي كانوا عليه قبل وقوع الحرب .

المادة السادسة : تتعهد ايطاليا بان تعقد مع تركيا في الوقت الذي تجدد فيه اتفاقياتها التجارية مع دول اخرى ، معاهدة تجارية على اساس الحق العام الاوروبي ، بمعنى انها توافق على ان تترك لتركيا حريتها الاقتصادية وحق ممارسة شؤونها التجارية والجمركية اسوة بجميع الدول الاوروبية دون ان تغل يدها الامتيازات او غيرها من الاتفاقيات المعمول بها حتى اليوم . ومن المفهوم انه لا يسري العمل بهذه المعاهدة التجارية الا عندما يعمل بالمعاهدات التجارية التي عقدها الباب العالي مع الدول الاخرى على نفس القاعدة .

وتوافق ايطاليا ، من جهة اخرى على رفع رسوم الجمرك النسبية في تركيا من ١١ الى ١٥ في المائة وكذلك على انشاء احتكارات جديدة وجباية رسوم استهلاك اضافية على السلع الخمس الآتية : البترول وورق السجاير واعواد الثقاب (كبريت) والكحول وورق اللعب على شرط ان تطبق نفس المعاملة على الواردات من البلاد الاخرى في نفس الوقت وبدون تمييز .

وفيما يتعلق باستيراد المواد المحتكرة فان ادارة هذا الاحتكار ملزمة باستيراد مواد ايطالية حسب النسبة المقررة وعلى اساس الوارد السنوي منها ، على ان تكون الاسعار المقدمة لشراء المواد المحتكرة مطابقة لحالة السوق وقت شرائها مع مراعاة نوع البضاعة المعروضة ومتوسط الثمن في السنوات الثلاث التي سبقت الحرب لنفس الانواع المذكورة .

ومن المفهوم ايضا انه اذا ارتات تركيا بدلا من انشاء احتكارات جديدة على المواد الخمس المذكورة ان تفرض عليها ضريبة استهلاك اضافية ، فيجب

ان تفرض هذه الضرائب الاضافية بنفس المقدار على المنتوجات المماثلة في تركيا وعلى منتوجات الامم الاخـــرى .

المادة السابعة : تتعهد الحكومة الايطالية بالغاء مكاتب البريد الايطالية العاملة في الامبراطورية العثمانية وذلك حالما تلغي مكاتبها الدول الاخرى التي لديها مكاتب بريدية في تركيـــا .

بما ان الباب العالي ينوي عقد مؤتمر اوروبي او غيره مع الدول الكبرى ذات المصلحة في المفاوضات بقصد الغاء نظام الامتيازات في تركيا واستبداله بنظام الحق الدولي ، فان ايطاليا مع اعترافها بعدالة مقصد الباب العالـــي هذا ، فانها تعلن منذ الآن انها ستقدم معاضدتها الكاملة والصادقة في هذا الصـــدد .

المادة التاسعة : تعلن الحكومة العثمانية عن استعدادها لاعــادة الرعايا الايطاليين الموظفين في ادارتها والذين اضطرت ان تفصلهم من عملهم وقت الحرب الى وظائفهم التي تركوها اظهارا لرضاها عن خدماتهم الصادقة لها ، وان تدفع لهم رواتب الاستيداع عن الاشهر التي قضوها خارج وظائفهم وان لا يضر هذا الانقطاع عن العمل اقل ضرر بالموظفين الذين يستحقون معاشا تقاعديـــا .

وتتعهد الحكومة العثمانية ايضا ببذل مساعيها الطيبة لدى المؤسسات المرتبطة بها (صندوق الديون العمومية وشركة السكك الحديدية والبنوك وغيرها) كي تعامل الرعايا الايطاليين الذين كانوا في خدمتها ، وفي نفس الاوضاع ، تعاملهم بنفس هذه المعاملـــة .

المادة العاشرة : تتعهد الحكومة الايطالية بان تدفع سنويا الى صندوق الديون العمومية لحساب الحكومة الامبراطورية مبلغا معادلا لمتوسط المبالغ التي في كل من السنوات الثلاث السابقة لاعلان الحرب قد دفعت لميزانية الصندوق من واردات الولايتين . ويتولى معتمدان تعين احدهما الحكومة الايطالية وتعين الآخر حكومة الامبراطورية وذلك ليقررا بالاتفاق مقدار هذه

المبالغ السنوية . وفي حالة حدوث اختلاف يرفع الامر الى مجلس تحكيم يتكون من المعتمدين المذكورين ومن حكم اعلى يعين باتفاق الطرفين . فاذا لم يتم الاتفاق عين كل فريق دولة مختلفة وتختار الدولتان المرشحتان بالاتفاق حكما اعلـــى .

وللحكومة الملكية ولادارة الديون العموية بواسطة الحكومة الامبراطورية صلاحية طلب استبدال هذه المبالغ السنوية بدفع مبلغ موازي بفائدة ٤ ٪ .

وتعترف الحكومة الملكية منذ الآن ، فيما يتعلق بالفقرة السابقة ، بان هذا المبلغ السنوي لا يمكن ان يكون اقل من عشرين مليون ليرة ايطالية وانها اي الحكومة الايطالية على استعداد بان تدفع الى ادارة الديون العمومية المبلغ الموازي بمجرد ما يطلب ذلك .

يعمل بهذه المعاهدة منذ يوم التوقيع عليهـــا .

وقع المفوضون على هذه المعاهدة وختموها باختامهـــم .

لوزان في ١٨ اكتوبر ١٩١٢

بيترن برتوليني ، قويدو فوزياناتو ، جوسبي فولبي ،

محمـــد نابـــي ، روم بيوغلـــوي فخر الدين

فهـرس الكتـــاب

الترتيب الزمني للعمليات العسكرية *

١٩١١

سبتمبر

٢٩ ـ ايطاليا تعلن الحرب على تركيا

دوق الابروتسي على راس فرقة نسافات يهاجم طرادتين تركيتين خرجتا من ميناء برفرسا ببحر الادرياتيك ويستولى على مركب شراعي ويخت مشحونين بالاسلحة .

اكتوبر

٢ ـ الاميرال فارافيللي يوجه انذارا الى قائد حامية طرابلس بتسليم المدينة .

٣ ـ في الساعة الثالثة والنصف من بعد الظهر تشرع البوارج الايطالية بقيادة الاميرال فارافيللي بقصف طرابلس .

٤ ـ حملة انزال بقيادة الجنرال اوبري تحتل طبرق .

٥ ـ انزال ١٧٢٢ بحارا الى طرابلس بقيادة القومندان اومبرتوكاني وظل هؤلاء البحارة سبعة ايام يقاومون هجمات الاتراك العنيفة الذين شرعوا بعد ذلك في انسحاب الى الداخل .

---

* ان غاية هذا الترتيب الزمني هو اعطاء صورة اجمالية للاحداث العسكرية التي ميزت الحرب الايطالية ـ التركية والتي ذكرت مظاهرها العامة في هذا الكتاب . ومن اجل تتبع مختلف مراحل القتال بصورة افضل يجب الاخذ بالعلم بان العمليات الحربية قسمت في الولايتين الى عدة مناطق . في القطر الطرابلسي : طرابلس والخمس ومصراتة وزوارة . وفي برقة : بنغازي ودرنة وطبرق . وفي شهر مايو ١٩١٢ فتحت جبهة جديدة في بحرايجة . وقد استعملنا هذا الترتيب الزمني الدقيق لاعطاء صورة عامة لمختلف ادوار القتال وبالنسبة للمعارك المهمة ذكرنا بين قوسين عدد الخسائر الايطالية (حسب المصادر الرسمية) .

اغرقت السفينة الايطالية (اريتوزا) سفينة مدفعية تركية قـرب الحديدة بالبحر الاحمر .

اطلقت الطرادة (ارتليري) بقيادة القومندان بيسكـاريتي مدافعها على سان جوفاني دي مدوا ببحر الادرياتيك .

١٠ ـ الجنرال كانيفا يتولى قيادة الحملة .

١١ ـ نزول الوحدات الاولى من الحملـة الى طـرابلس (الالاي الاربعين والرابع والثمانين مشاة والحادي عشر برسطليري).

١٢ ـ وصول الدفعة الثانية من الحملة .

١٤ ـ صد هجوم قام به قرابة مائتي جندي من المشاة الاتراك على المراكز الايطالية المتقدمة بغرب بومليانة .

١٧ ـ نزول بعض الوحدات البحرية الى درنـة بقيـادة القـومنـدان اورسيني بعد قذف المدينة بشدة بالمدافع .

١٩ ـ نزول الالاي الثاني والعشرين مشاة الى درنة مع كتيبة (سـالوتسو) من رجال الالب وسرية اشغال والجميع بقيادة الجنرال (زوبيللي). في الساعة السادسة شرع في قصف الناحية الجنوبية من بنغازي نزلت نصائل من الالايين الرابع والثالث والستين مشاة الى شاطىء جليانة بقيادة الجنرال اميليو . وبعد تسع ساعات من القتال هجم الايطاليون على ثكنات البركة وقرية سيدي حسين جنوب شـرق بنغازي . وهو التمهيد للاستيلاء على بنغازي .

٢٠ ـ احتلال بنغازي (٢٥ قتيلا و ٤٥ جريحا) .

٢١ ـ نزول الالاي الثالث برساليسري الى الخمس بقيادة الكـولونيـل (ماجوتو) تحت حماية السفن الـحربيـة (ناريـزي) و (اربـــا) و (ماركوبولو) .

٢٢ ـ اول رحلات جوية فوق طرابلس بقيادة الكبتن (بياتـا) .

٢٣ ـ وقوع معركة شارع الشاطىء بمنطقة طرابلس على اثر هجوم تركي قوي . وتعرض الالاي الحادي عشر برساليري الذي كان يحتل اقصى اليسار في الجبهة الى هجوم قام به الثوار العرب من الخلف وتكبد خسائر باهظة جدا . رد فعل ايطالي عنيف . اعلان الاحكام العرفية في جميع انحاء القطر الطرابلسي (٣٧٨ قتيلا و ١٢٥ جريحا).

احتلال مرتفعات المرقب المتحكمة في طرق القوافل المؤدية من الخمس الى ترهونة . هجوم مضاد قوي العدو .

٢٦ ـ معركة بوملیانة بمنطقة طرابلس بعد هجوم عربي ـ تركي عنيف صد بعد صراع قاسي اشترك فيه الالاي الاربعين مشاة ورماة الالاي الثاني والثمانين والالاي الرابع والثمانين تؤيدهم البحرية والمدفعية (٢٦ قتيلا و ١٠٧ جرحى) .

٢٨ ـ هجوم قوي للعدو يجبر الايطاليين على التخلي عن مرتفعات المرقب

نوفمبر

٤ ـ الاتراك يقصفون طرابلس بالمدافع ويتبع ذلك هجوم عربي تركي صغير صده الالاي الثالث والستين مشاة .

٦ ـ احتل اللواء الخامس بقيادة الجنرال (دي شوراند) حصن الحميدية الذي يحمي طرابلس من الشرق وذلك بعملية التفاف (٨ قتلى و ١١ جريحا) .

٩ و ١٠ ـ هجوم تركي عنيف في منطقة طرابلس صد بعد معارك قاسية اشترك فيها الالاي الثامن عشر والرابع والثمانين مشاة والالاي الرابع برساليري .

١٨ ـ هجوم تركي جديد في منطقة طرابلس .

٢٠ ـ قصفت سفينتان ايطاليتان تقومان بدورية بالبحر الاحمر الحصن التركي القائم بالعقبة .

٢١ ـ قصفت السفينة الحربية (كارلو البرتو) منطقة العمروس مما تسبب في انتقال العرب والاتراك الى بن سعيد التي اخليت فيما بعد في نفس اليوم .
اربعة الايات السادس والاربعين والثاني والثمانين والرابع والثمانين صدت العدو على خط الهاني بوسقانة .

٢٤ ـ معركة امام درنة دارت رحاها من الساعة التاسعة حتى الخامسة مساء وانتهت بانسحاب العرب والاتراك .
وقام العرب عند سحول الليل بهجوم على الالاي الثالث والتسعين مشاة وقد صد الهجوم (١٤ قتيلا و ٦١ جريحا) .

١٦ ـ معركة الهاني المصري حيث قامت الفرقة ١٣١ (الالاي الثامن عشر برساليري والالاي الثالث والتسعون مشاة وكتيبة قرانتييري) تعززها سفن الاسطول (سيشليا اومبرتو وكارلو البرتو وليقوريا) قامت باحتلال الحصن (٢٩ قتيلا و ٩٦ جريحا).

٢٨ ـ توغلت قوة مؤلفة من الاسلحة الثلاثة حتى الكويفية بمنطقة بنغازي حيث اشتبكت مع مجموعة كبيرة من البدو وسقط في الميدان ٢١ من رجال قبيلة العواقير (٢٥ قتيلا و ٤٥ جريحا) .

٣٠ ـ صد هجوم تركي عربي على حصن الهاني المصري .

ديسمبر

١ ـ صد هجوم تركي جديد على حصن الهاني المصري .
صدام بلبده بمنطقة الخمس (٣ قتلى و ١١ جريحا) .

٢ ـ البارجتان (ليقوريا) و (اومبرتو) تقصفان تاجوراء الواقعة في الطرف الشرقي للواحة الطرابلسية .

٤ ـ الاحتلال الايطالي لعين زارة بمنطقة طرابلس قامت به ثلاث قوات : اليمنى بقيادة الجنرال (بيكوري جيراردي) والوسطى

بقيادة الجنرال (زينالدي) واليسرى بقيادة الكولونيل (اماري) .
(٢٠ قتيلا و ١١٠ من الجرحى) .

صد هجوم ليلي عربي – تركي على مدينة بنغازي .

٥ – قام الايطاليون من عين زارة بعمليات استطلاع نحو الصحراء .
ووصلت قوة ايطالية الى معسكر للعدو مهجور فدمرته .

٧ – صدام في منطقة درنة .

١٠ – احتلال ايطالي لواحة الساحل بمنطقة طرابلس .

١٣ – الالاي الثالث والتسعون مشاة والالاي الحادي عشر برساليري يحتلان تاجوراء الواقعة في منطقة طرابلس .

١٦ – صدت كتيبة من رجال الالب ومعها اربعة مدافع جبلية ورشاشات هجومين للعرب والاتراك في مرتفع درنة واحد في الصباح والآخر بعد الظهر (٩ قتلى و ١٦ جريحا) .

١٧ – قام الالاي ٥٠ مشاة وكتيبة من الالاي الثالث والستين بعملية استطلاع في جنزور واعدوا عند الغروب بعد ان قطعوا خط التلغراف ما بين جنزور وغريان .

١٩ – توغلت قوة مختلطة حتى بئر طبراس بمنطقة طرابلس لتحرير بعض عائلات مشائخ عرب موالين لايطاليا اسرها الاتراك (١٦ قتيلا و ٧٧ جريحا) .

معارك ليلية في بنغازي وطبرق نتيجة لهجوم عربي تركي صد .

٢٥ – هجوم عربي – تركي جديد على مدينة بنغازي صدته المدفعية بنيران مكثفة . اطلقت في المتوسط ٣٩ طلقة لكل مدفع واشترك في المعركة ٢٩ مدفعا .

٢٦ – وقع هجوم على اربع كتائب مزودة بالمدافع كانت تقوم بحراسة الاعمال الجارية بخزان مياه درنة وقد استطاعت صد الهجوم بمؤازرة كتيبتي احتياط . (١٠ قتلى و ١٦ جريحا) .

٢٩ ـ صد هجوم عربي تركي جديد على بنغازي .

١٩١٢

ينـــايـــر

١ ـ صدت القوات الايطالية هجوما ليليا على الجانب الايسر للقصر العربي بطبرق .

٢ ـ هاجمت مجموعة من العرب المراكز الايطالية المتقدمة بالقرب من الخمس على يمين الفنار وقد صد الهجوم .

٣ ـ قصف الطرادان (بيمونتي) و (بوليه) الحامية التركية العسكرية في جبانة على بعد عشرة اميال من الحديدة .

٤ ـ قام قرابة اربعين شخصا من الغزاة بعملية سطو ليلية على قرقارش.

٥ ـ سطو جديد على قرقارش .

شرعت قوات عربية ـ تركية قرب منتصف النهار في التقدم من الجنوب والجنوب الغربي من عين زارة . وقد واجهتها نيران المدفعية من على بعد فانسحبت .

٦ ـ هاجمت مجموعات عربية القوات القائمة بحماية الاعمال الدفاعية على الجناح الغربي لخنادق الخمس ولكنهم صدوا .

٧ ـ اغرقت السفن الحربية (بيمونتي) و (قاريبالدينو) و (ارتليري) سبع سفن مدفعية تركية بالقرب من (كوفوندا) واسرت اليخت المسلح (فوفيت) .

١٢ ـ توغلت مفرزة (لانشييري) من الاي (فيرنسه) في عملية استطلاعية نحو بئر التركي واصطدمت بما يقارب المائة من العرب.

١٧ ـ اقتربت في الليل مجموعة من العرب من الاشغال القائمة على جبهة درنة الشرقية . وقد ردتهم كتيبة (سالوتسو) وسريتان من كتيبة

(افريا) وكتيبة من الالاي السابع مشاة احتلوا مرتفع واد صغير متفرع من وادي درنة .

١٨ ـ قام اربعمائة عربي في الليل بهجوم عنيف على حصن صغير ببنغازي وقد صد الهجوم بمؤازرة القلاع القريبة .

قصفت السفينة (اتروريا) الكويفية وقامت السفن (كارلو البرتو) و (تشينيو) و (كانوبو) و (فولميني) بقصف زوارة .

١٨ ـ ٢٠ ـ قامت اربع كتائب ومجموعتان من الفرسان بصد هجوم معدى على قرقارش حيث كانت سرية اشغال تقوم بناء معتلين لحماية المحجر (١٢ قتيلا و ٥٦ جريحا).

٢١ ـ اعلن الحصار الفعلي على الساحل العثماني بالبحر الاحمر من راس عيدا شمال الحديدة الى راس قلافايك وذلك ابتداء من يوم ٢٢ يناير .

٢٤ ـ قصفت سفن ايطالية الحاميات التركية في موكا (جنوب البحر الاحمر) .

٢٨ ـ رد هجوم تركي عنيف على عين زاره وقرقارش (٣ قتلى و ٠٠٠ جريحا) .

٣٠ ـ قام قرابة ٤٠٠ بدوي بهجوم ليلي على وسائل دفاع ابار الفويهات قرب بنغازي . وتجدد الهجوم في الصباح وقد صد .

فبراير

١ ـ رد هجوم عربي تركي قرب الخمس .

قصفت سفن ايطالية الحصون التركية على ساحل اليمن .

٣ ـ قصف الحصن والمخيمات التركية بالشيخ سعيد على مضيق باب المندب .

هجوم قام به البدو على طبرق وقد ردته اسلحة البنادق والمدفعية.

هجوم قامت به القوات العربية ـ التركية على درنة وقد ردته المدفعية .

٤ ـ هجوم عربي جديد غرب الخمس ردته المدفعية وكتيبتان من البرساليري .

٥ ـ قصفت السفينة (كالابريا) حصون الشيخ سعيد وراس فارنو بالبحر الاحمر .

٩ ـ وصول اول كتيبة ارثرية الى طرابلس وتتالف من الوحدات التالية : السرية الثانية من كتيبة (تاليانو) والسرية الرابعة من كتيبة (هيدالقو) والسرية الخامسة من كتيبة (توزيللي) والسرية الاولى من كتيبة (توريتو) .

١١ ـ ١٢ ـ هجوم ليلي قام به العرب والاتراك بقيادة انور بك على منطقة درنة وقد رد .

١٤ ـ قصف بحري جديد لمنطقة الشيخ سعيد (البحر الاحمر) .

٢٥ ـ قصفت السفينتان (غاريبالدي) و (فيرتيو) مدينة بيروت التركية على الساحل السوري .

٢٧ ـ قتال واحتلال جبل المرقب المركز الاستراتيجي الهام بمنطقة الخمس . واشتركت في القتال ثلاث قوات بقيادة الجنرال ريزولي الالاي الثامن برسليبري على اليسار . والالاي التاسع والثمانين مشاة وكتيبة رجال الالب (موندوفي) بالوسط وكتيبة من الالاي السابع والثلاثين مشاة على اليمين . (٢١ قتيلا و ٧٤ جريحا) .

مــــارس

٣ ـ معركة سيدي عبد الله رقم ١ بمنطقة درنة وقد اشتعلت نتيجة لهجوم عنيف عربي ـ تركي . وقاد العمليات الجنرال ترومبي والجنرال كابيللو (٥٩ قتيلا و ١٩٠ جريحا) .

٥ - ٦ حاول العرب والاتراك استعادة المرقب غير انهم صدوا بعد قتال ليلي عنيف (١٣ قتيلا و ٥٠ جريحا) .

٩ - قام العرب بهجوم ليلي على القلعة رقم ٣ للدفاع عن بنغازي وردت الهجوم احدى البطاريات الجبلية .

١٠ - اول رحلة للمناطدين « P. 2 » و « P. 3 » وقد قصفا مخيمات العرب والاتراك بفندق التومار .

١١ - الالاي الرابع والثلاثين والالاي الواحد والعشرين مشاة يصدان هجوما عربيا - تركيا ليليا على طبرق .

١٢ - هجوم عربي - تركي عنيف على بنغازي وقد رد بعد قتال قاس جدا . وقد دارت المعركة حول واحة النخلتين التي اشتهرت باسمها (السلاوي) وتولى قيادة المعركة الجنرال «اميليو» الذي خرج من بنغازي ومعه سبع كتائب تنتمي الى الالايات الرابع والثالث والستين والسابع والخمسين والتاسع والسبعين وخمس بطاريات مدفعية والاي فرسان (٣٩ قتيلا و ١٣٨ جريحا) .

١٣ - حاولت القوات العربية التركية الالتفاف حول حصن «لومبارديا» بدرنة وقد ردتهم اسلحة البنادق والمدفعية .

١٤ - قام البدو عند الفجر بهجوم على طبرق . وقد ردته بطاريات المدفعية .

١٨ - صد هجوم عربي - تركي بالقرب من درنة .

٢١ - صد هجوم عربي - تركي ليلي على طبرق .

٢٤ - البحرية الايطالية تقصف مخيمات الاتراك على سواحل طبرق الشرقية والغربية .

٢٩ - هجوم عربي - تركي جديد على طبرق رد بعد ساعتين من القتال .

٣٠ ـ قصفت المناطيد الايطالية مخيمات الزاوية غرب جنزور .

٣١ ـ قصف زوارة من جديد من الجو .

ابريل

١ ـ هجوم عربي ـ تركي على طبرق وهجوم آخر على الجانب الايسر للمرقب وقد رد الهجومان .

٧ ـ حاول العرب والاتراك من جديد الهجوم على جبهة المرقب الجنوبية .

١٠ ـ ١٤ ـ نزول ايطالي قرب سيدي سعيد واحتلال مكابز غرب زوارة وهي عملية صعبة بصورة خاصة حيث تجري على شاطىء مفتوح .

١٨ ـ قصفت سفن ايطالية من بينها (بيزا) و (امالفي) بقيادة الاميرال بريزبيتيرو مدخل الدردنيل .

قصفت البارجة (ايمانويلي فيليفرتو) والنسافة (اوسترو) مدينة « Warhy » بجزيرة سامو .

٢٣ ـ معركة بوكماش بمنطقة زوارة وقد اشتعلت نتيجة لهجوم عربي ـ تركي من الشرق والجنوب الشرقي ومن الغرب وقد صد بعد معركة عنيفة (٩ قتلى و ٥٥ جريحا) .

٢٦ ـ استولت الفرقة البحرية بقيادة الاميرال بريزبيتيرو على جزيرة ستامباليا (بحرايجة) .

مايو

١ ـ المنطدان « P. 2 » و « P. 3 » يقصفان معسكرات الاتراك بالعزيزية ادم .

٢ ـ تعزيز احتلال المرقب .

٢ ـ ٣ ـ تقدمت قوتان ايطاليتان بقيادة الجنرال ريزولي نحو لـبـدة بمنطقة الخمس ، وفي الوقت الذي كانت فيه حامية المرقب تشغل قوات العدو في المعركة الا ان هذه استطاعت الافلات من عمليـة التطويق وتركت لبدة بدون دفاع (١٣ قتيلا و ٥٠ جريحا) .

٤ ـ قامت حملة بقيادة الجنرال اميليو تحرسها سفن الفرقة الثـانيـة البحرية ، بالنزول عند الفجر في جزيرة رودس بخليج كاليتيـا وارتد الاتراك نحو الداخل (مرتفعات سـان ستيفانو) بعد معركة وقعت في ازفوري .

٥ ـ دخلت القوات الايطالية مدينة رودس .

١٢ ـ نزول قوات ايطالية الى جزر (سكاربانتو) و (بيسكبي) و (نيسميرو) و (كاليمنو) و (باتمو) وتم فيما بعد احتلال جميع جزر سبورادي الجنوبية باحتلال جزر (كو) و (سـيمي) و (كالكي) .
معركة في طبرق على اثر هجوم تركي وقد صد .

١٦ ـ ١٧ ـ معركة (بسيتوس) بجزيرة رودس ، وقد اضطر الاتـــراك خلال الليل الى الجوء الى وادي ماريتزا حيث تعقبتهم الـقـوات الايطالية واجبرتهم على التسليم (٩ قتلى و ٢٦ جريحا) .

١٩ ـ احتلال جزيرة (وكو) بواسطة البارجة نابولي واحتـلال جـزيـرة سيمي بواسطة السفينة (بيقزو) .

٢٠ ـ هجوم ايطالي ناجح بقيادة الجنرال قاربوني على الخنادق العربية التركية بقرب بوكماش .

٢٦ ـ السفينة (اتروريا) تقصف الخويبية .

٣١ ـ قامت قوة عمليات بقيادة الجنراو قاربوني بمهاجمة قرابة ثـلاثة الاف من العرب والاتراك بقرب بوكماش ، وحالت بذلك دون مرور قافلة ما بين الحدود التونسية وزلتن .

يـــونيـــو

٣ ـ صدام ما بين الايطاليين والبادية بالقرب من طبرق .

قصفت السفينة (بيمونتي) المخيمات التركية بالقرب من موكا (البحر الاحمر) ودمرت السفينة (اتروريا) عدة مراكز عسكرية على الساحل جنوب بنغازي .

٧ ـ هجوم عربي تركي على استحكامات المرقب الايطالية وقد رد الهجوم .

٨ ـ معركة سيدي عبد الجليل (والمعروفة ايضا باسم معركة جنزور) بمنطقة طرابلس وقد قامت على اثر هجوم ايطالي على خط الخنادق العربية التركية الذي كان يهدد خط قرقارش الايطالي ، وبعد اربعة ساعات من القتال استولى الايطاليون على خنادق الاتراك . ودارت معركة اخرى ما بين الايطالين وعشرة الاف من الاتراك والعرب كانوا يحاولون الالتفاف على الجناح الايسر الايطالي ، وقد صد الهجوم العربي التركي . مكن هذا النجاح الايطاليين من السيطرة على واحة جنزور (٥٢ قتيلا و ٢٨١ جريحا) .

١٢ ـ معركة هضبات لبدة (او الجبال الجر) بمنطقة الخمس تسببت في تراجع العرب والاتراك بعد ما توصلوا في الساعات الاولى من الليل الى احتلال احد الحصون (٣٧ قتيلا و ٥٤ جريحا) .

١٦ ـ نزول الى شواطىء مصراتة بقوة قوامها سبع كتائب مشاة وكتيبتان من رجال الالب وكوكبة فرسان وخمس بطاريات اشغال وخدمات (ومحطة راديو تلغرافية وهي احدى الاوائل) وكتيبة ارترية . وذلك بقيادة الجنرال كاميرانا وقام رجال البحرية من المشاة باحتلال هضبة الشيخ وتوغلوا حتى راس الزروق وتمركزوا فيه . وبعد الظهر تم انزال جميع قوات الحملة واحتلت في اليوم التالي واحة قصر احمد .

١٩ ــ هجوم ايطالي على سواني عصمان بقيادة الجنرال بونيني . وقد اضطر العدو الى الانسحاب .

٢٢ ــ رد هجوم عربي ــ تركي على اعمال التحصينـــات بالـقرب مـن الزورق .

المنطاد « P. 2 » بقيادة الطيار نوفوليس بقذف مخيمات العزيــزـة جنوب طرابلس .

٢٦ ــ قصف جوي جديد يقوم به نوفيليس على مخيمات العرب والاتراك بضواحي طرابلس .

٢٧ ــ ٢٨ ــ معركة سيدي سعيد بقيادة الجنرال قاربوني وقـد مكـنت الايطاليين من الاسـتيلاء على موقع هـام على طـريــق زلتن زوارة يستطيعون بواسطته مراقبة قرابة اربعين كيلومترا من السـاحـل الواقع شرق الحدود التونسية .

يــــوليـــــو

٦ ــ صدام بجودايم غرب جنزور ما بين قوة استطلاع ايطالية و ٥٠٠ عــربي ــ تركي .

٨ ــ معركة مصـراتة قامت بها فرقة كاميرانا حول قرية محمود (٢٧ قتيلا و ١١٥ جريحا) .

١٤ ــ معركة عنيفة بسيدي علي بمنطقة زوارة (يوم شديد الحــرارة) مكنت الايطاليين (فرقة قاريوني) من الاستيلاء على هضبــة على بعد ستة كيلو مترات شرق سيدي سعيد التي فتحت الطـريــق امام احتلال زوارة (٢٢ قتيلا و ٦٧ جريحا) .

١٨ ــ توغلت خلال الليل قوة من الناسفات (سبيــرا وتشيــنــتــاورو واوستوري وكليميني وبرسـيو) بقيادة القومندان ميللو في الدردنيل غير ان الاضواء الكاشفة فضحت امرها وقذفتها بالمدافع فاضطرت الى الفرار الى ما وراء راس هيلليس ببحر ايجه .

٢٠ ـ معركة القيران منطقة مصراتة حيث قام لواء مشترك بتفريق العرب والاتراك (٢٠ قتيلا و ٩٩ جريحا) .

٢١ ـ قامت المدفعية التركية بقصف درنة من الساعة الثالثة الى الساعة التاسعة مساء .

٢٤ ـ قصفت السفينتان الايطاليتان (بيمونتي) و (كابوا) المعسكر التركي بالحديدة .

اغسطس

٥ ـ احتلال القوات الايطالية لزوارة تقريبا بدون قتال بعد تشتيت بعض دوريات المؤخرة العربية التركية التي قاومت قرب بوسالية وقامت بالعملية قوتان : واحدة جاءت رأسا من أوغوسطا (ايطاليا) عن طريق البحر (الجنرال تاسوني) والاخرى جاءت عن طريق البر من سيدي علي بقيادة الجنرال تاريوني .

١٣ ـ قصفت السفن (فلافيوجويا) و (فيسبوتشي) و (ثنا) واحات قاريونس وحوشتريه والمريسة وقمينس على طول ساحل بنغازي.

١٥ ـ معركة رقدالين بمنطقة زوارة واحتلال فرقة تاريوني لها . وقام العرب والاتراك بهجوم مضاد عنيف نتج عنه صراع دام طيلة اليوم وانتهى بانسحاب العرب والاتراك (٨ قتلى و ١١٩ جريحا).

٢٥ ـ سقطت في البحر بقرب طرابلس طائرة الملازم طيار بيترو مانزيني.

٣٠ ـ هجوم عربي ـ تركي على الوسائل الدفاعية الايطالية بمصراتة وقد صد الهجوم .

سبتمبر

٥ ـ اعفي الجنرال كانيفا من منصبه كقائد اعلى وتشكلت قيادتان مستقلتان واحدة بطرابلس والثانية ببرقة واسندتا الى الجنرال راني والجنرال بريكولا .

٨ ـ صدام في بوعيلة ما بين القوات الايطالية الجنرال تاسوني والفرسان العرب وانسحب العرب بعد خوض معركة عنيفة بالبنادق .

١٠ ـ اضطر الكابتن الطيار ريكاردو مويزو الى الهبوط بطائرته قرب الزاوية غرب جنزور بسبب عطب وقد وقع اسيرا .

١١ ـ وقعت في كمين كوكبتان من فرسان (لودي) كانتا قد خرجتا من زوارة في رحلة استطلاعية .

١٤ ـ تقدم ايطالي بقيادة الجنرالات ريزولي وكابيللو ديل بونو وسالسا بغرض احتلال موقع الخرائب بدرنة ومواقع قصر اللبين وحوش هارون من اجل حماية الحزام الدفاعي عن درنة . فانسحب العرب والاتراك الى الداخل ولم يقع سوى صدام صغير بسيدي عبد الله رقم ٢ (قتيلان و ٥ جرحى) .

١٦ ـ اشتركت السفينة (اتروريا) والنسافات(بارتينوبة) و (الباتروس) و (الديا) والمنطاد « P. 2 » في قصف وادي الهيرة .

١٧ ـ معركة قصر اللبن بمنطقة درنة حيث حاول العرب والاتراك بقيادة انور باشا استعادة المواقع التي فقدوها يوم ١٤ سبتمبر . واستطاعت القوات الايطالية ان ترد هجوم العدو العنيف جدا . (٥٢ قتيلا و ١٣٢ جريحا).

٢٠ ـ معركة سيدي بلال بمنطقة طرابلس من اجل محاولة انهاك المقاومة العربية التركية حول طرابلس .

وقامت بالعملية فرقة الجنرال دي شوراند يعززها لواء احتياطي بقيادة الجنرال ماجيتو وقوة اخرى متحركة بقيادة الجنرال دي شوراند يعززها لواء احتياطي بقيادة الجنرال ماجيوتو وقوة اخرى متحركة بقيادة الجنرال كواردي دي كاربينيرو . وكانت المعركة عنيفة جدا واستمرت قرابة الاثنتي عشر ساعة وتكبد خلالها الطرفان خسائر بالغة ، واستطاع الايطاليون في

النهاية احتلال جنزور وهضبة سيدي بلال . (١١٩ قتيلا و ٤٢٩ جريحا) .

اكتوبر

٨ - ١١ - احتل الايطاليون في المنطقة الواقعة الى الغرب من درنة موقعي سيدي عبد الله رقم ٣ وبراكسادا وذلك من اجل توسيع الحزام الدفاعي (٢٩ قتيلا و ٦٨ جريحا) .

١٠ - قتال جديد في منطقة درنة عند بوسافر .

١٨ - تم التوقيع في لوزان على معاهدة السلام ما بين ايطاليا وتركيا .

ALVARO, Corrado, *Luigi Albertini*, Roma 1925.
ARFE', Gaetano, *Storia del Socialismo Italiano*, (1892-1926) Torino 1965.
ALBERTINI, Luigi, *Epistolario 1911-1926*, Vol. I, Dalla guerra di Libia alla grande guerra, Milano 1969.
ALBERTINI, Luigi, *Vent'anni di vita politica*, parte I, Vol. II, 1909-1914 Bologna 1951.
ANDRE', Gianluca, *L'Italia e il Mediterraneo alla vigilia della prima guerra mondiale (1911-1914)*, Milano 1967.
ANTONGNINI, Tom, *Quarant'anni con D'Annunzio*, Milano 1957.
ALBERTINI, Alberto, *Vita di Luigi Albertini*, Roma 1912.
ASKEW, C. William, *Europe amd Italy's acquisition of Libya, 1911- 1912*, Durham 1912.

BEVIONE, Giuseppe, *Come siamo andati a Tripoli*, Torino 1912.
BACCIO, Baccio, *La guerra di Libia descritta nelle lettere dei combattenti*, Firenze 1912.
BISSOLATI, Leonida, *La politica estera dell'Italia dal 1897 al 1920, scritti e discorsi*, Milano 1923.
BATTAGLIA, Amleto, *La Libia, Tripolitania e Cirenaica*, Mantova 1912.
BONCOPAGNI LUDOVISI, Francesco, *L'Italia di Vittorio Emanuele III, a cura di Tommaso Sillani*, Roma 1925.
BARIE', Ottavio, *Le origini dell'Italia contemporanea*, Rocca San Casciano 1966.
BRIGUGLIO, Letterio, *Il Partito Operaio Italiano e gli anarchici*, Roma 1969.
BALLINI, Pier Luigi, *Il movimento cattolico a Firenae, (1900-1919)*, Roma 1969.
BARZILAI, Salvatore, *Luci ed ombre del passato*, Memorie di vita politica.
BRUERS, Antonio, *Gabriele D'Annunzio*, Roma 1924.
BULOW, Von Bernhard, *Memorie*, Vol. III, Guerra Mondiale e catastrofe (1909-1920), Milano 1937.

BEDESCHI, Lorenzo, *I cattolici disubbidienti,* Roma 1959.
BRUCKMAN, Hugo, *Enver Pasba um Tripolis,* Verlag-Munchen 1918.

COMANDO DEL CORPO DI STATO MAGGIORE, *L'azione dell'Esercito italiano nella guerra italo-turca,* Roma 1913.
CHIESA, Eugenio, *Discorsi parlamentari (1906-1924),* Milano 1960.
CORRIDONI, Filippo, *Le rovine del neo-imperialismo italico. Libia e antimilitarismo,* Parma 1912.
CUSIN, Fabio, *Antistoria d'Italia,* Milano 1970.
CONRIND, Franz Von Hotzendorf, *Ausmeiner Dienstzeit,* (1906-1918, Wien 1921-1923).
CAROCCI, Giampiero, *Giolitti e l'età giolittiana,* Torino 1961.
CANAPINI, Luigi, *Il nazionalismo cattolico,* Bari 1970.
CASTELLINI, Gualtiero, *Tunisi e Tripoli,* Torino 1911.
CORRADINI, Enrico, *L'Ora di Tripoli,* Milano 1911.
CORRADINI, Enrico, *Il volere d'Italia,* Napoli 1911.
CORRADINI, Enrico, *La conquista di Tripoli,* Milano 1912.
CAFAGNA, Luciano, *La formazione di una base industriale fra il 1896 e il 1914,* in AA.VV.
CORRADINI, Enrico, *La guerra lontana,* Milano 1911.
CASRONUOVO, Valerio, *La Stampa dall'unità al Fascismo,* Bari 1970.
CAROCCI, Giampiero, *Giovanni Amendola, nella crisi dello Stato Italiano 1911-1925,* Milano 1965.
CAPELLO, Luigi, *Caporetto. Perché,* a cura di Renzo Felici, Torino 1967.
CADORNA, Luigi, *Lettere famigliari,* Milano 1967.
CARACCIOLO, Alberto, *Roma Capitale,* Roma 1956.
CARRA', Alfio, *La Sicilia Orientale dall'unità all'impresa libica,* Catania 1968.
CROCE, Benedetto, *Storia d'Italia dal 1871 al 1915,* Bari 1959.
COLAPIETRA, Raffaele, *Leonida Bissolati,* Milano 1958.
CAUSA, Cesare, *La guerra italo-turca,* Firenze 1912.
CASTELLINI, Gualtiero, *Fasi e dottrine del nazionalismo,* Milano 1915.
CHABOD, Federico, *Storia della politica estera iraliana dal 1870 al 1896,* Bari 1965.
CIASCA, Raffaele, *Storia coloniale dell'Italia contemporanea,* Milano 1940.
CAPECELATO, Alfonso, *Per la spedizione italiana a Tripoli, l'amore della Patria e i cattolici particolarmente in Italia,* Roma 1911.
COTTAFAVI, Vittorio, *Nella Libia Italiana, Impressioni, studi, ricordi,* Bologna 1912.
COEN, Gustavo, *L'Italia a Tripoli,* Livorno 1912.

D'ARMESANO, Enzo, *In Libia, Storia della conquista,* Buenos Aires 1917.
DEL PIANO, Fulgenzio, *Le mie preghiere a Tripoli,* Roma 1911.
DE MARTINO, Ferdinando, *Diario 1914-1918,* a cura di Gabriele De Rosa, Milano 1966.

De Rosa, Antonio Cestaro, *La questione Meridionale*, Antologia di scritti e documenti, Napoli 1970.
Dar Kling, Lucio, *La libia romana e l'impresa italiana*, Roma 1912.
De Santis, Emilio, *Dalla Canea a Tripoli*, note di viaggio, Roma 1912.
D'Annunzio, Gabriele, *Per la più grande Italia*, Roma 1943.
De Martino, Giacomo, *Cirene e Cartagine*, Bologna 1908.
Dalle carte di Giolitti, a cura di Claudio Pavone, Milano 1962.
De Stefani, Alberto, *Baraonda Bancaria*, Milano 1957.
Darling, Carlo, *L'impresa italiana in Libia*, Roma 1912.
Donati, Giuseppe, *Scritti politici*, Roma 1956.
De Card, Rouard, *Accords secrets entre France et Italie concernant le Maroc et la Libye*, Paris 1921.
De Felice, Renzo, *Mussolini il rivoluzionario*, Torino 1965.
De Rosa, Gabriele, *Storia politica dell'azione cattolica*, Bari 1958.
Dorso, Guido, *Mussolini alla conquista del potere*, Torino 1949.
De Rosa, Gabriele, *I conservatori nazionali*, Brescia 1962.
De Rosa, Gabriele, *Storia del movimento cattolico in Italia*, Bari 1960.
De Rosa, Gabriele, *La crisi dello Stato Liberale in Italia*, Roma 1964.
De Rosa, Gabriele, *L'intervento dell'Italia nella prima guerra mondiale*, Napoli 1967.
D'Annunzio, Gabriele, *Laudi del cielo, del mare, della terra e degli eroi*, Libro IV, Merope le canzoni della gesta d'Oltremare (1911-1912), Milano 1929.
Dedijer, Vladimir, *Il groviglio balcanico e Serajevo*, Milano 1969.
Dalla Torre, *I cattolici e la vita pubblica italiana, saggi, discorsi*, Roma 1962.

Einaudi, Luigi, *Cronache Economiche e politiche di un Trentennio (1893-1925)*, Torino 1963.
Finocchiaro, Beniamino, *L'Unità di Gaetano Salvemini*, Torino 1963.
Frascati, Alfredo, *Giolitti*, Firenze 1959.
Ferrero, Guglielmo, *Potere*, a cura di Gina Lumbroso Ferrero, Milano 1947.
Federzoni, Luigi, *Italia di ieri per la storia di domani*, Milano 1967.
Fappani, Antonio, *Guido Miglioli e il movimento contadino*, Roma 1964.
Forcella, Enzo, e Monticone, Alberto, *Plotone d'esecuzione*, Bari 1968.

Garin, Eugenio, *Cronache della filosofia italiana, 1900-1943*, Bari 1956.
Giovannini, Claudio, *Politica e religione nel pensiero della lega democratica nazionale (1905-1915)*, Roma 1968.
Gaeta, Franco, *Nazionalismo italiano*, Napoli 1965.
Geroni, Giovanni, *Spigolature bengasine*, Firenze 1913.
Graziani, Rodolfo, *Verso il Fezzan*, Tripoli 1929.
Graziani, Rodolfo, *La riconquista del Fezzan*, Milano 1934.
Graziani, Rodolfo, *Pace romana in Libia*, Milano 1937.

GIOLITTI, Giovanni, *Memorie della mia vita*, Milano 1967.
GALLI, Carlo, *Diarii e lettere*, Tripoli 1911, Trieste 1918, Firenze 1951.
GHISLERI, Arcangelo, *Tripolitania e Cirenaica, dal Mediterraneo al Sahara*, Milano 1912.
GOLZIO, Francesco, e GUERRA, Augusto, *La cultura italiana del 900 attraverso le riviste*, Torino 1912.
GRAMSCI, Antonio, *Il Risorgimento*, Torino 1955.

ISTITUTO COLONIALE ITALIANO, Atti del secondo congresso degli italiani all'estero (11-20 giugno 1911), Roma 1911.

LEONORI, Franco, *No guerra, ma terra, Guido Miglioli, una vita per i contadini*, Milano 1969.
LO BELLO, F., *Le vicende politico militari dei primi 12 anni di occupazione italiana in Cirenaica*, Bengasi 1925.
LEVI DELLA VIDA, Giorgio, *Fantasmi ritrovati*, Vicenza 1966.
LEONE, Enrico, *Espansionismo e Colonie*, Roma 1911.
LUZZATI, Luigi, *Memorie*, a cura di Elena de Carli, Ferruccio de Carli e Alberto de Stefani, Milano 1966.
LUCATELLI, Luigi, *Il volto della guerra*, Roma s. d.
LODI, Luigi, *Venticinque anni ui vita parlamentare, da Pelloux a Mussolini*, Firenze 1918.
LABRIOLA, Arturo, *La guerra di Tripoli e l'opinione socialista*, Napoli 1912.
LESSONA, Alessandro, *L'Africa settentrionale nella politica mediterranea*, Roma 1962.
LE FEVBRE, Lucien, *Profilo di Marc Bloch, in Marc Bloch*, Torino 1969.

MARANINI, Giuseppe, *Storia del potere in Italia, 1848-1967*, Firenze 1967.
MALVEZZI, Aldobrandini, *L'Italia e l'Islam*, Firenze-Milano 1913.
MEDA, Filippo, *Il socialismo politico in Italia*, Milano 1924.
MUSSOLINI, Benito, *Opera Omnia*, a cura di Eduardo e Duilio Susmel, Firenze 1951-63.
MONTICONE, Alberto, *La storiografia militare e i suoi problemi, convegno nazionale di storia militare, Ministero della Difesa*, Roma 1969.
MALAGODI, Olindo, *Conversazioni della guerra 1914-1919* a cura di Brunello Vigezzi, Napoli 1960.
MICHELS, Robert, *L'imperialismo italiano*, Milano 1914.
MOLINELLI, Raffaele, *Per una storia del nazionalismo italiano*, Urbino 1966.
MANFRONI, Camillo, *Guerra italo-turca, cronistoria delle operazioni navali*, Vol. II, Milano 1926.
MURET, Maurice, *Le nationalisme italien*, Paris 1910.
MINISTERO DELLA GUERRA, *Campagna di Libia*, Roma 1922.

MINISTERO AFFARI ESTERI, *L'Italia in Africa,* Serie storico militare Vol. I, tomo III, Roma 1964.

MINISTERO AFFARI ESTERI, *L'Italia in Africa,* serie storica: la politica coloniale dell'Italia negli atti, documenti e discorsi parlamentari testo di Giacomo Perticone a cura di Guglielmo Guglielmi, Roma 1963.

MAMMARELLA, Giuseppe, *Riformisti e rivoluzionari nel partito socialista italiano 1900-1913,* Padova 1968.

MALGERI, Francesco, *La stampa cattolica a Roma dal 1870 al 1915,* Brescia 1965.

MANZOTTI, Fernando, *La polemica sull'emigrazione nell'Italia unita,* Milano 1962.

MANTOVANI, G., *La Libia,* Milano 1911.

MIRA, Giovanni, *Memorie,* Vicenza 196 ...

MALTESE, Paolo, *La terra promessa, La guerra italo-turca e la conquista della Libia 1911-12,* Milano 1968.

MAMOLI, P., *La Cirenaica,* Napoli 1912.

MARINETTI, Filippo Tommaso, *Guerra sola igiene del mondo,* Milano 1915.

MARINETTI, Filippo Tommaso, *La battaglia di Tripoli,* Padova 1912.

MANTEGAZZA, Vico, *Questioni di politica estera, L'impresa di Tripoli,* Milano 1912.

NEGRI, Ada, *La madre, in poesie,* Milano 1948.

NAZARI, Vittorio, *Tripolitania, Impressioni di viaggio,* Roma 1911.

NITTI, Francesco Saverio, *Scritti politici,* a cura di Giampiero Carocci, Bari 1963.

OCCHINI, Pier Ludovico, *Corradini,* Firenze 1933.

OMODEO, Adolfo, *Lettere, 1910-1946,* Torino 1963.

PICCIOLI, Angelo, *Tripolitania scuola d'energia,* Antologia di pagine d'azione. Roma 1932.

PODRECCA, Guido, *Libia, impressioni e polemiche,* Roma 1912.

PALICA, Ernesto, *L'Italia e la conquista libica,* Genova 1912.

PIAZZA, Giuseppe, *La nostra terra promessa, lettere dalla Tripolitania marzo-maggio 1911,* Roma 1911.

PERTICONE, Giacomo, *La politica estera italiana dal 1861 al 1915,* Torino 1967.

PETRANI, Luigi, *La questione libica nella diplomazia europea,* Firenze 1939.

PIAZZA, Giuseppe, *Come conquistammo Tripoli,* Roma 1912.

PINI, Giorgio, *Vita di Umberto Cagni,* Milano 1937.

PICCIOLI, Angelo, *La pace di Ouchi,* Roma 1935.

RAVIZZA, Adalgiso, *La Libia nel suo ordinamento giuridico,* Padova 1931.

ROSSI, C. Mario Francesco Luigi Ferrari, *Dalle Leghe al partito popolare,* Roma 1965.

RONCAGLI, Giovanni, *Guerra italo-turca, cronistoria delle operazioni militari,* Vol. I, Roma 1918.

RICCHIERI, Giuseppe, *La Triplice e l'Italia,* Milano 1912.
RICCHIERI, Raffaele, *Libia interna,* Roma 1912.
ROMEO, Rosario, *Breve storia della grande industria in Italia,* Bologna 1967.
RICCHIERI, Giuseppe, *La Tripolitania e l'Italia,* Milano 1912.

SCHIARINI, Pompiglio, *Il soldato italiano in Libia, 1911-12,* Roma 1914.
SFORZA, Ascanio, *Prigionia e viaggi in Libia,* Milano 1912.
SALANDRA, Antonio, *La neutralità italiana (1914),* Milano 1935.
SCAGLIONE, Emilio, *Primavera italica,* Antologia delle più belle pagine sulla guerra italo-turca, Napoli 1913.
SERRA, Emanuele, *La nuova Epopea,* Biella 1912.
SPADOLINI, Giovanni, *Il mondo di Giolitti,* Firenze 1970.
STURZO, Luigi, *Il Mezzogiorno, La politica italiana in discorsi politici,* Roma 1951.
STURZO, Luigi, *Politics and morality, traduzione di Barbara Barclay Carter* London, 1958.
SORES, Feorge, *L'Europa sotto la tormenta,* Milano 1941
SERTOLI, Renzo, *Le isole dell'Egeo dall'occupazione alla sovranità,* Roma 1939.
SIGHELE, Scipio, *Ultime pagine nazionaliste,* Milano 1912.
STATO MAGGIORE DELL'ESERCITO, *Campagna di Libia,* Roma 1938.
SANTARELLI, Enzo, *Il socialismo anarchico, in Italia,* Milano 1959.
SABETTA, Ugo, *Il distretto di Derna,* Roma 1912.
SUSMEL, Duilio, *Nenni e Mussolini, mezzo secolo di fronte,* Milano 1969.
SUARDO SECCO, Dino, *I cattolici intransigenti,* Brescia 1962.
SPADOLINI, Giovanni, *Giolitti e i cattolici, (1901-1914),* Firenze 1960.
STURZO, Luigi, *Italia e fascismo,* Bologna 1965.
SPELLANZONI, Cesare, *L'Africa nemica,* Venezia 1912.
SALINARI, Carlo, *Miti e coscienza del decadentismo italiano,* Milano 1962.
SALVADORI, Massimo, *Gaetano Salvemini,* Torino 1963.
SALVEMINI, Gaetano, *Carteggi,* Vol. I, 1895-1911, a cura di Elvira Gengarelli, Milano 1968.
SPLENDORE, L., *Il Banco di Roma, Monografia storica,* Roma 1913.
SALVEMINI, Gaetano, *Come siamo andati in Libia e altri scritti dal 1910 al 1915,* a cura di Augusto Torre, Milano 1963.
SERRA, Enrico, *L'intesa mediterranea, una fase risolutiva nei rapporti italo inglesi (1902),* Milano 1952.
SERRA, Enrico, *Camille Barrère e l'intesa italo-francese,* Milano 1950.

THEODOLI, Alberto, *A cavallo di due secoli,* Roma 1050.
TARASCHI, Tito Manlio, *La Libia italiana nella preparazione diplomatica e nella conquista,* Napoli s. d.
TURATI, Filippo, *Le vie maestre del socialismo,* a cura di Rodolfo Mondolfi e Gaetano Arfé, Napoli 1966.

TUMIATI, Domenico, *Tripolitania,* Milano 1911.
TOSCANO, Mario, *Storia dei trattati e politica internazionale,* Torino 1963.

VOLPE, Gioacchino, *L'Italia nella Triplice Alleanza (1882-1915),* Milano 1941.
VOLPE, Gioacchino, *L'Italia che fù,* Milano 1961.
VOLPE, Gioacchino, *L'impresa di Tripoli,* Roma 1946.
VOLPI DI MISURATA, *La rinascita della Tripolitania,* Milano 1926.
VOLPE, Gioacchino, *L'Italia in cammino,* Milano 1927.
VALENTE, Giambattista, *Aspetti e momenti dell'azione sociale dei cattolici in Italia,* a cura di Francesco Malgeri, Roma 1968.
VIGEZZI, Brunello, *Da Giolitti a Salandra,* Firenze 1969.
VALERI, Nino, *Da Giolitti a Mussolini,* Milano 1967.
VALLIANI, Leo, *La storia d'Italia dal 1870 al 1915, in annali della fondazione Luigi Einaudi,* Vol. I.

ZOLI, Corrado, *Espansione italiana 1922-1937,* Roma 1949.
ZAGHI, Carlo, *Pasquale Stanislao Mancini, l'Africa e il problema del mediterraneo,* Roma 1955.

من منشورات الدار العربية للكتاب

دراسة وتراجم :

- شاعرية أبي العلاء في نظر القدامى
  تأليف : محمد مصطفى بالحاج
- دماء على الحدود
  تأليف محمد المرزوقي
- الأسس النفسية والتربوية لرعاية الشباب
  تأليف : عمر التومي الشيباني
- تطور النظريات والأفكار التربوية
  تأليف : عمر التومي الشيباني
- أصول النظام الإجتماعي في الإسلام
  تأليف : الشيخ محمد الفاضل بن عاشور
- العرب وابن خلدون
  تأليف ابو القاسم محمد كرو
- شخصيات ومواقف
  تأليف : ماجد السمرائى
- أدب العلماء : البيروني وعمر الخيام
  تأليف : محمد سويسى
- الرازى من خلال تفسيره
  تأليف عبد العزيز المجدوب
- أبو حيان التوحيدى
  تأليف : على دب



الدار العربية للكتاب

عماره « وفاء » ، شارع غومة المحمودى ص.ب 3.185 طرابلس - ليبيا ■
43 مكرر شارع جوغورطة (ليسبس سابقا) ص .ب : 1.104 تونس ■

الثمن : ٣٫٥٠٠ د.ل - ٤٫٩٠٠ د.ت